مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



عدد خاص

وفيه القسم الأول من بحوث ندوة

(اللغة العربية: معالم الحاضر وآفاق المستقبل)

(من ٢٦ حتى ٢٩/ ١٠/١٩٩٧)

ربيع الأول ١٤١٩ هـ

تموز (يوليو) ١٩٩٨م

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

ص.ب ٣٢٧

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي بدءاً من مطلع العام ١٩٩٦م:
- ١٦٠ ليرة سورية في الجمهورية العربية السورية
- ١٥ دولاراً أمريكياً في البلدان العربية
- ١٨ دولاراً أمريكياً في البلدان الأجنبية

ترسل المجلة إلى المشترك خارج القطر بالبريد الجوي المسجّل

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

(خطة المجلة):

- إن خطة المجلة التي تلتزمها أن تنشر لكتابها المقالات الأصيلة التي يخصونها بها ويقصرونها عليها.
- المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها.
- ترتيب المقالات يخضع لاعتبارات فنية.
- ينبغي أن تكون المقالات المرسلة إلى المجلة مكتوبة بخط واضح، أو مطبوعة على الآلة الراقنة.
- المقالات التي لاتنشر لاترد إلى أصحابها.
- يرسل الكاتب الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة، مع مقالته، موجزاً بسيرته العلمية وآثاره، وعنوانه.

المجلد الثالث والسبعون		الجزء الثالث

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

«مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً»



عدد خاص

وفيه القسم الأول من بحوث ندوة

(اللغة العربية: معالم الحاضر وآفاق المستقبل)

(من ٢٦ حتى ٢٩/ ١٠/١٩٩٧)

ربيع الأول ١٤١٩ هـ

تموز (يوليو) ١٩٩٨م

تقديم

اللغة العربية:

معالم الحاضر وآفاق المستقبل

عقدت في رحاب مجمع اللغة العربية بدمشق في المدة من ٢٦/ ١٠ حتى ٢٩/ ١٠/١٩٩٧ ندوة: «**اللغة العربية: معالم الحاضر وآفاق المستقبل**».

وقد شارك في هذه الندوة خمسة وعشرون باحثاً من الأقطار العربية والقطر العربي السوري، وألقيت البحوث في إطار خمسة محاور، هي:

١ـ مشكلة الأداء في اللغة العربية: أسباب الضعف ووسائل العلاج.

٢ـ التعريب والمصطلح.

٣ـ تيسير مباحث العربية: النحو، والصرف، والبلاغة، والعروض، والإملاء.

٤ـ المعجم العربي: وصف المعجمات المتوافرة في الوقت الحاضر، وبيان ما عليها من مآخذ، ووضع مشروع معجم عربي حديث يفي بجميع المتطلبات.

٥ـ مستقبل اللغة العربية: دراسة وسائل تحديث اللغة العربية، والإفادة من الإمكانات التقنية، ومنها الحاسوب، لتمكين العربية من مسايرة

التطور العلمي والتقني المتسارع.

افتتحت الندوة في الساعة العاشرة من صباح يوم الأحد ٢٤ جمادى الآخرة ١٤١٨هـ الموافق ٢٦ تشرين الأول، في قاعة المحاضرات بمكتبة الأسد. وألقيت في حفل الافتتاح الكلمات التالية:

١ـ كلمة الأستاذة الدكتورة صالحة سنقر وزيرة التعليم العالي، راعية الندوة.

٢ـ كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق.

٣ـ كلمة الأستاذ الدكتور عبد الله الطيب رئيس مجمع السودان، ممثل الوفود المشاركة في الندوة.

واستأنف المشاركون في الندوة أعمالهم في الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم ١٩٩٧/١٠/٢٦ في رحاب مجمع اللغة العربية بانتخاب رئيس الندوة ومقررها، فأقروا بالإجماع انتخاب الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيساً للندوة، والأستاذ عبد الوهاب حومد مقرراً لها.

ثم تابعت الندوة أعمالها في قاعة المحاضرات بالمجمع، فألقى السادة المشاركون بحوثهم ضمن المحاور الخمسة المذكورة آنفاً. وأتيح للحضور فسحة من الوقت للمناقشة والتعقيب والاستيضاح.

وفي هدي البحوث الملقاة والمناقشات أعدت لجنة الصياغة في الندوة تقريراً يشتمل على ما انتهت إليه من توصيات. وقد نوقشت هذه التوصيات في الجلسة الأخيرة، وأقرت في صيغتها النهائية.

وفي ختام الندوة أبرق الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيس المجمع رافعاً إلى مقام السيد الرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية باسم السادة المشاركين أصدق آيات الولاء والشكر. وهذا نص البرقية:

سيادة القائد المظفر الرئيس حافظ الأسد

رئيس الجمهورية العربية السورية

المشاركون في الندوة من الأقطار العربية وسورية الأسد يرفعون إلى سيادتكم أعلى آيات الشكر والإكبار لرعايتكم الكريمة للغة العربية، وحرصكم على النهوض بها، وتوفير أسباب ازدهارها، وتكريمكم علماءها.

ويقدّرون أعظم التقدير مواقفكم الصلبة إزاء مناورات العدو الصهيوني، وثباتكم على المبادئ التي تصون كرامة الأمة وسيادتها.

أدامكم الله ذخراً للوطن، وقائداً فذاً تلتف حول قيادتكم الحكيمة والشجاعة جماهير الأمة العربية.

رئيس مجمع اللغة العربية

الدكتور شاكر الفحام

أسماء الباحثين المشاركين في الندوة

أ– من خارج القطر العربي السوري

١– الأستاذ الدكتور أحمد محمد الضبيب — السعودية
٢– الأستاذ الدكتور أحمد حامد — فلسطين
٣– الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب — العراق
٤– الأستاذ الدكتور جورج متري عبد المسيح — لبنان
٥– الأستاذ الدكتور عبد الله الطيب — السودان
٦– الأستاذ الدكتور عصام نور الدين — لبنان
٧– الأستاذ الدكتور محمد بنشريفة — المغرب
٨– الأستاذ الدكتور محمد جواد النوري — فلسطين
٩– الأستاذ الدكتور محمد المختار ولد أباه — موريتانيا
١٠– الأستاذ الدكتور محمد يوسف نجم — لبنان
١١– الأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي — مصر

ب – من داخل القطر العربي السوري

١– الأستاذ الدكتور إسماعيل الكفري
٢– الأستاذة الدكتورة جورية الخياط
٣– الأستاذ الدكتور سامي عوض
٤– الأستاذ الدكتور سعد الكردي

٥ــ الأستاذ الدكتور شحادة الخوري

٦ــ الأستاذ الدكتور عبد الإله نبهان

٧ــ الأستاذ الدكتور عبد الكريم الأشتر

٨ــ الأستاذ الدكتور عمر الدقاق

٩ــ الأستاذ الدكتور محمد حسّان الطيان

١٠ــ الأستاذ الدكتور محمد أحمد السيد

١١ــ الأستاذ الدكتور محمد مراياتي

١٢ــ الأستاذ الدكتور محمود فاخوري

١٣ــ الأستاذ الدكتور مروان البواب

١٤ــ الأستاذ الدكتور مسعود بوبو

١٥ــ الأستاذ الدكتور ممدوح خسارة

١٦ــ الأستاذ يوسف صيداوي

ج – أعضاء مجمع اللغة العربية

١ــ الأستاذ الدكتور شاكر الفحام — رئيس المجمع

٢ــ الأستاذ الدكتور إحسان النص — نائب رئيس المجمع

٣ــ الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد — الأمين العام للمجمع

٤ــ الأستاذ الدكتور عبد الرزاق قدورة

٥ــ الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي

٦ــ الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان

٧ــ الأستاذ الدكتور محمد بديع الكسم

٨ــ الأستاذ الدكتور مختار هاشم

٩ــ الأستاذ الدكتور محمد زهير البابا

١٠ــ الأستاذ الدكتور عادل العوا

١١ــ الأستاذ الدكتور عبد الوهاب حومد

١٢ــ الأستاذ جورج صدّقني

١٣ــ الأستاذ الدكتور مسعود بوبو

★ ★ ★

كلمة السيدة الأستاذة الدكتورة صالحة سنقر

وزيرة التعليم العالي راعية الندوة

أيها الحفل الكريم :

يسعدني أن أرحب بكم في ندوة اللغة العربية التي يقيمها مجمع اللغة العربية تلك التظاهرة اللغوية الهامة التي نعيشها اليوم في مكتبة الأسد الوطنية في مدينة دمشق مدينة العلم والصمود ومنتدى الفكر والعلماء.

الأخوة الحضور:

إن اللغة العربية تنعم بفضل قائدنا السيد الرئيس حافظ الأسد بكل اهتمام ويبقى تجسيد ذلك يتطلب منا توافر قوة وإرادة علماء اللغة للوفاء بمكانة اللغة العربية التي كانت ومازالت وستبقى سمة أساسية من سمات وجودنا. لقد أثبت الباحثون أن اللغة هي السبيل إلى التماسك الاجتماعي والتوحد الفكري وهي مقوم أساسي من مقومات أمتنا القومي ووجودنا العربي ولهذا كله جعل السيد الرئيس مسألة الاهتمام باللغة في سلم الأولويات ووجه إلى تجنيد الاختصاصيين لنعلم ناشئتنا لغتهم الأم وفاء لما حاوله أجدادنا في زمانهم أن يجسدوا اللغة حياة معاشة نحواً وشعراً ونثراً وعلماً.

لقد كان للعرب إسهاماتهم اللغوية المتميزة، تمرسوا بعلوم اللغة واستنطقوا حقائقها وخاضوا في فنونها وغاصوا في أعماق الجديد منها فكان من إسهاماتهم نسيج لغوي متنوع الخبرات أهّل لغتنا العربيــــة لاستيعاب الثقافة والحضارة الإنسانية والمساهمة في إنتاجها وما كان هذا ليتم لولا دأب الباحثين اللغويين وجهادهم في البحث اللغوي واجتهادهم في تأصيله بحيث أصبح عمرهم كله أيام علم وعمل وبهذا وصفهم الشاعر قائلاً:

إذا مرّ بي يوم و لم أتخـــذ يــداً ولم أستفد علماً فما ذاك من عمري

أيها الحفل الكريم:

ونحن نعيش أفراح التشرينين تشرين التحرير وتشرين التصحيح الجديرة بنا أن نعرف حاضرنا ونتابع الحركة التصحيحية المجيدة التي قادها السـيد الرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية لعام ١٩٧٠ في مجال اللغة العربية ويكفيني أن نقول إن نشاط مجامع اللغة العربية لم يتم إلا بما يقوم بـه المجمعيون من تحقيق وبحث وترجمة وما كان ليتم على هذا النحو لولا الدعم الكبير الذي يقدمه السيد الرئيس حافظ الأسد لمن يقوم على اللغة العربية تعليماً وتعلماً ويكفينا فخراً أن تعليمنا في جميع مراحله يتم باللغة العربيـة تأليفاً وتدريساً وأن عدد المؤلفات الجامعية باللغة العربية تزيد عن خمســمائة وأربعين ألف كتاب جامعي يستفيد منه الدارسون في جامعاتنـا السـورية وبعض الجامعات العربية الشقيقة.

السادة الحضور:

اللغة بحر واسع وفسيح وعلماء اللغة هم الذين يمخرون عباب البحر بشغفهم ومحبتهم للغة وندوتكم اليوم هي حلقة من سلسلة نشاطات لغوية يقوم مجمع اللغة العربية في سوريا الأسد بتنظيمها بهدف تعزيز وتطوير اللغة واقعاً وممارسة لتقترب من طموحاتنا ونحن على مشارف الألفية الثالثة تلك الألفية التي تحمل ثوره تكنولوجية هائلة في المعلومات والإلكترونيات والحاسبات والاتصالات ومن يملك ناصية العلم هو الأقدر على البقاء الأمر الذي يحتم علينا أن نسابق الزمن ونضاعف الجهد لنضمن للغتنا العريقة في أن تكون لغة العلم والحضارة بين اللغات الأخرى ولنتذكر قول المؤرخ العالمي المشهور ارنولد توينبي:

«إن تاريخ المجتمعات البشرية هو تاريخ المنافسة بين التعليم والكارثة بين الوجود واللاوجود».

وإذا لم نوظف جهدنا بنشاط أكثر وفعالية أدق فلن يكون للغتنا العربية في هذا السباق العلمي والمعلوماتي إمكانيته التي تنشدها وهذا احتمال لا نطيقه ولا يحق أن نتعرض له وعلينا أن نضع في اعتبارنا أمرين أساسيين :

ـ الأمر الأول :

البعد المستقبلي للغتنا العربية كيف نكوّن إنساننا العربي الناطق باللغة العربية والمعتز بها والمؤمن بقدراتها؟ .

ـ الأمر الثاني :

كيف نخطط لتبقى لغتنا العربية حية سليمة تفرض وجودها الحق بين لغات العالم وأن نأخذ بالحكمة القائلة فكر شمولياً ونفذ محلياً فلابد أن نفكر بطريقة شمولية في مسألة اللغة العربية وأن ندرس واقع تعلم اللغة وتعليمها في كل قطر عربي بحيث يكون البعد الشمولي محور تفكيرنا وما يستبعد ذلك من عمل أفضل يتناول أساليب تطوير اللغة والمعاجم وتوظيف التقانات الحديثة فيها. ولنا في سداد رأي قائدنا المفدى سيادة الرئيس حافظ الأسد وسمو قلبه وتوجيهه الدائم للعناية باللغة والاهتمام بها ما يجعلنا نبذل الطاقات في سبيل تطوير لغتنا العربية والحفاظ عليها.

السادة الحضور:

جميعنا يعلم كم تحرص سورية على السلام العادل والشامل الذي يستند إلى الثوابت الوطنية والقومية ويعتمد على قرارات الشرعية الدولية باتجاه عملية السلام العادل والشامل فنحن نسالم من يسالمنا ونعادي من يعادينا.

«نحارب بشرف ونهادن بشرف ونرمي إلى السلام العادل والشامل الذي يعيد إلينا الأرض والكرامة والحق المشروع ».

وهذا ما أكده سيادة الرئيس حافظ الأسد في حرب السادس من تشرين الأول عام ١٩٧٣ في كلمته التي وجهها إلى الأمة العربية وقواتنا المسلحة.

«نحن دعاة سلام ونعمل من أجل السلام لشعبنا وكل شعوب العالم

وندافع اليوم من أجل أن نعيش بسلام في حين تتمادى إسرائيل في تعنتها وفي استيطان الأراضي العربية وفي قتل الأبرياء متجاوزة كل قوانين الشرعية الدولية ».

أيها السادة أشكر لكم حضوركم حفل الافتتاح ومثل هذه المشاركة تحمل في طياتها التعبير المفصح بما تكنونه من حب للغة العربية ومن تقدير لعلماء اللغة وإرادتهم الطيبة والواجب يقتضي منا الشكر إلى كل من ساهم وشارك في تنظيم هذه الندوة وإلى كل من عمل على التحضير لها والله نسأل أن يكلأ سيادة الرئيس حافظ الأسد بعين رعايته لتفضله برعاية اللغة العربية والحرص على صونها وإيلائها مكانة غير مسبوقة وشمله علماء اللغة العربية ومجمع اللغة العربية وأساتذة اللغة بدعمه وحمايته. وتقدير اللغويين حق قدرهم وجعله اللغة قوة مشعة تضيء حياة الإنسان العربي حاضراً ومستقبلاً.

وعهداً نقدمه إلى سيادة الرئيس حافظ الأسد راعي العلم والعلماء أن نعمل جاهدين لترسيخ اللغة العربية وتطوير أركانها وتعزيز وجودها في جميع فعالياتنا العلمية .

كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

رئيس مجمع اللغة العربية

الأستاذة الدكتورة صالحة سُنْقر وزيرة التعليم العالي، راعية الندوة

السادة الوزراء، السادة السفراء وأعضاء السلك الدبلوماسي

الأساتذة المجمعيون، السادة العلماء الأفاضل.

أيها الحفل الكريم:

أحييكم أحسن تحية وأكرمَها، وأرحّب بكم أجمل ترحيب، وأشكر لكم تفضلكم بالحضور، وأصفي الثناءَ الأساتذةَ العلماء الوافدين الذين تجشموا عناء الرحلة، وبُعْد الشقة، فأهلاً بهم على الرحب والسعة في بلدهم الشقيق.

إن اللغة مقوم أساسي من مقومات الأمة، وهي وطنها الروحي الذي تسكن إليه وتتشبث به. ولهذه المكانة الفريدة التي تحتلها دأبت الأممُ على العناية بلغاتها، وتيسيرِ سبل تعلمها، والسعي لانتشارها. ولغتُنا العربية العريقة التي كانت لساننا العربيّ المبين على مدى ستة عشر قرناً أو يزيد هي هُويتنا وسجلُّ تاريخنا ومآثِرنا، ومستودعُ ذخائرنا، حفظت علينا وحدتنا، وكانت العاصمَ لنا من الفرقة والتبدُّد.

وقد أُوتيت العربيةُ، بخصائصها في الاشتقاق والمجاز والوضع والقياس والنحت والتعريب، من الطواعية والمرونة ما هيّأ لها في الماضي أن تكون لسان العلم والأدب في رحاب العالم الإسلامي الواسع الممتد من جبال البيره نه إلى أسوار الصين زهاء ستة قرون أو يزيد. كانت آنذاك لغة الحضارة الزاهرة المفضلة لدى شعوب تلك البلاد الشاسعة، نمت على مرّ الأيام، واستجابت لما يُراد منها، وغنيت بنتاج أولئك العباقرة من العلماء والأدباء، وخلّفت هذا التراث النفيس الذي كان المنهل العذب للواردين.

وتقوم صلة وثيقة بين نهضة الأمة وازدهار لغتها، فهما توأمان لا ينفصلان، ولهذا كان همُّ الرواد المصلحين في مطالع عصر النهضة العربية الحديثة أن يبعثوا اللغة، ويُحْيوا تراثها الأصيل، لتستعيدَ حيويتها، وتغدوَ مرآة عصرها تستجيب لمطالبه، وتلبّي دواعيه.

ثم قامت المجامعُ العربية من بعدُ، فوقفت نفسها للعناية بالعربية، وجاء في رأس أغراضها:

١ـ المحافظةُ على سلامة اللغة العربية، والحرص على وفائها بمطالب العلوم والتقانة.

٢ـ ثم توحيد المصطلحات العربية.

وكان للمجامع جولات موفقة مفيدة في الدراسات اللغوية والأدبية والتاريخية، وإحياء تراث العرب في العلوم والفنون والآداب.

لقد افتتحت المجامع صفحة مشرقة في تاريخ اللغة العربية، وهيّأتها لتكون ابنةَ العصر الحديث، وأفادت من خصائصها ومرونتها في وضع

المصطلحات. وكان عطاءٌ إثرَ عطاء. ويكفي أن يستعرض المرءُ دوريات المجامع وكتبَها المحققة والمؤلفة ليرى الثروة النفيسة التي حظيت بها العربيةُ في أعقاب الجهود المثمرة التي نهض بها المجمعيون من علماء العربية وأساتذتها.

وتتابعت أعمالُ المجامع وندواتها تعالج مشكلات العربية وقضاياها لتمضي العربيةُ في مسيرتها مواكبةً لروح العصر، تلبّي مستجداتِه ومخترعاتِه في العلوم ومختلف مناحي الحياة.

* * *

إن ندوتنا اليوم إنما هي حلقة في سلسلة الندوات والمناشط التي تنهض بها المجامع والجامعات والمؤسسات اللغوية والثقافية، والتي تُناقش فيها بحوث ودراسات تمسّ قضايا العربية، وتخلص إلى قرارات وتوصيات تحفظ للغتنا شبابها وألقها، وتمنحها القدرة على العطاء.

وقد يأخذ باحثٌ على هذه الندوات ما يشوب بعضَ دراساتها أحياناً من التكرار، ولكنه التكرارُ الذي لابدّ منه. إنه تكرار المتابعة والمثابرة والإكمال والإيضاح لتصبح التوصيات أعمالاً، والآمال حقائق منجزة.

إن اللغة العربية الشريفة المقدسة التي يتكلم بها مئتا مليون عربي من المحيط إلى الخليج فتكونُ لهم لغةَ تفاهم وتواصل، ولغةَ ثقافة وعلم وحضارة لهي جديرة بأن تخدم وتمجّد، وتبذلَ في سبيل حفظها آيةَ وحدةٍ صلدةٍ خالدةٍ لهذه الأمة كلُّ الجهود والإمكانيات.

وإنه ليشقُّ على مجمع اللغة العربية والمجمعيين وعلماءِ اللغة العربية ومحبّيها أن أمرها في حاضرنا ليس هو ذاك الذي نتمنى لها أَلَقاً ورفعة ونضارة

وحيوية، وأنها لا تستقيم كما نحبّ لها على ألسنة الجيل الذي هو مستقبل الأمة وحامي نهضتها، وأن بعض الشكوى قد بدأت تُسمع عن صعوبة العربية، وما تلاقيه الناشئة في تعلمها من عنت وعَجْز عن إتقانها وإحسان التعبير بها، مما حدا بنا أن ندعو لعقد هذه الندوة نعالج بها أسباب هذه الظاهرة، ونتلمّس الحلول الناجعة للتغلب عليها. واتخذنا موضوعاً لها:

اللغة العربية: معالم الحاضر وآفاق المستقبل

والموضوع ذو شقين:

يتناول أولهما ظاهرةَ الضعف التي يعاني منها الجيل، وبيانَ أسبابها، واقتراحَ الحلول المسعفة في تذليل العقبات وتيسير العربية. وتفضي هذه الحلول إلى معالجة أمور مساعدة لابدّ من طرقها كتيسير تعلم الإملاء والنحو والصرف والبلاغة.

ويندرج في هذا الباب القضيةُ الكبرى التي تُقضّ المضاجع، والتي تتبدّى في عزوف كثير من الجامعات في الوطن العربي عن التدريس بالعربية، بدعوى قصورها عن استيعاب المستجدات المتلاحقة التي يوافينا بها العلمُ الحديث، فآثرت التعليم باللغة الأجنبية.

وقد جاءت مباحثُ الندوة لتشبعَ هذه القضايا وأمثالَها درساً، وتدلّ على الطريق الصحيح في معالجتها. فهناك بحوثٌ تتناول مشكلة الأداء في اللغة العربية، وأخرى تعرض لتيسير مباحث العربية في الإملاء والنحو والصرف والبلاغة، وتُقَدّمُ بحوثٌ الطريقةَ المثلى في وضع المعجم

العربي الحديث. وكان للتعريب والمصطلح حيّزٌ واضح لما لهما من الشأن في فتح الأبواب أمام التدريس بالعربية في الجامعات ومعاهد التعليم العالي.

إن ما نحن بصدده يحتاج إلى أن تتضافر الجهودُ في مؤسساتنا التعليمية والتربوية لنقدّم لأبنائنا بأسلوب ميسّر لغةً عربية سليمة سهلة تتيح لهم أن يجيدوا التعبير بها، ويتخففوا من اللهجات العامية المختلفة في أرجاء وطننا العربي، ولابدّ من أن يعيننا على ما نحن بسبيله المؤسساتُ الإعلامية بوسائلها المختلفة: المرئية والمسموعة والمكتوبة، فهي النافذة الواسعة المطلقة التأثير في الناس، وتوجيههم.

وأما الشقُّ الثاني من الموضوع فهو يستشرف المستقبل ويتطلع إلى استشفافه. إنه يتحدث عن مستقبل اللغة العربية، وما يجب أن نُهيّئ لهذا المستقبل الذي يواجهنا بأنظمة التقنيات الحديثة، والفيض الهائل من المعلومات المتدفقة تطالعك بالجديد الجديد لا يتوقف، في عصر الثورات الثلاث: ثورة المعلومات، وثورة التقانة، وثورة الاتصالات.

ثم هناك المشكلات التي يفاجئنا بها عصر العولمة.

وهذا الجانب يحتاج إلى جهود مكثّفة، وتضافر كفايات علمية وفنية عالية، لتستطيع العربية أن تجدَ مكانها الذي تروم احتلاله، وتؤديَ دورها في هذا المجال. ولابدّ من الدأب والمتابعة واقتناص الكفايات وضمّ الجهود كي نقوى أن نجاري الأمم المتقدمة في هذا الباب.

* * *

من تمام الحديث أن نرفع أسمى آيات الشكر والثناء إلى السيد الرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية الذي رعى العربية ورفع

منارها، ووجّه للعناية بها وإتقان تعلمها. ثم أصدر التشريعات القاضية بتعميم تعليم اللغة العربية في جميع كليات الجامعة، ليتخرج الطالب الجامعي، مهما يكن اختصاصه، وقد أتقن لغته الأم، وأحسن التعبير بها، وتزود من نفيس تراثها.

وإنه لمن المصادفات السعيدة أن تنعقد ندوتنا والشعبُ في أوج أفراحه وابتهاجه، احتفاءً بذكرى التشرينين: تشرين التحرير وتشرين التصحيح. إنهما المعركتان الحاسمتان اللتان قادهما الرئيس المظفر حافظ الأسد، ففتحتا الطريق أمام شعبنا لنهضة شاملة، وأهابتا بالجماهير أن تلتف حول قائدها الأمين الذي يقف اليوم قلعةً صامدة أمام العدو الصهيوني وأطماعه، رافعاً شعار السلام لا الاستسلام، ومدافعاً عن أرض الوطن لا يفرّط في ذرّة من ترابه. ويقف الشعب كل الشعب من ورائه يقاتل العدو صفاً واحداً، كأنه البنيان المرصوص.

إني أرجو للندوة النجاح والتوفيق، وأن تسفر أعمالها عن توصيات واضحة محددة، تنبثقُ عن تلك البحوث التي قدمها العلماء الأجلاء، وما صاحبها من نقاش زادها غِنى، وأن نسلك أسلوباً طيّعاً في عرضها على الجهات المختصة لإنفاذها، لأن الخطأ إذا استمرّ تفاقم وازداد.

أشكر للأستاذة الدكتورة صالحة سُنقر وزيرة التعليم العالي رعايتَها الندوة واهتمامَها بها، وما بذلت من جهود لاستكمال أسباب نجاحها. وأشكر للسادة الوزراء والسادة السفراء وأعضاء السلك الدبلوماسي والسادة الحضور تفضلَهم بمشاركتنا في حفل افتتاح الندوة.

والسلام عليكم.

كلمة الأستاذ الدكتور عبد الله الطيب

ممثل الوفود المشاركة

الدكتور عبد الله الطيب

سيدتي صاحبة المعالي وزيرة التعليم العالي..

سيدي رئيس المجمع اللغوي بدمشق الدكتور شاكر الفحام..

وسيدي نائب الرئيس الدكتور محمد إحسان النص..

السادة أعضاء المجمع والحضور الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد:

فأحمد الله إليكم حمداً كثيراً. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آلـــه وصحبه وسلم.

ومن نعم الله علينا أننا الآن في ضيافة دمشق. وهي من أقـــدم مـــدن العالم تأريخاً وحضارة وقال حسان إذ هو جاهلي قبل الإسلام في مدحــــه لآل جفنة:

لله در عصابـــــة نــــــــادمتهم   يوماً بجلـــــق في الزمـــان الأول

وقال شبيب بن البرصاء:

وقد حان مني من دمشق خروج

وقد كانت دمشق قصبة الشام أيام الخلفاء الراشدين. وكـــانت دار الخلافة في زمان بني أمية، قال جرير:

هذا ابن عمي في دمشق خليفة لو شئت ســاقكم إليَّ قطينــا

وقال أبو الطيب وقد أعجبه شعب بوّان:

ملاعب جنة لو سار فيها سليمان لسار بترجمان

ووصف الشعب فأحسن وصفه وفتن به فتنة حتى قال:

يقول بشعب بــوّان حصــاني أعن هذا يسار إلى الطعان

أبوكــم آدم ســنّ المعــاصي وعلمكم مفارقة الجنان

منازل لم يــزل منهــا خيــال يتــابعني إلى النوبندجــان

ثم قال يأسف على تركه بلاد الكرم والعربية الصحيحة في الشام:

ولو كانت دمَشقَ ثنى عنــاني لبيقُ الـــثُّرد صيــنيُّ الجفان

يلنجوجيّ ما رُفعت لضيف به النيران نَدّيُّ الدخان

فذكر كرماً سخياً، وطبعاً أريحياً وحضارة تنشر مع الرفد والـــثريد طيباً عبهرياً.

وفي عصرنا هذا الحاضر قد سبقت دمشق إلى التعريب وإنشاء المجامع.

فجزى الله أهل سورية الخير عن حُسْن ما أسدوا وشادوا، وجـــزى رئيسهم البطل الهمام النصر والمجد والجزاء الجميل الجزيل.

أيها الحضور الكرام:

إن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز: ? الرحمن علم القـــرآن

خلق الإنسان علّمه البيان﴾.

ويقول جلّ من قائل: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربّي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾.

ويقول: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ فالعلم هو الفلاح. وغاية الروح وأمرها غيبي وأمرنا من علمها قليل.

والبيان من سبل الروح والقرآن هو الوسيلة الكبرى إلى التوصل إلى البيان، ووصف سبحانه وتعالى كتابه العزيز بأنه بلسان عربي مبين، فدلّ بهذا على أن العربية من الحبل التي أتاحها الله سبحانه وتعالى لعباده ليتقربوا بها من الأمر الذي هو عنده ويقتبسوا من أنواره ويغوصوا في لجج أسراره.

لقد سمّى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرمي قوة. والرمي يصل إلى المرمى باختراق الهواء. وقد هزم أحد قادة الفرس النشّابين طرفاً كبيراً من أقوى جيوش العالم على زمان يوليوس قيصر كان يقوده صاحبه كراسّيوس، ثم قاوم يوليوس قيصر سفن الغاليين ومنعهم بتمزيق أشرعتهم أن يستفيدوا منها.

ولكن أهل القتال أدركوا من بعد أن من يقوى على البحر يكون على حصار البر وغلبته أقوى. ولاحظ ابن خلدون أن المسلمين قد ضعفت قوتهم في البحر بعد زمان المرابطين، وأن الفرنجة قد ازدادوا قوة في البحر فرجّح ذلك عنده أن أمر قوة المسلمين في الأندلس إلى اضمحلال فزوال. وقد نعلم كيف تغلبت دولة بريطانيا بقوة البحر.

ثم استحدث الناس الطيران فصار من يقوى على هذا الكون الهوائي

أملك لأمر النصر في الحرب على من يعتمد على قوة الأرض والبحر.

ثم جاوز الناس قوة الطيران إلى قوة الرمـــي بـــالصواريخ وإلى قـــوة السيطرة على الفضاء.

وأقوى من هذا جميعه أن يملك الناس السبيل إلى ما هو ألطف من الماء والهواء والفضاء، وذلك هو أمر الروح وسبيل الوصول إلى درك ذرءٍ مـــــن معرفة البيان والقرآن والعربية.

فعلينا معشر العرب أن نحيي علم العربية. أن ندرس هجاءها وكتابها ومختارات شعرها وسجعها ونثرها وأن نترجم علوم الإفرنج وغيرهم إليهـــا وأن نُعرّب الدرس في جميع مدارسنا وأن نبدأ أمر التعليم كله بالقرآن اتباعاً لقوله تعالى: الرحمن علم القرآن وقد كان أســـلافنا يفعلـــون ذلـــك فيلهمهم القرآن من بركته.

ومن هذه البركة يقتبسون المقدرة على البيان فينشئون به ويُعْرِبـــون ويعرّبون.

ولهذا البلد الكريم السبق والتبريز في هذا الميدان وهذه الدعوة الكريمة من اتباع سير خطوات هنا كان البدء بها. فوفقكـــم الله وســـدد خطانـــا وخطاكم ووفق أمة العربية على استعادة عزتها ببيانها فإن ذلك إن شـــاء الله وسيلة إلى استعادة السداد والرشاد.

وحياكم الله والسلام عليكم أيها الحضور الكرام

اللغة العربية في القرن الحادي والعشرين

أ.د. محمود فهمي حجاري

يرتبط مستقبل اللغة بالأمة، فاللغة ترقى بجهود أبنائها، والجانب اللغوي جانب مهم من جوانب التنمية الشاملة في الأقطار العربية. ويتطلب التخطيطُ لمستقبلِ اللغة العربية في القرن الحادي والعشرين الانطلاقَ من أبعاد الواقع العربي والنظرِ في موقع العربية بين اللغات العالمية، مع الإفادة الكاملة من التقنيات الحديثة في عصر المعلومات، ورسم ملامح المستقبل في ضوء التجارب المحلية والوطنية والقومية في دول العالم، للأخذ بكل مايتيح للغتنا العربية مكانتها المنشودة في عالم متغير وقوى متنافسة وتقنيات متقدمة. والقضية المحورية في هذا الصدد تكمن في الإيمان بأهمية التنمية اللغوية العربية والأخذ بالوسائل والطرائق لتحقيقها.

أولاً: التنمية اللغوية :

مصطلح التنمية من أكثر المصطلحات استخداماً عند المتخصصين في الدراسات الاقتصادية والاجتماعية التي تتناول الدول النامية، وهو مصطلح جديد نسبياً في الدراسات اللغوية. وتتنوع البحوث المختلفة في التنمية من حيث درجة التركيز على البناء الاقتصادي أو على بنية المجتمع أو على النظام الإداري، ولكنها تتفق في تمييز مفهوم «التنمية» عن مفهوم «التغير». التنمية ليس مجرد تغير تدريجي وفق الأنماط التقليدية، ولكنها عملية مجتمعية واعية

هادفة إلى إيجاد التحولات المنشودة. وبهذا المعنى يستخدم مفهوم التنمية - أيضاً - في علم اللغة الاجتماعي.

يختلف مفهوم التنمية اللغوية عن مفهوم التغير اللغوي في أن التنمية اللغوية عملية واعية هادفة إلى إحداث تغير محدد منشود، وليست مجرد رصد لتغيرات لغوية، ولهذا ينبغي عدم الخلط بين تلك البحوث ذات الصبغة التاريخية الهادفة إلى رصد التغيرات اللغوية في لغة واحدة أو في عدة لغات أو في اللغة الإنسانية بصفة عامة، وتلك الجهود الهادفة إلى إحداث تغيرات في المستقبل. إن التنمية اللغوية موضوع مهم في إطار الاهتمام المتزايد بالقضايا اللغوية في الدول النامية، وفي علم اللغة الاجتماعي بصفة خاصة. وثمة قضايا كثيرة يتناولها الباحث، منها: تعدد اللغات داخل الدولة، سياسات لغة التعليم، اللغات بوصفها رموزاً لذاتية الجماعة. وعلى الرغم من تنوع مصطلحات هؤلاء الباحثين فإنهم يجعلون تحول المجتمع من مجرد الاستخدام المنطوق للغة في الحياة اليومية البسيطة إلى تدوينها للأغراض المختلفة بداية أساسية للتقدم. أما المصطلحات فالحاجة إلى تنميتها للوفاء بمتطلبات الحياة المعاصرة ينبغي أن تكون على قواعد ثابتة تحظى بالقبول عند أبناء اللغة. وتعد التنمية اللغوية ضرورة دائمة، فالحياة متغيرة، ومن ثم يتطلب التعبير عنها توسيعاً متجدداً لمفرداتها ويتطلب أيضاً تقنين هذا الجديد وتدوينه على النحو [الذي] يحظى بالقبول بين أبناء اللغة. إن عمل مجامع اللغة العربية كبير في كل هذه المجالات، فقد بحثت تيسير الكتابة وطرائق وضع المصطلحات في ضوء معايير واضحة تنطلق من تراث العربية وتنشد تلبية الحاجات المعاصرة. التنمية اللغوية لها جانبان، أحدهما خاص باللغة نفسها من حيث تنميتها الموحدة للتعبير عن الحضارة المعاصرة، والثاني خاص

بإيجاد الخطة اللغوية الهادفة التي تجعل هذه الجهود فعالة في المجتمع، فالمصطلح الموحد الحديث يجعل التواصل اللغوي سهلاً وفعالاً ودقيقاً.

ومن الضروري من أجل تحقيق التنمية اللغوية على المستوى العربي التوصل إلى التوحيد المعياري، وهو مصطلح تكون في مجال الصناعة وانتقل منه إلى علم اللغة التطبيقي، فاللغة - أيضاً - وسيلة وليست غاية.

لا يقتصر التوحيد المعياري اللغوي على المصطلحات، ولكنه يتناول كل قطاعات اللغة. عرّف فيرجسون التوحيد المعياري اللغوي بأنه «عملية جعل نوعية معينة من اللغة تصبح مقبولة إلى حد بعيد في داخل الجماعة اللغوية على أنها معيار فوق اللهجات وأنها الشكل «الأسمى» من اللغة. ويتضمن مفهوم التوحيد اللغوي المعياري - أيضاً - أن الأشكال اللغوية المختلفة للتوحيد المعياري تتحرك نحو حالة مثلى يكون فيها المعيار الواحد مقبولاً على مستوى عريض مع شعور بأنه - مع تعديلات طفيفة - يناسب كل الأغراض التي يطلب عليها بالمقابل. وقد حققت الدول الوطنية الأوربية درجة عالية من التوحيد اللغوي المعياري في داخل المنطقة اللغوية الموحدة، وذلك عندما أصبح المعيار اللغوي معتمداً على لغة الطبقة المثقفة، وعلى استخدام الكتاب والمؤلفين فأصبح موحداً محلياً، وأصبحت اللغة المعيارية الموحدة رمز الانتماء الوطني أو الذاتية الوطنية. ولكن التوحيد المعياري في العربية يقوم على أساس استمرار اللغة الأدبية واصطفاء من المصطلحات على أسس لا تقطع صلتها بالتراث وتلبي الحاجات المعاصرة. تتضمن فكرة التنمية اللغوية - أيضاً - عملية التحديث وتطورها عملية اللحاق بالجماعة العالمية من اللغات التي يزيد النقل بينها والتعرف إليها بوصفها أدوات مناسبة للأشكال الحديثة من الحوار. وهذا التعريف لا يقتصر على اللغات المعاصرة في الدول

النامية في محاولة تنميتها لتصبح معبرة عن حضارة العصر، فهو يصدق أيضاً على لغات بعض الجماعات الأوربية مثل اللغة المجرية عندما حاول أبناؤها في القرن التاسع عشر تنميتها لتصبح في مستوى اللغة الألمانية التي كانوا يتعاملون بها حتى ذلك التاريخ في المجالات العلمية. وينطبق هذا التحديد - أيضا - على اللغات الأخرى عندما يحاول أبناؤها استكمال معجمها لكي لا يكون فيها قصور في مصطلحات توجد في لغات أخرى.

يرتبط تطبيق التوحيد اللغوي المعياري والتحديث بقضية التخطيط اللغوي، لا تقتصر التنمية اللغوية على توحيد المصطلحات الحديثة وصنع المعجمات العامة والمتخصصة، ولكن القضية الأساسية - بعد ذلك - هي الاستخدام المطرد لهذه المصطلحات لدى القطاعات المعنية من المجتمع. القيمة الاجتماعية لهذه المصطلحات تكون عند استخدامها في الكتب المدرسية والجامعية وفي الدوريات المتخصصة وفي الحوار بين المتخصصين. ولهذا كله فإن الدراسة المفصلة لعملية التخطيط اللغوي لا تقل في أهميتها عن التوحيد اللغوي المعياري والتحديث. يهتم بالجوانب المختلفة من التخطيط اللغوي المسؤولون عن التشريعات اللغوية في الدول التي تعنى بوضع ضوابط واضحة تحدد السياسة اللغوية في التعليم وفي الإعلام وفي الإدارة. والتخطيط اللغوي مجال عمل المجامع اللغوية والمؤسسات المسؤولة عن وضع المصطلحات، وهو كذلك الأساس العام الذي يقوم عليه عمل الخبراء اللغويين في المؤسسات الصناعية الكبرى وفي المنظمات الإقليمية والعالمية. وفوق هذا كله فإن من شأن التخطيط اللغوي أن يتابع القرارات المتصلة بذلك، ويحدد المراحل المختلفة التي اتخذها التنفيذ.

تتنوع طبيعة عملية التخطيط اللغوي باختلاف الظروف التي تمر بها

اللغة المعنية في داخل الدولة أو الدول التي يراد استخدام هذه اللغة في داخلها للتعبير عن الحضارة الحديثة والعلوم والتكنولوجيا. هناك فرق بين إعداد نظام جديد للغة لم تستخدم من قبلُ في المجالات العلمية، مثل أكثر اللغات المعاصرة وتنمية نظام قائم للغة لها تاريخ طويل في هذه المجالات مثل اللغة العربية. وكلاهما مختلف عن إيجاد نظام جديد يحل [محل] نظام قديم، مثل ماحدث في تركيا. ولهذا فالفرق واضح بين التخطيط اللغوي في منطقة ليس لها تاريخ علمي بلغتها، والتخطيط اللغوي في منطقة لها تاريخ علمي بلغتها مثل المنطقة العربية، وكلاهما مختلف عن ظروف أخرى تمر بها بعض الجامعات التي لها تاريخ علمي بلغة أخرى غير لغتها الوطنية. وهذه الأنماط المتعددة للتخطيط اللغوي مختلفة من حيث طريقة المعالجة، فليس من الحكمة عند تنمية المصطلحات العلمية العربية تجاهل التراث العربي العلمي أو تجاهل الجهود العربية الحديثة التي بذلت في مجال المصطلحات. ويقع في هذا الخطأ كثيرون ممن يتصورون أن فهمهم للمصطلحات الأجنبية كفيل بقدرتهم على صنع مصطلحات عربية فردية، فيأتون ـ دون إدراك لذلك في أكثر الأحوال ـ بكلمات مخالفة للعرف المستقر عند المتخصصين ومخالفة لما أقرته المجامع اللغوية، وهذا هو أحد الأسباب المؤدية إلى اضطراب كثير من الترجمات وتحولها إلى نصوص غير مفهومة. وفي الوقت نفسه فإن بعض الجهود التي تحاول إحلال مصطلحات جديدة محل مصطلحات متداولة عند المتخصصين تقع في خطأ آخر. ولهذا فإن طبيعة عملية التخطيط اللغوي في المنطقة العربية تدخل أولاً وقبل كل شيء في النمط الثاني، وهو تنمية نظام قائم للغة لها تاريخ علمي طويل. ومن ثم ينبغي الإفادة في مستقبل العربية لإتاحة هذا الرصيد العربي من المصطلحات وألفاظ الحضارة.

تتضمن المراحل الأساسية للتنمية اللغوية عدة مراحل في مقدمتها مرحلة «اتخاذ القرار السياسي»، وهنا ضرورة العمل العربي المشترك. ولا يمكن وضع خطة لغوية في أية دولة عربية دون اتخاذ قرارات واضحة تحددها السياسة اللغوية... وهذه القرارات ينبغي أن تراعي بطبيعة الحال العوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وتُعد عملية اتخاذ القرار السياسي في التخطيط اللغوي من أكثر الموضوعات تعقيداً في داخل الدولة، وكثيراً مايحدث تعارض في القوى والآراء ينتهي بحلول انتقالية مرحلية.

وفي أحوال كثيرة يكون القرار السياسي خاصاً باستخدام اللغة المعنية في قطاع محدد، مثل التعليم أو الإعلام أو الإدارة، تمهيداً لتوسيع دائرة التطبيق إلى المجالات الأخرى. وفي كل هذه الأحوال فالقرار السياسي الواضح والرشيد يكون بداية الخطة اللغوية السليمة.

والمرحلة الثانية في التنمية اللغوية هي مرحلة «وضع الضوابط»، يقوم بها اللغويون في المقام الأول بالتعاون مع متخصصين في فروع علمية أخرى. وقد وصفت هذه المرحلة بأنها عمل دائم متجدد في أكثر جوانبها، فالمصطلحات العلمية كثيرة ومتجددة، والمتغيرات اللغوية الاجتماعية تتطلب دراسات كثيرة لتحديد أنسب الوسائل في ظل الظروف السائدة. وعمل المجامع اللغوية والمؤسسات المماثلة المعنية لايقتصر على النظر في ماتُنتجه من معجمات أو مجموعات مصطلحات، بل ينبغي أيضاً النظر في الأسس المنهجية للعمل في هذه المؤسسات. وهنا يكون تبادل الخبرة المنهجية على المستوى العالمي محققاً لمزيد من الوضوح في المنهج والتطبيق.

والمرحلة الثالثة في التنمية اللغوية هي «مرحلة التطبيق والتقويم». وهي مرحلة تدخل أساساً في مجالات التغيير المخطط للسلوك. والمؤسسات

التعليمية والإعلامية والإدارية هي ـ في المقام الأول ـ مجالات التطبيق، يضاف إليها أن كل جوانب الحياة العامة تحتاج في التعامل اللغوي إلى الوضوح. ولا يمكن تحقيق تغيير في السلوك اللغوي إلا في ضوء حملات إعلامية مكثفة. ولهذا كله تنجم ضرورة متجددة لدراسة مواقف المتلقين،ولسماتهم الثقافية ولمواقفهم من وسائل التطبيق المختلفة ولمدى تقبلهم للمصطلحات المقترحة. وهذا كله مجال للتقويم الدائم ولمعرفة مدى النجاح ولتحديد جدوى الوسائل المختلفة ولتصحيح المناهج. ومستقبل اللغة العربية على المستوى القومي مرتبط بوضوح الرؤية والتنفيذ المتدرج للتنمية اللغوية.

ثانياً: التنمية اللغوية ولغة التعليم:

ارتبطت القضية اللغوية في الأقطار التي خضعت للاستعمار الأوربي بتحقيق الذاتية الثقافية الوطنية في مواجهة الحكم الأجنبي واللغات الأجنبية. كان من الطبيعي أن تكون من أهداف حركات التحرر العودة إلى اللغة الوطنية بوصفها رمزاً لتحديد الانتماء ولتحقيق الذاتية الوطنية. ولكن التنمية اللغوية ليست مجرد رغبة وطنية تتحقق بالاستقلال السياسي، ولكنها عملية مجتمعية متعددة الجوانب هادفةٌ إلى تشكيل العلاقات اللغوية في داخل الدولة على نحو يُحقق الفاعلية والتكامل والمعاصرة. يُعد التعليم المجال الأول للتنمية اللغوية، وفي السنوات الأولى من الاستقلال كان تعريب التعليم وتوسيع قاعدته وتحديثه أهدافاً مجتمعية أساسية. وقد ارتبطت عملية التنمية اللغوية في مجال التعليم بظروف تختلف إلى حد ما في كل دولة من الدول العربية. كان قيامُ التعليم الحديث في دول المشرق العربي عمليةً متكاملةً تجاوزت الحدود الإقليمية للدول. وفي هذا الإطار لم يواجه تعريب التعليم قبل الجامعي في دول المشرق العربي سوى مشكلات لغوية جزئية. ومن ثم

سادت المصطلحات العلمية على نحو جعلها تكاد تكون موحدة. لم تواجه دول المشرق مشكلة في المصطلحات تحول دون استخدام العربية لغة للتعليم. وتم في أثناء الممارسة وفي مؤتمرات التعريب التغلب على القدر الأكبر من الاختلاف في المصطلحات العربية في مراحل التعليم العام. غير أن مكان العربية في التعليم العالي في دول المشرق العربية ارتبط إلى حد كبير بظروف إنشاء الجامعات العربية وبنظمها التي تكونت في سنواتها الأولى. ظلت الجامعات السورية نمطاً فريداً في تدريس كل التخصصات باللغة العربية، وسادت في الجامعات العربية الأخرى ثنائية في لغة التعليم. كان التدريس في كليات الآداب والحقوق والتجارة يتم باللغة العربية. أما التدريس في كليات العلوم والطب والهندسة فكان يتم باللغة الإنجليزية.

وتوجد الازدواجية في لغة التعليم قبل الجامعي في أكثر المدارس في لبنان وفي مدارس اللغات في مصر وفي المدارس الحكومية في دول المغرب: تونس والجزائر والمغرب. وهذه الازدواجية قائمة بين العربيه واللغة الفرنسية في أكثر الحالات، وهي بين العربية والإنجليزية في عدد من مدارس اللغات في مصر ولبنان. ولكن الموقف من لغة التعليم تغير بمضي الوقت، وأصبحت مدارس كثيرة تدرس المواد العلمية بغير اللغة العربية. يزعم مناهضو التعريب أن الاستقلال السياسي يتحقق بوسائل مختلفة، ولكنه لا يكون في اللغة أو الثقافة أو العلم. الفكرة الكامنة وراء ازدواجية لغة التعليم في عدد من الدول العربية أن التعريب ينبغي أن يكون شاملاً، ومن هنا ضرورة التنمية اللغوية على المستوى العربي في الإدارة والتعليم والإعلام، مع تحديد موقع واضح للغة الأجنبية. والتعريب الشامل بهذا المعنى يشمل تعريب التعليم وتعريب الثقافة وتعريب المجتمع، وليس من الصواب أن يعرب

التعليم وحده فيُعْزَل المعَرَّبون عن الإدارة والعلم والثقافة. نهجت دولتا المغرب وتونس نهجاً يقوم على الاحتفاظ باللغة الفرنسية مع التعريب في الوقت نفسه. وفي هذا الصدد يلاحظ بعض دعاة الازدواجية أن محاولة التعريب الكامل للتعليم على النحو الذي طبق في المغرب بعد زوال الحماية عن طريق المدرسين المتخرجين في جامعة القرويين والمدارس الإسلامية لم تنجح لعوامل كثيرة، لا تتصل باللغة ولكنها خاصة بجوانب تعليمية وثقافية وإدارية. وبعد استقلال تونس (١٩٥٦) وتطبيق خطة لتعريب التعليم (١٩٥٨ - ١٩٦٧) تحولت السياسة اللغوية إلى نظام تعليمي يعتمد لغتين في التدريس. وفي كل هذه السنوات ظلت اللغة الفرنسية لغة الإدارة والمعاملات الاقتصادية ولغة الثقافة الحديثة، ولهذا كان التعليم المعرب معزولاً عن باقي المؤسسات الحكومية فأدى هذا التناقض إلى فرص عمل أقل للطلاب الذين تكوَّنوا في الشعب المعربة والمزدوجة اللغة، وأصبح الطريق إلى الرقي الاجتماعي والوظيفي مقصوراً على أصحاب اللغة الفرنسية من أبناء البلاد. أما في التعليم العالي في دول المغرب فقد استمرت اللغة الفرنسية سائدة في أكثر التخصصات العلمية والطبية والهندسية، على الرغم من أن الجامعات الجزائرية تسمح بتعليم العلوم في المستوى الجامعي باللغة العربية. واستمرار الفرنسية على هذا النحو مرتبط - في المقام الأول - بكَون عدد كبير من أساتذة الجامعات في تلك الدول قد تكوَّنوا باللغة الفرنسية واستمرار ارتباط هذه الجامعات بالجامعات الفرنسية عن طريق تبادل الأساتذة. ولهذا فإن القرارات الخاصة بتعريب التعليم العالي لا تجد بالضرورة التنفيذ الكامل. مشكلة قلة المتخصصين المعربين القادرين على التعامل باللغة العربية أدت إلى عدم تنفيذ كثير من القرارات الخاصة بالتعريب، هذا إلى جانب المقاومة الشديدة التي يبديها أصحاب الثقافة

الفرنسية لكي يحافظوا على وضعهم الاجتماعي والوظيفي المتميز. والمستقبل اللغوي لدول المغرب أخذت ملامحه تتضح فقد بدأ اهتمام جديد ومتزايد بالإنجليزية، وهنا يكون من المتوقع ازدياد قوة المنافسة بين الفرنسية والإنجليزية واتخاذهما المكان المناسب بوصفهما لغتين أجنبيتين، والسنوات القادمة كفيلة بموقف لغوي جديد، والأمل كبير أن يرتبط ذلك بأن تقوى العربية لتكون اللغة الوطنية واللغة الرسمية الكاملة، وأن يكون استخدامها في مجالات متزايدة.

الدول العربية ذات الوضع الثقافي الخاص هي الدول التي توجد فيها إلى جانب العربية لغات أخرى وطنية أو محلية. يضم العراق جماعات لغوية غيرعربية، أكثرها في المناطق الشمالية وفي مقدمتهم جماعات الأكراد والتركمان، يعيشون في إطار دولة عربية. أما الجماعات اللغوية الأخرى في العراق مثل الآراميين (الكِلْدَان والأثوريين) فإن اللغة العربية تصلهم بالتعليم وبالإدارة وبالحياة العامة في العراق، وهم بذلك حريصون على تعلمها. تضم اليمن في المنطقة المتاخمة لعُمَان جماعات المَهْرَة، وهؤلاء يتعاملون مع الآخرين باللغة العربية، ويقبلون على تعلمها بالقدر الذي تسمح به ظروفهم. تضم جمهورية السودان نحو مئة من اللغات المحلية، أكثرها في الجنوب وقد حاولت السلطة البريطانية عزلهم عن التعامل مع شمال السودان، ومع هذا ظل التعامل المباشر بين أبناء القبائل الجنوبية يتم في حالات كثيرة بالعربية الهَجِين. ولكن الوضع اللغوي في أقاليم جنوب السودان بعد الاستقلال لم يتح للعربية مكانها اللائق في المؤسسات التعليمية بسهولة، كانت هناك حركات مناهضة، واستمرت الإنجليزية في الإدارة والتعليم. وفي بعض التخصصات في الجامعة الناشئة في مدينة جُوبَا. أما

دول المغرب وخصوصاً الجزائر والمغرب وموريتانيا فتضم جماعات لغوية أمازيغيّة (بربرية) يتجاوز عددها نحو ربع أبناء البلاد. والمشكلة اللغوية في هذه المناطق تتمثل في ذلك التعدد، هؤلاء يتعاملون في داخل الجماعة بلغتهم المحلية، ووسيلتهم في التعامل مع مواطنيهم العرب هي العامية المغربية، والتعليم السائد يتم باللغة الفرنسية، وهم مطالبون بعد هذا بالعربية الفصحى. وفوق هذا كله فإن دولة الصُّومال ودولة جِيبُوتي تنتميان إلى جامعة الدول العربية، وعلى الرغم من وجود اللغة الصومالية في الصومال ولغتين محليتين في جيبوتي فإن الرغبة في التعريب تتطلب مراعاة لهذا الوضع الثقافي الخاص. ويتطلب تشكيل ملامح المستقبل اللغوي للمناطق ذات الوضع الثقافي الخاص دعم تعليم العربية بكل وسائل الترغيب والحفز المعنوي، وذلك من أجل تكامل هذه المناطق في نسق دولها وفي الإطار العربي.

فوق هذا كله، فإن الموقف النفسي من اللغة العربية في بعض الأقطار يتطلب عملاً مخططاً. اللغة العربية في تصور بعض الفئات أصعب لغات الأرض، وفي رأي فئات أخرى لغة الأدب القديم فقط، وفي ظن جماعات أخرى لغة الماضي وحسب ولا صلة لها بالحاضر، وفي رأي جماعات محددة لغة الحكم العربي لإفريقية، وفي رأي فئات أخرى لغة مدرسي اللغة العربية وليست لغة الحياة. وهذه المواقف– وإن كانت تجد تبريراً ناقصاً– فإنها تمثل موقفاً نفسياً عند فئات غير قليلة، وتمثل حقائق جزئية مبتورة وغير كاملة الملامح، ولا تفيد في إطار التنمية اللغوية وفي تشكيل المستقبل اللغوي. يتطلب الموقفُ الجديد تأكيدَ قومية اللغة العربية بالنسبة لأبنائها وعالميتَها بالنسبة لأبناء أقطار كثيرة في إفريقية وآسيا. يتطلب الموقف الجديد تنمية اللغة العربية

بشكل قوي لتلبية المتطلبات المتغيرة للحضارة المعاصرة. يتطلب الموقف الجديد دعم ثقة المواطن العربي في لغته وإزالة شوائب التحفظ تجاه العربية لدى بعض مواطني دول الجوار في الدول غير العربية. وترسيخ الوعي بأن العربية ليست مجرد مادة دراسية لدراسة الأدب القديم، بل هي ـ أيضاً ـ وسيلة العلم الحديث والثقافة المعاصرة في كل أفرعها واتجاهاتها. الموقف من اللغات الأجنبية يتطلب وضوحاً أكثر. ليس من اللائق أن تعد لغة أجنبية مثل الإنجليزية أو الفرنسية بمنزلة اللغة الثانية المنافسة للعربية في داخل الدولة. ولكن تعليم لغة أجنبية واحدة أو أكثر أصبح ضرورة متزايدة، وعدم مراعاة ذلك يحول دون فرص كثيرة في الرقيّ العلمي والاجتماعي. وعلى المواطن العربي في المستقبل أن يتقن العربية لأغراض الحياة كلها، ويثري حياته من خلال الروافد المعرفية الأجنبية.

ثالثاً: التنمية اللغوية وتعليم اللغة الوطنية:

اللغة نظام متكامل، وتعليم اللغة يهدف في المقام الأول إلى تنمية المهارات اللغوية المختلفة بشكل متوازن، وعلى النحو الذي يتيح الدقة في الفهم وفي التعبير، ويحقق الصحة اللغوية المنشودة. ولهذا كله، فإن هدف تعليم اللغة العربية بوصفها لغة وطنية يتجاوز الاهتمام بجانب معرفي أدبي أو ثقافي على حساب الجوانب المهارية اللازمة للتعبير في كل مجالات الحياة. وتتفق هذه الفكرة في الوقت نفسه مع نظم جديدة في الامتحانات تعنى بجوانب شتى من اللغة بوصفها هدفاً تعليمياً أساسياً، فيها: التلخيص والتعبير والضبط والفهم. والتخطيط الدقيق والتنفيذ الجاد للمنهج والكتاب وطرق التدريس والتقويم منطلقات أساسية لتطوير تعليم اللغة العربية، اللغة العربية هي السمة الأولى للانتماء في الدول العربية، لكل أبنائها من المسلمين

والمسيحيين، والعناية بها أساس لتكوين الشعور بالمواطنة عند كل أبناء البلاد. تختلف اللغة الوطنية عن اللغات الأجنبية من حيث وزنها بالنسبة لباقي المواد، وفي بعض دول العالم نجد اللغة الوطنية وآدابها مادتين كاملتين إحداهما للغة والثانية للأدب، ولهما وزن كبير من حيث الدرجات المخصصة لهما، ويؤدي هذا الأمر إلى اهتمام التلميذ بهما لأنه حريص على الحصول على مجموع كبير. وفي هذا الصدد فإن تأليف الكتب عمل جاد، وليس من الأعمال الجانبية العابرة، ولذا فقد آن الأوان أن تعد هذه الكتب على مستوى رفيع، كانت الكتب المدرسية لمادة اللغة العربية في مصر على مستوى العصر عندما كانت مشاركة الأعلام فيها واضحة. وفي إطار التقدم الذي تحقق في علم اللغة التطبيقي وطرق تدريس اللغات الحية والوسائل التعليمية والتقويم أصبح تكامل العمل ضرورياً من أجل كتب مناسبة. إن المادة اللغوية المقدمة في كتب مادة اللغة العربية تحتاج إلى درجة عالية من التدقيق في الاختيار، وذلك في ضوء الأهداف المنشودة من هذه المادة. وإذا كان الهدف الأول أن يتمكن التلميذ من الاستخدام المعاصر للعربية فهماً وقراءةً وتحدثاً وكتابةً فلا يجوز أن تكون المادة بعيدة عن فصحى العصر وعن المتطلبات اللغوية للمثقف العربي من القرآن الكريم والحديث الشريف، ولا يجوز الاقتصار على القراءة والفهم لنصوص الأدب، والابتعاد عن تحقيق الأهداف المباشرة من تعلم اللغة للتعبير عن الحياة المعاصرة.

المؤسسات المعنية ببحث العربية وتنميتها وفي مقدمتها المجامع اللغوية سيكون لها دور أكبر في مستقبل العربية. لقد بذلت مجامع اللغة العربية منذ أكثر من نصف قرن جهوداً هادفة إلى تلبية الحاجات المعاصرة. ومنها وضع الأسس العامة لتيسير النحو. والأسس العامة لقواعد الإملاء، وقرارات

أصول اللغة والألفاظ والأساليب. وهناك بحوث أساسية في الجامعات العربية تناولت بنية اللغة وتهتم ببحث الأبنية الصرفية وأنماط الجملة العربية وقضايا الدلالة. ومن الأهمية بمكان أن تكون هذه الأعمال في مؤسسات متخصصة في البحث اللغوي لمتابعة الجديد وحل مشكلات التطبيق، تتناول تحديد أنماط الجملة العربية الشائعة في مستويات النصوص العربية، وتحديد البنية الصرفية الشائعة في النصوص العربية، وتعرف القضايا اللغوية المعاصرة، وتحليل الأخطاء اللغوية عند التلاميذ، وتطوير الوسائل المؤدية إلى مزيد من إتقان العربية في مستويات التعليم والحياة والعلم والإدارة والترجمة. وأن يعطى هذا العمل أولوية عند وضع الخطط البحثية، على أن توضع التجارب العالمية في تعليم اللغات في الاعتبار.

وسائل تعليم اللغة العربية ستتخذ ملامح جديدة، الكتاب المدرسي جزء من الوسائل في تعليم اللغة العربية. ومن الضروري تنمية الوسائل الأخرى لصقل المهارات اللغوية ومنها: الصحافة المدرسية، الإذاعة المدرسية، الخطابة والإلقاء، الأفلام التعليمية، مسابقات القراءة، الجمعيات المدرسية. أما المعينات الحديثة ومنها برامج الحاسوب فلها مستقبل كبير في النهوض بالعملية التعليمية. وإذا كانت معينات العلوم واللغات الأجنبية تنتج في عدة مواقع بالخارج، فإن المعينات الحديثة في تعليم مادة اللغة العربية لا تنتج في تلك المؤسسات، ومن الضروري عمل برامج متكاملة تغطي موضوعات كاملة. وفي هذا الصدد فإن هناك مجالات للتعاون لإنتاج منظومة متكاملة من البرامج على أساس قطاعات مختارة، وبأسلوب لا يقل عن مستوى الإنتاج التلفزيوني لأفلام التسلية والترفيه.

وفي هذا كله فإن القراءة ليست مجرد مادة معرفية تقدم للتلاميذ، بل

لها أهداف لغوية وثقافية متكاملة، وإذا كان المنهج من خلال الاختيارات متحيزاً لجانب معين تتكون عند التلاميذ علاقة ارتباط بين اللغة والمحتوى الثقافي المقدم. إن العربية ليست لغة الجاهلية وصدر الإسلام وحسب، بل هي لغة الحضارة الإسلامية واللغة التي ألف بها ـ أيضاً ـ أبناء مصر والشام والعراق في إطار الحضارة العربية الإسلامية. والعربية ـ بعد هذا كله ـ اللغة التي تربط الدول العربية الحديثة وتحقق وحدة الثقافة وهي سمة الانتماء، وهي اللغة التي نريد أن نعبر بها عن الحضارة المعاصرة وعالم القرن الحادي والعشرين. إن تنمية القدرة على القراءة السريعة وتبين الأفكار والتلخيص الجيد من أهم مايهدف إليه تعليم اللغة القومية، ويتحقق هذا من خلال العناية بالقراءة لتنمية الثروة اللغوية عند الدارسين مع التركيز على الألفاظ المستخدمة في لغة العصر، لتنمية القدرة على القراءة السريعة والتلخيص والتحليل والتركيب والتقويم. وفي هذا الصدد فإن النصوص والقطع المختارة في كتب القراءة والأدب ينبغي أن تعطي صورة مشرقة للتراث العربي، وليس ثمة مادة أخرى تصل التلميذ بتراثه التاريخي أو العلمي أو الفكري.

في إطار التقدم في التقنيات الحديثة أصبح تقديم اللغة منطوقة أمراً متاحاً، وهذا التقدم من شأنه أن يتجاوز قصور الأداء اللغوي عند بعض المدرسين الذين لا يهتمون بالاستخدام الدائم للغة العربية الصحيحة في أثناء العملية التعليمية. هناك مدرسون لا يستطيعون الاستخدام الكامل للغة العربية في الفصول، أكثرهم يستخدمون خليطاً من المادة المقررة مع العامية ويستشعرون درجة من الغرابة في أن يكون الدرس بلغة فصيحة منطوقة معاصرة ومعبرة. ولذا فقد يكون المناسب أن تعد تسجيلات صوتية دقيقة بكل المادة التعليمية المقررة، لتكون عوناً للمدرس والتلميذ ولكي يألف

التلميذ الاستخدام الكامل للعربية في عرض المادة التعليمية. إن مواد الجغرافيا والتاريخ والتربية الدينية تدرس باللغة العربية، ولكن الجانب اللغوي في أداء المدرس ليس موضع اهتمام. وهناك تصور سائد بعدم مسؤولية للمدرس عن الأداء اللغوي السليم بالعربية، فيكون التدريس خليطاً بين مادة تعليمية مطبوعة بالعربية وشرح بعبارات عامية. وقد قامت دول كثيرة - نجحت في النهوض بلغتها القومية - بتنمية مستوى الاستخدام اللغوي في داخل الفصول، وهذا أمر ضروري في هذه المواد حتى تصبح العربية أداة حقيقية يدرك التلميذ كونها وسيلة التعبير عن العلم والحياة المعاصرة.

إن الجوانب اللغوية ليست مقصورة على قواعد الإعراب والتصريف، وينبغي أن يتقن التلميذ الجوانب اللغوية الأساسية: النطق، بنية الكلمة، النهايات الإعرابية، تركيب الجملة، قواعد الإملاء والترقيم، الدلالات الدقيقة المعاصرة للألفاظ والتراكيب. إن تدريسَ قواعد اللغة العربية وسيلةٌ وليس غاية، والغرضُ منها الفهم السليم والتعبير الصحيح في الكتابة والحديث، ومن ثم فيرتبط مدى النجاح بما يصل إليه الدارس من مستوى في الاستخدام الصحيح. وإن تحويل تعلم اللغة، وهو أمر متعدد الجوانب، إلى قواعد نحوية بأمثلة مصنوعة مبسطة بعيدة عن المستويات المعاصرة للعربية. وتقديم هذه القواعد بطريق لاتتيح للتلميذ إلا قدراً من التوظيف الفعال لها يجعلها ويحولها إلى مجرد فرع معرفي ومادة تعليمية تقتصر قيمتها على درجتها القليلة في الامتحان، ودون أن تتجاوز أهميتها باقي فروع المادة أو المواد الأخرى أو التكوين اللغوي للإنسان المعاصر .

يتصل بموضوع اللغة القومية والتعليم مايسمى حالياً باسم محو الأمية. ومن الخطورة بمكان أن تدخل الأمة العربية القرن الحادي والعشرين

بملايين من الأميين يكاد يقترب عددهم في بعض الدول العربية من نصف عدد المتعلمين. هنا مكمن الخطورة. التنمية اللغوية ينبغي أن تكون مستوعبة لأبناء الأمة كلها، ولا يمكن أن تظل مشكلة الأمية مبرراً لتدني مستوى لغة الإعلام أو لغة الإدارة أو لمستوى الحياة. القضية لا تتصل بالقدرة الأساسية على القراءة والكتابة، ولكنها قضية استخدام اللغة وسيلة للمعرفة المتجددة والنامية. ومن هنا فإن استيعاب الدولة لجوانب الحياة يتطلب التعامل المكتوب باللغة. والمطبوعات الثقافية والمعرفية والمهنية البسيطة باللغة العربية ستصبح مطلباً مهماً في المستقبل، ويقوم بطبيعة الحال على أساس كون كل الأفراد يمارسون القراءة والكتابة.

رابعاً: التنمية الدائمة للمصطلحات الحديثة:

تتطلب التنمية المتجددة للمصطلحات متابعة منظمة لكل جديد، ووضع المقابل العربي المناسب وإتاحة ذلك للمستفيدين في كل أقطار العربية بسرعة وكفاءة ودقة، ويعد قيام بنوك المصطلحات أهم التحولات المعاصرة في مجال ضبط المصطلح العلمي وتخزينه واسترجاعه.بنك المصطلحات وسيلة فعالة لخزن المصطلحات مصحوبة بالمعلومات الأساسية عن كل مصطلح مفرد. ويمكن استرجاع هذا المصطلح وحده أو مع غيره وفقاً للبرنامج المتبع في كل بنك من بنوك المصطلحات. بنوك المصطلحات ـ أيضاً ـ باسم بنوك المعطيات المصطلحية، وذلك لايقتصر على المصطلحات ولكنه يدخل– إلى جانب كل مصطلح ـ معلومات أساسية عن مقابله أو مقابلاته ومجاله أو مجالات استخدامه، ودرجة التقنية ونوعية النصوص التي ورد فيها. وهذه المعطيات تختلف في تفاصيلها من بنك مصطلحات إلى آخر، ولكنها ضرورية لتقديم المصطلح مع مايسر للمتلقي النظر فيه والإفادة منه.

قامت أكثر هذه البنوك لأهداف نوعية محددة، ارتبط تأسيسها بتلبية حاجة المترجمين المتخصصين إلى المصطلحات الكثيرة المتجددة. ثمة فرق بين بنوك المصطلحات ذات الأهداف المباشرة الهادفة إلى معاونة المترجمين من جانب، وبنوك المصطلحات ذات الأهداف العلمية من الجانب الآخر، وكلاهما له أهميته. ومن الممكن الإفادة من الخبرة المكتسبة منهما عند التخطيط لإنشاء بنك عربي للمصطلحات. يتضح هذا الفرق في طبيعة العمل وشكل مايصدر عن بنوك المصطلحات من مادة مطبوعة. إن المطبوعات التي تصدر عن بنوك المصطلحات التي ارتبط إنشاؤها بمعاونة المترجمين تقدم معلومات عن المعطيات المصطلحية لكل مفهوم أو منظومة من المفاهيم. تجمع هذه المعطيات، ويدقق فيها، وتنسب بوصفها وحدات مستقلة إلى أقسام فرعية من المجالات المتخصصة في إطار تصنيف توثيقي. وقد أثبتت هذه المناهج ـ في الواقع ـ مناسبتها لأهداف الترجمة، كأن يطلب المترجم مقابلات لكلمات يحددها في النص الذي يترجمه، فيقدم بنك المصطلحات له قائمة المفردات باللغة المصدر واللغة المنشودة، وفي هذا دون شك عون كبير للمترجمين ولا سيما في نقلهم نصوصاً تخصصية. ولكن هذه الطريقة لا تلبي متطلبات البحث العلمي في مجال المصطلحات، حيث ينبغي تحديد العلاقات بين المفاهيم حتى يمكن تحديد العلاقات بين المصطلحات، وذلك في ضوء نظرية المجالات الدلالية والنظرية العامة لعلم المصطلحات. وهنا تكون قائمة المفردات مع المقابلات غير وافية ببيان هذه العلاقات المحددة للمفهوم ولدلالة المصطلح، ولابد من التعريف والإشارة إلى علاقات المصطلح بغيره في المجال الدلالي نفسه.

تؤدي بنوك المصطلحات دوراً مهماً في الترجمة التخصصية،

فالمصطلحات العلمية والتقنية تزيد مع التقدم زيادة مطردة. تقدم بنوك المصطلحات للمترجم المصطلحات المقننة التي ينشدها، ولهذا فهي تعتمد على مصادر موثوق بها، شأنها في ذلك شأن الأعمال المعجمية المعيارية، فهي لا تضم إلا الكلمات الصحيحة من حيث البنية، وتشرحها شرحاً يوثق به. فيعد كل منها حجة في اللغة. تعتمد بنوك المصطلحات على مصادر يوثق بها، ومنها الكتب العلمية لكبار المتخصصين، والمصطلحات المعتمدة في المجامع اللغوية والأكاديميات العلمية والتنظيمات المهنية والمنظمات الدولية. ويؤدي القصور في هذه المصادر إلى اعتماد هذه البنوك على مايعده المتخصصون بالتعاون مع اللغويين المصطلحيين.

وبمضي الوقت وزيادة الرغبة في الدقة والفاعلية نجمت الحاجة إلى بنوك معطيات مصطلحية لأغراض البحث العلمي. وهذه البنوك ترتب المصطلحات على أساس تصنيفها في مجموعات تنتظم في إطار تصنيف مقنن، المصطلح الواحد لا يوجد مفرداً، ولكنه جزء من نظام المفاهيم في المجال التخصصي، ويضم المدخل الواحد كل عناصر المعلومات المهمة عن المصطلح، ومنها علاقته بالمصطلحات الأخرى، وانطلاقاً من هذا، فإن المفاهيم والمصطلحات لا تخزن بوصفها عناصر مفردة على نحو يفصل كل مصطلح عن الآخر فصلاً كاملاً، ولكنها تخزن مترابطة في مجموعات، كما هي الحال في عمليات التفكير العادية. ويتطلب إنشاء بنوك المصطلحات من هذا النمط المتقدم إيجاد نظام واضح ومفصل وصالح للتطبيق.

سواء أكان بنك المصطلحات هادفاً في المقام الأول إلى الترجمة، أم إلى البحث العلمي فإن إعداد المعطيات الموثوق بها وتسجيلها مرحلة أساسية تتطلب نفقات باهظة تتضاءل إلى جانبها نفقات الحصول على الحاسوب.

اللغات العالمية الكبرى محدودة، فلو أعدت المعطيات المصطلحية في مجال صناعة محركات السيارات باللغة الإنجليزية وفقاً لنظام متقن وتصنيف واضح للمفاهيم وعلاقاتها وللمصطلحات وعلاقاتها فإن هذا العمل الأساسي يمكن الإفادة منه في البحث عن المقابلات باللغة الهدف. وإذا كان العمل الأساسي في تحديد المفاهيم وعلاقاتها وتعريفها قد تم في بنك المصطلحات في دولة ما، فليس ثمة مبرر للقيام بالعمل نفسه في موقع آخر. ومن الممكن أن يبنى على العمل الأساسي الواحد سلسلة من الأعمال لإيجاد المقابل في لغة أخرى دون أن يكبد كل بنك مصطلحات نفسه كل مراحل العمل.

إن التعاون الدولي في بنوك المصطلحات يتخذ في المقام الأول شكلين محددين، هما تبادل المعطيات وتبادل الخبرة. يتطلب تبادل المعطيات توحيد نظام المكونات، ولهذا يقوم مركز المعلومات الدولي للمصطلحات في فيينا بتنظيم اجتماعات على مستوى الخبراء لوضع أسس تدوين المعطيات المصطلحية وبحثها واسترجاعها. وتبادل الخبرة يتضمن ـ في المقام الأول ـ تنظيم اجتماعات لمديري بنوك المصطلحات، تعقد بصورة دورية منظمة. وفي هذه الاجتماعات تناقش ـ أيضاً ـ برامج العمل وتعمق طرق التعاون. وفي المنطقة اللغوية العربية ينبغي أن يكون العمل في ضوء الخبرة العالمية. فليس ثمة جدوى من تكرار أعمال أساسية منجزة في بنوك المصطلحات الأخرى.

وبعد فإن إنشاء بنك عربي للمصطلحات ضرورة معاصرة، ليس من أجل توحيد المصطلحات المتعددة حالياً فحسب، بل من أجل حماية اللغة العربية والأمة العربية من أدران اللغات العلمية المحلية في الأقطار العربية. إن

المفهوم العلمي الواحد ينبغي أن يعبر عنه بمصطلح واحد، ولكنه يترجم في عدة مواقع ترجمات مختلفة، فإذا استقر مصطلح ما في دولة عربية واستقر مصطلح آخر في دولة عربية أخرى، وأخذ كل فريق في الدفاع عن صحة مصطلحه، فإننا أمام بداية تعدد اللغات العلمية العربية، وقد نبه لغويون وعلميون إلى خطورة هذا الأمر. وإذا كان مكتب تنسيق التعريب قد قام من أجل توحيد المصطلحات المتعددة القائمة فإن معالجة المصطلح الواحد قبل أن يصبح مشكلة موضوع جدير بأن يكون موضع الاهتمام، وذلك عن طريق بنك مركزي للمصطلحات العربية، تلتقي فيه وتنهل منه كل الجامعات والوزارات والمؤسسات العامة ووسائل الاتصال الجماهيري ويعتمد عليه المترجمون والباحثون والمؤلفون وغيرهم.

خامساً: استخدام الحروف العربية في التعليم ونظم المعلومات الحديثة:

انتهى عهد المطالبة بأن نستبدل بالحروف العربية حروفاً لاتينية، ومر تطوير الكتابة العربية وتيسيرها لأغراض الطباعة بمراحل ناجحة، ودخلنا عصر الحاسب الآلي ونظم المعلومات. وتطور شكل الحرف العربي في هذه الآلات تطوراً بعيد المدى تجاوز الأشكال الشائهة التي كانت في بداية عهد الحاسوب، وأصبحت الأشكال الجديدة للحروف في الحاسوب أقرب إلى الذوق العربي وتحقق درجة عالية من جماليات الكتابة العربية. ومستقبل البحث في الحروف العربية وتطويرها للاستخدام في الحاسوب سيحقق مزيداً من الوضوح القرائي والتمييز الطباعي والجمال الشكلي وإمكان الضبط بالحركات.

أما في مجال تيسير الحروف العربية لأغراض التعليم، فكان منطلق تجربة الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار أن مشكلة رسم الحروف

والكلمات مشكلة تعليمية، ولها بالضرورة أبعادها الاجتماعية والاقتصادية، فإذا كانت صور الحروف العربية محدودة العدد فإن عدد الوحدات الكتابية التي يراد تعلمها يكون أقل، وبالتالي فهو أبسط، الأمر الذي يجعل تعلم القراءة والكتابة لا يستغرق وقتاً طويلاً. وإذا ما تعددت الصور التي يتخذها كل حرف فإن الأمر يتعقد والتكلفة تزيد، فالفرق بعيد بين تعليم صورة واحدة لكل حرف وتعلم مجموعة كبيرة من صور يجاوز عددها المئة أو المئتين أو الأربع مئة. ولذا فقد كانت التجربة هادفة إلى تعرف مدى تقبل الكبار للحروف الميسرة في محو الأمية ومدى الجدوى الزمنية والاقتصادية والتعليمية من استخدام الحروف الميسرة. وقد اتضح من التجربة ومن إعادتها إمكان محو الأمية عن طريق الكتب المطبوعة بالحروف الموحدة الميسرة في نحو خمسة أشهر دراسية، ينتقل بعدها الدارس دون صعوبة إلى قراءة الكتب المطبوعة بالحروف العادية.

يتعرض الحرف العربي في المناطق ذات الوضع الثقافي الخاص في الدول العربية وفي العالم الإسلامي منذ أواخر القرن التاسع عشر لاتهام أنه يضم رموزاً محدودة لا تفي بالتعبير عن الوحدات الصوتية في اللغات المحلية والوطنية. قيل هذا بالنسبة لتدوين الحركات وقيل هذا بالنسبة لبعض الصوامت ، وأدى هذا الوضع إلى الدعوة في مناطق من الدول العربية لتدوين لغاتها المحلية والوطنية بالحرف اللاتيني. وأسهمت القوى الغربية في الدعوة إلى الحرف اللاتيني ودعمته بالوسائل التكنولوجية. ومع هذا كله فقد أدى الصراع من أجل الحرف العربي إلى نجاح كامل في السودان. وتضم دولة السودان نحو مئة لغة محلية، أكثرها في الإقليم الجنوبي. وعلى الرغم من مقاومة السلطة البريطانية والمبشرين للحرف العربي في جنوب

السودان فقد نجحت المحاولات المخلصة التي بذلت في سبيل تدوين لغات جنوب السودان بالحرف العربي وأصبحت كتب التعليم الابتدائي المؤلفة لتعليم القراءة والكتابة لأبناء هذه اللغات المحلية تكتب منذ سنة ١٩٦٠ بالخط العربي. ويتضح مدى النجاح الذي تحقق بالنسبة للغات السودان إذا قورن بما حدث في الصومال عندما أعلنت الدول سنة ١٩٧٢ كتابة اللغة الصومالية بالحروف اللاتينية.

ولا تقتصر المشكلة على السودان والصومال، فهناك لغات محلية في جيبوتي وعدة لغات بربرية في دول المغرب واللغة المهرية في اليمن الجنوبية، وتدوين هذه اللغات بالحرف العربي ـ كما حدث على مدى القرون بالنسبة للغة الكردية وكما يحدث اليوم بالنسبة للغات جنوب السودان ـ يحقق تكامل هذه الجماعات اللغوية في إطار دولها وفي إطار المجموعة العربية. ولا تقتصر أهمية تيسير الكتابة العربية على الدول العربية ، فالخط العربي وسيلة التدوين ـ أيضاً ـ للغات كثيرة في العالم الإسلامي، منها ـ مثلاً ـ كل اللغات المستخدمة في باكستان، والحفاظ على الخط العربي وتيسيره وتنميته من القضايا الأساسية في هذه الدول الإسلامية. وتهدف محاولات تيسير الكتابة العربية إلى الإفادة الرشيدة من إمكانات هذه الكتابة وجعلها وافية بالمتطلبات اللغوية في تدوين هذه اللغات على نحو من السرعة والدقة والفاعلية.

سادساً: وسائل الاتصال ودورها في التنمية اللغوية:

وسائل الاتصال الجماهيري لها دور كبير في إطار التنمية اللغوية، ومن الممكن أن تصبح الرسائل الإعلامية كفيلة بالنهوض بالمستوى اللغوي العام في الدول العربية على نحو يحقق الوحدة اللغوية في إطار من المعاصرة

والدقة. وهذا الدور المنشود هو واقع قائم بالفعل في مجتمعات متقدمة أصبح فيها وسائل الاتصال تقوم مع المؤسسات التعليمية بالدور الأكبر في تشكيل ملامح الحياة اللغوية. ترجع أهمية وسائل الاتصال في الحياة اللغوية إلى عدة عوامل. منها طبيعة اللغة ووظيفتها، فاللغة في المقام الأول ظاهرة منطوقة مسموعة، والإذاعة تقدم اللغة منطوقة مسموعة، واللغة أهم نظم الاتصال. ويتيح استخدام الصورة في وسائل الإعلام المرئية أن تقدم الرسائل الإعلامية بعناصرها اللغوية وغير اللغوية. إن تعبيرات الوجه والحركة والإيماءات ونغمة الصوت والوضع الذي يتخذه المتكلم والأشياء المادية المشاهدة في الموقف عناصر غير لغوية، ولها دور كبير في إيضاح العناصر اللغوية. واللغة ضرب من ضروب السلوك، وليست مجرد معرفة. ووسائل الاتصال تؤثر في تكوين هذا السلوك اللغوي تأثيراً بعيداً. ومن شأن تكرار هذا السلوك اللغوي على النحو المكثف الذي تقدمه وسائل الاتصال أن يحدث له ترسيخ عند الجماهير يفوق المؤثرات الأخرى في الحياة اللغوية. واللغة تؤدي وظائفها للمجتمع في مواقف، وتقدمها وسائل الإعلام في مواقف أيضاً.

أدركت المؤتمرات التي عقدت على المستوى العربي في السنوات الماضية لبحث قضية تعليم اللغة العربية أهمية الدور اللغوي لوسائل الإعلام. وبالرغم من الدور الذي تضطلع به في خدمة اللغة العربية فإن بعض ماتقدمه يتعارض مع ماتبنيه المدرسة وذلك بما تشيع من العامية في الصحيفة والمجلة والإذاعة المسموعة والمرئية وأن الجو العام في بعض البلاد العربية يتسامح في الحفاظ على اللغة العربية. ومن هنا ضرورة إيجاد سياسة إعلامية تخدم اللغة السليمة في كل ماينشر سواء أكان ذلك باللفظة المسموعة أم المقروءة،

وتحري الصحة اللغوية في كل ما تقدمه من مادة.

هذه التوصيات تتكرر أيضاً في مؤتمرات التعريب ومؤتمرات المجامع اللغوية العربية. وكلها تؤكد رؤية اللغويين والتربويين والمجمعيين للدور اللغوي لوسائل الاتصال الجماهيري. وهذه التوصيات ليست من قبيل نقل المسؤولية، وإنما تصدر عن وعي كامل بأن الجماهير من المستمعين والمشاهدين أصبحت خاضعة لهذا الغزو التكنولوجي القوي والذي يؤثر في إعطاء الحياة اللغوية طابعاً جديداً. فإذا أضفنا إلى ذلك أن التلفزيون بصفة خاصة يقدم في كثير من برامجه أنماطاً من السلوك الاجتماعي ومنه السلوك اللغوي أدركنا حجم أثر وسائل الاتصال في الحياة اللغوية. لقد أدى تعدد وسائل الاتصال إلى نوع من المنافسة دون شك، مع هذا يتكامل تأثيرها في حالات كثيرة. لقد أصبح تحويل الرواية إلى فيلم أمر اً مألوفاً. والإفادة من التراث في عمل مسلسلات للأطفال يقرب الأطفال من التراث المطبوع، والتعليقات المنشورة في صحيفة مطبوعة عن برامج التلفزيون تنبه القارئ إلى هذه البرامج. ولهذا فإن وسائل الاتصال حقيقة معاصرة،وسعة انتشارها وتكامل تأثيرها يجعلان لها دوراً كبيراً في الحياة اللغوية المعاصرة. وهناك عامل ثالث يجعل لوسائل الاتصال الجماهيري أثراً بعيداً في الحياة اللغوية. وهذا العامل هو تعدد الوظائف اللغوية في وسائل الاتصال. إن اللغة تستخدم في وسائل الاتصال تارة للإخبار المباشر أو الإبلاغ وتارة للتسلية والترفيه. وتستخدم أيضاً لنقل التراث الاجتماعي والثقافي عبر الأجيال ولتقديم صور وقضايا واقعية، كما تستخدم اللغة أيضاً في التوعية الهادفة وفي الإعلان. وهذه وظائف متعددة تحمل بالضرورة صيغاً لغوية مختلفة وعدم تمييز المستويات اللغوية لقطاعات البرامج لا يؤدي إلى الإفادة الرشيدة من

إمكانات اللغة. إن معرفة الجمهور المستهدف والقدرة اللغوية الحقيقية عنده، كلاهما شرط أساسي للوصول إلى الفاعلية في الإعلام. ولهذا فمن الطبيعي أن يختلف الاستخدام اللغوي في برامج الأطفال عن الاستخدام اللغوي في برامج اللقاءات أو الحوار، وكلاهما مختلف عن البرامج الرياضية وبرامج المرأة. ومع هذا فلا يجوز أن نبالغ في تقدير هذا التنوع، فهو تنوع يتضح في الاختيار المعجمي والتراكيب المناسبة، ولكنه لا يجوز أن يكون بنظم لغوية متناقضة. فوسائل الإعلام في هذا كله ليست مهمتها أن تقوم من الناحية اللغوية بمهمة تسجيل اللهجات المختلفة، ولكنها في المقام الأول تقدم النمط اللغوي المنشود في تنوعاته المختلفة، وعليها من هذا الجانب واجب كبير.

إن ترسيخ هذا الاتجاه والتوعية به وصقله تعد ضرورات معاصرة من أجل تشكيل الحياة اللغوية بالطابع المنشود. لن يبقى الإنتاج البرامجي زمناً طويلاً مرتبطاً باللهجات. فقد تعددت مواقع الإنتاج، والمستقبل القريب كفيل بجعل مراكز إنتاج البرامج تتعدد في العواصم العربية كلها. ومن المتوقع أن يزداد عدد العاملين في إنتاج البرامج في الأقطار المختلفة. وهنا تكون الإفادة من اللغة الفصيحة الموحدة شرطاً ضرورياً للانتشار الواسع على المستوى العربي، خاصة ونحن على أبواب مرحلة جديدة لتبادل البرامج بين كل الأقطار العربية. إن وسائل الاتصال تعطي إمكانات هائلة للتنمية اللغوية، وهذا الموقف يطرح على اللغويين والإعلاميين مهام جديدة.

إن عصر وسائل الاتصال حول اتجاه التغير من الانقسام الدائم إلى التقنين المطرد. الطباعة أقدم وسائل الاتصال في العصر الحديث، لقد سادت في المطبوعات المبكرة في أوربا لهجات كثيرة ومتعددة، ولكن الموقف تحول شيئاً فشيئاً، وزادت كمية المطبوعات المدونة باللغة المشتركة في داخل المنطقة

اللغوية الواحدة. وقلت طباعة الكتب باللجات المحلية شيئاً فشيئاً. وكان التعليم عاملاً مهماً في نشر اللغة المشتركة. وفي المنطقة العربية حدث في الأعوام المئة الماضية تحول من طباعة النصوص المسرحية باللهجة المحلية إلى طباعتها باللغة الفصيحة، وعندما ترجم محمد عثمان جلال مسرحيات موليير في القرن الماضي ترجمها إلى اللهجة المصرية. ولم يكن أحد يتصور آنذاك إمكان وجود أداء مسرحي بالعربية الفصحى، ولكن الترجمة الأخيرة لمسرحيات موليير الصادرة بالكويت قد كتبت باللغة الفصحى كما هي الحال في المسرحيات الصادرة في سلسلة المسرح العالمي. لم يكن الأداء المسرحي باللغة الفصحى في القرن الماضي متصوراً أو ممكناً، ولكنا نسعد من حين لآخر بأداء مسرحي عربي فصيح. فالتغير اللغوي واقع عندنا، وهو تغير في اتجاه التخلي عن العناصر المغرقة في المحلية وسيادة المكونات المشتركة. ولوسائل الإعلام دور كبير في هذا التحول، لقد تكونت كلمات كثيرة دالة على مفاهيم معاصرة ومنجزات حضارية نشرت الصحف عنها وعرفها المستمع من الإذاعة فاستقرت على المستوى العربي. كانت الصحف العربية في أواخر القرن التاسع عشر تتحدث عن الجامعة قبل إنشاء أقدم الجامعات العربية الحديثة بنحو جيلين، ونحن الآن نتحدث عن المسرح أو عن الإذاعة وعن المجلة وعن الجريدة، كما نتحدث أيضاً عن الصاروخ ومركبة الفضاء.وكلها كلمات دخلت الاستخدام العربي المعاصر بشكل موحد عن طريق وسائل الاتصال واستقرت بلا منافس من اللهجات المحلية. ولكن الأمر غير مقصور على المفردات، ولكنه يؤثر أيضاً في التراكيب، فالتحول حادث نحو استقرار الصيغ العربية المشتركة واختفاء الصيغ المحلية، ولعل مقارنة بسيطة بين الأجيال توضح ذلك. فلو التقى شاب عماني مع شاب مصري مع شاب مغربي فإن التفاهم أسهل من التفاهم بين والد كل

منهم والآخر ولو التقى أجدادهم وتحدث كل منهم باللهجة المحلية لكان التفاهم صعباً أو متعذراً. فالتحول اللغوي حقيقة قائمة يدعمه انتشار التعليم وسهولة المواصلات ، وتقوم وسائل الإعلام بدور كبير في ذلك.

إن التنمية اللغوية ليست مجرد قرار سياسي يتخذ بدقة وعن وعي، فالمشكلات اللغوية العامة والجزئية كثيرة، ويتطلب القيام بها تكامل العمل في المؤسسات المعنية المختلفة. ويتطلب أيضاً وجود مؤسسات مسؤولة لتقديم المشورة في القضايا اللغوية. وهناك دول كثيرة تضع للتخطيط اللغوي داخل الدولة عدة مؤسسات تعمل في إطار واضح. ومن الضروري أن يوجد على مستوى الدولة مؤسسة مسؤولة عن مشكلات التطبيق في القضايا اللغوية، وتكون على ارتباط وثيق بالإذاعة والتلفزيون والصحافة ووكالات الأنباء وجمعيات الآداب والفنون ونقابات المعلمين والكتاب والصحفيين والممثلين. القرارات اللغوية والاستشارات المختلفة فيقوم بها لغويون متفرغون. أما المجامع اللغوية في دول العالم المختلفة فتضم صفوة من العلماء، وهم يضعون الأصول العامة لتنمية المفردات ويصنعون المعجمات ، ولكن تحويل هذه القرارات المعجمية إلى واقع عملي والتطبيق المنظم لهذه الأسس يتطلبان تكامل المؤسسات المعنية داخل الدولة أو في داخل المجموعة اللغوية الواحدة.

لقد أدركت الإذاعات العربية أهمية الجانب اللغوي في عملها، وكانت صاحبة دور ريادي في تدريب العاملين بها من المذيعين تدريباً لغوياً كان له أثر واضح. إن الإعداد اللغوي للمذيعين يعني - في المقام الأول - تدريبهم على نطق الأصوات اللغوية والإلقاء مع معالجة بعض القضايا النحوية والمعجمية التي تسبب مشكلات في الأداء اللغوي. لقد أصبحت

ثمرة هذا الإعداد اللغوي واضحة وطيبة، على الرغم من بعض المآخذ العابرة في النحو أو في نطق أسماء الأعلام الأجنبية. أما الممثلون فقد أصبحوا ـ في أكثر الدول العربية – يتخرجون في معاهد متخصصة، وفيها بدأ الإعداد اللغوي يتخذ مكاناً واضحاً. ولم يعد من الصعب على كثير من الممثلين العرب الأداء اللغوي الفصيح، عندما يتطلب الموقف ذلك، وإن كان هذا الأمر لم يتخذ بعد طابع الشيوع. ولكن الأداء العربي الفصيح يصبح ضرورة مستقبلية إذا أردنا للمشاهد الخليجي متابعة كاملة لمسرحية مغربية، وإذا أردنا للمشاهد الموريتاني والصومالي المتابعة الكاملة لمسرحية سورية. إن العناية بالتدريب اللغوي للممثلين، عناية قديمة في البيئات الأوربية، حتى إن أديب ألمانيا الكبير جوته وضع رسالة في ذلك في أوائل القرن التاسع عشر. وألفت كتب كثيرة هادفة إلى التدريب النطقي للممثلين حتى أصبح نطق الممثلين الألمان للغتهم الألمانية النطق المثالي المحتذى منذ القرن التاسع عشر وحتى اليوم.

هناك مجالات كبيرة للتنمية اللغوية عن طريق الإذاعة والتلفزيون. وإذا كانت الاتجاهات المعاصرة في تعليم اللغات تتطلب تعلم اللغة في مواقف ومن أجل الاتصال الفعال، فإن التعاون ضروري بين الإذاعة والتلفزيون من جانب ووزارات التربية ومراكز الإنتاج البرامجي من جانب آخر، من أجل إنتاج برامج كثيرة وهادفة إلى تنمية المهارات اللغوية العربية لدى التلاميذ والطلاب بشكل فعّال. وهكذا يتم تجاوزمشكلة كبيرة في تعليم اللغة العربية، ويتحقق ما طالب به التربويون واللغويون من ضرورة تجاوز الحديث عن اللغة إلى الحديث باللغة، ويتم أيضاً تجاوز الموقف التعليمي التقليدي في وجود معلم وسبورة إلى مواقف الحياة المختلفة. وهنا مجال كبير

للتنمية اللغوية، ونرجو ألا يطول بنا الانتظار حتى نجد سلاسل كثيرة متكاملة تقدم حقائق المعرفة المعاصرة والمعلومات الأساسية عن التاريخ الإسلامي والبلدان العربية وغير ذلك، لا تقتصر على الموضوعات التاريخية، ولكنها تعنى أيضاً بالموضوعات المعاصرة، وبلغة عربية سليمة إلى جانب برامج أخرى هادفة إلى تنمية المهارات اللغوية المختلفة.وكلتا الطريقتين تكمل الأخرى فالبرامج الموضوعة باللغة الفصيحة تتكامل بالضرورة مع برامج أخرى هادفة إلى تنمية المهارات اللغوية.

لقد أدت النهضة التعليمية في الدول العربية مع الاستقلال الوطني إلى موقف جديد. زاد عدد المتعلمين، وزاد تأثير الكلمة المطبوعة، ثم ظهرت الإذاعات العربية المسموعة، ثم ظهر التلفزيون. وفي كل هذا زادت خبرة المتلقين، وزادت رغبتهم في المعلومات الجادة، وأصبحت الاهتمامات غير مقصورة على الأمور المحلية، وهنا قضايا جديدة تتجاوز المحلية إلى الإطار القومي والعالمي. وهي قضايا لا يمكن أن تستوعبها اللهجات المحلية بالشكل الذي يرضي طموحات المثقف العربي. ومن المناسب في التعبير عنها أن تكون باللغة الفصيحة المشتركة.

وفي كل هذا يتضح أن اتجاه التغير اللغوي في عصر وسائل الاتصال هو اتجاه إلى الصيغ المشتركة والمصطلحات المشتركة. وإلى استخدام متزايد لتعبيرات ومصطلحات مستحدثة لم تعد غريبة عن الجماهير لكثرة ماقُدِّمت في المؤثرات الإعلامية المتنوعة. وفي كل هذا فإن وسائل الاتصال من شأنها ترسيخ السلوك اللغوي المنشود وضبط المصطلحات الأساسية وتوحيد ألفاظ الحضارة وتنميتها، ومن شأنها أيضاً أن تعمل على التوعية بأهمية اللغة الفصيحة في إطار الشعور العام بالانتماء الواحد للأمة العربية. وإلى جانب

ذلك كله فإن لوسائل الإعلام العربية دوراً كبيراً في دعم مكانة اللغة العربية في المناطق ذات الوضع الثقافي الخاص في داخل الدول العربية. وهي المناطق التي تعيش فيها جماعات من مواطني الدول العربية لهم لغاتهم المحلية، أنهم راغبون رغبة جادة في إتقان العربية الفصيحة من أجل تكاملهم في دولهم في الحاضر والمستقبل، ولكن نشق عليهم إذا طالبناهم بأن يفهموا عدداً كبيراً من اللهجات العربية إلى جانب اللغة الفصيحة، فالبرامج ذات اللهجات المحلية تحدث إحباطاً شديداً يدمر الجهود الرسمية لتعليم العربية في هذه المناطق، ولوسائل الإعلام دور كبير في التنمية اللغوية لهذه المناطق وفي دعم مكانة اللغة العربية في العالم الإسلامي. وليس من المقبول أن نعلم هؤلاء اللغة الفصحى فلايستطيعون متابعة كثير مما يبث من برامج في بعض الدول العربية لأنها باللهجات المحلية. وهذه مشكلة تواجه الجهود العربية الكثيرة الهادفة إلى دعم مكانة العربية في المناطق ذات الوضع الثقافي الخاص في داخل الدول العربية، وفي دول العالم الإسلامي، لا يمكن أن نفرض على هؤلاء وأولئك تعلم عشر لهجات عربية إلى جانب اللغة الفصحى، لكي يفهموا ماتبثه الإذاعات العربية في حين أن لغة إنجليزية واحدة، تكاد تكون موحدة تتعلم وتسمع وتفهم.

إن قيام وسائل الاتصال الجماهيري بدورها الكبير في التنمية اللغوية يتطلب التعاون العربي في رسم سياسة لغوية عامة تعمل في إطارها المؤسسات الإعلامية والتعليمية وغيرها. والعمل كبير في قضايا التنمية اللغوية، وهذا عمل تاريخي كبير يتطلب خططاً وقرارات وبرامج في التهذيب اللغوي وبرامج تدريبية، ويتطلب توعية وتعديلاً للمواقف. ولهذا كله فإن قضية التنمية اللغوية تتطلب عملاً عربياً مشتركاً تتكامل فيه جهود

المؤسسات الإعلامية والتعليمية والمؤسسات الأخرى المعنية في الدول العربية. وذلك في إطار سياسة لغوية محددة الأهداف واضحة المسار متعددة المراحل. تفيد من الإمكانات الكبيرة لوسائل الاتصال على نحو يحقق لأجيال المستقبل استمرار الوحدة اللغوية وتلبية المتطلبات المعاصرة في سهولة ويسر.

وفوق هذا كله ، فإن مستقبل اللغة العربية يرتبط أيضاً باستخدامها المتزايد والجاد في شبكات المعلومات العالمية. إن تقنيات المعلومات شهدت تحولاً هائلاً من أجل تيسير إتاحة المعلومات عبر الحدود والقارات والحضارات، وتقوم حالياً ـ في أغلب الحالات ـ على اللغة الإنجليزية. وهناك جهود أوربية قوية تتم لجعل الإتاحة ـ أيضاً ـ باللغات الأوربية الكبرى، وفي مقدمتها الألمانية والفرنسية والإسبانية. ولن يمر وقت طويل حتى نجد العربية قد اتخذت مكانها في شبكات المعلومات عبر الحدود. وهذا الأمر يتطلب جهوداً كثيرة على المستوى اللغوي وعلى مستوى تقنيات المعلومات وعلى مستوى دراسات المستفيدين حتى نجد الجامعات والوزارات والمجامع في الدول العربية تتعامل باللغة العربية. وتتكامل المعلومات المتاحة في كل المواقع لتكون أمام الباحث العربي باللغة العربية. وهذا أحد تحديات المستقبل القريب، لتكون العربية مع اللغات العالمية الكبرى بوصفها وسيلة لنقل المعلومات بالتقنيات المتقدمة.

سابعاً: مكانة العربية بين اللغات الكبرى:

تذكر الإحصائيات المختلفة للتجمعات البشرية في دول العالم نحو ثلاثة آلاف لغة، وتختلف مستويات استخدام هذه اللغات اختلافاً بيناً. وأكثرها لغات محلية لا يمكن أن توصف وفق المعايير العلمية بأنها لغات

تعامل أو لغات عالمية. وهناك إحدى عشرة لغة يستخدمها أكثر من خمسين مليون نسمة. اللغة العربية في المكان الثامن من بين لغات العالم الكبرى باعتبار عدد أبنائها، وذلك بعد اللغات الصينية، والإنجليزية، والهندية - والأردية، والإسبانية، والروسية، والبنغالية، والبرتغالية.

اللغة العربية هي لغة منطقة كبيرة في العالم تمتد في النصف الشمالي من إفريقية والقسم الغربي من آسيا، وهي اللغة الرسمية في كل دول الجامعة العربية على الرغم من أنها ليست وحدها لغة التعامل العلمي في عدد من التخصصات في جامعات العالم العربي ومراكز البحوث بها، كما أن اللغة الفرنسية تنافسها في أكثر مجالات الحياة الثقافية والعلمية في دول المغرب العربي. ولكن اللغة العربية هي لغة نحو ١٤٠ مليوناً من بين أبناء دول الجامعة العربية البالغ عددهم نحو ١٦٠ مليوناً، ولا تشكل الجماعات غير العربية في كل أنحاء العالم العربي أكثر من ٢٠ مليون نسمة.

ويلاحظ في عدد كبير من المناطق التي توجد فيها جماعات لغوية غير عربية أن ضرباً من الازدواج اللغوي يسود إلى حد كبير، ولكنه ازدواج مقصور في أكثر الأحوال على الرجال فقط، فنصيبهم من التعليم العربي أكبر، والتعامل مع المجتمع الخارجي كان عدة قرون مقصوراً عليهم دون النساء. ولذا يعرف أكثر الرجال في هذه المناطق اللغة العربية بينما لا تعرف أكثر النساء لغة أخرى غير لغة المجتمع الصغير. في كل مناطق المشرق العربي تتعامل هذه الجماعات اللغوية غير العربية في مجالات الثقافة والحياة العامة باللغة العربية. وقد لاحظ الباحثون ازدياد انتشار العربية بين الأجيال الصاعدة مع انتشار التعليم، ثبت هذا أيضاً في جنوب السودان على الرغم من البطء الشديد في نشر التعليم هناك. إن المناطق الجبلية في عدة دول عربية

أقل معرفة بالعربية من مناطق السهول. اللغة العربية في المناطق ذات الوضع الثقافي الخاص في الدول العربية هي لغة الدين الإسلامي والثقافة العربية واللغة الرسمية للدولة ولغة التعامل مع الجماعات الأخرى، وهنا يتضح الدور الكبير الذي يقوم به التعليم العربي في هذه المناطق لنشر اللغة وإتاحة الفرص الثقافية أمام أبنائها.

اللغة العربية في خارج دول الجامعة العربية هي أكثر اللغات الوطنية انتشاراً في إفريقية المعاصرة. والمقصود هنا بالعربية كل الصور المختلفة التي تدخل عادة ضمن اللهجات العربية، أو التي تعارف الباحثون على تسميتها بالعربية الفصحى أو ما يعرف بالعربية الهجين. ولكن اللغة العربية تستخدم أيضاً في المناطق غير العربية من دول الجامعة العربية في أمور الثقافة والحياة العامة كما تستخدم في أنحاء مختلفة في خارج دول الجامعة العربية. ويواجهنا في المنطقة الممتدة من السنغال ومالي إلى تشاد وجود العربية. تستخدم هناك في مناطق كثيرة، تارة في جزر لغوية عربية وتارة أخرى بوصفها لغة تعامل. العربية أكثر اللغات استخداماً في المنطقة الممتدة من تمبكتو (مالي) إلى كانم ووادي إلى غرب السودان. وأهم تجمع بشري يتعامل بالعربية في هذه المنطقة يوجد في تشاد ويعيش بها حوالي ١.٨٠٠.٠٠٠ ممن يستخدمون اللغة العربية بوصفها اللغة الأم، والعربية هي أكثر اللغات الوطنية انتشاراً في تشاد فأبناء اللغات الأخرى يكونون مجتمعين حوالي ٤٠٪ فقط من سكان تشاد. وهناك منطقة لم يرتبط تعريبها بالإسلام وهي جزيرة مالطة. وهي المنطقة الوحيدة التي تكاد تخلو من المسلمين. لغة الحديث فيها هي إحدى اللهجات العربية المغربية. لقد بدأ تعريب مالطة بفتحها، وتغيرت عليها الأنظمة الحاكمة، ولكنها احتفظت بلهجتها العربية في مجالات الحياة

اليومية المحدودة، والعربية في مالطة ليست لغة الدين، وليست لغة الثقافة، كما أنها ليست اللغة الرسمية. ومنذ إعلان المالطية لغة رسمية للبلاد اتخذت هذه اللغة ذات الأصل العربي مساراً جديداً.

إن استخدام العربية في بعض هذه المناطق مقصور على أمور الحياة اليومية البسيطة، وعلى العكس من هذا نجد الموقف اللغوي في الصومال حيث تسود في أمور الحياة اليومية البسيطة لغة وطنية واحدة هي اللغة الصومالية، ولكن أبناءها يتوسلون بالعربية في أمور الثقافة الجادة والتعليم. ويهتم الصوماليون اهتماماً كبيراً بتعليم اللغة العربية، ويجيد كثير منهم التعامل بها فتصبح بمثابة اللغة الأم الثانية. لقد ارتبط تعليم اللغة العربية في الصومال بحفظ القرآن الكريم وبالثقافة الدينية عموماً، وهذا شأن مناطق كثيرة في إفريقية. ولكن التقدم الحديث في الصومال لم يجعل من العربية لغة الدين فحسب بل جعل منها أيضاً لغة الثقافة ووسيلة الطموح نحو الحضارة الحديثة، إلى جانب الاهتمام بالإنجليزية أو الإيطالية.

وإلى جانب الأمثلة السابقة فهناك دول لا يشكل أبناء العربية فيها أغلبية سكانية ولكنهم يكونون أقليات لغوية. وهذا واضح في مناطق مختلفة من إفريقية وآسيا. وعلى وجه التحديد في مالي، والنيجر. وإلى جانب جزر لغوية محدودة في أزبكستان، توجد أقليات عربية اللغة في عدد من الدول الآسيوية، على الساحل الشرقي للخليج العربي وفي مناطق أخرى من إيران تعيش جماعات تتعامل باللغة العربية في حياتها الخاصة، وفي تركيا تعيش جماعة عربية في المنطقة الشرقية. وفي عصر الاتصالات ستكون كل هذه الجماعات من المستفيدين مما تقدمه الدول العربية من برامج، ومن شأن هذا الموقف الجديد جعل العربية الفصيحة مألوفة لدى ملايين في تلك الدول.

ثامناً: اللغة العربية والأبعاد الحضارية المستقبلية:

إن ثمة اختلافاً كبيراً بين الاهتمام الأكاديمي بلغة من اللغات والاهتمام بها على المستوى الثقافي العام. يهتم اللغويون بكل لغات الأرض ولهجاتها، في إطار اهتمامات علمية متخصصة. وهذه الاهتمامات تختلف كل الاختلاف عن الدوافع إلى تعلم الإنسان الحديث للغة أجنبية. فهو يختارها من بين اللغات الكثيرة في العالم كي يعتمد عليها في حياته العلمية والثقافية، وهنا يكون الدافع إلى اختيار لغة من اللغات هو فائدة هذه اللغات بالنسبة للحياة المعاصرة. وليس المقصود بالفائدة مجرد اللقاء السريع والقدرة على التفاهم في أمور الحياة اليومية البسيطة فحسب، بل ترجع أهمية أية لغة من اللغات المعاصرة إلى ماتتيحه من معارف يحتاجها الإنسان. إن كل لغة ترتقي بأبنائها، والإنسان الحديث يتعلم اللغة الأجنبية لأنها تفيده في حياته، ولكنه لا يتعلمها بهدف دراسة تراثها القديم إلا إن كان متخصصاً فيه. فاللغة الإنجليزية أكثر اللغات الأجنبية انتشاراً، يتعلمها ملايين من البشر في كل قارات الأرض، وقلة من هؤلاء تتخصص بعد ذلك في اللغة الإنجليزية وآدابها. وشبيه بهذا الأمر الألمانية فكثير ممن يطلعون على البحوث العلمية وكتب العلوم بالألمانية لم يتعلموها إلا لذلك، ولا يهتم بتراثها منهم إلا من أراد التخصص فيه.

ولعل أوضح معيار بين لنا الأهمية الحضارية المعاصرة للغات الكبرى في عالمنا المعاصر هو عدد الكتب التي تصدر سنوياً بكل لغة من هذه اللغات. فالكتاب المدون باللغة الإنجليزية يدعم مكانتها عند غير أبنائها ويجعلها مفيدة، فقيمة أية لغة من اللغات المعاصرة لا تتحدد طبقاً لعدد أبنائها فحسب، بل هناك عوامل أخرى أهمها عدد الكتب التي تطبع بها سنوياً. أما

اللغـة العربيـة فأبناؤها يمثلون ٣٪ من سكان العـالم، ولكن مجموع الإنتاج العربي من الكتب يشكل نحو ١.١٪ من الإنتاج العـالمي. ومعنى هذا أن الإنتاج العربي ينبغي أن يضاعف ثلاث مرات حتى يكون في مركز متناسب مع النسبة السكانية. إن قلة الإنتاج العربي من الكتب بالقياس إلى الإنتاج باللغات العالمية الأخرى ظاهرة ملحوظة، وتتكرر هذه المشكلة بالنسبة للغات الدول النامية. فأعداد المتحدثين بكثير من لغاته هي مجرد أعداد ذات دلالة اقتصادية استهلاكية، وليس لها الثقل الحضاري اللائق لها، ومعنى هذا أن مستقبل العربية كلغة دولية ذات قيمة حضارية مرتبط بزيادة الكتب التي تصدر بها في كل فروع المعرفة المعاصرة.

إن قلة الإنتاج العربي من الكتب يلاحظ أيضاً في قلة مايترجم من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية. وإذا كانت الدول التي تقدمت مراحل أكثر تهتم بالترجمة فما أحوج المنطقة العربية إلى مزيد من الترجمات في كل فروع المعرفة المتقدمة. وتتضح المشكلة من الجانب الآخر للترجمة، وذلك أن ترجمات الكتاب العربي إلى اللغات الأخرى محدودة. فإذا كان بعض الشرقيين والمستشرقين قد ترجموا مئات قليلة من الكتب العربية على مدى عدة قرون، الترجمة هنا قد تمت في إطار تخصصي. ولكن ثمة فرقاً بين ترجمة تعد للعلماء المتخصصين وبين ترجمة تتجه إلى المثقف الأجنبي في محاولة لإثراء معارفه بكتب جديدة في كل فروع المعرفة. وفي السنوات الماضية اتضح أن ٧٥٪ من الترجمات المنشورة في العالم هي من اللغات الإنجليزية (٣٧٪)، والفرنسية (١٤٪) والألمانية (١١.٥٪) والروسية (٩.٥٪) والإسبانية (٣٪ فقط). ولم تتخذ الترجمة من العربية إلى اللغات الأخرى شكل الرافد الثقافي القومي الذي يثري تيار الثقافة العالمية بشكل مؤثر.

إن أكثر مايعوق انتشار الكتاب العربي في داخل الأقطار العربية ومن أن يأخذ مكانه المناسب في الإطار العالمي هي الأمية، فقلة عدد القراء تعني قلة عدد النسخ ، كما تعني في الوقت نفسه قلة عدد المؤلفين، فإذا كانت نسبة عدد الذين يقرؤون تشكل حوالي ٥٠٪ من سكان العالم فإن هذه النسبة مختلفة من بيئة لغوية لأخرى، ومن ثم تصبح بعض الأرقام الكبرى لأبناء اللغات غير دالة على عدد القراء. ويرتبط مستقبل العربية من هذا الجانب بحركة لغوية وتعليمية وثقافية قومية، تجعل الكتاب العربي قوياً في الوطن العربي مؤثراً في الفكر العالمي.

تاسعاً: العربية في المنظمات الدولية:

اللغة العربية لها وجودهابوصفها لغة عمل في عدد من المنظمات الدولية، إلى جانب كونها لغة العمل في جامعةالدول العربية، وهي إحدى لغات العمل في منظمة الوحدة الإفريقية ثم في منظمة المؤتمرالإسلامي، وفي سنة ١٩٦٩ كان دخول اللغة العربية إلى اليونسكو معركة لغوية حضارية، كانت الدول العربية قد قدمت الاقتراح، فكتبت الأمانة العامة لليونسكو تحفظات ثلاثة مانعة، تداولت الدول الأعضاء مذكرة اليونسكو، وقد حولت الدول العربية إلى جامعاتها أمر بحث هذه المذكرة، فأعددتُ بحثاً يناقش هذه الاعتراضات. الاعتراض الأول كان بأن الترجمة من أية لغة من لغات العمل في اليونسكو إلى العربية يأخذ وقتاً أطول، الأمر الذي يعطل العمل. وكان الرد على هذا الاعتراض ببحث البنية المقطعية للغة العربية، فسرعة الترجمة الفورية من الناحية الموضوعية - أي مالا يختلف باختلاف قدرات الأفراد - تحسب على أساس البنية المقطعية للغة، ومعنى هذا أن اللغة التي تكثر فيها المقاطع الطويلة أو ذات المقاطع الكثيرة تحتاج الترجمة الشفوية إليها

وقتاً أطول من اللغات ذات المقاطع الأقل عدداً أو الأقل طولاً، وتم بحث هذا الجانب تفصيلاً وبالتطبيق على أبنية الأفعال وأبنية الأسماء والأدوات مع مقابلاتها بالإنجليزية والفرنسية وثبت أن اللغة العربية لا تتطلب وقتاً أطول مما تحتاجه الإنجليزية أو الفرنسية. الاعتراض الثاني كان بأن الخط العربي يتطلب مساحة كبيرة تعادل أو تزيد قليلاً عن النص الروسي. وكان الرد على هذا الاعتراض ببيان نظام الكتابة العربية وعدم تدوين الحركات القصار، الأمر الذي يجعل الكتابة العربية كتابة موجزة، وبتطبيق حسابي بسيط للضربات اللازمة في الكتابة على الآلة الكاتبة لصفحات من مصطلحات المؤتمرات باللغة العربية والإنجليزية والفرنسية، ثبت من عينة كبيرة أننا لو جعلنا الإنجليزية هي المعيار فإن كتابة المصطلحات بالفرنسية تأخذ حيزاً يزيد ٥٪، أما المصطلحات العربية فلا تأخذ سوى ٦٧٪ من الحيز الذي تحتاجه المصطلحات الإنجليزية. أما الاعتراض الثالث فكان يتضمن القول بندرة المترجمين المتخصصين في العربية من أبناء اللغات الأخرى، وهؤلاء هم الذين يقومون عادة بالترجمة من اللغة العربية إلى لغاتهم. وهذه نقطة دقيقة، وذلك أن أكثر العاملين في الترجمة التحريرية، ولم يؤهلوا للترجمة الفورية. ومع هذا فقد كان الرد على هذا الاعتراض بحقيقة واضحة، وهي كثرة أقسام اللغات الأوربية والترجمة في الجامعات العربية، الأمر الذي يمكن اليونسكو من الحصول في سهولة على مترجمين فوريين. ومن هنا فإن الاهتمام المطرد بتكوين المترجمين في الجامعات العربية له أهمية مستقبلية من أجل تلبية المتطلبات الدولية.

لقد دخلت اللغة العربية بعد ذلك عدداً كبيراً من منظمات الأمم المتحدة، وتشتمل الخدمات اللغوية في هذه المنظمات الشفوية على نوعين من الخدمات، بعضها يتعلق بالاجتماعات (مثل الترجمة الشفوية، صياغة المحاضر، ومراجعتها، ترجمة الوثائق الأساسية، ترجمة ورقات العمل، ترجمة

المحاضر، طبع الوثائق وتوزيعها). وبعضها الآخر يتصل بدورة العمل (مثل ترجمة المنشورات، ترجمة المراسلات، ترجمة الأوراق الإدارية، ترجمة الوثائق). ويتفاوت مدى استخدام اللغة العربية في داخل كل منظمة، قد يقتصر على الترجمة الشفوية في المؤتمرات وقد يمتد ليشتمل على كل الوثائق، وتنفيذ هذه الأعمال في المستقبل يحتاج إلى عدد متزايد من المترجمين الفوريين العرب على مستوى رفيع حتى يتحقق الاستخدام الكامل للعربية في المنظمات الدولية لئلا يكون استخدام العربية فيها محدوداً وعلى نحو انتقائي، بأن تستخدم حيناً وتترك حينا آخر.

إن الخدمات اللغوية في الأمم المتحدة لا تتعامل مع العربية إلا بوصفها لغة موحدة لهذه المجموعة الكبيرة من الدول، لهذا فالمصطلحات المحلية لا تفيد في هذا الصدد، ولهذا تهتم إدارة الخدمات اللغوية بتوحيد المصطلحات العربية في عدد من المجالات المختارة، وهنا نجد العلاقة وثيقة بين مكانة العربية في الأمم المتحدة وتنمية المصطلحات وتوحيدها في الدول العربية. والأمل كبير في أن تستمر اللغة العربية في القرن الحادي والعشرين لغة عمل في منظمات دولية متعددة. ويتطلب ذلك ضبط المصطلحات، وتكوين المترجمين المتميزين، والتمسك بالعربية في المواقف التي تتيح ذلك. وبذلك تتحقق للعربية مكانة مستقرة بين لغات العمل في المنظمات الدولية، وهذه المكانة يمكن أن تجاوز في المستقبل حدود تمثيل الدول العربية إلى دول أخرى في إفريقية وآسيا.

عاشراً: قضية تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها:

اللغة العربية هي لغة الدين الإسلامي والثقافة العربية الإسلامية في مناطق من آسيا وإفريقية وجنوب شرق أوربا لا تسودها اللغة العربية. أما

رجال الدين وأصحاب الثقافة الدينية فعليهم أن يقرؤوا بعض الكتب بالعربية، ومن أراد منهم التعمق في فهمها استعان على ذلك بدراسة شيء من العلوم العربية كالنحو والصرف والبلاغة، ويتضح هذا بدرجات متفاوتة في إيران وشبه القارة الهندية وماليزيا وأندونيسيا ونيجريا الشمالية وتنزانيا. وتعد نيجريا من أهم المناطق الإسلامية غير العربية في إفريقية، ففي نيجريا الشمالية أكثرية إسلامية. وشبيه بهذا حال العربية في تنزانيا وكينيا وأوغندا، المسلمون فيها من أصول هندية وإفريقية، وقلة منهم من أصول يمنية وعُمَانية. وهناك تعليم ديني يقتصر في أدنى مراحله على العبادات.

والمشكلة التي تواجه اللغة العربية في كل هذه المناطق أنها مرتبطة بالماضي وتعلم كأداة لفهم الدين ولذا تهتم بها المعاهد الإسلامية. أما التعليم الحديث فلا يهتم في أكثر هذه المناطق بتعليم العربية. هناك مسلمون عرفوا الإسلام عن طريق الترجمة السواحلية للقرآن الكريم، ولذا ارتبط الإسلام عندهم بالطريقة الأحمدية وباللغة السواحلية في المقام الأول.

وهناك تجمعات إسلامية غير عربية لديها رغبة في تعلم العربية، ولم تتح لها إمكانات لذلك. ومن المتوقع أن يؤدي الموقف الجديد في عدد كبير من الدول الإفريقية إلى معرفة متزايدة بالعربية بوصفها لغة أجنبية. المسلمون في اتحاد جنوب إفريقية مثلاً يكونون مجموعة إِثْنِيَّة متميزة، أكثر أصولهم من جزر الملايو وأندونيسيا. يتحدث هؤلاء المسلمون في حياتهم اليومية لغة الافْرِيكَانْز، التي تطورت عن اللهجة الجِرْمَانية التي حملها المستوطنون الفلاحون معهم إلى جنوب إفريقية. ويلاحظ أن الاستخدام اللغوي لغة الافريكانز عند المسلمين في جنوب إفريقية تأثر ببعض العناصر العربية، ولكنهم لم يأخذوها عن العربية مباشرة، بل دخلت عن طريق لغة الملايو. ومنذ عدة حقب قل استخدام هؤلاء المسلمين للغة الملايو وحلت محلها لغة الافريكانز،

كانوا من قبلُ يطبعون كتبهم الدينية الملايووية المترجمة عن العربية، وهناك كتب كثيرة طبع فيها النصان متوازيين وبالخط العربي. واليوم أحلوا لغة الافريكانز محل الملايووية، وأخذوا يكتبون الافريكانز بالحروف العربية، فهؤلاء المسلمون كانوا يكتبون بالخط العربي ولكنهم لا يكادون يعرفون من العربية إلا مادخل منها من المصطلحات الدينية الإسلامية.

كانت العربية تدرس في الدول الإسلامية المختلفة في خارج المنطقة اللغوية العربية، كما درست في أوربا المسيحية بوصفها لغة تراث ثقافي. كان المتخصصون يهتمون بها فيخصصون لها أكثر وقتهم. ولكن التقدم الذي حدث في مناهج تعليم اللغات في القرن العشرين، وبصفة خاصة مع ظهور علم اللغة التطبيقي بعد الحرب العالمية الثانية طرح قضايا جديدة بشأن مناهج تعليم اللغات الحديثة. وفي نفس الوقت أخذ الاهتمام بالعربية يتغير شيئاً فشيئاً، فبدأ في قارات العالم المختلفة اهتمام جديد باللغة العربية، لقد أرادوا تعلم اللغة العربية باعتبارها لغة منطقة كبيرة في إفريقية وآسيا وباعتبارها لغة منطقة آخذة في النمو الحضاري، ودفع هذا الاهتمام إلى تنظيم دراسات مختلفة للغة العربية في عدد كبير من البلدان الأوربية والأمريكية والآسيوية واستراليا.

الاهتمام الجديد بالعربية يهدف إلى تعليم اللغة العربية الجارية بوصفها وسيلة التفاهم الأولي في العالم العربي كله وأداة التعبير عن الآراء والترجمة عن الأفكار، وقد حددها البعض بأنها لغة الصحف والإذاعات العربية ولغة الأدب الحديث. ويختلف هذا الهدف عن دراسة العربية بهدف المقارنات السامية أو دراسة الحضارة الإسلامية، كما يختلف أيضاً عن المعرفة باللهجات. إن تعليم اللغة العربية ينبغي أن تكون غايته أن يستطيع الدارس

الأجنبي فهم روح الأمة العربية فهماً يؤدي إلى الشعور بالمودة. أما إذا كنا نريد من تعليم اللغة العربية للأجانب مجرد إعانته على قضاء حاجته الضرورية طَوال إقامته في بلد عربي فإن الأمر غير محتاج إلى كل هذا العناء، إذ يستطيع هذا الأجنبي أن يقضي حاجاته عن طريق اللغة الأوربية. وفي هذا إشارة إلى التيار الجديد الذي يعنى بدراسة اللغة العربية في استخدامها الحديث باعتبارها لغة حية.

هناك عدة مؤسسات تعليمية تعنى باللغة العربية تدريساً وبحثاً، وأكثر هذه المؤسسات تهتم باللغة العربية على المستوى الجامعي، وهناك بدايات في عدة دول لتعليم العربية في مرحلة التعليم قبل الجامعي، فضلاً عن جهود أخرى لتعليم العربية في خارج السلم التعليمي الرسمي.

يوجد في عدد من الدول الأوربية مدارس تعلم العربية في إطار المقررات الرسمية . ويدرس مادة اللغة العربية تلاميذ من أصل عربي على أيدي مدرسين، أصولهم من دول المغرب العربي. وهناك تجربة جديدة تتم في بعض المدارس لتعليم العربية لأطفال من أصول أوربية إلى جانب وافدين من دول المغرب. وتعلم اللغة العربية حالياً في هذه المدارس في مناطق تسكنها جماعات كبيرة العدد من أبناء دول المغرب. والعربية مادة من مواد امتحان القبول لجامعات لندن واكسفورد وكيمبردج. ويتقدم لهذا الامتحان طلاب ينتمون إلى جنسيات مختلفة، ويختار اللغة العربية طلاب مسلمون بعضهم من غير العرب. ولكن المنافسة بين اللغات الأوربية المختلفة والعربية جعلت الإقبال على العربية مقصوراً على جماعات من المسلمين. وهناك عدة دول أوربية يسمح نظامها التعليمي بمواد إضافية وتترك للمدرسة حرية اختيارها، ومن المتوقع أن يقوى هذا الاتجاه إذا ماتوافرت له إمكانات التعاون

العربي. ومن الضروري دعم هذا الاتجاه في التعاون العربي مع دول الغرب، وذلك بإعداد المدرسين والمعاونة في المواد التعليمية.

أما الدراسات العربية في الجامعات الغربية، فإنها ذات تاريخ طويل على مدى عدة قرون. لقد نشأت هذه الدراسات في إطار الأهداف التبشيرية والاهتمامات اللاهوتية، ثم تطورت في القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر إلى بحوث في الحضارة الإسلامية، ودرست العربية في إطار اللغات السامية. وإلى جانب هذه الاتجاهات فإن الاهتمامات العملية والطموحات السياسية والاقتصادية والمغامرات العسكرية جعلت من الضروري أن تعلم اللهجات العربية الحديثة في الأقسام المعنية في الدول الأوربية وفي أمريكا بعد ذلك. وكل هذه الاتجاهات لها آثارها الممتدة إلى اليوم في تحديد مكان الدراسات العربية في الجامعات الأوربية والأمريكية. إن مشكلة تعليم العربية في جامعات أوربا وأمريكا ليست مجرد مشكلة تعليمية لغوية، فهي تتجاوز ذلك إلى المحتوى الحضاري والموقف الذي تتخذه هذه الدراسات من القضايا العربية. وهو موقف يتسم في أكثر الأحوال بالتحفظ الشديد. ولذا فإن الإفادة من المناخ الجديد للحوار العربي الأوربي والعلاقات العربية مع دول العالم الجديد ينبغي أن تعمل لجعل الدراسات العربية في أوربا تتخذ موقفاً معتدلاً وموضوعياً من حضارة العرب ومشكلاتهم المعاصرة. وهناك بدايات جديدة لتطوير هذه الدراسات في إطار التعاون المتزايد مع الجامعات العربية، من أجل تشكيل مستقبل أفضل يقوم على التفاهم المتبادل ولقاء الثقافات. ومن شأن دعم الموقف الجديد أن تكون العربية رافداً متجدداً ومهماً في القرن الحادي والعشرين.

* * *

إحياء العروض(*)

د. محمد حسان الطيان

حكى ابن جني في الخصائص عن الخليل: «أن الأصمعي كان أراده على أن يعلّمَهُ العروض، فتعذّر ذلك على الأصمعي وبعُدَ عنه، فيئس الخليل منه فقال له يوماً: يا أبا سعيد، كيف تقطّع قول الشاعر:

إذا لم تستطعْ شـيئاً فدَعـهُ   وجـاوزْهُ إلى مـا تسـتطيعُ

قال: فعلم الأصمعي أن الخليل قد تأذّى ببعده عن علم العروض فلم يعاودْه فيه[1]».

ليست صعوبة هذا الفن إذن وليدةَ هذا العصر، ولا نتيجة من نتائج تدنّي مستوى التعليم، أو ثمرةً أعقَبناها طولُ الأمد وبعدُ الشُّقّة وتبلّدُ الحسّ وتنـوعُ فنون الأدب. وإنما هي مشكلة قديمة قدمَ هذا الفن نفسه، إذ تعـود إلى عصـر الخليل واضع العروض، وقد اصطلى بنارها الأصمعي، وهو من هو معرفة بالشعر ورواية له ودرايةً بأساليبه وفنونه ونقداً لغرره وعيونه.

(*) عنوان البحث وبعض ما جاء فيه مقبوسٌ من كتاب (إحياء العروض) للمرحـوم الأستاذ عز الدين التنوخي أمين مجمع اللغة العربية بدمشق، ومدرّس العـروض والقافية في جامعات الشام، والعراق، ومعاهدهما، وهو كتاب نحا فيه مؤلفـه نحو التيسير في تعليم العروض، ونفى عنه كثيراً من غوائله.

(١) الخصائص ١/ ٣٦٢.

على أن الخطب اليوم قد عمّ، إذ سرى اعتياص هذا الفن إلى صفوف بعض المدرّسين والمتخصصين بله الطلاب والمتعلمين. «لضياع هذا العلم الجليل في زماننا، وقلة الاحتفال به وبأهله[1]».

وبتّ تفتقد هذا الحسّ العروضي لدى الكثرة الكاثرة من خريجي الجامعات ذوي التخصص الدقيق في العربية وآدابها. وصار الأمر إلى ما قاله أبو العلاء:

تولّى الخليلُ إلى ربّهِ وخلّى العَروضَ لأربابِها
فليسَ بِذاكرِ أوتادِها ولا مرتجٍ فضلَ أسبابِها

يوصَف العروضُ بأنه العلم الموسيقي السهل بطبيعته الصعب بطريقته. ولهذه الصعوبة أسباب مختلفة يمكن أن نذكر منها:

١ـ إغفال الصلة بين العروض من ناحية وبين الموسيقى والنغم والإيقاع من ناحية أخرى. مع أن الصلة بينهما قديمة تعود إلى نشأة العروض وابتكاره، ولو عدنا إلى أخبار هذه النشأة لوقفنا على حقائق كثيرة تجلو هذه الصلة.

من ذلك ما رواه أبو الحسن الأخفش عن الحسن بن يزيد أنه قال:

«سألت الخليل بن أحمد عن العروض فقلت له هلاّ عرفتَ لها أصلاً؟ قال: نعم، مررت بالمدينة حاجّاً، فبينما أنا في بعض طرقاتها إذ بصُرت بشيخ على بابٍ يعلّم غلاماً وهو يقول له قل:

نعم لا نعم لا لا نعم لا نعم نعم نعم لا نعم لالا نعم لا نعم لالا

(١) نمط صعب ونمط مخيف ص ٨٨ – ٨٩.

قال الخليل فدنوت منه فسلمت عليه وقلت له: أيها الشيخ ما الذي تقوله لهذا الصبي؟ فذكر أن هذا العلم شيء يتوارثه هؤلاء الصبية عن سلفهم وهو علم عندهم يسمى التنغيم لقولهم فيه: نعم.

قال الخليل: فحججت ثم رجعت إلى المدينة فأحكمتها[1] ».

ومن ذلك ما يروى من أن الخليل كان يقطع بيتاً فرآه ولده في تلك الحالة فخرج إلى الناس يقول: إن أبي قد جُنَّ، فدخل الناس عليه وهو يقطع البيت فأخبروه بما قال ابنه، فقال له:

لو كنتَ تعلمُ ما أقولُ عذرتَني أو كنتَ تعلمُ ما تقولُ عذلتكا
لكنْ جهلتَ مقالتي فعذلتَني وعلمتُ أنك جاهلٌ فعذرتكا

وقيل: إن الخليل مرّ بالصّفّارين فأخذ العروض من وقع مطرقةٍ على طَسْتٍ[2]، ولا ريب أن الخليل كان على علم جم بالموسيقى، بل إن بعضهم ينسب إليه اختراع علم الموسيقى العربية، وتكاد مصادر ترجمته تجمع على أنه صنف كتاباً في الإيقاع وآخر في النغم[3]. قال عنه السيوطي: «وكذلك ألف كتاب الموسيقى فَزَمَّ [أي ربط] فيه أصناف النغم، وحصر به أنواع اللحون، وحدّد ذلك كله، ولخّصه، وذكر مبالغ أقسامه، ونهايات أعداده، فصار الكتاب عبرة للمعتبرين وآية للمتوسّمين[4]».

---

(١) المستشار في العروض وموسيقى الشعر ص ١٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ٧/٤٣١.

(٣) معجم الأدباء ١/ ٧٤ـ ٧٥، والمزهر ١/ ٤١، والفهرست ص ٤٩.

(٤) المزهر ١/ ٨١.

فالصلة إذن بين العروض والموسيقى قديمة ثابتة وإغفالها يؤدي إلى فصم عرىً وثيقة فصماً يخلُّ بفهم العروض وإتقانه وتطبيقه.

٢ــ التوسل إلى تقطيع الأبيات بوضع الإشارات المختلفة التي تمثل المتحرك والساكن (/ ٠ أو ـــ .) ولا تفيد شيئاً في معرفة وزن البيت أو الكشف عن مواطن كسره وما قد يكون فيه من خلل، بل هي وسيلة يتحول فيها هذا الفن السماعي المعتمد على الذوق إلى رموز مكتوبة لا طائل منها. وأذكر أن علاّمة الشام أستاذنا النّفّاخ رحمه الله كان ينهانا عن سلوك هذا المسلك ــ أي عن استعمال هذه الإشارات التي لا تغني عن المقطّع شيئاً ــ وكان أن اعترض عليه أحد الطلبة بأنه لا يقوى على التقطيع إلا بهذه الوسيلة فأجابه الأستاذ على التوّ: ﴿ قُلْ مَنْ كانَ في الضّلالَة فلْيَمْدُدْ لَهُ الرّحمنُ مَدّاً﴾ [مريم /٧٥].

٣ــ ربطُ تعلّم العروض بفهم دوائر البحور، وهي دوائر تدل على عبقرية الخليل وقوة إبداعه في تأليف تفعيلات البحور، وفكّها بعضها من بعض، والإشارة إلى ما استعمل من البحور وما أهمل[1]، لكنها على ما فيها من إبداع وابتكار لا تفيد في تيسير معرفة الوزن ولا تقوّي الحسّ العروضي بل لا تكاد تسهم في ذلك، ووقعها على المتعلم الريِّض المبتدئ أشبه بوقع الطلاسم والمعمّيات، ومن طريف ما يروى «أن محمد بن عبد الوهاب الثقفي لقي ابنَ مُناذِر الشاعر - وكان بينهما إِحْنَةٌ - في مسجد البصرة ومعه دفترٌ فيه كتاب العروض بدوائره، ولم يكن محمدٌ يعرف

(١) انظر ما كتب الأستاذ محمود شاكر في الكشف عن سرّ هذه الدوائر في كتابه النفيس (نمط صعب ونمط مخيف). ص ٨٩ وما بعدها.

العروض، فجعل يلحظ الكتاب ويقرؤه فلا يفهمه وابن مناذر مُتغافلٌ عن فعله، ثم قال له: مافي كتابك هذا؟ فخبّأه في كمّه وقال: وأيُّ شيءٍ عليك مما فيه؟ فتعلق به ولبّبه فقال ابن مناذر: يا أبا الصلت الله الله في دمي، فطمع فيه وصاح يا زنديق، في كمّك الزندقة، فاجتمع الناس إليه، فأخرج الدفتر من كُمّه وأراهم إياه، فعرفوا براءته مما قذفه به، ووثبوا على محمد بن عبد الوهاب واستخفوا به، وانصرف بخزيٍ[1] ،...». وهذا وقد تناول نفرٌ من علماء العروض المحدثين الاحتكام إلى هذه الدوائر بالنقد.

٤ــ مواجهة الطالب بحشد من المباحث والمصطلحات العروضية المتداخلة ينوء بحفظها ويطول عهده بتطبيقها أو بتوزيعها على أبحرها الخاصة بها، وحقُّها أن ترجأ وتوزّع على بحورها فلا تذكر أمام الطالب إلا بعد معرفته البحر الذي ترد فيه.

٥ــ البدء بالصعب من البحور والتدرج نحو الأسهل مع أن طبيعة الأمور تقتضي العكس، فالبدء بالأسهل يعين على فهم الأصعب وأعني بالأسهل ما تألف من تفعيلة واحدة بسيطة أو خفيفة كفاعلن وفعولن إذ إن تعلمها ومعرفة إيقاعها يعين الطالب على تعلم التفعيلات الأطول، ويمهد لمعرفة تداخل التفعيلات المختلفة.

إنّ أسباب الصعوبة هذه على اختلافها جديرة بالدراسة والبحث، وفي تجنّبها تيسير لتعليم العروض، وتذليل لكثير من العقبات المعترضة طريقَه، على أنّ أهمّها وأكثرها تأثيراً في تعليم العروض السببُ الأول، وهو إغفال الصلة بين العروض والموسيقى والإيقاع، ففي إعادة هذه الصلة عودٌ

(١) الأغاني ١٨/ ١٨٧ ــ ١٨٨ (ط دار إحياء التراث العربي).

بالعروض إلى منابعه الأولى وموارده الصافية. وهو ما يرمي إليه هذا البحث.

علاقة العروض بالغناء والإيقاع:

يقول حسّان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ :

تغنَّ بالشّعرِ إمّا كنتَ قائلــــهُ   إنَّ الغناءَ لهذا الشعرِ مضمـــارُ

والعلاقة بين الشعر وبين الموسيقى والنغم والإيقاع علاقة وثيقة لا تكـــاد تخفى على أحد وأمثلتها في أدبنا القديم أكثر من أن تحصى أو تستظهر.

ولعل من أبرز مظاهرها الحُداء الذي كانت تساق به الإبل فإذا ما أســـرع الحادي أسرعت الإبل وإذا أبطأ أبطأت، ومنه الحديث المشهور «ارفُقْ يا أنجشـــةُ ويحك بالقوارير(١)»يريد أن يبطيء وقع الحُداء لتبطئ الإبل وقع المسير.

ومن نحو هذا ما يروى عن النابغة حين أقوى في شعره فلم ينبهه على ذلك إلا تغني الجواري ومدّهن الصوت بحركة حرف الروي وهو الدال في قوله:

زعم البوارحُ أنَّ رحلتنا غـــداً   وبذاكَ خبَّرنا الغرابُ الأســـودُ

لا مرحباً بغدٍ ولا أهـــلاً بِــهِ   إنْ كانَ تفريقُ الأحبةِ في غـــدِ

ولأهمية عنصر الموسيقى في الشعر قيل: الشعر موسيقى، وقال النقاد عن البحتري: أراد أن يشعر فغنى. ولا أدلَّ على ذلك أيضاً مـــن كتـــاب الأغاني الذي رمى منه مصنفه إلى جمع أشهر أغاني عصره فجـــاء ســـجلاً ضخماً لأشعار العرب وأخبار الشعراء والمغنين على حدٍّ سواء.

ومن ثمّ كان العروض علم إرهاف الآذان وإتقان الألحان، يتطلـــب

---

(١) صحيح البخاري ٥/ ٢٢٩٤(كتاب الأدب، الحديث رقم ٥٨٥٦).

أول ما يتطلب ذوقاً سليماً وأذناً مرهفة تميز الإيقاع الصحيح من الإيقاع المختل، والنغم المنضبط من النغم النشاز.

من أجل هذا كله لابد من العودة إلى هذين العنصرين في معرفة العروض وهما النغم والإيقاع، ويمكننا الإفادة منهما على النحو التالي:

١ـ النغم (اللحن):

ولا أعني به مطلق النغم، وإنما المراد طريقة أداء الأغنية أو النشيد أو تلحينها وغناؤها، وكنت مستطيعاً، كما قال العلامة الراحل محمود شاكر: «أن أهزِل باسم الغناء والنغم فأستولج في كلامي ألفاظاً للتغرير والإثارة، فأقول: «السّمْفُني» و«الهَرْمُني» وكُروباً وراء ذلك كثيراً!! ولكني آثرت أن أدع الأمر حيث هو من القرب...[1]» وأنا أوثر ما آثر الشيخ رحمه الله فأقول: كلٌّ بحر من بحور الشعر يمكن أن ينطبق على أغنية محفوظة أو أكثر، أو بعبارة أخرى يمكن أن يغنّى وينشد كما تغنى تلك الأغنية أو ينشد ذلك النشيد، فتكون هذه الأغنية أو النشيد بمنزلة المفتاح لهذا البحر، فإذا ما حاول الطالب أداء بيت من الشعر ينتمي إلى هذا البحر على لحن تلك الأغنية طاوعه اللحن وانقاد له الغناء، وإذا ما حاول أداء بيت آخر لا ينتمي إلى هذا البحر على لحن تلك الأغنية تأبّى عليه اللحن و لم ينقد له الغناء، ومن ثم يكون قادراً على أن يحكم على ذلك البيت الذي انقاد له فيه الغناء بأنه ينتمي إلى ذلك البحر الذي تنطبق عليه الأغنية، وأما ذلك الذي لم ينقد له الغناء فيه بتلك الأغنية فإنه يبحث له عن أغنية أخرى لكي يصل إلى تحديد بحره. ولنأخذ مثالاً على ذلك البحر

(١) نمط صعب ونمط مخيف ٢٧٨.

المتدارك:

متدارِكُنا نغمٌ عَجِلُ فعلن فعلن فعلن فعلن

فهو ينطبق على لحن قصيدة الحصري القيرواني التي تشدو بها فيروز:

يا ليلُ الصبُّ متى غَدُه أقيامُ الساعةِ موعدُه

وينطبق كذلك على تلحين الموسيقار محمد عبد الوهاب لقصيدة شوقي التي عارض بها قصيدة القيرواني:

مضناكَ جفاهُ مرقدُه وبكاهُ ورحَمَ عُوَّدُهُ

وينطبق على لحن القصيدة التي يؤديها الأستاذ صباح فخري:

يا صاحِ الصبرُ وهى مني وشقيقُ الروحُ نأى عنّي

فإذا ما حاولنا تأدية أي بيت ينتمي إلى البحر المتدارك، وفق ألحان هذه الأغاني طاوعنا الأداء وانقاد لنا اللحن فدلَّ ذلك على صحة انتماء هذا البيت إلى البحر المتدارك في حين لا يصحُّ ذلك في أي بيت لا ينتمي إلى البحر المتدارك، وسنطبِّق ذلك على المثالين التاليين فننشدهما وَفْق الألحان السابقة:

الأول لناصح الدين الأرّجاني:

سِرْبٌ قد عنَّ بذي سَلَمٍ وغدا بفؤادي أغيدُهُ

والثاني لشوقي:

النيلُ العذبُ هو الكوثرْ والجنةُ شاطئُهُ الأخضرْ

وكذلك معظم بحور الشعر، إذ ينطبق كلٌّ منها على أغنية مشهورة أو نشيد معروف يمكن أن يكون مفتاح ذلك البحر، فالمتقارب على النشيد

السوري، والرمل على النشيد الجزائري، والوافر على الأغنية الشعبية المعروفة (سكابا يا دموع العين سكابا)... وهكذا.

وفيما يلي جدولٌ يوضّح مفاتيح أشهر البحور من الأغاني والأناشيد المختارة:

اسم البحر	مفتاحه	ملاحظات
المتدارك	ياليلُ الصبُّ متى غدُهُ مُضناكَ جفاهُ مرقدُهُ ياصاحِ الصبرُ وهى منّي	أداء فيروز الموسيقار محمد عبد الوهاب صباح فخري
المتقارب	حماة الديار عليكم سلام	النشيد السوري
الرمل	قسماً بالنازلاتِ الماحقات والذي أسكَرَ من عَرْفِ اللمى ياغزالي كيفَ عنّي أبعدوك	النشيد الجزائري موشح لصباح فخري = = =
الوافر	سكابا يادموع العين سكابا	موشح لصباح فخري
البسيط	عالروزنا عالروزنا كُلِ الهنا فيها مولاي صلِّ وسلمْ دائماً أبداً	أغنية لفيروز البردة للبوصيري
الرجز والكامل	اللهُ أكبرُ فوقَ كيدِ المعتدي صلّوا عليه وسلّموا تسليما	النشيد الليبـــي نشيد ديني
الهزج ومجزوء الوافر	بلادُ العربِ أوطاني	نشيد قومي معروف

٢ـــ الإيقاع:

كل شعر ــ بل كل كلام ــ يتألف من حروف متحركة وأخرى ساكنة، فإذا ما اقترن الحرف المتحرك بالحرف الساكن ألّفا مقطعاً واحداً طويلاً نحو: قا، لَمْ، في، عن،... إلخ.

وإذا اقترن المتحرك بالمتحرك ألّفا مقطعين قصيرين نحو: لَهُ، بِكَ، ...إلخ.

وبعبارة أخرى فإن الحرف المتحرك يؤلف وحدَهُ مقطعاً قصيراً، ويمكن أن تتتابع الحروف المتحركة فتكوّن كلها مقاطع قصيرة إلى أن يأتي حرف ساكن ليؤلف مع ما قبله مقطعاً طويلاً نحو:

كَتَبَ كَتَبَهَا نُوحِيهَا

تِتِتِ تِتِتِتِكْ تِكْ تِكْ تِكْ

٣ مقاطع قصيرة ٣ مقاطع قصيرة + مقطع طويل ٣ مقاطع طويلة

والإيقاع يقتضي أن نقابل كل حرف متحرك بنقرة وكل حرف ساكن بعدم النّقرة فإذا تتابعت الحروف المتحركة تتابعت النقرات، وإذا جاء الساكن انقطعت، وهكذا يمكن أن تكون التفعيلة: (**فـاعلن**) مقابلة للنقرات تِكْ تِتِكْ. و(**فعولن**) مقابلة للنقرات تِتِكْ تِكْ. (التاء هنا تقابل الحرف المتحرك والكاف تقابل الحرف الساكن)، فإذا أخذنا المثال التالي:

زرنـا يومـاً قومـاً عُرْبـاً قـالوا أهـلاً سـهلاً رحبـاً

وقرأناه ببطءٍ مع الإيقاع وجدنا إيقاعاته أو نقراته على النحو التالي:

زرنا   يوماً   قوماً   عرباً

تك تك   تك تك   تك تك   تك تك

قالوا   أهلاً   سهلاً   رحباً

تك تك   تك تك   تك تك   تك تك

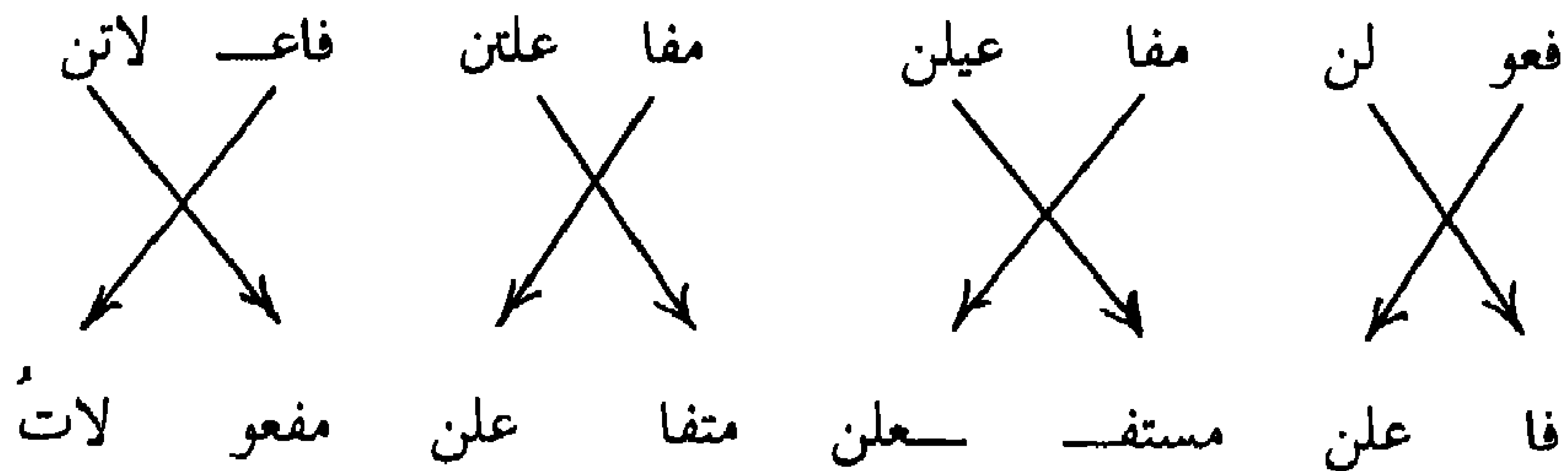
وهو أمر نصنعه بطبيعتنا كلما سمعنا كلاماً موزوناً أو ملحناً، فالحركة تقابلها النقرة والسكون يقابله السكون.

وإذا أخذنا بيتاً آخر:

شــعر نــــــثر علـــــم أدب   قلـــب فكــــــر نــــور أرب

وقرأناه إيقاعاً وجدنا له الإيقاع نفسه مع اختلاف الجزء الأخير مــن كل شطر وهو (أَدَبٌ وأَرَبٌ) فإيقاع كل منهما (تتتكْ تتتكْ) خلافاً لإيقاع سائر البيت ففي كل منهما مقطعان قصيران ومقطع طويل.

وهكذا تختلف الإيقاعات باختلاف التفعيــلات. ومــن المعلــوم أن التفعيلات ثمان: أربعٌ أصولٌ يتفرع عنها أربعٌ فروعٌ، وذلك بقلب الأصول على النحو التالي:



فإذا شفعناها بإيقاعاتها كانت على النحو التالي:

التفعيلة	فعولن	مفاعيلن	مفاعلتن	فاعلاتن
إيقاعها	تتكْ تكْ	تتكْ تكْ تكْ	تتكْ تتتكْ	تكْ تتكْ تكْ
التفعيلة	فاعلن	مستفعلن	متفاعلن	مفعولات
إيقاعها	تكْ تتكْ	تكْ تكْ تتكْ	تتتكْ تتكْ	تكْ تكْ تكْ ت

ولعل من نافلة القول هنا أن نشير إلى أن ما يعتور التفعيلات من تغيرات بالنقصان أو الزيادة، يقابله تغير بقدره في الإيقاع، مثل: فَعُولُ يقابلها: تتكْ تِ. ومَفَاعِلُن يقابلها: تتتكْ تتكْ.. وهكذا. وبذلك لا يقتصر الإيقاع على تقطيع البيت ــ بعد معرفة بحره غناءً ــ وإنما يعين إلى ذلك على تحديد ما اعتراه من جوازات، وما أصابه من علل وزحافات.

مراجع البحث

١ــ إحياء العروض، عز الدين التنوخي، المطبعة الهاشمية بدمشق، ١٣٦٦هـ ــ ١٩٤٦م.

٢ــ الأغاني، الأصفهاني، دار إحياء التراث العربي.

٣ــ الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر بيروت ــ ط٢.

٤ــ سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وزملائه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م.

٥ــ صحيح البخاري، بعناية د. مصطفى البغا، دار القلم، دمشق، ١٩٨١م.

٦ــ الفهرست، ابن النديم، تحقيق رضا تجدّد.

٧ــ المزهر في علوم العربية وأنواعها، السيوطي، بعناية محمد أحمد جاد المولى وزميليه، دار إحياء الكتب العربية.

٨ــ المستشار في العروض وموسيقى الشعر، د. محمد هيثم غرّة، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب دمشق، ط١، ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٥م.

٩ــ معجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت..

١٠ــ نمط صعب ونمط مخيف، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة ودار المدني بجدة، ط١، ١٤١٦هـ ــ ١٩٩٦م.

الحاسوب في خدمة اللغة العربية

الدكتور محمد مراياتي

١ــ مقدمة:

ــ ما هو الحاسوب اليوم؟: الحاسوب متعدد الوسائط.

ــ الترابط وثيق بين اللغة والحاسوب.

ــ الموجة الثالثة: زراعة ــ صناعة ــ معلومات.

إن عملَ أكثرِ من ثلثي اليد العاملة النشطة في الاتحاد الأوربي (١٠٠ مليون نسمة) يتعلق بالمعلومات.

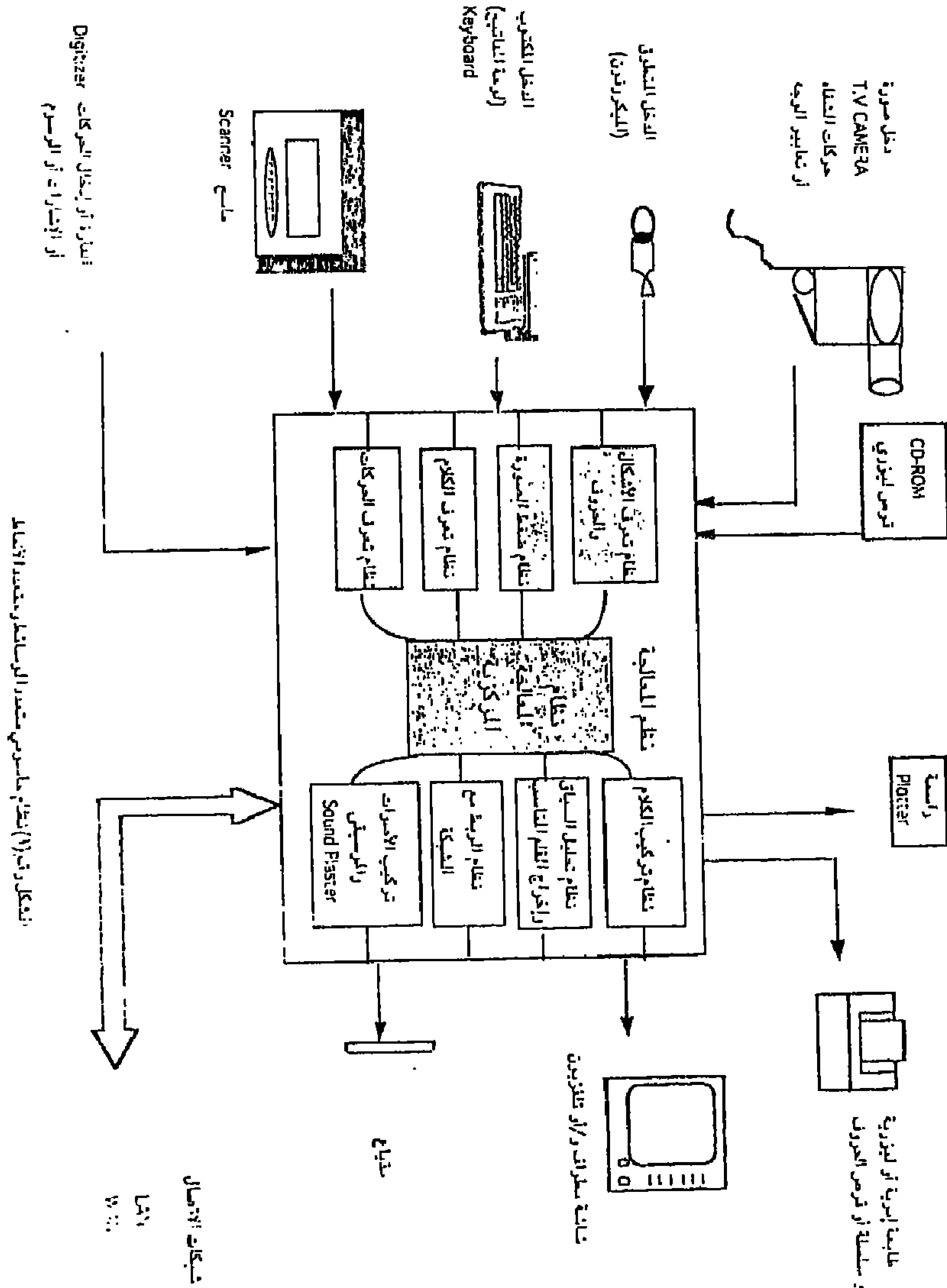
ــ حضارةُ الشاشةِ وأثرُها على اللغات البشرية أهمُّ من أثر الورق ومن أثر الطباعة.

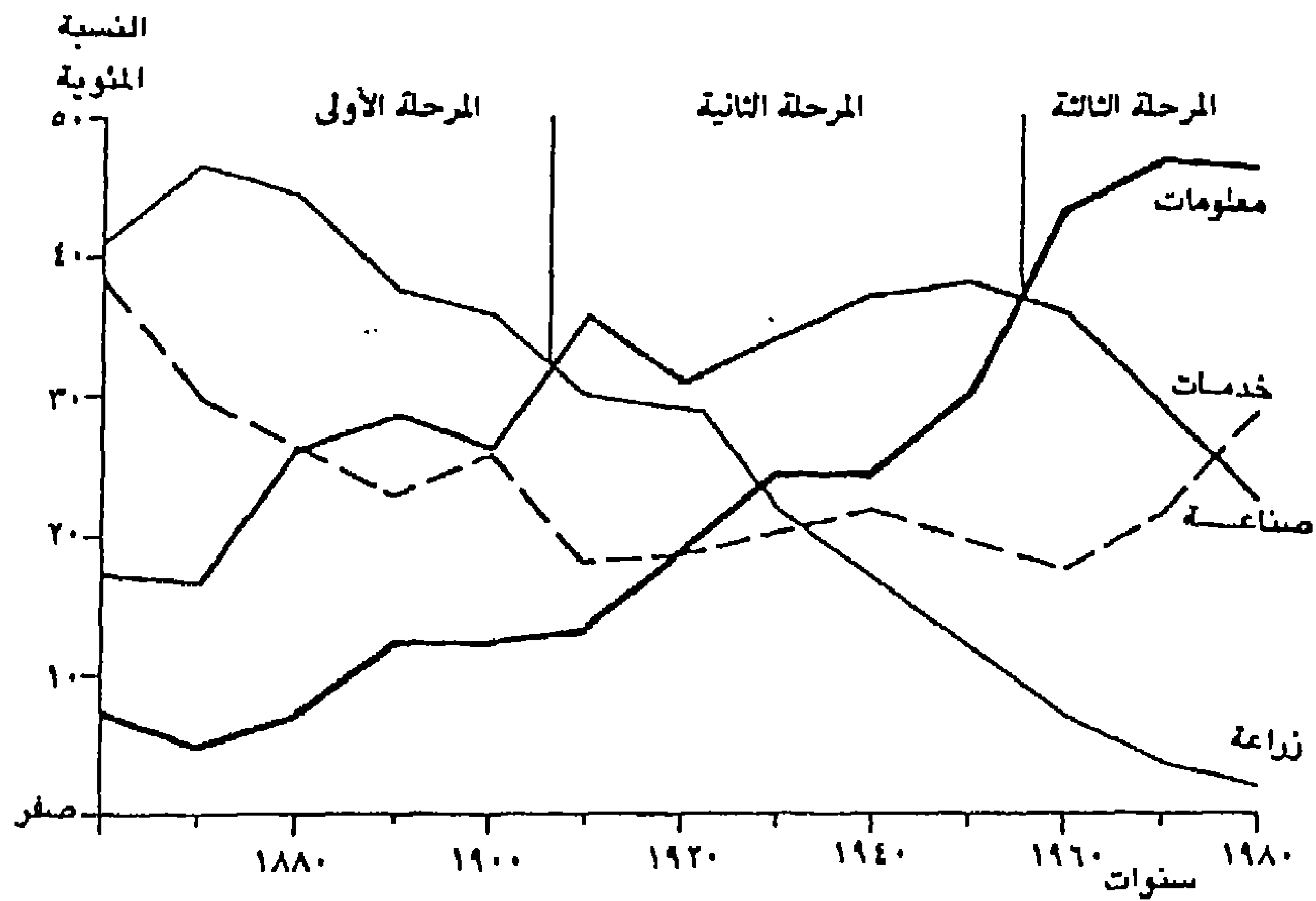
ــ للعربيةِ خصائصُ ومميزاتٌ: خصوصية النظام الصوتي، خصوصية الحرف المكتوب، خاصية الاشتقاقِ الصرفي، المرونة النحوية، اعتماد المعجم على الجذور، الصلة بين المبنى والمعنى، اطراد القياس ...

ــ من المسائل المطروحة: التقييسُ، المصطلحاتُ، تعريبُ البرمجيات، كتابة البرمجيات العربية، خزن المعلومات أو الأرشفةُ الحديثةُ، معالجةُ اللغةِ العربية، الاتصالات باللغة العربية.

ــ إذا لم نطوِّع الحاسوبَ لإدخالِ استعمال اللغة العربيـــة في كــل تطبيقاته فسنضيف إلى التبعية الاقتصادية تبعيةً ثقافيةً تُهمش لغتنا.

ــ من الفرص المتاحة: دخولُ العالم العربي في: الصناعاتِ اللغويـــة، الهندسةِ اللسانية، تقنيةِ (تكنولوجيا) اللغات.





شكل (م: ١) توزيع القوى العاملة الأمريكية على القطاعات المختلفة

٢ـ نظم اللغة والحاسوب:

يتعامل الحاسوب الحالي مع اللغة المنطوقة ومع الحرف المكتوب ومع النص بمستوياته المختلفة.

أ ـ الكلام المنطوق والحاسوب:

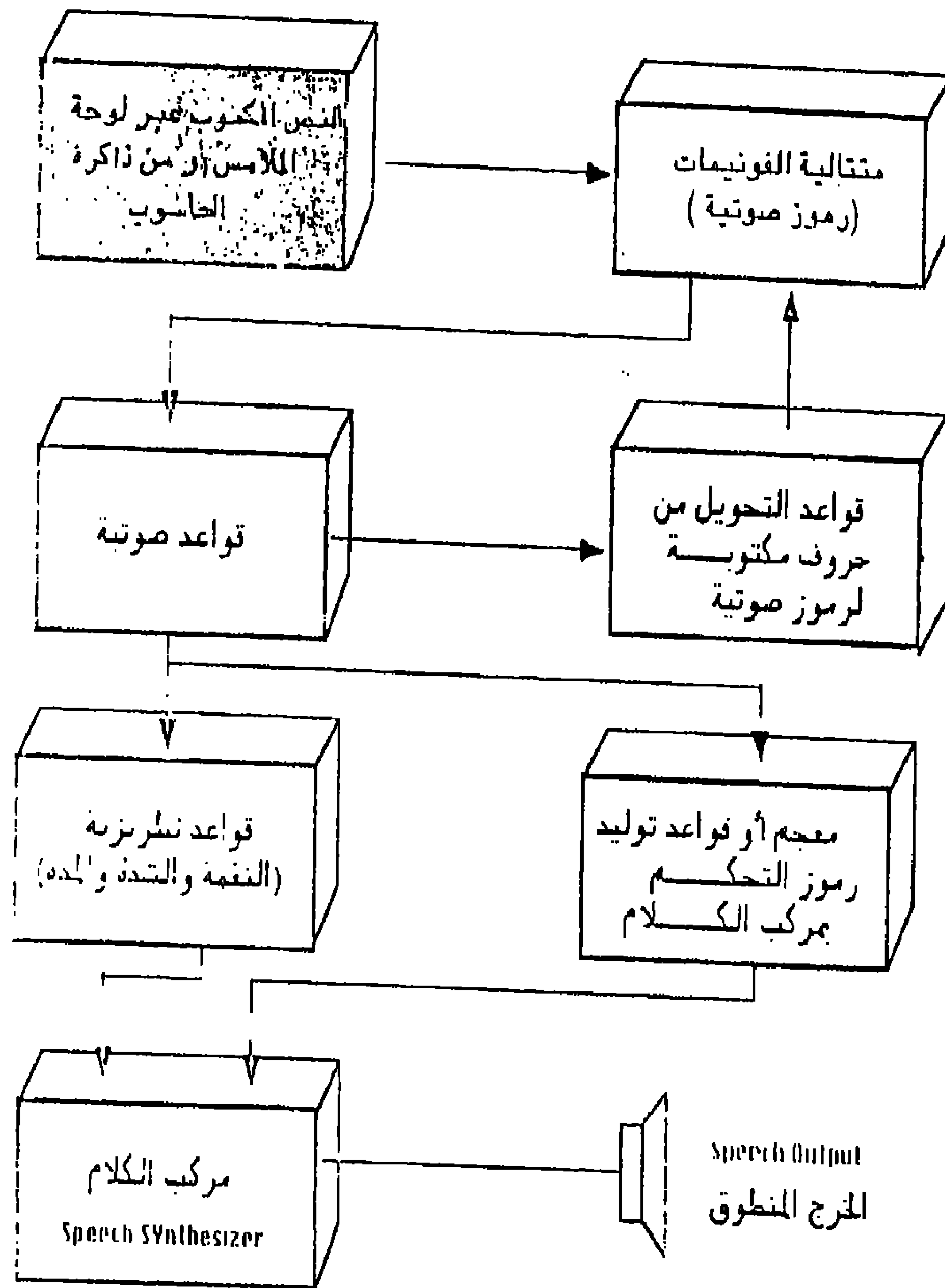
ـ بينت البحوث أنه إذا ما استعمل الصوت لدعم وسيلة اتصال أخرى مع الحاسوب فإن المهمةَ المطروحةَ تُحلُّ في نصف الزمن الذي تتطلبه عادة دونَ مشاركة الصوت.

ـ عملياتُ معالجةِ الصوتِ هي:

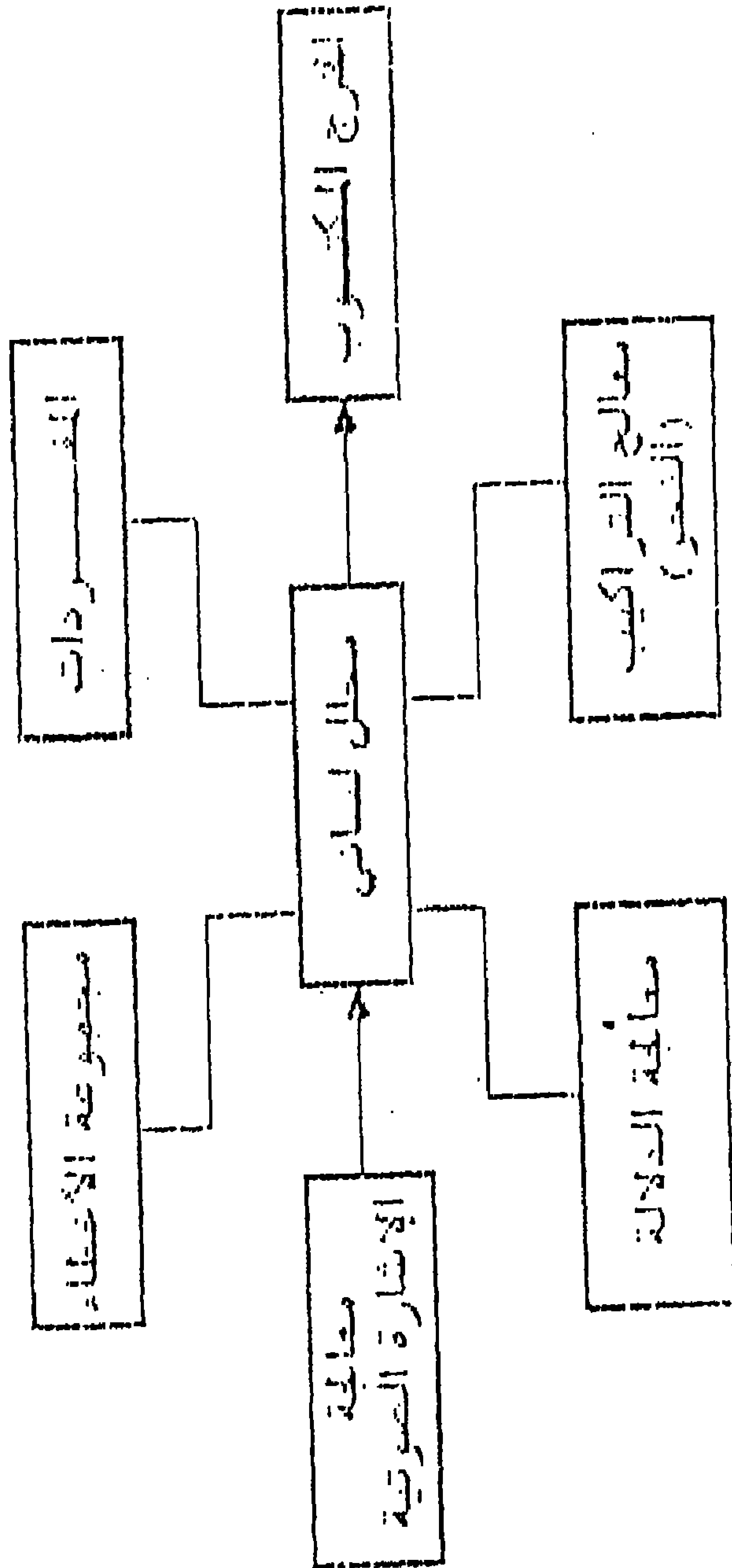
التركيب، التعرف، الفهم.

ــ للغة العربية خصوصيةٌ يجبُ استدراكُها كميّاً لتحقيقِ التواصلِ بين الإنسانِ والحاسوبِ باللغة العربية.

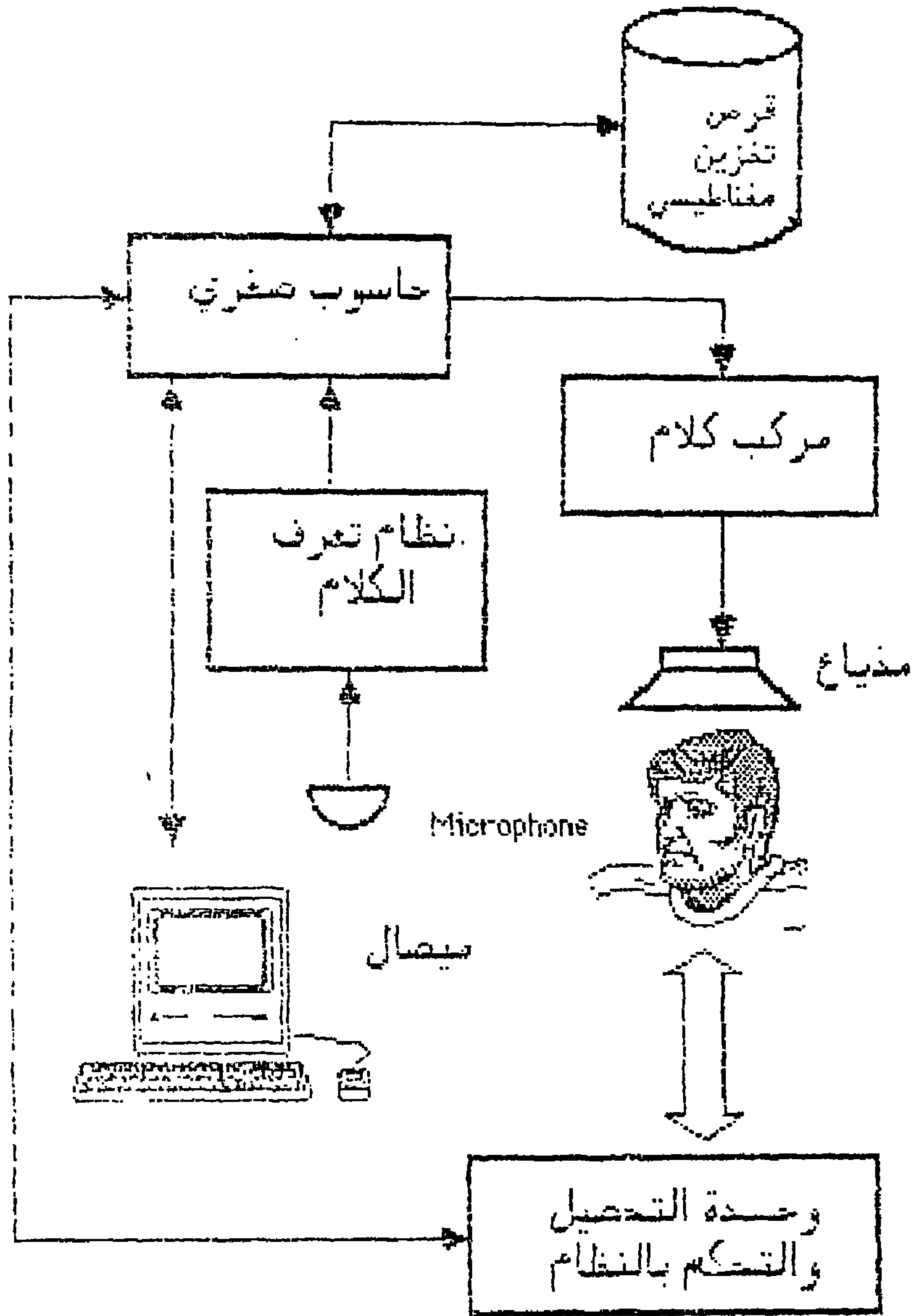
ــ أرشفةُ الصوتِ وحيازةُ المعلوماتِ المنطوقة.



الشكل(٢): مخطط صندوقي لنظام استجابة صوتي
(تحويل نص مكتوب إلى كلام محكي)



مخطط صندوقي مبسط تعرّف الكلام المستمر



مخطط صندوقي لنظام تدريبي تفاعلي
(عن طريق التحادث مع الآلـــة)

ب ــ الحرف العربيُّ والحاسوب:

ــ خصوصيَّة الحروفِ العربية.

عددُها.

أشكالُها حسبَ الموقع.

أبعادُها الفيزيائية.

جهةُ الكتابة.

الخطوط (الأقلام).

ــ التعاملُ مع الحاسوب: الإدخال/ الإخراج.

الترميز.

لوحة المفاتيح.

الخطوطُ والأقلام: المحارف.

تعرُّف الحروف العربية OCR .

محارِف التَّحكُّم.

ــ التعاملُ مع الحاسوب: نقلُ الحرفِ على الشبكات.

انترنت: البريد الإلكتروني.

نقلُ الملفاتِ.

اللغاتُ القياسية SGML, HTML .

تبادلُ المعطيات الإلكتروني EDI .

ــ المطلوب هو تحقيقُ: الإظهارِ الجيدِ. الأمثليةِ في الأداء.

الشفافيةِ. النَقوليةِ. المردودِ الاقتصادي. التقييسِ.

جـ ـ النص المكتوب والحاسوب:

ـ يسعى الباحثون إلى الوصول لقواعد المعرفة اللغوية.

ـ يعالج الحاسوب النص المكتوب على كافة المستويات: المعجمي والصرفي والنحوي والدلالي والمقامي:

المعجم الحاسوبي:

صفاته: ـ يحوي معطيات واسعة (صوتية، صرفية، نحوية، دلالية، تاريخية، إحصائية، المرادفات...).

ـ سهلُ البحثِ والحيازة.

ـ آلي (مثال: محرر النصوص).

ـ تخصصي/ مقامي.

ـ إمكانية وجود الصوت مع الصورة.

ـ الثمن والحجم والوزن.

ـ مساعدة المستعمل.

ـ ...

الإشكالات:

ـ قصورٌ في توحيد المصطلح.

ـ تضمينُ النظامِ الصرفي تحليلاً واشتقاقاً.

ـ عدمُ توفُّرِ معاجمَ حديثةٍ للترادف والتضاد.

ـ عدمُ توفرِ المكانزِ العامة والمتخصصة.

ـ إغفالُ الكلماتِ المركبة.

ـ ...

النظام الصرفي:

ـ تتميز العربية بجملة من الخصائص تجعلها من أكثر اللغاتِ قابليــــةً للمعالجة الآلية بالحاسوب.

ـ يقوم النظام الصرفيُّ بنوعين من المعالجة هما:

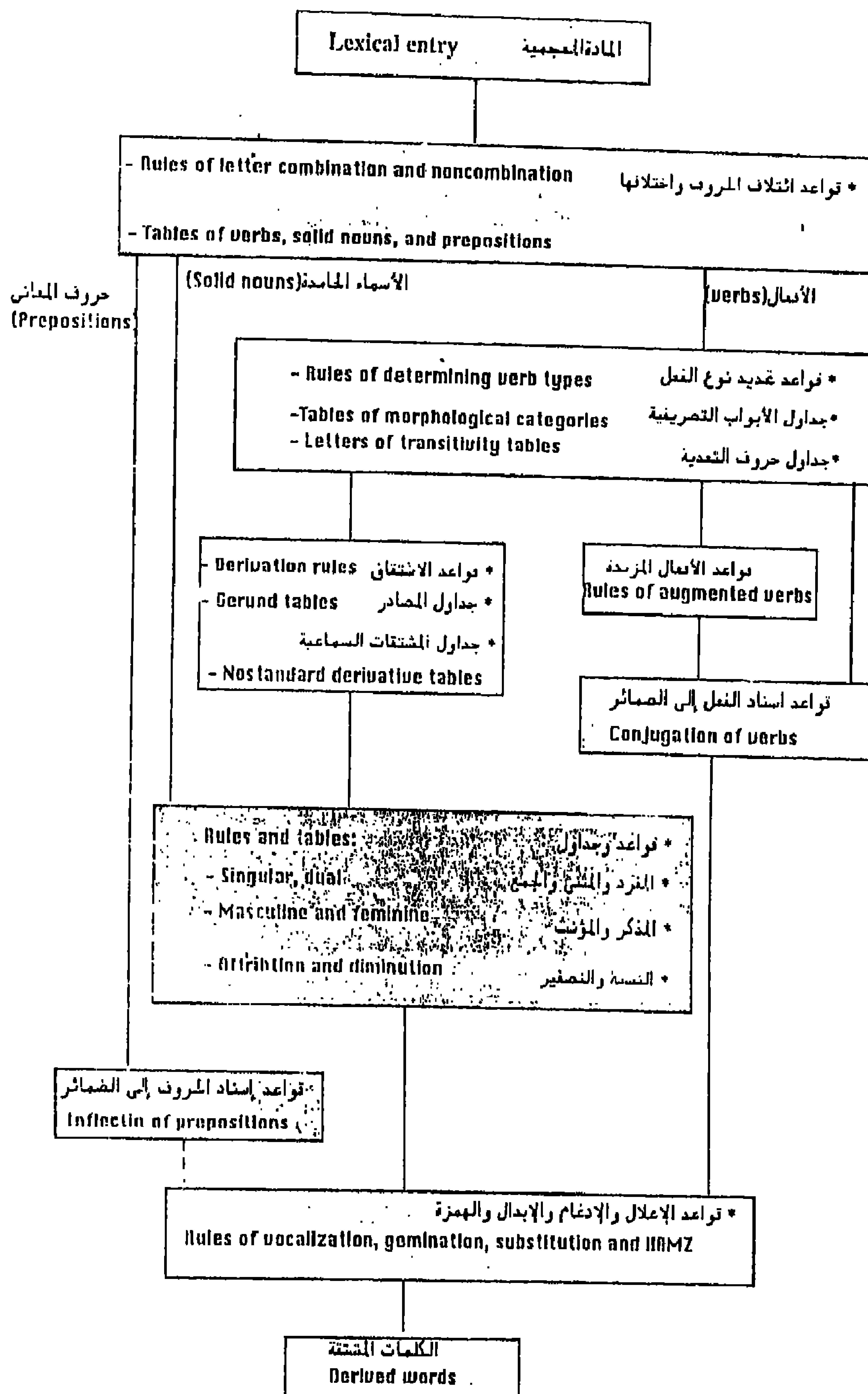
اشتقاقُ الكلمة (جذور ← مشتقات).

تحليلُ الكلمة المشكولة وغيرِ المشكولةِ (المشتقات والمزيدات ← الجذر أو الأصل).

ـ استوعبَ النظامُ جميعَ موادِّ اللغةِ العربية واستغرق أبواب الصــرف العربي القياسية والسماعية والشاذة.

النظام النحوي.

النظام الدلالي.



خوارزمية الاشتقاق باستعمال الحاسوب

٣ـ استخدام الحاسوب في المجالات اللغوية:

١ـ تعليمُ العربيةِ:

توجد نظمٌ حاسوبيةٌ تربويةٌ تستخدم التخاطبَ وتستعمل النص والصوت والصورة.

ـ تتصف هذه النظمُ:

- بتعليمِ وتعلمِ موادٍّ تخصصيةٍ.
- بمستويات مختلفة ومتدرجة (أطفال، غير مختصين، مختصين...).
- بأمثلةٍ كثيرةٍ.
- بوجودِ تداريب وتمارين.
- بتوفيرِ امتحانٍ وتصحيح آلي.
- بإمكانيةِ مشاركةِ الأستاذ.
- بوجودِ النصِّ والصوت والصورة.

ـ أكدت الدراساتَ أن تطويرَ برمجيات تعليميةٍ تدومُ لمدةِ ساعة في قاعة الدرس يستغرق ما بين ٢٠٠ إلى ٣٠٠ ساعة.

ب ـ الترجمة الآلية:

ـ الترجمة الآلية.

ـ الترجمة بمساعدة الحاسوب.

ـ تفاعَل الباحثون في الستينيات في إمكانية تحقيق الترجمة الآلية إلا أنهم وجدوا أن هذا يحتاجُ إلى نظمٍ في غاية التعقيد.

ـ توجدُ عدة نظمٍ عالمية للترجمة الآلية المقامية وللترجمة بمساعدة الحاسوب.

ـ نظم الترجمة من الإنكليزية إلى العربية:

- سيستران.
- المترجم العربي.
- نظام شركة CIMOS .
- ...

ـــ ثمة منظماتٌ عالميةٌ لمتابعة الموضوع
IAMT: International Association for Machine Translation
وتتعاون معها ثلاث منظمات إقليميةٍ هي الآسيوية البسيفيكية PAMT والأمريكية AAMT والأوربيةEAMT ولابد للعالم العربي من التحرك لإقامة اتحاد لهذا الغرض.

جـ ـ التحريرُ والطباعة والنشر:

أكثر التطبيقات انتشاراً في العالم العربي حالياً.

- صفاتها:
- الحامل الإلكتروني.
- السرعة.
- المعجم.
- التدقيق الآلي.
- ماسح الصور.
- الفهرسة الآلية.
- التنضيد الآلي.
- التذييل الآلي.
- الحيازة الآلية.

ـــ تعرف الحرف العربي.

د ـ الأرشفة الإلكترونية:

ـ مجالها: الكتبُ والموسوعاتُ وقواعدُ المعلوماتِ وقواعد المصطلحات.

ـ الحوامل الإلكترونية: مغناطيسية، بصرية، هجينة.

ـ ميزاتها: سَعَةٌ هائلة، تكلفة زهيدة، سهولةُ الحيازةِ والاستعمال، سهولة الخزن، توفير الورق.

ـ التحول العالمي الحالي إلى الرقمية.

ـ السوقُ العربيةُ.

التحويل نحو الرقمية:

- مع عام ٢٠٠٠ ستحول نصف المقتنيات المتداولة في المكتبات الرئيسية في العالم.
- المكتبات ودور النشر بدأت العملية.
- المكتبة الوطنية الفرنسية: مئات محطات العمل الحاسوبية في بنائها الجديد تم تحويل ١١٠ آلاف مجلد للتاريخ والثقافة الفرنسية.
- مكتبة دايت الوطنية اليابانية:
- ١٢٣٦ وثيقة فنية حولت للشكل الرقمي الصوري
- مكتبة الكونغرس: ستكون قد حولت خمسة ملايين كتاب للشكل الرقمي الصوري قبل عام ٢٠٠٠.
- حولت جامعة هارفرد ٨٠ ألف لوحة فنية صورياً بمعدل ألف كل عام.

- وثائق على الانترنت.
- معرض الكتاب العـــالمي في فرانكفـــورت في تشـــرين الثـــاني ١٩٩٧: جزء كبير من المعروضات رقميـــــة.
- حولت مؤسسة ميلون Mellon عشر مجلات في مجال الاقتصـــاد والتاريخ إلى الشكل الرقمي النصي.
- المنشورات الجديدة رقمية حكماً (٦٢ مجلة للـــ IEEE).

فوائد التوجه نحو الشكل الرقمي:

- المحافظة على الأصل.
- سهولة الإعارة والاسترجاع.
- حجم صغير للخزن (من ٣٠ لخزن الكتاب إلى ٢).
- الحيازة الآلية (وثيقة، نص، معلومة . . .).
- إقلال استهلاك الورق.
- سهولة الاقتباس.

٤ـــ الخاتمة:

ــ يجبُ أن يخدِمَ الحاسوبُ اللغة العربية.

ــ هناك مؤسساتٌ وشركات في العالم العربي تعمل في هذه المجـــالات ولكنَّ عددَها لا يتناسب مع أهميةِ الموضوع وبُعدِه الاقتصادي وبُعدِه الثقافي.

ــ المطلوبُ استراتيجيةٌ لرفع سوية استخدام الحاسوب باللغة العربيـــة مع تأمين الوسائل التشريعية والبشرية والمالية والمؤسساتية لذلك.

ــ المطلوب رفعُ مردودِ استعمالِ الحاسوب في المجال العربي.

المعجم الحاسوبيّ للعربيّة

مروان البواب[1]

يتناول هذا المقالُ نُبذةً عن المعجم الحاسوبيّ للعربيّة، وأهمَّ النّقاطِ التي ينبغي مراعاتُها عند إعداده، مِمّا يستدعي التوقّف قليلاً عند مسألة تَجنُّبِ ما على المعجمات من مآخذ. كما يتناولُ المقالُ موجزاً عن إحصاءِ الأفعالِ العربية في المعجم الحاسوبيّ.

أولاً: المعجمُ الحاسوبيّ:

ما هو؟ وما مزاياه؟ وما حاجتُنا إليه؟.

المعجمُ الحاسوبيّ: معجمٌ للغة العربيّة، يعمل بالحواسيب الشخصية، على اختلاف أنواعها، يحتوي على بياناتٍ وجداولَ وقواعدَ تُمكّنه من عرضِ جميع المعارف المعجمية، بسهولةٍ ويسرٍ، كما تُمَكّنُ من إجراء عملياتِ بحثٍ متنوعة. فهو بذلك يلبّي حاجةَ المعلّمين، والمتعلّمين، والمختصّين، وغيرِ المختصّين على حدٍّ سواء.

---

(١) المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا دمشق ص. ب ٣١٩٨٣ هاتف ٥١٢٤٦٣٩ فاكس ٢٢٣٧٧١٠.

وستتبدّى صورةُ هذا المعجمِ وفائدتُه والحاجةُ إليه واضحةً جليّةً لدى تعــرُّفِ مزاياهُ التي أذكرُ منها ما يلي:

١ــ تضمُّنه جميعَ معجماتِ العربيّة قديمها وحديثهـــا، فهـــو بهـــذا «موسوعةٌ معجمية». فإذا طُلِبَ ــ مثلاً ــ من المعجمِ الحاسوبيّ فعلٌ مـــا، أظْهَرَهُ من المعجم الذي يختاره المستثمر؛ كالقاموسِ المحيط أو اللسانِ أو تاجِ العروس أو المعجمِ الوسيطِ أو غيرها...

فهو بذلك يوفّر على الباحثِ الجَهْدَ والزمنَ اللازمَيْن للبحثِ في عددٍ غيرِ قليلٍ من المجلّدات. ويقدّر ذلك حَقَّ قدْرِهِ مَـــنْ يُضطَـــرُّ إلى مراجعـــةِ المعجماتِ مرّاتٍ ومرات.

إضافةً إلى ذلك فإنّ المعجمَ الحاسوبيّ يُغْنِي الباحثَ عن شراء عشرات المجلّداتِ من المعجماتِ المطبوعة، كما يُغْنيه عن مكتبـــةٍ مناســـبةٍ تُوضَـــعُ المجلّدات فيها!!.

٢ــ قدرتُه على تصريفِ الأفعال والأسماء في جميع حالاتِها الصرفيـــةِ والنحوية، فهو يصرّفُ الأفعالَ في صيغة الماضي، وفي صيغة المضارعِ مرفوعةً ومنصوبةً ومجزومةً ومؤكّدةً، وكذلك يصرّفُ فعلَ الأمرِ مؤكّداً وغير مؤكّد. أما الأسماءُ فيصرِّفُها الحاسوبُ في جميع صورِها؛ المثنى والجمـــعِ والمذكـــرِ والمؤنثِ والنسبةِ والتصغيرِ، مُعَرَّفَةً أو مُنَكَّرَةً أو مضافةً، مرفوعةً أو منصوبـــةً أو مجرورة.

٣ــ إيرادُه جميعَ المفرداتِ القياسيّةِ والسماعيّة؛ فما كـــان قياســـيّاً، كاسم الفاعل واسمِ المفعول ومصادرِ الأفعال غير الثلاثية... اعتمد في إيراده على قواعدِ الاشتقاق. وما كان منها سماعيّاً؛ كالأسماء الجـــامدةِ ومصـــادرِ

الأفعالِ الثلاثية... فيوردهُ اعتماداً على الجداولِ والبياناتِ المخزونة فيه.

٤ــ اعتمادُه في عرضِه للمعارفِ اللغويةِ على الوسائلِ الحاسوبيّةِ الحديثةِ المتعددةِ الوسائط، وهي ما يُسمّى بـ (MULTIMEDIA) كالصّوتِ والصورةِ والفيديو، إضافةً إلى التحكمِ بأحجامِ الخطوطِ وأنواعِها وألوانِها.

٥ــ سهولَةُ التعاملِ معه وسرعةُ أدائِه، إضافةً إلى إمكانيّة عملِه على حواسيبَ محمولةٍ، صغيرةِ الحجمِ خفيفةِ الوزن.

٦ــ قدرتُه على التعاملِ مع أنظمةِ معالجة حاسوبيةٍ للغةِ العربيّة، كالتحليلِ الصرفيِّ والنحويِّ والدلاليِّ والصوتيِّ وغيرِها. فجميعُ هذه الأنظمةِ تحتاجُ إلى معجمٍ حاسوبيٍّ يزوّدُها بالمعارفِ اللغويّةِ المطلوبةِ في أثناء المعالجة. ولا يَخفى ما لهذه المعالجة من أهميةٍ تتجلى في التطبيقاتِ العديدةِ المتوخاةِ منها، كالترجمةِ الآليةِ بمساعدة الحاسوب، وتعلّمِ العربيّة وتعليمِها، واكتشافِ أخطاءِ النصوصِ وتصحيحِها، وتعرُّفِ الكلام وتركيبه، والقراءة الآليةِ للنصوص المكتوبة، والكتابة الآليةِ للنصوص المحكّية، وغيرِها وغيرِها...

وبالجملة. المعجمُ الحاسوبيُّ المنشودُ أصبح ضرورةً فرضهـا عصرُ المعلوميّات الذي نعيشُ فيه، كما فرضتْها طبيعةُ المعجمِ العربيِّ من حيثُ مضمونُه وتنظيمُه وتطويرُه وخدمتُه للمستثمرين ولِنُظُمِ المعالجةِ الآلية.

هذا ويَنهضُ المعهدُ العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا في دمشق منذ أمد بإعدادِ معجمٍ حاسوبيٍّ للغة العربيّة، يكونُ شاملاً وافياً دقيقاً، مُتَجَنّباً ما يُؤخذ على المعجمات من العيوب.

ثانياً: نقاطٌ ينبغي مراعاتُها في المعجم الحاسوبيّ:

سأقصرُ الكلامَ هنا على ثلاثِ نقاطٍ فقط، تُمثّلُ نَموذجاً لما ينبغي الأخذُ به عند إعدادِ المعجمِ الحاسوبيّ. ولا يعني ذلك بالضرورة عدمَ تحقّقِها في جميعِ ما بين أيدينا من المعجمات ــ على ما بينها من التفاوت في ذلك ــ وهذه النّقاطُ هي من واقعِ ما عانَيْنَاه في أثناء عملِنَا في إعداد المعجمِ الحاسوبيّ.

النقطة الأولى:

حسمُ أوجه الخلافِ بين المعجمات، واعتمادُ الراجحِ واستبعادُ المَرجوح. وذلك لأنّ طبيعةَ المعجمِ الحاسوبيّ تفرضُ علينا أنْ نُدْخِلَ إليه معطيات كاملةَ التوصيف دقيقةَ التحديد؛ فإذا أدخلنا إلى الحاسوب ــ مثلاً ــ فعلاً، ولَمْ نحدّدْ فيه البابَ الذي يتصرّفُ وَفْقَه؛ (أي حركةَ عَيْنِ الفعلِ في الماضي والمضارع)، فإنّ الحاسوبَ لا يستطيعُ أنْ يعالجَ هذا الفعلَ، ولا أنْ يعرضَ صِيَغَهُ المختلفةَ، وذلك بسبب عدمِ اكتمالِ المعطيات التي تُمَكِّنُه من ذلك. على أنّ الحاسوبَ ليس بِدْعاً في هذا، إذ لا يستطيعُ أحدٌ أنْ يصرّفَ فعلاً ما إذا لَمْ يَعرفْ بابَه، فالنّقصُ في الإعطاءِ يرتكسُ نقصاً في الأخذ.

وهاكُمْ مثالاً نتبيّنُ من خلاله ضرورةَ حسْمِ أوجهِ الخلاف بين المعجمات؛ فالفعل (بَقَرَ) مثلاً، ورد من بابِ (نصرَ ينصُر)، أي: (بقَر يبقُر) في كلٍّ من اللسانِ وديوانِ الأدبِ والمعجمِ الوسيطِ ومتنِ اللغة والمعجمِ المدرسيّ والمعجمِ الأساسيّ. على حينَ وردَ من بابِ (منَع يمنَع) أي: (بقَر يبقَر) في كلٍّ من القاموسِ المحيطِ ومحيطِ المحيطِ. أمّا تاجُ العروس فقد نقلَ

عبارةَ القاموس (كمنَعه) وقال: (يبقُرُه)، أي أنّه نقلَ من القاموسِ المحيط الفعلَ من بابِ (منَع يمنَع)، ثم عزاهُ إلى باب (نصَر ينصُر) دون الإشارة إلى ذلك. كما أوْرَدَ متنُ اللغةِ الفعلَ من بابِ (نصَر ينصُر) إلاّ أنّهُ أشار إلى أنّ القاموسَ المحيطَ أورده من بابِ (منَع يمنَع). أمّا العينُ وجمهرةُ اللغةِ ومجملُ اللغةِ والصحاحُ وأساسُ البلاغة وتَهذيبُ اللغةِ وكتابُ الأفعالِ للسرَقُسْطي وكتابُ الأفعالِ لابنِ القَطّاع، فقد أوردتْ الفعلَ (بَقَرَ) في صيغةِ الماضي فقط، وهذا غيرُ كافٍ لتحديد بابِ الفعل.

على أنّ إيرادَ الفعل (بَقَرَ) من بابِ (نصَر ينصُر) في بعضِ المعجمات، ومن بابِ (منَع يمنَع) في معجمات أخرى، لا يعني إمكانيةَ تصرُّفِ الفعلِ من هذين البابَيْن كليهما، وذلك لأنّ أيّاً من هذه المعجماتِ لم يصرِّحْ بأنّ الفعلَ يتصرّفُ من بابَيْ (نصر) و(منع) معاً.

والذي نُرَجِّحُهُ أنْ يتصرفَ الفعلُ (بَقَرَ) من باب (نصَر ينصُر)، لأنّ ما يتصرّفُ من بابِ (منَع يمنَع) يجب أن يكونَ عينُه أو لامُه حرفاً حلقياً. وهذا غيرُ محقّق في (بَقَرَ).

النقطة الثانية:

الاستغراق: ولهذا الاستغراقِ عدةُ صور:

منها: أنْ يستغرقَ المعجمُ الحاسوبيُّ جميعَ موادِّ العربيّة. وأن يُضَمَّنَ كلَّ ما دخلَ العربيّة واكتسبَ خصائصَها ووُزِنَ بأوزانِها، كالكلماتِ التي أقرّتْها مجامعُ اللغةِ العربيّة، مثل: بَسْتَرَ وكَهْرَبَ وقَوْلَبَ وغيرِها.

ومنها: أن يستغرقَ ــ في أثناءِ شرحِ المفردات ــ الشواهدَ والأمثلةَ

التي وردتْ في المعجمات القديمة والحديثة، إضافةً إلى أمثلة أخرى من روائع البيان ممّا ورد في كتب الأدب، وذلك حتى يقفَ القارئُ على الاستعمال الفصيح لها، ويُعاينَ وجوهَها المختلفة، وينعَمَ بفيءِ ظلالِها فيرتقيَ بأسلوبه ليحاكيَ الفصيحَ المُبين.

ومنها: استيعابُ التراكيبِ اللغويّة والعباراتِ الاصطلاحية وشرحُها، فكلمةُ (يد) ـــ مثلاً ـــ لها في مواقعها دلالاتٌ عديدة؛ كيد الإحسان، ويد القدرة، ويد أمينة، ويد بيضاء، ومُطْلَق اليد، وباعَهُ يداً بيد، ولَهُ عندي يَدٌ، وأخَذَ بهم يَدَ البحر، وهذا مُلْكُ يَده، ولا أفْعَلُهُ يَدَ الدهر، والأمرُ بيَدِ الله، وسُقِطَ في يَدِه، و حتّى يُعْطُوا الجزْيَةَ عَنْ يدٍ وهُمْ صَاغِرُون و «اليدُ العليا خيرٌ من اليدِ السّفلى»، وتفرّقوا أياديَ سبأ، وغيرِها وغيرِها...

النقطة الثالثة :

تحديدُ المعارفِ الصرفيةِ والنحويةِ والدلالية، وعدمُ تركِ ذلك لبديهة القرّاء، إذ إنّهم ليسوا في مستوىً علميّ واحد، ثمّ إنّ هذا المعجمَ الحاسوبيّ مرجعٌ لغويٌّ يجب أن يحتويَ على جميعِ المعارفِ اللغويّةِ دقّها وجلّها.

من ذلك مثلاً: الإشارةُ إلى ما يدلُّ على لزوم الفعلِ أو تعديتِه بنفسه أو بحرف، أو تعديتِه إلى مفعولٍ واحد أو إلى مفعولَيْنِ أو إلى ثلاثة.

ومن ذلك أيضاً: تحديدُ بابِ تصريفِ الأفعالِ المُضعّفة، نحو: (بَرَّ يَبَرُّ). أهو من بابِ (مَنَع يمنَع) أم من بابِ (عَلِم يعلَم)؟.

ومن ذلك أيضاً: تحديدُ نوع الكلمة؛ كالتذكير والتأنيث، والجمودِ والاشتقاق، والاسمِ والمصدر، والصفةِ والموصوف، والممنوعِ من الصرف.

ويتْبعُ ذلك أيضاً: ذِكْرُ اسمِ المشتق؛ كالاسم المنقولِ عن المصدر، والاسم المنقولِ عن الوصفيّة. كما يتْبعُ ذلك أيضاً تحديدُ نوعِ الكلمةِ الصرفيّ؛ فصيغةُ (فَعِل) كحَذِرٍ ومَرِحٍ وقَلِق، وصيغة (فَعِيل) كجميل وكريم وكبير، وصيغةُ (فَعُول) كفخور وشكور وصبور، كلُّها من صيغِ مبالغةِ اسمِ الفاعل، ومن صيغِ الصفات المشبهةِ معاً .

ومن ذلك أيضاً: تحديدُ جموعِ التصحيحِ والتكسيرِ لكلٍّ من الأسماء والصفات، والإشارةُ إلى القياسيِّ منها والسماعيِّ والشاذّ، وكذلك تحديدُ معاني الجموع، ففي **جمع** (قُوّة) نقول: **القُوى** العقليّة **والقُوى** الخفيّة، ونقول أيضاً: **القوات** المسلّحة. وفي **جمع** (دار) نقول: حماةَ **الدّيار**، ونقول أيضاً: **دُورُ** المعلمين.

ومن ذلك أيضاً: تحديدُ المعاني الأساسية للكلمة وترقيمُها، ففي ذلك تَجَنُّبٌ للاستطرادِ والتكرار، أمّا المعاني الفرعيّةُ ضِمنَ المعنى الأساسيّ، فتُوسمُ بحروف الأبجدية مثلاً.

ومن ذلك أيضاً: التنبيهُ على خصوصياتٍ تختصُّ بها بعضُ الكلمات، كالأفعالِ التي لا تردُ إلا بصيغة المبني للمجهول، نحو: جُنَّ وامتُقِع، والأفعالِ الناقصَة التصرُّف، نحو: يذَرُ، ويَدَعُ.

ومن ذلك أيضاً: التنبيهُ على الاستعمالِ الصحيحِ للكلمة، ففي أصوات الحيوانات مثلاً، هناك الصياحُ والنباحُ والمواءُ والخُوارُ والهَديلُ والسَّقسقةُ والنقيقُ والنعيقُ إلخ ...فهذه الأصواتُ وغيرُها ممّا يندرجُ في صِنْفِها تُشْفَعُ بأسماء الحيوانات، وتُصنَعُ على شكلِ جدولٍ يضافُ إليه – حسب الطلب – أسماءُ صغارِ هذه الحيوانات، وأسماءُ أنثاها، وأسماءُ بيوتها،

وغيْرُ ذلك. ثمّ يُخزّن هذا الجدول في الحاسوب، ليغرضَه عند طلب أي كلمة منها. ومِثلُ الأصواتِ: الألوانُ والأوصافُ والأحوالُ والهيئاتُ وغيرُها... مما يصعُبُ استقصاؤهُ والتمثيلُ له. ولكنّي سأكتفي بثلاثةِ أمثلةٍ صغيرةٍ على ذلك:

المثال الأول: (الأبيضان) كلمةٌ لها معانٍ عديدة، كاللبنِ والماء، أو الماءِ والحنطة، أو الشحمِ والشباب، أو غيرِها... فتُجمع هذه المعاني في جدولٍ ويضافُ إليها مفرداتٌ قد تتبادر إلى الذهن، نحو: الأسودان، والأحمران، والأزهران، والأصفران، وهكذا...

المثال الثاني: (البيضة) كلمةٌ لها معانٍ متغايرة، ولكنّها إذا أضيفتْ إلى كلماتٍ أخرى أصبح لهذا التركيب معنىً جديدٌ، كبيضةِ الإسلام، وبيضةِ البلد، وبيضةِ الخِدْر، وبيضةِ الديك، وبيضةِ النهار، وغيْرِها...

المثال الثالث: كلمة (الشجّة) تعني الجرح – كما هو معلوم – ولكنها إذا وُصِفتْ اكتسبتْ بهذا الوصفِ معنىً محدداً متدرجاً، يبدأ بالشجة الحارصة؛ وهي التي تشق الجلد قليلاً، وينتهي بالشجة الدامغة؛ وهي التي تبلغُ الدماغ فتقتلُ لوقتها، وبينهما: الباضعة، والدامية، والدامعة، والمتلاحمة، والسمحاق، والموضحة، والهاشمة، والمنقّلة، والآمّة.

فطريقة الجداول تفيد في أنّها تَجْمعُ ماتفرّق، وتقرّبُ ماتباعد، وتضعُه في مرأى العين. وهذه الطريقةُ لايمكن تطبيقها على المعجمات المطبوعة، لأنّ طباعةَ الجدولِ عند كلِّ مفردةٍ من مفرداتِه يزيدُ حجم المعجم أضعافاً مضاعفة. كما أنّ طباعة الجدولِ مرةً واحدةً والإحالة عليه، تعني إرهاق الباحث في الرجوع إلى الموضع المحدد مرّاتٍ ومرّات، وخاصّة إذا كان

المعجم موزعاً على عدد من المجلّدات. على حينَ أنّ الحاسوبَ يخزنُ الجدول مرةً واحدة، ويعرضه للمستثمر في كل مرّة. فلا زيادةَ ولا إحالةَ بلْ كـــلُّ شيءٍ في متناولِ اليد.

ثالثاً: إحصاءُ الأفعال في المعجم الحاسوبيّ:

تتناولُ هذه الفقْرةُ عرضاً موجزاً لإحصاء الأفعـــال الـــتي وردت في المعجم الحاسوبيّ، وهذا الإحصاءُ هو الْحَلَقَةُ الأولى من سلســـلة حَلَقَـــات تتناولُ إحصائيات المعجمِ الحاسوبيّ، ويليها إحصاءٌ للمصـــادر، وللأسمـــاء، وللجموع، وللجذور، وهكذا... ولقد كنّا أصدرنا إحصاءَ الأفعـــالِ علـــى صورتَيْن؛ طُبعتِ الأولى ضمن منشوراتِ مكتبة لبنان عامَ ســـتةٍ وتســـعين ١٩٩٦، وصدرتِ الثانيةُ في صورة برنامجٍ حاسوبيٍّ يعملُ على الحواســـيبِ الشخصية، يحوي كلٌّ منهما عشراتِ الجداولِ والقوائم، اســـتغرقتْ جميـــعَ أنواع الأفعال وتقسيماتِها، فهو بذلك يفيدُ كلاً من اللغويين والمعلوماتيين في بحوثهم ودراساتِهم.

وقد جرى تناولُ الأفعالِ الثلاثيّة أولاً، ثم الرباعيّة، وقُدِّمتْ الأفعـــالُ المجرَّدةُ على المزيدةِ في كليهما. ففي الأفعالِ الثلاثية المجردة نجد عُروضاً مختلفةً لها:

منها: جداولُ الأفعالِ الثلاثية وَفْقَ حرفِها الأول، ووفق حرفِها الثاني، ووفق حرفِها الثالث. وبذلك يُسْتطاعُ الحصولُ على الأفعالِ الثلاثية التي تبدأُ أو تنتهي بحرفٍ محدّد، أو التي يتوسّطُها حرفٌ محدّد.

ومنها: جداولُ الأفعالِ الثلاثية وَفْقَ أنواعِها الصرفية، وهي: الصحيحُ

بأنواعِه: السالمُ والمضعّفُ والمهموز، والمعتلُّ بأنواعِه: المثالُ والأجوفُ والناقصُ، ثم اللفيفُ المفروقُ والمقرونُ.

ومنها: جداولُ الأفعالِ الثلاثية وَفْقَ أبوابِ تصريفِها، إذ نجدُ جدولاً بالأفعال التي تتصرّفُ من باب (نصَر ينصُر)، ثم جدولاً بالأفعال التي تتصرّفُ من باب (ضرَب يَضرِب)، ثم جدولاً بالأفعال التي تتصرف من باب (منَع يمنَع)، وهكذا...

أمّا في الأفعالِ الثلاثية المزيدة فإننا نجدُ ألواناً أخرى من العُروض:

منها: جدولُ الأفعالِ الثلاثية المزيدة وَفْقَ حرفها الأول. فقد رُتِّبتْ جذور الأفعال هجائياً، وذُكِرَ إلى جانب كلٍّ منها ما ورد من الأفعالِ الثلاثية المزيدة المتعلقة بها من بين الأوزان الاثْنَيْ عَشَر.

ومنها جداولُ الأفعالِ الثلاثية المزيدة وَفْق أوزانها، فهناك جدولٌ بالأفعال على وزن (**أَفْعَلَ**)، ثم على وزن (**فَعَّلَ**)،ثم على وزن (**فَاعَلَ**)، ثم على وزن (**انْفَعَلَ**)، وهكذا...

ومنها: جدولٌ بالأفعال الثلاثيةِ المزيدةِ التي لا مُجرَّدَ لَها، وآخرُ بالأفعال الثلاثيةِ المجرَّدَة التي لا مزيدَ لَها.

وتَضَمَّنَ قسمُ الأفعال الرباعيةِ عروضاً مشابِهةً لِما ورد في الأفعال الثلاثية.

أهم النتائج الإحصائية:

لقد كشفَ هذا الإحصاءُ عن نتائجَ مهمة، أثبتَ معظمُها صوابَ ما قرّرهُ علماء العربيّة في دراستِهم للأفعال على قصورِ أدواتِهم آنذاك، من ذلك

مثلاً ما جاء في شرح شافيةِ ابنِ الحاجب (١/ ١١٤)، وكتابِ الأفعالِ للسرقسطي (١/ ١١)، والمزهرِ للسيوطي (٢/ ٩٢)، من أنّه ليس في كلام العرب (**فَعَلَ يَفْعَلُ**) بفتحِ الماضي والمستقبلِ مما ليس عَيْنُهُ ولا لامُه حرفَ حلْق إلا فعلٌ واحدٌ لا خلاف فيه، وهو (أَبَى يأبَى)، وأربعةَ عَشَرَ فعلاً باختلافٍ فيها. وهو عَيْنُ ما أثبتَهُ الإحصاء.

كما نبّهَ هذا الإحصاءُ على أحكامٍ غيرِ دقيقةٍ أو غيرِ صائبة وردتْ في كتب اللغة، من ذلك مثلاً ما أوردهُ صاحبُ لسانِ العرب في مادة (**نكح**)، قال: «وليس في الكلام (**فَعَلَ يَفْعَلُ**) مما لامُ الفعل منه حاءٌ **إلا يَنْكَحُ ويَنْطَحِ ويَمْنِح ويَنْضِح ويَنْبِح ويَرْجِح ويَأْنِح ويَأْزِح ويَمْلِح**» (انتهى كلام صاحب اللسان). وقد استدرك عليه الناشرُ في الحاشية، فقال: [قولُـه: «وليس في الكلام (**فَعَلَ يَفْعَلُ**) إلخ...»، الحصرُ إضافيٌّ وإلا فقد فاتَه: يَنْتِح ويَنْزِح ويَصْمِح ويَجْنِح ويأْمِح](انتهى كلام صاحب الحاشية). على حينَ أظهر إحصاؤنا وجودَ تسعة وثلاثينَ (٣٩) فعلاً من بابِ (**فَعَلَ يَفْعَلُ**) ممّا لامُه حاءٌ، وهي الأربعةَ عَشَرَ التي وردت آنفاً إضافة إلى الأفعال الخمسة والعشرينَ التالية: **يَئِحّ، ويَتِيح، ويَجِيح، ويَزِيح، ويَسِحّ، ويَسِيح، ويَشِحّ، ويَشِيح، ويَصِحّ، ويَصِيح، ويَضِيح، ويَطِيح، ويَفِحّ، ويَفِيح، ويَقِيح، ويَلِحّ، ويَمِحّ، ويَنِحّ، ويَنِيح، ويَتِح، ويَضِح، ويَطِح، ويَقِح، ويَكِح، ويَلِح.**

النتائج الإحصائية للأفعال الثلاثية:

١ـ بلغَ عددُ الأفعال في هذا الإحصاءِ قرابةَ أربعة وعشرينَ ألفَ (٢٤٠٠٠) فعلٍ، خمسةٌ وسبعونَ بالمئةِ (٧٥٪) منها، أفعالٌ ثلاثية، وخمسةٌ

وعشرونَ بالمئة (٢٥٪) منها، أفعالٌ رباعية. وقد اشتُقَّتْ هذه الأفعالُ من نحوِ سبعةِ آلاف (٧٠٠٠) جذر.

٢ــ أكثرُ من ثمانينَ بالمئة (٨٠٪) من الأفعال الثلاثية، لها أفعالٌ مزيدة، وهذا يؤكّدُ خاصيّةَ الاشتقاقِ في الموادِّ الثلاثية، أمّا الأفعالُ الثلاثيةُ التي لا مزيدَ لَها فقد قاربَ عددُها تسعمئةَ (٩٠٠) فعل، نحو: بخّ، بصم، جأر، جأش، حدأ، درز، دسر، رفس، شحب، شطح، شهق، صدح، عبث، فتأ، لضم، مرت، مسد، نخز، نزغ، نعق، نفث، نمّ، هرس، هلع، وجم، وخز.

وبالمقابل، هناك أكثرُ من خمسمئة (٥٠٠) جذرٍ، وردتْ منها أفعالٌ ثلاثية مزيدة، ولم يردْ منها أفعالٌ مجرَّدة. وقد تفاوتَ عددُ المزيداتِ المستعملة من هذه الجذور، من مزيدٍ واحدٍ إلى سبعةِ مزيدات؛ فمن أمثلةِ المزيدِ الواحد: (وبّخ) ولم يردْ (وَبَخَ)، ومن أمثلةِ المزيدَيْنِ: (أنمط، نَمّط) ولم يردْ (نَمَطَ)، ومن أمثلة المزيداتِ الستة: (أدرك، درّك، دارك، ادّرك، تدارك، استدرك) ولم يردْ (دَرَكَ)، وهكذا...

٣ــ أكثرُ من ستينَ بالمئة (٦٠٪) من الأفعال الثلاثيةِ تتصرّفُ من بابٍ واحد، ولم يردْ في العربيّةِ فعلٌ تصرّفَ من جميعِ الأبوابِ الستة، كما لم يردْ سوى فعلَيْنِ تصرّفَا من خمسةِ أبواب، هما: (**دخن ١_٥ وقنط**). على حينَ وردَ أكثرُ من خمسين فعلاً تصرَّفَتْ من أربعةِ أبواب، نحو: (**حسب ١٦٥٤، حصر، رضع، زعم، عثر، عرف، فرغ، قبل، نحت**).

٤ــ جميعُ الأفعالِ الثلاثيةِ كانت لازمةً، أو متعديةً، أو مشتركةً في اللزوم والتعدية، ما خلا الأفعالَ التي تتصرفُ من باب (كرُم يكرُم)،

فجميعها أفعالٌ لازمة، وكذلك جميعُ الأفعالِ الثلاثيةِ المزيـــدةِ علـــى وزن: (**انفعل، وافعلّ، وافعالّ**)، كانت أفعالاً لازمة. وهذا مما سبقَ إليه الأقدمون ونبّهوا عليه.

٥ــ أكثرُ من تسعينَ بالمئة (٩٠٪) من الأفعال الثلاثية المعتلّة الفـــاء هي من نوع المثالِ الواويّ، وأقلُّ من عَشَرَةٍ بالمئة (١٠٪) من نوعِ المثـــال اليائيّ. في حينِ يُوجدُ تقاربٌ كبيرٌ بين الأجوفِ الواويّ واليائيّ، وكذلـــك بين الناقصِ الواويّ واليائيّ.

٦ــ لَمْ يردْ في العربيّة فعلٌ ثلاثيٌّ فاؤه وعينُه من جنسٍ واحد.

٧ــ امتازتْ الهمزةُ بأنّها لم تقعْ متتابعةً في الموقعين الأول والثاني من الفعل، ولا في الموقعين الثاني والثالث من الفعل. وهناك خمسةُ أفعالٍ فقـــط وقعت فيها الهمزةُ طرفَيْنِ، وهي: (**أبأ، أثأ، أجأ، أزأ، أكأ**). وأمّا الواوُ والياءُ فلم يتتابعا في الموقعين الأولِ والثاني، وقد تتابعا في الموقعين الثاني والثالثِ في خمسةِ أفعالٍ، جذورُها هي: (**حوو، سوو، غوو، حيي، عيي**).

٨ ــ قرابةُ ثلاثةِ أرباعِ الأفعال الثلاثيةِ جاءت من نـــوع الأفعـــالِ الصحيحة، وجُلُّ هذا الصحيح من نوعِ السالم، إذ بلغتِ النســـبةُ المئويـــة للسالم قرابة ستينَ بالمئة (٦٠٪).

٩ــ بلغ وسطيُّ عددِ الأفعال الثلاثيةِ المزيدةِ المشتقة من كلِّ جـــذرٍ ثلاثةَ أفعال.

١٠ــ نحوُ نصفِ الأفعال الثلاثية المزيدة كان من نوعِ المزيدِ بحـــرفٍ واحد. وأكثرُ تلك المزيداتِ دوراناً وزنُ (**أفعل**) إذ تجاوزتْ أفعالُهُ خُمُـــسَ هذه المزيدات.

النتائج الإحصائية للأفعال الرباعية:

١ـ بلغ عددُ الأفعال الرباعيةِ قرابةَ ألفيْن وثلاثمئة (٢٣٠٠) فعـل. أكثرُ من ستينَ بالمئة (٦٠٪) منها، أفعالٌ مجردة، وما تبقّى أفعالٌ مزيدة.

٢ـ أكثرُ من نصفِ الأفعال الرباعيةِ المجرّدة لَمْ يردْ لَها مزيد،وذلـك خلافاً لما وجدناهُ في الأفعالِ الثلاثية، وقد ناهزتْ هذه الأفعالُ الرباعيةُ الـتي لا مزيدَ لها ألفَ (١٠٠٠) فعلٍ، نحو: بسمل، تأتأ، ترجم، ثرثـر، حملـق، حوقل، دندن، شعوذ، طلسم، طنطن، عربد، عسـكر، قهقـه، مخـرق، وسوس.

وبالمقابل هناك أكثرُ من ثلاثمئة (٣٠٠) جذرٍ رباعي، وردتْ منهـا أفعالٌ رباعية مزيدة، و لم يردْ منها أفعالٌ مجرّدة. وقد تفاوتَ عددُ المزيـدات المستعملة من هذه الجذور، من مزيدٍ واحد إلى ثلاثة مزيدات، فمن أمثلـة المزيدِ الواحد: (ادْلَهَمّ، تعجرف، احبنطأ)، ومن أمثلة المزيديْـن: (تَبَذْعَـرَ، ابْذَعَرّ)، أما ثلاثةُ المزيدات فلمْ يردْ منها سوى (تَحَبْجَرَ، احْبَنْجَرَ، احْبَجَرّ).

٣ـ الكثرةُ الكاثرةُ من الأفعال الرباعيةِ المزيدةِ لازمـةٌ، فقـد زادتْ نسبةُ اللازم على تسعينَ بالمئة (٩٠٪)، خلافاً للأفعال الرباعيةِ المجـرّدة، إذ قاربت نسبةُ اللازم منها نسبةَ المتعدي.

٤ـ لم يردْ في العربيّة فعلٌ رباعيٌّ مجردٌ أولُه همزة.

٥ـ بلغتِ الأفعال الرباعيةُ المجردةُ الصحيحةُ ثمانيةَ أضعافِ مثيلاتهـا المعتلةِ. وغالبيةُ هذه الأفعالِ الصحيحةِ من نوعِ السالم.

٦ـ بلغَ وسطيٌّ عددِ الأفعالِ الرباعيةِ المزيدةِ المشتقة من كل جـذر فعلاً واحداً.

٧ــ أكثرُ من ستينَ بالمئة (٦٠٪) من الأفعال الرباعيةِ المزيدةِ كان على وزن (تَفَعْلَلَ).

المراجع :

- [**إحصاء الأفعال العربية في المعجم الحاسوبي**].

مروان البواب، د. محمد مراياتي، د. يحيى ميرعلم، د. محمد حسان الطيان مكتبة لبنان، ١٩٩٦.

- [**المعجم الحاسوبي في نظام خبير للغة العربية**].

د. محمد مراياتي، مروان البواب، د. يحيى ميرعلم، د. محمد حسان الطيان المؤتمر العلمي الأول حول الكتابة العلمية باللغة العربية، بنغازي، ١٩٩٠.

-[**أسلوب معالجة اللغة العربية في المعلوماتية (الكلمة - الجملة)**].

مروان البواب، د. محمد حسان الطيان.

أحد فصول كتاب (**استخدام اللغة العربية في المعلوماتية**) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٩٦.

-[**التعريب والحاسوب**].

د. محمد مراياتي، د. محمد حسان الطيان، مروان البواب.

مجلة المعلوماتي، الأعداد: (٥٥)، و(٥٦)، و(٥٧)، لعام ١٩٩٧.

-[**اللغة العربية والحاسوب**] د. نبيل علي. دار تعريب للنشر، ١٩٨٨.

-**وقائع محاضرات:**

* ندوة التعريب والحاسوب، دمشق، ١٩٩٦.

* مؤتمر الكويت الأول للحاسوب، الكويت، ١٩٨٩.

* المؤتمر الثاني حول اللغويات الحاسوبية، الكويت، ١٩٨٩.

* المدرسة العربية للعلوم والتكنولوجيا حول تقنية المعلومات وتطبيقاتها، دمشق، ١٩٩٢

* المؤتمر والمعرض العالمي الثالث للحاسوب المتعدد اللغات، دَرَم، ١٩٩٢.

* المؤتمر الثاني للغة العربية والتقنيات المعلوماتية، الدار البيضاء، ١٩٩٢.

مشكلة الأداء في اللغة العربية
أسباب الضعف ووسائل العلاج

الأستاذ الدكتور عبد الله الطيب

سيدي رئيس المجمع، سيداتي وسادتي، السلام عليكم وأحمد الله إليكم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد.

كثر الحديث عن ضعف اللغة وانصراف أبنائها عنها في شتى أقطارهم مع شدة اللهج بالقومية العربية وبضرورة التعريب كل ذلك في نوع من ازدواجية نفسية اجتماعية سياسية تربوية عويصة المعاني والمقاصد مضطربة أشدّ الاضطراب بين طرفي الغموض والوضوح.

سأعمد في كلمتي هذه إلى حديث موجز عن دعوة إقامة معهد أو معاهد لتدريس اللغة العربية يكون الأرب منها إعداد معلمين لها في الجامعات، يأخذون طلبتهم بدرسها درساً يجمع بين معرفة القواعد النحوية

وضروب الأدب والبيان ويتخرجون على أيديهم ناطقين بلسان عربيّ مبين وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر وبه التوفيق وعليه فليتوكّل المتوكّلون.

أول أسباب الضعف في أداء العربية أن مدرسها ضعيف في الغالب، مخسوس الحظ من الجاه والرتبة. ومن أسباب ضعفه ونقصان حظه أن كثرة المدارس العصرية اقتضت كثرة المدرسين في المرحلة الأساسية وذلك يتبعه أن تكون مرتّباتهم ضعيفة وحظهم من الجاه ضعيفاً. وقدماً كان الإقبال على درس العربية وعلومها وعلوم الدين عظيماً لأن ذلك كان سبيل التّفوق في المجتمع وقد خلف ذلك الإقبال القديم إقبال عصريّ جديد على الطب والهندسة والتقنيات الحديثة، فأقبل طالبو التفوق على هذه الأبواب من الدرس والتمهيد المهني وانصرفوا عن فقه العربية. وملأ الفراغ الذي تركوه أصناف من الطلاب أكثرهم ضعاف الذكاء والتحصيل. وهؤلاء عُهِدَ إلى عدد كبير منهم بتعليم العربية وتخريج أبناء قوميتها الجديدة.

ثاني أسباب ضعف العربية ما شنّه عليها حكام بلاد العربية والإسلام الأجانب المستعمرون من حرب صادرة عن كراهية للإسلام وعن كراهية للغة القرآن وعن تعصب للغاتهم وعنصريتهم ودعوى تفوق مطلق يخفى معها طلب الصواب والاعتراف به.

والمغلوب في بعض ما بينه ابن خلدون مولع بتقليد الغالب وهذا الضعف وجد الآن دعاة له باسم التجديد والحداثة في اللغة العربية وقد أرى بين المحاور المقدّمة للبحث في هذه الندوة السديدة إن شاء الله. أن المحور

الثالث في تيسير مباحث العربية: الإملاء والنحو والصرف والبلاغة. وأحسب أن الغرض هو تعليم مباحث العربية من إملاء وخط ونحو وصرف، لا مجرد تيسيرها، على أن التعليم لابد فيه من طرق تعمد إلى تيسير معاسره. ولكن العسر لا يزول حقاً إلا بدأب الطالب وجِدّه مع جودة عمل الأستاذ وحسن تأنيه أما أن يكون القصد من تيسير إهمال الضروري والعمد إلى جعل كل صعب هيناً بنوع من تمرد تربوي، مرتب على احتقار أمهات مسائل اللغة نحواً وصرفاً وإملاءً وخطاً فهذا مالا ينبغي أن يكون.

لابد في العمل إلى إعادة اللغة العربية إلى بعض ما كان لها من مكانة في حفظ الثقافة والعزة القومية والمعارف الإسلامية من جد حق في أمر تعليم اللغة العربية تعليماً صحيحاً ييسر بغرض التفهيم لا بغرض تجاوز العزائم إلى الرّخص والرخص إلى اللحن واللحن إلى العجمة وشبه العجمة. ولا يكون التعريب الحق باستخدام ألفاظ أعجمية وجمل أعجمية ونصوص أعجمية حروفها وبعض نطقها وتركيبها كأنه عربي، إنما يكون التعريب الحق بأداء عربيّ الروح عربيّ الأسلوب مبين.

علينا أن نهتم بترجمة أمهات كتب العلوم الحديثة وأن نحرص على أن يكون ذلك بلسان عربي فصيح مبين. وأن يقع تبادل في المترجمات والمعربات بين المجامع العربية وأن يشارك الإعلام المرئي والمسموع في ذلك بجد ونشاط.

وعلينا أن نحيي أمهات كتب العلوم والثقافة العربية بجعل فصول

نختارها منها ونشرحها بتحقيق وتدقيق ليكون فهمها ميسوراً للطالب الثانوي والجامعي والفتى والفتاة الواعدين في مختلف مراحل التعليم. كتاب مقدمة ابن خلدون مثلاً فيه فصول قيمة في علوم ومعارف مختلفة ولكن في لغته على القارئ الشاب المعاصر بعض العسر، هذا العسر يزول من طريق الاختيار الحسن والتعليق المفيد والشرح الوافي. ومثل ذلك قد يقال في تهافت الفلاسفة للغزالي وسيرة ابن هشام وصحيح مسلم وحاوي الرّازي الطبيب وموسيقى الفارابي وكثير من رسائل ابن سينا وابن رشد وبعض ما كتب ابن فارس والمعرّي وابن سيده وهلم جرا ...

وعلينا أن نقيم معاهد لتدريب مدرس العربية في السلك العالي ثالثاً أو رابعاً في الجامعات بحسب مناهجها المختلفات. وذلك بأن نختار خريجين وخريجات ممن اجتازوا مرحلة الإجازة بدرجات حسنة عالية وندرب هؤلاء مدة ثلاثة أعوام يتخصصّون فيها في العربية نحواً وصرفاً وإملاءً وبياناً ولغة مع درس واف لنصوص محققة مشروحة وافية، ويعد في أثناء هذه السنوات الثلاث إعداداً مناسباً للتدريس.

وهؤلاء المدرسون يبثون في الأقسام العالية بدءاً بجامعة واحدة، ويكونون في نفس الوقت ممهّدين مهيئين لجعل التعريب لغة الجامعة العربية الحديثة في المحاضرات المبرمجة وفي ما سوى ذلك من وجوه المعرفة. ومشاركة الإعلام بأجهزته القوية أمرٌ لازم في هذا الباب.

هذا الفوج الأول من مدرسي العربية يمهد لجعل المعهد في المستقبل

متخصصاً في باب إعداد مدرسي العربية لا السلك العالي ثالثاً أو رابعاً فقط ولكن لمرحلة الأساس أيضاً خصوصاً في جانب المرحلة الثانوية.

ويا حبذا لو ألغي المعمول به الآن من قسمة المدرسة الثانوية إلى اتجاهين علمي وأدبي، فيتّجه جل الأذكياء إلى العلوم وينصرف من دونهم إلى الأدب ويعود الأمر إلى الخطأ الذي بدأنا بالفرار منه.

كان ينبغي أن أقف قليلاً عند مرحلة البدء، ولكن ذلك قد يحدث من جرائه في هذه الكلمة طول بالغ، إذ مرحلة التعليم الابتدائي أمر خطير، وقعت فيه أخطاء لابد من تصحيحها إن كنا نريد أن تكون اللغة العربية الفصيحة هي حقاً لغة الوطن العربي الأولى.

أول هذه الأخطاء أن أكثر بلاد العربية تبدأ تعليم صغارها العربية الفصيحة في سن السابعة إن بكرّت بذلك، وقد يتأخر البدء إلى ما بعد السابعة.

وقد كانت كتاتيب القرآن يبدأ فيها عندما يكون الصغير بين الرابعة والخامسة، وعندما كان يرسل إلى «الخلوة» (أي كتاب القرآن) حين يستطيع أن يتلمس أذنه اليسرى بيده اليمنى من فوق رأسه، وذلك يكون غالباً في أواخر الرابعة أو قبل ذلك أو بعده بقليل. ويكون من حينئذ أول عهده بالعربية الفصيحة من طريق حروف العربية وقصار المفصّل والفاتحة على اللوح، وهذا بعد باب واسع.

ولا يخفى أن الدافع الديني كان قوياً. ولكن في عصرنا هذا ضعف الدافع الديني، ولم يخلفه دافع قويّ قوّته، بل ربما اعترضت دوافع هدامة من شرها فقدان الثقة بالعربية والفتنة بمستحدثات معادية لفصاحتها والاعتزاز بها والعياذ بالله من ذلك.

أكتفي بهذا القدر، وأسأل الله لهذا القطر العظيم، ولرئيسه الزعيم الجليل والقائد الرشيد الظفرَ المستمر والنصر الخافق الرايات. وأنتهز هذه الفرصة لأُثني الثناء الحسن على السيدة الفضلى وزيرة التعليم العالي وراعية الندوة الدكتورة صالحة سنقر، ولأُعبر عن مزيد من الشكر للسيد العلاّمة رئيس المجمع الدكتور شاكر الفحام ونائبه الدكتور إحسان النص على هذه الدعوة الكريمة وهذه الندوة ذات الشأو البعيد في مجال الثقافة والفكر وتقوية الروابط روابط الود وعهد التعاون بين رجال العروبة العاملين على النهضة بها وجزى الله سائر المشاركين والمساهمين في هذه الندوة ما هم أهله من خير الجزاء وأسأل الله التوفيق وله الحمد أولاً وأخيراً وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ـ والسلام عليكم.

مشكلة الأداء في اللغة العربية:
أسباب الضعف ووسائل العلاج

الدكتور عبد الكريم الأشتر

أيها السادة !

واضح أن القصد من الدعوة إلى هذا اللقاء أن نزداد معرفة بحقائق واقعنا اللغوي – ومن حوله تدور حقائق حياتنا كلها – لنكون أقدر على سد الثغر فيه، واختيار أقصر الطرق في علاجه.

وإذا كانت الثقافة هي مجموعة المعارف والخبرات التي تكوّن الإنسان عقلاً وروحاً وإحساساً بالأشياء، فالكلمة – لا شك – أقوى أدواتها الفكرية، مقروءة أو مسموعة – فهي – في آخر الأمر، عمود الثقافة الحقيقية، ومنها تبدأ مغامرة المعرفة وإليها تنتهي، وفيها تتجمع.

ويحسن أن ننطلق هنا من الحقيقة التي لا جدال فيها، وهي أن واقع الكلمة العربية هو في حقيقته العميقة، واقع الأمة العربية. فإذا صحّ صحّت، وإذا ساء ساءت، وبينهما علاقة التأثر والتأثير التي تنتظم مفردات الكون كلها في سلسلتها. فحين يكون الأداء في مجالات الحياة كلها ضعيفاً مختلاً، فكيف يصحّ أن يكون الأداء في المجال اللغوي الذي يختزن حقائقها، سليماً معافى؟

(١)

فلنبدأ إذن من هذه الكلمة (الأداة – الفكر)، بعد أن جلا عنها جيل رواد النهضة، صدأ قرون الركود، وهيؤوها لاحتـــواء المعـــارف الحديثـــة، والتعبير عن حاجات العصر.

لقد أدرك هذا الجيل، والجيل الذي تلاه، من رجال النهضـــة، وهـــو يواجه الصدمة الحضارية الأولى، خطر اللغة في صنع الحياة الجديدة والتوجه إليها، فبدؤوا يكسرون عنها أغلال الزينة الفارغة، والحذلقة اللفظية، ولعبـــة الفراغ الفكري. وكانت خطواتهم هذه أخطر الخطـــوات، فهـــم كـــانوا يتحولون بالكلمة عن محرابها الذي سكنت فيه عهداً طويلاً، بصفتهـــا غاية في ذاتها، لينـــزلوا بها في زحمة الحياة المضطربة آنذاك بـــأولى تيـــارات التحديث وردودها المتعارضة. وكانوا بهذا يضعون الحجـــر الأول في قلـــب مقياس البلاغة الموروث من عهد العقم: من تقويم الكلام بألفاظه وصياغتـــه، إلى تقويمه بحقائقه الداخلية، وقدرته على الإيصال الحي، وسهولة فهمه.

هم إذن عرفوا خطر اللغة، بصفتها أداة الفكر ومحتواه معاً، فـــأخذوا يشحذونها بتجاربهم، في كتبهم ومقالاتهم وخطاباتهم، وبدعوتهم الصريحة إلى انفتاحها على قضايا العصر، وتدميثها وتسهيل سبل اكتسابها والتخفيف عنها. ما أكاد أعرف واحداً منهم لم يطرق هذا الباب، حتى كأنهم اجتمعوا عليه في غير اتفاق. الطهطاوي الذي غمز من طرائق تعليم اللغة في الأزهـــر، بعد أن تعلم الفرنسية، والشدياق الذي سخر من الســـجع والســـجاعين، وخلط اللغة بالأدب ليقربها من الشادين. والبستاني الـــذي عـــاب علـــى

الشدياق نفسه تمسكه ببعض الحذلقات اللغوية، واحتفاله بالمترادف، ودعا إلى حط أعماله عن اللغة، وإلى إغنائها بمصطلح العصر، وحاول أن يذلل طريق الوصول إلى معجمها الميسّر، بمعجمه المعروف في بعض الأوساط (محيط المحيط). ورجلا حركة الإصلاح الديني في الجيل التالي، جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده، اللذان تعد دعوتهما إلى تطهير اللغة من أوشاب اللفظية والتقليدية والحذلقة، امتداداً لدعوتهما إلى تطهير العقيدة من أوشاب التواكل والدروشة والجمود. وقاسم أمين، العامل في الحقل الاجتماعي، الذي التقط إشارة في (البيان والتبين) عن قوم وصفهم كانوا يلجؤون إلى تسكين أواخر الكلمات، مهما تكن مواضعها من الكلام، فدعا بهذه الدعوة. وأنا إنما أريد بهذا بيان ما انشغل به، لا تزكية الدعوة في ذاتها.

كانت هذه حدود الموقف تقريباً، حتى أواخر القرن الماضي، ومطالع هذا القرن، لم يتعد حدود التيسير والتسهيل وإسقاط النزعة اللفظية والإنشائية. ثم بدأت تقوى، في مطالع هذا القرن، دعوة مشبوهة إلى التخلي عن لغة الكتابة، إلى لغة الحديث(الدارجة)، ساندها فريق من المستشرقين، وحاول أن يضع لها قواعد وكتباً ترجع إليها.

ثم اشتد أوار المعركة، وخالطتها نزعات الإقليمية والطائفية مخالطة حادة، فبدأت تنشر كتب بالعاميات الشائعة في بعض الأقطار العربية. وانعكست في هذه المعركة حقيقة التمزق الذي يعاني منه المجتمع العربي في

بيئاته المختلفة، حتى أصبح مجرد الكلام في حقل اللغة وتذليل طرق اكتسابها، والتخفيف عن الراغب في تعلمها بعض ما لا يلزمه من تفريعات قواعدها وإملائها وصرفها، أصبح الكلام في هذا الموضوع تهمة في ذاتها، يلاحق بها صاحبها.

وقد انهزم الآن، بفضل انتشار التعليم، دعاة العامية المطلقة، بعد أن فعلت أجهزة الثقافة والإعلام المقروءة والمسموعة فعلها، وذللت الصحافة، على وجه الخصوص، صور التعبير المختلفة عن واقع الحياة المعاصرة. وانكشفت تلك الدعوة ومراميها، وغاب أصحابها ومؤيدوهم في صمت، بعد أن تبين للناس، بصورة موضوعية، قصور العامية عن التعبير عن حاجات الفكر العليا، وهزيمتها أمام الفصحى التي انتهت صور التعبير فيها إلى ما يمكن أن نسميه: اللغة الفصيحة.

ولكن ينبغي هنا أن نلاحظ غلبة العامية في وسائل الإعلام المشاهدة اليوم (التلفزة) بقنواتها الفضائية الحديثة، في أكثر برامجها وإعلاناتها، كتابةً وحديثاً، على نحو ما كنا نعرفه من قبل، وأصبح، في نظري، يتطلب تدخل جهة من الجهات الرسمية، عسى أن تحدّ من طغيان هذا المد. ولعل هذا التدخل يشمل أيضاً مراقبة الملصقات والإعلانات والدعايات على اختلاف ألوانها ومصادرها.

(٢)

على أن الكلام في الإصلاح اللغوي ما يزال إلى اليوم، في نظر كثير من الناس، كلاماً مشبوهاً. فهم يذهبون دائماً، في تفسير ما يقال فيه، تفسيراً

سيئاً، عن نية صالحة أحياناً وغيرة صادقة على اللغة. ويغالي فيه بعضهم لغاية في نفسه، أو لطمع في كسب رخيص يرجوه بالدخول في سوق المزايدات التي تمتلئ بها حياتنا، للأسف. وهؤلاء، في نظرنا، أعدى على اللغة من أعدائها، فهم الذين يردوننا عن النظر في هذه المسألة، بتخويفنا مما يقول الناس في من يجرؤون على الدخول فيها.

فإذا تجاوزنا هذه المزايدات وفرسانها، إلى كثير من رجال الفكر والثقافة فينا، فإني أستمع إليهم أحياناً فأراهم يعانون معاناة صعبة في التوفيق بين الفكرة والحرص على أدائها بلغة سليمة. فهم قد يلجلجون فيها زمناً، ويجمعون اللفظ إلى اللفظ في أناة، وعقولهم تذهب في تتبع خيط الفكرة حتى لا يفلت منهم، ثم ترتد عنه لتحكم قواعد صياغتها! فهم لا هم يلتفتون إلى الفكرة بعقولهم كلها، ولا هم يحسنون صياغتها آخر الأمر. فحين أسمعهم أقول لنفسي: ليس بين هؤلاء من أتهمه بالتهاون. وهم عرب أقحاح، في منابتهم على الأقل. ثم هم نشؤوا، على الأغلب، في بيئات متعلمة. ودرسوا العربية، لغتهم، في مراحل الدراسة الطويلة كلها، وطالوا بها تخصصهم في الجامعات. وهم، آخر الأمر، لم ينقطعوا عن ممارستها كتابةً وقراءةً وخطاباً، فلمَ أراهم يعانون من التعبير بها عن أنفسهم هذه المعاناة؟

فإذا كان مثل هؤلاء الذين يمثلون هذه المؤسسات اللغوية الكبيرة التي أنشئت لحراسة العربية وتيسير مواكبتها للحياة المعاصرة، يعجزون، أحياناً، عن إقامة ألسنتهم، فما الذي يجدي بعده أن نشير إلى حال اللغة على ألسنة

طلبة الجامعات وخريجيها في الوطن العربي كله؟ حسبي أن أقول: إنه وقع في يدي تقرير كان رفعه، منذ سنوات، أستاذ اللغة العربية في السنة الجامعية الأولى من قسم اللغة العربية، إلى عميد كلية الآداب في إحدى الجامعات العربية العريقة، يقول فيه، يستعرض نتائج إحدى الدورات الامتحانية: إن الذين يستأهلون النجاح في مقرره لا يزيد عددهم عن عشرين طالباً من أصل ستمائة وواحد وثلاثين طالباً! ويقول: إنه لو زيدت درجات عدد من الراسبين، ممن تتراوح درجتهم بين خمس وأربعين وسبع وأربعين درجة، لما زاد عدد الناجحين عن ثلاثة وأربعين، ولبلغت نسبة الناجحين(٦,٨). ويقول: إن الأوراق التي نالت درجة الصفر وما فوقها قليلاً تزيد عن مائتن وثماني عشرة ورقة أي ما يبلغ ثلث الأوراق!.

ثم إني وجدت بعض الناس، من غير المختصين، من أصحاب العلوم الفيزيائية أو العلوم الإنسانية، من المؤرخين والجغرافيين وأصحاب الفلسفة، يعدون لغتهم القومية مادة دخيلة أو إضافية، لا أداة للفكر في كل اختصاص. وقد كنت قرأت مرة مقدمة في أحد كتب التاريخ التي يقرؤها طلبة إحدى الجامعات العربية، لا تزيد عن عشرة أسطر أو نحوها، فرأيت من خطأ اللغة واختلال الصياغات، ما يستغرق إصلاحه والتنبيه عليها وقتاً يكفي لكتابة عشر مقدمات مثلها!.

من هنا نفذ دعاة العامية، ثم انهزمت دعوتهم كما قلنا. ولكن الدعوة ما تزال قائمة في لغة الخطاب، وفي المحاورات، في الأعمال

الدرامية والروائية، بحجة أنها تحكي لغة المتحاورين في واقع الحياة، فضلاً عن سهولة فهمها وقوة وقعها في المتلقين، لارتباطها الحي بالمواقف ومعانيها وملابساتها الاجتماعية. وقد حاورت واحداً منهم، يكتب الرواية، فرد علي قائلاً: إذا كانت مناقشة الرسائل الجامعية، على منابر الجامعة، وفي اختصاصاتكم نفسها، تتم أحيانا بلغة الواقع (الدارجة)، فبأي وجه تلزموننا أن نصوغ حوار المتحاورين في الشارع أو في سوق الهال بالفصحى أو بالفصيحة!.

(٣)

صحيح أننا، بصورة عامة، أفلحنا في تدميث التعبير بالعربية الفصيحة، وتسهيل تناولها لحاجات الحياة، بفضل انتشار التعليم وشيوع أجهزة الثقافة والإعلام المختلفة. ولكن المعاناة ما زالت قائمة كما نرى. وصعوبة التعبير بعربية سليمة لا تزال حقيقة شاخصة في حياة معظم الناس. ثم إننا ينبغي أن نقر بأننا نواجه تحدي اللغات الحديثة الأخرى التي يتفنن أصحابها في ابتداع الطرق لتسهيلها وتيسير اكتسابها، يدعمهم فيها أنها لغات حضارتهم التي لا نشارك حتى اليوم في صنعها، فهي تطالعنا كل يوم بمسميات ومنجزات هائلة، نشعر أحياناً أمامها باليتم الحضاري الذي يصل بنا إلى حد الشعور بالدونية، وإلى الاستهانة بأنفسنا وتراثنا، حتى أصبحت الفصحى مثار التندر في جلسات السمر وفي الندوات أحياناً، وفي السينما والمسرح، وعلى لسان كتاب العقود والمعلمين والشيوخ.

وأصبح من حسن الإدراك ألا ننكر أن في لغتنا، مثل لغات العالم كلها، صعوبات تخصها، من جهة التعلم أولاً والتعامل ثانياً. ويقف الإعراب - بوجوهه كلها - في رأس هذه الصعوبات، إذ وقع الفصل في أنفسنا بين الحركات والحروف، وتغيرها حسب موقع الكلمة في الجملة، وبين روابطها بالمعاني المقصودة (فساد السليقة). وفي أيدينا نصوص تشير إلى أن القدامى، منذ تعدوا حدود الجزيرة، كانوا يحسبون لها حساباً كبيرا أيضاً، فقد كان عبد الملك بن مروان، وهو من أفصح العرب، يقول: «شيبني صعود المنابر وتوقع اللحن».

وقد حاول بعض المحدثين أن يجسد هذه الحركات في حروف تضاف إلى حروف الكلمة (طه حسين مثلا) وهي فكرة مطروحة من قبل. ولكن من الصعب، لأسباب كثيرة، أن يكتب لها النجاح. والمشكلة تكمن في القدرة على تقوية الإحساس بدور الحركة أو الحرف في تحديد المعنى المقصود، في سياق الجملة كلها.

وصعوبات أخرى في التصريف واضطراب الصيغ، في الأحوال المركبة خاصة، مثل التثنية المضاعفة، أو التثنية مع التوكيد، وصيغ الشرط والاستفهام، والإعلال والإبدال مع التعليل، والخطاب مع اختلاف الجنس والعدد، وما شابه هذا، مثل اختلاف حركات الصفات مع حركات الممنوعات من الصرف، واختلاف معاني الأدوات في المواضع المختلفة، وتقدير عمل المحذوفات، ومطابقة الأعداد على المعدودات وسلامة إعرابها في حال التركيب على وجه الخصوص، هذا

كله إضافة إلى بعض القواعد الإملائية المربكة التي يسهل علاجها (نـــون إذن وألف ابن، والألف المقصورة والممدودة مثلاً) فهذا وأشياء أخرى لا يستهان بها، مما نسمع الشكايات منه، ويكثر الخطـــأ فيـــه، يشـــكل العقبات التي تعترض سبيل اكتسابها وأدائها على نحو ميسر تقوى معـــه على أن تخاطب الإنسان العربي المعاصر في أي شأن من شؤون الحيـــاة، خطاباً سهلاً سليماً واضحاً دقيقاً.

(٤)

وهنا نصل إلى السؤال الكبير الذي ينتهي إليه هذا الكلام: فما الذي نستطيع أن نفعله؟ وما العلاج؟.

ينبغي أولاً أن يتوافر لنا الإيمان بقدرات هذه اللغة الخارقة، والمعرفـــة الحسنة بخصائصها الفريدة في تكثيف اللفظ، وفي مرونة الاشتقاق والتوليد، وحساسية المفردات ودقتها وتدرج محتواها النفسي، وما حوت من كنـــوز التراث وغناه الإنساني، وسمو مقاصده الروحية التي ضمها كتاب الله وما دار حوله، وفي نظامها الصوتي وموسيقاه الساطعة، مما هيأها أن تكون يوماً لغـــة الثقافة العالمية، فانصبت فيها ثقافات الشعوب صاحبة الحضارات القديمـــة، فوسعتها على توالي القرون.

ثم إنها، مع هذا كله، لغتنا الجامعة التي توحدنـــا فكـــراً ووجدانـــاً وإحساساً بالأشياء، وتحفظ هويتنا الفكرية، وتعزز أصالتنا وتنميها.

أعتقد أن تنمية الإيمان بهذه القدرات والخصائص حتـــى يرســـخ في

النفس ويعزز ثقتها بلغتها وينمي محبتها لها، ينبغي أن يصحب كل تدبير نتخذه أو علاج نوصي به أو نصحح إجراءه، لنيسر الوصول إلى الأداء الميسر السليم.

ولننظر بعد هذا فيما اتخذنا من تدابير سابقة (مما يدل على إحساسنا القائم بالمعاناة)، لهذا الغرض نفسه، بقصد فحصها وتقويمها:

١ – فقد خصصنا، زمناً، برامج تلفزيونية، وأخرى إذاعية، تعزز إيماننا بلغتنا وتنمي معرفتنا بجوانب من قدراتها في التعبير عن حاجات النفس في يسر. وما أدري ما مصير هذه البرامج اليوم. ولكني أعتقد أن جانبها النظري كان أنمى من الجانب العملي. ثم إني أرى أنّا كنّا نطيل فيها أحياناً، فنثقل على المستمع والمشاهد. ولو أننا اقتصرنا فيها على ومضات سريعة لكنا أقرب إلى القصد، مع تنمية الجانب التطبيقي. على أن هذه البرامج، أو بعضها، كان ينهض بما أشرت إليه من تقوية الإيمان بقدرات العربية.

وفي الإمكان أيضاً أن نطور هذه البرامج، فنجعلها أكثر جاذبية، كأن نلجأ فيها إلى الحوار مثلاً أو إلى إجراءات خطية يحسن تصميمها العاملون في الإخراج. ويمكن حينذاك أن نفكر في تعميمها في وسائل الإعلام العربية كلها، في كل قطر.

٢ – ولجأنا إلى تخصيص زوايا صغيرة في صحافتنا، كان أحسنها وقعاً الزوايا التي لا تتعدى تصحيح إحدى المفردات الشائعة في لغة الناس، أو تفصيحها في بعض الأحيان، مع التمثيل لها وتوثيقها وتتبعها في

البيت والشارع والمكتب ومواطن العمل الأخرى، ليفيد منها سواد الناس. وأعتقد أن الفائدة من هذه الزوايا كبيرة لو أحسنا اجتذاب القارئ إليها. وهذا ما يلزم أن نحسن درسه، ونفكر في تعميمه أيضاً.

٣- وعملنا في سورية مثلاً بحدودها القائمة اليوم، على إدخال مقرر في اللغة العربية لغير المختصين بها، ووقفنا نجاح الطالب في الجامعة على نجاحه في هذا المقرر. والمؤسف أنا لم نصل في الجانب التطبيقي لهذا القرار، إلى مستوى النية الطيبة التي أقرته. فقد أحالوه إلى دروس تستظهر فيها قواعد النحو والصرف والبلاغة، بدل أن يقوم على تملي النصوص المختارة في اختصاص الطالب نفسه، والاحتيال على استيعاب أهم قواعد التعبير فيها. فبهذا تكون النصوص أمثلة ممتازة لحسن التعبير عن الفكر في الاختصاص المطلوب. وهذا الذي يهدي الطالب، من بعد، إلى رفع سوية أدائه، واكتساب القدرة على تحليل الصياغات، والوقوف على أساليب صوغها، ونجعل من هذه المقررات مادة حية جذابة.

على أن هذه ومثلها إجراءات مساعدة حبذا لو اتخذت توصية بتعميمها في أنحاء الوطن العربي كله. ومن حسن الرأي أن نخفف عن طالب العربية، قدر المستطاع، تفريعات ولوازم يمكن إعفاؤه منها، في المرحلة الأولى على الأقل. ويقتضي هذا الإجراء:

- تكوين لجنة، على المستوى القومي، من أبرز العاملين في الحقل اللغوي، ورجال التربية والتعليم، تعمل على فرز القواعد الأساس من

نحو العربية وصرفها وقواعد إملائها، مما يعين على الأداء اللغوي السهل السليم، فيؤلف منها كتاب يد Manuel يكفي صاحبه في الوصول إلى هذا الغرض، ويعينه على الاستزادة إذا أرادها. وينبغي أن يحكم عمل هذه اللجنة إحساس بضرورة الاقتصار على ما يحقق هذه الغاية، دون تفريط بالثوابت.

– ويمكن التفكير في تكوين لجنة أخرى تعمل في انتقاء نصوص تمتاز بالتعبير السهل الجميل من كتب التراث وغيره مما يكتب فينا اليوم، موزعة على جملة المعارف الإنسانية: التاريخ والجغرافية والأدب والاجتماع والفلسفة والعلوم على اختلافها إلخ... لتقريب الراغبين من مصادر الأداء اللغوي الأصيل الجميل في الاختصاصات كافة. ويطبع من هذا الكتاب والكتاب السابق طبعات شعبية رخيصة تيسر انتقالها في أيدي الناس.

– يجتمع هذا كله مع فحص شامل لأسلوب تعليم العربية، وتقريبه من أحدث طرق الاكتساب (الإفادة من الوسائل السمعية والبصرية والتقانة الحديثة). ويمكن أن تقام دورات لمعلمي اللغة تطلعهم على هذه الطرق وتشركهم في تطبيقها. وهذا كله يدور بحثه من حول أحد محاور هذه الندوة. على أن التشدد في تخريج الإطارات التعليمية والإعلامية، من جانب التكوين اللغوي ضروري جداً. تضاف إليه مراجعة الكتب المدرسية مراجعة لغوية عامة.

– تقليص المسافة، قدر المستطاع، بين لغة الحياة، ولغة الكتابة، على قدر ما نستطيع من تفصيح الفصيح، وتعويض الصيغ الغريبة في الدارجة.

فهذا يعين على تقريب المسافة بيننا وبين أنفسنا، ويجعلنا آنس باللغة وأقرب إلى التفاعل معها، وينفي الزراية عن لغة الحديث، وينشّط الحركة الذهنية، ويرسخ صور المعاني في النفس.

– التوصية بتقريب الحوار في المسرح والتمثيليات التلفزيونية من الصياغات المقبولة الميسرة. ويمكن الإفادة في هذا من تجربة توفيق الحكيم وتنميتها بما لا يضر الجانب الفني ويفيه حقه. ويحسن أن يشجع هذا الاتجاه بما نستطيع من وسائل الترغيب المادي والمعنوي.

– البحث في فوضى المصطلح على امتداد الأرض العربية، في كل مجال من مجالات المعرفة، وتغطية نقصه بما يقربنا من المصطلح العالمي وآفاقه الفكرية المفتوحة، والإفادة، قدر الإمكان، من الشارع فيه. وهو –في كل حال – موضوع أحد محاور هذه الندوة أيضاً.

– تكوين معجم ميسر حديث واحد يعود إليه الناس، ويسع حاجات الحياة في هذا العصر. ولعله يكون رديفاً لكتاب اليد الذي أشرت إليه من قبل، في هذا الحديث، وفي برنامج الندوة إشارة إليه.

– تكوين المعجم التاريخي الذي لابد من تكوينه. وقد طال انتظاره، وطالت الدعوة إليه، فبه نحكم ارتباط اللغة بالحياة التي نحياها. وربما أعان على خلق مناخات فكرية جديدة، تعين بدورها على تحرير الفكر وتحسين أدائه عبر اللغة التي لا بد أن يرتفع أداؤها إلى مستواه.

وبعد أيها السادة:

يبقى بعد هذا كله أن نملك القدرة على التأثير في حياة العصر ومسالك حضارته المعقدة المتشعبة، لتكتسب لغتنا سلطانها.فلغة الأقوياء قوية دائماً. على أن للغة دوراً ممتازاً في تقوية القدرة على امتلاك هذا التأثير. فلعل هذا الإدراك يستنهض الهمم ويقوي الإحساس بضخامة التبعة، إذ ليس سراً أننا تعودنا أن نتناول أخطر قضايانا بقدر متواضع من الجدية وقوة الإدراك.

إننا، في مثل هذه الندوة، نحاول أن ننفذ من الطوق، ونكسر طرفاً من أطراف الدائرة المغلقة، إذ اللغة، في آخر الأمر، كما تعلمون، مرآة الحياة العامة وزمامها في وقت واحد.

وعسى أن نفعل شيئاً فوق انتظار الزمان.



مشكلة الأداء في اللغة العربية
أسباب الضعف ووسائل العلاج

د. مسعود بوبو

يتّجه مفهوم الأداء في اللغة العربية إلى الإيصال والتلاوة والإتقان. ولا يقف المراد مما نحن فيه عند هذه الدلالات المتقاربة؛ إنما يتّسع ليتناول قضية على مقادير من التعقيد والتشعب والإشكال، تتجلّى أبعادها في العجز عن التعبير بلغة واضحة عمّا يجول في النفس، وفي العجز عن إقامة اعوجاج اللسان في الأداء الصوتي ومراعاة مخارج الحروف وإعطائها حقّها من الصفات، وفي الغلط اللغوي والخطأ الإملائي، وفي عدم وضع المعاني الدقيقة للمسميات في مواضعها الموافقة للسياق النصّي، وفي تخيّر الأسلوب الملائم للموضوع العلمي، أو الأدبي، أو الفكري الخالص .. إلى ما يشبه ذلك من ألوان التقصير والتعثّر والعيَاء.

وعند معالجة أي معضلة أو مرض يتطلب الأمر منا تفحُّصَ مواطن الخلل، وتلمُّسَ مكمن المرض لنتمكن من تشخيص العلة ووصف الدواء الناجع لمعالجتها. ويعرف المتخصصون في الدراسات اللغوية والتربوية أن هناك مشكلة تتصدر همومنا العلمية التعليمية وتمتد حتى تُلامس الخطر القومي؛ هي مشكلة الأداء في لغتنا العربية، فكيف نبحث أسباب هذا

الضعف في الأداء ونتحرّاها؟ وأين نلتمسها ونَرْصُدها؟ حتى يكون بمقدورنا السعيُ، وفق أسس سليمة إلى الخروج من هذا المأزق، أو إلى التقليل مبدئياً من مخاطره المستشرفَة إذا مااستفحلت.

في ندوات ومؤتمرات كثيرة أفاض زملاؤنا المربُّون في بسط تصوراتهم حول هذه المشكلة، وتباروا في تقديم ملحوظاتهم وتوصياتهم ومقترحاتهم لمعالجة هذا الأمر المقلق، فتحدَّث بعضهم عن إعداد الأبناء منذ الصغر، وتحدَّث بعضهم عن إعداد المعلمين، وفريق ثالث تحدَّث عن الامتحانات والتقويم، ورابع عن المناهج والكتب، أو عن أثر البيت والمؤسسة التعليمية .. فعند أيّ وجه من وجوه هذه المشكلة نقف ونتريّث؟ وهل نكتفي بعرض تجربتنا المدرسية لتكون أداة للحل والتعميم؟ أو نتّسعُ بها لتكون مشكلة اجتماعية عامّة؟

لقد سمعنا وقرأنا أبحاثاً ومقترحات وجيهة ضمن هذا الإطار وذاك، ووقفنا على توصيات ودراسات رُفعتْ إلى هذه الجهة المسؤولة أو تلك، ولكنّ المشكلة لم تُحلّ، ومايزال ضعف الأداء همّاً علمياً وقومياً. ولا نريد أن نُنحيَ باللائمة على جهة بعينها، فما لنا في اللوائم خير ولا مخبأة.

ومن طريف مايذكر في هذا المقام أن أحد أساتذة قسم اللغة العربية في جامعة دمشق قرّر مرّة أن قسمه هو المسؤول وحده عن ظاهرة الضعف في اللغة العربية، فقِسْمُه يقبل أعداداً غفيرة من الطلاب تفوق طاقته على العطاء السليم، إذ تصبح الكثرة عبءاً على المعلِّم والمتعلِّم، ويتراجع الأداء العلمي على حساب الاستيعاب، كما يؤدي التساهل في الامتحانات إلى تخريج أفواج من المدرِّسين غير الأكفياء ليقوموا بأعباء التدريس في المراحل التعليمية الأدنى من الجامعة .. وشيئاً فشيئاً تتراجع العملية التعليمية ..

لا، ليست المدرسة وحدها، ولا البيت، ولا الجامعة، ولا الوزارة، أي وزارة، ولا المناهج أو الأساتذة أو أنظمة الامتحانات .. لا شيء من ذلك وحده يمثل السبب الحقيقي في ضعف الأداء في اللغة العربية؛ بل إن ذلك كلَّه وغيرَه مُشْرَكٌ في هذه المسؤولية، ومُسهم في التقصير. إننا جميعاً مسؤولون عن ذلك، وعلينا جميعاً تقع تبعات البحث عن مخارج من هذا الحصار، وعن وسائل وحلول لهذه المشكلة الخطيرة.

وقبل أن نغرق في التفصيلات يحسن أن نتأمل الواقع من حولنا، أو يحسن ألاّ نَغْفل عن استقراء أحوال الناس والثقافة في أيامنا هذه، إذ بتأمل الواقع نجد أن جملة من القضايا البارزة تتصدر اهتمامات الإنسان المعاصر وتستأثر بعقله حتى تكاد تشغله وتصرفه عما سواها، من ذلك غياب الحافز القديم على إتقان العربية، فلقد كان حب العربية عند القدماء شغفاً وهدفاً. وكان تحصيل علومها مَنْزِعاً ذاتياً يرمي إلى الارتقاء بالذوق الفني، وإلى صقل الموهبة والإبداع، وإلى علوّ المنزلة بين الجماعة، وإلى التغنّي بجميل الشعر، وإلى امتلاك أدوات الإجادة والإحكام في معارض القول والمحادثة التي كان لها في حياة العرب أثرٌ مابعده أثر. كانت العربية مطلباً حيوياً أثيراً لتنمية الحس الجمالي، ومطمحاً إلى الكمال في المروءة؛ ومن هنا كانت تُلتمس لذاتها. أما اليوم فقد انحسرت هذه النزعة حتى غدت العربية معبراً إلى هدف آخر، كالنجاح في المؤسسات التعليمية، أو صارت مطلباً للإقناع أو الحِجاج، أو أداةً مرحلية لأغراض مختلفة لا سبيل إليها بغير العربية.

وكان تحصيل العربية استجابة لمتطلبات العقيدة الإسلامية في الإحاطة بمعاني كَلِم القرآن وآيِه، وتلبية لما حضَّ عليه النبي الكريم وقرنه بالثواب من مثل قوله ﷺ: «أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه». (١)

والمراد بإعرابه معرفة معاني ألفاظه، لا الإعرابُ الذي اصطلح عليه النحاة، فالقراءة (بغيره) لا ثواب فيها ولا تصحّ، لأنها تقابل اللحن الذي كان استنكاره موضع إجماع. وروى ابن عباس أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال: أيّ عِلْم القرآن أفضل؟ فقال النبي: عربيته فالتمسوها في الشعر.(٢).

إلى جانب هذا كله كان تحصيل العربية خير سبيل لصون لغة القرآن من فساد الألسنة، ولتعليمها الداخلين في الإسلام من غير العرب. أمّا اليوم فقد اطمأن القوم، فيما يبدو، إلى أنهم امتلكوا الحصانة والضمانة في مواجهة كلّ ما يُتَخَوَّف منه في هذا المجال، فخفّ شغفهم بالعربية أو خبا.

وبتأمّل أحوالنا اليوم نجد أن السواد الأعظم من الناس قد استهوته، أو أسرته مظاهر الحياة الجديدة المتمثلة بأدوات حِرف التّقانة وأجهزتِها وبرامجها، وشبكات الاتصالات العالمية ولغة الحواسب، وما يترتب على ذلك كله من توافر المعلومة الموجزة الناجزة، أو المُتعةِ التي تجتذب العالِم المتخصص، وخليٌّ البال الباحثَ عن الترفيه، حتى صار هذا مشغلةً معاصرة.

إلى جانب هذه المظاهر يتبدّى الهم الاقتصادي بمغرياته وحصاراته مشغلةً أخرى لإنسان هذا العصر، وعلى حساب هذا التوزّع تتراجع قيم الثقافة التقليدية، وفي جملتها وخضمّها يتراجع الاهتمام بالظاهرة اللغوية، ويتدنّى أو ينحسر الأداء في اللغة العربية.

فإذا ماعدنا قليلاً إلى التفصيلات في الإطار التعليمي وولجنا دائرة التخصص وجدنا أنفسنا نهباًلمظاهر الضعف التي تزدحم فيها الأسباب وتتداخل في غير مواربة أو مداراة أو كتمان، ووجدنا أهل الاختصاص يتسابقون إلى الشكوى من ضعف الأداء اللغوي.، أساتذة وطلاباً ومنتقدين، ووجدنا مسوِّغات هذا الضعف تُلقى على الأنظمة التعليمية ، أو تُعزى إلى

القائمين علها، أو إلى المادة العلمية التي تُختار لتكون أدواتٍ وأسساً يشاد عليها بنيان العملية العلمية. ومن هذه الفكرة الأخيرة يفتح أصحاب الجدل في الموضوع باباً نحو الماضي فيزعمون أن معالجة هذا الخلل استمرّت بالأسلوب القديم وبالمادة العلمية القديمة نفسها، مع مامرّ من زمن، وما حدث من تطور، ومع اختلاف الأجيال وطرائق التعليم. ونقف عند هذه القضية بشيء من الإيضاح فنقول إن علماءنا الأفاضل من السلف وجدوا الأمر يتمثّل في ظاهرة اللحن، أو ما سمَّوه فساد الألسنة، وفات الخالفين أن ظاهرة اللحن لم تكن تقتصر على الخطأ في ضبط أواخر الكلِم، إنما تتعدّى ذلك إلى الخطأ الصرفي في تحريف بنية الصيغة، أو في الزيادة والإبدال والحذف والإلحاق والإدغام وما شابه ذلك من مصطلحات علم الصرف، وإلى الخطأ النحوي، وإلى الإخلال بنظام الجملة وبالرتبة والمطابقة والفصائل اللغوية، وإلى الخطأ المعجمي في الصيغ والجذور والخلط بين الأصول اليائية والواوية والمهموزة، وفي اختيار كلمات لا تتفق والمعنى الدقيق المراد، أو في إحْلال كلمة أجنبية محل كلمة عربية فصيحة. إلى غير ذلك مما يُدرج اليوم تحت اسم «علم الدلالة semantic».

وبهذا الفهم المتّسع لمصطلح اللحن يكون الأجداد قد نظروا إلى اللغة بصفتها منظومة بنيوية متكاملة، ويكون الأحفاد قد قيّدوها بالمعيارية؛ فجعلوها خطأً أو صواباً، وصرفوا النظر، ولو جزئياً، عن غير ذلك، أو ظنوا أن النحو وحده مثلاً كفيل بوضع قواعد تنطوي على احتياطات أمانٍ لسلامة القول، غافلين عن أن النحو لا يضع إلا مايشبه أنظمة المرور، أجل قد يساعد على استنباط القواعد وصوغها لتكون معواناً على الأداء اللغوي السليم، لا على أن تكون الأداة الأصل لتكوين المبدع، وهنا يتجلّى الفرق بين أسلوبي القدماء والمحدثين..

واتسع إطار المادة العلمية في مساع متعددة لمحاصرة اللحن وفساد الألسنة في اللغة[٣]، ونشأ عن ذلك اجتهادات وجدال ومدارس، وتبارى النحاة في إثبات خبراتهم، مما أفضى إلى المزيد من التشدد، ومن القواعد، حتى صار النحو صعباً، أو متأبياً على الإحاطة والانقياد، ومن هنا نشأت فكرة تسهيل مسالكه، وهي فكرة قديمة أقلقت المعتدلين من علماء العربية والمهتمين بأساليبها وفصاحتها، وتعالت الأصوات بالدعوة إلى تخليص النحو من مظاهر الشذوذ والتأويلات والافتراضات والاستثناءات، وإلى التخفف من تعدد احتمالات الإعراب، ومن كثرة التعقيد والتفريع في القواعد والأحكام والشواهد التي حفلت أحياناً بكثيرمن الغريب والشاذ والنادر والمجهول القائل والمُلغز والمصنوع.. واقتربت أساليب بعضها من الإلغاز والتعمية والمعاياة. أو تَرْكِ ذلك كلِّه للمغرِقين في التخصص والمغرَمين بالغريب، أو المتباهين بمعرفة مالا يعرفه الجمهور، حتى بدا للقوم في أمر لغتهم بَدَاء.

إن تلك التمّحلات والمماحكات التي أُشكل بعضها على العلماء والثقات الأثبات أسهمت في نفور كثير من أبنائنا من النحو ومن المعرفة اللغوية مما أقام حاجزاً من الجفوة بينهم وبين العربية. ولعلّ هذا ما دعا نفراً من القدماء إلى تسهيل النحو، أو تبسيط معقّده، فصنّفوا فيه مختصرات توافق تحصيل شداته وتُعدّهم لإدراك خصائصه وأسراره وصولاً إلى إتقان العربية بما ينبغي من الإجادة والإحكام. من هؤلاء خلف بن حيان الأحمر (ت ١٨٠ هـ) في رسالته المساة «مقدمة في النحو»، وأبو عمر الجرمي (صالح بن إسحاق البَجَلي ت ٢٢٥ هـ)، في كتابه «مختصر نحو المتعلمين»، وأبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥ هـ) في كتابه «المدخل في النحو»،

وابن كيسان (ت ٢٩٩ هـ) في كتابه «مختصر في النحو»، وأبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ) في كتابه «التفاحة في النحو»(٤).

وقد تقوّى هذا الاتجاه عند مجموعة من علماء العربية اللاحقين كأبي الفتح بن جنيّ (ت ٣٩٢هـ) في كتابه «اللمع»، وأبي بكر الزُّبيدي (ت ٣٧٩هـ) في كتابه «الواضح في علم العربيةَ»، والزمخشري (ت ٥٣٨هـ) في كتابه «الأنموذج» و «المفصل»، وابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢هـ) في كتابه «الردّ على النحاة»، وصولاً إلى ابن مالك وابن هشام.

وحديثاً اتجّه هذا الاتجاه إبراهيم مصطفى في كتابه «إحياء النحو»، والدكتور شوقي ضيف في كتابه «تجديد النحو»، والدكتور مهدي المخزومي في كتابه «نحو عربية سليمة»، وغيرهم كثيرون حتى بلغ عدد كتب التسهيل مايربو على عشرين كتاباً في هذا الإطار(٥).

ومن الإنصاف القول إن هؤلاء الدعاة إلى التيسير لم ينطلقوا من فراغ ولا افتراءٍ على حقائق الأشياء، وإنما خَلَصُوا إلى ذلك بعد التجربة الطويلة، وبعد التحصيل والتأمل والاستقراء، وعلينا أن نسلّم بوجود خلل ملموس في فهم العربية وإتقانها أياً كان سببه أو منشؤه، حتى ولو لم نوافق هؤلاء على مايرتؤون ويقترحون من النحو الوافي والكافي والشامل والكامل والواضح .. لأن جوهر الفكرة في التيسير مأتاه الإقرار بوجود الصعوبة، وهذا الأمر في مجمله يمثل وجهاً من وجوه ضعف الأداء اللغوي.

وثمة نقطة أخيرة تتعلق بأسباب الضعف اللغوي تستوقفنا مع من يزعمون أن معالجته استمرّت بالأسلوب القديم نفسه وبالمادة العلمية القديمة نفسها، فنقول: إن الأمر فعلاً يتطلب خطة علمية مدروسة بعناية، لأن قسماً من الأنظمة التعليمية الحالية مسؤول عن هذه الشكوى، ولعلّ أبرزَ مافي هذه

المسألة من اضطراب ما يتصل بعد الساعات المخصّصة للغة العربية، وبأنظمة الامتحانات، وبالتساهل الملحوظ في الترفيع من مستوى تعليمي إلى آخر في سني المرحلتين الابتدائية والإعدادية من التعليم، وأحياناً تتصل بالإكثار من القواعد حتى الإسراف الذي قد يشق استيعابه على المتخصص، فضلاً عن أن إيصال ماتُلْزم الأنظمة التعليمية إيصاله إلى الناشئة يجري بطريقة إلقائية أو إملائية تلقينية كالقوالب الثابتةمن جهة المدرِّس، وحفظية خالصة من جهة المتعلِّم، من غير محاكمة أو حوار أو استفسار، وبمعزل عن التذوق وتفجير الطاقات الكامنة والملكات التي من صميم عمل المربي اكتشافُها ورعايتها.

ولا نَغْفَل عن أن التلقين إذا كان على تدرج وإيضاح في إيصال المعلومة أدّى الغرض المرجوّ منه والفائدة التي لا تُجحد قيمتها، وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون: «إن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدريج .. يُلقي عليه أولاً مسائل كلِّ باب من الفنّ، هو أصول ذلك الباب، ويُقرِّب له في شرحها على سبيل الإجمال، ويراعي في ذلك قوة عقله، واستعداده لقبول مايرد عليه، حتى ينتهي إلى آخر الفن. وعند ذلك يحصُل له ملكةٌ في ذلك العلم، إلا أنها جزئية وضعيفة، وغايتها أنّها هيّأته لفهم الفن وتحصيل مسائله. ثم يرجع إلى الفن ثانية فيرفعُه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها، ويستوفي الشرح والبيان، ويَخْرج عن الإجمال، ويذكر له ماهنالك من الخِلاف ووجهَه إلى أن ينتهي إلى آخر الفن فتجود ملكته»(٦).

ومن الواضح أن هذا المنهج الهادئ المتأني يلقى في النفس الرضا والقبول، ولكنه لم يكن محكوماً بمزاحمة غيره من فروع العلم والمعرفة التي تتوزّع ساعاتها ودقائقها عقول الناشئة وأذهانهم وتنهب صفاءهما. لذا يبدو

كل اقتراح في الميدان التربوي مُحْوَجاً إلى معرفة الواقع وتقدير الأحوال.

فإذا ما أردنا أن نخرج من إطار المؤسسات التعليمية ونتّسع فننظر إلى المشكلة في جوانبها ومظاهرها العامة ألفينا الصورة تختلف، لا في جوهرها المتمثل في ضعف الأداء، ولكن في مواصفاتها ومعطياتها.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الدراسات العلمية أو الإحصائية لم تُجرَ على سبيل الإحاطة أو وفق خطة متكاملة تتلمس جذور المشكلة وتستخلص الحلول لها، وإنما كانت هناك دارسات محدودة وجزئية يطغى عليها الانطباع الذاتي، أو الرؤية الضيقة، أو التجربة النوعية، أو المحلية.

وليس من شأن هذه العجالة أن تعرض لأسباب الضعف في الأداء اللغوي على الصعيد العربي، لا استقصاء ولا استقراء، إنما يمكن التذكير بمؤثّرات عامة بارزة، منها تأثر بعض الأقطار العربية لغوياً بالاستعمار الذي أحلَّ، أو حاول أن يُحلَّ لغته محلّ العربية فتراجعت العربية جرّاء ذلك بقدر مّا، أو زمناً ما. وبعض الأقطار ازدحم بالدخلاء الأجانب فكان تنوّعهم وكثرتهم عاملاً مؤثراً في الحدّ من حيوية العربية ومن سعة شيوعها حتى بدا الأمر وكأنّ لغة الحياة اليومية لغير العربية، وبات التفكير بأن فصحاها ستكون حبيسة المساجد كما آل الأمر باللاتينية من قبل حين صارت حبيسة الكنيسة، إن لم يسارع الغيارى عليها إلى تدارك الخلل. وبعض الأقطار شُغِل بمنجزات الحضارة والعلم، لا بالعلم، فَلَها عن العربية واستمرأ الاستمتاع بمظاهر الحياة الاستهلاكية وبلغتها ومسمياتها فأغفل الكتاب والهمَّ اللغوي كلية، واستعاض عن ذلك بوسائل ترفيهية وفّرت له الراحة وسرعة الأداء في معزل عن التحصيل العلمي وإعمال الفكر، كأنه أُريد للعربي أن يكون سوقاً لتصريف السلع التي تنتزعه من سُقيا العلم والتراث.

في هذا المضطرب زاحَمَ العربية الدخيلُ واللغات الهجينة والتعدُّد اللغوي فوق ماتعانيه من ازدواج لغوي وجهل وأُمّية أحياناً، فخفّت جَهَارة صوتها القديم.

وإذا كانت وسائل الإعلام هي الأكثرَ تواصلاً وتفاعلاً مع الجماهير العربية، فمن المنتظر أن يكون لها بالغُ التأثير في العقول. وانطلاقاً من هذا التصور سيكون المأمول من أصحاب القرار المعنيين أن يبذلوا قصارى ما في وُسعهم لرفد مؤسساتهم الإعلامية بالمتخصصين الأكفياء ليكونوا رديفاً ومعواناً للمؤسسات التعليمية في ترميم ما هُدم أو تصدّع، لكننا - مع الأسف الشديد - نرى مباني الإعلام تُملأ بمن تتوافر لديهم مواصفات متعدِّدة متنوعّة ليس في جملتها مراعاةٌ كافية للقيمة اللغوية، أو لقيمة الأداء وسلامة القراءة، مع إجماع العرب كلهم على أن لغتنا القومية تمثل أقوى الروابط بيننا على الإطلاق.

ثمة معايير عاطفية ومواريث من الرواسب الاجتماعية البالية تتفوّق على المعايير العلمية في اختيار المشتغلين بالإعلام، ولا يجهل أحد اليوم ماللإعلام من أهمية وخطورة في تربية الأجيال وتوجيهها: قومياً، ولغوياً، وأخلاقياً، وفنياً وغير ذلك. ولعل في الشاهد الآتي مايغني عن الكثير من التفصيلات ومن الشواهد والأمثلة وإيحاءاتها. قال المذيع الذي قضى في الإعلام أكثر من ربع قرن سائلاً المتسابقين: من القائل:

فهذي شهورُ الصيف عَنَاقِدُ انْقَضَتْ فما للنوى ترمي بليلى المراميا

وقال متابعاً: أكرر قراءة البيت:

فهذي شهورُ الصيف عَنَاقِدُ انْقَضَتْ

ولم تستقم له القراءة: عنَّاقَدِ انْقَضَتْ؟!

فهل يُعقل ألا يعرفَ هذا المعدُّ ماذا يقول؟ ولا نقول إنه يجهل جميلَ ابنَ معمر وشعره فذلك واضح. ولكن كيف يتقبّل المتسابق المسؤول جمع «عناقد»، وكيف يتصور انقضاء العناقد؟ وكيف يَنْسِب بيتاً من الشعر لم يقله أحد إلى شاعر بعينه؟ أليس في ذلك زعزعةٌ لما تعلّمه ولجماليات الشعر واللغة وإزراءٌ بالذوق والسمع والعقل؟!

وعلى غرار ذلك تقر أمذيعة بيت أحمد شوقي في دمشق فتقول:

جرى وصفّق يلقانا بها بردى   كما (تَلْقَاكَ) دون الخلد رضوان

ألا يظنّ السامع أن «رضوانَ» امرأة وأن الخُلْدَ مقهى؟! وبعد، أفيجهل مخلوق قليل التفتيش لكلام العرب بيت شوقي هذا؟!!

فما بالك لو سمعتَها نفسَها تقرأ هذا البيت:

تبارك زيتونُ الشآم وتينُها   إذا تُقْسِمُ الدنيا فهنّ يمينها

قائلة:

تبارك زيتون (الشام) وتينها   إذا (تُقْسَمُ) الدنيا فهن يمينها

والبيِّنة تُعفي من الإطالة في الحديث عن ضعف الأداء اللغوي.

زدْ على ماسبق طغيانَ النزعة التقنية في التركيز على الأجهزة الحديثة والإفادة من معطياتها وتشغيلها وتطوير أدائها. وهكذا يستنفد الإعلاميون إمكاناتهم وطاقاتهم في قضايا ومشاغل لاندّعي التقليل من شأنها، ولكنّ المحصلة تكون في كثير من الأحيان انصرافاً ملحوظاً عن العناية الضرورية بالجانب اللغوي .. صحيح أنه ليس من المطلوب أو المتصوَّر أن يكون العاملون في الإعلام متخصصين في العلوم اللغوية، ولكننا على يقين بأن أحداً منهم لا يريد أن يجهل لغته القومية، ومع ذلك فإن هناك ضعفاً ملحوظاً

في الأداء اللغوي الإعلامي: قراءة، وإلقاءً، وصياغةَ أخبار وافتتاحياتٍ وتعليقات وتحقيقات، ضعفٌ يصل حدود الخطأ في القرآن الكريم، وفي أسماء مشهوري الأعلام والأماكن، وفي لغة المسلسلات التاريخية، وفي المعروف والمحفوظ من الشعر .. وعلى مسمع العرب كلهم، أطفالاً وأجيالاً وأمهات وشيوخاً، وفي ذلك مالا يُدرك مداه من الخطورة ولا تُتحامى عقابيله وآثاره في الأذواق والعقول.

لقد تداعت الحكومات والهيئات والمؤسسات العلمية العربية على مختلف مستوياتها وأقطارها للعناية باللغة القومية ورفع شأنها، وأقيمت الندوات والاجتماعات، وألقيت المحاضرات والأبحاث، ووضعت الخطط والمقترحات في سبيل تعزيز مكانة العربية وإعداد الناشئة لإتقانها ومتابعة الحفاظ على منزلتها السامية في تاريخنا ونفوسنا، وكان للجهات الرسمية حرصها المحمود على العربية في مواجهة مايمكن أن نسميه «الغزو اللغوي»، وقد تجلّى هذا الحرص في جملة من المراسيم التي تَحُدّ من تفشي التسميات الأجنبية وإطلاقِها على المحالّ العامة والخاصة كالنوادي والفنادق والمتاجر والمجمّعات والمقاهي والملاهي وما شاكل ذلك، وفي المقابل نصت تلك المراسيم على ضرورة استخدام العربية في جميع ذلك وفي المراسلات والمطبوعات والأختام واللوحات، وعُزّزت تلك المراسيم بالمراقبة التنفيذية وبفرض العقوبات على المخالفين.

وهناك عدد من المراسيم الملكية والقرارات المنظِّمة لهذا في المملكة العربية السعودية على سبيل المثال[٧]. وفي سورية صدر المرسوم التشريعي رقم ١٣٩ في عام ١٩٥٢ عن رئيس الدولة ونصّ على مثل ذلك، ثم حُفظ في وزارة التموين حتى الشهر السابع من عام ١٩٧٠ حين أعاد وزير التموين

التذكير به، وكلّف أمناء السجلّ التجاري والمراقبين التموينيين تنفيذ مضمونه.

ولا يخفى على المتأمل أن إيكال هذه المهمة إلى وزارة التموين يُشعر بأنّ المسألة إجرائية قانونية الأصلُ فيها منح رُخَص افتتاح الأماكن وتسميتُها أو حجبها، وكتابة المخالفات، وليس جوهرها حماية العربية. وهنا قد نتفاءل فنسمي ذلك تقديراً للعربية ونُثني على بوادر المسؤولين، أو قد نتشاءم فنسمي ذلك استخفافاً بالعربية بإيكال حمايتها إلى مراقبي التموين ونعتُب على المسؤولين. وليس هذا معقد الخيوط، وإنما هو تخيّر مثال أو شاهد إجرائي ليحرّض فينا الهمم كي نفعل شيئاً، أو ليثير القضية التي تهُمّنا جميعاً فلا تبقى التوصيات والتعليمات بشأن صون اللغة القومية خلف الظهر والذاكرة، أوطيّ الإغفال والتأجيل. ومن الغبن والتضييق أن نَقْصِر المسألة على جانبين أو جهتين معنيتين بها؛ فتجزئة كلّ مسألة من هذا النوع تعني الإضرار بها تقويماً ومعالجة، كما تعني إلقاءَ اللوم في التقصير على طرف بعينه، أو إعفاءَ طرف منها، وهي في الحقيقة مسألة ومسؤولية ينبغي أن تكون موضع عناية الجميع. ذلك أن المؤسسات العلمية في المدارس والمعاهد والجامعات ومجامع اللغة العربية لا تستطيع وحدها أن تضع يدها على مجمل مكامن ضعف الأداء في العربية، ولا أن ترصد التقصير وتُشخِّص العلل لتقترح ـ اعتماداً على ذلك ـ سبل العلاج الناجع وتحسِم الأمر. ومن هنا يكون إلقاء اللوم عليها وحدها ضرباً من التهرب أو التنصل من المسؤولية، وإن كانت هذه المؤسسات قد أُعدت أصلاً لهذا الغرض، لأن المسؤولية في القضايا القومية تتطلب تظاهر القوى وتضافر الجهود جميعها حتى لا تُلقى الحمائل على كاهل واحد يتهاوى تحتها وتتهاوى معه.

وقد يكون من المفيد أن نرسم صورة تقريبية لما يمكن عمله، أو أن نقترح بعض الحلول التي نستشرف جدواها في هذا الموضوع مستقبلاً، فمن ذلك:

١- البدء بحملة لتعميم القراءة في خطة منهجية تستغرق المدينة والريف، وتشمل في مضمونها الأطفال داخل المدارس وخارجها مع الاستعانة بكل الإمكانات المتاحة في وزارات التربية والثقافة والإعلام والتعليم العالي واتحادي الكتّاب والصحفيين وبإشراك الاباء في البيوت بهذه الرسالة الجليلة.

٢- الحرص على إخراج الكتب التعليمية مشكولة الكِلم حتى نرسخ أسس القراءة السليمة، والحرصُ على أن تكون النصوص المتخيّرة للتعليم ممتعة مصوغة ببيان لغوي يَسْري فيه ماءُ العذوبة والفهم والإمتاع، ويجمع بين جماليات اللغة في القديم والحديث لتقوم بين العربية والأجيال أواصر الألفة، وأن يُعزَّز هذا بمنهج حفظِ النصوص وتكرار استظهارها، مستذكرين هنا مباهاة أجدادنا بمقادير ماكانوا يحفظون من الأرجاز والأشعار.

٣- العمل على إرساء تقاليد الأداء اللغوي السليم في المؤسسات العلمية والإعلام وتعميم الخطاب باللغة العربية الفصيحة قدر الإمكان، إلى جانب تدريب الأجيال على ذلك وعلى الكتابة الحرة، كأن يكتب الصغار خواطرهم وانطباعاتهم ومذاكراتهم أو انتقاداتهم، وأن نشجعهم على المضيّ في الدربة وتنويعها حتى يكتسبوا المهارات اللغوية التي تصبح مأمناً لهم من العِثار، وأن نركز على تصويب مايكثر فيه الخطأ حتى يترسخ الصواب.

٤- في مجال المعيارية والسلامة اللغوية يحسن التركيز على النحو الوظيفي، وعلى استقراء النصوص واستخلاص الأحكام المنطقية منها بالتأمل

والمحاكمة، لا بالوعظ والعقاب اللذين قلما يلقيان في نفوس الأبناء الارتياح والقبول.

٥– إخضاع فكرة تسهيل النحو لضوابط موضوعية، لا أن يكون مطلباً مطلقاً، وإلا فسيجيء يوم يطلب الناس فيه تسهيلاً آخر وآخر حتى يفضي بنا الأمر إلى ما يشبه التخلي عن أصالة العربية وأسسها.

٦– أن تُخضع الكتب والمناهج التعليمية إلى اختبار وتقويم من قبل لجنة جماعية متخصصة. وأن تُعقد دورات جادّة مطوّلة للمدرسين لإعدادهم الإعداد المطلوب، لأنهم إن لم يُعَدّوا لن يستطيعوا أن يُعِدّوا الأجيال المقبلة على هذا الطريق، وأن نركّز على التكامل في تحصيل العربية: نحواً وصرفاً وبلاغة وإملاء وأساليبَ وسلامة عبارة.

٧– أن ننظر إلى فكرة التجديد اللغوي أو التطور اللغوي نظرة علمية تُخضع تطبيق هذه الفكرة لتحكيم العقل، ولصحة الأداء، لا للطفرات التي يتعاورها الذوق الخالص والكسل، وأحياناً اللهو غير البريء، مما يولّد مفردات ومصطلحات وتراكيب ليست مطردة ولا مقيسة على وفق الأصول اللغوية. بكلام اخر: ينبغي أن تُقبل فكرة التطور والتجديد عندما تصدر عمّن خبروا العربية وأسرارها، وآلفوا أساليبها، أو عندما يتبناها المتقنون لأصولها، أو القائمون على مؤسسات علمية موثوقة في هذا الميدان. أما أولئك الذين لا يريدون أن يُجهدوا أنفسهم في تحرّي الدقّة اللغوية فلا يصح أن يُقبل منهم تذرُّعُهم بمقولة التطور اللغوي لأنّ في ذلك إفساداً للغة وللأجيال والأذواق، ونفوراً من اللغة، وقبولاً بشيوع الفوضى اللغوية في كل مكان وعلى كل لسان.

٨– أمام تزايد الشكوى من شيوع الأغلاط اللغوية في الأعمال

الأدبية المنشورة وتدني مستوى الأداء فيها صار من الضروري عدم التسرع في نشر الكتابات المبكرة بتصدير أسماء أصحابها في الصحف والدوريات وأجهزة الإعلام التي تخلع عليها الألقاب الكبيرة من مثل: أمسيّة شعرية للشاعر فلان - أو أمسيّة قصصية للقاص أو الروائي فلان، وقد تكون تلك المرةَ الأولى التي يقف فيها أمام من يسمعه!. فالمبالغة في تشجيع هؤلاء تُصيبهم بالغرور فيستمرئون الكتابة السهلة الضحلة، ثم يعزفون عن القراءة، ولهذا ماله من العقابيل.

٩– إن إتقان العربية حاجة ملحّة وضرورية في هذه المرحلة التي يزداد فيها الإقبال على الترجمة والتعريب للوقوف على التطور العلمي والفني وآخر مستجدات العلم عند الأمم الأخرى. ولا تتم هذه العملية مالم نُتقن العربية إلى جانب لغة أو لغات أخرى. وسيكون من المفيد للعربية التذكير بهذا الحافز المهم.

١٠– ومن المفيد الإقبال على استخدام التقنيات الحديثة كالحواسيب والمخابر اللغوية وبرامج المعلوماتية الحديثة في الترجمة وتخزين المعاجم أو تصنيف القواعد، إلى ما هنالك من الإحصاء والضبط والإيضاح.

١١– ونشير أخيراً إلى عدم المغالاة في تصوير مشكلة الأداء اللغوي وكأنها أمر لا يمكن التغلب عليه حتى لا نرسخ اليأس عند من يمتلكون أو يمتلئون استعداداً لذلك. فلكل علم أو نشاط إنساني مشكلاته المعقدة. ومعيار قيمة الإنسان في إثبات مقدرته على تجاوز الصعوبات والتغلب على المشكلات لأن ذلك جزء من بناء الإنسان وانتصاره.

وبعد، فلقد حافظت العربية على أصالتها وعراقتها منذ فجر الجاهلية الأولى إلى اليوم كما لم تحافظ لغة جاورتها أو عاصرتها، بل كما لم تحافظ

لغة على وجه الأرض، فبقي بنيانها شامخاً وأسسها مكينة متماسكة، ولم تَحُلْ هذه الثوابت فيها دون الإبداع والتجديد في الأساليب والصياغة والموضوعات وكلٍّ ما من شأنه التدليل على حيوية هذه اللغة وأهلها. وهذا برهان لا يدفع على أن الضعف في الأداء بها لا يرجع إليها نفسها، بل يرجع إلينا نحن. وكما شهدت العربية في تاريخها كبوات نهضت منها كالجياد الأصيلة يمكن أن تشهد كبوات أخرى أو وَهْناً آخر في مرحلة ما، ولكنّ سَدَنتها من العلماء والأجيال تمتلك كلّ أسباب المقدرة للمحافظة عليها هواءً ضرورياً لتنفسنا ولاستمرار حياتنا، وإن تلوث الهواء.

الحواشي

(١) ينظر: «الإتقان في علوم القرآن» لجلال الدين السيوطي ١/١١٣ ط القاهرة ١٢٧٩هـ.

(٢) ينظر: «مقدمتان في علوم القرآن» ص ٢٦١، لابن عطية ومجهول، نشر وتصحيح آرثر جفري. مكتبة الخانجي. القاهرة ١٩٥٤ م.

(٣) كثرت الإشارات إلى فساد الألسنة في كتب التراث اللغوية، ينظر منها على سبيل المثال: «لحن العلوم» للزبيدي: ٤ والصفحات: ٧، ٨ ، ٩، ١١. تحقيق د. رمضان عبد التواب، ط مصر ١٩٦٤، والكتاب نفسه باسم « لحن العامة»:٣٤ بتحقيق د. عبد العزيز مطر، ط دار المعارف بمصر ١٩٨١، كما تنظر منه الصفحات: ٣٥، ٣٧، ٣٩.٣٨،. وكتاب «الاقتراح» للسيوطي: ١٩ طبعة حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٦٨ هـ ، وكتاب «المزهر» للسيوطي: ١/٢١١ ـ ٢١٢ بتحقيق محمد جاد المولى وزميليه ، دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٨. وكتاب: «تثقيف اللسان وتلقيح الجنان»: ٤٣ لابن مكي الصقلي، بتحقيق د. عبد العزيز مطر، دار المعارف بمصر ١٩٨١، وفي طبعة القاهرة ١٩٦٦ تنظر الصفحة ٤١.

(٤) ينظر كتاب «ندوة النحو والصرف» الصادر عن وزارة التعليم العالي بدمشق ١٩٩٤ ص ٥٤، وهو يضم الأبحاث التي ألقيت في الندوة التي أقيمت في رحاب جامعة دمشق من ٢٧ ـ ٣٠ من الشهر الثامن ١٩٩٤.

(٥) الموضع السابق ص ٤١.

(٦) ينظر :« إنباه الرواة» لجمال الدين القفطي ١/١٥٩ بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ القاهرة ١٩٧٣م.

(٧) انظر مجلة «الفيصل» السعودية، العدد (٢٥٨) ص ٧، عام ١٩٩٧.

ضعف الأداء في اللغة العربية

أسبابه وعلاجه

د. محمد المختار ولد أبّاه

١ـ الواقع:

واقع اللغة العربية اليوم مدعاة للغرابة والقلق، والحزن.

إنه من المفارقات الغريبة، أن يضعف أداء اللغة العربية، لغة الوحي والتنزيل، هاته اللغة التي تتردد آياتها على ألسنة أكثر من مليار من البشر خمس مرات كل يوم، لغة الإعجاز والذكر المحفوظ، وبلاغة من أوتي جوامع الكلم وأفصح من نطق بالضاد. إنها اللغة التي تحتمي بخلود القرآن، ومما امتازت به أننا نقرأ اليوم بها ما يقول أعراب الصحراء قبل عشرين قرناً، وهو مايزال غضّاً طرياً.

وهي أيضاً لغة خطاب الإسلام الذي أصّل قواعد التشريع، وفصّل فروعه وحصل ثماره في أحكامه البينة وحكمه البالغة.

وقد ظلت طيلة القرون مرآة حضارة تنافست فيها العلوم والآداب والفنون. فلهج الشعراء بسحرها، والكتّاب ببيانها وبديعها، والعلماء بسعتها

ودقة تعبيرها. سارت مع تطور الفكر والإبداع وهيأت النمو المطرد ففتحت أبواب النحت والاشتقاق وزاوجت بين الحقيقة والمجاز ونقلت من أخواتها كل ما وافق صيغتها وأوزانها.

وها نحن اليوم، نرى دورها يتقلص ويتناقص، وتلهث وراء المصطلحات العلمية فلا تبلغ منها إلا النزر اليسير. وتهجر في بيتها، وتقطع أوصال أدبها وتكسر جنباتها فوق الكراسي والمنابر وتتهم بالعجز والتخلف والقصور.

أ) الأسباب والعوامل:

فما هي أسباب هذا الوضع؟ إننا لم نتعود النظر إلى مشاكلنا وجهاً لوجه، وأن نلقي باللائمة على الغير فيما نعانيه. ولقد كان الاستعمار أول من نوجه إليه أصابع الاتهام، والحجج والأدلة لا تعوز في هذا المقام. فالاستعمار الغربي هو الذي فرض نظم التعليم الفاشلة ونجح في ترسيخ مناهجه وطرقه في التفكير واستطاع أن يجعل من لغته وسائل التخاطب الشائعة وسبل امتلاك العلوم العصرية، في فترة حكمه المباشر وأحكم الرباط بين مواطن النفوذ والعمل، وبين الولاء للغته وثقافته. وبعد حكمه المباشر ترك التقاليد التي رسخت في العقول فاستحكمت في المنهجية والتفكير، والتقويم والأداء. فإن كان الاستعمار من الأسباب الخارجية المؤثرة في الداخل فإن العوامل الداخلية كان لها أيضاً الأثر الواضح في هذا الواقع المحزن ونذكر منها:

إخفاق النظم التربوية في إحلال الفصحى محل اللغة الأولى في الخطاب العادي والعلمي، وإغلاق العامية دونها باب البيوت إذ طاردتها في المدرسة وشدت اللغة الأجنبية عليها الخناق في الجامعة، وتركزت الجهود في

تضخيم مشاكل كتابتها.

ب) اللغات العامية:

إنها البنات التي تضار بوالدتهن، فالعاميات لا يكتفين بمزاحمة الفصحى في البيت والحياة، بل يضايقنها في الميدان الذي ينبغي أن يكون من اختصاصها. كالآداب والفنون وهاهي العاميات تقتحم مجال الشعر، والرواية والمسرح، وتكاد تحتكر كلمات الأغاني ونرى في كل؛ هذا تطاولاً وحيفاً على العربية.

غير أن الأخطر من هذا كله، أن أناساً اتخذوا العامية مطية لمكافحة الفصحى، ومنذ وقت غير قصير برزت دعوات مشبوهة، تنادي بالنهوض في لهجات كل قطر، وتدوين قواعدها وكتابتها وتعليمها، ورافقت هذه الدعوة إنشاء مراكز متخصصة لها في الجامعات الأوربية وصدور عدة كتب مدرسية لتعليمها.

وقادة هذه الحملة معروفون فكان من بينهم وكولكوس وپيتّا في مصر، وماسنيون في سورية. ولقد لقوا آذاناً صاغية من بعض أعلام الفكر العربي.

ومشكلة ازدواجية الفصحى والعامية مازالت اليوم من قضايا التعريب الشائكة، تحتاج دراسة منهجية تحكمها ضوابط التوجيه والتنسيق.

وإذا كان من المألوف أن تكون في كل لغة عدة مستويات في الأداء والاستعمال، فلغة التخاطب عند العامة، لا يطلب منها أن تكون في مستوى لغة الأدباء والكتّاب. غير أن المشكل يكمن في استقلالية كل لهجة، ومحاولة قطعها عن اللغة الأم، بينما التوجيه الصحيح يقتضي العمل على

ربط الصلة بينهما، وذلك برفع مستوى اللهجات وتقبل تبسيط الفصحى حتى تكون مفهومة من العامة.

ج) اللغات الأجنبية:

لقد فُرضت في ميادين العلوم العصرية، ومجالات البحوث والدراسات المتخصصة، والمراجع الموسوعية الحديثة. وغزت الطبقات العليا في المجتمع العربي، حاملة معها ما يلازمها من منهج وسلوك.

فصارت وكأنها المثل الأعلى في الخطاب والإبداع والإنتاج الفكري. ومن أهم ما تحتفظ به شدة العناية بسلامتها بالتعبير بها وكل هذا على حساب اللغة العربية بما فيها العامية.

د) مشكل الكتابة:

لا جدال في وجود بعض الصعوبات التي تعترض قارئ اللغة العربية إذا لم يكن المقروء مضبوط الشكل. ويريد خصوم الفصحى تضخيم هذه المشكلة لهوى في نفوسهم. فيطلقون الشعار القائل: إن اللغات العادية تقرأ لتفهم وإن العربية تفهم لتقرأ.

والحقيقة أن عملية الفهم والقراءة الصحيحة لا تنفصل في أي لغة، والفهم يتوقف على مستوى من المعرفة يتناول ألفاظ النص ومعانيه وكلما تمكن القارئ من اللغة سهل عليه فك رموز الكتابة وتغلب على غوامضها.ولعل خير مثال في ذلك أن القراء الأقدمين لم يواجههم أي مشكل في قراءة المصاحف التي عريت من النقط والشكل واحتاج من جاء بعدهم إلى الإعجام والضبط ليتمكن من القراءة الصحيحة.

وللكتابة في اللغة العربية تاريخ أدبي حافل، تطور إلى فن رائع،

اشتهرت أقلامه وفرسانه. والأمر هنا يقتضي:

أولاً: عدم قطع الصلة بين القديم والحديث في فن الكتابة وضوابطها.

ثانياً: السعي إلى توحيد الخطوط بين أقطار الدول العربية.

ثالثاً: تحديد ضوابط الإملاء وتعميمها في المدارس العربية.

٢ ـ آليات العلاج:

إن علينا اليوم أن نشد دعائم لغتنا، وأن نحرك طاقاتها الكامنة، حتى تتبوأ مقعدها بين لغات عالم لا يرحم الضعيف ولا يترك مكاناً للمستكين.

وسوف نقتصر في هذا الحديث على أربع من هذه الدعائم:

١) المدرسة من الروض إلى الجامعة.

٢) الإعلام العربي.

٣) المجامع والهيئات المتخصصة.

٤) الإدارة السياسية.

١) الدعامة التربوية:

لقد رأينا أنه من عوامل ضعف أداء لغتنا، فشل النظم التربوية التي لم تع ضرورة تحصيل الملكة الغوية، ولم تفلح في استعمال الوسائل الملائمة من التمكن اللغوي التام.

وتحصيل الملكة اللغوية لا بد أن يمر بمرحلتين، وهما:

١– التلقين الفطري.

٢– تنمية التعليم اللغوي.

أ) مرحلة التلقين: مرحلة التلقين أساسية في منطلق التكوين، وهي لا تعني تعليماً بالمعنى التقليدي. وإنما هي عملية غرس وإيحاء. فالأم لا تعلم طفلها اللغة، وإنما تحاوره، ويسمع منها فيفهم دون شرح أو تفسير، ويحاكي ماتقول ومع المدة، تنطبع أصول اللغة في ذهنه، ويصل إلى مايسمى بالسليقة، حيث تستقر ملكته في الحديث العفوي المخزون في فكره دون تكلف أو شعور، وتنمو موهبة فهمه عن طريق الحس اللغوي الطبيعي في التعبير تلقائياً عن أحاسيسه.

وبما أن اللغة العربية لم تعد لغة الأم، فإن على المعلم في السنوات الأولى من المدرسة أن يقوم مقام الأم في عملية التلقين الفطري. عملية تستبعد في منهجها، تدريس القواعد النحوية والصرفية، وشرح الكلام بالكلام، وإنما قوامها الصبر على المحادثة المبسطة، والعناية بتسجيل المعاني والألفاظ في ذاكرة التلميذ، وحمله على تثبيتها واستعادتها بصيغ مختلفة.

وقد يكون مقياس الوصول إلى مستوى السليقة حينما نلاحظ رغبة الطفل بالحديث دون أي طلب أو استشارة، لأنه يشعر حينئذ أن هذه اللغة هي لغته هو.

ب) مرحلة تنمية التعليم اللغوي: إنها عملية تستمر مدى الحياة، وفيها على التلميذ ، والمتعلم والطالب والأستاذ، مواصلة الرحلة مع لغته عبر مراحل الحياة، وتنوع المشاغل.

٢) الدعامة الإعلامية:

إننا بقدر مانلوم الصحافة العربية على ماتمارسه من التساهل في الأداء وفي الاقتراض والترجمة الحرفية من اللغات الأجنبية، بقدر مانعترف لها

بدورها البالغ في نشر العربية، وتبسيطها وإيصالها للجماهير، ذلك أن الإعلام العربي، المقروء والمسموع والمنظور يساهم بصفة مؤثرة في نقل الوقائع اليومية ومعالجة القضايا الراهنة بلغة عربية مقبولة، فاستطاع بذلك تضييق الهوة بين اللهجات العامية، وبين الفصحى وهو مما يساعد على إشاعتها وترسيخها.

وفي المحيط العام للإعلام العربي، لابد من الإشارة إلى جوانبه الثقافية والفنية، التي تصدر عنها الأفلام والمسلسلات الواسعة الانتشار. ومن الملاحظ أن جلها كتب باللهجات العامية. وقد رأينا ما في ذلك من مس بتوحيد اللغة بين الأقطار العربية.

وقد يصعب الوقوف أمام هذه الظاهرة دون القيام بحملة إقناع قوية تستند على وسائل تشجيعية، مثل تخصيص جوائز تشجيعية للأعمال الفنية التي تكتب بلغة فصيحة ومبسطة، ومفهومة من قبل الجماهير العربية في كل قطر منها.

فالمطلوب، أن يعي هذا الإعلام دوره وأن يقدر مسؤوليته الثقافية، بالجد والاجتهاد في تحسين أساليبه اللغوية، وبلورة نموذج يجمع بين البساطة في التعبير واحترام القواعد الأساسية.

ولابد من تضافر جهود الدوائر الحكومية المسؤولة عن الإعلام الرسمي، مع فعاليات الإعلام الخاص الذي أصبح مجاله يتسع يوماً بعد يوم.

٣) الدعامة المجمعية:

يتوفر العالم العربي اليوم على اثنتي عشرة مؤسسة مجمعية متنوعة الأهداف والأنشطة، إذ منها مايهتم ببحوث الحضارة وقضايا التشريع، ومنها

ما يركز على دراسات القضايا المعاصرة. غير أنها جميعاً تهتم باللغة العربية.

ونغتنم هذه الفرصة للتنويه المستحق بمجمع اللغة العربية في دمشق الذي نعتز بوجودنا في رحابه، وإن تراثه الحافل ونشاطه المتجدد أكبر شاهد على مالهذا البلد العريق من صدق الإيمان بمقومات الثقافة العربية، ومن إخلاص في العهد على رفع شؤون الحضارة الإسلامية.

كما يشمل هذا التنويه مجامع بغداد وعمّان ومجمع القاهرة الذي يتميز بنشاطه الثقافي والمعجمي البارز مع مايضطلع به من مهام خطيرة في وضع المصطلحات العلمية وإضفاء الشرعية اللغوية على الألفاظ والأساليب الجديدة إثراء للغتنا.

ومما لا شك فيه أن إثراء اللغة وتسهيلها يدعو إلى تقبل الصيغ التي لا تخرج عن دائرة الأوزان العربية. ولو لم يكن استعمالاً شائعاً في العهود الأولى. فإننا نلاحظ بعض المتشددين ينكرون جمع النية على «النوايا» ويدعون إلى الاقتصار على «النيات» ومنهم من يعد خطأً أن تقول: «أعاني من كذا» لأن فعل المعاناة يستعمل دون «من» ... وقد قيل:

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

وقد بلغ الأمر ببعض المتشددين أن ينكروا بعض الصيغ الصحيحة نذكر منها من يخطئ قول «الأماني» احتجاجاً بقراءة ﴿ليس بأمانيك ولا أماني أهل الكتاب﴾.

وهذا غير معتبر لأن «الأماني» بدون تشديد قراءة أبي جعفر عن استعمال المدني وهو من شيوخ الإمام نافع.

وأعترف شخصيًا أنني مازال في نفسي شيء من كثرة استعمال

«التواجد» وأن هذا الأمر «يطال» الجميع.

ولكن أعتقد أن هذا الاستعمال سوف يثبت و «يطال» كل الألسنة.

غير أن الذي أرى من الصعب تحمله،هي الألفاظ التي عربت بصورة مزعجة، وبأوزان ناشزة، مثل: السناريوهات والمكانيزمات، وكذلك الاستراتيجيات. فلكل من هذه المدلولات عبارات عربية فصيحة.

فالسناريو، هو الخطة، أو التصور، والمكانيزمات هي الأجهزة، والاستراتيجيات هي الغايات إلخ...

ومما ينبغي الانتباه إليه، أن استعمال عربية فصحى سليمة من اللحن نقية من الشوائب لا تعني المبالغة في التشدد، والبحث عن الأخطاء الشائعة أو عن لحن الخواص.

فاللغة يجب أن تكون سهلة تتجنب حوشي الكلام وغريبه، وأن لا يظهر حتى في إعرابها أمارات التكلف والتشديد.

فالبراعة تتجلى في صفاء اللغة وقربها مما وصفه البحتري بقوله:

حزن مستعمل الكلام اختيارا وتجنّبن ظلمة التعقيد
وركبن اللفظ القريب فأدْرَكْـ ـنَ به غاية المراد البعيد

قد يكون هذا المثال الأعلى والسهل والممتنع، ولكن الغاية النهائية في اللغة هي حسن التعبير وسهولة الإفهام.

ومما يساعد في تحقيق الأهداف المتوخاة أن هذه المجامع انضوت تحت لواء «اتحاد المجامع» الذي نعلق عليه كبير الآمال في إعطاء دفع جديد في سبيل تقدم حضارة أمتنا.

ورجاؤنا أن يكون هذا الاتحاد السلطة الأكاديمية والأدبية لمعالجة قضايا اللغة، وأن يمد الجسور إلى العالم التربوي عن طريق الكتب المدرسية، وإلى العموم عن طريق الإعلام.

ذلك أن أعمال المؤسسات الأكاديمية، والهيئات الثقافية العربية، بقيت في محابس الرفوف فلم تصِلْ إلى المدرسة، ولم تشقَّ طريقها إلى وسائل الإعلام، ولذلك فمن الضروري توثيق التعاون بين علماء اللغة ورجال التعليم ومؤلفي الكتب المدرسية، كما من الضروري ربط جهود العلماء بشبكات الإعلام التي تعرف الآن تطوراً هائلاً من حيث تقدم التقنيات، ووفرة الإقبال، ولما له من تأثير في مستقبل التكوين الثقافي.

٤) الدعامة السياسية:

إن على قادة الأمة العربية والمسؤولين في دولها على كل المستويات، حماية لغتهم القومية، التي هي جزء لا يتجزأ من كيانهم، وهويتهم وسيادتهم، فهي الأساس الأول لمقومات هويتهم ودينهم وكرامتهم.

فعليهم رعاية جميع الفعاليات التي استحضرناها في مجال التربية والإعلام والأنشطة الأكاديمية والثقافية.

فمن حقهم، ومن الواجب عليهم حماية لغتهم بسلطة القانون، وباتخاذ جميع الإجراءات المناسبة ليعيدوا لها مكانتها في العلم والحياة، ولا عيب أن يأخذوا المثال من الدول الغربية التي تركز كل جهودها في تنمية لغاتها، فنظُمها تمنع استعمال اللغات الأجنبية في الأماكن العمومية أو في الوثائق الرسمية، كما أنها أسست هيئات مختصة تتمتع بإمكانات هائلة، لنشر لغاتها وتحصينها، فالفرانكفونية مثلاً صارت مؤسسة شبه عالمية، لها

اجتماعاتها على مستوى القمة، ووزراء الخارجية، وميزانيتها الضخمة، ومهمتها الوحيدة هي الحفاظ على اللغة الفرنسية، وأنشأت كذلك عدة هيئات فرعية تعمل في ميدان التعاون الثقافي والعلمي والفني. وجهود المعهد البريطاني ومعهد كوته الألماني معروفة كذلك، وبالمقارنة فإن جهود الدول العربية وهيئاتها المتخصصة ما زالت بعيدة عن المستوى المطلوب من حيث الإمكانات والأداء.

كما أننا نلاحظ عند القادة الغربيين أنهم يحرصون حرصاً قوياً على احترام لغاتهم في استعمالاتهم الخاصة، إذ لن تجد أبداً من بين هؤلاء المسؤولين من لا يجيد لغته ويستحيل عليه أن يتفوه بجملة واحدة لا تراعى فيها قواعد اللغة الدقيقة، بل إنهم أكثر من ذلك، يتنافسون في إظهار المقدرة والبراعة في التعبير بلغة أنيقة في جميع المناسبات، ويبذلون في سبيل ذلك جهوداً بالغة. وقد يكونون محل ازدراء وسخرية لاذعة إذا سمحوا لأنفسهم باستعمال لهجاتهم الإقليمية في خطاباتهم العمومية والشعبية.

ولقد كانت هذه الظاهرة معروفة في القرون الأولى ومن أمثلتها مايروى أن عبيد الله بن زياد قال يوماً لجنوده: « افتحوا سيوفكم» وهو يريد منهم أن يجردوها. وضحك منه الناس وسخر منه ابن مفرغ بقوله:

ويوم فتحت سيفك من بعيد أضعت وكل أمرك للضياع

ومما يؤثر من هذا النوع شدة إعجاب الأصمعي بفصاحة الإمام الشافعي، وتعجبه من تفوه الإمام مالك بما يخالف قواعد إعراب اللغة.

ونحن نقلد الغرب في كثير من عاداته، فليتنا في هذا الميدان اتخذناه مثالاً في الاعتزاز باللغة القومية، وحمايتها وتنميتها وتطورها، وعممنا

القوانين في الدول العربية، وأعطينا لهيئاتنا الثقافية، سواء القطرية منها والمشتركة، الوسائل الكافية للنهوض باللغة العربية. وقد يكون من الضروري إنشاء مجلس أعلى للغة العربية، يرسم الخطط، للنهوض بمستوى اللغة حتى تحتل مكانتها العلمية والأدبية، في الأقطار العربية، وتقوم بوظيفتها الثقافية في البلدان الإسلامية.

ومن المهمات التي على المجلس الاضطلاع بها تقديم الوسائل الكفيلة بتنفيذ الخطط والتنسيق بين المؤسسات المختصة التي يعهد إليها بتنفيذها.

والله ولي التوفيق.

الأداء في اللغة العربية
أسباب الضعف ووسائل العلاج

أ. د. محمود أحمد السيد

نحاول في هذا البحث الموجز أن نتعرف مفهوم الأداء اللغوي ونظرة التربيتين التقليدية والمعاصرة إليه، ثم نقف على الأداء المطلوب تحقيقه من تعليم اللغة وتعلمها، وعلى الأداء في اللغة العربية كما يتجلى على أرض الواقع، لننتقل بعدها إلى البحث عن أسباب الضعف ووسائل علاجه.

أولاً ـ الأداء اللغوي في التربيتين التقليدية والمعاصرة

الأداء لغةً من الفعل «أَدَيَ» وأداه أدياً بمعنى قضاه، وأدَّى الشيء بمعنى قام به، والاسم الأداء، يقال هو آدى للأمانة من غيره، وتأدى الأمر بمعنى أُنجز، والأداءُ هو الإنجاز، والأداء اللغوي هو ماتم إنجازه من أهداف مرسومة لتعليم اللغة وتعلمها.

ولقد أثبتت الدراسات التي قام بها«بياجة piaget» في «اللغة والفكر عند الطفل lelanguage et la penseéchez l' enfant» والدراسات

التي قام بها «هنري فالون Henri Walon» في أصول التفكير لدى الطفل:

les Origines de la pensée chez l' enfant

أنّ تعلم اللغة حدث نفسي معقد جداً ينجم عن عوامل مختلفة فيزيولوجية واجتماعية ونفسية، وإن للوسط العائلي أثراً كبيراً في سرعة تعلم اللغة، كما أن للمدرسة والمعلمين والبيئة دوراً كبيراً هو الآخر في تعلمها(١).

وإذا كانت التربية التقليدية ترى أن اللغة مجموعة من الحقائق فإن التربية الحديثة ترى أن اللغة لا تخرج عن كونها نوعاً من العادة. ولما كانت العادات لا تكتسب إلا بطريق التدريب الواعي المنظم والممارسة المستمرة كان اكتساب اللغة لا يختلف عن اكتساب أي عادة أخرى مثل المشي والسباحة وقيادة السيارة والعزف على الكمان، والضرب على الآلة الكاتبة ... إلخ.

وهذا المفهوم الذي تبنته التربية المعاصرة نسخ ما كان سائداً في مطلع هذا القرن من حيث النظر إلى اللغة على أنها نقل للمعرفة المتمثلة في مجموعة من الحقائق، وما على المعلم إلا أن يلقنها للمتعلم تلقيناً، وما على الأخير إلا أن يحفظها ويستظهرها، وبقدر درجة حفظه لها يعد أداؤه اللغوي جيداً، ويشار إلى صاحبه على أنه متمكن من اللغة(٢).

أما الاتجاهات التربوية المعاصرة في تعليم اللغات وتعلمها فتركز على التمهير «التجلية، الأداء المتقن» لا على التحفيظ والتسميع، إذ إن تعليم اللغة على أنه نقل للمعرفة المتمثلة في حقائق علمية «مصطلحات وقواعد بلاغية وعروضية ونحوية وصرفية ومفردات ... إلخ» لا يكفي لتكوين المهارة التي نعني بها الأداء المتقن القائم على الفهم والاقتصاد في الوقت والمجهود معاً(٣).

إن تعلم اللغة ليس قضية اكتساب معلومات معينة ولا مسألة استيعاب

حقائق بعينها، ولا هو بناء معرفة في المواقف الأكاديمية أو العمليات الفكرية، إذ من الممكن أن يحصل المتعلم على معرفة نظرية عن اللغة، ومعرفة عن قواعدها ومفرداتها وتراكيبها، ولكن إذا أراد أن يستعمل اللغة في الكلام وجب عليه أن يكتسب المهارات والعادات(٤).

والمهارات اللغوية الأربع وهي: المحادثة، الاستماع، القراءة، الكتابة، لايمكن أن تتكون بطريق حفظ المعرفة وحدها، وإنما لا بد من الانتقال من المعرفة إلى تكوين المهارة فالعادة.

والسؤال الذي يمثل هنا هو: كيف تتكون المهارة اللغوية؟

وللإجابة عن هذا السؤال نقول: إن ثمة شروطاً لا بد من توافرها حتى تتكون المهارة اللغوية، ومن هذه الشروط:(٥)

١ـ الممارسة والتكرار بفهم: لا يمكن أن تتكوّن المهارة اللغوية لدى المتعلم من غير الممارسة الواعية والطبيعية للغة وفي مواقف الحياة، إذ إن للتكرار أهميته في تكوين المهارة اللغوية على أن يكون مبنياً على الفهم لا على الترداد الآلي، وإذا مورست المهارة من غير فهم أضحت آلية لا تعين صاحبها على مواجهة المواقف الجديدة وحسن التصرف فيها، وإذا تكرر استخدام المهارة تحوّلت إلى عادة، إذ إن العادة تتكوّن نتيجة الإعادة المتكررة لمهارة من المهارات، وإذا مورست المهارة من غير فهم أضحت آلية لا تعين صاحبها على مواجهة المواقف الجديدة وحسن التصرف فيها.

ولقد أشار «ابن خلدون» في مقدمته إلى هذا الأسلوب في اكتساب اللغة إذ يقول: «إن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب إتمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات وإنما هو بالنظر إلى التراكيب، فإذا

حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع وهذا هو معنى البلاغة، والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال، لأن الفعل يقع أولاً، وتعود منه للذات صفة، ثم تتكرر فتكون حالاً، ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة، أي صفة راسخة»(٦).

والعادة اللغوية في ضوء الاتجاهات التربوية المعاصرة هي الملكة على حد تعبير «ابن خلدون» أي الصفة الراسخة، على حين أن الحال عند ابن خلدون ماهي إلا المهارة في ضوء الاتجاهات الحديثة.

٢ - **الفهم وإدراك العلاقات والنتائج:** إذ من غير الفهم تصبح المهارة آلية لا تعين صاحبها على مواجهة المواقف الجديدة وحسن التصرف فيها.

وإذا كان السلوكيون في علم النفس يركزون على الكلام في المقام الأول، ويرون أن موضوع المعنى غير هام في تعليم اللغة فإن أصحاب النظريات المعرفية اهتموا بقضية معاني الكلمات والعبارات والجمل في التعليم، ورأوا أن الفهم يمثل القيمة الحقيقية لاستخدام اللغة وسيلة للاتصال، وأن التراكيب اللغوية ذاتها لا يمكن تعلمها وبالتالي استخدامها مالم تكن قائمة على الفهم التام. أما التدريبات اللغوية الآلية الميكانيكية فليست مجدية حتى في تعلم العناصر اللغوية. والفهم مهما تختلف طرائق التدريس يظل العنصر الرئيسي والهام في تعلم اللغة.

٣ - **التوجيه:** مما يعين على اكتساب المهارة توجيه أنظار المتعلمين إلى أخطائهم ونواحي قوتهم وضعفهم وتعريفهم بأفضل أساليب الأداء.

٤ - **القدوة الحسنة:** مما يعين على اكتساب المهارة أيضا أن يشاهد

الدارسون من يتقنون المهارات في أثناء أدائهم سواء من زملائهم أو من معلميهم أو بطريق التسجيلات والمخابر اللغوية ....إلخ.

٥ ـ **التشجيع والتعزيز:** إذ إن التشجيع والتعزيز يؤديان إلى تعزيز التعلم وإلى تقدم ملموس في اكتساب المهارة. وحتى يتعلم الدارس كيفية الاستجابة اللغوية الصحيحة كان لابد من تعزيز استجابته الصحيحة، ويمكن أن يتم التعزيز من المحيطين بالتعلم معلمين كانوا أو آباء أو أقراناً، ومن الأجهزة أيضا الحاسوب والمخابر .. إلخ.

ويرى المربون المعاصرون وعلماء النفس اللغوي أن اكتساب مهارات أي لغة يتطلب وضع المتعلم في حمّام لغة، بمعنى أن يكون الجو المحيط بالمتعلم عاملاً مساعداً ومشجعاً على اكتساب اللغة في صحته وسلامته ونقائه وتعزيزه.

ثانياً ـ الأداء اللغوي المطلوب

إن الأداء اللغوي الذي نرمي إليه من تعليم اللغة وتعلمها يتمثل في:

١ ـ أن يكتسب المتعلم مهارات استعمال اللغة استعمالاً ناجحاً في الاتصال بغيره محادثة وكتابة وقراءة واستماعاً.

٢ ـ أن يكتسب مهارات القراءة الجهرية بنطق الكلمات نطقاً صحيحاً وتأدية للمعنى أداء حسناً، وتفاعلاً مع المقروء.

٣ ـ أن يكتسب مهارات القراءة الصامتة فهماً واستنتاجاً وتمييزاً وتلخيصاً وموازنة ونقداً وتقويماً.

٤ ـ أن يكتسب مهارات الاستماع فهماً دقيقاً لما يقال، واستنتاجاً لما يود المتحدث قوله وما يهدف إليه، وتحليلاً لكلامه وتلخيصاً لأفكاره ونقداً لها.

٥ ـ أن يكتسب مهارات التعبير الوظيفي لقضاء حاجاته وتنفيذ متطلباته في تفاعله مع المجتمع الذي يحيا فيه من كتابة رسائل وإعداد محاضر جلسات، وكتابة مذكرات، وإلقاء كلمات في المناسبات .. إلخ، إضافة إلى مهارات التعبير عن النفس ومايقع تحت الحس كلاماً وكتابة في أسلوب واضح منظم.

٦ ـ أن يكتسب كتابة صحيحة بأسلوب سليم خال من الأخطاء الإملائية والنحوية.

٧ـ أن يعبر شفاهياً عن فكره وحاجاته واهتماماته ورغباته وميوله تعبيراً سليماً خالياً من الأخطاء النحوية.

٨ ـ أن يوظّف ما يحصل عليه ويكتسبه من مفردات وتراكيب وفكر وقيم واتجاهات وصور وأخيلة من قراءاته في مواقف التعبير الشفاهي والكتابي.

٩ـ أن يكتسب مهارات التذوق الأدبي وإدراك الجمال والتناسق في النصوص الأدبية التي يتفاعل معها.

١٠ـ أن يكتسب عادة الإقبال على القراءة الحرة بشغف ومحبة حتى يغدو الكتاب صديقه الذي لا يمل مصاحبته.

١١ـ أن يكتسب عادة البحث عن الكلمات والتفتيش عنها في المعاجم والموسوعات بحثاً عن معانيها واستعمالاتها الحرفية والمجازية والاصطلاحية.

ثالثاً ـ الأداء في اللغة العربية

من الملاحظ أن الأداء في اللغة العربية يشكو الضعف، إذ لم تتمكن تربيتنا في الأعم الأغلب من تكوين المهارات اللغوية ولا العادات اللغوية. ولقد سبقت الإشارة إلى أن تعليم اللغة يتم بطريق الانتقال من المعرفة إلى المهارة، ذلك لأن الانتقال من المعرفة إلى العادة لا يتفق والحقائق النفسية، إذ

إن ممارسة المهارات خطوة ضرورية لتكوين العادات.

وفي تعليم اللغة نمارس سلوكات خاطئة منها:

– الطلب إلى المتعلم أن يبني تراكيبه اللغوية على أساس القواعد النحوية المستذكرة، والتوقع منه أن يضع المعرفة النظرية في التطبيق بصورة مباشرة، وهذا الواقع يعني مطالبته بسلوك خاطئ، وهو التقدم من المعرفة إلى العادة وإغفال أهمية المهارة.

– مطالبة المتعلم تكرار العبارات والجمل الصحيحة حتى تتكون العادات اللغوية المباشرة.

والواقع يدل على أنه لابد من تكوين المهارات اللغوية التي تتحول بدورها نتيجة الاستخدام المتكرر والمبني على الفهم إلى العادات اللغوية. والمهارة تختلف عن العادة في أنها تتسم بالوعي، في حين أن العادة فعل يؤدى بصورة عفوية نتيجة تكرار الاستخدام(٧).

أما مظاهر الشكوى من ضعف الأداء في اللغة العربية فتتمثل في:

١ـ كثرة الأخطاء التي يرتكبها المتعلمون والمعلمون في داخل المدارس والمعاهد والجامعات، والعاملون في مختلف مرافق المجتمع في مناشطهم اللغوية من قراءة وتعبير تحريري وشفاهي.

وثمة صيحات تنطلق من هنا وهناك على نطاق الساحة العربية تشير إلى أن بعض طلبة الجامعات في أقسام اللغة العربية وآدابها، وبعض المتخرجين لا يدركون فصاحة القول، ولسانهم يلحن، ومعارفهم اللغوية لا تتناسب وشهادتهم الجامعية على كل المستويات.

ولم تكن الصيحات التي تشكو كثرة الأخطاء النحوية في التعبيرين

الشفاهي والكتابي وفي أثناء القراءة الجهرية لتقتصر على العاملين في مجال التربية والتعليم، وإنما جاوزتهم إلى كثير من الخريجين العاملين في وزارات الدولة ومؤسساتها «فاللغة التي تستعمل في الإذاعة حين تستعمل يشيع فيها اللحن والتحريف إلى درجة مثيرة حتى ليخيل إلى السامع في بعض الأحيان أن المتكلم يتعمد هذا التشويه، ويقصد إليه قصداً، لأنه مما لا يظن أن يتورط مثله فيه جهلاً، ولا نرى حاجة إلى ذكر أمثلة لما نقول، فالأمر متعالم مشهور بين المثقفين»(٨).

وفي مقدمة كتاب جامعي ورد الإهداء التالي: «وأهدي هذا العمل المتواضع **إلى الذين** يعرفون معنى العطاء والتضحية والدي ووالدتي ومن تشبه **بهم**.

وإلى الذين **يعرفوا** الحق **ويناصروه**، وللقراء المعذرة لأنهم كانوا **ينتظروا** أكثر مما قدم».

ففي أقل من ثلاثة أسطر ارتكب المؤلف خمسة أخطاء، وأين؟ في الإهداء الذي يتعب أحدنا على إخراجه، ويحرص على الصحة فيه والسلامة في تراكيبه وجمله(٩).

٢– القصور في عملية التعبير اللغوي: ومن الملاحظ على أحدنا أنه عندما يتقدم إلى دائرة أو مؤسسة يود مطلباً معيناً، ويوعز إليه بكتابة مايوده تجد الارتباك بادياً عليه، ويبدو الارتباك أيضاً في أثناء المناقشات وإلقاء الكلمات في المناسبات المختلفة.

ولم تكن هذه الشكوى وليدة يومنا هذا، وإنما ترجع إلى الثلاثينيات من هذا القرن، وأول من التفتوا إلى ذلك ـ فيما نعلم ـ هو الدكتور طه حسين في كتابه «في الأدب الجاهلي» إذ يقول: «إنك تستطيع أن تمتحن تلاميذ المدارس الثانوية والعالية، وأن تطلب إليهم أن يصفوا لك في لغة عربية

واضحة مايجدون من شعور وإحساس أو عاطفة أو رأي فلن تظفر منهم بشيء، ولن تظفر من أكثرهم بشيء، فإن وجدت عند بعضهم شيئاً فليس هو مديناً به للمدرسة، وإنما هو مدين به للصحف والمجلات والأندية السياسية والأدبية»(١٠).

وهاهي ذي «بنت الشاطئ» تقول: «قد يمضي المتعلم في الطريق التعليمي إلى آخر الشوط، فيتخرج في الجامعة وهو لا يستطيع أن يكتب خطاباً بسيطاً بلغة قومه، بل قد يتخصص في دراسة اللغة العربية حتى ينال أعلى درجاتها، ويُعْيِيه مع ذلك أن يملك اللغة التي هي لسان قوميته ومادة تخصصه»(١١).

٣ ـ القصور الواضح في مهارة الاستماع: إذ كثيراً ماتفوتنا بعض الفِكَر مما نستمع إليه في محاضرة، وطالما طلبنا إلى قارئنا إعادة المقطع المقروء حتى نتبين فكره، وطالما كان استنتاجنا مما نستمع إليه ناقصاً لأن ثمة فِكَراً غابت عنا.

٤ ـ القصور في تمثل المقروء: وإدراك فِكَره الأساسية والفرعية ومراميه وغاياته البعيدة، وعدم التمكن من تلخيص الفكر التي يتضمنها النص المقروء، ومما لا شك فيه أن تنمية هذه المهارة، مهارة القراءة المتأنية الواعية والمستوعبة والمتفاعلة مع المقروء والمميزة لمضامينه تعد أمراً هاماً في مواكبة روح العصر المتوثب(١٢).

٥ ـ العزوف عن القراءة الحرة في الأعم الأغلب، وعدم الإقبال عليها: إذ قد يتخرج الطالب في الجامعة، ويمضي على تخرجه سنوات لم يطلع خلالها على كتاب أو يقرأ صحيفة أو مجلة، ويتباهى أمام الآخرين بصنيعه المتخلف، وثمة مدرسون تتناقص معلوماتهم ومعارفهم عاماً بعد آخر

بسبب عدم قراءتهم للجديد في مجال تخصصهم ولا سيما أننا نعيش عصر التفجر المعرفي.

وإذا كان هذا حال بعض المدرسين الذين يعدون أنموذجاً يقتدى به، وقدوة أمام المتعلمين فما حال الدارسين الذين عزفت نفوسهم عن الاطلاع على كتاب من خارج المنهج؟

وغني عن البيان أن القراءة الحرة تمدُّ أصحابها بثروة لفظية وفكر واتجاهات وخبرات فتوسع مداركهم وتصقل لغتهم وتزيدها غنىً شكلاً ومضموناً.

٦ ـ الفقر في الرصيد الحفظي من الشواهد الشعرية والنثرية وقد يعجب أحدنا عندما يفاجأ بأن ثمة من يحمل الإجازة في اللغة العربية ولا يحفظ أي شاهد شعري من العصور الأدبية كافة على الرغم من أهمية حفظ الشواهد في إغناء التعبير.

٧ ـ عدم تمكن بعض المتخرجين من البحث في المعجم عن كثير من الكلمات مما يدل على نقص في كفاياتهم وعدم امتلاكهم المهارة اللغوية في هذا المجال.

تلك هي بعض مظاهر الشكوى من ضعف الأداء في اللغة العربية وتدني مستويات الدارسين والمتخرجين فيها.

رابعاً ـ أسباب الضعف

قد يتبادر إلى الذهن في البحث عن أسباب ظاهرة التدني في الأداء اللغوي أنه ليس هناك اهتمام باللغة في مناهجنا التربوية، إلا أن الواقع يبين لنا أن لغتنا العربية كانت مهملة ومبعدة عندما كانت بلادنا العربية تعاني رزء الاحتلال وعندما حصلت على استقلالها تبوأت اللغة العربية المكانة اللائقة بها في مناهج التعليم، فأصبحت مواد المنهاج تدرَّس باللغة العربية، كما

خصصت لفروعها حصص مستقلة تدرّس فيها مختلف جوانب المناشط اللغوية قراءةً واستماعاً وتعبيراً تحريرياً وشفاهياً ونحواً وإملاءً .... إلخ، كما ارتفع عدد الساعات المخصصة لها في الخطة الدراسية.

ولم تقتصر العناية بها على عدد الساعات فقط، وإنما عُدَّت اللغة العربية المادة الأساسية في المناهج، عليها يتوقف نجاح الطلبة ورسوبهم، وعندما لوحظ أن نسبة الأخطاء اللغوية مرتفعة خصص للنحو كتاب مستقل، ولم يخلُ امتحان من الامتحانات الرسمية من أسئلة في القواعد النحوية.

وهكذا نلاحظ أن مظاهر العناية والاهتمام باللغة شملت مختلف جوانب المنهاج خطةً وكتاباً وامتحاناً. ولكن على الرغم من هذه العناية وذلك الاهتمام، ثمة شكوى وتذمر وصيحات تنطلق من هنا وهناك تشكو الضعف في الأداء اللغوي، فإلامَ يمكن أن نعزو أسباب هذا الضعف؟

لو رحنا نفتش عن الأسباب الكامنة وراء هذا التدني في الأداء اللغوي لألفينا أن البحث عن هذه الأسباب مستمر منذ ثلاثينيات هذا القرن حتى يومنا هذا، إلا أن توجهات الباحثين في هذا المضمار تبدَّت في مسارين اثنين أولهما أرجع المشكلة إلى عامل واحد، وثانيهما وجد أن أكثر من عامل يكمن وراء هذا التدني.

المسار الأول ـ عامل واحد وراء الضعف:

من الباحثين الذين نظروا إلى الموضوع من زاوية واحدة «أمين الخولي» فها هو ذا يقول في «محاضرات عن مشكلات حياتنا اللغوية»: «حدّق في المدارس والتعليم فيها، أولئك المدرسون للمواد المختلفة لا يحسنون لغتهم، ولا يحسنون الإبانة، فهم عوام في شرحهم وتلقينهم، وهم أشباه عوام في تأليفهم وعرضهم، وهم لا يلقون لتلاميذهم وطلابهم حقائق نيّرة بيّنة،

وليس ذلك فحسب، بل هم يبرمون باللغة، ويتأففون ممن يرجو لديهم بياناً بها أو صحة تعبير، فإذا هم يركزون في نفوس التلاميذ كراهية اللغة القومية»[١٣].

وكان الدكتور **طه حسين** قد أشار من قبل إلى أن لغتنا العربية لا تدرّس في مدارسنا، وإنما يدرّس فيها شيء غريب لا صلة بينه وبين الحياة، ولا صلة بينه وبين عقل التلميذ وشعوره وعاطفته[١٤].

وهاجم المماحكات والتأويلات في المادة اللغوية النحوية التي تدرّس في المدارس مشيراً إلى أنها سبب نفور طلبتنا من اللغة فها هو ذا يقول:

«إذا أردت أن تعلّم النحو لهؤلاء التلاميذ المساكين فكيف تريدهم على أن يفهموا أن قولك «قُرِئَ الكتاب» قُرِئَ فعل ماض مبني للمجهول، والكتاب نائب فاعل لأن الفاعل قد حذف لغرض من الأغراض التي تذكر في علم المعاني وعلم النحو، وأنيب عنه المفعول به،فكيف تريد التلميذ المصري أو الشامي أو العراقي الذي لم يتجاوز سنه الثانية عشرة أن يفهم هذا الكلام؟ ما هذا الفاعل الذي حذف؟ وما هذا المفعول به الذي أنيب عنه، وما هذا المجهول الذي يبنى له الفعل؟

ويتابع مناقشة إعراب «أحد» في قوله تعالى: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾ وإن إعراب «أحد» فاعل لفعل محذوف تقديره استجارك يفسره الفعل الظاهر، وعلة هذا أن النحاة القدماء قرروا في قواعدهم أن حرف «إن» لا يدخل إلا على فعل، ولما جاء في القرآن الكريم وكلام العرب أنّ «إن» وبعدها اسم لم يخضعوا لما جاء في القرآن الكريم، ولم يخضعوا لما جاء في كلام العرب نثراً وشعراً، وإنما أرادوا أن يخضعوا القرآن الكريم للقاعدة التي قرروها.

ويرى أيضاً أن الفعل أخص في أسلوب الاختصاص كلمة لا معنى لها

إطلاقاً، إذ يقول: «وإذا قلت للطالب: نحن ـ المصريين ـ نفعل كذا، أو نحن ـ السوريين ـ نفعل كذا، وطلبت إليه أن يفسر هذا أو يعربه، أفهمته أن هناك فعلاً محذوفاً تقديره أخص، نحن ـ أخص السوريين ـ نفعل كذا ... ما موقع «أخص» هذه؟ لا معنى لها إطلاقاً، إلا أننا وجدنا هذه الكلمة منصوبة، ووجدنا هذا التعبير يدل على التخصيص، فقدّرنا هذا الفعل، ولنا أن نقدّر ما نشاء، ولكن التلاميذ لهم أيضاً عقول صغيرة ينبغي لنا ألا نكلفها مالا تطيق»(١٥).

ولقد حمّل الأستاذ المرحوم «عباس حسن» الاضطراب في المادة النحوية والخلافات فيها مسؤولية الضعف وتدني مستوى التحصيل في اللغة العربية إذ يقول: « وهذا الخلاف والتفرق في كثير من القواعد النحوية كان أظهر العيوب فيها، وأكبر العقبات في تحصيلها، والرأي الوصول إلى ضوابط محددة سليمة يسهل استخدامها أو الاستعانة بها في التفاهم الكلامي والكتابي على وجه محكم دقيق لا فوضى فيه ولا اضطراب،بشأن العلوم القاعدية المضبوطة التي تأخذ بيد صاحبها إلى غاياتها، وتنهض به في يسر وسهولة ودقة إلى حيث يبغي منها»(١٦).

كما ردّ الدكتور «مراد كامل» موضوع نفور المتعلمين من اللغة ولجوئهم إلى العامية إلى بعد المادة اللغوية المقدمة عن الحياة النابضة الزاخرة، ومحاولة النحويين الرجوع باللغة الفصحى إلى ما كانت عليه في أول أمرها قبل الإسلام وأيام الأمويين، وفي ذلك إجبار للمتعلمين بطريق غير مباشر على أن يهربوا من اللغة ويتركوها إلى لغتهم التي تخدم حاجاتهم خدمة مباشرة ما دامت معبرة سريعة، بدل أن تستبد بهم لغة صارمة عنيدة، وتسدّ عليهم مسالك الحياة، فلا تنطلق بهم ولا تدعهم ينطلقون على حد تعبيره(١٧).

ومن الباحثين من ركّز على موضوع الفصل بين الإعراب والمعنى، «إذ إن الأصل في الإعراب أن يضبط المعنى ويدل عليه، ولكن اللغويين فصلوا النحو عن المعاني، ووضعوا بينهما الحدود والأسوار، فأنت تتعلَّم في النحو مثلاً حكم الصنعة في نائب الفاعل، أما لماذا تصرف العربية النظر عن الفاعل، وتأتي بما ينوب عنه فذلك مالا شأن للنحو به، وإنما مكانه في علم آخر هو علم المعاني، وهذا العزل الشاذ بين الإعراب والمعنى هو الذي جار على جدوى تعليم العربية في كسب ذوق العربية ومعرفة منطقها»(١٨).

وإذا كانت الأنظار قد اتجهت إلى المادة اللغوية التي يتفاعل معها المتعلمون وما فيها من اضطراب وفوضى وبعد عن الحياة المعاصرة على أنها العامل المسؤول عن تدني مستوى الأداء فإن باحثين آخرين رأوا «أن السبب لا يرجع إلى المادة اللغوية، ولا إلى محتوياتها وتعدد الآراء فيها، وإنما يرجع إلى طريقة التدريس، إذ إن أي لغة في العالم مهما تبلغ درجة صعوبتها وتعقيدها ممكنة التعلم والإتقان حين توجد الطريقة التربوية الناجعة لتعلمها واكتسابها، ولغتنا العربية غير مخدومة تربوياً، وطرائق تعلمها متخلفة وغير علمية»(١٩).

وها هي ذي «بنت الشاطئ» تشير إلى هذا المنحى نفسه قائلة «يبدو لي أن عقدة الأزمة ليست في اللغة ذاتها، وإنما هي في كوننا نتعلم العربية قواعد صنعة، وإجراءات تلقينية، وقوالب صماء، نتجرعها تجرعاً عقيماً بدلاً من أن نتعلمها لسان أمة ولغة حياة. وقد تحكمت قواعد الصنعة بقوالبها الجامدة فأجهدت المعلم تلقيناً والمتعلم حفظاً دون أن تجدي عليه شيئاً ذا بال في ذوق اللغة ولمح أسرارها في فن القول، وانصرف همنا كله إلى تسوية إجراءات الصنعة اللفظية بعيداً عن منطق اللغة وذوقها»(٢٠).

وفي مذكرة تقدّم بها «الدكتور محمد كامل حسين» رحمه الله إلى

وزارة التربية والتعليم في جمهورية مصر العربية أشار إلى أن مشكلة الضعف في اللغة لا ترجع إلى تعقيد القواعد وصعوبتها لأن هذه الصعوبة قديمة، وإنما ترجع إلى طريقة التدريس، إلى هذه الطرائق الجديدة في تعليم اللغة فها هو ذا يقول: «وكنت أحسب أن ذلك ـ أي الضعف ـ مرجعه إلى ما في قواعد اللغة من تعقيد وبعد عن أسلوب التفكير الحديث، وكثرة مافيها من تأويل وحذف وتقدير وتعليل لما لا يحتاج إلى تعليل، على أن مانشهده اليوم من ضعف بالغ في العلم باللغة العربية لا يمكن أن نرجعه إلى هذه الصعوبات فهي قديمة. أما الجهل باللغة إلى الحد الذي نشكو منه اليوم فهو ظاهرة حديثة وسببها من غير شك الطرائق الجديدة في تعليم قواعد اللغة العربية»[٢١] .

ويهاجم الطريقة الجديدة في تدريس قواعد اللغة العربية تلك الطريقة التي تعتمد النصوص أساساً في تقرير القاعدة، ويرى أن هذه الطريقة تعمل على إضعاف الطلبة في اللغة العربية وجهلهم لأبسط قواعدها، ذلك لأن مبدأ التقديم بنص يناقشه المدرس مع تلاميذه، ثم يستخرج منه الأمثلة التي تعينه على استنباط القاعدة التي يراد تدريسها إنما هو ضياع للوقت، لأن الموضوع لا علاقة له بالقواعد النحوية التي هي موضوع الدرس الحقيقي، وإن الكتاب الذي تضمن هذه الموضوعات إنما هو كتاب نحو، ويجب قبل كل شيء أن يعلّم كيف يقرأ قراءة صحيحة.

وهذه الطريقة تشغل الطالب بموضوع الإنشاء، فتصرفه عن قاعدة النحو المراد شرحها، لأن ذلك يقوم على أساس افتراض أن المعنى أصل والنحو عرض[٢٢].

وهكذا نخلص إلى القول إن الأنظار توجهت إلى أن مشكلة تدني مستوى الأداء في اللغة العربية يرجع من وجهة نظر بعض الباحثين إلى المادة اللغوية وبخاصة النحوية وما فيها من اضطراب ومماحكات وتأويلات، وإلى

الفصل بين النحو وعلم المعاني من وجهة نظر بعضهم الآخر، وإلى طرائق التدريس من وجهة نظر بعضهم الثالث، وإلى عدم كفاية المدرسين من جهة رابعة.

المسار الثاني – عدة عوامل وراء الضعف :

ثمة باحثون آخرون كانت نظرتهم إلى مشكلة تدني مستوى الأداء أكثر شمولية، فقد أشار الأديب «أحمد حسن الزيات» في كتابه «في أصول الأدب» إلى «أن مسؤولية تدني المستوى اللغوي ترجع إلى الاقتصار على كتاب واحد للمطالعة وجفاف القواعد وسوء تعليم اللغة ورداءة الكتب، وندرة الكتب التي تحبب التلاميذ بالقراءة، وجهل التلاميذ بالغرض مما يدرّس»(٢٣).

واتجه الباحث اللغوي «مهدي المخزومي» إلى أن« الضعف في اللغة العربية يرجع إلى أسباب خارجية وداخلية. ومن الأسباب الداخلية الأوضاع الاجتماعية المتخلفة والأمية المخيمة على هذه الأمة، والعقم في التدريس، وسوء اختيار الكتب المدرسية».

بيد أنه عاد ليحصر الأسباب بعد اتساعها في عاملين اثنين المدرس والكتاب، إذ يقول: «وما ضعف الطلبة حتى المتخرجين منهم في أن يفهموا نصاً أدبياً أو لغوياً، وفي أن يؤلفوا جملة عربية سليمة، إلا لأن القائمين على تدريس النحو سلفيون متشددون إلى القديم لأنه قديم، ولأن الكتب المدرسية اليوم هي من مصنفات النحاة المتأخرين الذين عاشوا التخلف، وما زالت مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا تعتمد في تدريس اللغة العربية وعلومها المختلفة على مصنفات النحاة المتأخرين التي ليس فيها من النحو إلا صورة باهتة مهزوزة وحلقة مفرغة»(٢٤).

وفي رأيي المتواضع أن ثمة أسباباً متعددة تكمن وراء تدني مستوى

الأداء في اللغة العربية، ويمكن تلخيصها في الآتي:

١ ـ العامية وآثارها السلبية في اكتساب المهارات اللغوية: إذ إن مايبنيه مدرس اللغة العربية معرّض للهدم بسبب استشراء العامية في مرافق الحياة: في البيت والشارع والباحة وفي داخل الفصول وفي أغلب المناشط، حتى إن كثيراً من المسلسلات التلفزيونية والإذاعية تعرض بالعامية. ومن هنا نجد أن الناشئ لا يستمع إلى العربية الفصيحة إلا في ساعات محددة، وهذه الساعات المحددة على افتراض وجودها صافية نقية، لا تكفي لاكتساب المهارات اللغوية. يضاف إلى ذلك أن أغلب المدرسين ضمن جدران المدارس والمعاهد والجامعات يستخدمون العامية في تدريسهم وشرحهم، ولا يعملون على تشذيب إجابات الطلبة إذا ما كانت بالعامية، فيترسخ الخطأ على الألسنة والأقلام، على حين أن هذا لا نلاحظه عند الأمم الأخرى، فقد أصدر المجلس القومي لمدرسي اللغة الإنجليزية في بريطانيا قراراً يقضي بأن على كل من يودّ أن يكون مدرساً سواء أكان مدرساً للفيزياء أو الرياضيات أو الاجتماع ... إلخ أن يكون مدرساً للغة الأم أولاً كما أن مدرس الرياضيات في فرنسة عندما يخطئ الطالب في أثناء حل المسألة الرياضية خطأً لغوياً، يقول له: إن خطأك في لغتك أدهى وأمر من الخطأ في الحلّ[٢٥].

وهكذا عندما يكون ثمة تضافر وتآزر بين المدرسين جميعاً في الالتزام بالفصيحة، وفي تشذيب إجابات الناشئة وإسباغ ثوب الفصيحة عليها، ينهض المستوى اللغوي ويرتقي.

٢ ـ طرائق التدريس والأساليب التلقينية التي نتبعها في تدريس اللغة عامل آخر من عوامل تدني المستوى، إذ إن اللغة لا تكتسب إلا بالمران والممارسة والاستخدام المستمر.

والطرائق التلقينية تجعل الطلبة سلبيين انفعاليين لا إيجابيين فعّالين، مما

يفوّت فرص التعليم الذاتي واستخدام اللغة، ويحول بالتالي دون اكتساب المهارات اللغوية.

٣ ـ ضعف إعداد معلمي اللغة: فالمعلم الجيّد يقدّم طلاباً جيّدين، وفاقد الشيء لا يعطيه، فإذا كان مستوى الإعداد جيداً انعكس ذلك على الطلاب لأن الطلبة يحاكون أساتذتهم ويتمثلون لغتهم وينسجون على منوالها، فإذا ارتكب المدرس الخطأ انتقل إلى ألسنة طلابه وأقلامهم، وأصبح من الصعوبة بمكان محوه.

ومن الملاحظ أن إعداد معلمي اللغة على نطاق ساحة وطننا العربي غير كاف، ويشكو القصور إن من خريجي دور المعلمين أو من خريجي المعاهد والجامعات.

٤ ـ القصور في اختيار المادة اللغوية الملائمة لمراحل النمو العقلي والملبية لاهتمامات الناشئة ورغباتهم وميولهم، وغياب المعايير العلمية الموضوعية في عملية الاختبار.

والعملية التعليمية التعلمية مبنية على الدافع، فإذا لم تكن المادة اللغوية مستثيرة الدوافع، وملائمة للقدرات العقلية، أحجم عنها الدارسون وعزفوا عنها، وهذا يؤدي إلى الإخفاق والضعف أيضاً.

٥ ـ ضآلة المناشط اللغوية غير الصفية: وإذا كانت المهارات اللغوية لا تكتسب إلا بالممارسة والتعزيز فإن قلة المناشط التي يقوم بها الناشئة لا تساعد على عملية اكتساب تلك المهارات، على حين أن الإكثار منها يسهم أي إسهام في تثبيت المعارف واكتساب المهارات فالعادات اللغوية السليمة.

٦ ـ قلة إقبال الناشئة على القراءة الحرة: وهذا عامل آخر من عوامل التدني، إذ إن القراءة الحرة «المطالعة» معين ثّر في اكتساب المهارات اللغوية لأنها تمد الناشئ بالمفاهيم والفكر والغنى في الثروة اللفظية والتراكيب

والصور، وهذا ما يوسّع آفاقه وينمّي خبراته، ويزيّن أسلوبه وتعبيره.

٧ ـ القصور في أساليب التقويم، فأغلب هذه الأساليب لا تقيس إلا الحفظ والتذكر، وتهمل المهارات العقلية العليا من ربط وتعليل واستنتاج وموازنة وحكم ... إلخ، وهذا ما يجعل بناء الخبرة هشاً معرَّضاً للزوال والنسيان، على حين لو شمل التقويم مستويات المعرفة كافة من حفظ وفهم وتطبيق وتحليل وتركيب وحكم، وشمل في الوقت نفسه مستويات الجانب الوجداني من الخبرة ومستويات الجانب الأدائي، لأصبح اكتساب المهارات اللغوية مبنياً على أسس متينة.

٨ ـ ضآلة استخدام التقنيات التربوية في تعليم اللغة وتعلمها خلافاً لما نلقاه في تعليم الأجانب لغاتهم، وهذا مايجعل الدارس لدينا يحس بالفرق بين الأساليب الجذابة لتعليم اللغة االأجنبية وتعلمها، والفقر في الوسائل المعينة في تعليم لغته الأم وتعلمها، فيتكوّن لديه إحساس سلبي تجاه لغته يترسخ في لاشعوره، ويجعله عزوفاً عن الإقبال عليها بكل نفس راضية.

٩ـ عدم وضوح الأهداف في أذهان نفر من القائمين على تدريس اللغة، وفي أذهان الدارسين أنفسهم، وهذه الضبابية في تمثل الأهداف لكلّ من المهارات اللغوية تؤدي إلى التخبط والفوضى في أثناء التدريس، وقد تتحول دروس القراءة إلى إعراب، ودروس النصوص إلى بلاغة، ودروس القراءة إلى عملية آلية ميكانيكية في القراءة الجهرية ... إلخ مما يحول دون تحقيق الأهداف المرسومة.

١٠ـ الكتاب المدرسي: وعندما يكون سيئ الطباعة، خالياً من وسائل الإيضاح ، وغير مشوّق، وغامضاً في أسلوبه، ولا ترابط بين موضوعاته، ومشوشاً في أفكاره، فإنه ولا شك يسهم في عملية تدني المستوى.

وقد تكون ثمة أسباب أخر وراء تدني مستوى الأداء في اللغة العربية،

ذلك لأن العوامل الكامنة وراء هذا التدني متشابكة ومتداخلة، فالإخفاق في القراءة مثلاً قد يرجع إلى أسباب جسمية أو اجتماعية أو نفسية أو عقلية أو تربوية. وفي أثناء بحثنا عن أسباب الضعف لابدّ من الأخذ بالحسبان هذه الجوانب كافة. فالنظرة الشمولية المتكاملة هي المنهج الأمثل في معالجة مشكلة الأداء اللغوي.

خامساً ـ سبل العلاج

إذا كان الباحثون قد أشاروا إلى الأسباب الكامنة وراء تدني مستوى الأداء في اللغة العربية فإنهم في الوقت نفسه قدموا حلولاً للارتقاء بالواقع وتطويره نحو الأفضل، وكان ثمة مغالاة في بعض الحلول المقدمة، إذ أشار بعضهم إلى إعفاء مواطني الأمة العربية من الإعراب، ذلك الخراب الفكري والنفسي الذي لا طائل تحته على حدّ تعبير الجنيدي خليفة في كتابه «نحو عربية أفضل»(٢٦)، وهذا التطرف في الرأي لايمكن قبوله لأن لكلّ لغة من اللغات سماتها وخصائصها، والإعراب سمة أساسية من سمات لغتنا العربية سميّ إعراباً لتبينه وإيضاحه، وقد جعله الله وشياً لكلام اللغة العربية وحلية لنظامها وفارقاً في بعض الأحوال بين الكلاميين المتكافئين والمعنيين المختلطين كالفاعل والمفعول لا يفرق بينهما إذا تساوت حالاهما في إمكان أن يكون الفعل لكل واحد منهما إلا بالإعراب على النحو الذي أشار إليه «ابن قتيبة» في تأويل مشكل القرآن، و «ابن فارس» في الصاحبي في فقه اللغة، و «ابن جني» في الخصائص(٢٧).

ومن السبل التي ركز عليها الباحثون تيسير قواعد اللغة العربية وقد اتجه هذا التيسير إلى المادة النحوية وتخليصها من الشذوذ والاستثناءات والمماحكات والتأويلات، كما اتجه إلى طرائق تدريسها، إذ عدل عن الطريقتين القياسية والاستقرائية في تدريسها، وتم اعتماد طريقة النصوص المتكاملة، واتجه

أيضاً إلى بناء مناهجها والاقتصار على الأساسيات من المادة النحوية ومراعاة متطلبات المتعلمين في تفاعلهم مع المجتمع.

بيد أن كل محاولات التجديد والتيسير لم تكن كافية كما يرى عدد من الباحثين، فالمحاولات التي تمت في الثلاثينيات والأربعينيات تعرضت إلى النقد من حيث إننا مانزال نعيش على ما خلّفه علماء النحو والصرف والبلاغة الأقدمون، وعندما يدّعي بعضنا التجديد لا يعدو في الحقيقة التطريز على ثوب خلق حتى أصبحنا أشبه بمن يرقص في السلاسل على حدّ تعبير الدكتور محمد مندور، إذ يقول أيضاً: «وكم يذكرنا سادتنا الباحثون في اللغة بفقير يصرف قرشاً إلى مليمات ليقرقع بها»[٢٨].

وأشار آخرون إلى أن كل خطوة يخطوها أولو الأمر في تيسير قواعد اللغة لم تكن كافية كما يرى الدكتور طه حسين[٢٩]، وأن محاولات تيسير النحو في كتب مدرسية لم تقدم جديداً، ولم تفعل شيئاً يعيد إلى الدرس النحوي قوته وحيويته لأنها لم تصحح وضعاً، ولم تحذ منهجاً، ولم تأت بجديد إلا إصلاحاً في المظهر وأناقة في الإخراج كما يرى الدكتور مهدي المخزومي في كتابه «في النحو العربي»[٣٠].

وفي رأيي المتواضع ثمة سبل للعلاج تتمثل في:

١ـ العمل على مزيد من التيسير والتطوير في النحو والصرف والبلاغة مادةً وطريقة تدريس وعرضاً، على أن يقتصر في تقديم المادة على ما هو أساسي ووظيفي يساعد المتعلم على قضاء حاجاته ويسهّل تفاعله الاجتماعي مع الآخرين في ضروب النشاط اللغوي استماعاً ومحادثة وقراءة وكتابة، والإكثار من التطبيقات والتدريبات العلاجية لتلافي الأخطاء النحوية.

٢ ـ تنقية البيئة من التلوث اللغوي وتوفير المناخ اللغوي الملائم والصحي إنْ في المدارس وإن في خارجها، والعمل على الالتزام بالفصيحة وانتشارها

على الألسنة والأقلام في مختلف مناحي الحياة، ذلك لأن تعليم اللغة مسؤولية جماعية. وعلى المدرسين جميعاً وفي مختلف الاختصاصات أن يلتزموا بالفصيحة، وعلى وسائل الإعلام إذاعة وتلفزة وصحافة ومجلات وإعلانات ولافتات .. إلخ أن تضطلع بدورها في استخدام الفصيحة، لأن أطفالنا يتسمرون ساعات طوالاً أمام أجهزة التلفزة، فإذا كان مايقدم كله بالفصيحة اقتبس هؤلاء الأطفال كثيراً من المفردات والتراكيب والبنى مما يزيد في رصيدهم اللغوي وينمي قدرتهم التعبيرية، كما أن على أجهزة الدعاية والإعلان مسؤولية مراقبة اللافتات والإعلانات وتنقيتها من كل خطأ لغوي.

٣ ـ ضرورة الاهتمام بإعداد معلمي اللغة اختياراً وتأهيلاً وتدريباً، والعمل على جذب العناصر الكفية إلى التدريس بالحوافز المادية والمعنوية والتركيز على الإعداد الوظيفي على المستوى الجامعي للمعلمين كافة بدءاً من رياض الأطفال وانتهاءً بالثانوي، بحيث لا تجور المواد التربوية على مواد التخصص.

٤ ـ ضبط كتب المرحلة الابتدائية كلها بالشكل، على أن يستمر هذا الضبط في المراحل التالية ومع النمو الفكري في كل ما يخشى منه اللبس، ذلك لأن عملية الضبط بالشكل تساعد كلاً من المعلم والمتعلم في رؤية الشكل الصحيح للكلمة وفهم معناها.

٥ ـ اعتماد الطرائق التفاعلية في التدريس، وإكساب المتعلمين مهارات التعلم الذاتي الذي هو أساس للتعلم المستمر مدى الحياة، واستبعاد الطرائق التلقينية الإلقائية التي تجعل المتعلمين سلبيين منفعلين لا إيجابيين فعّالين، والعمل على تنويع الطرائق في الاستخدام.

٦ ـ الإكثار من ضروب المناشط اللغوية غير الصفية «المناظرات، الندوات، الكتابة في مجلات الصف والحائط، إلقاء الكلمات في الإذاعة

المدرسية وفي المناسبات، تلخيص الكتب، المساجلات الشعرية، ....إلخ» تعزيزاً لاكتساب المهارات اللغوية.

٧ ـ استخدام تقنيات التربية في تعليم اللغة وتعلمها من مخابر لغوية وأفلام وأشرطة وحواسيب ... إلخ. لأن في استخدامها إثارة لاهتمام الناشئة وجذباً لهم للإقبال على الدروس وتعلمها.

٨ ـ العمل على بناء أدوات موضوعية لتقويم أداء معلمي اللغة في مختلف المراحل، وأدوات موضوعية لتقويم الأداء اللغوي للتلاميذ استبعاداً للنظرة الذاتية.

٩ ـ غرس الشغف بالقراءة ومحبتها في نفوس التلاميذ وتخصيص جوائز لأحسن قارئ، وإجراء مسابقات ومناظرات لتلخيص الكتب شفاهياً، وإغناء المكتبات المدرسية بالكتب والسلاسل الملائمة وتيسير سبل إعارتها.

١٠ ـ اختيار المادة اللغوية في ضوء الأهداف ومراحل النمو، والعمل على التدرج في تقديم المهارات اللغوية في ضوء تلك المراحل.

١١ ـ إقامة دورات تدريبية لمدرسي جميع المواد لتذكيرهم بأساسيات قواعد لغتهم حتى يكونوا قدوة أمام متعلميهم في استخدام اللغة السليمة، وحتى يكونوا عوناً لمدرسي اللغة.

١٢ ـ محاسبة الطلاب على أخطائهم اللغوية في جميع مواد المعرفة.

١٣ ـ البدء بتعليم اللغة الفصيحة السهلة والبسيطة من رياض الأطفال، وذلك بطريقة غير مباشرة، واستخدام البنى اللغوية المناسبة والملائمة لهذه المرحلة بغية التدريب على استخدامها بصورة صحيحة ترسيخاً لها على الألسنة.

١٤ ـ الإفادة من تراثنا في منهجية تعليم اللغة وتعلمها التكاملي واعتماد المنهج الكاملي في تدريسها على النحو الذي اتبعه المبرّد في الكامل، واختيار

الموضوعات الأساسية والوظيفية من المادة اللغوية على النحو الذي دعا إليه كل من الجاحظ وأبي جعفر النحاس النحوي وخلف بن الأحمر في تراثنا العربي.

١٥ ـ الإكثار من الأبحاث العلمية لمعالجة مشكلات تعليم اللغة العربية وتعلمها على أساس موضوعي لا على أساس الانطباعات الذاتية والاجتهادات الشخصية، والكشف عن الفعالية النسبية لطرائق تدريسها قبل اعتمادها.

١٦ ـ التركيز على أهمية الحفظ في اكتساب المهارات اللغوية، على أن يكون هذا الحفظ مبنياً على الفهم، ومساعداً للمتعلم على توظيف مايحفظه في مواقف الحياة العفوية والطبيعية.

١٧ ـ إيلاء أهمية للمحادثة في تعليم اللغة وتعلمها، وللتعبير الوظيفي شفاهياً كان أو كتابياً، على ألا يغفل التعبير الإبداعي كشفاً عن الموهوبين من الدارسين وتنمية لقدراتهم اللغوية.

١٨ـ التركيز على أساليب التشجيع والتعزيز والأساليب الجذابة في تعليم اللغة وتعلمها في مراحل التعليم كافة وبخاصة في المراحل الأولى، نظراً لدورها الفعال في تكوين المهارات اللغوية.

١٩ ـ العناية بإخراج الكتب وتزويدها بالصور والرسوم التوضيحية والألوان الجذابة لما لها من أثر في التشويق، وأن تستخدم الحروف ذات البنط الكبير في المراحل الأولى من التعليم الأساسي ثم يتم التدرج من حيث الحجم بتدرج مراحل التعليم.

٢٠ ـ العناية بتدريب الطلاب على البحث في المعاجم والموسوعات عن الكلمات والمصطلحات والأعلام إغناءً لثقافتهم اللغوية، وربطاً لهم بهذه الموسوعات، وحرصاً على الدقة والسلامة والصحة في استخدام الكلمات.

٢١ ـ الإكثار من الموازنات الأدبية تنمية للحس الجمالي عند الدارسين وتبصيراً لهم بمواطن الجمال.

حواشي البحث

1- A. G. Goxes - L´enseignement du francais parlé et écrit - Editions DEL' école - paris - p 1

2 - R. L. Lyman. Summary of investigations relation to grammar languagc. and Composition supplemerntary. Educational Monographs "CHICAGO -Illinois p 13".

٣ – الدكتور محمود أحمد السيّد ـ في طرائق تدريس اللغة العربية ـ مطبوعات جامعة دمشق ـ ١٩٩٧ ص ٢٦٥.

٤– المرجع السابق ص ٢٦٤.

٥– المرجع السابق ص ٢٦٥.

٦– ابن خلدون ـ المقدمة ـ طبعة عبد الرحمن محمد ـ القاهرة ص ٤٠٩.

٧– الدكتور محمود أحمد السيّد ـ تعليم اللغة بين الواقع والطموح ـ دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ـ ١٩٨٨ص ٩٢.

٨ – علي النجدي ناصف ـ من قضايا اللغة والنحو ـ مكتبة نهضة مصر القاهرة ١٩٧٠ ص ٤٠.

٩ – الدكتور محمود أحمد السيّد ـ المرجع السابع ص ٢٠٨.

١٠ – الدكتور طه حسين ـ في الأدب الجاهلي ـ طبعة مصر ـ القاهرة ١٩٣٣ ص ٧.

١١ – الدكتورة عائشة عبد الرحمن « بنت الشاطئ» ـ لغتنا والحياة ـ دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٩.

١٢ – الدكتور محمود أحمد السيّد ـ شؤون لغوية ـ دار الفكر ـ ١٩٨٩ ص ٦٦.

١٣ – أمين الخولي ـ محاضرات عن مشكلات حياتنا اللغوية ـ معهد الدراسات العربية ـ القاهرة ١٩٥٨ ص ٦.

١٤ ـ الدكتور طه حسين ـ في الأدب الجاهلي ـ مرجع سابق ص ٧.

١٥ – الدكتور طه حسين ـ يسروا النحو والكتابة، مجلة الآداب سنة ٤، عدد ١١ص ٤.

١٦ – عباس حسن ـ اللغة والنحو بين القديم والحديث ـ دار المعارف القاهرة ـ ١٩٦٦ ص ٦٦ ـ ٦٧.

١٧ – الدكتور مراد كامل ـ في مقدمة كتاب ـ اللغة العربية كائن حي لجرجي زيدان ـ دار

الهلال ، القاهرة ص ١٥.

١٨ – الدكتورة عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطئ» ـ لغتنا والحياة ـ دار المعارف، القاهرة ١٩٧١.

١٩ – الدكتور حسام الخطيب ـ اتحاد المعلمين العرب ـ المؤتمر التاسع ـ الخرطوم ١٩٧٦ ص ٥٥٨ ـ ٥٥٩.

٢٠ – المرجع الثامن عشر ص ١٩٦.

٢١ – الدكتور محمد كامل حسين ـ مذكرة عن الطريقة الحديثة في تعليم النحو مرفوعة إلى وزارة التربية والتعليم بالجمهورية العربية المتحدة ـ القاهرة ١٩٦٦ ص ١.

٢٢ – المرجع السابق ص ٢.

٢٣ – أحمد حسن الزيات ـ في أصول الأدب ـ طبعة مصر القاهرة ١٩٣٥ ص ٩٧.

٢٤ – الدكتور مهدي المخزومي ـ نحو لغة عربية سليمة ـ وزارة الثقافة بغداد ١٩٧٨ ص ٨٢.

٢٥ – الدكتور محمود أحمد السيِّد ـ شؤون لغوية ـ مرجع سابق.

٢٦ – الجنيدي خليفة ـ نحو عربية أفضل ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت ص ٧٨.

٢٧ – ابن فارس ـ الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ـ تحقيق الدكتور مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران ـ بيروت ١٩٦٤ ص ٧٧.

- ابن قتيبة ـ تأويل مشكل القرآن ـ شرح وتحقيق السيد أحمد صقر ـ دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه ـ القاهرة ١٩٥٤ ص ١١.

٢٨ – الدكتور محمد مندور في مقدمة كتاب « منهج البحث في الأدب واللغة ـ لانسون ماييه ـ دار العلم للملايين، بيروت ١٩٤٦ ص ١٢.

٢٩ – الدكتور طه حسين ـ مجلةالمجمع اللغوي ـ الجزء السادس ١٩٥١.

٣٠ – الدكتور مهدي المخزومي ـ في النحو العربي ـ منشورات المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت ١٩٦٤ ص ٤٤.

المعجم العربي

د. جورج متري عبد المسيح

توطئة :

نّص البَنْد الرابع من الدّعوة الكريمة على الآتي: «المُعجم العربيّ: وَصْف المُعجَمات المُتوافرة في الوقت الحاضر وبَيان ما فيها من مآخذ، ووَضْع مشروع مُعجم عربيّ حديث يفي بجميع المُتطلّبات». والمقصود بالمُعجم العربيّ هنا المُعجم اللغويّ العامّ وبخاصّة المعجم الوسيط والكبير اللذان يُغطّيان مَراحل الدّراسة المُتوّسطة والثانويّة والجامعيّة ناهيك بالثّقافة العامّة...

وإطلاق كلمة «وَصْف» يعني أن تَتّسِم دراسة المعاجم العربيّة بالموضوعيّة والدّقّة العلميّة، أمّا «بيان... المآخذ» فيعني التّقويم وإصدار الأحكام السّديدة والمدعومة. وأخيراً فإنّ طَلَب وَضْع «**مشروع مُعجم حديث**» يعني إشعاراً بعَدَم كفاية الموجود وحفزاً لإرساء المعجم العربيّ المَنشود.

ولابدّ من الإشارة إلى أنّ دراسة المعجم العربيّ: شرحاً وتهذيباً وتعليقاً واختصاراً واستدراكاً ونقداً وإصلاحاً ليست جديدة، ويكفي أن نُلقي نظرة على ما دار حول المُعجمات العربيّة حتّى نتبيّن تُراثاً ضخماً جديراً بالجمع والتّصنيف والدّرس والتّحليل لاستخراج العِبَر من جهة،

وتأريخ حركة النّقد المُعجميّ واللغويّ من جهة ثانية.

وإذا كان تَتبُّع هذه الحركة يُخرجنا عن الحدود المرسومة للمُحاضرة، فالتّنويه ببعض المُحاولات ضرورة:

_ ففي القرن الثامن عشر نَقَدَ الإمام ابن الطّيّب الفاسي في كتابه «إضاءة الراموس وإفاضة الناموس» الفيروزأبادي، وكذلك فَعَلَ تلميذه عبد القادر الحسيني في كتابه «فلك القاموس»، وقد تَجاوزا الجزئيّات الخاصّة إلى القواعد العامّة التي لا يُمكن تَجاهلها في صناعة المعاجم العربيّة.

_ وفي القرن التاسع عشر عاود المُحاولة نفسها وبشكل أوسع أحمد فارس الشّدياق في «الجاسوس على القاموس» رامياً إلى الدفاع عن اللّغة العربيّة، داعياً إلى سَدّ الحاجة إلى مُعجَم عربيّ يُواكب العصر.

_ وفي القرن العشرين تَوالت الدّراسات والدّعوات لإصلاح المُعجَم العربيّ، بدءاً بالعلاّمة ظاهر خير الله في مُقدّمته لمُعجَم الطالب (١٩٠٧)، والخوري بطرس البستاني في مُقدّمته لمُعجم البستان (١٩٢٧)، مروراً بالشيخ عبد الله العلايلي في كتابه (مُقّدمة لدَرْس لغة العرب، ١٩٣٨)، والمُستشرق الألماني أوغيست فيشر في مُقّدمته للمُعجم اللغويّ التاريخيّ (١٩٤٧)، والدكتور حسين نصّار في كتابه (المعجم العربيّ، نشأته وتطوّره، ١٩٥٦)، والدّكتور عبد الله درويش في كتابه (المعاجم العربيّة، ١٩٥٦)، وصُولاً إلى الدكتور عدنان الخطيب في كتابه (المُعجم العربيّ بين الماضي والحاضر،١٩٦٦)...

إنّ هؤلاء الباحثين المُطالبين بإصلاح وتطوير المُعجم العربيّ فئتان: واحدة درست ونقدت ودعت إلى الإصلاح من دون مُمارسة فعليّة لصناعة المعاجم كالدّكاترة حسين نصّار وعبد الله درويش وعدنان الخطيب، وفئة قَرَنَت دَعْوَتها بالمُمارسة العمليّة فأقدمت على صناعة المعاجم كالشّيخ عبد الله العلايلي، والمُستشرق فيشر، لكنّهما لم يُنجزا ما كانا قد شرعا به.

وإلى جانب هاتين الفئتين يُمكننا إضافة فئة ثالثة أقدمت على صناعة المعاجم من دون خطّة نظريّة مُعلَنة على الأقل صَنيع المُعلّم بطرس البستاني في «مُحيط المُحيط».

ويبقى أن نُشير إلى ثلاث تَجارب مُعجميّة، ستُشكّل العمود الفقريّ لهذه المُحاضرة، لأنها تجارب مُرتبطة أو صادرة عن مُؤسّسات فكريّة عربيّة هامّة:

١ــ تجربة المَجمع العلميّ العربيّ بدمشق ومُعجم مَتْن اللّغة. لقد كلّف المَجمع عام ١٩٣٠ الشّيخ أحمد رضا العمل على إعداد مُعجم مُطوّل يَجمع فيه ما تناثر من جواهر العربيّة ويُضمّنه ما اسْتُحْدِث من الألفاظ والمُصطلحات... وقد صرّح الشّيخ رضا بأنه وَضَعَه على النّسق الذي رآه المَجْمع ... وانتهى من إعداده وتَنقيحاته سنة ١٩٤٨م. لكن لم يَصدر عن المَجمع، فهو مُعجم مَجمعيّ: اقتراحاً وتكليفاً وإشراف طَبْع (غير مُنفّذ)، وهو مُعجم للشّيخ أحمد رضا الذي نَفّذ العمل وَفْقَ النّسق من دون مُراجعة مَجمعيّة مُلزِمَة.

٢ــ تَجربةَ مَجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة والمُعجم الوسيط الذي صَدَرَت طبعته الأولى عام ١٩٦٠، والمُعجم الكبير الذي صَدَرَ منه ثلاثة

أجزاء: الأوّل ١٩٧٠، والثاني ١٩٨٢، والثالث ١٩٩٢.

٣ـ تجربة المُنظّمة العربيّة للتربيّة والثّقافة والعلوم والمُعجم العربيّ الأساسي ١٩٨٩.

منهج العمل: لن أحاول عَرْض القواعد العامّة الموجودة في هذه المعاجم الرّسميّة أو شِبْه الرّسميّة، وكذلك لن أجعل هذه المحاضرة مِشْجَباً أعلّق عليه مَبادئ الدّعوات الإصلاحيّة الفَرديّة التي سبق وذكرتُ بعض دُعاتها، ولن أناقش أيضاً تَكامُل وانسجام وصوابيّة المبادئ المُطالَب بها، وكذلك لن أتعرّض إلى الالتزام بالخُطَط والمبادئ المُعلَنة... لأنّني أعتبر أنّ أرْوَع الخُطَط إن لم تقترن بكفاءة في التّنفيذ تَظلّ حبراً على الورق... أو مُجرّد أمانيّ. لذلك سأبدأ من الجزئيّات المُعبّرة، دارساً فاحصاً مُغربلاً، ومنها أنطلق إلى القواعد العامّة. وهذه القواعد بعضها مذكور في الدّعوات التي ذكرت، وبعضها نابع من تجربتي المُعجميّة التي أتابع نَقْدها وتَحسينها وتَطويرها بسَبب تَفحّصي الدائم لها، واحتكاكي بأهل العِلْم خصوصاً في الجامعات والمجامع، ممّا يَجعلني في تَوثّب يَقظ، وتَنبّه شديد، واسْتعداد رَضِيّ للنّظر بعناية في كلّ مُلاحظة أو نَقْد أو تَصويب... بَعْدَما تجاوزت الهواية والاحتراف إلى الإدمان المُعجميّ الذي لا حَرَج فيه أو عليه.

نماذج للتّشريح والمُقارنة والتّقويم:

النّموذج الأوّل: مادّة اصطلاحيّة:

الأوْج (بالمعنى الموسيقيّ): وَرَدَت مادّة الأوج في متن اللغة والمعجم العربيّ الأساسي خالية من المعنى الموسيقيّ، ووَرَدَت بالمعنى الموسيقيّ في

المعجم الكبير والمعجم الوسيط.

في المعجم الكبير: الأوج: لَحْن من ألحان الموسيقا (مُعرّب).

في الوسـيط : الأوج: لَحْن من ألحان الموسيقى (مع).

ـ إن كلمة «أوج»بالمعنى الموسيقيّ هي جزء من مجموعة مُؤلّفة من المواد الآتية: رَسْت، دوكاه، سيكا، جهاركاه، نوا، حسيني، أوْج، كردان، وهذه المجموعة تُشكّل أصوات السّلّم الموسيقيّ أو دَرَجاته أي المَقامات، وتعني أيضاً النّغمات المَبنيّة على هذه الأصوات أو الدّرجات، وبإيجاز يُطلَق على هذه المجموعة اسم المقامات العربيّة أو الشّرقيّة.

ـ فهل من الضّروريّ أن تَتواجد في المعجم العربيّ؟ نعم ولا. نعم في مُعجم كبير، ولا في مُعجم وجيز، ويُمكن للمعاجم الوسيطة أن تَذكرها أو تتجاوزها، وهذا يَتوقّف على خُطّة المعجم العامّة، والحدود المرسومة له، والحجم الذي يريده صاحبه، وكلّ ذلك بناء على دراسات دقيقة لأغراض المعاجم وأحجامها...

ـ إنّ عَدَم إيراد المعجم العربيّ الأساسيّ لمادّة أوج بالمعنى الموسيقيّ أمر مَقبول بالنسبة إلى حجْمه ومُستواه، لكن غير المقبول أنّه أورد مادّة (كُرْدان) بالمعنى الموسيقيّ، وهي من المجموعة التي إما أن تَدخل كلّها أو تَخرج كلّها. هذا الذّكر دليل على عدم وُجود خُطّة مُسْبّقة واضحة دقيقة مُتكاملة يُعمَل على تنفيذها، إنّه دليل على جَمْع عشوائيّ لا يُراعي قواعد العلم في صناعة المعاجم.

ـ إنّ عَدم إيراد مُعجم مَتن اللغة لمادّة أوج بالمعنى الموسيقيّ أمر غير

مقبول لأنّه من المعاجم الكبيرة والموسوعيّة، ولأنّه نصّ على إيراد المُصطلحات العلميّة والفنيّة.

ـ إنّ إيراد المعجم الوسيط لمادّة أوج بالمعنى الموسيقيّ أمر مقبول، لكن غير المقبول أن يقتصر الوسيط على ذِكْر ثلاث مَوادّ من المجموعة الموسيقيّة هي: الأوج والرّست والكردان، ويُغْفِل باقي مَوادّ المجموعة، ممّا يَدلّ على عَدم وجود خُطّة واضحة مَدروسة دقيقة للموادّ التي يَتوجّب إدخالها والموادّ التي يَتوجّب تنحيتها.

ـ إنّ إيراد المعجم الكبير لمادّة أوج بالمعنى الموسيقيّ أمر ضروريّ لأنّه معجم جامع، ولا نستطيع في الوقت الحاضر مُحاسبته على وُجود المجموعة بكاملها قبل أن يَكتمل.

عالجنا مادّة الأوج من زاوية وجودها أو عدم وجودها في المعجم، وننتقل الآن إلى مُعالجتها من زاوية الشّرح والتّعريف والمعلومات الأخرى الموجودة أو المُفترض وجودها أو المُستحسن وجودها... وبتعبير آخر ننتقل في المعالجة من المُستوى الأفقي إلى المُستوى العموديّ فنُسجّل ما يلي:

أ ـ وَرَدَت كلمة موسيقى بالألف الطويلة في المعجم الكبير وبالمقصورة في المعجم الوسيط، وهذا عَدم التزام بقاعدة الصورة الإملائية الواحدة للكلمة. وعُبّر عن كون الكلمة غير عربيّة بلفظ (مُعرّب) في الكبير وبالرّمز (مع) في الوسيط، وفي هذا عَدم التزام بطريقة واحدة مُوحّدة في التّعبير عن أصل الكلمة، خصوصاً وأنّ الوسيط هو ابن الكبير، وهما تابعان لهيئة علميّة واحدة.

ب ــ لم يَختلف شَرْح مادّة الأوج بين الكبير والوسيط، وفي هـــذا عَدم تَصوّر صحيح للفوارق بين أصْناف المعاجم وأصْناف المُستعملين.

ج ــ إنّ الشّرح الوارد عن الأوْج قاصر ومُبهَم، ومُختلف عمّا وَرَدَ عن الرّست والكردان اللّذين يَنتميان إلى المجموعة الموسيقيّة نَفْسها. فقد وَرَدَ عن الرّست بأنّه أوّل المَقامات السّبعة الأصلية في الموسيقى (فارســـيّ) ووَرَدَ عن الكردان بأنّه ثامن المقامات وهو جواب الرّست. (د)، وهـــذان الشّرحان من المعجم الوسيط. اللّحن أصبح مَقاماً، والعدد سبعة أصبح ثمانية، فكأنّ جواب الرّست مَعدود باعتبار وغير مَعدود باعتبار، مـــن دون بَيـــان الوجه. والذي لا يَعرف المقامات لا يَعرف إذا كان الثامن هـــو الأخـــير أو هناك مقامات أخرى بعده. والذي لا يَعرف المقامات الموسيقيّة لا يســـتطيع مَعرفة بقيّة المقامات. وإذا حاول أن يَعرف معنـــى المقـــام في مجـــال الموسيقى فلن يعثر عليه في المعجم الوسيط لأنّ هذا المعنى غير ملحـــوظ فيه. أمّا فيما يختصّ بهويّة الرّست فقد تبيّن أنّها فارسيّة من دون معرفة مـــا إذا كانت مُعرّبة أو دخيلة، مع العلم أنّ الوسيط يُميّز بين أنواع الكلمـــات الوافدة إلى اللغة العربيّة.

لقد تبيّن اختلاف الشّروحات الواردة في الأوج والرّست والكردان، وهذه كناية عن الفوضى في النّتائج لأنّ المنطلقات غير واضحة، والقواعـــد الموضوعة غير مُحترمة... وهذا مُخالف للروح العلميّة المنهجيّـــة، عمومـــاً، ولروح صناعة المعاجم خصوصاً.

وبقي أن نُظهر قصور الشّرح أو التّعريف. إنّ مصطلح الأوج مثـــلاً

يعني في الموسيقى أمرين:

الأوّل: الصّوت (أي الدّرجة) السابع من السّلّم الموسيقيّ.

الثاني: نَغْمة، نُقطة ارتكازها هذا الصّوت السابع.

نحن أمام مصطلح علميّ لا نستطيع أن نضع له تعريفاً أو تحديداً من خارج مَجال العلم، ولا نستطيع الاكتفاء بالتّعريف اللّغويّ الذي لا يُحدّد ولا يُبيّن المعنى بوضوح. ولكن هل بالإمكان إضافة فوائد مُعينة ومُساعدة للباحث المُحتاج؟ أجل.

لا يكفي المعجميّ أن يذكر الأوج أو الرّست لأنّ بعض المعاجم ذكرتها، فلا يُتّهم بالتّقصير. عندما واجهتُ هذه المجموعة الموسيقيّة طرحت أمامي مجموعة أسئلة تَوجّب عليّ الإجابة عنها:

السّؤال الأوّل: ماذا تعني كلمة مقام في الموسيقى؟

السّؤال الثاني: ما هو عدد المقامات الموسيقيّة؟

السّؤال الثالث: ما هو ترتيبها؟

السّؤال الرابع: هل من علاقة بين المقامات الموسيقيّة العربيّة والسّلّم الموسيقيّ العالميّ، وبمعنى آخر: هل هناك تقابل بين الرّست والدوكاه، والسيكاه... وبين المصطلحات العالميّة للأصوات السّلّميّة الموسيقيّة دو، ري، مي...؟

السّؤال الخامس: ما هو أسلوب العَرْض الأفضل لُمساعدة الباحث على إيجاد مطلوبه، خُصوصاً وأنّ عَدَدَ المجموعات اللّغويّة في اللّغة العربيّة كبير جدّاً؟

بهذه الروحيّة نستطيع أن نتقدّم بالمعجم العربيّ، فنكسر سلاسل التّقليد والفوضى والنّسخ والمسخ والجمود.

ـ النّموذج الثاني: مادّة لغويّة ـ اصطلاحيّة:

(التّراب): وَرَدَ شَرْحها في المعجم الكبير كالآتي: ما نَعُمَ من أديم الأرض. وفي القرآن الكريم ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوانٍ عَلَيْهِ تُراب﴾ ج أَتْرِبَة، وتِرْبان.

والشّرح نَفسه وَرَدَ في المعجم الوسيط، ما عدا الاستشهاد بالآية القرآنّية الكريمة. وأورد المعجم العربيّ الأساسي الشرح نفسه دون الاستشهاد مُقتصراً على جَمْع واحد من الجَمْعَين، ثمّ أورد مَعنىً ثانياً حيث قال: ما تَذروه الرّياح من التّربة بعد جَفافها.

أمّا معجم متن اللغة فأورد الآتي: التُّرْب والتُّراب والتُّرْبة والتَّرْباء والتُّرْباء والتَّيْرَب والتَّوْرَب والتَّوْراب والتَّيْراب والتُّرَيّب والتَّريب: أسماء للتُّراب المعروف...

الوارد في المعجم الكبير والوسيط والمعجم العربيّ الأساسيّ هو شَرْح لغويّ أو تعريف لغويّ، يَصِف مَظهر الشّيء بطريقة أقرب إلى مَفهوم العامّة من الناس. وما وَرَدَ في المعجم العربيّ الأساسيّ بالمعنى الثاني للتّراب أي ما تذروه الرّياح من التّربة بعد جَفافها، ليس في الحقيقة معنىً ثانياً، وهذا خَرْق لقاعدة التّمييز بين المعاني، أيّها يَستحقّ الاستقلال، وأيّها يَستحقّ الاتباع، فكم من مَعان تاهت فضاعت حدودها، وكم من مَعان تَباعدت وليس بينها حدود تَسمح بالفصل، وهذا الأمر مَدْعاة للتّبصّر بين

المعاني الحسّيّة والعقليّة، والحقيقيّة والمجازيّة، وبين ما ندعوه في علم اللغة: الدّلالة الأصليّة والدّلالة الإضافيّة.

أمّا ما وَرَدَ في متن اللغة فهو أسلوب من الشّرح غير شارح وغير مُعرِّف اعتماداً على شُهْرَة المَشروح. التّراب كمادّة لغويّة تُصبح مادّة لغويّة علميّة إذا رفضنا الاكتفاء بالتّعريف اللغويّ ولجأنا إلى علوم الجغرافيا والجيولوجيا والمعادن، فيصبح تحديده هكذا: ذَرّات مُفكّكة من مَوادّ عضويّة أو عضويّة ومعدنيّة. وإذا أحببنا التّقدم خطوة أخرى نحو الشّرح الشّبه موسوعيّ مَيّزنا بين التّراب والطّمي والطّين. وبما أنّ التّراب ليس وحيد أبَويه بل هو فَرْد من عائلة، لذلك يَنبغي رَبْطه بحلقات مَجموعته التي تتألف من العناصر الآتية ابتداء بالأكبر: الصّخر، الجَنْدَل، الجَلْمَد، الحَجَر، الحَصَب، الحَصى، الرّمْل، التّراب، الغُبار. وتوضع كّل مادّة بين ما هو أكبر منها، وما هو أصغر منها، وتُشرَح بلُغة علميّة مُوحّدة أو مُتقاربة... لابأس على المُعجميّ إذا راعى مُستوى الاسْتخدام عند الناس الذي تتداخل فيه أحياناً كثيرة المعاني بحيث يَزول اختصاص الدّلالة للتّسهيل، فإذا تسامحنا في الألفاظ اللغويّة العاديّة مثل حثّ وحضّ، فيجب ألا نتسامح في المصطلحات الفنّيّة والعلميّة كي لا نقع في مُيوعة الألفاظ، وضبابيّة الدّلالات...

النّموذج الثالث: مادّة لغويّة ــ نَحْويّة أو نَحْويّة ــ لغويّة:

(أسفل، بَعْدَ، حَوْلَ)

أسْفل: لم تَرِد في الوسيط ظَرْفاً، وإنّما وَرَدَت كـأفعل تفضيل، وكذلك الأمر في المعجم العربيّ الأساسيّ، مع عدم دقّة في الشّرح إذ شرح أفعل التّفضيل بالجزء المُنخفض من الشّيء، وهذا غير صحيح.

أمّا في متن اللغة، فسأكتفي بالعَرْض دون التّعرّض والتّعريض: السُّفْل والسِّفْل والسُّفول والسُّفالة والسِّفْلة والسَّفال والأَسْفل والسافل: نَقائض لما كان من وَزْنها من مادّة: ع ل و.

بَعْد: وَرَدَت في المعجم الكبير ظَرْفاً، مع احتمال قَطْعه عن الإضافة... مع المعاني التي تَرِدُ فيها. وورد ظرفاً في المعجم الوسيط بشرح أقلّ ولكن بإضافة معلومة نحويّة غير واردة في الكبير تقول ببنائه على الضّمّ عند قَطْعه عن الإضافة. وفي المعجم العربيّ الأساسيّ نفس المعلومات تقريباً بما فيها البناء على الضّمّ عند قطعه عن الإضافة. ووردت (بعد) في متن اللغة ظرفاً للمكان والزّمان مع شرح نحويّ أدقّ ممّا ورد في الكبير والوسيط والمعجم العربيّ الأساسي.

حَوْل: لم تَرِد في الوسيط ظرفاً مُستقّلاً وإنّما مع مادّة (الحَوْل) الاسميّة، ثمّ حَشَر مع حَوْل: حَوْلى وحَوالى وأحْوال من دون حُرْمة لاستقلاليّة المداخل، خصوصاً وأنّ البواقي لغات في حَوْل، وكذلك ليست لها نفس الصّيغة...

إنّ هذه الموادّ وأمثالها وَحَدات لغويّة ــ نحويّة أو نحويّة ــ لغويّة لأنّ طابَعها النّحويّ أوضح وأقوى من طابع الموادّ اللغويّة العاديّة. لهذا يَجب أن تَستقلّ بمداخل أي أن تُعامَل مُعاملة خاصّة نظراً لوضعها النّحويّ. وهي لا

يُمكن أن تدخل ضمْن المداخل المُعرَّفة (بأل). فمادّة (الحَوْل) التي من معانيها الحركة والسّنة لا يُمكن أن تكون هي مادّة (حَوْلَ) التي تعني مـــا يُحيــط بالشّيء. والأحكام النّحويّة والصّرفيّة المُترتّبة على الأولى تختلف تماماً عـــن أحكام الثانية. ثمّ إنّ المعلومات النّحويّة الواردة عن أسفل، بعـــد وحَـــوْل ليست كافية وأحياناً غير دقيقة... وبتقديري يجـــب أن نذكـــر أنّ هـــذه الكلمات هي من الظّروف غير المُتصرّفة، هذا قاسم مُشترك لا غنى عنـــه. ونذكر أنّها تكون منصوبة إذا أضيفت، وإذا حُذفَ المُضاف إليـــه ونُـــوِيَ وُجود لَفْظِه بنصّه الحرفيّ، وإذا قُطِعَت عن الإضافة لفظاً ومعنى،ثمّ نذكـــر أنّها تُبنى على الضّمّ عند قطعها عن الإضافة لفظاً لامعنى. وهكذا نستغرق أحوالها الأربع حيث تُعرَب في ثلاث منها، وتُبنى في حالة واحدة فقط. هذه الأحوال أي الوضع النحويّ تُؤثر على طريقة ضبط أواخرها عند عرضهـــا كمداخل في المعجم. هذا الوضع النحويّ لا يسمح بـــترك (بَعْـــد) بـــدون حركة، كما فعل المعجم العربيّ الأساسيّ، ولا يسمح بتحريكها بالضّمّ كما فعل المتن والكبير والوسيط، لأنّ هذا التحريك يعني أنّ وضعها الطبيعيّ هو البناء على الضّمّ أو الإعراب مع المنع من الصّرف، وهذا يُخـــالف حقيقة وضعها الصّحيح، وكان الأولى أن تُحرّك بالفتحـــة عنـــد عرضهـــا كمدخل، وفي الشّرح يُلحظ وجه بنائها.

النّموذج الرابع: مادة لغويّة:

(احْتِفال، بَلْدَة، صَفْح).

احْتِفال: لم تَرِد في الوسيط في مدخل مُستقلّ مع العِلْم أنّه اسْـــتعملها

في تفسير مادّة (الحَفْلَة) على الشّكل الآتي:

(الحَفْلَةُ) الزينة. وـــ الاحتِفال، وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه الكلمة غير واردة مع الفعل لأنّ (احتِفال) مصدر قياسيّ، والمصادر القياسيّة لا تُذكر في الوسيط، ولكن ينبغي ألاّ يغيب عن الذّهن أنّ مادّة (احتفـــال) لا يقتصـــر معناها على المصدريّة حتّى لا تُسجّل... وكذلك لم تَرِد في معجم متن اللغة، ووردت في المعجم العربيّ والأساسيّ مَشروحة على أنّ الاحتفال هو الاجتماع على فَرَح أو مَسرّة، ويُؤخذ على هذا الشّرح قَصْره القَسْرِيّ للاحتفال على ما هو مُفرح أو مُسِرّ.

بَلْدَة: وردت في متن اللغة على أنّها الجزء المُخصّـــص مـــن البلـــد، كدمشق من الشام. ووردت في المعجم الكبير بأنّها كلّ بَلَد واسع. أمّـــا في الوسيط فقد وردت (البَلْدة) مع مدخل (البَلَد) وجاء الشّرح لهما: المكـــان الواسع المحدود يستوطنه جَماعات. وفي المعجم العربـــيّ الأساســـي وردت البلدة على أنّها مدينة أو قرية. وفي اعتقادنا أنّ (البلدة) بهذا المعنى تحمـــل معنى قديماً كالذي ذكره متن اللغة، وتحمل معنى حديثـــاً مُســـتوحى ممّـــا نشاهده ونسمع ونقرأ عنه، يمكن أن نُعبّر عنه بالآتي:

البَلْدَة: تجمّع سكّاني أصغر من المدينة وأكبر من القرية.

ولابدّ من أن نشير إلى أنّ المعاجم الثّلاثة أغفلوا ذِكْر جَمعي البلـــدة (أي بَلْدات وبِلاد)، وهذه من شوائب معاجمنا عموماً.

صَفْح: ورد في متن اللغة مع فِعْله ولم يستقلّ بمدخل، وفُسّر الفعـــل صَفَحَ عن ذَنبه بـــ: عفا، لا غبار على التّفسير لأنّ (عفا) مَشروحة، ولكن

المصدر (العَفْو) ذُكِر مع الفعل وفي مدخل مُستقلّ مع تسجيل معناه المصدريّ ومعانيه الاسميّة الأخرى، وهذا ما لم يحصل مع (الصَّفْح).

وورد في المعجم الوسيط هكذا: (الصّفح) العَفو، أي تفسير للمعنى الاسميّ من دون ذكر المعنى المصدريّ. ولكن إذا كان الواحد منّا لا يعرف معنى العفو، وأراد أن يبحث عنه في الوسيط نفسه، فلن يجد ضالّته لأنّ الوسيط لم يُدرج مع العفو إلاّ ما يلي: العفو من المال: ما زاد على النّفقة. و- من الماء: ما زاد على الشاربة... و- خِيار كلّ شيء. و- المَعْروف. و- الأرض الغُفْل.

وأصبح الباحث مجبوراً لُمراجعة المادّة الفعليّة ليجد ضالّته. فلماذا استقلّ (الصّفح) في الوسيط بمدخل، وحُرِم مُرادفه (العفو) من المُعاملة نفسها؟

أمّا في المعجم العربيّ الأساسي فقد ورد الصّفح على أنّه مصدر صَفَحَ، ومع الفعل: صَفَحَ عن ذَنْبِهِ: عَفا عنه، ومع عَفا عن ذَنْبِهِ: صَفَحَ عَنْهُ، إنّه التّعريف الدّوريّ الذي شكا منه الباحثون وما زالوا.

ومع إقرارنا بصحّة المثل: مَن غَرْبَلَ الناسَ نَخلوه، لا نستطيع إلاّ الجَهْر بأنّنا لن نمنح مَعاجمنا (الصّفح)، ولن نضرب عنها صَفحاً، ولن (نُصْفِحَ) طُلاّب المُعجم العربيّ المَنشود.

المعجم الوافي أو المعجم المنشود:

١. إنّ النّماذج المعروضة هي عَيّنات مُحدّدة ومحدودة لكنّها تُعبّر عن بعض ما تُعاني المعاجم العربيّة من شوائب.

٢. لا نكران أنّ تحسينات كثيرة أُدْخِلَت على المعجم العربيّ لكنّها لم تكن كافية أو وافية ناهيك بالتّراجعات في أكثر من مَجال.

٣. لم تستطع معاجمنا الحديثة أن تنجو من عَثرات أسلافنا، وبالمقابل لم تستفد الإفادة الكاملة من مزايا أسلافنا.

إنّ المعجم الوافي الذي يُلّبي مُتطلّبات الصّناعة المُعجميّة بالمعنى العلميّ الدّقيق هو المعجم الذي ينهض على خُطّة مُحكمة قابلة للتّنفيذ لأنّها تنطلق من مبادئ وقواعد تُراعي روح اللغة العربيّة، فتُعالج بأصالة التّراث والمُعاصَرة معاً. وإذا كان هناك من مبادئ مُساعدة على تَصوّر هذه الخُطّة، فلا غضاضة من ذكر أهمّ المبادئ المُعينة على إخراج معجم لغويّ كبير، وليس معجماً لغويّاً تاريخيّاً، لأنّ مبادئ المُستشرق الألماني أوغيست فيشر كانت للمعجم التاريخيّ فحاول المجمع تطبيقها على المعجم اللغويّ، ومن هنا حدثت المُفارقات... بغضّ النّظر عن مدى الالتزام في تطبيق الخُطّة.

١ـ من زاوية الحجم: يتضمّن المعجم كلّ المادّة اللغويّة التي كفلت شرعيّتها المعاجم القديمة، يضاف إليها ما سهت عنه المعاجم واستخدمه العرب في مُصنّفاتهم خصوصاً إذا كانت الكلمة قياسيّة. ويتضمّن أيضاً ألفاظ الحياة العصريّة التي دَرَجَت على ألسنة الكُتّاب وأهل الفكر. ويتضمّن قدراً من المصطلحات العلميّة خصوصاً تلك التي خرجت من دائرة الاختصاص إلى دائرة الاستعمال. ولابأس من أن يتضمّن اشتقاق كلمات جديدة لاستكمال موادّ لغويّة غير مُستكمَلة.

ويَحسن بنا ذكر مجموعة اقتراحات كان قد تقدّم بها فضيلة الشيخ

عبد القادر المغربي رئيس المجمع العلمي بدمشق إلى المجمع نفسه، وبعث بها المجمع إلى محمّد الخضر حسين عضو مجمع اللغة العربيّة الملكي بالقاهرة وكان عضواً بالمجمع العلميّ العربيّ بدمشق لإبداء رأيه فيها، وموضوع الاقتراحات العناية بالكلمات (غير القاموسيّة) التي نستنكف من إيداعها قواميسنا ولا نستنكف من التّكلّم بها وإيداعها كتاباتنا أحياناً، وهذه الكلمات أصناف:

الصّنف الأول: كلمات عربيّة قحّة وردت في كلام فصحاء العرب الذين يُحتجّ بهم، ولم تذكرها المعاجم مثال: تبدّى بمعنى ظهر.

الصّنف الثاني: كلمات عربيّة وردت في كلام فصحاء العرب الإسلاميّين الذين لا يُحتجّ بهم، ولم تذكرها المعاجم، مثل: أقّص الخَبَرَ بمعنى قَصّهُ. الصّدفة بمعنى المُصادفة.

الصّنف الثالث: كلمات عربيّة المادّة لم تُستعمل بهذا المعنى، مثل: انْعَقَدَت الجَلْسَة، هيئة المحكمة...

الصّنف الرابع: كلمات عربية المادّة ولّدها المُتأخّرون، مثل: خابَر بمعنى راسل، واحتار، وتنزّه...

الصّنف الخامس: كلمات دخيلة بعضها خفيف في السّمع مثل: فِلْم، بالون...

الصّنف السادس: أساليب تسرّبت إلى لغتنا مثل: ذَرّ الرّماد في العيون، لا جديد تحت الشّمس...

الصّنف السابع: كلمات عاميّة، هذه يطالب المغربي بتقليص ظلّها... أمّا السّتّة الأولى فيُطالب المجمع بالتّسامح معها وإعطاء الفتوى في الكلمات التي شاعت وعمّت.

٢ـ من زاوية ترتيب الموادّ: يُحافَظ في المعاجم اللغويّة العامّة الكبيرة والوسيطة على الترتيب الجذريّ، ويُجهّز المعجم بنظام إحالة صارم للكلمات التي أصابها إعلال وإبدال، أو التي تحتمل جَذرين.

٣ـ من زاوية ترتيب المعاني: طالب المستشرق الألماني أوغيست فيشر (١٨٦٥ – ١٩٤٩) بترتيب المعاني كما يلي: تقديم المعنى العامّ على المعنى الخاصّ، والمعنى الحسّيّ على المعنى العقليّ، والمعنى الحقيقيّ على المعنى المجازيّ، وبغضّ النّظر عن صحّة هذا التّقسيم، وعن مدى إمكانيّة تطبيقه، فإنّ فيشر طالب به في المعجم التاريخيّ وليس في معجم لغويّ عامّ، ولذلك فإنّ ما قام به مجمع اللغة في القاهرة من إدخال فكرة هذا الترتيب على المعجم الكبير والمعجم الوسيط هو نَقْل مبدأ قد يصحّ في معجم تاريخيّ له أسلوبه وغرضه، ولا يصحّ في معجم لغويّ له أسلوبه وغرضه.

ونحن لا نستطيع إلزام المعجميّ بأيّ ترتيب قاسر لا ينسجم مع غرضه، فقد يُغلّب فكرة على فكرة، ويُقدّم معنى على معنى... وهناك مسائل صرفيّة ونحويّة هامّة للغاية لا يستطيع معها اتّباع نظام واحد في ترتيب المعاني... وقد درست بإمعان هذه المبادئ ووجدت أنّها تتقاطع وتتعارض وهي مستحيلة التّطبيق. وصناعة المعاجم لا تحتمل تفنّناً في إثارة مسائل غير قابلة للحلّ.

٤ـ من زاوية التّفسير: عندما تُفسّر معاجمنا الحديثة (الصَّبِر) بأنّه عُصارة شجر مُرّ، تكون قد سجّلت على نفسها ثلاثة مآخذ:

الأوّل: نَقْل نَسْخي لخطأ علميّ.

الثاني: عدم الاستفادة من معنى قديم صائب نظر إلى (الصَّبِر) على أنه نبات.

الثالث: عدم الاستفادة من علم النّبات الحديث الذي ينظر إلى (الصَّبِر) على أنّه جنس نبات من الفصيلة الزّنبقيّة، هذا هو المعنى الأوّل، والمعنى الثاني العُصارة المُرّة التي تُستخرج من ورق هذا النّبات.

ــ عندما يرد في المعجم الوسيط أنّ المدينة تعني المِصْر الجامع، فهذا يعني أنّنا قدّمنا إلى القُرّاء مفهوماً قاصراً غير واضح، وغير دقيق، وغير عصريّ... ويعني أنّنا لم نستفد من علم الاجتماع في هذا المجال...

ــ عندما يرد في المتن والوسيط والمعجم العربيّ الأساسيّ أنّ البكاء يُسبّب الرّمد، فمعنى ذلك أنّنا جهلنا أو تجاهلنا مبدأ السّببيّة في العلم عموماً، وفي الطّبّ خصوصاً، وأستطيع القول بأنّنا نكون قد خرقنا أبسط قواعد المنطق العقلّي الذي يُدرك بالبديهية أنّ البكاء لا يمكن أن يُسبّب الرّمد. وإلاّ لكُنّا جميعاً رُمْد العيون!

ــ عندما يُفسّر الوسيط أنّ (سَهَفَ) تَشَحّطَ، و(ساوَفَ) شامّ، و(انْشَدَخ) انْشَجّ ولا يورد تَشَحّط وشامّ وانْشجّ في أبوابها، فمعنى ذلك أنّ العمل تَنقصه المُتابعة والمُراقبة والا[illegible]

ــ عندما يرد في الوسيط أنّ (الشّبّ) يعني الشّابّ من الثيران والغَنَم، ويرد في (الشّابّ) أنّه مَن أدرك سِنّ البلوغ و لم يصل إلى سِنّ الرّجولة نشعر «بالمَعْلَيْشيّة» في العمل.

ــ عندما يرد في الوسيط أنّ (رَقَدَ) تعني (نام)، و(نام) تعني (اضطجع أو نَعَسَ) و(اضطجع) ضَجَعَ، و(ضَجَعَ) وضع جَنْبه على الأرض أو نحوها، بينما فسّر (نَعَسَ) بقوله: فترت حَواسّه فقارب النّوم... عندما ترد هذه الشّروح بهذه الأشكال والألوان والأنواع، نُدرك تماماً أنّ التّفسير الصّحيح الدّقيق الواضح المُتميّز بحاجة إلى تَفتّح البَصر والبصيرة، وتَوقّد في الحواسّ يُقارب السّهاد.

٥ـ من زاوية اللغة والصّرف والنّحو: لا يلجأ الإنسان إلى المعجم لمعرفة المعنى وحسب، وإنّما قد يحتاج إلى معلومات أخرى ضروريّة.

ومن هذه المعلومات: الجمع، التّذكير والتّأنيث، صيغة الكلمة ووزنها في أحيان كثيرة، تصحيحها وإعلالها... والمعاجم الكبيرة يجب أن تُقدّم له أجوبة على هذه الأسئلة، أي أن تُقدّم حلولاً للمسائل... وأن تُزوّد القارئ بمعلومات قد لا يحتاجها كلّ قارئ، لكنّ أصنافاً من القرّاء يحتاجونها من جهة، ولأن طبيعة المادّة توجب هذا الأمر وسأكتفي بمثَلين هامّين: واحد يُعنى بالصيغة والوزن، والثاني يُعنى بالإعلال والتّصحيح.

(استَحى) وزنه افْتَعَل من (سَحا).

(استَحى) وزنه استَفْعَل من (حَيِيَ)، وهو لغة تميم في (اسْتَحْيا) الحجازيّة، وقد حُذِفَت ياؤها إمّا إعلالاً وإمّا تخفيفاً لاجتماع ياءين.

وبغضّ النّظر عن التّأويلات وصّحتها، فيجب أن ترد المـــادّة في بـــاب (حيي) مع إحالة إلى باب (سَحا) والعكس صحيح، ليعرف القـــارئ أنّ الفعل المزيد (استّحى) يعود إلى جذرين، ويُوزَن باعْتبارين، ولا يُفهَـــم إلاّ بعد مُراجعة قواعد الصّرف والنّحو واللهجات العربيّة.

(ارْتاح، ارْتَوَحَ، اسْتَراح، اسْتَرْوَحَ) بمُراجعة قواعد الإعلال نجـــد أنّ إعلال (ارْتاح) على القياس، وتصحيح ارْتَوَح على القياس لأنّ الفعـــل واويّ العَيْن ويدلّ على المُفاعلة أي المُشاركة... وإذا كان إعلال اسْـــتراح على القياس، فإنّ تصحيح اسْتروح كان على غير قياس لأنّ حقّه الإعـــلال، أو هو لغة.

إنّ تسليط الضّوء على أمر كهذا يعيد الجسر الصّحيح بـــين اللغـــة والصّرف والنّحو واللهجات.

ــ الخاتمة ــ

١ــ إنّ ما أثرته هو قليل من كثير، لأنّ كلّ نقطة تتفرّع إلى نقـــاط، وعلى سبيل المثال فإنّ مشاكل الصّرف والنّحو وحدهما تحتاج إلى كتـــاب مُستقلّ يتتبّعها في المعاجم العربيّة وفي كتب الصّرف والنّحو نفسها...

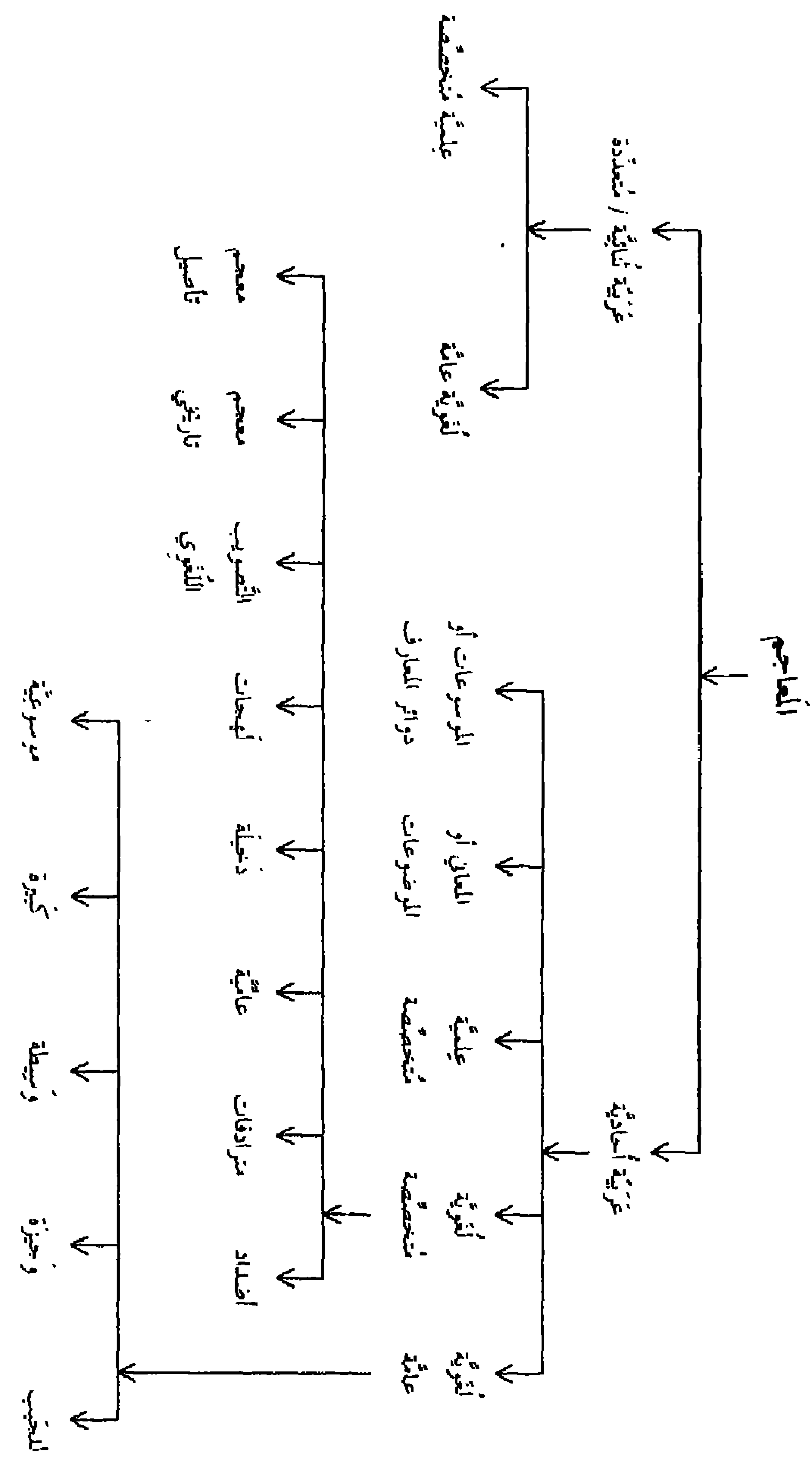
٢ــ لم أسجّل الحسنات لأنّها تُحدّث عن نفسها بنفســـها. ولكـــن الشّوائب هي التي بحاجة إلى إبراز لكي نتخلّص منها.

٣ـ لم أقْسُ على معاجمنا قسوتي على نفسي. والعاملون في سبيل النّهوض المعجميّ كوجه من وجوه النّهوض العامّ الشامل، لابدّ من أن يُحاسِبوا ويحاسَبوا... وكلّ ذلك في سبيل الأفضل والأرْقى.

٤ـ المعجم من أدوات الثّقافة الهامّة في مُجتمعنا، فإذا كان مَحشـوّاً بالخرافات والمعلومات غير الدّقيقة أو غير الصّحيحة، وإذا كان يفتقر إلى النّظام والمنهجيّة... فمعنى ذلك أنّنا ندخل كلّ هذه المساوئ في عقول طلاّبنا، ونكون قد قدّمنا عن أنفسنا صورة شَوهاء إلى العالم... ونكون قد دفنّا تراثنا المعجميّ بدل أن نحيي صالحه، وأسأنا إلى مُستقبلنا بدل أن نُهيّئ له ليكون مُتعافياً ومُشرقاً.

إذا كان المعجم مرآة عن مُستوى الارتقاء في مجتمع ما، فإنّه أيضاً أداة فاعلة وليس مرآة عاكسة فحَسْبُ، إنّه يُسهم بمنطق ترتيبه في إشاعة النّظام والمنطق والروح العلميّة، ويُسهم بمُحتوياته في نشر المعرفة، ويُسهم ـ إذا أحسنّا تدريب طلاّبنا على استعماله ـ في بثّ مزايا الصّبر في البحث والتّنقيب.

وما دام هذا دوره، فإعداد المعاجم بحاجة إلى عناية ودُرْبة وجَدارة، وقبل وبَعد كلّ شيء، إلى إخلاص وتضحية...


المَعاجم
عَرَبِيَّة أُحاديَّة
عَرَبِيَّة ثُنائيَّة / مُتعدِّدة
لُغَوِيَّة عامَّة
لُغَوِيَّة مُتخصِّصة
عِلميَّة مُتخصِّصة
المعاني أو الموضوعات
الموسوعات أو دوائر المعارف
لُغَوِيَّة عامَّة
عِلميَّة مُتخصِّصة
أضداد
مترادفات
عامِّيَّة
دَخيلَة
لَهجات
التَّصويب اللُّغَوِي
معجم تاريخي
معجم تأصيل
للجَيب
وَجيزَة
وَسيطة
كَبيرة
موسوعيَّة

المعجم العربي الحديث اللااشتقاقي
المرجع والرائد نموذجاً

الدكتور عبد الإله نبهان

كان حدثاً رائعاً وغرّة في تاريخ العلم عند العرب ولادة كتاب العين في القرن الثاني للهجرة على يد أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي[1] الذي جمع وضبط ونظّم ورتّب، وماز المستعمل من المهمل .... فأحسن في ذلك الإحسان كلَّه، وسبق فيه أهل زمانه، وأصبح مَنْ أتى بعده عيالاً عليه وتبعاً له يستوي في ذلك من اعترف به أو منْ أنكره، ومن قرظه أو انتقده.

ولد المعجم العربيّ وصاحب ولادتَه مصاعبُ شتى كانت تحول بين الناس وبين المعجم، أو لنقل إن تلك المصاعب كانت تعوقُ الناس عن الاستفادة السهلة المرجوّة من مواد المعجم وفوائده الجمّة ومعارفه المتفرّقة الغزيرة، ذلك لأن المقدرة على الاستفادة السريعة تتطلّب ضرباً من التمرس لا يستطيعه جمهور المتعلمين ولا

(١) الخليل بن أحمد (١٠٠ـ ١٧٠هـ تقريباً) ومعجم العين قيل فيه الكثير. انظر: المعجم العربي د. حسين نصار ١: ٢١٨ وما بعدها، وقد طبع العين تاما لأول مرة في ثمانية أجزاء ببغداد ١٩ـ بتحقيق د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي. وقد سار على ترتيبه من بعده القالي (تـ٣٥٦هـ) في معجمه «البارع» والأزهري (تـ ٣٧٠هـ) في معجمه «تهذيب اللغة» والصاحب بن عباد (تـ ٣٥٨هـ) في معجمه «المحيط في اللغة» وابن سيده (تـ ٤٥٨هـ) في معجمه «المحكم في اللغة» .

يصبرون عليه لذلك ما لبثنا أن سمعنا ابن دريد[٢] يقول ولمّا يمض طويل زمن بينه وبين الخليل إن الخليل قد: «أتعب مَنْ تصدّى لغايته وعنّى مَنْ سما إلى نهايته، فالمنصف له بالغلب معترف والمعاند متكلّف، وكلٌّ من بعده له تبع أقرّ بذلك أم جحد، ولكنه ـ رحمه الله ـ ألّف كتاباً مشاكلاً لثقوب فهمه وذكاء فطنته وحدة أذهان أهل عصره»[٣] .

حاول ابن دريد في الجمهرة تجنّب صعوبات كتاب العين، فنبذ ترتيب الحروف على مخارجها وجعل ترتيب الحروف على الألف باء وهو ترتيب الهجاء الذي وضعه نصر بن عاصم الليثي[٤] وشاع بين الناس لنشأتهم عليه في مجالس التعليم الأولى، لكنّ ابن دريد تابع الخليل في التزامه نظام الأبنية، وتابعه آخذاً بنظام التقاليب، ثم ألحق بكتابه أبواباً لا صلة لها بمفهوم المعجم[٥] ؟!. فكان كتاب العين أشدَّ منهجيةً وأحكم ترتيباً من الجمهرة. والتغيير الأساسي الذي قام به ابن دريد هو أخذه بالترتيب الهجائي بدلاً من ترتيب الخليل.

ثم كان أحمد بن فارس[٦] الذي خطا بالمعجم خطوة رائدة نحو سهولة الترتيب وتقريب المواد على الباحث، وذلك بنبذه نظام التقاليب كليةً وباختصاره نظام الأبنية إلى ثلاثة: المضاعف، الثلاثي، ما فوق الثلاثي، وبنى

(٢) ابن دريد محمد بن الحسين (تـ ٣٢١هـ) صاحب جمهرة اللغة والملاحن والاشتقاق.

(٣) جمهرة اللغة: ١ : ٣ وقد طبع الجمهرة في حيدر آباد سنة ١٩٢٥ .

(٤) نصر بن عاصم الليثي (تـ ٨٩هـ) وانظر: المعجم العربي بين الماضي والحاضر: ٢٢ .

(٥) ألحق ابن دريد بمعجمه عشرات الأبواب عالج فيها النوادر من الأبنية والأسماء والمعرب من الألفاظ وغير ذلك. وهي أبواب لم تقم في ترتيبها على أساس معين. وانظر المعجم العربي ٢: ٤٢٠ .

(٦) أحمد بن فارس اللغوي (تـ ٣٩٥هـ) .

على ذلك معجمه الفريد في بابه «مقاييس اللغة» ومعجمه المختصر «مجمل اللغة»[٧] .

وكان ظهور معجم تاج اللغة وصحاح العربية للإمام إسماعيل بن حماد الجوهري[٨] بترتيبه الرائع من المفاصل الحاسمة في تطور ترتيب المعجم العربي بل إنه القمة السامقة التي وصل إليها ترتيب المعجم في القرن الرابع للهجرة فقد كان ثمرة تطور طويل ووليد جهود بذلها المعجميون السابقون بدءاً من الخليل ومروراً بأبي عمرو الشيباني[٩] وابن دريد وإسحاق بن إبراهيم الفارابي[١٠] وابن فارس ... في سبيل الوصول إلى الترتيب الأمثل سهولةً وبعداً عن التعقيد ...

ونبذ الجوهري مستفيداً من تراكم الخبرات السابقة كلَّ ما من شأنه أن يعوق الرجوع إلى معجمه فطرح طريقة التقاليب وأخذ بالترتيب الهجائي (الألف بائي) وألغى طريقة الأبنية وأقام نظامه على النظر في أصول المواد ورتبها على الأصل الأخير على أنه الباب مع مراعاة تسلسل الحرف الأول (الفصل) ومراعاة الثواني والثوالث ...

---

(٧) معجم مقاييس اللغة طبع بمصر بتحقيق عبد السلام هارون (١٣٦٦- ١٣٧١هـ) أما «مجمل اللغة» فقد صدر في مؤسسة الرسالة ببيروت سنة ١٩٨٤ بتحقيق زهير عبد المحسن سلطان كما صدر عن معهد المخطوطات في الكويت.

(٨) إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ) وقد طبع معجمه «الصحاح» عدة طبعات أولها في الآستانة ١١٤٠هـ - ١٧٢٨م وفي إيران سنة ١٢٧٠هـ - ١٨٥٣م وفي القاهرة: بولاق ١٢٨٢هـ - ١٨٦٥م و١٢٩٢هـ - ١٨٧٥م ثم صدر بتحقيق أحمد عبد الغفور عطار بالقاهرة سنة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م وتتالت طباعته بالأوفست بعد ذلك..

(٩) أبو عمرو الشيباني إسحاق بن مرار (ت ٢٠٦هـ) له كتاب الجيم، صدر في ثلاثة أجزاء بتحقيق الأبياري والطحاوي والعزباوي عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٧٤- ١٩٧٥. ونشرت دراسة عن معجم الجيم لفرنر ديم ترجمها د. حسن محمد الشماع ونشرتها الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ١٩٨٠ .

(١٠) إسحاق بن إبراهيم الفارابي أبو إبراهيم (ت ٣٥٠هـ) له معجم ديوان الأدب وقد صدر عن مجمع اللغة بالقاهرة بتحقيق د. أحمد مختار عمر في أربعة أجزاء عام ١٩٧٤ .

وبنظام الجوهري وصل المعجم إلى النظام الأمثل ولم يكن أمام الزمخشري[١١] بعدئذ سوى أن يقلب طريقة الجوهري ليظهر الترتيب الآخر المقابل الآخذ بأوائل الأصول مع مراعاة الثواني والثوالث ...

وعدّ الجوهري رائداً من الرواد الكبار في تاريخ المعجم العربي، وجعله الدكتور حسين نصّار رائد زمنه كما كان الخليل رائد زمنه وقال فيه: «ومهما قال القائلون في الصحاح فإنه خطا بحركة المعاجم أوسع خطوة بعد خطوة الخليل فهو رائد عصر من الزمن، كما كان الخليل رائد زمنه، أو هو العلم الثاني الذي يبرز في حركة التأليف في المعاجم ويكاد يصل إلى مستوى صاحب العين، وأهم ما قدّمه إلى هذه الحركة ترتيبه الجميل وانتظام معالجة موادّه ومحاولة التزام الصحيح من الألفاظ، وقد سار أكثر أصحاب المعاجم بعده على ترتيبه فكانوا من مدرسته[١٢] » وسار المعجم العربي بعد «الصحاح» و«أساس البلاغة» على هذين الترتيبين، بل إن معظم معجماتنا الأمهات كالعباب واللسان والقاموس والتاج سارت على ترتيب «الصحاح». ومع كل ما بُذل من الجهد في الجمع والترتيب ومحاولة التغلب على العوائق، كانت هناك صعوبات مازالت تواجه مراجعي المعجم .... نعم لقد تغلّب المعجميون على صعوبة ردّ الأصل الأخير في الواويّ واليائي إلى أصله، فدمجوا الواو والياء في باب واحد، وأخلصوا الباب الأخير للألف اللينة... ومع ذلك بقيت هناك صعوبات كامنة في الكلمات التي غمض اشتقاقها وفي الكلمات الدخيلة، والكلمات التي ابتعد الناس باستعمالها عن أصلها حتى تُوهّم أصالة ما هو زائد فيها ...

وفي بعض المعجمات كانت بعض الكلمات تتكرر، تأتي مرة في

---

(١١) الزمخشري محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ) والإشارة هنا إلى معجمه «أساس البلاغة» وقد طبع بالقاهرة عام ١٨٨٢م وعام ١٩٠٩ وعام ١٩٢٢ وعام ١٩٧٣ وله طبعات أخر.

(١٢) المعجم العربي للدكتور نصار ٢:٣.

موضعها الأصلي، ومرةً في الموضع الذي يسرع إليه ذهن مَنْ لم يتمرس بالتصريف، أو تكون الكلمة غامضة الأصل مختلفاً فيها بين العلماء فيراعي صاحب المعجم ذلك ويذكر الكلمة في موضعين.

كل ما تقدّم يشير إلى وجود صعوبات كان يحسّ بها واضعو المعاجم فيحاولون التغلب عليها، ويصدّرون معاجمهم بمقدمات طويلة في فن التصريف، وبلغ الأمر أن الصلاح الصفدي(١٣) استخرج الكلمات ذات الاشتقاق الغامض من معجم الصحاح للجوهري ورتبها على الألف باء من غير مراعاة للأصل وخصّها بمصنّف وسمه بـ «غوامض الصحاح»(١٤) ولم يجعله لشرح معاني هذه الغوامض وإنما الغرض الأصلي منه أن يدلّ المراجع على موضع هذه الكلمات في معجم الصحاح، وإن كان قد ذكر معاني «الغوامض» مختصراً .... فكان لنا بهذا ترتيب جديد لا يراعي الأصل ولا يقوم على الاشتقاق، وهو ترتيب سبق استعماله في معجمات ذات مجال خاص، فأبو الفرج بن الجوزي(١٥) سبق أن رتب الألفاظ حسب حرفها الأول من غير نظر إلى أصلها وذلك في كتابه «منتخب قرة العيون النواظر»(١٦) وهو كتاب في تفسير الألفاظ القرآنية التي ترادفت مبانيها

(١٣) الصلاح الصفدي: خليل بن أيبك (تـ٧٦٤هـ).

(١٤) نشر غوامض الصحاح في معهد المخطوطات العربية في الكويت سنة ١٩٨٥ بتحقيق عبد الإله نبهان ثم أعيد نشره في مكتبة لبنان ١٩٩٦. بيروت .

(١٥) ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي (تـ ٥٩٧هـ) .

(١٦) طبع كتاب «منتخب قرة العيون النواظر» بعنوان آخر لمؤلف آخر فقد نشر محمد المصري بتحقيقه «الأشباه والنظائر في الألفاظ القرآنية التي ترادفت مبانيها وتنوعت معانيها» لأبي منصور الثعالبي وصدر عن مكتبة سعد الدين بدمشق ١٩٨٤ ثم أثبت الدكتور حاتم صالح الضامن في بحث له بمجلة المورد/ المجلد ١٥/ العدد: ٢/ ص ١٦٩/ أن هذا الكتاب ما هو إلا المنتخب من قرة العيون النواظر لابن الجوزي وأنه لا علاقة له بالثعالبي.

وتنوعت معانيها، فترى فيه الكلمات تتالى على هذا النحو: الإتباع، أخلد، الاستطاعة، الاستغفار، الأسف، أصبح، الإصر، أولى، الإذن .... وعلى هذا المنوال نسج كمال الدين عبد الرزاق القاشاني[١٧] في كتابه «اصطلاحات الصوفية»[١٨] من غير ما مراعاة للثواني والثوالث ... أما السيد الشريف عليّ ابن محمد الجرجاني[١٩] فقد اتبع في كتابه «التعريفاتُ»[٢٠] الطريقة نفسها لكن مع مراعاة الثواني والثوالث كما كان فعل من قبله الصلاح الصفدي في «غوامض الصحاح» وكما سيفعل من بعده أبو البقاء الكفوي في كتابه «الكليات»[٢١] الذي هو معجم في المصطلحات والفروق اللغوية وهو يراعي الثواني دون الثوالث ....

وجاء عصر النهضة العربية الحديثة، وبدأت المعاجم الجديدة في الظهور[٢٢] ، وقد اتخذت من موادّ القاموس المحيط أساساً لها، ومن ترتيب أساس البلاغة إماماً هادياً، فكانت المعجمات الحديثة التي نعرفها مرتبةً

---

(١٧) القاشاني عبد الرزاق من صوفية القرن الثامن الهجري.

(١٨) نشر كتاب اصطلاحات الصوفية بتحقيق الدكتور محمد كمال إبراهيم جعفر وصدر عن الهيئة المصرية للكتاب بالقاهرة سنة ١٩٨١.

(١٩) علي بن محمد الجرجاني السيد الشريف (ت ٨١٦هـ).

(٢٠) طبع كتاب التعريفات عدة مرات أولها في استانبول ٢٥٣هـ = ١٨٣٧م ثم طبع في القاهرة ١٨٦٦ و١٨٨٨ و١٨٨٩ و١٩٠٣.

(٢١) أبو البقاء الكفوي أيوب بن موسى الحسيني (ت ١٠٩٤هـ) وقد نشر كتاب الكليات عدة مرات وآخرها الطبعة التي عني بها د. عدنان درويش ومحمد المصري وصدرت عن وزارة الثقافة بدمشق في طبعة ثانية ١٩٨١.

(٢٢) نذكر منها محيط المحيط لبطرس البستاني الذي صدر في عامي ١٨٦٦- ١٨٦٩ ثم قطر المحيط له أيضاً ١٨٦٩م ومعجم «أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد» لسعيد الخوري الشرتوني عام ١٨٨٩م والمنجد للويس معلوف سنة ١٩٠٨ ومعجم البستان لعبد الله البستاني الذي صدر عام ١٩٣٠ وتلاه فاكهة البستان سنة ١٩٣٠ ....

حسب أوائل أصولها، جامعة تحت أصل كل مادة من المواد مواليدها المختلفة، مع إضافات تختلف من معجم لآخر ... أي إن هذه المعجمات حافظت على البناء الاشتقاقي الذي أسس عليه المعجم العربي باستثناء معجم واحد قرأنا عنه ولم نره وهو كتاب الشيخ القاضي محمد النجاري المصري المتوفى سنة ١٣٣٢هـ الذي أخذ لسان العرب والقاموس ورتبهما على الحروف الهجائية مهملاً الاشتقاق والتجريد، أي وضع الكلمة في بابها باعتبار أول حرف يُنطق به من غير نظرٍ إلى حقيقته أهو مجرد أم مزيد(٢٣) .

واستمرت الرغبة في تسهيل المراجعة في المعجم العربي قائمة، والاتجاه إلى التيسير أو التسهيل يتجه - فيما يتجه إليه - إلى طريقة ترتيب المواد الأساسية «الجذور» ثم تنظيم الورود للصيغ ضمن المادة الواحدة، وقد تجلّى هذا الاتجاه في معجمين على اختلاف بينهما أيضاً، وأولهما معجم «المرجع» للشيخ عبد الله العلايلي وثانيهما «الرائد» لجبران مسعود.

أما المرجع فقد ظهر سنة ١٩٦٣ بعنوان «المرجع: معجم وسيط، علميّ لغوي، فني، مرتب وفق المفرد بحسب لفظه» وصدر منه مجلد واحد بدأ بحرف الألف ووقف في الجيم عند مادة «جخدل» وتوقّف عن الصدور. قدم الشيخ العلايلي بين يدي «المرجع» مقدمةً بيّن فيها غرضه من وضع المعجم، كما وضّح نظام معجمه وأفصح عن غايته من ذلك النظام، فـ (المرجع) كما يقول: «عمل يتصل بالأساس اللغوي ويتصاعد مع اللغة تصاعدها الطبيعيّ الحيويّ الحضاريّ، فهو يكشف عن تطور اللغة في جانبها اللغائي «الفيلولوجي» ثم يحقق دلالتها القديمة ويصل بينهما وبين ما يحمل

(٢٣) مقدمة معجم الصحاح ١٧٧ ويبدو أن هذا الكتاب لم يطبع فقد قال صاحب معجم المطبوعات العربية والمعربة ٢: ١٨٨٤ وهو يذكر النجاري: وبلغني أن له معجماً عربياً يحتوي خلاصة المعاجم الكبرى. لم يطبع .

الذهن الحديث من طوابع ومفاهيم ليفرغ أخيراً إلى فتح باب الاشتقاق على مصراعيه وتطبيقه بأوسع أشكاله»[٢٤] .. أما طريقة الترتيب فقد بيّنها واضع «المرجع» تحت عنوان: مخطط المرجع وهو «ذكر المصطلح في موضعه من النطق متبعاً في هذا طريقه أرباب العلوم في معاجمهم كالكليات للكفوي أو التعريفات للجرجاني ومَنْ لافّهم ودرج على سنّتهم كصاحبي «دستور العلماء»[٢٥] و«كشاف الفنون»[٢٦] أو قل الطريق الفرنجية في الترتيب، وأشدّد على كلمة «المصطلح» لئلا يظنّ أني عمدت إلى هذه السنة في التصريف أيضاً وشأنه الإساءة إلى جوهر العربية وروحها، وذلك لأن العربية كأخواتها الساميات قائمة على الترابط العضوي، فكلّ جنوح بها في دائرة تصريف الأفعال عن الاندراج تحت الجذر يؤدي إلى التفسيخ الذي لا يغتفر، فعمدت لهذا كلّه إلى إثبات تصريف الأفعال مجردة ومزيدة تحت الجذر.. أما المشتقّات وحدها فقد استبحت لنفسي أن تذكر وفق لفظها .. وفوق هذا كلّه سردت تحت الجذر ما حُفظ من مشتقاته سرداً فقط مع الإحالة إلى بحثها حيث تقع من النطق، كما لاحظت أنّ كثيراً من الأفعال ليست مأخوذة من المعنى المصدري للجذر، بل من أسماء الأعيان، ولذا أثبت الأفعال بالمعاني المذكورة تحت اسم العين نفسها مثل (أرضت الخشبة أي ائتكلت) فقد ذكرتها تحت كلمة «الأرضة» وبذلك تكون طريقة التصنيف لهذا (المرجع) جامعةً للنهج الحديث بإثبات المفرد في منزله من النطق،

(٢٤) المرجع: المقدمة هـ وقد صدر المرجع عن دار المعجم العربي - بيروت.

(٢٥) دستور العلماء: هو كتاب جامع العلوم الملقب بدستور العلماء في اصطلاحات العلوم والفنون. ط حيدر آباد ١٣٢٩هـ ومؤلفه القاضي عبد الغني بن عبد الرسول الأحمد نكري.

(٢٦) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي محمد بن علي الفاروقي (تـ ١١٥٨هـ) طبع بالهند وبيروت والقاهرة.

والنهج القديم بسرد مشتقات الجذر تحته، ونهج الوحدات بذكر بعض الأفعال تحت أسماء الأعيان(٢٧) ».

فنحن إذن أمام معجم لغوي اتخذ طريقة المعاجم الاصطلاحية عند العرب أو الطريقة الفرنجية، وأحسَّ واضعه أنّ ذكر كلّ كلمة في حرفها الأول سيفتح عليه باباً لا يغلق في معالجة الأفعال، فجعلها تحت الجذر ووزع المشتقات وفق نطقها، ولكنّ تأمّل ورود المواد في هذا المعجم يري أن الأفعال لم تأت تحت الجذر في موضع واحد، بل تعددت مواضع ورود الجذر الواحد بحسب الزيادة والأصالة، ويكفي أن يلحظ الباحث أن باب الألف بدأ بالمدة ووردت فيه أمثال هذه الكلمات: آوى، آدى، آذن.. وهذه كلها سترد في المجرد: أوي، أدي، أذن .. كما أننا نجد أفعالاً مزيدة وردت في ألفاظها وكان المفروض أن تأتي في المجرد لتجتمع الأفعال تحت جذر واحد .. غير أن واضع «المرجع» كان غالباً ملتزماً بخطته في ذكر المزيد والإحالة إلى مادته المجردة، فهو في «اضطرح» يحيل إلى «ضرح» وفي «اضطمر» يحيل إلى «ضمر» وفي «أراث» يحيل إلى «ريث»..

وفي باب الألف في «المرجع» تأتي جميع مصادر الرباعي ومافوقه وتفسّر معانيها، لأن بناء المصدر مما فوق الثلاثي يتطلب الهمزة موصولة أو مقطوعة في أوله في الإفعال والاستفعال، وراح الشيخ في هذا الباب يفسّر الإقدام والإتراب والإثمار والإدانة والاستنتاج والاستفادة والاستهجان .. إلى آخر هذه الجريدة القياسية في باب الألف .. ثم نراه يعيد تفسير أفعالها في باب آخر، ففي باب الألف يورد ما يلي:

إثمار «مص» ظهورمنعقد الزهر .. مجازا :كثرة الدخل والمال .

---

(٢٧) المرجع: المقدمة: ح.

وفي باب الثاء يقول:

ثمر ـَـ ـُـ ثموراً فهو ثامر الشجر: ظهر حمله أو بلغ أوان أن يحمل أو أينع ومجازاً: الرجل كثر ماله ثم يأتي بالمزيد مع مصدره: أثمر إثماراً فهو مثمر النبات ظهر حمله وفي «إتمام» يقول: الإكمال وغلب في الكم وفي المعاجم المتقابلة وكتب العلوم خلط بينه وبين الإكمال، الإنجاز، الإمضاء.

وفي باب التاء يورد الفعل «تمّ» مجرداً ثم يقول: ومزيداً كثر فيه أتم إتماماً فهو متمّ، الناقصَ استوفاه وأكمله ... انظر جذر «كمل».

فهو يكرر في الفعل المجرد ذكر المصدر ويعيد ما سبق أن قدمه في حرف آخر وما وجدناه في باب الألف نجده في باب التاء فجميع المصادر القياسية التي على التفعل والتفعيل ترد في هذا الباب فتجد أمامك التعجب والتعجل والتعجن والتعدي والتعدين والتعرض والتعريض والتعقيم والتعليق والتعليل ... وهذه المصادر كانت سترد في أفعالها الأصول مرة أخرى لو قيض للمعجم أن يتم نشره، لقد اشتمل المرجع على مادة علمية ولغوية غزيرة واتسمت صياغته بالدقة إضافة إلى ذكره للمصطلحات ونصه على الأصل البعيد في لغات أخرى لبعض الألفاظ وربما كان ما بذل من جهد كبير في الجزء الأول قد أنبأ بما تحتاجه الأجزاء الأخرى من جهد ينوء به الفرد فحال ذلك دون التمام(٢٨) ...

أما المعجم الثاني الذي سنعرض له فهو معجم «الرائد» لجبران مسعود الذي أصدر طبعته الأولى سنة ١٩٦٤ وتتالت طبعاته بعد ذلك وقد ورد عنوانه كما يلي: «الرائد معجم لغوي عصري رتبت مفرداته وفقاً لحروفها الأولى».

قدم المؤلف لكتابه بمقدمة يسوغ فيها الطريقة التي اتبعها في ترتيب مواد معجمه فقد شكا من صعوبة المعجم العربي في ترتيبه المعروف القائم

(٢٨) انظر المعجم العربي بين الماضي والحاضر: ٥٩، ٥٨.

على فكرة الأصل وذكر أن هذه الصعوبة كانت تحول بين طلابه وبين الاستفادة من المعجم وسأترك واضع المعجم المذكور يذكر لنا مالاقاه من عنت إلى أن وصل إلى برّ الأمان قال: «... ورحت أتحرى الأمر فإذا بالحقائق تشير إلى العقبات الكأداء التي كانت تسدّ عليهم المنافذ، ومنها عقبة كدت أراها مستعصية، عنيت بها المعجم، وحاولت تدارك الخطر ما وسعني تداركه فرحت ألقن التلاميذ طرق البحث في المعاجم وحملتهم على الاهتداء بها في الصف وخارج الصف بما تيسر لي من سلطة أو رقابة أو أفانين إقناع ولكن النتيجة لم تأتِ على مستوى الرجاء لأن أساليب المعاجم لم تكن على مستوى العصر فأنّى للباحث أن يهتدي بسرعة وسهولة إلى معاني الكلمات المطلوبة والكلمات مبثوثة في المعاجم بطرائق تختلف أحياناً بين معجم وآخر حسب قواعد تحاول مراعاة المنطق الصرفي وغيره ولكنها لا تراعي منطق المخارج الأبجدية في أوائل الألفاظ؟ أنّى للباحث المستهدي أن يقف على المعنى المراد واللفظة تائهة في مظانّها بين إعلال وإدغام واشتقاق وتعريب فإذا بـ «المدرسة» تدرج في باب «الدال» لا في باب «الميم» وإذا بـ «تدارس» تدرج في باب «الدال» لا في باب «التاء» وإذا بـ «قال» تحار بين «قول» و«قيل» وهكذا أدركت يقيناً أن طالبي العربية في عنت فلكل مؤلف في نهجه شؤون ولكل مزاج من أمزجة المؤلفين مفهوم، وبرغم أن الشروح في كثير من المعاجم قيمة وافية فإن صعوبة الاهتداء إلى الكلمات فيها تحجب عن الطالب الدر في غياهب الصدف وهيهات أن يتاح للناس من الوقت والقدرة ما يمكنهم من الغوص على اللؤلؤة المكنونة ودون بلوغ الأرب أهوال وأهوال»[٢٩] ثم وجد الحل اللازم بنظره فقال:

---

(٢٩) الرائد: ١: ١١.

«وحصل لدي بعد إعياء الحيلة وإعمال الفكر أن من وسائل إحياء العربية وإغنائها وتقريبها وخدمة مريديها والقضاء على عقوق بعض أبنائها وضْعَ معجم عصري يحدث انقلاباً في المظهر ويساعد على تطوير الجوهر.

معجم عصري تثبت فيه الكلمات وفقاً لحروفها الأولى فـ «المدرسة» في باب الميم و«درس» في باب الدال و«تدارس» في باب التاء مع مراعاة الربط بين الكلمات ذات الأصل الواحد ما أمكن الربط»(٣٠)

ثم ذكر ما أضافه إلى المعجم من كلمات جديدة ومعان مستحدثة في اللغة وعلومها، فنحن أمام معجم يرتب الكلمات حسب نطقها ولا يعبأ برد إلى أصل ولا بزيادة أو إعلال أو إبدال فالفعل «قال» في القاف مع الألف ومصدره «القول» في القاف مع الواو و«رعى» في الراء مع العين أما «الراعي» ففي الراء مع الألف و «المرعى» في الميم مع الراء وهكذا نجد المدرسة في باب الميم وباع في باع وليس في بيع وقس على ذلك فالباحث في المعجم ليس بحاجة إلى أن يعرف الصرف ولا أصل الكلمات يكفي أن يبحث في باب الحرف الأول من الكلمة كما تنطق مع مراعاة الثواني والثوالث فلم تعد هناك كلمات غامضة الاشتقاق يحار الباحث في ردها إلى الأصل فأثفية مثلاً في حرف الألف مع الثاء سواء أكان أصلها ثفو أو ثفي لا فرق، ولفظ الجلالة «الله» في الألف مع اللام سواء أكان أصلها أله أو ليه.

إذن نحن أمام معجمين «المرجع والرائد» اتخذا من ترتيب معاجم المصطلحات في العربية كالتعريفات والكليات أو من المعجمات الأجنبية قدوة لهما في ترتيب الكلمات حسب أوائلها لا أوائل أصولها وذلك بهدف التسهيل وخدمة العربية، وفعلاً تم لهما التبسيط كما أرادا وتوصلا إلى طريقة

(٣٠) الرائد: ١: ١٢.

تسهل على متعلم العربية الرجوع إلى المعجم وخصوصاً إذا كان من الأجانب الذين يتعلمون العربية أو من العرب الذين بعد عهدهم بلغتهم .... أما أنهما قد خدما العربية على نحو مطلق فهذا أمر فيه نظر، ذلك لأن هذه الطريقة إن اتبعت وشاعت في المعجم وتسربت إلى المدارس في البلاد العربية فإنها قمينة بأن تقضي على الملكة الصرفية التي يجب أن تعمل المدرسة على ترسيخها في نفس كل ناطق بالعربية منذ نشأته التعليمية الأولى.

إضافة إلى ذلك فإن هذه الطريقة تشتت المادة الواحدة في صيغ كثيرة فتضيع لحمة القرابة وتنفصم عرى النسب في كلمات تنتمي لأصل واحد، ولا أعتقد أن الصعوبات التي ذكرها صاحب الرائد هي صعوبات حقيقية بل إنها صعوبات بولغ في تضخيمها حتى غدت أهوالاً ومصائب ... وطلاب العربية الذين يتحدث عنهم واضع الرائد أذكى بكثير مما صورهم عليه ولا يشمس عليهم إلا ما فيه غموض أو لبس، ولا أعتقد أن طالباً في المرحلة الإعدادية يمكن أن يخطىء في رد مكتب ومدرسة وأشباههما إلى الأصل ......

على كل حال إن هذه العيوب لا تسوغ لنا رفض هذه الطريقة رفضاً قاطعاً لأن ظهورها في القرن الثامن للهجرة على يد الصلاح الصفدي ثم ظهورها في القرن الخامس عشر من جديد وإقبال الناس عليها يدل على أنها تلبي حاجة ما وتجنب الباحث في المعجم بعض الصعوبات التي يواجهها في المعجم الاشتقاقي بترتيبيه المعروفين.

على أن عدم رفض هذه الطريقة لا يعني الدعوة إلى تبنيها ونبذ الطريقة المعتمدة على الاشتقاق والرجوع إلى الأصل .... إن عدم الرفض يعني أن نأخذ بهذه الطريقة في حدود الحاجة إليها كأن يكون متعلم العربية من غير أهلها أو أن يكون عربياً بعد عهده بلغته. أما الطريقة التي ندعو إلى استمرار العمل بها في ترتيب المعجم فهي الطريقة الاشتقاقية التي تسهم في الحفاظ على الملكة

الصرفية وعلى وحدة المادة في المعجم الواحد ... على أن هذا لا يمنع واضع المعجم العربي الحديث من أن يذكر بعض المواد ذات الاشتقاق الخفي أو الغامض في غير مادتها ويحيل إلى موضع الأصل منها فليس في هذا من حرج، فابن منظور ذكر كلمة «الباز» في «بزو» كما ذكرها في «بوز» وليس من حرج إذا ذكرنا كلمة «اضطراب» في حرف الألف وأحلنا المراجع إلى «ضرب» وقل مثل ذلك في «ادّكر» و«الطاووس» و«طوبى» و«الدرنفق» وما شابه ذلك، فنكون بهذا قد حافظنا على الطبيعة الاشتقاقية للمعجم وعلى وحدة المادة المعجمية فيه، وتغلبنا على الصعوبات التي تواجه مَنْ لم يتمرس بالتصريف ومراجعة المعجم، ويمكن تطبيق ذلك خصوصاً في المعاجم التي تخصص للطلاب ولمن يتعلم العربية، وأزعم أن مثل هذا التيسير يمكن أن يلغي الطريقة اللااشتقاقية، لأن الباحث في المعجم الميسر سيتمكن من معرفة الأصول ويتمرس برد الكلمات إلى أصولها، إضافة إلى أنّ جمع الكلمات في أصلها الواحد يلغي تشتت المادة الذي قام عليه معجم «الرائد» وما شابهه ... وكنت أتمنى لو أن المعجم الوسيط قد أكثر من هذه الإحالات ولم يقتصر فيها على بعض الكلمات التي يصعب على عموم الطلاب ردّها إلى أصلها، فقد أحال في «أسلوب» إلى «سلب» وفي «الباريّ والباريّة والبارياء» إلى «بور» وفي «الميني والميناء» إلى «ونى» وكان بإمكانه أن يورد الأمعاء في الألف ويحيل إلى «معى» مثلاً ..

إن الإكثار من هذه الإحالات هو سبيل تيسير المراجعة في المعجم مع المحافظة على جوهر الطريقة الاشتقاقية.

إن هذا البحث الموجز لم يعرض لنقد مضمون المعجمات التي ذكرت لأن الاهتمام انصبّ أولاً على طريقة الترتيب ولأن نقد المضمون يحتاج إلى بحوث مفصلة تقف مع كل معجم على حدة مما ليس هو من أهداف هذا البحث.

مراجع البحث

– الأشباه والنظائر في الألفاظ القرآنية .. أبو منصور الثعالبي ـ تح محمد المصري. ط. سعد الدين. دمشق ١٩٨٤.

– اصطلاحات الصوفية: عبد الرزاق القاشاني. تح. د. محمد كمال إبراهيم جعفر ـ الهيئة المصرية ١٩٨١ ـ القاهرة.

– جمهرة اللغة ابن دريد. طبع حيدر أباد.

– دراسة في المعاجم العربية ـ كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني ـ تأليف: فرنرديم ترجمه وقدم له د. حسن محمد الشماع وراجعه د. حسن ظاظا. الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ١٩٨٠.

– الرائد معجم لغوي عصري. جبران مسعود. دار العلم للملايين. بيروت ط٣: ١٩٧٨.

– صحاح اللغة وتاج العربية. الجوهري. تح أحمد عبد الغفور عطار– القاهرة ١٩٥٦.

– العين: الخليل بن أحمد: تح د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي. دار الرشيد ـ بغداد.

– غوامض الصحاح. الصلاح الصفدي تح د. عبد الإله نبهان ـ مكتبة لبنان ـ بيروت ١٩٩٦.

– الكليات: أبو البقاء الكفوي تح د. عدنان درويش ومحمد المصري ـ وزارة الثقافة ـ دمشق ١٩٨٤.

– مجلة المورد المجلد ١٥ ـ العدد: ٢– ١٩٨٦ بحث الدكتور حاتم صالح الضامن بعنوان «كتاب الأشباه والنظائر المنسوب إلى الثعالبي».

– مجمل اللغة: ابن فارس تح: زهير عبد المحسن سلطان مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٩٨٤.

– المرجع. معجم وسيط. عبد الله العلايلي ـ بيروت ١٩٦٣.

– المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث. د. محمد أحمد أبو الفرج ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة ١٩٦٦.

– المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع. د. محمد عيسى صالحية ـ معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ١٩٩٢ ـ ١٩٩٥.

– المعجم العربي نشأته وتطوره. د. حسين نصار ـ دار مصر للطباعة. ط٢: ١٩٦٨.

– المعجم العربي: بحوث في المادة والمنهج والتطبيق د. رياض زكي قاسم ـ دار المعرفة بيروت ١٩٨٧.

– المعجم العربي بين الماضي والحاضر. د. عدنان الخطيب ـ معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة ١٩٦٧.

– معجم المطبوعات العربية والمعرّبة. يوسف اليان سركيس الدمشقي ـ دار صادر بيروت مصورة عن طبعة سركيس بمصر ١٩٢٨.

– المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

– مقاييس اللغة. ابن فارس. تح عبد السلام هارون. ط. مصر ١٣٦٦هـ.

العروض العربي
بين اللسانيات والإيقاع

د. إسماعيل الكفري

مقدمة

ينطلق هذا البحث من إيمان عميق بأن العروض الخليلي يمثّل في جوهره إيقاع الشعر العربي وأوزانه تمثيلاً صادقاً وأميناً على اختلاف مدارسه وعصوره. فكاتبه يعتقد اعتقاداً جازماً بأن هذا العروض، وعلى الرغم من الانتقادات الكثيرة والصحيحة التي وجّهت أو يمكن أن توجّه إليه، ومن الإبداعات التي أنجزها هذا الشاعر أو ذاك، والتجديدات التي أحدثتها هذه المدرسة أو تلك، سيبقى من حيث الجوهر العروض اللائق والمسيطر، لأن مصيره لايرتبط بعصر أدبي ما، ولا بلون معيّن من الشعر، وإنّما باللغة التي أنتجته ومدّته ومازالت تمدّه بالروح والحياة.

لاشكّ أننا في حاجة إلى منهج جديد لدراسة العروض العربي، منهج يستند إلى معرفة علميّة تتيح لنا في آن واحد فهم أسسه اللغوية، وإدراك خصائصه الإيقاعية: يفيد من علمي اللسانيات والإيقاع، ويكشف عن العلاقة الكائنة بينه وبينهما.

ولكن كلامنا هذا لايعني أن المهمة الملحّة لدارس العروض اليوم تكمن

في محاولة الوصول إلى «بديل جذري لعروض الخليل» كما اعتقد كمال أبو ديب، وإنما تكمن في تطوير هذا العروض وتهذيبه، أعني تحسينه وجعله في آن واحد أكثر قدرة على استيعاب مايستجد من تجارب إيقاعية إبداعية، وأكثر دقة ووضوحاً؛ وذلك بتفسير وتوضيح ماأشكل من قواعده تارة، واستبعاد مالاطائل تحته فيه تارة أخرى. وتلكم مهمة تنفيذها مشروط بضرورة التمييز بين شيئين في نظرية مؤسس العروض العربي: بين ماهو أساسي وجوهري فيها وماهو غير ذلك، بين مالا خيار للشاعر فيه لأنه مفروض عليه فرضاً عن طريق اللغة ومايتطوي على شيء من الحرية الإبداعيّة، بين أساسه اللساني الذي يرتبط تطوره وتغيّره بتطوّر اللغة وتغيّر خصائصها الصوتية وما ينطوي عليه من تحديدات وقواعد وقيود تصلح لعصر دون آخر، أو لمدرسة شعرية دون أخرى.

أمّا محاولة الوصول إلى «بديل جذري»، فتلكم مهمة يستحيل تحقيقها في الوقت الحاضر على الأقل، محكوم عليها بالإخفاق لأن عروض الخليل هو العروض الذي رضيته العربية لنفسها بالأمس وترضاه الآن؛ هو العروض الذي مازالت تفرضه الخصائص الصوتية للعربيّة، ولامجال لاستبداله بآخر إلاّ بعد أن تتطوّر تلك الخصائص تطوّراً جذرياً.

صحيح أن نظام الخليل لايستوعب جميع الأوزان والأشكال الإيقاعية التي ظهر بها الشعر العربي منذ نشأته وحتى الآن، بدليل أنّ محاولات الخروج عليه بدأت بالظهور منذ العصر الذي ظهر فيه، العصر العباسي (١)، إلاّ أنّ هذا العيب ليس عيب الأساس والجوهر، وإنما هو عيب القيود والتحديدات التي استنبطها الخليل إثر تحليل نسبة لاشك عالية من الشعر الذي قيل في عصره وقبله، ونُظِر إليها فيما بعد على أنها قواعد تصلح لكل زمان ومكان، قوانين يجب أن يتقيّد بها ماسيأتي من شعر وشعراء.

وهذا البحث ليس سوى مساهمة متواضعة تهدف إلى تقديم حلول لبعض المسائل العروضيّة الخليلية التي مازالت غامضة أو موضع جدل؛ وهو بهذا ومن خلاله يقدّم أيضاً معرفة علمية ورؤية جديدة تُعدّ امتداداً جدليّاً لتلك الدراسات التي بدأت بالظهور في الوطن العربي منذ مايزيد عن خمسة عقود، وحرصت على التأليف بين ثلاثة ميادين علمية هي اللسانيات والعروض والإيقاع.

١ ـ تأثير الخصائص الصوتية في العروض:

العلاقة بين اللسانيات من جهة، ومسائل العروض والإيقاع الشعري من جهة أخرى، علاقة مؤكّدة، متينة وراسخة؛ إنها اليوم بمثابة الحقيقة العلميّة التي لم يعد هناك مجال لتجاهلها. وليس هذا بالأمر الغريب، فالشاعر حين يكتب قصيدته يضع الخصائص الصوتية للغته موضع التطبيق ليخلق تلك الوحدة الوزنية التي نسميها عادة بيتاً أو مقياساً عروضياً.

والعروض في أبسط تعريفاته تطبيق لنظام إيقاعي على نظام لساني؛ فهو ليس جزءاً من اللسانيات، ولا وظيفة من وظائف اللغة، ولا علْماً من علومها؛ وإنما هو لغة وشيء آخر نسميه الإيقاع؛ الإيقاع الذي نعثر عليه في كثير من أنشطة الحياة ولاسيما في الحركة والرقص والموسيقى. إنه، وباختصار شديد، يولد من تطبيق الإيقاع على اللسانيات أو، بصورة أدق، على الخصائص الصوتية للّغة.

ولكن العادات الصوتية وكما هو معروف ليست واحدة في جميع اللغات، وإنما تختلف من لغة إلى أخرى؛ ولهذا السبب بالذات فإن الأنظمة العروضية وخصائصها تتنوّع بتنوّعها. فثمة لغات تفرض عاداتها الصوتية نظاماً عروضياً يرتكز على قاعدة نبرية، وهناك أخرى تتطلّب عاداتها نظاماً يرتكز على قاعدة كميّة؛ وثمة ثالثة تنتج عاداتها نظاماً يقوم على أساس

رياضي،....إلخ.

ويتّفق المهتمون بالإيقاع العروضي على أن المقطع هو مايجب أن يشكّل وحدة القياس العروضيّة الأساسية، وذلك لسبب جوهري هو أنه أصغر وحدة لفظية في السلسلة الكلاميّة. وهذا الحكم لايصدق فقط على الأنظمة العروضيّة المقطعيّة كالنظام الفرنسي، وإنما يصدق أيضاً على الأنظمة المرتكزة على النبر كالنظام الإنكليزي، أو الكم كالنظام اللاتيني. صحيح أن جميع الأنظمة العروضيّة تتكىء في بنيتها على هذا العنصر الصوتي، لكنّ الدور الذي يؤدّيه في تشكيل تلك البنية يتنوّع إلى حدّ كبير؛ فهو في بعضها يشكّل وحدة القياس الجوهرية والوحيدة، وهو في بعضها الآخر مجرّد دعامة ترتكز عليها سمة نغميّة (نبر، كم، ...إلخ) هي التي تضطلع بدور القاعدة التي يرتكز عليها تنظيم البيت. وقد أشار اللساني الشهير والناقد الشعري رومان جاكوبسون (R. Jakobson) إلى هذه الحقيقة بوضوح إذ قال: «في بعض الأنظمة العروضيّة، المقطع هو الوحدة الثابتة والوحيدة المستعملة في قياس البيت (....)، لكن المقاطع في بعض الأنظمة الأخرى تتفرّع إلى نوعين هما المقاطع البارزة والمقاطع غير البارزة (....). في البيت القائم على النبر، يضيف الكاتب، يكون التفريق بين المقاطع البارزة والمقاطع غير البارزة انعكاساً للتفريق بين المقاطع المنبورة والمقاطع غير المنبورة. على أية حال، إنّ غالبية الأنظمة النبريّة ترتكز بصورة جوهرية على التفريق بين المقاطع التي تحمل نبر الكلمة وتلك التي لاتحمل مثل هذا النبر (...). أمّا في البيت القائم على الكميّة، فإن التفريق بين المقاطع البارزة والمقاطع غير البارزة يتجسّد بالتفريق بين المقاطع الطويلة والمقاطع القصيرة؛ فالمقاطع الطويلة هي البارزة، والمقاطع القصيرة هي غير البارزة» (٢).

إذن فالمقطع، فضلاً عن خصائصه النّغمية (منبور، غير منبور، طويل،

قصير، ... إلخ) التي تتنوّع بتنوّع اللغات، هو القاعدة الأساسيّة التي ترتكز عليها الأنظمة العروضيّة الثلاثة المشهورة، أي النظام المقطعي والنظام النبري والنظام الكمي؛ تلك الأنظمة الأساسيّة التي يمكن أن يتناسق بعضها مع بعض لتشكّل أنظمة جديدة من طبيعة جديدة.

على أية حال، يمكن وصف العلاقة التي تربط بين هذين الطرفين، أي المقطع وسماته الصوتية من جهة والأنظمة العروضيّة من جهة أخرى، ببساطة واختصار، على النحو الآتي: في اللغات التي تكون فيها كمية المقاطع مستقرّة من الناحية الصوتية استقراراً مطلقاً يمكّنها من تأدية وظيفة تمييزيّة (٣)، يتأتى الإيقاع العروضي للبيت بصورة جوهرية من خلال التنسيق بين المقاطع الطويلة والمقاطع القصيرة، وتكرار هذا التنسيق بصورة منتظمة: «إذا كان العروض اللاتيني عروضاً كمياً يرتكز على وحدة قياس تتمثّل بالمقاطع الطويلة والقصيرة، فذلك لأنّ اللغة اللاتينية توفّر تعارضاً كمياً بنيوياً وخصباً» (٤). أمّا في اللغات التي يكون فيها النبر هو الثابت ويؤدي وظيفة تمييزية بالمعنى اللساني للكلمة (٥)، فإن إيقاع البيت ينتج بصورة أساسيّة من خلال التناوب المنتظم للمقاطع المنبورة والمقاطع غير المنبورة: «إذا كان البحر الإيامبي الخماسي الأجزاء مبنيّاً في الإنكليزية على تناوب المقاطع المنبورة والمقاطع غير المنبورة، فذلك لأن النبر في هذه اللغة ثابت ومفرداتي» (٦). أمّا للغات التي لا النبر ثابت فيها ولا الكم، ولايؤدي هذان العنصران، بالنتيجة، ية وظيفة تمييزيّة، فإن وحدة القياس تتجسّد بعدد المقاطع فقط. وهكذا «فاليابانيّة التي توفّر تجزئة مقطعية تؤمّن للمقطع بنية ثابتة وقويّة، ولايؤدي يها النبر ولا الكم وظيفة دلاليّة، تتميّز كما الفرنسية بعروض مقطعي» (٧).

٢ ـ لمحة موجزة عن أهم الدراسات السابقة وموقفها من الأساس الكمي:

بعد هذه الوقفة القصيرة عند العناصر الصوتية التي من شأنها عادة تحديد طبيعة النظام العروضي الذي ترضاه لغة ما لنفسها والشروط الواجب توفّرها لذلك، يجدر بنا أن نعود إلى العربيّة لنتساءل: ماالعناصر الصوتية التي توفّرها هذه اللغة لإيقاعها العروضي؟ هل تمتلك كميّة جديرة بخلق نظام عروضي كميّ، أم أنها بخلاف ذلك تتميز بنبر يؤهلها لتقديم عروض نبري؟

من المؤكد أنه ليست هذه.هي المرّة الأولى التي تطرح فيها القضية للنقاش؛ فقد أدرك بعض النقاد العرب المهتمين أهميّتها منذ أكثر من خمسين عاماً، وهم يحاولون منذ ذلك الوقت العثور على حلّ شاف لها. وكان لابد لجهودهم من أن تثمر عدداً من الدراسات المتخصّصة والقيّمة، من أهمها دراسة محمد مندور [٨]، ودراسة إبراهيم أنيس[٩]، ودراسة محمد النويهي[١٠]، ودراسة شكري عيّاد[١١]، ودراسة كمال أبي ديب[١٢]، ودراسات سعد مصلوح[١٣]، وعلي يونس[١٤]، وسيد البحراوي[١٥]، .. إلخ. هذا إلى جانب بعض الدراسات الاستشراقية التي هي أيضاً توقفت عند هذه القضية، مثل دراسة فايل[١٦].

وبحثنا هذا ليس معنيّاً بتقديم آراء جميع هؤلاء الكتّاب؛ وذلك لسببين: الأول أنه ليس دراسة تاريخيّة مهمتها تعقّب مختلف الآراء التي قيلت في الموضوع؛ الثاني أننا أردنا له:

آ) أن يكون مكرّساً لمعالجة جانب واحد من جانبي المشكلة هو الجانب المتعلّق حصراً بمسألة الكم وأهميته في تشكيل العروض العربي.

ب) أن يحصر اهتمامه بتقديم بعض التحديدات والشروح التي من شأنها أن توضّح ولو جزئياً كيف يشرف الأساس الكمي على تنظيم البنية

العروضية للشعر العربي، من جهة، وترد على جملة من التساؤلات التي مازالت عالقة في أذهان المهتمين ممن يشككون في صلاحيته، من جهة أخرى. والحقيقة أن أهميّة هذه الشروح لاتكمن فقط في كونها غاية بحدّ ذاتها، وإنّما أيضاً في كونها تأتي تفنيداً لآراء بعض المختصين الذين إمّا يترددون في قبول الرأي القائل: إن الأساس الكمي هو الأساس المؤكّد والوحيد الذي تتكىء عليه البنية العروضية للشعر العربي، أو يرفضونه رفضاً قاطعاً.

من أنصار التيار الأوّل، يمكن أن نذكر خاصّة محمد مندور الذي يرى أنّ الكمّ «لايكفي لإدراك موسيقى الشعر بل لابدّ من الارتكاز الشعري الذي يقع على كل تفعيل ويعود في نفس الموضع على التفعيل التالي وهكذا»[١٧]؛ ويصف الأوزان العربيّة «بأنها تتكوّن من وحدات وزنية متساوية أو متجاوبة هي التفاعيل، وأن هذه التفاعيل تتساوى أو تتجاوب في الواقع عند النطق بها بفضل عمليات التعويض سواء أكانت مزحّفة معلولة أو لم تكن، وأن الإيقاع يتولّد في الشعر العربي من تردد ارتكاز يقع على مقطع طويل في كل تفعيل، ويعود على مسافات زمنية محدّدة النسب؛ وعلى سلامة هذا الإيقاع تقوم سلامة الأوزان»[١٨]. وهكذا يخلص الكاتب إلى أنّ «الشعر العربي يجمع بين الكم والارتكاز، وربما كان هذا سبب تعقّد أوزانه»[١٩].

ويتّفق إبراهيم أنيس مع مندور في أن الأساس الكمي ليس هو العامل الوحيد الذي يمدّ الشعر العربي بموسيقاه التي تميّزه عن النثر، بل ثمة عامل آخر ينضاف إليه في هذا المجال لكن هذا العامل الآخر ليس هو الارتكاز (أي النبر) كما هو الحال عند مندور، وإنما هو «نغمة موسيقية خاصّة» لابدّ من مراعاتها حين الإنشاد[٢٠] أي «التنغيم: intonation» .

ولسيد البحراوي مايدفعه هو أيضاً إلى عدم التسليم بالرأي القائل إن العروض العربي عروض كمي خالص؛ يقول: «يبدو العروض العربي حتى الآن قائماً على إحساس واضح بالكم، وإن لم تنتف إمكانيات الإحساس بالكيف كما تشير بعض الظواهر ومنها أن شرط التفعيلة والوزن لايحتم التساوي في كم المقاطع فحسب، بل في ترتيبها أيضاً؛ بمعنى أن العلاقة بين الأسباب والأوتاد، وبصفة خاصّة موقع الوتد بين الأسباب، هي العلاقة التي ميّزت التفعيلات بعضها عن بعض، رغم تساويها كمياً»(٢١). وهو يخلص «إلى أن العروض العربي قد بُني أساساً على إحساس واضح (وإن لم يكن إدراكاً علمياً) بالكم مع إمكانية وجود بعض العناصر الأخرى غير الكميّة»(٢٢).

في مقدمة أنصار التيار الثاني، أولئك الذين يرفضون رفضاً قاطعاً إسناد أيّ دور إلى الكمية المقطعيّة في تشكيل البنية العروضية للشعر العربي، يأتي كمال أبو ديب الذي تمتاز دراسته عن غيرها من الدراسات بجملة من الأمور: أوّلها أنّها الأكثر اعتماداً على اللسانيات، مفهومات وتصورات ومصطلحات؛ وثانيها أنها الأشد نبرة وحزماً والأكثر دقة وتحديداً ووضوحاً في هذا المجال، إضافة لكونها الأجرأ والأكثر اتّساماً بالتحدي والمغامرة؛ وثالثها أنّها تستوعب جميع الطروحات والتساؤلات التي ظهرت هنا وهناك في هذا الخصوص، فهي من المحاولات الشمولية التي تناولت موسيقى الشعر العربي بالدرس، وما سبقها من دراسات بالتقويم والنقد. ولهذه الأسباب جميعها كانت وقفتنا الطويلة عند آرائه التي تدخل في دائرة اهتمام هذا البحث.

على أية حال، إن مناقشة آراء أبي ديب مناقشة معمّقة هي التي ستمكّننا من تقديم التحديدات والتوضيحات المتوخّاة، من جهة، ومن الرّد

على معارضي النظرية الكميّة ردّاً مقنعاً يقوم على البراهين العقلية والحجج العلميّة، من جهة أخرى. لكن لابد من الإشارة بداية إلى أن دراستنا هذه لموقف أبي ديب من دور الكم في إيقاع الشعر العربي ليست نقيضاً ولا تكراراً لدراسة سعد مصلوح المضيئة التي نشرها في مجلة «فصول» القاهرية عام ١٩٨٦ تحت عنوان «المصطلح اللساني وتحديث العروض العربي»، وكرّسها للغرض ذاته، وإنّما متممة لها؛ فدراستنا هذه وكما سيلاحظ القارئ المهتم، تتناول تفصيلات وجوانب بعضها لم يتوقف مصلوح عنده، وبعضها الآخر لم يعطه حقّه من النقاش. وإذا كانت الدراستان تتقاطعان في بعض النقاط وتلتقيان في بعض الأحكام النهائية، فما ذلك إلاّ نتيجة للمعطيات العلمية التي استندتا إليها، وتسمح بحصول هذا التقاطع وذلك اللقاء رغم الاختلاف البيّن في التفاصيل والحيثيات.

في رفضه حقيقة أن العروض العربي يستند إلى أساس كمي، يسوق أبو ديب حديثاً مطوّلاً ؛ فيما يلي عرض لأهم ما جاء فيه.

لقد اتكأ مؤيدو الأساس الكمي من النقاد العرب والمستشرقين على المزدوجة الأساسيّة الممثّلة بالمقطع القصير والمقطع الطويل في بناء نظريتهم، «لكن الوصف الذي قاد إليه اعتماد هذه المزدوجة لا يعين على فهم التشكلات الإيقاعية العربيّة فهماً عميقاً. كما أنَّ النتائج الكليّة لهذا الوصف لم تنظّم تنظيماً دقيقاً متناسقاً تُحدَّد فيه أسسٌ بسيطة واضحة للفاعليات الجذريّة في عملية التحوّل (أو الزحاف) الإيقاعي. وتبقى أسئلة كثيرة معقّدة تعجز النظرية الكميّة عن تقديم جواب مقنع لها» (٢٣)؛ وليبرهن على صحة مايدّعيه، يثير أبو ديب الحالة الآتية:

«في تحليل تفعيلة بسيطة من تفعيلات الخليل هي «مستفعلن»، تقدّم النظرية الكميّة النتائج التالية:

أ) «مستفعلن» تتشكل من «– – ٧–» [٢٤].

ب) يمكن أن تتحول هذه التفعيلة إلى:

أ) «٧– ٧–».

ب) «–٧٧–».

ج) «٧٧٧–».

وهذا وصف سليم للتحولات التي تطرأ على «مستفعلن». لكن النظرية الكميّة لاتقدّم قانوناً إيقاعياً سليماً يصف هذه التحولات، ويفسرها، ويظهر أنها ممكنة في كل موضع تتوفّر فيه تتابعات مقطعيّة معينة»[٢٥].

واستناداً إلى ماسبق، يعتقد الكاتب «أن التحليل الكمي لإيقاع الشعر العربي، الذي يعتمد على المزدوجة (قصير - طويل) التي تصلح لوصف الشعر اليوناني، يظل قاصراً ونظرياً ولايمكن تطويره إلى نظام حقيقي عملي متناسق»[٢٦].

وقصور النظرية الكميّة هذا، كما يرى أبو ديب، يتبدّى من خلال «انطباع» مفاده «أن عروض الشعر العربي، حتى ضمن نظام الخليل، لايسند أيّ أهمية لاختلاف كم المقاطع الطويلة أو اختلاف كم حروف اللين الطويلة عن كم الصوامت حين تشكّل نهاية المقاطع الطويلة. يبرر هذا الانطباع امتحان نظام العروض التقليدي، حيث يلاحظ أن الخليل أسند القيمة ذاتها لكل «ساكن» بمفهومه، سواء أكان «الساكن» نهاية مقطع طويل مفتوح ينتهي بحرف ليّن (بو، نو، ما، في) أم نهاية مقطع طويل مغلق ينتهي بحرف صامت «ساكن» مثل (لم، عن)» [٢٧]. ثم إن اعتبار المقطعين «قا» و «لت» في كلمة «قالت» طويلين «رغم اختلاف طبيعة الصائت وكمه فيهما، ينفي شرعية النظرية الكميّة نفياً قاطعاً. فإذا عجزنا عن التفريق بين المقطعين على أساس طبيعة الصائت فيهما، واضطررنا إلى اعتبارهما من طبيعة

واحدة، فلابد أن نستطيع تحديد أساس جديد لكونهما متّحدي الطبيعة. وهذا الأساس الذي لايمكن أن يكون طبيعة الصائت ـ يمكن أن يكون شيئاً آخر – يتعلّق بطبيعة العنصرين (قَ) و (لَ) لأن فيهما خصيصة مشتركة. وبتحليل الخصائص المشتركة بين (قَ) و (لَ) ثم بين (أ) و (تْ) يُدرك أن الخصيصة التي توحّد دور عنصري الثنائية الأولى هي وجود الحركة عليهما. ويدرك أيضاً أن العامل الذي يوحّد دور عنصري الثنائية الثانية، هو انعدام الحركة وظهور السكون عليهما. أي أن التحليل المدقّق يقود إلى وجوب التفريق الجذري بين الحركة والسكون، وهو المبدأ الذي اعتمده الخليل في نظامه»[٢٨].

من جهة أخرى، «إن الأساس الكمي ذاته أساس خاطىء حين يطبّق على المكوّنات الصوتية للشعر العربي ابتداء من النوى الأساسيّة وانتهاءً بالوحدات الإيقاعية (التفعيلات). فقد أظهرت الدراسات المخبرية التي قام بها هذا الكاتب أن المقطع المغلق الطويل تتغيّر قيمته الكميّة وعلاقته بالمقطع المفتوح الطويل تبعاً لطبيعة المصوّتات (...) التي تركب المقطع. بل إن المقطع ذاته تتغيّر قيمته الكميّة إذا ورد مفرداً، أو في وحدة صوتية ما عنه إذا ورد في وحدة صوتية أخرى»[٢٩]. وعلى هذا لايبدو أن هناك أيّ مسوّغ لاعتبار المقطع القصير مساوياً لنصف قيمة المقطع الطويل[٣٠].

كذلك، إذا استعملنا المزدوجة الممثلة بالمقطعين القصير والطويل في وصف الكلمتين «مستسلم» و «مستلم» المتعادلتين عروضياً، «صعب اكتشاف مسوّغ تجاوبهما الإيقاعي على أساس كمي (...)، لأن الثانية تحوي مقطعاً قصيراً في مكان مناظر لمقطع طويل في الأولى فالتعادل الكمي معدوم بينها»[٣١]. وحقيقة أن هاتين الكلمتين المختلفتين كمياً يمكن أن تتعادلا عروضياً تعني أن المبدأ الكمي لايصلح بتاتاً لأن يكون أساساً للبنية الإيقاعية

للشعر العربي(٣٢).

وأخيراً، يطرح أبو ديب السؤال الآتي: «هل تصلح (–٧––) للحلول محل (––٧–)؟»، ثم يتابع: «الجواب: نظرياً ينبغي أن يكون بالإيجاب لكي يسلم التفسير الكمي. لكن الواقع الشعري، ونظرية الخليل والنظرية المقترحة في هذا البحث، تؤكد أن (–٧––) لايمكن أن تحل محل (––٧–) رغم تعادلهما حسب التفسير الكمي. وبانتفاء هذه الإمكانية، يصبح التفسير الكمي أقل جدوى مما بدا عليه حتى الآن»(٣٣).

هذا العرض السريع لموقف أبي ديب من المبدأ الكمي يبيّن أنّه يستند في رفضه لهذا المبدأ إلى الحجج الخمس الآتية:

١) لاتؤدّي الكمية المقطعيّة أية وظيفة في تشكيل البنية العروضية للشعر العربي، لأن مؤسس العروض العربي الخليل بن أحمد الفراهيدي لايسند إليها أية أهمية في نظامه، ولم يستعمل مفهوم المقطع في بناء هذا النظام.

٢) ليس للمزدوجة مقطع قصير ـ مقطع طويل في الواقع إلاّ قيمة نظريّة بحتة، لأن التجارب المخبريّة أثبتت أن كمية المقطع الطويل تختلف باختلاف الأصوات التي تشكله أو تحيط به.

٣) بما أن الباحثين السابقين الذين تبنّوا المبدأ الكمي لم يستطيعوا إقامة نظام عروضي كمي منسجم ودقيق، فإن استعمال المزدوجة مقطع قصير ـ مقطع طويل في التحليل الإيقاعي للشعر العربي ليس ذا قيمة عمليّة.

٤) من المستحيل أن تكون البنية العروضية للشعر العربي مرتكزة على مبدأ كمي لأن التفعيلتين «مستفعلن: ––٧–» و «متفعلن: ٧–٧–» ـ مثلاً ـ تتعادلان إيقاعياً على الرغم من عدم تعادلهما الكمي .

٥) من غير الممكن أن تكون البنية العروضيّة للشعر العربي مرتكزة

على أساس كمي لأن التفعيلتين «مستفعلن: ––٧–» و «فاعلاتن: –٧––»، على سبيل المثال، المتعادلتين كميّاً غير متعادلتين إيقاعياً: ليس لهما طابع إيقاعي واحد.

في الصفحات اللاحقة، سنحاول مناقشة هذه الحجج مناقشة تفصيليّة واحدة تلو الأخرى.

٣ ـ الأساس اللساني:

لاشكّ أن الخليل لم يعتمد المقطع ولا الكمية المقطعيّة في إقامة نظامه. ولكن هذه الحقيقة لاتثبت، ويجب ألاّ تثبت شيئاً مما يدّعي أبو ديب. إنها لاتعني على الإطلاق أن الكمية الصوتية لاتؤدي أيّ دور في تشكيل البنية العروضية للشعر العربي؛ وإذا كان لابدّ من تقديم تفسير لهذه الحقيقة، فإننا نقول بداية إنها تعني وبكل بساطة أن الخليل كان على الأغلب يجهل هذين المفهومين الصوتيين. والأمثلة المشابهة لمثل هذا الجهل ليست بقليلة. فعلماء العربيّة القدامى، أولئك الذين انكبّوا على دراسة لغتهم أيّما انكباب، لم يشيروا فيما نعلم إلى ظاهرة النبر، بمفهومها اللساني المعاصر، في العربيّة، بل كثرٌ هم الدارسون والمختصون المعاصرون الذين مازالوا حتى الآن يجهلون أو يتجاهلون وجود هذا العنصر الصوتي في العربيّة. وعلى هذا فحقيقة أن الخليل لم يستعمل هذين المفهومين الصوتيين في تشكيل نظامه العروضي يمكن أن تجد تفسيراً آخر أقرب إلى الحق. وهذا التفسير يمكن التعبير عنه بالآتي: إن قدرة شخص ما على التحدّث بلغة ما تعني أن هذا الشخص على معرفة بتلك اللغة، ولكنها لا تعني أنّه واع حتماً وبالضرورة لكل صغيرة وكبيرة من قواعد هذه اللغة وخصائصها الصوتية أو حتى أنه يمكن أن يكون قادراً على إدراك مثل هذه الأمور.

ومن الأسباب التي يمكن أن تكون قد منعت الخليل من الوقوع على

المقطع نستطيع أن نذكر أيضاً:

١) «عدم كتابة الحروف الصائتة القصيرة Voyelles brèves التي نسميها حركات (الفتح ـ الضم ـ الكسر) في صلب الكتابة العربية (...). بمعنى أننا نكتفي برسم الحروف الصامتة، أمّا الصائتة فلا تُكتب إلاّ الطويل منها (الألف ـ الواو ـ الياء) (....). وانبنى على ذلك أن الخليل لم يفطن إلى أن الحروف الصائتة.القصيرة تكوّن مع الحرف الصامت Consonne الذي توضع فوقه كحركة مقطعاً تاماً مستقلاً. ولهذا اكتفى في تقطيع التفعيل بالحروف التي تكتب مُميِّزاً بينها بالحركة والسكون»(٣٤).

٢) «أن اللغة العربية كغيرها من اللغات الساميّة تغلب فيها الحروف الصامتة فيما يُرجّح، وتلك الحروف يقع معها عادة الوقف، أي السكون، ولهذا لاح للخليل أن التتابع إنما يقع في الحركات والسكنات»(٣٥).

أمّا ادّعاء أبي ديب، وغيره من الدارسين الذين وقفوا في وجه النظرية الكمية، بأن التفريق بين المتحرك والساكن، الذي تبنّاه هو كما الخليل من قبله، أكثر ملاءمة وانسجاماً من التفريق بين المقطع القصير والمقطع الطويل فيكشف عن جهل بكثير من الحقائق اللسانية التي يأتي في مقدّمتها أن التفريق بين المتحرك والساكن لايثبت أمام التحليل المُدقّق، لاسند له من وجهة نظر علم الأصوات. يتبين هذا جليّاً حين نتذكّر:

١) أن الساكن يمكن أن يتمثل تبعاً لعلم الأصوات إمّا بصوت بسيط كالكاف في «يكتب»، أو بصائت طويل كالألف في «كاتب». وحقيقة أن الساكن يمكن أن يتمثّل تارة بصامت بسيط وتارة أخرى بصائت طويل تعني من غير لبس أننا نسند إلى الصامت البسيط والصائت الطويل قيمة عروضية واحدة؛ وهذا أمر يصعب تسويغه والدفاع عنه من وجهة نظر علم الأصوات

الذي يؤكد أهله أن زمن إرسال الصائت الطويل يعادل على الأقل ضعفي الزمن الذي يستغرقه النطق بالصامت البسيط (أي الصامت غير المشدّد).

٢) أن المتحرك يمكن أن يتمثّل بدوره إمّا بتتابع صوتي مكوّن من صامت بسيط وصائت قصير كاللام والفتحة التي تليها في «لَم»، أو بصامت بسيط واحد كاللام في «لا». وحقيقة أن المتحرك يمكن أن يتمثّل تارة بتتابع مكوّن من صوتين، وتارة أخرى بصوت واحد، تعني بوضوح أننا نسند إلى الصوت الواحد القيمة العروضية التي نسندها عادة إلى صوتين؛ الأمر الذي يتعذّر أيضاً وللأسباب نفسها تسويغه من وجهة نظر علم الأصوات.

٣) أن حقيقة كون المتحرك يمكن أن يتمثّل بصامت بسيط وكذلك الساكن تجعل عملية التفريق بين المتحرك والساكن ذاتها غير شرعيّة وغير منطقيّة.

٤) أن ترجمة مفهوم كل من المتحرك والساكن إلى المصطلحات اللسانية المعاصرة (صامت، صائت، ...إلخ) تعني فيما تعني تبنّي الصوت الواحد كوحدة قياس عروضيّة أوّلية. وهذا أيضاً لاينسجم ومعطيات علم الأصوات، لأنه ليس بمقدورنا أن ننطق كلّ صوت من أصوات اللغة مفرداً؛ فالصامت لايستطيع أن يتحقّق ويتمفصل على المستوى النطقي من دون أن يُدعّم بصائت: تتألّف اللغة من وحدات صغيرة تتضافر فيما بينها بصورة تدريجية لتشكّل وحدات أكبر فأكبر. فما نسمعه ونحن في حالة الإصغاء وننتجه ونحن نتحدّث إنّما هو في الواقع عبارة عن سلاسل صوتية وليس أصواتاً معزولاً بعضها عن بعض. فالصوامت تتّحد بالصوائت لتشكل أوّلاً مايُسمّى بالمقاطع الصوتية؛ وهذه الأخيرة تجتمع بدورها فيما بينها لتشكل وحدات من مستوى أعلى: كلمات، جمل، ... إلخ.

أمّا التفريق بين المقطع القصير والمقطع الطويل فيستند إلى علم

الأصوات ويستمد وجوده منه. فالعربية كما هـو معروف تتميّز ببنية مقطعيّة صلبـة وراسخة: كلّ تـعبيـر في هذه اللغـة، كلمة كـان أو جملة، يتـألف من مجـموعـة من المقاطـع المميّـزة والمحدّدة إلى حـد كبيـر، من مقـاطع يدركـها بسهولة كلّ من المرسل والمتلقي.

ثم إن قواعد التقطيع المقطعي لاتعاني فـي العربية أية مشكلة؛ إنها غاية في البسـاطة، ثابتة ثبوتاً راسـخاً لم تنل منه العـصور الأدبية الطويلـة والمتنوّعة التي توالت على هذه اللغة(٣٦). وهي في هذا الجانب أوضح بكـثير حتى من قواعد الفرنسية التي يقوم عروضها على التساوي في عدد المقاطع.

والأهم من هـذا كلّه أن التـفريق بـين المقطع القـصيـر والمقطع الـطويل يرتكز في لغـتنا ليس فقط على الـفرضية المقبـولة عموماً ومفـادها أن الصائت القصير يعادل من وجـهة نظر عروضية صامتاً بسيطاً (مـخفّفاً)، وأن الصائت الطويل يعـادل صائتين قصـيرين أو صائتاً قـصيراً وصامـتاً بسيطاً، وإنّـما أيضاً وخاصّة على فـعالية لسانية بالمعنى الـدقيق للكلمة: الكميّة كـما سنلاحظ في الفقرة القادمة من هذا البحث تؤدي وظيفـة لسانية جوهرية في العربية. ومن المؤكّد أن هذه الخاصيّة تـشكل شرطاً جوهرياً حتى تستطيع الكمـيّة المقطعيّة الاضطلاع بوظيفة عروضية حاسمة وفعّالة في لغة ما.

٤ ـ الكم الذاتي والكم الموضوعي:

٤ ـ ١ ـ النقطة الـثانية التي أثارها أبـو ديب وغيره من خصـوم النظرية الكمية تُختصر هكذا: لما كان زمن المقطـع يتغيّر في كل مرة بتغيّر الأصوات المكوّنة لـه والمحيطة به، فـإن التفـريق المستـمر بين نوعين فـقط من المقـاطع هو مجرّد تفـريق نظري بحت، ومن هنا فـإن تطبيق المبدأ الكمـي على المكوّنات الإيقاعية للشعر العربي هو تطبيق تعسّفي لايمكن تسويغه علمياً.

هذه النتيجة تبـدو للوهلة الأولى منطقية إلى حدّ كبير. لـكن تفحصها

على ضوء المفهوم اللساني العام للكم ووظيفته في العربية تحديداً سيبيّن أن الأمر ليس كذلك.

كمية الصوت مصطلح معناه امتداد الصوت في الزمن، أي زمن النطق به. فجميع الأصوات اللغوية، باستثناء الأصوات السادّة (Occlusives)، يمكن أن تُمدّ بالقدر الذي يسمح به الهواء المقذوف من الرئتين، لا بل إنّ الأصوات السادّة نفسها يمكن مدّها إلى درجة معيّنة، لأننا نستطيع الإبقاء على الانغلاق التام لجهاز التصويت الإنساني مدّة زمنية غير قصيرة.

من وجهة نظر صوتية ووظيفية، يمكن التفريق بين نوعين من الكميّة هما الكمية الموضوعية (Quantité objective) التي لاتؤدي أية وظيفة تمييزيّة، والكميّة الذاتية (Quantité subjective) التي قد تؤدي مثل هذه الوظيفة.

تبعاً لعلماء الأصوات[٣٧]، ترتبط الكميّة الموضوعية للصوت بثلاثة عوامل أساسيّة هي:

١) سرعة الكلام.

٢) طول الكتلة الصوتية التي يكون الصوت جزءاً منها.

٣) الخصائص النطقية والصوتية للصوت نفسه.

أمّا تأثير كلّ من هذه العوامل الثلاثة في طول الصوت، فيمكن توضيحه بالآتي:

العلاقة بين السرعة العامة للكلام وطول الأصوات علاقة بسيطة ويمكن تلخيصها بالقاعدة الآتية: كلّما كان الكلام بطيئاً ازداد طول الأصوات المكوّنة له، والعكس صحيح.

وعلاقة طول الكتلة الصوتية بكمية الصوت هي كذلك علاقة بسيطة ويمكن اختصارها بالآتي:

كلّما كانت الكتلة الصوتية طويلة قصُرت أصواتها المكوّنة لها، والعكس صحيح. وهكذا فالفتحة في «قد» أطول منها في «قديم»، وفي «قديم» أطول منها في «قَدِمتما»، ... إلخ.

أمّا علاقة كمية الصوت بخصائصه النطقية والصوتية فتحدّدها القواعد الشمولية الآتية:

١) الصوائت المغلقة أقصر عموماً من الصوائت المفتوحة؛ وعلى هذا فالكسرة والضمة مثلاً أقصر من الفتحة.

٢) الصوائت الأماميّة (Postérieures) أقصر عادة من الصوائت الخلفية (antérieures)؛ فالضمّة مثلاً أقصر من الكسرة.

٣) الصوامت السادّة أقصر عموماً من الصوامت الاحتكاكية (Fricatives)؛ فالباء مثلاً أقصر من السين، والدال أقصر من الفاء،.... إلخ.

٤) الصوامت المجهورة (Voisées) أقصر من الصوامت المهموسة (non - voisées)؛ فالزاي مثلاً أقصر من السين، والذال أقصر من الثاء، وهكذا.

٥) ينبغي أن نضيف أخيراً أن الكمية الموضوعية للصوت الصائت ترتبط أيضاً بالخصائص الصوتية للصامت الذي يعقبه؛ فالصائت المتبوع بصامت احتكاكي مثلاً أطول من الصائت المتبوع بصامت ساد؛ والصائت المتبوع بصامت أطول من الصائت المتبوع بصامت مهموس؛ والصوامت الأنفية واللام تقصّر الصوائت، أمّا الراء فتطيلها.

في نهاية الحديث عن الكميّة الموضوعية للأصوات، ينبغي أن نوضح أنّ هذه الكميّة يمكن قياسها بوساطة الأجهزة الآلية بخصوص كل صوت، وأن تنوّعاتها هي تنوعات ليس بمقدور الكائن البشري أن يعيها بصورة عفوية، وليس بينها اختلافات كافية لأن تلحظها الأذن؛ ولهذا كله فإن هذه الاختلافات لاتستطيع أن تؤدي وظيفة تمييزية بالمعنى اللساني للكلمة، أي أن تحدث اختلافات في المعنى.

تلكم كانت خصائص الكميّة الموضوعية والعوامل المؤثرة في تشكيلها، فماذا الآن عن الكمية الذاتية؟

كي نستطيع وصف كمية صوتية ما بأنها ذاتية (وتدعى أيضاً الكمية اللغوية) يجب عليها أن تؤدي في اللغة ذات الشأن وظيفة دلالية؛ كأن تميّز مثلاً بين اسمين، أو فعلين، أو اسم وفعل. ولتستطيع كمية صوت ما النهوض بمثل هذه الوظيفة، لابدّ من توفّر شرطين:

أولهما أن يكون بمقدور هذا الصوت الظهور على الأقل بدرجتين مختلفتين من الكميّة (يُميز على العموم بين درجتين إحداهما تدعى قصيرة والأخرى طويلة).

وثانيهما أن يستطيع كلّ من المرسل والمتلقّي على حدّ سواء التفريق بصورة عفوية بين هاتين الكميتين.

باختصار، ينبغي على الصوت الطويل أن تكون كميّته أطول بصورة ملحوظة ومؤكّدة من كميّة نظيره القصير، بغض النظر عن خصائصه النطقية وخصائص الأصوات المجاورة له.

واضح إذن أن هذا النوع من الاختلافات الكميّة يمكن أن يشكّل بحد ذاته سمة مميِّزة للأصوات، مثله في ذلك مثل الخصائص النطقية تماماً. فكما أن الاختلاف في الخصائص النطقية بين الفتحة والكسرة، أو بين الضمة

والكسرة، على سبيل المثال، يمكن أن يؤدي في السلسلة الصوتية الواحدة إلى اختلاف في المعنى (لاحظ مثلاً الفرق في المعنى بين «عَقْد» و «عِقْد» أو بين «فُرقة» و «فِرقة»)، كذلك إن الفارق الكمي بين الفتحة والألف مثلاً قد يقود هو أيضاً إلى مثل هذا الاختلاف على الرّغم من أن هذين الصوتين يتّفقان تماماً من جهة خصائصهما الصوتية.

٤ - ٢- تعرف العربيّة ثلاثة صوائت أساسية. وكلّ من هذه الصوائت يمكن أن يتحقّق في الكلام بكميتين الفرق بينهما واضحٌ جداً؛ إنه يضاهي على الأقل الفرق بين الزمن البسيط والزمن المضاعف. وهذا يعني أن الكمية الصائتة في هذه اللغة يجب أن تراعى بعناية فائقة أثناء الكلام، لأن تقصير الصائت الطويل أو إطالة الصائت القصير داخل السلسلة الصوتية الواحدة ستكون له حتماً انعكاسات دلالية يمكن أن نمثّل لها بالظواهر التالية:

١) فقدان المعنى: فلو أخذنا على سبيل المثال الكلمات «محجوز» و «محدود» و «منصور» ونطقناها مع ضمة بدلاً من الواو، فإننا سنلاحظ أنها قد فقدت معانيها: السلاسل الصوتية «محجُز» و «محدُد» و «منصُر» لامعنى لها في العربية، غير معروفة فيها ككلمات. وللأسباب نفسها تفقد كلٌّ من كلمتي «تحريض» و «تلميذ» معناها إن هي لفظت مع استبدال صائتها الطويل بنظيره القصير، أي إن هي نُطقت مع كسرة بدلاً من الياء.

٢) تبدّل جذري في المعنى: وكثيراً مايقود مدّ الصائت القصير أو تقصير الصائت الطويل إلى تغيّر جذري في معنى السلسلة الصوتية نفسها. فكلمتا «إماء» و «إيماء»، مثلاً، المتباينتان تماماً من حيث المعنى لاتختلفان إحداهما عن الأخرى من الناحية الصوتية إلاّ من جهة طول الصائت الذي يعقب الهمزة (الكسرة في مواجهة الياء)؛ وكذا الحال أيضاً بالنسبة إلى كلمتي «عُقول» و «عُقُل» اللتين لاتختلفان إحداهما عن الأخرى إلاّ من

جهة طول الصائت الأخير فيهما (الضمّة في معارضة الواو).

ومن الشائق ملاحظة أنه ثمة حالات تتلاعب فيها الكمية الصائتة بمعنى السلسلة الصوتية الواحدة تلاعباً قلّما نجد له مثيلاً في اللغات الأخرى. فالسلسلة «بَنَ»، مثلاً، التي تشتمل على صائتين قصيرين (الفتحتين)، لامعنى لها. لكن لو مددنا صائتها الأوّل وقلنا «بانَ» لأصبحت ذات معنى محدّد؛ أمّا لو مددنا صائتها الثاني بدلاً من الأوّل وقلنا «بنى» لأخذت معنى آخر غير المعنى الذي اكتسبته عندما أطلنا صائتها الأوّل. ومثل هذا الاختلاف والانتقال من معنى إلى آخر مختلف جذرياً عنه نجده أيضاً بين «آب» و «أبى»، وبين «آثر» و «آثار»، ...إلخ.

٣) إضافة معنى آخر: والأكثر أهمية في هذا المجال هو أن الكمية الصائتة، وخاصّة كمية الألف والفتحة، تؤدي وظيفة لايستهان بها في الصرف العربي. ولإعطاء فكرة بسيطة عن هذه الوظيفة، سنكتفي بالإشارة إلى الحالات الأكثر تمثيلاً، أعني تلك التي تكتفي فيها الكمّية الصائتة بنفسها لتؤدي مثل هذه الوظيفة:

أ) من المعروف أنه للانتقال من صيغة «فَعَلَ» الفعلية إلى صيغة «فاعَلَ» يكفي مدّ الصائت الأوّل في الأولى. وثمة حالات يقود فيها هذا الانتقال إلى تغير تام في المعنى؛ مثال ذلك فعل «صَدَرَ» الذي يصبح بعد إطالة الفتحة الأولى «صادر»، و «بَلَغَ» الذي يصبح «بالغ»، و «عصر» الذي يصبح «عاصر»، ... إلخ.

وثمة حالات أخرى يشير فيها هذا الانتقال إمّا إلى كثافة الجهد المبذول من أجل تحقيق العمل الذي يعبّر عنه الجذر، على نحو ما نجد في «قتل /قاتل» و«سبق/ سابق»، أو إلى معنى التبادل والاشتراك في الفعل، كما هو الحال في«كتب/ كاتب» و«سكن/ ساكن»،...إلخ.

ب) للحصول على صيغة مثنى الماضي المذكّر الغائب يكفي أن نطيل الصائت الثالث في صيغة المفرد ونحوّل الفتحة إلى ألف، على نحو ما نجد في «كسر/كسرا» و«ضرب/ ضربا» و«وصل/وصلا»،... إلخ.

ج) ثمة أسماء لا تختلف صيغة جمعها عن صيغة مفردها إلاّ من حيث كميّة الصائتين الأوّلين في كل منهما. فصائتا صيغة المفرد يردان بكميّة قصيرة، أمّا صائتا صيغة الجمع فيردان بكميّة طويلة، وذلك على نحوما نجد في «أمل / آمال» و«أثر / آثار» و«أجل / آجال»، ... إلخ.

مؤكد إذن أن الكميّة الصائتة تؤدي في العربية وظيفة لسانيّة بكل مافي كلمة لسانية من معنى، فإطالة الصائت القصير أو تقصير الصائت الطويل داخل الكتلة الصوتية الواحدة يترك انعكاسات دلاليّة على معنى هذه الكتلة؛ فهو إمّا يفقدها معناها، أو يكسبها معنى جديداً يختلف تماماً عن معناها الأوّل، أو يضيف إلى هذا المعنى عناصر دلالية جديدة.

والصوامت العربيّة هي أيضاً يمكن أن تكون قصيرة تارة وطويلة تارة أخرى. مما يعني أن زمن النطق بهذه الأصوات يجب أن يُراعى هو أيضاً بدقة أثناء الكلام. والكمية الصامتة تؤدي تماماً كما الكمية الصائتة وظيفة دلالية في العربيّة. فالتلاعب بها قد يفقد السلسلة الصوتية معناها، كما هو الحال بالنسبة إلى «عمّال» التي تصبح من دون معنى إن هي نُطقت مع ميم قصيرة (مخفّفة) بدلاً من الميم الطويلة (المشددة)؛ وكذا الحال مع كلمة «مدّ» إن هي نُطقت مع دال مخفّفة بدلاً من الدال المشدّدة.

وأهميّة الكميّة الصامتة في الصرف العربي لا تقل عن أهمية الكميّة الصائتة. وفي هذا المجال يكفي التذكير بأن الصيغة الفعلية «فعّل» لا تختلف عن صيغة «فعل» إلاّ من جهة أنّ الصامت الجذري الثاني طويل في الصيغة الأولى وقصير في الثانية. هذا وكثيراً ما تؤدي إطالة هذا الصامت في صيغة

«فعل» إلى واحد من الأغراض الثلاثة التالية:

١) تغيّر جذري في المعنى، على نحو ما نجد في «جَلَدَ/ جَلّد»، و«صَفَح/ صَفّح»، «صفق/ صفّق»، ... إلخ.

٢) التعبير عن كثافة الفعل الذي يعبّر عنه الجذر أو تكراره، كما في «كسر/ كسّر»، و«جرح/ جرّح»، و«سكت/ سكّت»، ... إلخ.

٣) تحويل الفعل اللازم إلى فعل متعدّ، كما هو الحال في «بكى/ بكّى» و«سكت/ سكّت»، ... إلخ.

باختصار، إنّ التعارضات الكميّة، صائتة كانت أم صامتة، تعرف في العربية استقراراً وثباتاً موكّدين، إنّها تشكّل سمة لنظام لساني رسخت أركانه وتوطّدت في الشعور اللغوي للمتكلمين بهذه اللغة؛ فهي لوظيفتها الجوهرية وكثرة استعمالها تمثّل واحدة من الأدوات اللسانية الأساسيّة للتواصل.

وهكذا يصبح واضحاً، خلافاً لما يؤكده أبو ديب، أن التفريق بين المقطع القصير والمقطع الطويل يرتكز في العربية على معطيات صوتيّة ووظيفيّة يتعذّر التشكيك فيها.

والمستغرب في موقف أبي ديب ههنا أنه تجاهل تجاهلاً تامّاً هذه الحقيقة الساطعة، إذ غض البصر في حديثه عن المفهوم اللساني للكميّة عن الجانب الأكثر أهميّة في هذا المفهوم، أعني الكميّة الذاتية، واكتفى بالجانب الثانوي. وفي تقديرنا أنه ماكان ليفعل ذلك لولا أنه كان مشغولاً بهمّ واحد هو البحث عمّا يدعم رأيه المشكّك في قيمة دور الكم في بنية العروض العربي، تلك البنية التي ترتكز اليوم كما ارتكزت بالأمس على أساس كمي صرف، ذلك أن المزدوجة مقطع قصير/ مقطع طويل كانت وما زالت تشكّل ظاهرة لسانية لها مغزاها على المستوى الدلالي؛ ومعروف أن العناصر

الصوتية ذات المغزى الدلالي هي مايشكّل في جميع اللغات جوهر النظام العروضي وروحه. ولإيضاح هذه الحقيقة بالمثال نقول مع سعد مصلوح: «إنه مادام البحر الطويل- مثلاً- إطاراً وزنياً عاماً يضبط أحد التشكيلات الوزنيّة التي كتب بها شعراء من مختلف أنحاء الجزيرة العربية في القديم، وعلى مدى تاريخ الشعر العربي منذ كان إلى يوم الناس هذا على اختلاف الزمان والمكان، فلابدّ أن يستند هذا الإطار، لا إلى سمة لغوية هامشية (....) بل إلى سمة من السمات الفارقة التي هي معلم من معالم النظام الصوتي في العربيّة» [٣٨].

٤-٣- من جهة أخرى، حتى لو قبلنا بأن هذا التفريق لا يرتكز على حقيقة سمعيّة محدّدة تحديداً دقيقاً، فإن من الضروري استناداً إلى ظاهرة الثنائية الوظيفية التي لا يشك في صلاحيتها في التحليل اللساني، الاعتراف بأن المقطع المستعمل على أنه طويل يحمل سمة ما تميّزه عن المقطع القصير الذي لا يحمل مثل تلك السمة: مادام الشعراء العرب، جميع الشعراء العرب، يضعون المقاطع المغلقة [٣٩] التي تنتهي بصامت واحد والمقاطع المفتوحة [٤٠] المنتهية بصائت طويل في مواجهة المقاطع المفتوحة المنتهية بصائت قصير لتشكيل القاعدة التي يرتكز عليها البيت، فإنّ هذا التفريق بين المقاطع القصيرة والمقاطع الطويلة يبقى فاعلية عروضيّة أساسية قادرة على خلق نظام متناسق حتى ولو لم تستطع المقاييس المخبريّة تأكيده بوضوح: في مجال العروض، تحتل وقائع النظام المكان الأوّل بالمقارنة مع الحقائق المعملية. لاشك أن للمقاطع في اللغة العادية كميات غير متساوية، لكن هذه الكميات غير المتساوية لا يرتبط بعضها ببعض بعلاقات محدّدة تحديداً دقيقاً؛ أمّا في اللغة الشعرية «فالمقطع الطويل عروضياً مرصود لأن يكون مكافئاً لجميع المقاطع الطويلة الأخرى، والمقطع القصير مرصود لأن يكون مساوياً لجميع

المقاطع القصيرة الأخرى» (٤١). فالشعر يبسّط العلاقات الكميّة بين المقاطع، وإيقاعه «يرتبط بالكميّة الذاتيّة. صحيح أن الكميّة الموضوعيّة للتفاعيل قد تختلف عن كميتها الذاتية، إلا أنّ هذه الأخيرة هي، وهي فقط، التي تؤدي دوراً جوهرياً في بروز الإيقاع العروضي. وإذا كان إيقاع اللغة اليوميّة يتأتّى عن الزمن الموضوعي، فإن الإيقاع الشعري، هو، يشكل ظاهرة من طبيعة أخرى مختلفة تماماً؛ إنه يجزّئ الخطاب ويحقّق الزمن الذاتي» (٤٢).

لنلاحظ أخيراً أن هذا التفريق بين نوعين من الوحدات يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالشرط الإنساني العام، إنه حاجة داخلية يسعى الكائن البشري السوي إلى تحقيقه دوماً في حياته العمليّة. فالإنسان واستجابة لحاجة داخلية يخلق بصورة لا عفوية تناوبات أو ثنائيات حتى في الظروف التي لا توفّر عناصرها بالضرورة مثل هذه التناوبات أو الثنائيات، أي حيث لا تحتم ذلك طبيعة الأشياء.

وثمة مثالان بسيطان، ولكنهما معبّران في هذا الصدد. الأوّل أن العين التي تجوب سطحاً خارجياً تتناوب فيه حزم ضوئية مختلفة الألوان تفضّل مباشرة وسريعاً، في هذه الحزم، إما اللون الأكثر إضاءة وحيويّة أو اللون الأكثر قتامة وظلاماً لتجعل منه ذلك اللون الذي تفضي إليه وتنتهي عنده دوماً حركتها المستمرّة. الثاني أن الأذن التي تصغي إلى نغم مكوّن من علامتين موسيقيتين متعادلتين من حيث الكميّة والحدّة ولكنهما مختلفتان من حيث الارتفاع، وتتعاقبان دون انقطاع، تفضّل مباشرة إحداهما لتخفّف من رتابة تعاقبهما وتجعلها مقبولة. واللغة التي يحاكي صوتها صوت الشيء الذي تعبّر عنه تقدّم هي الأخرى دليلاً قاطعاً على هذه الظاهرة: المنبّه الصباحي لا يقول لنا:

«تِكْ تِك تِكْ تِكْ» وإنّما «تِكْ تَكْ تِكْ تَكْ».

والتجارب الإيقاعية المخبرية التي أجراها عالم الإيقاع بول فريس تؤكّد هي الأخرى أن هذا التفريق بين نوعين من الزمن يأتي استجابة لقوانين نفسيّة– فيزيولوجية. ماذا يحدث مثلاً حين يُطلب إلى راشدين أن ينتجوا بصورة عفوية سلاسل تارة إيقاعية (٤٣) وتارة أخرى غير إيقاعيّة (٤٤)؟ المقارنة بين نتائج هاتين التجربتين تظهر أن «السلاسل الإيقاعية والسلاسل غير الإيقاعيّة تتشكّل جميعها من خلال الخروج على النزعة الفطرية إلى جعل المسافات الزمنية المتعاقبة متعادلة. فالحركة غير الإيقاعية تمتاز بتعدد قيم الأزمنة المتلاحقة وتنوّعها (...). أمّا البنى الإيقاعيّة فتتشكّل بوساطة نوعين من القيم الزمنية . وهاتان القيمتان تختلف إحداهما عن الأخرى اختلافاً بيّناً: العلاقة بينهما تضاهي العلاقة بين الزمن البسيط والزمن المضاعف» (٤٥).

وعندما طُلب إلى هؤلاء الراشدين أنفسهم أن يُنتجوا مرة أخرى سلاسل إيقاعية، ولكن بصورة غير عفوية هذه المرة، أي وفق خطة واضحة المعالم (كأن يُنتجوا تكتلاً إيقاعياً مكوّناً من أربع ضربات: ضربة معزولة، ثم ضربتان متلاحقتان، ثم ضربة معزولة أخرى)، جاءت النتائج لتؤكد بوضوح النتيجة السابقة: كل بنية من هذه البنى تتشكّل من كميتين زمنيتين مختلفتين تماماً» (٤٦).

باختصار، إذا كان الشاعر العربي قد استعمل ومايزال يستعمل، في تشكيل البنية الإيقاعية لشعره، نوعين من الأزمنة هما المقاطع القصيرة والمقاطع الطويلة، فذلك ليس لأن العربية تسمح بهذا وتتطلّبه وحسب، أو لأنه يحاول تبسيط العلاقات الكميّة بين المقاطع، بل أيضاً لأن هذا التفريق يرتبط بشرط بشري عام يستجيب لقوانين نفسية– فيزيولوجيّة يخضع لها الإنسان السوي: «عندما نطلب إلى راشدين– يؤكد مجدّداً بول فريس– أن ينتجوا إيقاعات أساسية بسيطة، سنجدد دوماً هذين النوعين من الأزمنة: الأزمنة القصيرة والأزمنة الطويلة» (٤٧).

٥ ـ قانون التحوّل العروضي :

أمّا الحجّة الثالثة التي يسوقها أبو ديب للتدليل على وهن النظرية الكمية، أي عجز الباحثين السابقين عن صياغة نتائج أبحاثهم القائمة على التفريق بين المقطع القصير والمقطع الطويل في «نظام دقيق ومتناسق»، فلا تثبت شيئاً مما يدّعي؛ إنّها تعني بالنسبة إلينا شيئاً واحداً هو أن هؤلاء الباحثين لم يستطيعوا تنظيم نتائج أبحاثهم تنظيماً دقيقاً ومتناسقاً. ثم إن هذا العيب، حتى ولو قبلنا به بوصفه حقيقة مؤكدة (وهو بالطبع ليس كذلك)، يمكن أن يرجع إلى سبب آخر أو أكثر تبعاً للظروف التي رافقت كل بحث من هذه الأبحاث. فقد يكون الأمر مرتبطاً بالمنهج المتّبع في تطبيق المبدأ المُناقش، وقد يكون ناجماً عن نقص في المعلومات والوسائل الضرورية الأُخرى، ... إلخ. ولكنه لا يرتبط بالضرورة بوهن أو قصور في المبدأ نفسه .

و الادعاء بأن هذه النظرية تعجز عن تقديم قانون سليم يصف التحوّلات الممكنة للتفاعيل ويفسرّها، هو أيضاً لا يثبت أمام التحليل العلمي الدقيق، لأن إلقاء نظرة فاحصة على التفاعيل الأساسية وتحولاتها يظهر أن مثل هذا القانون حقيقة مؤكدة. ولإعطاء فكرة مبسّطة عنه يكفي أن نتوقف عند بعضها، بادئين بتلك التي يشتمل كل منها على ثلاثة مقاطع.

يقدّم العروض العربي لنا تفعيلتين ثلاثيتين أساسيتين هما «فعولن» التي يمكن أن تتحول إلى «فعول»، و«فاعلن» التي يمكن أن تتحول إلى «فَعِلن». وتحليل هذه التفاعيل إلى مقاطعها يعطي النتائج التالية :

١ – فعولن: ٧– –	٢– فاعلن: – ٧ –
فعول: ٧ – ٧	فعلن: ٧ ٧ –

وبنظرة بسيطة إلى هذا التحليل يتبيّن أن تفعيلة «فعولن» وبديلتها «فعول» تشتركان في أمرين: أوّلهما أن كلّ واحدة منهما مؤلفة من ثلاثة

مقاطع؛ والثاني أن كلّ واحدة منهما تبدأ بمقطع قصير ثم يتلوه حتماً مقطع طويل. وإذا ما تذكّرنا أن هذين المقطعين هما الترجمة الأمينة والصادقة لما أسماه الخليل «الوتد المجموع»، تبيّن أن هناك قانوناً بسيطاً ينظم تحول «فعولن» هو ضرورة المحافظة على الوتد وموقعه مع إمكان تحويل المقطع الطويل الأخير إلى مقطع قصير(٤٨).

و لو طبّقنا هذا التحليل نفسه على «فاعلن» وبديلتها «فعلن» لوصلنا إلى النتيجة ذاتها: ضرورة المحافظة على الوتد (وهو يقع هنا في آخر التفعيلة) مع إمكان تحويل المقطع المتبقّي (وهو هنا في البداية) إلى مقطع قصير .

و معالجة التفاعيل الرباعية المقاطع وتحولاتها الممكنة بالطريقة ذاتها ستبيّن:

١) أن القانون الذي ينظم العلاقة بين «مستفعلن» وتحولاتها المقبولة(٤٩):

- مستفعلن: — — ٧ —
- متفعلن: ٧ — ٧ —
- مفتعلن: — ٧٧ —

يتمثل هو أيضا بضرورة المحافظة على الوتد وموقعه (وهو هنا أخير) مع إمكان استبدال أحد المقطعين الطويلين الآخرين بمقطع قصير.

٢) أن القانون الذي ينظم العلاقة بين «فاعلاتن» وتحولاتها المقبولة:

- فاعلاتن: — ٧ — —
- فعلاتن: ٧٧ — —
- فاعلاتُ: — ٧ — ٧

يتمثل بدوره بضرورة المحافظة على الوتد وموقعه (وهو هنا متوسط) مع إمكانية استبدال أحد المقطعين الآخرين بمقطع قصير.

٣) أن ما قيل بخصوص «مستفعلن» و«فاعلاتن» وتحوّلاتهما ينطبق أيضاً على «مفاعيلن» وتحوّلاتها:

– مفاعيلن: ٧ – – –

– مفاعلن: ٧ – ٧ –

– مفاعيلُ: ٧ – – ٧

مع ملاحظة أن الوتد يأتي هنا في البداية، وعلى «مفعولاتُ» وتحولاتها:

– مفعولات: – – – ٧

– معولات: ٧ – – ٧

– مفعلات: – ٧ – ٧

مع ملاحظة أن الوتد هنا هو وتد مفروق(٥٠) ويقع في نهاية التفعيلة وتحولاتها.

و في اعتقادنا أن هذا التحليل كاف لتبيان أن النظرية الكمية قادرة على تقديم القانون الذي يبحث عنه خصومها؛ وهذا القانون يمكن أن يُصاغ على النحو التالي: في التفاعيل الأساسية الثلاثية أو الرباعية المقاطع، يمكن تحويل مقطع طويل واحد إلى مقطع قصير شرط ألاّ يكون هذا المقطع جزءاً من الوتد. وهو قانون يتصف كما نرى بالبساطة الشديدة، ويذهب بجزء غير قليل من التعقيد الذي نلمسه في نظام الخليل القائم على التفريق بين المتحرك والساكن. إنه يسمح في الواقع ومع الحفاظ على جوهر ذلك النظام بالتخلّص من تلك القواعد المعقّدة والمجموعة فيه تحت اسم «الزحافات».

٦– مفهوم التعادل الكمي:

سننتقل الآن إلى مناقشة الحجة الرابعة التي يتكيء عليها أبو ديب في رفضه للنظرية الكمية؛ وهي تتلخص بالآتي: من المستحيل أن يكون الإيقاع

العروضي للشعر العربي مبنيّاً على أساس كمي، لأن التفاعيل «مستفعلن: - - ٧ -» و «مفتعلن: - ٧ ٧ -» و«مفاعلن: ٧ - ٧ -» التي لا تتعادل تعادلاً كمياً مطلقاً تتعادل مع ذلك إيقاعياً وعروضياً: كلّ تفعيلة منها يمكن أن تحل محلّ الأخرى في الإبداع الشعري من دون أن يضطرب الإيقاع.

هنا لا يسعنا في الواقع إلاّ أن نندهش ونحن نشاهد الكاتب يطلق مثل هذا الحكم استناداً إلى مثل هذه الظاهرة، إذ كان عليه قبل أن يقرر ما قرّر أن يحاول الإجابة عن السؤال الآتي: هل يشكّل التساوي الزمني المطلق شرطاً أساسياً لخلق الحركة الإيقاعيّة والإحساس بها؟ فلو حاول مؤلفنا طرح هذا السؤال والبحث عن إجابة له لتردّد كثيراً قبل أن يحكم بما حكم.

العودة المستعجلة إلى التعريفات المختلفة المقدّمة هنا وهناك لمصطلح «إيقاع» تسمح بملاحظة أن غالبيتها المطلقة لا تنطوي على هذا الشرط. وهذا على سبيل المثال هو حال التعريف الذي قدّمه م. غرامونت الذي يقول: «في جميع الأنظمة العروضية، يتشكل الإيقاع من تكرار أزمنة موسومة أو نبرات إيقاعيّة على مسافات متساوية بصورة محسوسة» (٥١)، أو حال هذا التعريف الذي ساقه هـ. موريه: الإيقاع تكرار علاقة أو إشارة ثابتة على مسافات زمنية متساوية بصورة محسوسة» (٥٢). فمن الواضح أن الصيغة التقريبيّة التي تنطوي عليها عبارة «بصورة محسوسة» في كلا التعريفين تعني دون شك أن التعادل الكمي المطلق ليس شرطاً ضرورياً للإحساس بالإيقاع.

و الأكثر أهميّة من هذا أن جميع الدراسات المختصة التي استوضحناها في هذا الخصوص تؤكد هي أيضاً تلك الحقيقة؛ فهذا بول فريس يقول: «في بنية إيقاعية ما، يمكن تغيير الزمن بنسبة ٦,٤٪ من دون أن يتوقف المتلقي مع ذلك عن الإحساس بجودة الإيقاع .فالاختلافات الزمنيةالتي تدور في فلك هذه النسبة لا تؤثر في البنية الكلية التي تبقى ثابتة طوال عملية التكرار» (٥٣).

أمّا مؤلفو كتاب "Rhétorique de la poésie" (بلاغة الشعر) فيؤكدون من جهتهم أن «التجارب المخبرية تظهر أن شروط الإحساس بالإيقاع شروط فضفاضة إلى حدّ ما. فالتزامنيّة يمكن أن تكون تزامنية تقريبيّة إلى حدّ كبير(...)، ومن المؤكد أنه استناداً إلى هذه الحقيقة بالذات استبعد المنظّرون المختصون الأشد حذراً ودقة معيار التزامن المطلق» (ص: ١٣٢).

و يخبرنا محمد مندور بأنه أجرى دراسة معملية على بيت امرىء القيس:

وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي

كان من نتائجها أنّ «الزحافات والعلل لا تغيّر شيئاً في كم التفاعيل عند النطق، وهي لذلك لا تكسر الوزن» (٥٤).

من كل ما سبق نستخلص أن التعادل الكمي المطلق ليس شرطاً أساسياً لتشكيل الحركة الإيقاعية. فمثل هذا التعادل ليس في الحقيقة إلاّ وهماً، أو تصوراً مثالياً، أو مثلاً أعلى يندر تحقيقه والوصول إليه؛ وهو فضلاً عن ذلك يشكل في اللغة مفهوماً نظرياً صرفاً. ولهذا كله، إضافة إلى أسباب أخرى، فإن التفاعيل «مستفعلن» و«مفتعلن» و«مفاعلن» التي لا تتعادل تعادلاً كمياً مطلقاً تستطيع أن تتعادل إيقاعياً: إننا نعثر في الحركة الإيقاعية على الانتظام والتشابه، كما نعثر أيضاً على التنافر والاختلاف.

٧ – من شروط التعادل الإيقاعي :

النقطة الأخيرة التي أثارها الكاتب تبدو من الأهميّة والجدّية بحيث تستحق وقفة ليست بالقصيرة. إنها تطرح في الواقع على بساط البحث مسألة معرفة الأسباب التي تحول دون إمكانية أن تأخذ تفعيلتان من نحو «مستفعلن: – – ٧–» و«فاعلاتن: – ٧– –»القيمة الإيقاعيّة ذاتها على الرّغم من تعادلهما الكمي التام. إنّها وبكلمات أوضح تثير السؤال الجوهري التالي: كيف نستطيع الادّعاء أنّ البنية العروضية للشعر العربي ترتكز على

أساس كمي في حين أن التفعيلتين «مستفعلن» و«فاعلاتن» المتعادلتين تعادلاً كمياً مطلقاً (تتألف كلّ منهما من ثلاثة مقاطع طويلة ومقطع قصير واحد) لا تتعادلان عروضياً، ولا إيقاعياً بالتالي؟

للإجابة عن هذا السؤال بدقة ووضوح، كان لا بدّ من العودة إلى مفهوم الإيقاع ذاته.

الإنجازات الإيقاعية التي يحقّقها الشعراء هي دون شك أعمال فنيّة إبداعيّة متنوعة الأساليب والأشكال ولا نستطيع حصر جماليتها في أسلوب واحد أو صيغة ثابتة. ومع ذلك، فإنَّ على هذه الأعمال أن تحقّق في خطوطها العريضة القوانين الجوهرية التي يجب أن تحقّقها كل حركة إيقاعية.

أن نتحدث عن الإيقاع، فذلك يفترض مبدئياً أن زمناً ما قد مرّ. ومن الصعوبة بمكان أن نتصور حركة إيقاعية لا تنطوي على علاقة زمنيّة تربط بين عناصر تتلاحق بانتظام، لأن الإيقاع يستلزم وجود عنصرين أساسيين هما الزمن والانتظام؛ ولهذا يمكن تعريفه ببساطة على أنّه الزمن المنظّم.

و ليكون هذا التعريف أكثر دقة، فإننا يجب أن نضيف أنه يتكرر، أن هذا الزمن المنظم يتكرر. فإذا كان الوزن يكرّر الزمن فإن الإيقاع، هو، يكرر الانتظام الزمني. وهذا التكرار غالباً ما يكون تناوباً يحدث في عالم أصابه التغيّر، ويشتمل في داخله على عناصر قابلة للتغيّر. وفي هذا المجال يؤكد المختصون بدراسة الإيقاع أن «الإيقاعات الفنيّة التي يبدعها الإنسان تتصف بخاصيّتين جوهريتين هما الدورية (Périodicité) والبنية (Structure)، وأن الأهمية النسبية لكل من هاتين الخاصيتين يمكن أن تختلف من حالة إلى أخرى، ومن هنا جاء التفريق المعروف بين البحر أو الوزن، من جهة، والإيقاع من جهة أخرى» (٥٥).

و التفريق بين هذين العنصرين أمر جائز وصحيح، أمّا القول

بتعارضهما فليس بصحيح، لأن البحر، أو الوزن، شكل من أشكال الإيقاع.

زد على ذلك أن التفريق بين البحر العروضي والإيقاع يعني أن من الممكن أن يندسّ في الإيقاع العروضي إيقاع آخر قد يكون دورياً أو لا يكون.

على أية حال، إن من المؤكّد أن الفنون الإيقاعية «ترتكز على محورين لا يمكن الاستغناء عنهما أبداً، ولا ينفصل أحدهما عن الآخر هما البنية التي تنساب دوماً في دورية ما، والدورية التي هي تنظيم للبُنى» (٥٦).

إذن، تتميّز الحركة الإيقاعية، كل حركة إيقاعية، بكونها ترتكز على عنصرين متكاملين، يتمم أحدهما الآخر ولا ينفصل عنه هما: التكرار المنظم لبعض الوقائع، من جهة، وتنظيم الوحدات البسيطة المكوّنة للوقائع المكرّرة، من جهة أخرى. وكم هو شيّق أن نرى الوحدات العروضية الأساسيّة للشعر العربي، قديمه وحديثه، تخضع خضوعاً تاماً لهذا القانون؛ إنّها كأية بنية إيقاعية أخرى ترتكز على هذين العنصرين كليهما، وغياب أحدهما عنها يعني غياب الحركة الإيقاعية وتهديم الإحساس بها.

فالإيقاع العروضي الأساسي لهذا الشعر يتأتى في الواقع عن تكرار مجموعات معيّنة من المقاطع تدعى التفاعيل.

وهذه التفاعيل تقوم هي نفسها على التنسيق بين نوعين من الوحدات العروضيّة البسيطة هما المقاطع القصيرة والمقاطع الطويلة التي تقيم فيما بينها علاقة زمنية هي انعكاس للعلاقة بين ماهو بسيط وما هو مضاعف.

وهذه الوحدات البسيطة الداخلة في تركيب التفاعيل تنقسم من حيث الأهمية إلى قسمين: قسم قابل للتغيّر لأنه ضئيل الأهمية، وهو عبارة عن مقطع واحد أو أكثر تبعاً لطول التفعيلة، وقسم ثابت لا يتغيّر لأنه جذري الأهمية، وهو عبارة عن مقطعين أحدهما قصير والثاني طويل. وإذا جاء القصير أولاً وتبعه الطويل، كنّا أمام ما يُسمّى بالوتد المجموع؛ أما إذا جاء

الطويل أوّلاً ولحقه القصير، كنّا أمام الوتد المفروق.

و تبعاً للموقع الذي يحتله الوتد في التفعيلة، يمكن التمييز بين ثلاثة أنواع من التفاعيل هي التفاعيل التي يكون الوتد في أوّلها، نحو:

- فعولن: ٧ - -
- مفاعيلن: ٧ - - -
- مفاعلتن: ٧ - ٧٧ -

والتفاعيل ذات الوتد المتوسط، نحو:

- فاعلاتن: - ٧ - -

والتفاعيل التي يقع الوتد في نهايتها، نحو:

- فاعلن: - ٧ -
- مستفعلن: - - ٧ -
- متفاعلن: ٧٧ - ٧ -

أما من جهة عدد المقاطع الداخلة في تركيب التفعيلة، فيمكن أن نميّز بين التفاعيل الثلاثية المقاطع، والتفاعيل الرباعية المقاطع، والتفاعيل الخماسية المقاطع.

إذن ثمة عنصران جوهريان متكاملان يساهمان معاً في تشكيل الوحدات الإيقاعية الأساسية (التفاعيل) للشعر العربي هما:

١) الكمية الصوتية للوحدة الإيقاعية.

٢) الموقع الذي يحتله الوتد في تركيب هذه الوحدة.

و هذان العنصران هما اللذان يعطيان معاً لكل تفعيلة من تفاعيل العروض العربي طابعها الإيقاعي الخاص بها؛ الأمر الذي يعني في نهاية المطاف أنه كي يكون لتفعيلتين مختلفتين قيمة إيقاعية واحدة لابدّ لهما من تحقيق الشرطين الآتيين:

١) أن تتعادلا من الناحية الكمية .

٢) أن يتناظر فيهما موقع الوتد .

و غياب أحد هذين الشرطين يعني على الرّغم من توفّر الآخر أن التفعيلتين لا تتعادلان إيقاعياً، أن لكل تفعيلة منهما طابعاً إيقاعياً يختلف عن طابع الأخرى.

و لهذا بالضبط، لا تستطيع التفعيلتان «مستفعلن» و«فاعلاتن» أن تتجاوبا إيقاعياً، أو أن تكون لهما قيمة إيقاعية واحدة: على الرغم من تعادلهما الكمي المطلق، فإن هاتين التفعيلتين تختلف إحداهما عن الأخرى من جهة موقع الوتد. ففي مستفعلن يحتل الوتد موقعاً أخيراً: «– – ٧ –» وفي فاعلاتن يحتل موقعاً متوسطاً: «– ٧ – –». فالإيقاع العروضي الأساسي للشعر العربي ينتج عن تكرار تفاعيل متعادلة كمياً ومتشابهة في آن واحد من جهة ترتيب وحداتها العروضية البسيطة (المقاطع): الإيقاع وكما سبق أن قلنا يكرر الزمن المنظم؛ وهو لا يقوم على تكرار زمن معيّن وحسب وإنما أيضاً على تنظيم الزمن المكرّر.

و هكذا نستطيع في نهاية هذا الحديث الخاص بدور الكم في إيقاع الشعر العربي التأكيد ونحن مطمئنون على أن بنية هذا الإيقاع ترتكز على أساس كمي يرتكز بدوره على وقائع لسانية وإيقاعية يصعب التشكيك فيها، وأن الآراء التي قيلت للتقليل من أهمية هذا الأساس لا تستند إلى مثل هذه الوقائع. فالعروض الكمي هو العروض الذي ترضاه العربية لنفسها، هو العروض الذي كان ولا يزال يستوطن ضمير الشاعر العربي ووعيه.

هوامش البحث

١– في العصر العباسي، ظهرت، وربّما لأوّل مرّة في تاريخ الشعر العربي، قصائد تتنوع فيها القافية من بيت إلى آخر. وقد أطلق النقاد على هذا النوع من القصائد اسم «المزدوج» لأن شطري البيت ينتهيان فيها بقافية واحدة. ويقول لنا مؤرخو الشعر العربي إن أوّل من نظم هذا النوع من القصائد هو الشاعر بشّار بن برد.

٢- (دراسات في اللسانيات العامة) «Essais de linguistique générale» ج ١، ص:٢٢٣ - ٢٢٤ .

٣- تستطيع كميّة المقطع تأدية وظيفة تمييزيّة عندما تكون تلك الكميّة هي المسؤولة الوحيدة عن تغيّر المعنى، كما نجد في «لِ» و«لي» حيث اللفظة الأولى مؤلفة من مقطع قصير، بينما الثانية من مقطع طويل.

٤- ب. غيرو (P. Guiraud)، (النظم) «La versification»، ص:٩.

٥- يؤدي النبر وظيفة تمييزية (أو فارقة) عندما يقود انتقاله من مقطع إلى آخر داخل الكلمة الواحدة إلى تغيّر معنى هذه الكلمة، على نحو مانجد في الكلمة الإنكليزية «import»، فإن نبرت هذه الكلمة على مقطعها الأوّل فهي اسم بمعنى «استيراد» أما إذا نبرت على مقطعها الثاني بدلاً من الأوّل فهي فعل بمعنى «استورد».

٦- ج. تامين (J. Tamine)،

«Sur quelques Contraintes qui limitent L' autonomie de la métrique»

(حول بعض المتطلّبات التي تضيّق استقلالية العروض) ،

مجلة «Langue francaise» ، ع : ٤٩، ١٩٨١، ص: ٧٠.

٧ - م. ن . ص: ٧٠.

٨ - را. «في الميزان الجديد»، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة ، دون تاريخ.

٩- را. «موسيقى الشعر»، مكتبة الأنجلو- المصرية، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٧٢.

١٠- را. «قضية الشعر الجديد»، دار الفكر، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٧١.

١١- را. «موسيقى الشعر العربي»، دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٩٦٨.

١٢- را. «في البنية الإيقاعية للشعر العربي»، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٤.

١٣-را. «المصطلح اللساني وتحديث العروض العربي»، مجلة «فصول»، م٦، ع٤، القاهرة، ١٩٨٦.

وراجع أيضاً «في مسألة البديل لعروض الخليل: دفاع عن فايل»، مجلة «فصول»، م٦، ع٢، القاهرة، ١٩٨٦.

١٤-را.«النقد الأدبي وقضايا الشكل الموسيقي في الشعر الجديد»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥. وراجع أيضاً «نظرة جديدة في موسيقى الشعر العربي»، الهيئة المصرية

العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٣.

١٥–را. «العروض وإيقاع الشعر العربي»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣.

١٦–را. Arud, EncycloPédie de l´ islam, Nouvelle éd., Leyde, Brill-Maison- neuve.1960.

١٧–في الميزان الجديد، ص: ٢٢٩.

١٨–م.ن. ص: ٢٣٢.

١٩–م.ن. ص: ٢٣٢.

٢٠–موسيقى الشعر، ص: ١٥١.

٢١–العروض و إيقاع الشعر العربي، ص:٨٥.

٢٢– م.ن. ص: ٨٥.

٢٣– في البنية الإيقاعية للشعر العربي، ص: ٢٠٥.

٢٤– الإشارة «–» ترمز إلى المقطع الطويل، أمّا «٧» فترمز إلى المقطع القصير.

٢٥– في البنية الإيقاعية للشعر العربي، ص:٢٠٦.

٢٦– م.ن. ص: ٢٠٨.

٢٧– م.ن. ص.ص٣٢٧– ٣٢٨.

٢٨– م.ن. ص: ٢٠٤.

٢٩– م.ن. ص: ٢٠٩.

٣٠– را. م.ن. ص: ٢١١.

٣١– م.ن. ص: ٢٠٣.

٣٢–را. م.ن. ص: ٢١٤.

٣٣– م.ن. ص: ٢٠٣.

٣٤–محمد مندور، م.سا. ص.ص: ٢٢٧– ٢٢٨.

٣٥– م.ن. ص: ٢٢٨.

٣٦– يمكننا تلخيص قواعد التقطيع المقطعي في العربيّة على النحو التالي:

١) ثمة قطع في كل مرّة تلحظ فيها الأذن صوتاً صائتاً؛ فعدد مقاطع الكلمة أو الجملة يساوي حتماً وبالضرورة عدد صوائتها.

٢) الصامت المتموضع بين صائتين يبدأ حتماً مقطعاً جديداً.

٣) الصامتان المتواليان ينفصل أحدهما عن الآخر بحد مقطعي؛ بحيث يشكّل الأول نهاية

مقطع سابق، والثاني بداية مقطع لاحق.

٣٧- راجع مثلاً: B. Malmberg، (علم الأصوات): «La phonétique»، ص: ٨٥.

٣٨- «المصطلح اللساني وتحديث العروض»، مجلة «فصول»، ع٤، ١٩٨٦، ص: ١٩١.

٣٩- المقطع المغلق هو كل مقطع ينتهي بصامت، نحو «كَم» و«عن» و«قد».

٤٠- المقطع المفتوح هو كل مقطع ينتهي بصائت؛ وذلك سواء أكان هذا الصائت قصيراً نحو «لِ» أو«وَ»، أم طويلاً نحو «لا» و«في» و«ذو».

٤١- R. Jakobson ,"Essais de linguistique générale" ,

ر.جاكوبسون، (دراسات في اللسانيات العامة)، ص: ٢٢٠

٤٢- R. Jakobson ,Questions de poétique,

ر. جاكوبسون (قضايا الشعرية)، ص: ٤٥.

٤٣- المقصود بمصطلح «سلاسل قطعية» السلاسل المؤلفة من تكتلات مكوّنة بدورها من خمس أو ست ضربات ينظّمها الفاعل تنظيماً داخلياً حسبما يشاء، متحاشياً الاستعانة بألحان معروفة.

٤٤- المقصود بالسلاسل غير الإيقاعيّة السلاسل المكوّنة من ضربات تتوالى بصورة فوضويّة إلى أكبر حد ممكن.

٤٥- "Les Structures rythmiques (البُنى الإيقاعيّة) ص: ٢٩.

٤٦- م.ن. ص: ٣٠.

٤٧- "Psychologie des rythmes humains" (التحليل النفسي للإيقاعات البشرية)،Les Rythmes (الإيقاعات)، ص:٢٨.

٤٨- نلفت الانتباه إلى أن قانون التحوّل العروضي الذي نتحدّث عنه هنا هو ذلك الذي ينظم التحولات الممكنة في الحشو حصراً.

٤٩- استبعدنا هنا تفعيلة «مُتَعِلن» التي تذكر أحياناً على أنّها من التحولات الممكنة لتفعيلة «مستفعلن»، وذلك للأسباب التالية:

١) ورودها محصور في بحر الرجز، وهو حتى في هذا البحر مكروه بإجماع أهل العروض.

٢) نادرة التحقّق في الإنتاج الشعري.

٥٠- من المعروف أن الوتد المجموع يتألّف من مقطع قصير (٧) ومقطع طويل (—)، أما الوتد المفروق فيتألّف من مقطع طويل ومقطع قصير.

٥١- (دراسة موجزة عن النظم الفرنسي): Petit traité de versification Française ص:٤٩.

٥٢– (معجم الشعرية والبلاغة): Dictionnaire de poétique et de rhétorique ص: ٩٧٨.

٥٣– (البنى الإيقاعية): Les Structures rythmiques ص: ٤٢.

٥٤– في الميزان الجديد، ص: ٢٣١.

٥٥– بول فريس، Psychologie des rythmes humains (التحليل النفسي للإيقاعات البشرية)، ص: ٢٩.

٥٦– م.ن.ص: ٢٩.

مراجع بالعربية

أبو ديب (كمال):

– في البنية الإيقاعية للشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٤.

أنيس (إبراهيم):

– موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو– المصرية، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٧٢.

البحراوي (سيد):

– العروض وإيقاع الشعر العربي، الهيئة العامّة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣.

عيّاد (شكري):

– موسيقى الشعر العربي، دار المعرفة، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٦٨.

مصلوح (سعد):

– «المصطلح اللساني وتحديث العروض العربي»، مجلة «فصول»، م٦، ع٤، القاهرة، ١٩٨٦.

– «في مسألة البديل لعروض الخليل: دفاع عن فايل»، مجلة «فصول»، م٦، ع٢، القاهرة، ١٩٨٦.

مندور (محمد):

– في الميزان الجديد، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، دون تاريخ.

النويهي (محمد):

– قضية الشعر الجديد، دار الفكر، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٧١.

يونس (علي):

– النقد الأدبي وقضايا الشكل الموسيقي في الشعر الجديد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥.

– نظرة جديدة في موسيقى الشعر العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣.

مراجع بالفرنسية

Fraisse (P):
- Les structures rythmiques, Les Publication de Louvain , 1956.
- Psychologie des rythmes humains, Les rythmes, lyon, 196.

Groupe U:
- Rhétorique de la poésie, éd. Complexe, Paris, 1977.

Guiraud (P.):
- La versification, P.U.F (Que sais- je?), Paris, 3 éd., 1978.

Jakobson (R):
- Essais de linguistique générale, Minuit, Paris, 1963.
- Questions de poétique, éd, Du Seuil, Paris, 1973.

Malmberg (B):
- La Phonétique, P.U.F (Que sais- je?),. Paris, 12 éd. 1979.

Weil (G):
- Arud, Encyclopédie de l´ islam, Nouvelle éd., Leyde, Brill- Maison - neuve, 1960.

المصطلح العربي في عصر العولمة

الدكتور أحمد بن محمد الضبيب

يكثر الحديث هذه الأيام عن ظاهرة العولمة، تكتب حولها البحوث، وتعقد المؤتمرات والندوات التي تتحدث عن ملامح هذه الظاهرة، وتأثيراتها وما يمكن أن تحمله إلى العالم من نتائج.

ولسنا هنا بسبيل الحديث عن أثر هذه الظاهرة في التطورات الاقتصادية أو التحولات الجذرية السياسية والاجتماعية. والآثار الإنسانية التي تترتب عليها لدى مختلف الشعوب وبخاصة شعوب العالم النامي. ولكننا بصدد الحديث عن أثر هذه الظاهرة وما تحمله من ألفاظ وتعبيرات وعادات لغوية لها صلة مباشرة بالتأثير في لغتنا على وجه الخصوص.

والواقع أن ما تحمله أذرعة العولمة الطويلة المتمثلة بالتكتلات الاقتصادية والشركات الكبرى عابرة القارات، وتقنيات الاتصال المتطورة عبر الشبكات الأخطبوطية للمعلومات، والحاسبات الآلية الفائقة الدقة، والقنوات الفضائية. يشير إلى مرحلة جديدة سوف يعيشها العالم تتسم بالاختراق الكامل لخصوصيات الشعوب، والقفز على السلطات التقليدية،

وإزالة الحواجز أمام التجارة والمعلومة والفكر، ويتبع ذلك فرض ثقافة جديدة تخدم المصالح التي ترتبط باقتصاد العولمة وفكرها.

ومن المعروف أن اللغة هي أبرز مكونات هذه الثقافة، أما أن تكون اللغة العربية بوصفها رمزاً للهوية العربية ومحتوى للفكر العربي هدفاً من أهداف العولمة الحديثة فذلك ما لا شك فيه. ونكاد نجزم بأن مزاحمة اللغات الأجنبية للغة العربية لم تكن في يوم من الأيام بأشرس منها في هذه الأيام وربما ازدادت شراسة في المستقبل، ولقد بدا ذلك منذ وقت مبكر من قبل اللغات صاحبة السيطرة والنفوذ التي تحمل معها العلم والفكر إلى جانب الاقتصاد وفرص العمل. و لم تعد اللغة الأجنبية تطل من خلال الشاشات أو تأتي عبر إشارات ورموز مسجلة على ألواح إلكترونية بل أخذت تطرد اللغة العربية عملياً من كثير من المواقع. فقد استحالت الإنجليزية لغة للاقتصاد والعلم، والطب ولغة للسياحة، والإعلام. ويكفي أن تخالط المختصين ممن يشتغلون في هذه الحقول حتى تتأكد مما نقول. ويكفي أن تدخل فندقاً، أو موقعاً سياحياً في البلاد العربية حتى تسمع اللغة الأجنبية تجلجل بين جنباته لا بين الوافدين من الأجانب وإنما بين العاملين فيه من العرب؛ فتعجب إذ تراهم يتفاهمون فيما بينهم بتعبيرات إنجليزية أو فرنسية أو يخلطون عربيتهم ببعض مصطلحاتهما وإن كانت هذه المصطلحات متوافرة في لغتهم، وعلى أطراف أسلات ألسنتهم.

إن لغتنا تستهدف كل يوم بسهام بالغة التأثير من قبل ما تحمله لنا أذرعة العولمة من ألفاظ دخيلة، وتعبيرات أجنبية، وممارسات لغوية

تحمل في طياتها بوادر العجمة والرطانة.

والأخطر من ذلك كله أن يتحول الإنسان العربي، في بعض المواقع، إلى مسخ لا هو بالغربي ولا العربي، وأن تنعدم لديه الغيرة على اللغة التي هي أحد أبرز مقومات هويته العربية.

إن الانبهار الشديد بوعاء الفكر الأجنبي القوي، والاستسلام الكامل للحضارة الوافدة الفتية ظاهرة تعتور الأمم المغلوبة سبق أن أشار إليها فيلسوفنا الفذ ابن خلدون حين خصص الفصل الثالث والعشرين من مقدمته للحديث عن: «أن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه، ونحلته وسائر أحواله وعوائده» غير أن ابن خلدون بذكائه الفذ ولماحيته النافذة ما لبث أن أتبع ذلك الفصل بفصل آخر يقرر فيه: «أن الأمة إذا غلبت وصارت في ملك غيرها أسرع إليها الفناء»[1].

وتلك نتيجة مفزعة، واللغة إحدى مقومات الأمة فإذا كانت محاطة بلغات أخرى تزاحمها في مكانها، وتضيق عليها خناقها، وتقطع صلتها بأسباب النماء والازدهار فإنها ستضطر — بلا شك — إلى الانكفاء والتشرنق ثم التآكل والاضمحلال. وذلك ما حدث للغات كثيرة،ولعل من أقربها إلينا اللغة المالطية، فهذه اللغة التي تحمل من خصائص لغتنا ومعجمها الشيء الكثير قد اضمحلت الروح العربية فيها الأمر الذي جعل أحد الباحثين يجهر بقوله: «بأن اللغة العربية بالنسبة للسان المالطي قد ماتت موتاً يسميه علماء القانون: الموت المدني»[2]. ويرد ذلك إلى القول بأن ذلك يرجع إلى «أن متطلبات الحياة الحديثة تقتضي مسايرة اللغة... إذ

ينبغي أن تكون قادرة على التعبير عن مختلف حاجات المجتمع، خاصة ما يجد منها، ولما كان المخزون العربي في المالطية محدوداً ومتجمداً وعلى غير اتصال بالمنبع، لذلك فإن المالطية تلجأ في تطوير نفسها إلى عدة طرق أهمها الأخذ من الإيطالية والإنجليزية وإخضاع ما تأخذه في معظم الأحوال لنظام الصرف العربي، أو إجراء تعديلات صوتية فيما تأخذ لكي يتلاءم مع نظامها، ونحت أسماء من أفعال والعكس، وأحياناً أفعال من ظروف (داخل العنصر العربي) وتحويل وتغيير وتطوير دلالة بعض المفردات العربية، وترجمة أساليب أجنبية» (٣).

ومن الواضح أن العناية بحاجات المجتمع اللغوية تحتاج إلى حلول جذرية من داخل اللغة تستطيع أن تحقق لهذا المجتمع الاكتفاء الذاتي من لغته وإلا اضطر المجتمع إلى الاقتراض والاستعارة من اللغات الأخرى.

ولسنا هنا بالطبع ضد تعلم اللغات الأخرى، كما أننا لسنا ضد التعريب أو الاقتراض من اللغات الأخرى بوصفه رافداً من روافد اللغة ولكن ذلك لا يكون إلا بعد عجز اللغة عن تقديم المقابل الصحيح. ولو فتحنا الباب على مصراعيه للدخيل لانهالت علينا من الألفاظ أعداد كبيرة سوف تؤثر في النسيج اللغوي للعربية حتى تحيلها لغة مهلهلة كما حدث في اللغة المالطية.

قد يكون مثال اللغة المالطية مثالاً صارخاً تختلف ظروفه عن ظروف لغتنا العربية المعاصرة، ولكننا ونحن نستشرف مستقبل هذه اللغة لابد لنا من أن نقيس درجات الخطر التي تتعرض لها، وأن نحاول سد الثغرات التي

ينفذ منها إلى لغتنا الضعف والفساد.

ولعل أهم ما يفيدنا في تجربة اللغة المالطية (وقد كانت لهجة عربية) هو انقطاع الصلة بين هذه اللغة وبين المخزون اللغوي العربي من التراث الإسلامي، فمنذ تقلص النفوذ العربي في مالطة اعتباراً من سنة ١٢٤٠م اعتمدت اللغة على المسايرة والأخذ من اللغات الأجنبية والترجمة فانقطع بذلك الشريان الذي يمدها بالنماء وتحولت إلى لغة مفككة مختلطة يذبل فيها الوجه العربي ذبولاً واضحاً.

وإذ ننبه في هذه العجالة على مدى الخطر الذي يمكن أن تتعرض له اللغة العربية في عصر العولمة فإن من الصعب أن نلم بجميع أوجه القضية في بحث واحد، بل المؤمل أن ينبري لهذا الموضوع جماعات من المفكرين والمتخصصين كي يدرسوا مكامن الخطر ومظاهره والوسائل التي تجعل العربية منتصرة في جولات هذا التحدي الجديد.

ولسنا هنا بسبيل الحديث عن فضائل اللغة العربية، أو النص على ما تتميز به من خصائص تقدرها على الوقوف في ميدان التحدي الحضاري فقد أصبح هذا المسلك الدفاعي التبجيلي منتقداً لدى كثير من الدارسين الذين يتقمصون لباس الحياد عند الكتابة عن لغتهم، ويعدون ما نالها من التبجيل والمديح قد نال لغات أخرى في العالم من قبل أهلها وهو ما يدخل في باب التحيز اللغوي الذي لم تكد تنجو منه لغة مهمة (٤). ومع ذلك فإن قوة اللغة العربية الذاتية وما حظيت به من مكانة متميزة بين لغات العالم بوصفها إحدى اللغات القادرة على نقل الثقافة بين الأمم ومرونتها في الأخذ والعطاء

مع اللغات الأخرى ليست محل جدل، فقد اعترف بذلك كبار علماء اللغة من الغربيين الذين لا تربطهم بها عاطفة ولا يشدهم إليها تحيز. يقول فاندريس: «إن عبقرية بعض اللغات الهند أوربية أو السامية مثل اللغة العربية في الانتشار هي نتيجة لأسباب عديدة بلا شك، ولكن القيمة الجوهرية للغة هي بلا شك أحد هذه الأسباب»(٥) فما هي القيمة الجوهرية للغة العربية؟ أليست هي الخصائص الفريدة الكامنة فيها التي جعلتها قادرة على التواصل مع الشعوب والانتشار بينها وذلك بنقل المعرفة والإسهام في إشاعتها؟.

ويقول اللغوي الشهير ادوارد سابير: «هنالك خمس لغات فقط تشكل أهمية كبرى لنقل الحضارة هي اللغة الصينية القديمة والسنسكريتية والعربية والإغريقية واللاتينية»(٦). ثم يقول: «إن من المخيب للظن أن نعلم أن التأثير الحضاري العام للغة الإنجليزية لم يكن إلا تافهاً، فإن اللغة الإنجليزية نفسها ما كانت تنتشر إلا لأن الإنجليز استعمروا أعداداً هائلة من الأصقاع، ولكن ليس هناك دلائل تشير ــ في أي مكان ــ إلى أن الإنجليزية قد دخلت القلب المعجمي للغات الأخرى، كما لوّنت الفرنسية سحنة اللغة الإنجليزية، أو كما تخللت العربية اللغتين الفارسية والتركية»(٧).

لا نريد الإطناب في تبيين خصائص العربية، وإنما أشرنا إلى ذلك توطئة لمعالجة جانب واحد من جوانب قضية اللغة العربية في عصر العولمة وهو موضوع «المصطلح العربي» الذي نظن أنه سيكون أحد الميادين المهمة التي يتحدد فيها مصير لغتنا في صراعها الحضاري مع اللغات الوافدة

القوية. تلك اللغات التي ستغرقنا مستقبلاً بأعداد هائلة من المصطلحات الدخيلة المتعلقة بألفاظ الحياة العامة، أو مصطلحات العلوم والتقنية.

ولابد لنا أن نواجه هذا السيل الجارف باستنفار قدرات لغتنا العربية في كل مجال. قبل أن نستقبل الدخيل ونضمه إلى معجمنا اللغوي. ولقد مرت قضية «تعريب» الدخيل أو اقتراضه بأدوار مختلفة في الفكر اللغوي العربي المعاصر. فقد كان شعور الرواد الأوائل الذين عايشوا بداية عصر المواجهة مع الغرب أن لغتنا العربية من الاتساع والقدرة بحيث تستطيع التعبير عن معطيات الحياة والعلم الواردة من الخارج بلغة عربية سليمة. ومن أجل ذلك قامت جهود مشكورة لعدد منهم من أمثال رفاعة رافع الطهطاوي (ت ١٨٧٣م) الذي أسس مدرسة الألسن. وأحمد فارس الشدياق صاحب الجوائب (ت ١٨٨٣م) وقد دعا سنة ١٨٦٠م في مجلته إلى العمل الجماعي لتعريب مصطلحات العلوم والفنون، وإبراهيم اليازجي (ت١٩٠٦م) الذي كتب في مجلة «الضياء» مطالباً بتعريب المصطلحات العلمية وغيرهم من الرواد [٨].

وكان هؤلاء الرواد يمثلون الإرهاصات الأولى للمجامع اللغوية والعلمية في البلاد العربية والتي كان أولها تأسيساً رسمياً المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩١٩م. وقد بدأ أعماله بخدمة اللغة في المجال الحكومي وذلك بإصلاح لغة الدواوين، ولغة التعليم والتدريب والكتب المدرسية، ومواجهة مقاصد الحضارة الواسعة ومطالب الحياة العصرية في القرن العشرين[٩].

• ولعل من المحاولات الأولى الجادة حول تناول اللغة العلمية تلك السلسلة من المقالات التي كتبها الطبيب محمد جميل الخاني في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق بدءاً من المجلد الرابع والتي يرى فيها ضرورة وجود هذه اللغة العلمية التي تتسم بالسلامة والدقة[١٠].

لقد قسم الخاني ملاحظاته إلى قسمين، قسم دعاه «تثقيف الألفاظ» وقسم آخر دعاه «تلئيم المصطلحات» ثم عاد في حلقات لاحقة وسماه «ملاءمة الألفاظ».

في القسم الأول يعالج الكاتب الكلمات العربية الاصطلاحية التي تحرفت عند العلماء وعامة الناس. وهي ليست من شأننا في هذا البحث.

وفي القسم الثاني يرفض الخاني كثيراً من المصطلحات الشائعة المنقولة إلى العربية في عصره، والتي قامت أساساً على الترجمة الحرفية من اللغات الأجنبية ويستبدل بها ألفاظاً عربية مثل قولهم «أوعية دموية» إذ يسميها: «عروق الدم» و«الأوعية اللنفاوية» وهي عنده «عروق البلغم»، وتسمية الفقرة الأولى مما يلي الرأس بالأطلس، وهي كلمة معربة من كلمة Atlas أحد الملوك في قصص أديان الوثنيين وقد سماها بعض المؤلفين ب «الحاملة» ولا داعي في نظره للتعريب أو التوليد لأن العرب قد سمت هذه الفقرة باسم فصيح هو «الفهقة» كما عند ثابت أو«الواهنة» كما عند ابن دريد.

ويهمنا من محاولة الخاني ذلك الاعتقاد الذي كان يساوره من «أن كل معنى يجول في الذهن لابد أن يكون له لفظ في اللغة العربية ولو كان كامناً في أغوار معاجمها».

هذه النظرية الحتمية لوجود مقابل فصيح للمصطلح الأجنبي هي التي جعلته يأخذ نفسه كما يقول «بأن لا يجتاز عقبة من عقبات المصطلحات دون تذليلها بترجمتها إلى العربية ولو تكبد في ذلك أعظم المشقات»[١١].

ومنذ وقت مبكر وقف أعضاء مجمع اللغة العربية في القاهرة موقفاً مماثلاً يشيحون فيه عن تعريب المصطلحات أو اقتباسها ويحصرونها في الضروري منها. وقد نصت المادة الثانية من لائحة المجمع على «أن للمجمع أن يستبدل بالكلمات العامية والأعجمية التي لم تعرب غيرها من الألفاظ العربية وذلك بأن يبحث أولاً عن ألفاظ عربية في مظانها، فإذا لم يجد بعد البحث أسماء عربية لها وضع أسماء جديدة بطرق الوضع المعروفة من اشتقاق أو مجاز أو غير ذلك، فإذا لم يوفق في هذا التجأ إلى التعريب مع المحافظة على حروف اللغة وأوزانها بقدر الطاقة»[١٢].

غير أن المجمع ما لبث في جلسته الحادية والثلاثين أن أصدر قراراً خاصاً بالتعريب ينص على إجازة «المجمع أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية، عند الضرورة، على طريقة العرب في تعريبهم»[١٣].

واحتج الشيخ أحمد علي الإسكندري لهذا القرار موضحاً بأن أعضاء المجمع قد اقتنعوا بعد بحث طويل.. «أن في العربية غنية عن استعمال كثير من الألفاظ الأعجمية، وأن في بطون معجماتها مئات الألوف من الكلمات المهجورة الحسنة النغم والجرس الكثيرة الاشتقاق مما يصلح أن يوضع للمسميات الحديثة بدون حدوث اشتراك، لأن بعثها من مراقد الإهمال والنسيان يصيرها كأنها موضوعة وضعاً جديداً لها» وأشار إلى تقييد

القرار بلفظ «بعض» دون جنس الألفاظ، وأن ذلك «يفيد أن المراد الألفاظ الفنية والعلمية التي يعجز عن إيجاد مقابل لها، لا الأدبية ولا الألفاظ ذات المعاني العادية التي يتشدق بها مستعجمة زماننا هذا من أبناء العرب»(١٤).

كما شرح المراد بلفظ «العرب» وحصرهم في الذين يوثق بعربيتهم ويستشهد بكلامهم وهم عرب الأمصار إلى نهاية القرن الثاني الهجري وأهل البدو من جزيرة العرب إلى أواسط القرن الرابع(١٥).

وبذلك التحديد يخرج الإسكندري تعريب بعض مترجمينا وفلاسفتنا القدماء، ولا يعتد به لأن العرب كما يقول: «عندما توغلوا في ترجمة العلوم اليونانية والهندية كان الفصحاء قد انقرضوا من الأمصار، وتولى الترجمة بعض مستعربة الأعاجم، ممن لم تستحكم مرتهم في العربية فعجزوا عن ترجمة بعض الألفاظ الأعجمية، مع وجود مرادف لها فيها، ودونوا من أسماء الحيوان والنبات ما لا تعرفها العرب بأسمائها الأعجمية، وعمت البلوى باستعمال فلاسفة المسلمين وأطبائهم لهذه الألفاظ، وخاصة من كان منهم من سلائل أعجمية كالفارابي والرازي وابن سينا»(١٦).

كان الشيخ أحمد الإسكندري يمثل الجبهة الشديدة المحافظة، الداعية — في المقام الأول — إلى استنفاد طاقات اللغة الكامنة في أغوار معاجمها أو في قدرتها الذاتية القائمة على الاشتقاق والمجاز، وكان يخشى أن تطغى الألفاظ الأجنبية فتتفشى العجمة ولذلك علل تقييد العلماء القدماء المعرب وجعله سماعياً بأمرين: الأول، «أن ما ورد عن العرب الفصحاء قليل لا يعدو نحو ألف كلمة، والثاني خوف تفشي الأعجمية في الكلام وغلبتها على

العربية فتنخره على توالي الدهور بل تنقرض فتنقرض معها القومية العربية ويستغلق القرآن، ويبيد كل ما دوّن باللسان العربي من العلوم والآداب والشرائع»[١٧].

كان الشيخ أحمد الإسكندري فاعلاً مؤثراً في لجان وضع المصطلحات في مجمع القاهرة فنجده عضواً في معظم اللجان الحيوية كلجنة الرياضيات، ولجنة العلوم الطبيعية، والكيميائية، ولجنة علوم الحياة والطب التي كان رئيساً لها، ولجنة الأصول العامة التي تختص بدراسة التضمين والتوليد والتعريب والاشتقاق [١٨]. ولذلك مرت تحت يده معظم المصطلحات المبكرة التي وضعت لعلوم العصر أو لشؤون الحياة العامة، بل إنه أسهم في وضع قائمة لمصطلحات الكيمياء التي تدرس في المدارس الثانوية قدمها إلى المؤتمر العلمي العربي المنعقد في بغداد سنة ١٩٣٨ [١٩]، وذكر التقرير الذي كتب عن مشاركة وفد المجمع في هذا المؤتمر أن هذا الاقتراح لقي ترحيباً كبيراً من المؤتمرين[٢٠].

غير أن القدر لم يمهل الشيخ الإسكندري كي يطوّر مشروعه أو يختبر مواضع القوة والضعف فيه، فقد توفي بعد أقل من شهرين من تقديم هذه المقترحات، ولم تكد تمر على وفاته شهور قليلة حتى بدأت الأصوات ترتفع في المجمع من أجل إفساح مجال أوسع للتعريب[٢١]؛ وتحديد الضرورة التي أشار إليها قرار المجمع المومى إليه. فظهرت أصوات مطالبة بالمرونة في قبول بعض الدخيل [٢٢]، وجواز التعريب على غير أوزان العرب[٢٣]وعدم الاعتماد على ما جاء في كتب التراث بل تقلل من أهمية فائدة

مصطلحات التراث القديم بعامة.

ولعل أبرز من تصدى لإعادة النظر في قواعد وضع المصطلحات العلمية في مجمع القاهرة الدكتور محمد كامل حسين من أعضاء المجمع (ت١٩٧٧م) وهو طبيب وأديب وله مشاركات في الدراسات النحوية واللغوية، فقد بسط الموضوع في أكثر من مناسبة لعلّ أبرزها بحثه المنشور سنة ١٩٥٩م[٢٤] في مجلة المجمع وهو بحث يتميّز بالصراحة في معالجة هذا الأمر. وقد عرض فيه لأمور عدها جديدة بالدرس لم تكن واضحة أول عهد المجمع بالمصطلحات ويمكن تلخيصها بالآتي:

١ـ ضخامة عدد المصطلحات التي نحتاجها في هذا العصر.

٢ـ عدم فائدة ما كان معروفاً عند العلماء القدماء لقلته ولأن المصطلحات القديمة مفردة لا تتبع نظاماً خاصاً. كما أن اختلاف المناهج ومذاهب التفكير العلمية يجعل التطابق بين مدلولات المصطلحات القديمة والحديثة محالاً.

٣ـ وجوب أن تكون المصطلحات دقيقة ومنظمة وقابلة للنمو.

وطرح الدكتور محمد كامل حسين إشكالية سلامة اللغة أم سلامة المصطلح؟ وأشار إلى أن التجربة قد دلت «على أن للغة العلمية سلامة تتعلق بدقتها وتبويبها وسهولة نموها، وأن هذه السلامة لا تتعلق بقربها أو بعدها من الصيغ العربية التي تستسيغها أذواقنا»[٢٥].

وطالب المجمع أن يحدد أغراضه من وضع المصطلحات، فإن كان

يريد لغة علمية حية تمثل حياة العلوم الحديثة وتنمو بنموها وتسير معها جنباً إلى جنب فلذلك سبيل، وإن كان المجمع يريد أن يثبت سعة اللغة العربية وقدرتها، وأنها لا تضيق عن وصف آلة وتنسيق أسماء لمخترعات.. فلذلك سبيل آخر ثم قال:«...وأحسب أن الغرض الأخير لا يليق بالمجمع والجهود التي يبذلها»(٢٦).

لقد اقترح الدكتور محمد كامل حسين ستة مقترحات لوضع المصطلحات رأى في اثنين منها تعريب «كل مصطلح علمي خلق خلقاً جديداً خاصاً، ويكون من أصل كلاسيكي دالاً على عين مثل: الهيدروجين، أو على مصدر خاص مثل الأنزيم، والأيون، والإلكترون»، وترجمة المصطلح إذا كان منتزعاً من اللغة العامة مثل Immunity المناعة، ورفض النحت لثقله، وأعلن عدم تحبيذه التمسك بطريقة العرب القدماء في التعريب لمنافاة ذلك للذوق الحديث(٢٧).

لقد لقيت هذه الدعوة آذاناً صاغية لدى عدد من الباحثين الذين أخذوا يدعون للتعريب بدل التأصيل والترجمة، فيرى عبد الحليم منتصر استحالة إيجاد جذور عربية لجميع المصطلحات مبرراً ذلك بتزايدها وتكاثرها حتى بدت ملاحقتها بلغة عربية أصيلة مستحيلة لأسباب ليس أقلها شأن أن العرب لم تكن تعرف هذه الموضوعات» (٢٨).

ولقد جعلت هذه الدعاوى بعض الهمم تفتر عن صياغة لغة علمية عربية أصيلة مستمدة من معطيات التراث اللغوي من قياس واشتقاق ومجاز ونحو ذلك. لغة تنزع إلى التأصيل والتأثيل لا إلى الترجمة والتعريب: بل

أصبح من السائد وبخاصة في مجمع القاهرة التسوية بين الترجمة والتعريب. حتى بين المتحمسين للعربية كالشيخ محمد بهجت البيطار الذي نادى «بصد عوادي الدخيل المهاجم من اللغات الأجنبية» قائلاً: «ولئن لم نفعل لتضلن اللغة العربية بين هاتيك اللغات الأعجمية، الكثيرة المحيطة» ولكنه ما لبث أن انتهى إلى القول: «بأننا نحتاج في وضع المصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة الحديثة تارة إلى الاشتقاق وتارة إلى التعريب وكلاهما ولله الحمد جائز». الأمر الذي أطرب الدكتور إبراهيم مدكور فأبدى ابتهاجه بعبارة تقريظية لكلام الشيخ عده فيها فتوى تجيز للمجمع السير في طريق التعريب بتوسع[٣٠].

كان ذلك في مؤتمر المجمع سنة ١٩٦٠/ ١٩٦١ وهو يعد تحولاً في موقف الدكتور إبراهيم مدكور عما جاء في بحث له ألقاه في جلسة علنية بتاريخ ١٣ يناير ١٩٥٥م بعنوان «مدى حق العلماء في التصرف في اللغة» أشار فيه إلى أنه «يجدر بالعالم ... أن لا يلجأ إلى التعريب إلا في حالات خاصة وعند الضرورة القصوى» [٣١].

غير أن المتتبع لمسيرة المصطلح في فكر الدكتور مدكور (وهو يمثل في الغالب اتجاه مجمع اللغة العربية في القاهرة) يجد أن قضية تأصيل المصطلح بالعودة إلى التراث أخذت تتراجع لديه بشكل ملحوظ. ففي مؤتمر المستشرقين المنعقد في نيودلهي سنة ١٩٦٤م نراه يلخص جهود المجمع في شأن المصطلح مشيراً إلى أن المجمع كان منذ قيامه «محاولاً إحياء المصطلح القديم، إن كان ثمة سبيل إلى إحيائه» كما أن المجمع «يدعو إلى جمع

المصطلحات القديمة وإن كان يرى أنها أصبحت لا تفي بالحاجة، ولا يتردد في أن يعرب كما عرب قديماً» (٣٢).

ولقد تطرق الدكتور شوقي ضيف إلى هذا الموضوع بتوسع أكثر فبين «أن المجمعيين كانوا أول الأمر يؤثرون ترجمة المصطلح على تعريبه مؤمنين بقدرة اللغة العربية قدرة هائلة على استيعاب المصطلحات العلمية الغربية بما فيها من الألفاظ والاشتقاقات المتنوعة، وخشية من أن تستعجم إن أفرط العلماء في تعريب المصطلحات العلمية الأجنبية، غير أنهم مع مرور الزمن اتضح لهم أمران هما: أن ما في العربية من مصطلحات علمية قديمة بالقياس إلى المصطلحات العلمية الغربية يعد قليلاً جداً، وكثير منها لا يتسق تماماً مع معاني المصطلحات الحديثة التي يمكن أن تحل محلها. والأمر الثاني: أن المصطلحات العلمية الغربية أصبحت تعد بالألوف في العلوم المختلفة فضلاً عن أنها تتجدد باستمرار ولا يقف تجددها عند حد.. وقد نشأت علوم حديثة وجميع مصطلحاتها لا عهد للعربية بها، فإن نحن لم نتوسع بالتعريب للمصطلحات أغلقنا بأيدينا أبواباً واسعة من وصل علمنا العربي المعاصر بالعلم الغربي الحديث، مع ملاحظة، أن لغة العلم ليست لغة محلية بل هي لغة عالمية، ولذلك كانت مصطلحاته تلتقي في اللغات الأوربية وحري بنا أن تلتقي بها العربية أحياناً» (٣٣). ويبدو في هذا النص أيضاً أن المجمع قد توسع في التعريب وهو أمر يناقض مبدأ الضرورة التي طالما أكد عليه المجمعيون المحافظون.

وعلى الرغم مما ذكرناه من وجود بعض التشدد حيال التعريب من

قبل العلماء السوريين كما رأينا عند محمد جميل الخاني إلا أن إفساح المجال للمعرب الدارج على الألسنة كان يميّز مواقف بعض العلماء من أعضاء مجمع دمشق مثل عيسى إسكندر المعلوف وهو عضو مؤسس في المجمع العلمي العربي إذ يبيّن نهج المجمع أول نشأته بقوله: «ولقد أقر لنقل الألفاظ الأجنبية إلى العربية قاعدة مقبولة وهي أنه إذا كانت اللفظة مما عرفته العرب فيجب البحث عنها ونشرها، وإذا كانت مما استحدث بعد العرب ولم يكن في ألفاظهم ما يشبهها بأقل ملابسة نظر فيها فإن وافقت الأوزان والحروف العربية كانت هي المرادة بلفظها، وإلا غيّر بعض حروفها أو حركاتها لتوازن العربية، ويسهل التلفظ بها. وله أسوة بما أدخله العرب من الألفاظ الجاهلية ... وما جاء في القرآن الشريف والكتب المعربة إلى عصر انحطاط اللغة»(٣٤).

ونجد الشيخ عبد القادر المغربي يدعو إلى التساهل في قبول المعرب في تقرير قدمه لمجمع القاهرة يطالب فيه أن «يُعدّل المجمع قرار التعريب فيجيز التعريب لنفسه بشروط أرفه وأوسع مما فصله في توجيه قراره» ويقترح طائفة من الكلمات الفاشية في اللغة اليومية مطالباً المجمع بالترخص في استعمالها وتثبيتها في اللغة، ويذكر منها جرنال، وبلكون، بوسطة، وأوتيل، وبوفيه ونحو ذلك (٣٥).

ولا نعدم من علماء سورية المحدثين من يرى التجوز والتوسع في استعمال الدخيل كالدكتور هيثم الخياط الذي يصرح في ندوة حول تجربة جامعة دمشق في تعريب العلوم بقوله: «إن القضية قضية بيان فلندرس

بالعربية، ولنستعمل ـ مثلما استعمل التراجمة الأولون ـ المصطلحات الدخيلة كما هي، فالنقطة الأولى هي نقطة الحديث بالعربية أولاً ثم تؤلف الكتب، ولا يجوز أن نوقف شيئاً على شيء وإلا بقينا ندور في حلقة مفرغة» (٣٦).

ولقد استأثر المصطلح العلمي باهتمام علماء المجمع العلمي العراقي، وكانت مجلته وخاصة في بدايات عهده بالإنشاء ميداناً واسعاً لنشر المصطلحات التي قام المجمعيون العراقيون بنقلها إلى العربية. وكان الاتجاه السائد في هذا المجمع إحياء المصطلح العربي القديم إذا كان مؤدياً للمعنى الصحيح. يقول الدكتور جواد علي: «وطريقة المجمع في دراسة المصطلحات وإقرارها ووصفها هي أن يدرس المصطلح المعروض عليه في لغة الاختصاص، كأن يستعرض حده وتعريفه عند المختصين، أو في الكتب الخاصة، ويتعرف أصله ونشأته، ثم يسمع آراء المتخصصين فيما اختاروه من كلمات عربية مناسبة، ثم يستعرض ما ورد في الكتب العربية قديماً وحديثاً، لغوية كانت أو اختصاصية من كلمات موافقة له مما قد يفي بالمراد، فإذا وقف على كلمة صالحة مناسبة له مؤدية للمعنى الاصطلاحي، ورأى فيها الرشاقة والسلامة عقد رأيه وبَتَّ في الأمر.» (٣٧).

ونجد الأولوية للفظ العربي الفصيح، وللمصطلح العربي القديم إذا كان مؤدياً للمعنى في القواعد التي وضعتها لجنة المصطلحات الهندسية في المجمع، وهي تفضيل اللفظ العربي على المولد، والمولد على الحديث إلا إذا اشتهر؛ واستعمال اللفظ العربي الأصيل إذا كان المصطلح الأجنبي مأخوذاً

عنه مثل لفظة الكحول alcohol، وتتجنب اللجنة تعريب المصطلح الأجنبي إلا في الأحوال الآتية:

١ــ إذا أصبح مدلوله شائعاً بدرجة كبيرة يصعب معها تغيره.

٢ــ إذا كان مشتقاً من أسماء الأعلام.

٣ــ في حالة الأسماء العلمية لبعض العناصر والمركبات الكيماوية.

٤ــ إذا كان من أسماء المقاييس أو الوحدات الأجنبية.

٥ــ إذا كان مستعملاً في كتب التراث مثل أسطرلاب.

كما أقرت اللجنة الضوابط التي وضعت للتعريب.

ويفضل الدكتور جميل الملائكة في بحث قدمه لمؤتمر التعريب الثاني في الجزائر المصطلح العربي على المعرب ذاكراً أن مجال الإفادة من ألفاظ المصطلحات العربية القديمة واسع «فإن لم يتيسر مصطلح عربي ففي الاشتقاق والتوليد والقياس والمجاز متسع كبير» على أنه مع ذلك لا يغلق الباب أمام التعريب بل يجيزه استثناء في نقل أسماء الأعيان والجواهر كالأدوية والمركبات الكيماوية وما أصبح مدلوله شائعاً بدرجة كبيرة يصعب معها تغييره، مثل «تأكسد» و«ميكانيك» وما كان معرباً قديماً مثل أسطرلاب وجغرافية [٣٨].

وفي مراجعة لكراس «المصطلحات البترولية ــ جيولوجيا وكيمياء» الذي بعثه اتحاد المجامع اللغوية العربية إلى المجمع العراقي ليرى فيه رأيه، نجد الملاحظات بعامة تتجه نحو محاولة الالتزام باللفظ العربي وتعديل كثير من الصيغ الواردة على هذا الأساس وعدم التعريب والنحت ما دام في العربية

مندوحة عنه [٣٩].

أما في مجمع اللغة الأردني فقد لخص الدكتور محمود السمرة منهج المجمع في وضع المصطلحات وهو منهج ــ كما يقول ــ يظهر في ممارسات المجمع وإن لم يكن مكتوباً، وأهم ما يلاحظ عليه الحرص على دقة المقابل العربي بالترجمة وتفضيل أن يكون عربياً تراثياً كلما كان ذلك ممكناً، أو تحديد المصطلح الأجنبي بحيث يكون له جرس عربي إذا لم يوجد المقابل العربي، مع استعمال المصطلح الأجنبي إذا كان من الشيوع والذيوع بحيث أصبح علماً. غير أنه يرى أننا نكون أقدر على النهوض بتعريب العلوم واللحاق بالجديد فيها إذا جعلنا الأولوية للتعريب لا للترجمة»[٤٠].

على أن مجمع اللغة العربية الأردني قد أسهم عملياً في ترجمة الكتب العلمية الجامعية كما خرجت منه محاولة جريئة لكتابة الرموز العلمية باللغة العربية وذلك بإحداث أشكال مناسبة للحروف العربية التي يمكن أن تحمل هذه الرموز [٤١] وهو أمر لم يخل من معارضة بعض العلميين وبخاصة من كان يشتغل منهم في مجال الكيمياء[٤٢].

لعل ما عرضنا له من مواقف يمثل الآراء التي دارت في مجامع اللغة العربية ــ التي اطلعنا على أعمالها ــ حول معالجة المصطلح من حيث تأصيله وترجمته أو تعريبه واقتراضه. والملاحظ أن الاتجاه يكاد يسير نحو الترجمة الحرفية والتعريب، عند معظم المتأخرين ويكاد يتساوى الأمران في بعض المعاجم المتخصصة، ومعنى ذلك أن التنقيب في كتب التراث لم يعد

مطلباً يحرص عليه المترجم ذلك أن تلك مهمة كان يقوم بها علماء أوتوا من المعرفة وسعة الاطلاع والوقت ما جعلهم قادرين على تتبع الألفاظ في ثنايا التراث اللغوي واقتناصها، وهذا ما تقاصرت عنه الهمم في هذا الزمن، فأصبح منتهى أمل المترجم أن يجد كلمات أو تعبيرات تفي بالغرض ألفاظها عربية وإن بدت عليها مظاهر العجمة، غافلاً عن أنه قد يكون للمصطلح الذي يترجم مصطلحٌ آخر موازٍ في اللغة العربية يتّسم بالاستقرار في اللغة والاستعمال لدى علمائنا الأقدمين ويؤدي المعنى أداءً مناسباً. مثال ذلك ما رأيته في مصطلحات النفط التي عرضت في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة هذا العام من اصطلاح «ادفع وتسلم» ترجمة للمصطلح الإنجليزي cash & carry وعندي أن هذه الترجمة الحرفية لا تجري على العرف العربي، بل إن العجمة بادية عليها. وكان بالإمكان ترجمة المصطلح «بالمناجزة» وهو مصطلح يستعمله فقهاء المالكية في أبواب المعاملات المالية، ويعنون به «قبض العوضين عند العقد» (٤٣). ويقول العرب: «بعته ناجزاً بناجز» أي يداً بيد. ومن المصطلحات التي تنطبق على هذه الحالة مصطلح «هاءَ وهاءَ» أي «خذ وأعط يداً بيد» ويعد من مصطلحات الفقهاء وأصله قول الرسول عليه الصلاة والسلام «الذهب بالذهب ربا إلا هاءَ وهاءَ» (٤٤).

ومثل ذلك ما قرأته في بعض معاجم المصطلحات من ترجمة لكلمة sand dune فقد ترجمت بـ «كثيب رملي» والواقع أن كلمة «كثيب» وحدها تكفي لأن الكثيب عند العرب لا يكون إلا للرمل. فالكثيب كما في (التاج): «هو التل المستطيل المحدودب من الرمل» (٤٥)، والغريب أن كلمة

Sand بمعنى رمل مقحمة على dune في الإنجليزية فالكلمة الأخيرة تعني التل من الرمل الذي تشكّله الرياح. كما يذكر ذلك قاموس وبستر.

وما أشرنا إليه يؤكد أن الترجمة ــ إن وجدت ــ يمكن أن تعد مرحلة أولى يلجأ إليها ــ كسباً للوقت ــ لابد أن تتبعها مرحلة تالية يردد العلماء والمختصون واللغويون النظر فيما ترجم من مصطلحات كي يصوّبوا ما قد يكون اعتورها من قصور ويضعوها في مكانها من اللغة العربية السائغة. فالمصطلح الأصيل المستمد من التراث أو ذلك المسكوك بالوسائل المتاحة للغة من قياس أو اشتقاق أو مجاز يجب أن يكون الهدف الأسمى لوضع المصطلح العربي. وقد واجه هذا النوع من المصطلح عدة شبهات ترسخت في أذهان بعض المشتغلين في هذا المجال. ويجدر بنا أن نقف عندها واحدة واحدة كي نلقي الضوء عليها ونبين صحتها من فسادها:

الشبهة الأولى:

أن العربية لغة بداوة تفتقر إلى التجريد ولا تستطيع حمل المصطلحات الحضارية وقد بدأت هذه الشبهة مع بداية الدعوة إلى العامية في هذا العصر، فقد وجدناها عند سلامة موسى (٤٦)، ثم أطلّتْ برأسها عند أنيس فريحة. (٤٧) ومن آخر من أشار إليها الدكتور محمد رشاد الحمزاوي الذي يقول: «فالفصاحة التي يدعو إليها الشيوخ الأزهريون لتطبق على المعرب تقتصر على لغة البداوة التي لا يمكن لها بحال أن تفي بحاجات الحضارة المعاصرة»(٤٨).

ومثل هذا الموقف المتعلق ببداوة اللغة يمكن الرد عليه بثلاثة أمور:

الأول: أن القول ببدائية اللغة لم يعد مأخوذاً به لدى علماء اللغويات

في العصر الحاضر، فكما سقطت نظرية ربط اللغة بالعرق عند آرنست رينان، وماكس مولر وغيرهم [٤٩] سقطت أيضاً نظرية اللغة البدائية فاللغات كما يراها روبنز: «أنظمة رمزية تكاد تقوم كلياً على عرف بحت أو عشوائي» وهو «يؤكد بصورة خاصة على مرونة اللغات وقابليتها للتكيف»[٥٠]. ويرى جون ليونز أنه ليس هناك لغة أغنى من لغة أخرى أو أفقر، «وعندما تتغير احتياجات مجتمع معين فإن لغة هذا المجتمع ستتغير تبعاً لذلك كي تفي بالأغراض الجديدة، فتتوسع المفردات إما باقتراض كلمات من لغات أخرى أو بخلق كلمات جديدة من كلمات موجودة في اللغة نفسها، ولا يعني عدم وجود الكلمات التي تدل على أفكار العلم الحديث ومنتجات التقنية المادية في لغات محلية كثيرة فيما يعرف أحياناً بالعالم النامي أن تلك اللغات أكثر بدائية من اللغات التي تتوافر فيها تلك الكلمات، فذلك لا يعني إلا أن المشاركين في تطوير العلم والتقنية لم يستعملوا تلك اللغات بعد» [٥١].

الأمر الثاني: أن العربية قد قامت بشؤون الدين من عقيدة وشريعة وعلوم تدور في فلكهما كما وفت بحاجات الحضارة التي التقت بها خارج الجزيرة العربية، وتلاقحت مع التيارات الفكرية والعقدية في عصور الازدهار المعرفي ولم نقصر في حمل تلك العلوم والفلسفات ومستلزمات التقنية التي كانت متوافرة ذلك الوقت فقد ثقفها العرب واستعملوها، وكانت في كل هذه الحقب تنتج المصطلحات الخاصة بها وإن كانت قد اضطرت في بعض الأحيان إلى تبني بعض المصطلحات الأجنبية.

الأمر الثالث: أن القول ببداوة اللغة وعدم تحملها مصطلحات العصر الحديث يظل كلاماً نظرياً يعتمد على مقدمات تبين فسادها، ولا يمكن أن

يقطع به إلا بعد التطبيق الجاد والاختبار الحقيقي للغة وذلك لا يكون إلا بتعريض اللغة للتجربة التي يقوم بها علماء متمكنون من علمهم ومتمكنون بالقدر نفسه من اللغة العربية. والقدر المنجز من المصطلحات العربية للعلوم والمخترعات الحديثة حتى الآن يشير إلى أن العربية لم تكن عاجزة عن مواكبة التقدم وأن القصور والتباطؤ ــ إن لم يكن التخاذل والاستسلام للآخر ــ لم يكن منها بقدر ما كان من بعض أهلها الذين تركوها ظهرياً، واتجهوا بأجمعهم إلى اللغات الأجنبية يتعلمون بها ويعلمون ويؤلفون ويتحدثون، فهل تلام اللغة بانصراف أهلها عنها ؟.

الشبهة الثانية: أن العربية لا عهد لها بالمخترعات والمكتشفات الحديثة:

ويشبه القول ببداوة اللغة ويتفرع عنه ذلك الادعاء الذي نقرؤه بين حين وآخر عن حدوث مخترعات ومكتشفات لا عهد للعربية بها وكون ذلك سبباً في قبول الدخيل، وكأن العربية بدع بين اللغات.

إن كل اللغات تخترع المصطلحات وتصوغها ابتداء، ولم يكن لها بها عهد قبل صوغها. كما أن العلوم الحديثة عندما ظهرت في الغرب لم يكن للغرب عهد بها. فكيف جاز لأولئك أن يخترعوا مصطلحات ويضعوها بطرق مختلفة والعربية لا تستطيع ذلك؟ ويعجبني في هذا قول الأستاذ إبراهيم مصطفى: «ادعاء أن الاكتشافات كثيرة وليس في العربية كلمات للدلالة عليها اعتراض ضخم في الظاهر، فارغ في الحقيقة، إن هذا الاعتراض يصدق على جميع اللغات، لأن اللغات ما دامت موضوعة فألفاظها إنما وضعت طبقاً لما هو معلوم لا لما هو مكتوب في طي الخفاء والغيب. فكل

مستكشف كان غير معلوم، ومستكشفه يصطلح له على لفظ يتخذ اسماً له، وباب الاصطلاح ليس مغلقاً في العربية ومفتوحاً في غيرها» (٥٢).

الشبهة الثالثة: عدم دقة المصطلحات الأصيلة:

ومن الباحثين من يقول: إن المصطلحات العربية سواء كانت قديمة مستمدة من التراث أو عربية حديثة مترجمة قد لا تكون دقيقة دقة المصطلح الأجنبي.

ومن المعروف المستفيض أن المصطلح لا يشترط فيه الدقة الشديدة ولا المطابقة الكاملة لا في عصرنا هذا ولا في العصور السابقة، ولا يقتصر الأمر علينا بل عند الأمم جميعاً. يقول الدكتور جميل الملائكة: «لا يستلزم أن يكون المصطلح بأية حال مستوعباً كل المعنى الموضوع له، وإلا انتفت عنه طبيعة المصطلح، وبات لفظة لغوية مثل أية لفظة سواها، فالمصطلح يتخذ للتعبير بلفظ واحد في الأعم عن معنى أو فكرة لا تستوعبها في العادة لفظة واحدة، ولهذا السبب أطلقت عليه هذه التسمية أي أنه (يصطلح) به على تأدية المعنى المقصود» (٥٣).

والغريب أن الدكتور محمد كامل حسين وهو من أبرز الذين طالبوا بالدقة في انطباق التسمية على المسمى يذكر في بحث له عن «لغة العلوم» أن العلماء الغربيين لم يكن يهمهم انطباق المعنى اللغوي على ما يدل عليه من مصطلح علمي ويمثل لذلك بكلمة أوبسونين «وقد وضعت لشيء في الدم يعلق بالميكروبات فيجعلها أسهل هضماً على الخلايا التي عملها القضاء على الميكروبات» فقد وضعت لذلك كلمة (أوبسونين) وتعني: «أحضر الأكل» باليونانية. كما ذكر أن العلماء أغاروا على اللغات الميتة

وأخذوا يشتقون منها ويفسدون فيها ويجددون لألفاظها معاني لم يقل بها أحد من أهلها»[٥٤]. ويبدو أن الدقة لدى الدكتور حسين لا تتمثل في «انطباق» الاسم على المسمى معنوياً بقدر ما تتمثل في «انحصار» الاسم بالمسمى ولكن الدكتور حسين يترك هامشاً آخر لبعض المصطلحات التي انتزعت من اللغة العامة مثل «المناعة» Immunity فيقبله وهو موقف يرد «وجوب الدقة» أو «الانحصار» بالمصطلح، فنحن هنا نجد مصطلحاً يستعمل في مجالات كثيرة ليدل على معانٍ أخرى. وباب الاشتراك اللغوي بين المصطلحات واسع وكبير، و لم يقل أحد من العلماء الذين يعملون في علوم مختلفة أن أحداً منهم لم يفهم المقصود من المصطلح لأنه يسبب الالتباس بمصطلح آخر مثال ذلك كلمة «حرف» في اللغة العربية،

فهي مصطلح لأحد حروف المعجم (حروف الهجاء).

وهي مصطلح لإحدى القراءات القرآنية ــ مثل الحروف السبعة.

وهي مصطلح نحوي يعني أحد أقسام الكلم.

وهي مصطلح في وصف الإبل يعني الناقة الضامر.

وهي مصطلح في وصف السلاح = حرف السيف حده [٥٥].

و لم يقل أحد أن هذه المصطلحات قد جار على الآخر في مجاله المعرفي الذي ينتمي إليه. وكذلك نجد كلمة Stock في اللغة الإنجليزية، فمن معانيها كما في «المورد»: الأصل أو الجِذل، شيء عديم الحياة، صنم، عمود، سناد، دعامة، هيكل خشبي يستعان به في بناء السفن، أداة تعذيب تقيد فيها رجلا المذنب، مقبض البندقية، عقب السوط، أو صنارة الصيد، قوس المحراث، سلالة، أسرة لغات، أجهزة مواد، المخزون، الموجود

في المخزن من البضائع، رأسمال، أسهم في شركة، لفاع يطوق به بعض رجال الدين أعناقهم، فرق، مادة خام، تمثيلية مختلفة تقدمها فرقة في مسرح واحد، قياسي، مألوف، عادي، مبتذل، استيلادي كما في الخيل Stock mare وتضاف لهذه المادة لواحق أو إضافات فتتولد عنها معانٍ كثيرة، وكثير منها مما يستعمل في حقول المصطلحات العلمية وما ذكره قاموس «وبستر» عن هذه الكلمة أكثر بكثير مما ذكره «المورد» مما يدل على كثرة استخدامها في مجالات متعددة يبينها السياق.

الشبهة الرابعة: أن لغة العلم لغة عالمية:

وهذه مقولة كثيراً ما ترد على أفواه المشتغلين بالعلوم، وأقلام الباحثين والمدافعين عن تعريب المصطلح واقتراض الدخيل. وهي مقولة تحتاج إلى مزيد نظر، وفحص دقيق، وتفصيل وتفريق.

ما المقصود بالعالمية؟.. لقد شاع هذا الوصف لكل آتٍ إلينا من الغرب على وجه التحديد. وكثير منه غربي محلي ليس له انتشار عالمي، ولا يلزمه وصف العالمية لأن وصف العالمية يقتضي أن يكون معترفاً به من بيئات متعددة موزعة في أنحاء العالم.

نحن نعلم أن هناك جمعيات علمية عالمية تنتظم مختلف المشتغلين في هذه العلوم، ونعلم أن هنالك مجلات علمية عالمية يكتب فيها الباحثون من جميع أنحاء العالم وإن صدرت عن الغرب، ونعرف مؤسسات ومنظمات عالمية مهمتها تحديد المصطلحات وترميزها وتقسيمها، وربما فرضها على الباحثين الكاتبين باللغات الأوربية. ولكن ما شأن هؤلاء الباحثين في العالم عندما يكتبون في لغاتهم المحلية، أليست هناك فروق بين مصطلحات

فرنسية وأخرى ألمانية، وثالثة إيطالية ويابانية وروسية؟. إذا كان هؤلاء العلماء يستخدمون ترجمات أو مقابلات لهذه المصطلحات من لغاتهم المحلية فما الذي يلزم اللغة العربية بالانحياز إلى لغة واحدة من هذه اللغات الأوربية والتزام مصطلحها حتى عند تعليم أبناء أمتها أو تأليف البحوث والكتب لهم؟.

هنالك فروق إذن بين اللغات المختلفة في هذه المصطلحات. فهناك مصطلحات أصبحت عالمية بفضل استخدامها في الإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية واليابانية والصينية وغيرها. مثل الأوكسجين، أو الهيدروجين، أو اليورانيوم. فليس لنا هنا أن نخرج عن هذا الإجماع. بل علينا أن نبادر إلى هذا النوع من المصطلحات ونضمه إلى لغتنا معرّباً أو مقترضاً. وربما نسب العلماء إلى عالم أجنبي، أو مدينة معينة، أو وضعوا رموزاً علمية قد تواضعوا عليها بينهم فتلك إذن مصطلحات وممارسات عالمية لابد لنا من أن نأخذ بها لأنه لا فائدة من الشذوذ عنها والخروج عليها. أما إذا كانت المصطلحات مما تختلف فيه اللغات فيما بينها ويجتهد فيه العلماء حسب تصوراتهم فليس لنا أن نتمسك بمصطلح أجنبي ولا نوجد بديلاً صالحاً عنه في لغتنا العربية.

ذلك ما يخص المصطلح العلمي، أما المصطلح المتعلق بشؤون الحياة والحضارة الذي ينتشر بين أبناء الشعب فالأجدر بنا أن نجد له مقابلاً عربياً، ولا نسمح له بالانضمام إلى معجمنا اللغوي حتى وإن طال مقامه في الكلام الدارج. لأن ما عجزنا عنه بسبب كسلنا أو جهلنا قد ينجح فيه أبناؤنا وأحفادنا، بفعل التطور والارتقاء، فيجدون له مقابلاً مناسباً من لغتهم

العربية. ولدينا على ذلك أمثلة كثيرة مما عجز عنه الآباء أو استبعدوا اندثاره من العربات، فإذا بالأجيال الجديدة، تتنكب لتلك المعربات وتلقيها في زوايا النسيان، أو تكاد، لتسود بدلها كلمات عربية النجار.

في سنة ١٩٠٨م كتب يعقوب صروف وفارس نمر صاحبا المقتطف مقالاً يستبعدان فيه إيجاد مقابل عربي لكلمة «تلفون» وإن وجدت فلن يستطيع الاسم العربي لهذه الآلة التغلب على اسم تستعمله الأمم المتمدنة، ويقولان: «ونرى الآن أننا أحسنا لأننا لم نخالف أمم العالم في الإغارة على اسم وضعه مخترع هذه الآلة لآلته وإبداله باسم نضعه نحن لها، وقس على ذلك: الفوتوغراف، والميكروفون والأتومبيل» (٥٦).

ولقد تعدّدت المقترحات حول تسمية «التلفون» فكانت: الأرزير، والمقول، والمسرة، والحاكي، والندى، والمحاور، والهاتف، ولم يكن صاحبا «المقتطف» وحسب هما اللذان طالبا بتبني لفظة «تلفون»، وإنما شاركهما في ذلك أيضاً الشيخ عبد القادر المغربي في تقرير قدمه إلى مجمع القاهرة مطالباً فيه بتبني مجموعة من الألفاظ دعاها متحجرة في اللغة.

والآن ونحن نشارف على نهاية هذا القرن نجد كلمة «هاتف» قد استقرت في اللغة الأدبية رسمياً وإعلامياً وشاعت بين العامة، ومن المنتظر أن تستقر في اللغة المحكية أيضاً. ولذلك فإن من التسرع ضم الكلمة إلى المعجم العربي الفصيح كما فعل المعجم الوسيط، وأجدر بها أن تظل في الاستعمال الدارج حتى تنقرض، كما انقرضت الآن كلمة «أتومبيل» التي ظنّ صاحب المقتطف أنها قد استقرت في اللسان العربي، وكما انقرضت أو كادت كلمة «جرنال» المصرية فقد طردتها من الاستعمال كلمة

«جريدة»في الميدانين الشعبي والأدبي. وكلمة «سراي»فلم يعد أحد يستعملها وخاصة في الكتابة الأدبية وهما من الكلمات التي اقترح الشيخ المغربي أن يقبلها المجمع (٥٧).

الشبهة الخامسة: قلة المصطلحات العربية القديمة وعدم جدواها:

يبرز بين حين وآخر الكلام حول قلة المصطلحات العربية القديمة وعدم جدواها. وقد مر طرف من ذلك في ملحوظات الدكتور محمد كامل حسين والدكتور إبراهيم مدكور وغيرهم. وأكبر الظن أن القائلين بذلك قد نظروا إلى ما نشر من كتب ومعاجم تحوي مصطلحات علمية قديمة، مثل كتاب «التعريفات» لعلي بن محمد الجرجاني، وكشاف اصطلاحات الفنون لمحمد علي الفاروقي التهانوي، والجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار ومفيد العلوم ومبيد الهموم لابن الحشاء، وشرح أسماء العقار لموسى ابن ميمون، وكليات أبي البقاء الكفوي، وجامع العلوم الملقب بدستور العلماء للأحمد نكري ـــ وهذه المؤلفات ـــ على ما فيها من ثروة ثمينة _ لا تعطي صورة واضحة للمصطلحات العلمية العربية في التراث القديم.

والحقيقة أن المصطلحات العربية القديمة لم تحظ بالاهتمام الكبير من الباحثين والعلماء، وما اكتشف منها ـــ زيادة على ما في تلك الكتب ـــ قليل مقابل ما هو مجهول. ولم تقم دراسة موثقة حتى الآن تبين لنا حجم المصطلحات القديمة المستقرة في التراث لكل علم من العلوم أو فن من الفنون. وأجدر بنا أن ننصرف إلى هذا الجانب حتى نستطيع الجزم بفائدة هذه المصطلحات أو عدم فائدتها.

إن المحاولات الحديثة التي جرت في مجال رصد هذه المصطلحات تبشر بوجود أعداد هائلة ما زالت مطمورة في معجماتنا أو كتب التراث القديم لدينا فمن هذه الجهود محاولة العلماء الجيولوجيين في مجمع اللغة العربية التي يلخصها الدكتور محمد يوسف حسن بقوله: «وفي خلال ربع القرن الأخير لم يستعص على علماء الجيولوجيا المعاصرين المؤمنين بحركة تعريب العلوم العثور على الدرر الكامنة في بحر اللغة العربية مما يناسب جل ما يريدون نقله من مصطلحات، وقد بلغ ما نقله أعضاء مجمع اللغة العربية وخبراء الجيولوجيا من المصطلحات الجيولوجية خلال هذه المدة ما ينيف على الخمسة آلاف نشر منها المجمع في عام ١٩٦٤م نحواً من ألف وخمسمائة مصطلح في معجم جيولوجي خاص... وقد اكتشف القائمون بهذا العمل أن قدراً غير قليل من هذه المصطلحات المراد نقلها إلى العربية... بضاعة عربية أصلاً آن الأوان لردها إلى أصحابها»[٥٨]. وذكر أمثلة على ذلك[٥٩].

وفي بحث آخر بعنوان «ثراء اللغة العربية بأصول المصطلحات الجيولوجية» يبسط الدكتور محمد يوسف حسن الموضوع بقوله: «ويهدف هذا البحث إلى التدليل على أن بحر اللغة العربية ما زال زاخراً بالأصول البكر الصالحة للاستعمال والاشتقاق الجيولوجي والتي تفي بكل حاجات المشتغلين بهذا العلم، وقد ضربت في بحث سابق بعض الأمثلة على قدرة اللغة العربية على الإحاطة بكثير من المتسلسلات الاصطلاحية الجيولوجية في الموضوع الواحد. وهذا مثال جديد من أروع الأمثلة في هذا الباب مسلسلة من خمسة عشر لفظاً ليس بينها إلا لفظ واحد معرب دخل معاجم العربية من قديم ــ والمسلسلة في الأنواع المختلفة، من المواد

الطينية [٦٠] . هذا ما يخص المصطلح أما ما يخص المواد التي تصلح للتعبيرات الجيولوجية أو يشتق منها مصطلحات تختص بالأرض أو الماء أو الحركات الأرضية أو الصخور ــ وما تحويه من معادن وخامات وبنيات هندسية _فإن المطالع في المعاجم العربية «لا يعدم أن يجد في كل مادة تقريباً أصلاً أو أكثر يصلح لذلك» ودلّلَ على قوله باختيار سبعة حروف من حروف المعجم قدم منها نماذج من حيث الأصول ومشتقاتها[٦١]. ومما يدخل في هذا الباب ما انتخبه الدكتور عبد الله الغنيم من مصطلحات عربية لأشكال سطح الأرض _ بناءً على دراسات ميدانية مقارنة_ تناولت بعض تضاريس الأرض في الجزيرة العربية، هادفاً من ذلك كما يقول إلى «إعطاء منهج عملي في كيفية وضع المصطلحات الجغرافية المتعلقة بأشكال السطح، حيث تم الربط بين نصوص التراث القديم والمعلومات المتوفرة»[٦٢]. ذلك ما يخص الجيولوجيا والجغرافيا، أما العلوم الأخرى فهناك محاولات كثيرة معظمها منشور في بطون المجلات العلمية[٦٣]. وهناك معجمات متخصصة في هذا الشأن وإن كانت قليلة [٦٤].

وكل ذلك يحفزنا على مواصلة الجهد كي نظهر كل المصطلحات العربية القديمة. ونستطيع الحكم على ثروتنا من هذه المصطلحات، وفي الظن أنها ثروة كبيرة وثمينة.

وبعد:

فإن مشكلة نقل العلوم والمعارف إلى العربية مرتبطة إلى حد كبير بمشكلة أكثر منها خطورة وأشد تأثيراً. تلك هي مشكلة «البحث العلمي» فما يزال البحث العلمي في البلاد العربية هامشياً لم يأخذ مكانه اللائق الذي

يجعله في مقدمة الاهتمامات الكبرى للدولة ومن المعروف أن البلاد التي تنشد التقدم يمثل البحث العلمي فيها الجسر الرصين الذي يؤدي إلى العبور الحضاري والتفوق السياسي والاقتصادي. وبغياب مؤسسات البحث العلمي الجاد التي تسير وفق استراتيجيات مرسومة للتقدم يبدو البحث العلمي مشتتاً يسير بلا هدف مرسوم. وأكثر ما يقوم به أساتذة الجامعات من بحوث ينصرف لأغراض نفعية قصيرة المدى تتصل بترقياتهم الأكاديمية. ولا يستفيد منها المجتمع في دفع عجلة التنمية أو في المشاركة العالمية الجادة على أساس ندي. ومن هنا فإن النمط الاستهلاكي السائد هو الذي يتحكم في وتيرة الحياة بالبلاد العربية، وحتى ما يمكن أن ينتجه العقل العربي من إبداع أو اختراع فإنه لا يوظف عملياً للارتقاء والنهوض الوطني والإقليمي بقدر ما يدور في ترس الصناعة الغربية مسهماً في تقدمها ونمائها.

ولذلك فإن الحديث عن المصطلح العربي في عصر العولمة لا ينفصل عن القضية الكبرى، قضية البحث العلمي، فإذا كنا جادين في التصدي لما يمكن أن تهطل به علينا السماء وتفيض به الأرض من مصطلحات جديدة فإننا لابد من أن نغير من أسلوبنا في تناول قضايا العصر المهمّة حتى نكسب لأمتنا مواقع متقدمة في صراعها على الأرض.

وإذا قصرنا الأمر على «المصطلح العربي» فإن من أهم ما يجب أن يلتفت إليه في هذه المرحلة الأمور الآتية:

١ـ بث الوعي اللغوي بين أبناء الأمة وإيقاظ غيرتهم على اللغة، وبناء ما تصدع من ثقتهم بها واعتزازهم بتراثها بوصفها مقوماً مهماً من مقومات الشخصية العربية. ولتحقيق ذلك وسائل كثيرة يمكن أن توجه

للكبار والصغار وقد تهيأت الآن كثير من المنافذ التربوية والإعلامية العامة التي يمكن ــ إذا ما أحسن استخدامها ــ أن يكون لها الأثر البالغ.

٢ــ إنشاء مؤسسات متخصصة في حقول الترجمة، تشبه بيت الحكمة في العصر العباسي ترعى تكوين الأجيال وتعمل على ترجمة الكتب والبحوث العلمية المختلفة وفق استراتيجيات مدروسة أسوة بما يحدث في الأمم المتقدمة كاليابان وغيرها، مع التنسيق بين هذه المؤسسات وبين مراكز البحث العلمي والجامعات في اختيار المواد المترجمة والإفادة مما يترجم.

وليس من الضروري أن تكون هذه المؤسسات حكومية تثقل ميزانية الدولة وتخضع للبيروقراطية الحكومية بل يمكن أن تكون خيرية أهلية تشترك فيها الدولة ويشجع عليها القطاع الخاص والمتبرعون على هيئة أوقاف تصرف من دخلها على أعمالها ولعلّ في نظام مؤسسة الكويت للتقدم العلمي مثالاً جيداً على ذلك.

٣ــ إن تكوين مؤسسات متخصصة للترجمة تشبه ما لدى الأمم الأخرى التي تنشد النهوض يستتبع تكوين أجيال من العلماء مزدوجي اللغة تمكنوا من ناصية العلم، ومن اللغة الأجنبية، وأتقنوا لغتهم العربية إتقاناً يمكنهم من معرفة خصائصها وقدراتها والإحساس الكامل بدقائق معانيها، حتى يتمكنوا من الغوص في أعماقها، واستخلاص المصطلحات منها، وصياغتها صياغة عربية أصيلة مشرقة. يقول نيومارك «لابد للمترجم أن يعرف لغته الأولى، وموضوع تخصصه، واللغة الهدف بهذا الترتيب. هذا وكثيراً ما تحميه براعته في المتطلب الأول من الوقوع في أخطاء فادحة في المتطلبين الثاني والثالث» [٦٥]. وذلك ما دعاه الدكتور أحمد شفيق

الخطيب بالتكاملية اللغوية العلمية، التي تشتد الحاجة إليها في عصرنا الحاضر(٦٦). والوسائل لتكوين هؤلاء العلماء تقتضي إدخال تعديلات على نظمنا التعليمية في المدارس والجامعات. أو تأهيل خريجي الجامعات من الكليات العلمية والطبية والتقنية في دورات متخصصة قبل الالتحاق بوظائف الترجمة.

٤ـ تيسير المادة اللغوية العربية وجعلها على طرف الثمام للعاملين في صياغة المصطلحات العلمية وذلك بتصنيف التراث اللغوي على أن لا يقتصر ذلك على عصور الاحتجاج اللغوية وإنما يشمل المسح لغة كبار المؤلفين والعلماء والأدباء شعراء وناثرين والفلاسفة، والأطباء والعاملين في العلوم المختلفة. تصنف المادة اللغوية حسب المعاني وتقسم حسب المواضيع. ويشمل ذلك تكوين مسارد لمصطلحات التراث القديم في العلوم المختلفة تكون مشروحة موثقة يفيد منها المترجم وواضع المصطلحات العربية.

والواقع أن هذا العمل لم يعد صعباً في العصر الحاضر مع وجود الحاسبات الآلية التي يمكن أن تخزن فيها المادة ثم تصنف حسب برامج معينة تستجيب لمن يطلبها. ويمكن هذه الحواسب الآلية مساعدة المترجم في عمله بتصريف المواد اللغوية تبعاً للصيغ الصرفية العربية وشرح كل صيغة وموضع استعمالها. وتحضرنا بهذه المناسبة محاولة جديرة بالاهتمام قام بها الأستاذ حسن فهمي فقد كان يرى أن يقوم المتخصصون بحصر جميع الأفعال الثلاثية التي تتصل بمجال علمي معين، ثم البدء في جعلها أفعالاً مزيدة، واشتقاق الأسماء والصفات من هذه الأفعال المزيدة، وبذلك تتكون ثروة هائلة من الألفاظ بعضها استخدمه العرب وبعضها لم يستخدم من قبل(٦٧). وقد قام بتطبيق رياضي على القياس في

اللغة يمثل تجربة مفيدة لو أنها وجدت من يتبناها عملياً وينفذها آلياً. حتى تكون في متناول العاملين في حقول المصطلحات العربية.

والخلاصة، أننا في هذا العصر الذي يبدو فيه زحف العولمة قادماً بما يحمله إلينا من معطيات تشمل الأدوات والمصطلحات والأفكار والتعبيرات والممارسات اللغوية، فإن من الواجب علينا أن نقابل ذلك الزحف بتفتح علمي يفيد من إيجابيات العولمة، ويؤمن بالتلاقح الحضاري، والتفاعل الخير ويدرأ الخطر عن ثقافة أمتنا ولغتنا بخطط علمية، واستراتيجيات طويلة المدى، ووسائل تفيد من ثمرات العلم الحديث في هذا العصر وتختلف عن وسائلنا التقليدية القديمة. مستندين في ذلك إلى الثقة بأنفسنا، وبمقوماتنا الذاتية النابعة من مبادئ ديننا الإسلامي الحنيف وإسهامات حضارتنا العريقة، وقدرات لغتنا العربية التي سبق لها أن دخلت المعترك الحضاري قديماً فانتصرت فيه، وكانت الوجه المشرق للهوية العربية على مر العصور.

الهوامش

١ــ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المقدمة تحقيق درويش الجويدي، ط١، بيروت، المكتبة العصرية سنة ١٤١٥هــ / ١٩٩٥ ص ١٣٧.

٢و٣ــ أحمد طلعت سليمان، اللغة المالطية وأصولها العربية، الرياض، مطابع جامعة الملك سعود، عام ١٤١٠هــ، ص ٣٠٥ــ ٣٠٦.

٤ــ في موضوع التحيز اللغوي بشكل عام انظر، حمزة قبلان المزيني، التحيز اللغوي، مظاهره وأسبابه، الأبحاث، مج ٤٣ عام ١٩٩٥، ص ٤٧ــ ١٢٨.

٥ــ Vandrys, J. Language, London, Routledge and Kegan Panl Ltd, ١٩٥٩, P ٢٨٣.

٦ــ Sapir, E. Language, New York, Harvest Books Ltd, P.

١٩٤.

٧ــ الموضع نفسه.

٨ــ اعتمدنا في هذا على محمود إبراهيم، الموسم الثقافي الأول لمجمع اللغة العربية الأردني، عمان، سنة ١٩٨٣، ص ١٥٠ــ ١٥١.

٩ــ أحمد الفتيح، تاريخ المجمع العلمي العربي، دمشق، مط، الترقي، عام ١٣٧٥/ ١٩٥٦م، ص ١٦ــ ٢٠.

١٠ــ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٤/ ٣١٥ وما بعدها.

١١ــ مجلة المجمع العلمي العربي (بدمشق) ١٢/ ١٩٣.

١٢ــ مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية ١/ ٢٢.

١٣ــ نفسه ١/ ٢٠١.

١٤ــ نفسه ١/ ٢٠٢.

١٥ــ نفسه، الموضع نفسه.

١٦ــ نفسه، ١/ ٢٠١.

١٧ــ نفسه، ص ٢٠٠.

١٨ــ نفسه، ص ٢٩ــ ٣٣.

١٩ــ مجلة مجمع اللغة العربية ٥/ ٤٩.

٢٠ــ نفسه، ص ٩٣.

٢١ــ نفسه، ص ٩٤ــ ١٠٠.

٢٢ــ الشيخ عبد القادر المغربي، حول قرار التعريب، مجلة مجمع اللغة العربية ٥/ ٩٤ وما بعدها.

٢٣ــ محمد شوقي أمين، جواز التعريب على غير أوزان العرب، مجلة مجمع اللغة العربية ١١/ ٢٠١ــ ٢٠٧.

٢٤ــ محمد كامل حسين، القواعد العامة لوضع المصطلحات العلمية، مجلة مجمع اللغة العربية ١١/ ١٣٧.

٢٥ـــ نفسه، الموضع نفسه.

٢٦ـــ نفسه، ص ١٤١.

٢٧ـــ نفسه ص ١٤١و ١٤٢.

٢٨ـــ عبد الحليم منتصر، مشكلة المصطلحات العلمية والطريقة العملية لحلها، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٣/ ٢٠٣ وسوف نرد دعوى عدم معرفة العرب لهذه الموضوعات؛ في هذا البحث.

٢٩ـــ محمد بهجت البيطار، بين الاشتقاق والتعريب، «البحوث والمؤتمرات» مؤتمر المجمع سنة ٠/ ١٩٦١، ص ٩٣.

٣٠ـــ نفسه ص ٩٦.

٣١ـــ مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة مط الأميرية ١٩٥٩، ١١/ ١٤٨ـــ ١٤٩.

٣٢ـــ إبراهيم مدكور، في اللغة والأدب، اقرأ، القاهرة، دار المعارف سنة ١٩٧١م، ص ٩٧.

٣٣ـــ شوقي ضيف، مجمع اللغة العربية في خمسين عاماً، القاهرة سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ١٣٠.

٣٤ـــ مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، ٢/ ٤٩.

٣٥ـــ مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية ٥/ ٩٧.

٣٦ـــ مجلة مجمع اللغة الأردني ٢/ ١٧٤.

٣٧ـــ مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد سنة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م، ١٧/ ٢٩ وما بعدها.

٣٨ـــ جميل الملائكة، في مستلزمات المصطلح العربي، مجلة المجمع العلمي العراقي، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ٢٤/ ٩.

٣٩ـــ مذكرة حول المصطلحات البترولية ـــ جيولوجيا وكيمياء، مجلة المجمع العلمي العراقي، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ٢٥/ ٣٣٤ـــ ٣٥٣.

٤٠ـــ محمود السمرة، تجربة مجمع اللغة العربية الأردني في تعريب العلوم، مجلة

مجمع اللغة العربية الأردني، العدد المزدوج ١٥ــ ١٦ (ربيع الأول ــ رمضان) سنة ١٤٠٢هـ، ص ٩٦.

٤١ــ ندوة الرموز العلمية وأشكال الحروف العربية، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد المزدوج ١٩ــ ٢٠ (ربيع الأول ــ رمضان ١٤٠٣هـ) ص ٢٣١ وما بعدها.

٤٢ــ انظر اعتراض الدكتور عادل جرار، في المرجع السابق ص ٢٤٥ــ ٢٤٦ وكذلك اعتراض الدكتور جابر الشكري في بحثه بعنوان: «المصطلح الكيميائي ــ مشاكله وحلولها» مجلة المجمع العلمي العراقي مج ٣٩ ج١ ص ١٥٨ وما بعدها.

٤٣ــ نزيه حماد، معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، هيرندون سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص٢٢٦.

٤٤ــ نفسه ص ٢٨١.

٤٥ــ تاج العروس (كثب).

٤٦ــ لم نشأ أن نثقل البحث بأقواله. وللتوسع في ذلك انظر: نفوسه سعيد، تاريخ الدعوة إلى العامية في مصر، ط١، دار المعارف، سنة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤ م،ص١٢١.

٤٧ــ أنيس فريحة، نحو عربية ميسرة، بيروت ١٩٥٥ م،ص ١٣.

٤٨ــ محمد رشاد الحمزاوي، أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي ١٩٨٨ م، ص ٣٣٧.

٤٩ــ انظر عن التحيز اللغوي في الدراسات الغربية، حمزة بن قبلان المزيني، التحيز اللغوي، الأبحاث مج ٤٣، سنة ١٩٩٥ ص ٥٢.

٥٠ــ جون ليونز، مدخل إلى اللغة واللسانيات، ترجمة حمزة بن قبلان المزيني، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، مج ١٤، ج١ سنة ١٤٠٧هـ ،ص ١٩٦.

٥١ــ نفسه ص ١٩٦.

٥٢ــ نفوسه زكريا سعيد، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، ص ١٠٤.

٥٣ــ جميل الملائكة، في مستلزمات المصطلح العلمي، مجلة المجمع العلمي

العراقي، بغداد، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ٢٧/ ٩٦.

٥٤ـ محمد كامل حسين، اللغة والعلوم، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٦٠م، ١٢/ ٢٤.

٥٥ـ للحرف في اللغة ١٢ معنى ذكرها القزاز القيرواني في كتابه «العشرات» تحقيق يحيى عبد الرؤوف جبر، عمان، ط٢، ١٩٨٤م، ص ٧١.

٥٦ـ المقتطف، ج ٣٣ يوليو سنة ١٩٠٨ ص ٥٦٥.

٥٧ـ مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية ٥/ ٩٧.

٥٨ـ محمد يوسف حسن، المصطلح الجيولوجي، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٣٢/ ١٠٣.

٥٩ـ مثل طلق = Tcle وعقيق = Agate وعرق = Erg، ولابه = Lava وسيف = Seif، ورق = Reg ومرمر = Marble وجرول = Gravel.

٦٠ـ محمد يوسف حسن، «ثراء اللغة العربية بأصول المصطلحات الجيولوجية»، مجلة مجمع اللغة العربية ٣٣/ ٩٦.

٦١ـ المرجع نفسه ص ٩٧ وما بعدها، وانظر فيما يخص هذا الموضوع، علي السكري وزايد محمد زايد «المصطلحات العربية في علوم الأرض»، مجلة مجمع اللغة العربية ٤٠/ ١٤٦ وما بعدها.

٦٢ـ عبد الله يوسف الغنيم، منتخبات من المصطلحات العربية لأشكال سطح الأرض، ط١ الكويت شركة المطبعة العصرية ومكتبتها سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤ م، ص ١٠.

٦٣ـ انظر على سبيل المثال: محمد رضا الشبيبي، تراثنا القديم من المصطلحات، مظانه ومصادره، ومعجم المصطلحات المهنية الواردة في كتاب الأنساب، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٤/ ٥٣ ـ ٧٣.

ـ حسين كامل الصيرفي، «علماء البحار العرب واصطلاحاتهم البحرية»، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٢٤/ ١٤٢ـ ٤٩.

ــ جلال شوقي، «مصطلحات علم الحركة لدى علماء العرب»، مجلة مجمع اللغة العربية ٣٦/ ١٧١ــ ١٩٥.

ــ محمد عبد الله عنان، «جغرافية الأندلس والمصطلحات الجغرافية في الأندلس»، مجلة مجمع اللغة العربية ٣٥/ ١١ ــ ٢٠.

٦٤ــ انظر على سبيل المثال: عبد العزيز بن عبد الله، «المعجم الصوفي»، الرباط المكتب الدائم لتنسيق التعريب، بلا تاريخ.

ــ عبد العزيز بن عبد الله، «المعجم الفقهي المالكي»، الرباط، المكتب الدائم لتنسيق التعريب سنة ١٩٦٥م.

ــ محمود شيت خطاب، «المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم»، بيروت، دار الفتح سنة ١٩٦٦م. و«معجم فقه ابن حزم الظاهري»، دمشق لجنة موسوعة الفكر الإسلامي جامعة دمشق سنة ١٩٦٦م.

ــ نزيه حماد، معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، هيرندون، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١١هــ/ ١٩٩٣م.

ــ حسين علي محفوظ، معجم الموسيقى العربية، بغداد، وزارة الثقافة والإرشاد، سنة ١٩٦٤ ويعلم في قسمه الأول المصطلحات العربية القديمة.

ــ محمود مصطفى الدمياطي، معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس للزبيدي، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م وغيرها.

٦٥ــ بيتر نيو مارك، دليل الترجمة، ترجمة،محمود إسماعيل صيني، الرياض، دار العلوم، سنة ١٤١٥هــ/ ١٩٨٥م ،ص ٨٩.

٦٦ــ المرجع نفسه ص ٢٩١.

٦٧ــ الترجمة، قضايا ومشكلات وحلول، الرياض، مكتب التربية العربي لدول الخليج العربية سنة ١٤٠٥هــ، ج١، ص ٢٩.

الكتب والمجلات المهداة
إلى مكتبة مجمع اللغة العربية
في الربع الثاني من عام ١٩٩٨

أ - الكتب العربية

خير الله الشريف

- **ابن يعيش النحوي**: دراسة / د.عبد الإله نبهان- دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٧.
- **أبطال المغامرة: الشاطر العبقري علي البصري**/بول تيتيبز؛ ترجمة: ربا الخش- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧ .
- **أتح لطفلك بداية أفضل**/ مايكل هاو، هاريت جريفي؛ ترجمة: جميل الضحاك- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧- (سلسلة: دراسات اجتماعية ٣١).
- **أثر الحضارة العربية الإسلامية في الفكر الغربي**/ د. عبد الجبار ناجي، د. عبد الواحد ذنون- بغداد: بيت الحكمة، ١٩٩٧- (سلسلة: المائدة الحرة ٥).
- **٢٢ كتاباً في كتاب** / عبد المعين الملوحي- ط١- بيروت: دار الكنوز الأدبية، ١٩٩٦.
- **الاحتفال بمرور خمسة قرون على وفاة عالم البحار العربي أحمد بن ماجد** / مجموعة من الباحثين- دمشق: المجلس الأعلى للعلوم، ١٩٩٥ .

- **أسبوع العلم الخامس والثلاثون** / مجموعة من الباحثين- دمشق: المجلس الأعلى للعلوم، ١٩٩٥- خمسة كتب .

الكتاب الأول يتضمن: كلمات الافتتاح والختام والعلوم الاقتصادية .

الكتاب الثاني يتضمن: دراسات وبحوث العلوم الأساسية .

الكتاب الثالث يتضمن: دراسات وبحوث العلوم الزراعية والطب البيطري .

الكتاب الرابع يتضمن: دراسات وبحوث العلوم الطبية والصيدلانية وطب الأسنان .

الكتاب الخامس يتضمن: دراسات وبحوث العلوم الهندسية .

- **استشراف مستقبل الاقتصاد العربي في ظل المتغيرات الدولية** / د. حميد الجميلي- بغداد: بيت الحكمة، ١٩٩٧- (سلسلة: المائدة الحرة ٢).

- **أشعار اللصوص وأخبارهم** / عبد المعين الملوحي- ط٢- بيروت: دار الحضارة الجديدة، ١٩٩٣-٣ مجلدات.

- **أشغال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته**/ مجموعة من الباحثين- تونس: الجامعة التونسية، ١٩٧٩- (سلسلة : الدراسات التاريخية 1).

- **أشياء ضائعة: قصص قصيرة** / لؤي علي خليل- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧- (سلسلة: قصص وروايات عربية ٨٢).

- **أصداء النضال العربي في شعرنا المعاصر** / أحمد سعيد هواش- ط١- دمشق: دار طلاس، ١٩٨٥.

- **الأصل العربي الصحيح لعدد من الكلمات الإسبانية** / د. بوعلام بن حمودة- الجزائر: دار الأمة، ١٩٩١.

- **الالتزام والبيئة في القصة السورية: أدب إلفة الإدلبي نموذجاً** / سحر شبيب - ط١ - دمشق: الندوة الثقافية النسائية، ١٩٩٨ .

- **ألفاظ اللهجة الكويتية في كتاب لسان العرب** / د. يعقوب يوسف الغنيم- الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، ١٩٩٧ .

– **الأماكن، أو: ماتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة** / الحازمي، أعده: حمد الجاسر – الرياض: دار اليمامة، ١٤١٥هـ – مجلدان .

– **أناتول فرانس**/ شفيق جبري – ط ١– دمشق: دار قتيبة، ١٩٩٧.

– **الإنسان ذلك المظلوم**/ عبد المعين الملوحي – ط ١ – دمشق: ١٩٩٢ – (سلسلة: من الأدب الذاتي ٣).

– **أنشتاين ويتياردي شاردان: في الذكرى العاشرة**/ مجموعة من العلماء؛ ترجمة: محمد حسن إبراهيم – دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧ – (سلسلة: العلوم ٢٨).

– **البيليوغرافيا الوطنية المغربية: الكتب والدوريات**/ الخزانة العامة للكتب والوثائق – الرباط: ١٩٩٦.

– **البيت الذي شيده سويفت** / غريغوري غورين؛ ترجمة وتقديم: ثائر ديب – دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧– (سلسلة: مسرحيات عالمية ٤٣).

– **تاريخ ابن قاضي شهبة** /حققه: عدنان درويش – دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٩٧ – المجلد الرابع.

– **تاريخ مدينة دمشق** / ابن عساكر؛ تحقيق: سكينة الشهابي – دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٩٧ – المجلد ٣٥ – ٣٦.

– **كتاب تحفة الترك** / نجم الدين الطرسوسي؛ دراسة وتحقيق وترجمة: محمد منصري – دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٩٧.

– **التربية في الجمهورية العربية السورية** / وزارة التربية– دمشق: ١٩٩٧.

– **تعليم الطب في المشرق الإسلامي: نظمه ومناهجه**/ د. مريزن عسيري – مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤١٢هـ .

– **تقنية التصوير ومواده** / الياس زيات – ط ٣ – دمشق: جامعة دمشق، ١٩٩٧.

– **تكافؤ الفرص التربوية: دراسات** / عدد من الباحثين الفرنسيين؛ ترجمة:د. فاطمة الجيوشي – دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧ –

(سلسلة: دراسات فكرية ٣١).

- **ثلاث شخصيات طريفة في الإسلام** / عبد المعين الملوحي - ط ١ - دمشق: دار الملوحي، ١٩٩٦.

- **كتاب الجراثيم** / ابن قتيبة؛ حققه: محمد جاسم الحميدي؛ قدم له: د. مسعود بوبو - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧ - قسمان - (سلسلة: إحياء التراث العربي ١٠٥).

- **جماليات موسيقى الأفلام** / صوفيا ليسا؛ ترجمة غازي منافيخي - دمشق :وزارة الثقافة، ١٩٩٧ - (سلسلة: الفن السابع ١٨).

- **الحب بين المسلمين والنصارى في التاريخ العربي** / عبد المعين الملوحي - ط ١ - بيروت: دار الكنوز الأدبية، ١٩٩٣.

- **حكم النبي محمد** / ليف تولستوي؛ ترجمة: سليم قبعين؛ تقديم وتعليق: عبد المعين الملوحي - ط ٢ - دمشق: دار الملوحي، ١٩٩٧.

- **الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي** / د.مريزن عسيري - ط١ - مكة المكرمة: مكتبة الطالب الجامعي، ١٩٨٧.

- **دراسة عن شوقي: محاضرات ألقيت في كلية الآداب** / شفيق جبري - ط ١ - دمشق: دار قتيبة، ١٩٩٧.

- **دفاع عن أبي العلاء المعري** / عبد المعين الملوحي - ط ١ - بيروت: دار الكنوز الأدبية، ١٩٩٤.

- **دفاع عن اللغة العربية والتراث العربي** / عبد المعين الملوحي - ط ١ - دمشق: دار الملوحي، ١٩٩٥.

- **دليل عمادة البحث العلمي** / جامعة الإمام محمد بن سعود- الرياض: ١٩٩٤.

- **دليل مطبوعات الجامعة حتى نهاية عام ١٤١٤ هـ** / مراجعة وفهرسة: عبد الحميد حسنين حسن - الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٩٩٥.

- **رحلة ابن حمادوش الجزائري** / تحقيق: د. أبو القاسم سعد الله - الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ١٩٨٣- (سلسلة: رحلات ومذكرات ١).

- **رحلة إلى أوربا على صخور صقلية** / شفيق جبري - ط١- دمشق : دار قتيبة، ١٩٩٧.

- **سأفتح باباً لعطرك أو للرياح: شعر** / ناصر زين الدين - دمشق : وزارة الثقافة، ١٩٩٧.

- **سحر وأشياء أخرى** / جان ماري غوستاف لوكلوزيو؛ ترجمة: عماد محمود موعد - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧ - (سلسلة: القصة القصيرة العالمية ١٩).

- **سوناته لكروتزر** / ليدن تولستوي؛ ترجمة: صياح الجهيم - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧ - (سلسلة: الأعمال الأدبية الكاملة ١٨).

- **سيمياء براغ للمسرح: دراسات سيميائية** / عدد من المؤلفين؛ ترجمة وتقديم: أدمير كورية - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧ - (سلسلة: دراسات نقدية عالمية ٣١).

- **السينما التجريبية: تاريخ ومنظور مستقبلي** / جان متري؛ ترجمة: عبد الله عويشق - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧ - (سلسلة: الفن السابع ٢٠).

- **سينما الغرب الأمريكي** / عدد من المؤلفين؛ ترجمة:د. رياض عصمت - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧- (سلسلة: الفن السابع ١٩).

- **الشعراء الذين رثوا أنفسهم قبل الموت** / عبد المعين الملوحي- ط ١- بيروت: دار الحضارة الجديدة، ١٩٩٢.

- **شعر ابن الهبارية** / حققه: د. محمد فائز سنكري طرابيشي؛ تقديم: د. محمد حموية - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧ - (سلسلة: إحياء التراث العربي ١٠٤).

- **صاعداً إلى الطوفان: شعر** / عبد الكريم عبد الرحيم - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧.

- **الصحافة السورية ماضيها وحاضرها ١٨٧٧ - ١٩٧٠** / هاشم عثمان - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧ - (سلسلة: دراسات

اجتماعية ٣٢).

- **الصورة - الحركة، أو: فلسفة الصورة** / جيل دولوز؛ ترجمة: حسن عودة - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧ - (سلسلة: الفن السابع ١٧).

- **طبع الإسكندرية** / أبو العشائر بن جميع؛ تحقيق: د. مريزن سعيد عسيري، د. سعد عبد الله البشري - مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٩٩٧.

- **عبد المعين الملوحي أمير شعراء الرثاء** / شاهر أحمد نصر- ط ١ - بيروت: دار الكنوز الأدبية، ١٩٩٦.

- **العراق ودول الجوار غير العربي** / د. حسيب عارف العبيدي - بغداد: بيت الحكمة، ١٩٩٧ - (سلسلة: المائدة الحرة ٤).

- **علم الطب: أهميته، وشرفه، ومعاييره الأخلاقية عند المسلمين** / د. مريزن عسيري - مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤١٦هـ .

- **عمدة الطبيب في معرفة النبات** / أبو الخير الإشبيلي؛ تحقيق: محمد العربي الخطابي - الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٩٠ - قسمان - (سلسلة:التراث).

- **غراميات مضحكة** / ميلان كونديرا؛ ترجمة: معن عاقل - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧ - (سلسلة: القصة القصيرة العالمية ٢٠).

- **فرسان الكلمة: دراسات في الأدب** / أحمد سعيد هواش - دمشق: دار مجلة الثقافة، ١٩٨٨.

- **فصول في العقيدة** / د. عبد الرسول الغفاري؛ تقديم: محمد حسين فضل الله- ط١- بيروت: دارالمحجة البيضاء، ١٩٩٢.

- **الفلسفة وإشكاليات النهضة العربية** / بكري محمد خليل- بغداد: بيت الحكمة، ١٩٩٧- (سلسلة: المائدة الحرة ٣) .

- **فهرس المخطوطات الموجودة بالمكتبة المركزية** / مجموعة من المختصين- جدة: مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبد العزيز، ١٩٨٤ - ١٩٩٧ - ١٢ مجلداً.

- **في البحث عن جذور الشر** / أحمد حيدر - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧ - (سلسلة: دراسات فكرية ٣٠).

- **قاعدة الاصطلاح المولد** / عبد القادر الفاسي الفهري - الرباط: معهد الدراسات والأبحاث والتعريب، ١٩٩٦ - (سلسلة : تقارير ووثائق رقم١).

- **القافلة: رواية للفتيان** / فيلهيلم غاوف؛ تعريب: عياد عيد - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧.

- **الكتابة السينمائية** / بيير مايو؛ترجمة: قاسم المقداد - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧ - (سلسلة: الفن السابع ٢٢).

- **اللحظات المسروقة: قصص** / د. زهير غزاوي - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧ - (سلسلة: قصص وروايات عربية ٨٠).

-**لوحة المسرح الناقصة: أبحاث ومقالات في المسرح** / وليد إخلاصي - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧- (سلسلة: دراسات نقدية عربية ١٨).

-**المجمع العلمي في خمسين عاماً ١٩٤٧ - ١٩٩٧** / إعداد: سالم الآلوسي - بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٩٧.

-**المجمعيون في العراق ١٩٤٧ - ١٩٩٧** / إعداد: صباح ياسين الأعظمي؛ إشراف: د. مسارع الراوي، د.جوامير مجيد - بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٩٧.

- **محاضرات الدورة التدريبية الإقليمية حول البرنامج المهني الأساسي للوقاية من الإشعاع** / مجموعة من الأساتذة - دمشق: هيئة الطاقة الذرية، ١٩٩٧ - ثلاثة أجزاء.

- **محاضرات المجمع في الدورة المجمعية ١٩٩٤ - ١٩٩٥** / د. محمد عبد الرزاق قدورة، د. محمد زهير البابا - دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٩٧.

- **مدخل إلى أصول العلوم عند العرب** / د. محمد سويسي - تونس: جامعة الزيتونة، ١٩٩٧ - (سلسلة: دراسات7).

- **مدخل إلى الديموقراطية: ٨٠ سؤالاً وجواباً** / ديفيد بيتهام، كيفن بويلي؛ ترجمة: أحمد رمو - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧ - (سلسلة: دراسات فكرية ٣٢).

- **مراثي الآباء والأمهات للبنين والبنات** / عبد المعين الملوحي - ط ١ - بيروت: دار الكنوز الأدبية، ١٩٩٦.

- **المرأة المعاصرة** / عبد الرسول الغفاري - ط ٤ - ١٩٨٥.

- **المسالك والممالك** / ابن خرداذبه - ليدن: مطبعة بريل، ١٨٨٩.

- **مسرح ميرخولد وبريخت** / كاترين بليزايتون؛ ترجمة: فايز قزق؛ مراجعة وتقديم: د. نديم معلا - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧.

- **مصطلحات النجارة** / مجموعة من الباحثين - ط ١ - عمان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٩٧.

- **مصطلحات الخراطة** / مجموعة من الباحثين - ط ١ - عمان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٩٧.

- **معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية** / علي جواد الطاهر؛ إشراف: حمد الجاسر - الرياض: دار اليمامة، ١٤١٧ هـ - أربعة أجزاء.

- **معجم المعلوميات** / مجموعة من الباحثين - الرباط: معهد الدراسات والأبحاث والتعريب، ١٩٩٧.

- **ملامح نظرية نقد الشعر العربي** / د. جودت إبراهيم - حمص: ١٩٩٤.

- **من عيون الأنباء في طبقات الأطباء** / ابن أبي أصيبعة؛ اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها: قاسم وهب - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧ - أربعة أسفار - (سلسلة: المختار من التراث العربي ٧٨).

- **من كنوز العرب** / عبد المعين الملوحي - ط ١ - دمشق: دار الملوحي، ١٩٩٦.

- **منهج تحقيق النصوص لكتاب معجم الشعراء من**

تاريخ مدينة دمشق / إعداد: د. حسام الدين فرفور وآخرين – دمشق: معهد جمعية الفتح الإسلامي، ١٩٩٨.

– **مواقف إنسانية في الشعر العربي** / عبد المعين الملوحي – ط١– بيروت: دار الحضارة الجديدة، ١٩٩٢.

– **الموسوعة في علوم الطبيعة** / ادوار غالب؛ قدم لها: فؤاد أفرام البستاني – بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٥ – ثلاثة مجلدات.

– **نحن وأطفالنا** / نخبة من الباحثين؛ ترجمة: جوهر سعد – دمشق: وزارة الثقافة ، ١٩٩٧ – (سلسلة: دراسات اجتماعية ٣٣).

– **نحو تفكير جديد في قضايا الفكر والثقافة والمجتمع** / ياسر الفهد – ط ١ – دمشق: ١٩٩٨.

– **ندوة الدراسة المصطلحية والعلوم الإسلامية** / مجموعة من الباحثين – فاس: معهد الدراسات المصطلحية،١٩٩٣ – مجلدان.

– **نظرية الأدب والمتغيرات** / د. جودت إبراهيم – حمص: ١٩٩٦.

– **نقد نظريات فرويد** / محمد الحسيني الشيرازي – ط ١ – بيروت: مركز الرسول الأعظم، ١٩٩٧.

– **نوح العندليب** / شفيق جبري؛ شرحه: قدري الحكيم – ط ٢ – دمشق: دار قتيبة، ١٩٩٧.

– **الهدنة** / ماريو بينيديتي؛ ترجمة: صالح علماني – دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧ – (سلسلة: روايات عالمية ٥٩).

– **الهوية القومية عبرحقب التاريخ** / مجموعة من الباحثين – بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٩٧.

– **هيتشكوك** / تروفو؛ ترجمة: عبد الله عويشق، حسن عودة – دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧– (سلسلة: الفن السابع ٢٢).

– **الوجه وعذاب الظل** / علي مبارك حميشه – دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧ – (سلسلة: قصص وروايات عربية ٨١).

– **يوميات الأيام** / شفيق جبري – ط ١ – دمشق: دار قتيبة، ١٩٩٧.

ب – المجلات العربية

هالة نحلاوي

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الآداب الأجنبية	٩٣	١٩٩٧	سورية
الأسبوع الأدبي	من ٥٩٤– ٥٩٨	١٩٩٨	سورية
	من ٦٠١– ٦٠٩		
التراث العربي	٦٩، ٧٠	١٩٩٨	سورية
الحياة التشكيلية	٦١– ٦٢	١٩٩٥	سورية
الحياة الموسيقية	١٦	١٩٩٧	سورية
صوت فلسطين	من ٣٥٩– ٣٦٣	٩٧– ١٩٩٨	سورية
الضاد	(١١–١٢) ١٩٩٧ (١–٢) ١٩٩٨		سورية
طبيب الأسنان العربي	٥	١٩٩٨	سورية
عالم الذرة	٥٣، ٥٤، ٥٥	١٩٩٨	سورية
المجلة البطريركية	من ١٧١– ١٧٥	١٩٩٨	سورية
مجلة جامعة البعث	٤ (مج ١٩/ العلوم الأساسية	٩٧– ١٩٩٨	سورية
	والهندسية)، ٢ (العلوم الهندسية)		
المجلة الطبية العربية	١٣٦	١٩٩٧	سورية
المعرفة	٤١٣، ٤١٤، ٤١٥	١٩٩٨	سورية
الموقف الأدبي	٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٣	٩٧–١٩٩٨	سورية
نضال الفلاحين	٧	١٩٩٨	سورية
الأنباء	من ٧٠٧– ٧٢٢	١٩٩٧– ١٩٩٨	الأردن
الدواء العربي	٢	١٩٩٧	الأردن
الشريعة	٣٨٧	١٩٩٨	الأردن
اليرموك	٥٣، ٥٩	١٩٩٧– ١٩٩٨	الأردن
آفاق الثقافة والتراث	١٧، ١٨	١٩٩٧	الإمارات
الكراسات التونسية	مج ٤٨ (١٦٩– ١٧٠)، ١٧١	١٩٩٥	تونس

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
اللغة والأدب	١٢	١٩٩٧	الجزائر
عالم الكتب	مج ١٨ (٦/ ١٩٩٧)، مج ١٩ (١، ٢/ ٩٧- ١٩٩٨)		السعودية
الفيصل	٢٥٨	١٩٩٨	السعودية
المجلة العربية	من ٢٤٨- ٢٥٢	١٩٩٨	السعودية
البيان	من ٣٢٩- ٣٣٣	١٩٩٨	الكويت
عالم الفكر	١، ٢ (مج ٢٦)	١٩٩٨	الكويت
العربي	٤٧٢، ٤٧٣	١٩٩٨	الكويت
الأبحاث	٤٥	١٩٩٧	لبنان
دراسات عربية	١ ، ٢ (١٩٩٧)، ٥، ٦ (١٩٩٨)		لبنان
الدراسات الفلسطينية	١، ٢، ٣، ٤ (١٩٩٠)، ٥، ٦ (١٩٩١)، ١٢ (١٩٩٢)، ١٦ (١٩٩٣)، ٥ ١ (١٩٩٦)		لبنان
الشراع	٨١٤، ٨١٥، ٨١٧، ٨١٨، من ٨٢٠- ٨٢٤ من ٨٢٦- ٨٣٠	١٩٩٨	لبنان
الفكر العربي	٩٠، ٩١	٩٧- ١٩٩٨	لبنان
المستقبل العربي	٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠	١٩٩٨	لبنان
مجلة كلية دار العلوم	٢١، ٢٢	١٩٩٧	مصر
التوحيد	٩٣	١٩٩٨	إيران
الثقافة الباكستانية	٤٥	١٩٩٨	باكستان
مجلة التعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية	مج ١٥ (١٩٩٤) مج ١٦ (١٩٩٥)		تركيا
النشرة الإخبارية لمركز الأبحاث للتاريخ والفنون	٤٣، ٤٤	١٩٩٧	تركيا
إسلامية المعرفة	١١	١٩٩٨	ماليزيا

ج – الكتب والمجلات الأجنبية

سماء المحاسني

1-Books:

-An Arab- Syrian Gentleman and Warrior in The period oF the Crusades, memoirs , of usamah Ibn Munqidh - Tr. by: philip Hitti. - princeton , 1987.

- L'Arabe Vivant / par charles pellat .- paris , 1961.

- Le conseil en Management , Guide pour la profession / par: Bureau International du Travail , Geneve . - Geneve, 1998 (sous la Direction De Millan Kubr).

- La Conversion Des Berberes A L'Islam / par Sadok Bel Ochi.- Tunis, 1981.

- The Cyrus Legend in The Sahname / by Wladyslaw Duleba .- Krakow, 1995 (published by: Polska Akademia Nauk).

- Dictionnaire polyglotte Des Termes D´ Art et D Archeologie / par louis Reau.- paris, 1953.

- Discours Des Lumieres Suivi des Discours des Seigneurs / par J. M. Briceno Guerrero .- France , 1997. (publ. by: unesco).

- le Droit A la philosphie Du point De vue Cosmopolitique / par Jacque Derrida .- Paris, 1997 (publ. by: unesco).

- European Folk - Tales / by laurits Bodker and others . Copenhagen, 1963.

- IL E'tait plusieurs Fois ..., Contes populaires palestiniens / par Ibrahim Muhawi .- paris , 1997 (publ. by: unesco).
- Imagenez De Tunez / par Alfonso De la serna.- Madrid. 1990.
- Islam Our choice / by S. A . khulusi. -England , 1961.
- La Mediterranee et le Moyen - Orient / Par Pierre Birot.- Paris 1956 (Tome (2).
- Rapport mondial sur la communication / par Unesco.- paris 1997.
- Records of The Grand Historian of china / Burton Watsor , Newyork , 1961.
- Relations Culturelles Et L. Espagne et le Monde Arabe/ par Jose Morales .- Madrid , 1960.
- Select Bibliography on Arab Islamic Civilization and its Contribution to human progress/ prepared by Kuwait University . _ Kuwait , 1970.
- Spanish Letters about Almost every thing / Martin Sagera , Madrid , 1997.
- Studien Zum Wortschatz Der Jakutischen übersetzung Des Neuen Testaments / Von Marek Stachowski . _ Krakow , 1995 (publ . by: Polska Akademia Nauk) .
- Study Abroad , 1998 _ 1999/ Unesco . _ Paris , 1997 .
- Sur Quelques Manuscrits De la Bibliotheque De la Mosque De Al _ Qarawiyyin A Fes/ Par J. Schacht _ Paris , 1862.
- l'universite Au Feminin/ Par Unesco . _ Paris, 1997 .

2- Periodicals :

- Ma´arif , Monthly Journal Of Darul Musanne-fin Shibli Academy .
No. (Dec.) 1997.
- Applied Geography and Development A Bi-annual Collection of Recent German Contributions , publ. by : Institute for Scientific Co - operation , Tübingen.
Vols . : 49 , 50 .
- Arab - British Trade , London .
No . (1 & 2) , 1996 .
- Ars Orientalis .
Sponsored by : Freer Gallery of art , Smith-sonian Institution, The Department of the History of Art, university of Michigan, U . S . A .
Vol . 27 , 1997 .
- Boletin De la Aṣociacion Espanola De Orientalistas , Publ .by : Univrersidad Autónoma de Madrid . Ano XXXII , 1996 .
- Bulletin du droit d´auteur , Publ . by : Unesco , paris . Nos . : 1, 2, 3, 1997 .
- Dirasat , An International Refereed Research Journal, Publ . by : The Deanship Of Academic Re-search , University of Jordan .
Vol . 24 , Sharia and Law Sciences , No. 2 , 1997 - Annual Index , 1996.
- Deutschland , Magazine on Politics , Culture and Science , Germany .
No . 1, 1998 .
- East Asian Review , Publ . by: The Institute for East Asian Studies , Seoul , Korea .
No . 4 , 1997 .
- Hamdard Islamicus , quarterly Journal of

Studies and Research in Islam , publ . by : Bait Al - Hikmah and Madinat Al - Hikmah , Pakistan , Karachi .
No . 2 , 3 1997 .
- MESS , isveren Gazetesi , Turkey .
No . 644 , 1993
No . 651 , 1994
No . 685 , 1996
- The Muslim World , Published by : The Duncan Black Macdonald Center at Hartford Seminary , U . S . A .
No . 1 , 1998.
- Orientalia Suecana , Uppsala , Sweden .
Publ . by : Department of Asian and African languages , Uppsala University .
vol . XLV - LVI (1996 - 1997).
- Perspectives , revue Trimestrielle d´éducation Comparée , paris , publ . by : Bureau International D´ Education , (Unesco) .
No . 1 , 2 , 3 , 1997.
-Population Reports,U. S . A.
NO.1, 1997
- Review of International Affairs , Belgrade.
NO. (1063 - 1064), 1997
- Revue internationale des Sciences Sociales, Unesco,paris.
NO. : 149,154.
- Samsung Magazine,Seoul, Korea.
No. 1998.
Das Schweizer Buch,Switzerland.
No. 23,1997
-Sources Unesco,paris.
Nos. : 95,96,1997.

فهرس الجزء الثالث من المجلد الثالث والسبعين

وفيه القسم الأول من بحوث ندوة
(اللغة العربية: معالم الحاضر وآفاق المستقبل)

(من ٢٦حتى ٢٩/ ١٠/١٩٩٧)

(جلسة الافتتاح) (الصفحة)

(البحوث)

(آراء وأنباء)

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٠

- قصيدة في مشكل اللغة وشرحها لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (فصلة) تحقيق عز الدين البدوي النجار
- فهارس شرح المفصل لابن يعيش، صنعة عاصم بهجة البيطار

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩١

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، مج ٤١ تحقيق سكينة الشهابي
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، السيرة النبوية (القسم الثاني) تحقيق نشاط غزاوي
- عبد الله كنون: سبعون عاماً من الجهاد المتواصل في خدمة الإسلام والعروبة للدكتور عدنان الخطيب (فصلة)
- كتاب التنوير في الاصطلاحات الطبية، لأبي منصور الحسن بن نوح القمري تحقيق وفاء تقي الدين

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٢

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٢، تحقيق سكينة الشهابي
- ألوان من التصحيف والتحريف في كتب التراث، تأليف الدكتور صالح الأشتر
- بقية الخاطريات لابن جني (وهي مالم ينشر في المطبوعة) تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي
- حفل تأبين فقيد المجمع الأستاذ أحمد راتب النفاخ ١٩٢٧ - ١٩٩٢م

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٣

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٣، تحقيق سكينة الشهابي
- حفل تأبين الأستاذ المهندس وجيه السمان ١٩١٣ - ١٩٩٢م

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٤

- محاضرات المجمع في الدورة المجمعية (١٩٩٢- ١٩٩٣)

NO. 3 VOL LXX111

REVUE

DE L´ACADEMIE ARABE DE DAMAS

B.P(327)

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٥

- كشف المشكلات وإيضاح المعضلات للباقولي، تحقيق د. محمد أحمد الدالي (أربعة أجزاء)
- النجوم الزواهر في معرفة الأواخر لابن اللبودي، تحقيق مأمون الصاغرجي ومحمد أديب الجادر
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر المجلد ٤٤ تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٦

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر المجلد ٤٥ تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٧

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٧، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي .
- علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب ج٢، دراسة وتحقيق د. مراياتي ، د. مير علم ، د. الطيان.
- محاضرات المجمع في الدورة المجمعية ١٩٩٤- ١٩٩٥ .
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٣٥- ٣٦، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي .

السعر : ٤٠ ل . س داخل القطر مطابع دار البعث

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلّة المجمع العلمي العربي سابقاً »



عدد خاص

الثاني

وفيه القسم ~~الأول~~ من بحوث ندوة

(اللغة العربية: معالم الحاضر وآفاق المستقبل)

(من ٢٦حتى ٢٩/ ١٠/ ١٩٩٧)

جمادى الآخرة ١٤١٩ هـ

تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٩٨م

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

ص.ب ٣٢٧

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي بدءاً من مطلع العام ١٩٩٦م

- ١٦٠ ليرة سورية في الجمهورية العربية السورية
- ١٥ دولاراً أمريكياً في البلدان العربية
- ١٨ دولاراً أمريكياً في البلدان الأجنبية

ترسل المجلة إلى المشترك خارج القطر بالبريد الجوي المسجّل

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

(خطة المجلة):

* إن خطة المجلة التي تلتزمها أن تنشر لكتابها المقالات الأصيلة التي يخصونها بها ويقصرونها عليها.
* المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها.
* ترتيب المقالات يخضع لاعتبارات فنية.
* ينبغي أن تكون المقالات المرسلة إلى المجلة مكتوبة بخط واضح، أو مطبوعة على الآلة الراقنة.
* المقالات التي لاتنشر لاترد إلى أصحابها.
* يرسل الكاتب الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة، مع مقالته، موجزاً بسيرته العلمية وآثاره، وعنوانه.

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق

«مجلة المجمع العلمي العربي سابقًا»



عدد خاص

وفيه القسم الثاني من بحوث ندوة

(اللغة العربية: معالم الحاضر وآفاق المستقبل)

(من ٢٦ حتى ٢٩/ ١٠/١٩٩٧)

جمادى الآخرة ١٤١٩ هـ

تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٩٨م

نحو منهجية للتعريب اللفظي

د. ممدوح محمد خسارة

مقدمة:

يحمل مصطلح (التعريب) في هذا العصر مفهومات عدة هي:

- جعل لغة الإدارة والتعليم هي العربية.
- نقل العلوم إلى اللغة العربية.
- الترجمة.
- وضع المصطلح العلمي العربي.
- نطق الكلمة الأعجمية والتلفظ بها على منهاج العرب وطريقتهم مِمَّا يُلحقها بالكلم العربي، وهو ما يسمى (بالتعريب اللفظي)، أو الصوتي.

وهذا المفهوم الأخير هو مدار بحثنا، وهو ما يعنيه القدماء عند إطلاق المصطلح.

والتعريب بهذا المفهوم قائم على اقتراض كلمة أجنبية - هي على الأغلب مصطلح علمي - واستعمالها بعد تغييراتٍ صوتية فيها، تقرّبها من بنية الكلمة العربية، مما يُسَهِّل اندماجها في أسرة اللغة العربية، ويُطلق على هذا النوع من الكلم اسم (المعرَّب).

أما استعمال الكلمة الأجنبية المقترضة على حالتها في لغتها الأصلية مع احتفاظها بمياسم العجمة التي تُبعدها - بدرجة أو بأخرى - عن بنية

الكلمة العربية، فذلك ما يضعُها في إطار (الدخيل) المهيَّأ للإبعاد من الاستعمال اللغوي، ريثما يعرَّب أو يولَّد له لفظ عربي مقابل.

غدا التعريب اللفظي ضرورة لا غنى عنها في العصر الحديث، بعد تعاظم أهمية الترجمة والنقل إلى العربية. ذلك أن ازدياد الحاجة إلى المصطلحات العلمية وعدم توفر الوقت الكافي أو القدرة اللغوية والعلمية لتوليد مصطلحات عربية مقابلة، جعل التعريب اللفظي مصدراً ميسوراً لوضع المصطلح العلمي. فلقد بيَّنت لنا دراسة عينة إحصائية من أربعة معجمات تخصُّصية، أن نسبة الألفاظ المعربة فيها هي (١٢,٥٪)[١]. وهي نسبة عالية قد تحمل آثاراً سلبية، إن لم نحسن التَّقْعيد لها.

اهتم القدماء (بالمعرب) فألفوا فيه كتباً عديدة انصبّت في معظمها على جمع الكلمات الأعجمية المعَرَّبة وتصنيفها. ولكن مما يلاحظ على هذه الكتب أمران بارزان[٢]:

أ - عدم وجود معايير دقيقة لتقرير عجمة الكلمة. فاعتمدت على أقوال المتقدمين تارة، وعلى معرفة المصنِّفين الشخصية - على تفاوت دقتها - تارة أخرى، وعلى معايير صوتية، في الأقل من ذلك.

ب - عدم التمييز الدقيق بين المعرب والدخيل. بل والمولّد أحياناً فقد

---

(١) هي معجم مصطلحات علمية للدكتور صلاح الدين الكواكبي، ومعجم الرياضيات المعاصرة للدكتور صلاح أحمد ورفاقه، وقاموس الكيمياء لمؤسسة الكويت للتقدم العلمي. ومعجم المصطلحات الأدبية لإبراهيم فتحي.

(٢) لمزيد من التفصيل، ينظر للكاتب. نظرات في كتب المعرب - مجلة التراث العربي ع ٥٩ ص ٦٤.

أحصى بعض الباحثين الكلمات المقترَضة في حرف الباء من (لسان العرب) فتبين له «أن المؤلف غير مستقر على تسمية واحدة لظاهرةِ الاقتراض اللغوي فقد استعمل (١٧) مرة مصطلح (معرّب). و(٨) ثماني مرات مصطلح (دخيل) و(٥) خمس مرات مصطلح (أعجمي)، و(٤) أربع مرات مصطلح (أعجمي معرب) على أنه قد يجمع بين هذه المصطلحات جميعاً في وصف واحد كأن يقال: (دخيل في العربية أعجمي معرّب)[1]».

ومردّ هذا إلى أن الحدود بين هذه الأنواع الثلاثة (المعرَّب – الدخيل المولّد) لم تكن واضحة. فهي – على حد علمنا واطلاعنا – لم تدرس دراسة وافية تميز بعضها من بعض. ولعل ذلك يعود إلى أنها لم تكن لتشكل في ذلك العهد ظاهرة مقلقة، لأمرين: أولاً، لأن اللغة العربية كانت في حالة مدّ وعطاء، كما الحضارة العربية الإسلامية عصرئذ. وثانياً: لأن اهتمام اللغويين إذ ذاك كان منصباً على التمييز بين الكلم الاحتجاجي وغيره، لأنه كان مقياس فصاحة اللفظ وبلاغة العبارة، أما التمييز بين أنواع من الألفاظ كلها غير احتجاجية فلا ينبني عليه أية فوائد عملية تخدم اهتماماتهم.

أما الآن فقد غدت المعرَّبات إلى كثرة مؤذنة بمخاطر، إن لم ننهج (التعريب اللفظي) ليكون أداة مأمونة في التنمية اللغوية، تضاف – عند الحاجة – إلى أدوات التوليد اللغوي الأصيلة في العربية، أعني الاشتقاق بأنواعه والمجاز بأشكاله. ولا يجوز الخلط بين ما هو مولّد أو معرَّب أو دخيل؛ فالمولَّد عربي فصيح، والمعرّب جار على سنن العربية، قابل للاندماج في أسرتها أما الدخيل فاستعماله مؤقت ولضرورة. وبقاؤه يُوهنُ من أسس اللغة.

(١) د. محمد رشاد الحمزاوي – دور التعريب في تطوير اللغة: ٤٠.

إن غياب منهجية واضحة للتعريب اللفظي عند القدماء قد أجاءهم إلى الاختلاف في تعريب الأسماء الأعجمية، وتعدّد صيغها تعدُّداً يذهب الفائدة من تعريبها، لتكون مصطلحاً علمياً موحَّداً بين أهل الاختصاص. وعلى سبيل المثال (فقد عرّبت كلمة (TARA XOCOR) - وهي نبات (اليَعْضيد) - بما ينيف على الثلاثين شكلاً تشترك جميعها، بل تتبارى في الثقل والإغراب، منها (طرخشقون - تلخشكوك - تلحسكوك، طليخم...)[1].

كما أنَّ غياب تلك المنهجية حدا بنا إلى التشوّف إلى منهجية للتعريب اللفظي في العصر الحديث.

منهجية التعريب اللفظي:

توارث المعجمات العربية بعضها عن بعضها الآخر، حدّ التعريب القائل: «تعريبُ الاسم الأعجمي أن تتفوَّه به العرب على منهاجها»[2].

لكن أحداً من اللغويين القدماء لم يحاول أن يبين ما تعنيه كلمة (منهاجها)، التي توحي بجلاء، بأن ثمة (منهاجاً) للتفوه بالألفاظ العربية يطرد عليه التفوه بالألفاظ الأعجمية عند تعريبها.

فما منهاج العرب في التفوه أو التلفظ؟

إننا نرى أنّ ذلك المنهاج هو التزام (النظام الصوتي العربي).

والذي نعنيه بالنظام الصوتي العربي ثلاثة ثوابت هي:

---

(١) د. محمد عمار - المصطلحات الطبية - مجلة مجمع القاهرة ٨: ٤٢.

(٢) الجوهري - الصحاح - عرب. ومثله في اللسان والقاموس والتاج.

الحروف والأصوات العربية.

الإيقاع الصرفي العربي.

البنية الصوتية العربية.

وإن لتحديد هذا النظام الصوتي العربي الشأن الأول في بحث التعريب، لأنه وسيلة التفريق بين ما هو معرّب وما هو دخيل من الكلم المقترَض. فما انضوى تحت هذا النظام حُكِم له بأنه (معرّب)، مما يُدخله في إطار العربية ليصبح جزءاً من ثروتها اللفظية وأدواتها الدلالية، تسري عليه أحكامها، لأنه اندمج فيها نهائياً. أما ما اختل فيه واحدٌ من عناصر النظام الصوتي العربي فسيحكم عليه بأنه (دخيل)، يظل خارج حرم اللغة، لأنَّ من طبائع اللغات ألاّ تقبل إلا ما ينسجم مع قواعدها وضوابطها.

إننا نرى أن تهدّينا إلى هذا النظام الصوتي العربي الذي هو الضابط الأساسي للمعرّب يمكن أن يُعَدَّ إضافة جدية إلى بحوث التعريب، لأنه يضع حدّاً فاصلاً بين المعرب والدخيل، الأمر الذي حام حوله الباحثون السابقون دون أن يقعوا عليه، وطالما غامت الحدود بين هذين النوعين من الكلم.

تتكون مرجعيتنا في تحديد هذا النظام الصوتي العربي من ثلاثة مصادر:

١ -الألفاظ المعربة في عصر الاحتجاج.

٢- أقوال اللغويين والصرفيِّين العرب، القدماء والمحدثين.

٣- المصطلحات المعرَّبة الحديثة التي كُتب لها الرواج والشياع.

وفي محاولة لمعرفة مدى تطابق المعربات الحديثة مع ثوابت النظام الصوتي العربي وعناصره عمَدْنا إلى عينة عشوائية مكوَّنة من مئة كلمة

مقترضة وردت في معاجم حديثة متخصصة. ثم عرَضْنا هذه الكلمات المقترضة على عناصرِ ثوابتِ هذا النظام الصوتي العربي، فوجدنا أن معظمَها قد تحققَّت فيه تلك العناصر، فحكمنا له بالتعريب، وأن القليل منها فاته عنصرٌ أو أكثر، فحكمنا عليه بالدخالة(١).

١- نقل الحروف والأصوات إلى العربية:

يقول (سيبويه) في باب اطراد الإبدال من الفارسية: (يبدلون من الحرف الذي بين الكاف والجيم (الجيم) لقربها منها. ولم يكن من إبدالها بدٌّ لأنها ليست من حروفهم، وذلك نحو (الجُرْبُز والآجر والجَورَب)، وربما أبدلوا (القاف) لأنها قريبة أيضاً، قال بعضهم (قُرْبز) وقالوا: كُرْبَق وقُرْبَق للحانوت.. ويبدلون من الحرف الذي بين الباء والفاء (الفاء)، نحو (الفِرِند والفندق)، وربما أبدلوا (الباء) لأنهما قريبتان جميعاً. قال بعضهم (البِرند) فالبدل مطردٌ في كل حرف ليس من حروفهم، يبدلون منه ما قرب منه من حروف الأعجمية)(٢).

ويقول (السيوطي): «الحروف التي يكون فيها البدل في المعرّب عشرة: خمسة يطرد إبدالها وهي: (الكاف والجيم والقاف والباء والفاء)، وخمسة لا يطرد إبدالها، وهي: (السين والشين والعين واللام والزاي). فالبدل المطرد هو كل حرف ليس من حروفهم كقولهم (كُرْبَج)، الكاف فيه بدل من حرف الكاف والجيم، فأبدلوا منه الكاف والقاف (قُرْبَق)، أو الجيم نحو (جورب)، وكذا (فرند) وهو بين الباء والفاء، فمرة تبدل منه الباء، ومرة

(١) ينظر الملحق (قائمة الكلمات المقترضة). في آخر البحث.

(٢) سيبويه - الكتاب ٤: ٣٠٥- ٣٠٦ وعنه: الجواليقي - المعرب:٥٤- ٥٥.

تبدل منه الفاء. أما مالا يطَّرد فيه الإبدال فكل حرف وافق الحروف العربية كقولهم (إسماعيل) أبدلوا السين من الشين، والعين من الهمزة وأصله (إشمائيل)[١]».

واضحٌ من هذا أن القدماء كانوا حريصين على ألا يدخلوا في حروف العربية ما ليس منها.

على أنهم اختلفوا في طريقة إبدال هذه الحروف، فلم يكن لهم طريقة واحدة في نقلها، كما رأينا في نصَّيْ سيبويه والسيوطي، وزاد الاختلاف بعد النقل من اللاتينية، إذ نقل الحرف اللاتيني (C) إلى الأحرف العربية (ق، ك، ج، س، ح، ن، ش). ونقل الحرف اللاتيني (V) إلى تسعة أحرف[٢].

ولكن مع ذلك فثمة حالة غالبة لنقل كل حرف عند القدماء وهي كما يلي:

H =ء (همزة)	T = ط	c = ق	j = ج
Z= ز	W = و	K = ك	P = ب
	X = ش[٣]	Q = ق	V = ب

ازدادت مشكلات المعرّبين المحدثين عند نقل الحروف والأصوات الأجنبية، وذلك في إطار محاولتهم تقعيد التعريب اللفظي، لازدياد اللغات التي يعرِّبون عنها، وتعدد حروفها وأصواتها.

وقد طغت على معظمهم فكرةٌ مفادها أن اللفظ الأعجمي المعرّب

---

(١) السيوطي – المزهر ١: ٢٧٤.

(٢) د. إبراهيم بن مراد – المعرب الصوتي عند العلماء المغاربة: ٢٢١.

(٣) د. إبراهيم بن مراد – المعرب الصوتي عند العلماء المغاربة، ٢٢١.

يجب أن يُنطق كما ينطق به أهل لغته. «فالقارئ لقرارات (الأعلام) التي أقرَّها المجمع يرى فيها معنى واحداً يجمعها وروحاً واحداً يسيطر عليها هو الحرصُ على أن ينطق أبناء العربية بالأعلام التي ينقلون إلى لغتهم بالحروف التي ينطق بها أهلوها، وقَسْرُ اللسان العربي على ارتضاخ كل لكنة أعجمية لا مثال لها في حروف العرب وتسجيل هذه الغرائب من الحروف برموزٍ اصطلاحية تدخل على الرسم العربي تزيّداً في الحروف وتكثراً»[1].

لكن هذه الفكرة أخذت بالتراجع والانحسار أولاً بأول، بتأثير من الوعي اللغوي العام، ولمنافاتها طبيعة اللسان العربي.

ولتبيان طريقة المحدثين في نقل الحروف والأصوات الأجنبية إلى العربية نعرض لثلاثة أساليب في نقلها: أسلوب مجمع اللغة العربية في القاهرة[2]، (د. محمد شرف)[3] صاحب أول معجم تخصصي حديث هو (معجم العلوم الطبية والطبيعية)، وأسلوب المجمعي (مصطفى الشهابي) الذي قصر نشاطه التعريبي على المصطلح العلمي والزراعي منه خاصة، جامعاً الممارسة العلمية إلى التقعيد اللغوي والنظري[4].

---

(١) أحمد محمد شاكر - مقدمة كتاب (المعرب) للجواليقي: ١٨ وينظر: ساطع الحصري، في اللغة والأدب: ١٣٥- ١٣٧ ود. محمد رشاد الحمزاوي - أعمال مجمع القاهرة: ٢١٣.

(٢) مجمع اللغة العربية: مقترحات لجنة المصطلحات، مجلة مجمع القاهرة ١٦: ٨٣ وينظر د. إبراهيم بن مراد - المعرب الصوتي عند العلماء المغاربة: ٢١٩.

(٣) د. محمد شرف، معجم العلوم الطبية والطبيعية: ٢٥- ٣٠.

(٤) مصطفى الشهابي - المصطلحات العلمية في اللغة العربية: ١٠٦- ١١٥ وينظر

-٧-

	الحرف الأعجمي	المقابل العربي عند			الأمثلة
		[illegible]	المشارقة	[illegible]	
١	C	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
٢	D - [illegible]	د ، ذ	د	د [illegible]	
٣	F	ف	ف		
٤	G [illegible]	[illegible]	[illegible]	غ [illegible]	[illegible]
٥	H	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
٦	CH	[illegible]	ك غ	ج	[illegible]
٧	J	ي [illegible] ج [illegible] خ [illegible]	ي ج	[illegible]	[illegible]
٨	P - [illegible]	ب	ب	[illegible]	[illegible]
٩	PH - [illegible]	ف	–	ف	

د. إبراهيم بن مراد – المعرب الصوتي عند العلماء المغاربة: ٢١٤.

- ٨ -

	الحرف الإغريقي اللاتيني	المقابل الذي عند :			النموذج
		صبح الأعشى	[illegible]	[illegible]	
١٠	K (كابا)	ك	ك، ق	ق	كولونيا [illegible] - Carthago [illegible]
١١	Q	ك (سابقاً ق)	ق	ق	قوينتوس quintus
١٢	T	ت (سابقاً: ط)	ط	ط	طيطوس titus
١٣	TH (θ ثا)	ث، ذ	-	ث	
١٤	S - (σ سيغما)	س، ز، ص	س، ش، ز، ص	س	[illegible]
١٥	V	ف	ف، و	و	[illegible]
١٦	W	و، ف	-	-	
١٧	X	كس، اكس، كز، ج	[illegible] كس	اكس	[illegible]
١٨	Z (زيتا)	ز، تز	-	ز	زون[illegible] [illegible]
١٩	Ψ	بس	...	-	

	الصوت الأجنبي	المقابل العربي عند: مجمع القاهرة	د. صبحي شرف	مصطفى الشهابي	النموذج
١	A (أ)	[illegible]	آ	آ (العامية)	أزوت azote
٢١	U	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
٢٢	I	(كسرة)	–	–	جيب Gibb
٢٣	Â	آ	–	–	لالاند Laland
٢٤	Û	و	–	–	لوفوا Louvois
٢٥	[illegible]	ي	[illegible]	[illegible]	[illegible]
٢٦	[illegible]	[illegible]	–	[illegible]	أكسفورد Oxford
٢٧	EI - AI	[illegible]	–	[illegible]	[illegible]
٢٨	E	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
٢٩	[illegible]	[illegible]	[illegible]	و	[illegible]
٣٠	AE	–	أي	[illegible]	[illegible]
٣١	EU	–	أي	[illegible]	باستور Pasteur
٣٢	[illegible]			[illegible]	[illegible]
٣٣	Y [illegible]			[illegible]	
٣٤	AU - AW			[illegible]	
٣٥	[illegible]			[illegible]	

تمثل هذه المحاولات الثلاث مجمل آراء المحدثين في نقل الحروف والأصوات الأجنبية إلى العربية، وقد جمعت - برأينا - طالحاً إلى صالح، ففيها نظر، ولنا عليها أقوال.

إن أخطر مافي هذه المحاولات مما يجب دفعه أمران:

الأول: إدخال حرفين جديدين إلى العربية هما (الباء الفارسية) التي اقترح لها باء بثلاث نقاط (پ) لتقابل الحرف اللاتيني (P) (والفاء بثلاث نقاط: ڤ) لتقابل الحرفين اللاتينيين (W,V). وأولئك الذين قرروا إدخال هذين الحرفين أو غيرهما إلى لغتنا كانوا يهدفون إلى أن ننطق الكلمات الأجنبية وفق ما ينطقها أهلوها.

ولنا أن نتساءل عمّا ستكون عليه الأبجدية العربية وأصواتها بعد قرن من الزمان؟ فإذا أدخَلْنا من اللاتينية وحدها ثلاثة أحرف أو أربعة[١] فكم يكون علينا أن ندخل من الحروف من لغاتٍ بدأنا بالتعريب عنها كالروسية واليابانية والأردية؟ إنه لن يطول الوقت - والحالة هذه - حتى تصبح أبجديتنا خليطاً من حروف شتى، لأن معظم تلك اللغات تحتوي حروفاً ليست من لغتنا، وأي مدرج صرتي سوف يتسع لكل تلك الحروف والأصوات على بعد ما بينها؟[٢] وليس مفخرةً أن تطوّع حنجرة العربي لاستيعاب أصوات الآخرين فنضيّع -

---

(١) محمود السلاموني - دراسة تفصيلية حول كتابة الأعلام بحروف عربية - مجلة مجمع القاهرة ٢٩: ١٠٣.

(٢) د. أحمد مختار عمر. علم الدلالة: ٢٥٩.

حتى في حال نجاحنا – واحدة من أبرز خصائص لغتنا[١].

لقد ضاق المجمعي مصطفى الشهابي ذرعاً بأولئك الذين «لا ينطقون بالأسماء العلمية المعرّبة إلا كما ينطق بها في اللغات الأوربية، وتساءل منكراً: «فما الذي يجبرهم على التعاجم، ولماذا لا ينطقون بالحرف (o) واواً، زبالحرف (E) ياء، كما في (مكروب microbe)؟ ثم يعلل استنكاره قائلاً: «وعندما يقتبس الأوربيون من العربية كلماتٍ فيها أحرف خَلَت من لغاتهم لا يضيفون إلى تلك اللغات أحرفاً جديدة؛ فالفرنسيون مثلاً عندما فَرنَسوا كلمة (قُبّة) قالوا :(كبة Koubba) بالكاف، و لم يضيفوا حرف القاف إلى لسانهم»[٢].

أما من حيث الممارسة العلمية لنقل الحروف إلى العربية، فقد التزم معظم المعرّبين الحروفَ العربية، فمن مجموع مئة كلمة مقترَضة، أدخل المعربون في ثلاثٍ منها حرفين أجنبيين هما الفاء بثلاث نقاط في كلمة (ڤلا) والكاف الفارسية بمدة فوقها (گـ) في كلمتي (اديوگراف واديوگرام)[٣]، لمقابلة الحرف (G).

إن الذي نراه أن من غير المجدي وضع قواعد صارمة لنقل الحروف إلى العربية، والأسلم أن نقول: ينقل الحرف الأعجمي إلى أقرب الحروف العربية إليه، مع مراعاة طبيعة النطق المعاصرة لذلك الحرف في لغته، فإذا كان

---

(١) د. مصطفى جواد – المصطلحات العلمية والفنية، مجلة المجمع العراقي ٢: ٢١١.

(٢) مصطفى الشهابي. ملاحظات لغوية اصطلاحية – مجلة مجمع دمشق ١/٣٧: ١٠.

(٣) ينظر قائمة الكلمات المقترضة في الملحق: رقم ٦٤، ٦٥، ٩٦.

الحرف (j) ينطق (ياء) في الألمانية كما في (يينا = Jena)، فإنه ينطق (جيماً) في الفرنسية المعاصرة، و(خاء) في الإسبانية كما في (موخاكار Mojakar) كما أن الحرف (CH) ينطق شيناً في الفرنسية، و(تش) في الإنكليزية و(شيناً أو خاء) في الألمانية، وينطق (كافاً) في بعض اللغات[1]. وطالما أدى التقيد الشكلي بنقل الحروف إلى معربات أو دخيلاتٍ ثقيلة وغير مألوفة كنقل حروف كلمة (Kéléopatra) إلى (قَلاوْفِطْرة) بدل (كليوباترة)[2] ونقل (Lybie) إلى (لوبيا) بدل (ليبيا) ونقل حروف (Norwége) إلى (نورباغة) بدل (نروج)[3].

الأمر الثاني: الذي يجب دفعه، هو إدخال حركاتٍ أو أصوات جديدة إلى اللغة العربية. كأن «يرمز للإمالة إلى الكسر بألف صغيرة فوق الياء، وللإمالة إلى الضم بألف صغيرة فوق الواو كما هو مُتَّبع في رسم المصاحف. مثل (فوالتيرا)»[4].

فمن المعروف أن الحركات في العربية ثلاث هي الضمة والكسرة والفتحة، أما الإمالة فهي ليست حركة، وإنما هي «أن ينحى بالفتحة نحو الكسرة والضمة، وبالألف نحو الواو والياء، كما في العين والألف من (عابد) والصاد واللام في (صلاة)[5]» وهي محكومة بعادات صوتية لهجية، وقد تكون متاركَ وآثاراً من اللغة القديمة الأم.

---

(١) مصطفى الشهابي. المصطلحات العلمية: ١٦٦- ١٦٧.

(٢) المصدر السابق: ١٢٧.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) مجمع القاهرة، مقترحات لجنة المصطلحات، مجلة مجمع القاهرة ١٦: ٨٣- ٨٥.

(٥) ابن جني، سر صناعة الإعراب ١: ٥٠-٥٢- ابن عقيل، شرح الألفية ٢: ٤٢٧.

والغرض من وضع رموز لهذه الأصوات إدخال حرف(o) اللاتيني واستبداله بالواو العربية، وإدخال الحرف اللاتيني (é) إلى لغتنا. ولقائل أن يقول: لكننا ننطق فعلاً هذه الأصوات أحياناً في استعمالاتنا اليومية، هذا صحيحٌ، لكن استعمالها خارج القاعدة اللغوية لفترة زمنية محدَّدة شيء، وتقعيدها في العربية شيءٌ آخر، ومَثَلُها في ذلك مَثَلُ كثير من العادات الصوتية اللهجية في البلاد العربية من تفخيم أو ترقيق لبعض الحروف، فهي ظواهر صوتية قد تنتشر خارج إطار اللغة دون أن تقعَّد فتكتسَب الشرعية اللغوية، لأن فتح باب التفصيح لكل ظاهرة صوتية وتأصيلها، سوف يغيّر – على المدى الطويل- خصائص اللغة ويفسد من بنيتها.

ثمة ملاحظتان على هامش هذه القضية تجدر الإشارة إليهما:

١ – «إن مجموع هذه القرارات (قرارات نقل الأصوات الأعجمية إلى العربية) والتعديلات، هي من مبادرة المستشرق الإيطالي (نلّينو)[١] الذي كان – على ما نظن – يحاول تجسيد مقررات مؤتمر كوبنهاجن اللغوي سنة (١٩٢٥)» بوضع نظام دولي لرسم الأصوات ونقلها[٢]، ذلك المؤتمر الذي أوصى بصيغة غير مباشرة بتطبيق المقترحات الداعية إلى اعتماد الحروف اللاتينية ابتداء من ٢٤ يوليو ١٩٢٩ حروفاً دولية بتأييد خاص من المعهد الدولي للتعاون الفكري

(١) د. محمد رشاد الحمزاوي، أعمال مجمع القاهرة: ٢١٦.

(٢) المصدر السابق: ٢١٦.

المنبثق عن جمعية الأمم» [١]، وغني عن البيان أن تلك القرارات إنما وضعت لتخدم فكرة سيطرة اللغات الأوربية وأمّها اللاتينية على ما سواها من اللغات الإنسانية وهي فكرة تخلو من الموضوعية والعلمية.

٢- إن تلك القرارات التي اتخذها مجمع القاهرة وغيره بإدخال حروف أو أصوات جديدة إلى العربية، لم تلق مقاومة من اللغويّين الأزهريين فحسب[٢] بل قد تجاهلها معظم الكتاب العرب، فلم نر من استعملها باطّراد، مما يؤكد عدم انسجامها مع البنية الصوتية العربية.

٢- الإيقاع الصرفي العربي:

اختلف اللغويون والمعرّبون المحدثون حول وجوب التزام الكلمة المعرّبة الوزن العربي أو عدمه، متابعين خلاف القدماء حول هذه المسألة.

إلا أن معظم اللغويين المحدثين لم يضعوا شرط الوزن العربي للمعرّب.

فالمجمعي طاهر الجزائري لم يأتِ على ذكره عندما بيّن ما يجب مراعاته عند التعريب[٣]. أما مجمع القاهرة فقد نشر في مجلته مقالاً ضافياً لمحمد شوقي أمين بعنوان: (جواز التعريب على غير أوزان العرب)، يذهب فيه إلى جواز عدم التزام الوزن العربي. ويعزو مقولته هذه إلى ابن برّي وأبي

(١) المصدر السابق: ١٩٩.

(٢) المصدر السابق: ٢١٦.

(٣) طاهر الجزائري - التقريب لأصول التعريب: ٤٣- ٤٨.

حيان الأندلسي والشهاب الخفاجي وعبد القادر البغدادي[١]. وتحدث المجمعي العراقي طه الراوي عن إلحاق المعرّب بأوزان الكلم العربية فقال: «إن الجمهور من أهل اللغة لا يشترطون ردّ المعربات إلى أبنية اللغة العربية، ولكنهم يستحسنون ذلك إذا جاء بسهولة، لتكون المعربات المقحمة على العربية شبيهة بأوزانها، ولذلك استعملوا (نيروز) أكثر من (نوروز)، لأن (نيروز) أدخل في كلامهم وأشبه به كقيصوم وعيثوم. وبهذا نعلم سُخف ما ذهب إليه بعض المعاصرين المتشدّدين من وجوب إلحاق المعرَّبات بأوزان العرب»[٢].

لكننا نرى أن في عرض المسألة بهذه الصيغة خطأً منهجياً، ذلك أن الكلمات الأعجمية لا توزن أصلاً، لأن الميزان الصرفي وسيلة صناعية خاصة بالعربية الغرض منها تمييز الأحرف الأصلية من الزائدة في الكلمة العربية. ولم يكن الغرض منها أبداً ضبط المعرّبات والتقعيد لها. يقول الشهاب الخفاجي: «إن الأسماء الأعجمية لا توزن لتوقف الوزن على معرفة الأصلي والزائد، وذلك لا يتحقق في الأعجمية»[٣]. «ولذا اتفق جمهور اللغويين على أن حروف المعرَّب كلها أصول»[٤]، بالإضافة إلى ما ذكرنا فثمة أمور تقلّل من أهمية الميزان الصرفي شرطاً للتعريب أهمها:

(١) محمد شوقي أمين – جواز التعريب على غير أوزان العرب، مجلة مجمع القاهرة ١١: ٢٠٠.

(٢) د. أحمد مطلوب – حركة التعريب في العراق: ١٢٠.

(٣) الخفاجي – شفاء الغليل: ٢٣.

(٤) د. مسعود بوبو – أثر الدخيل على العربية في عصر الاحتجاج: ٢٥٠.

أ - إن جلّة اللغويين القدامى لم يستعملوا عبارة (موافقة الوزن العربي) بل (الإلحاق بوزن عربي). وثمة فرق بين أن تكون الكلمة على وزن عربي أو ملحقة به، فالإلحاق لا يعني المطابقة.

ب - إن مسألة الميزان الصرفي مسألة خلافية، حتى عند القدماء، فكثيراً ما اختلفوا حول وزن كلمة واحدة[1].

ج - لم تكن الأوزان العربية محدّدة، بل تركت أبوابها مفتوحة لكل كلمة جديدة ليصاغ لها وزن جديد، حتى لو كانت أعجمية. لقد ذكر سيبويه ثلاث مئة وثمانية أمثلة، وما زال من بعده يزيد على أوزانه حتى بلغت عند ابن القطاع ألفاً ومئتين وعشرة أمثلة.

د - إن مجموع الأوزان التي ذكرها الفارابي في كتابه (ديوان الأدب)، وهو معجم للأبنية العربية - لم تزد على (٢٨٨) وزناً منها (١٦٩) وزناً للثلاثي و(٨٠) للرباعي و(٣٩) للخماسي، وهي الأوزان الأكثر شيوعاً، ومن غير المعقول أن تفي هذه الأوزان بكل مستلزمات التعريب اللفظي.

هـ - إن قولهم عن وزن ما: (إنه ليس في كلام العرب) لا يعني أنه لا يجوز البناء عليه، بل يعني أنه لم يرد عن العرب كلمة على هذا الوزن، ولو وردت لما كان ذلك منكَراً، وهذا ما يفسر تزايد الأوزان الصرفية جيلاً بعد جيل لدواعي ضبط المعرَّبات وتقريبها من الأبنية العربية.

وتأسيساً على ما سبق نرى أن استعمال مصطلح (الوزن الصرفي

(١) ينظر مثلاً: ابن منظور - لسان العرب: أهن. والسيوطي - المزهر ٢: ٣٧٠.

العربي) عند الحديث عن المعربات، ليس صحيحاً. لذلك فإننا نقترح مفهوماً آخر شرطاً من شروط التعريب اللفظي، وهو توفر (الإيقاع الصرفي العربي) للكلمة المعربة.

إن ما نعنيه بالإيقاع الصرفي للكلمة (هو نَسَق تَتَابُعِ حروفِها الساكنة والممدودة وفقَ نظائرها في العربية). ولتوضيح الفرق بين مدلوليْ كل من المصطلحين: الوزن الصرفي والإيقاع الصرفي للكلمة نقول: إن الأبنية (مِفْعال - فِعْلال - تِفْعال) هي على إيقاع واحدٍ وليست على وزنٍ واحدٍ. لأن مصطلح (الإيقاع) يلغي مشكلة الحروف الزائدة والأصلية في الكلمات، ويبقي على جوهر المسألة، وهو ضرورة توافق المعرَّب والأنساق الصوتية العربية. وعملاً بمقولة (الإيقاع الصرفي) هذه، لا يصبح معنى لأن يقال:

إن سِرْداب ملحقة بِشمْراخ	وزنها فِعْلال
وإن قِنْطار ملحقة بِعنقاد	وزنها فِنْعال
وإن سِرْوال ملحقة بِقرْوَاح	وزنها فِعْوال
وإن دِرْياق ملحقة بشِريان	ووزنها فِعْيال[1].

فلم لا تكون هذه الألفاظ كلها على إيقاع (فِعْلال)؟ «بل لعله من المنطقي أن تكون إلا كذلك لجهل الأصلي والزائد فيها»[2].

ومن الإيقاع الصرفي: أوزان الجموع، وأوزان الأفعال، ومقارباتها أو نظائرها. والدليل على جواز القياس على المقارِب والنظير ما جاء عن ابن جني حول تمثيل (أَيْمُن) - ويسمي ابن جني الوزن تمثيلاً - «لا يخلو أن

(١) د. مسعود بوبو - أثر الدخيل على العربية: ١٢٤.

(٢) المصدر السابق نفسه (وإن كان المؤلف يستخدم مصطلح الوزن).

يكون (أفْعُلا أو فَعْلُنا أو أَيْفُلا، أو فَيْعُلا) فيجوز هذا كلُّه لأن بعضه له نظير، وبعضه قريب مما له نظير. ألا ترى أن (أَفْعُلا) كثير النظير كـأَكْلُب وأَفْرُع، وأن (أَيْفُلا). له نظير وهو (أَيْنُق).

وأن (فَعْلُنا) يقارب أمثلتهم، وذلك (فَعْلَن) نحو: خَلْبَن وعَلْجَن.. وأن (فَيْعُلا) أخت (فَيْعَل) كصَيْرَف، و(فَيْعِل) كسيد»[1]. وفي قول ابن جني ما يؤكد أن المهم في تمثيل البناء ليس الوزن بل (الإيقاع) الذي يجمع إلى الأوزان مقارباتِها ونظائرها.

بهذا المفهوم تستقيم أمور كثير من المعربات التي قيل إنها لم تجئ على أوزان العرب نحو: (قُرْبَق) فإن لم يكن في العربية (فُعْلَل)، فإن فيها وزن (مُفْعَل) اسم المفعول من (أفعل)، وهو على إيقاع صوتي واحد مع (فُعْلَل).

وبهذا المفهوم يفتح بابٌ واسع لتعريب الألفاظ دون أن تمس بنية اللغة العربية وثوابتها الصوتية. فما جاء من المقترض وفق الأنساق الصوتية للمفردات العربية كان لها نظائر في العربية وكان بالتالي على الإيقاع العربي - حكم له بالتعريب، وما لم يجئ على إيقاع عربي فَقَدَ شرطاً يبعده من التعريب اللفظي ويدخله في إطار الدخيل.

إن الذين رفضوا اشتراط الوزن في المعرَّبات لم يزيدوا على أن حلّوا نصف المشكلة، أما نصفها الآخر فهو اقتراح (البديل) عن هذا الوزن، إذ لا يصح ألاّ يكون ثمة ضابطٌ ما، ينظم نسَقَ الأصوات التي

(١) ابن جني - الخصائص ٣: ٦٨ - ٦٩.

تقبلها الأذن العربية أو ترفضها ليكون دليلاً لنا في قبول أو رفض كلمةٍ ما من المعربات.

ونتوصل إلى ضبط إيقاع المعربات باعتبار حروف الكلمة المعرّبة كلها أصولاً، فتقابَل الأحرف الثلاثة الساكنة الأول منها بالفاء والعين واللام، ويقابل الحرف الزائد بتكرير لام – كما هي الحال في وزن الكلمات العربية – وتترك أحرف المد على حالها، كما تترك الزوائد التي قد تلحق الكلمة العربية على حالها، كتاء التأنيث وياء النسبة، والياء المشددة مع الهاء الخاصة بالمصدر الصناعي. إن نسق تتابع الحروف الساكنة وحروف المد في هذه الشروط يعطي الإيقاع العربي للكلمة. قد يتطابق هذا الإيقاع مع الميزان الصرفي والأبنية العربية، وقد لا يتطابق، لكنه لايتعارض والبنية الصوتية العربية.

في ضوء هذا المفهوم نتساءل: إلى أي مدى التزم المعربون المحدثون ما سميناه بالإيقاع الصرفي العربي؟

بالعودة إلى (قائمة الكلمات المقترضة)، وجدنا أن ما التزم الإيقاع الصرفي العربي منها هو (ثلاث وسبعون) كلمة، عددْناها من المعربات مثل كلمة (كاثود) المعربة، إيقاعها الصوتي (فَاعُول) ونظيرها العربي (راقود) وكلمة (أَيُون) إيقاعها (فَعُول) ونظيرها صَبور، وكلمة (أكاديمية) إيقاعها الصرفي (فعاليلية) ونظيرها (خماسينية)[1].

٣– البنية الصوتية العربية:

---

(١) ينظر رقم ١٩، ٥٦، ٩٧ من قائمة الكلمات المقترضة في الملحق.

ما نعنيه بالبنية الصوتية العربية هو مجموعة الخصائص النطقية للغة العربية ولا يخفى تأثرنا - هنا - بمفهوم (الفارابي) ومصطلحه، إذْ يقول عن اللسان العربي. «فبي مباني باين فيها جميع اللغات من إعرابٍ أوجده الله له، وتأليف بين حركة وسكون حلاّه به، فلم يجمع بين ساكنين أو متحركين متضادين، و لم يلاق بين حرفين لا يأتلفان ولا يعذب النطقُ بهما...»[1] .

هذه البنية مرتبطة بطبيعة العادات الصوتية الفطرية لدى الإنسان العربي. ولذا لم نر في لغة الاحتجاج خروجاً عنها، ومدارُها كلها على الاستثقال والاستخفاف، لأن «العرب تميل عن الذي يلزم كلامَها الجفاء إلى ما يليّن حواشيه ويرقّها»[2] .وبهذه الصفة الفطرية يختلف مفهوم البنية الصوتية عن مفهوم الإيقاع أو الوزن العربيّين، اللذين هما وسيلتان صناعيتان لضبط حروف الكلمات العربية أصيلها وزائدها، أو لتقريب الكلمات غير العربية من العربية، وسلكها في عقدها بأكبر قدر ممكن من الانسجام. وطالما كانت هذه البنية من وسائل التفريق بين ما هو عربي وما هو أعجمي من الكلم. لقد كان لَحْظُ تنافرٍ بين حروف كلمة ما من أهم الدلائل على عجمتها بل أهمّه. قال (الجواليقي) في «باب ما يعرف من المعرّب بائتلاف الحروف: لم تجتمع الجيم والقاف في كلمة عربية، فمتى جاءتنا في كلمة فاعلم أنها معرّبة، من ذلك (جلويق وجرندق). ولا تجتمع الصاد والجيم في كلمة عربية، من ذلك (الجص والصنجة والصولجان، ونحو ذلك. وليس في

---

(١) الفارابي - ديوان الأدب ١: ٧٢.

(٢) الفارابي - ديوان الأدب ١: ٧٢.

أصول أبنية العرب اسم فيه نون بعدها راء نحو: نرجس، وليس في كلامهم زايّ بعد دال إلا دخيل، ومن ذلك: الهنداز والمهندز، أبدلوا الزاي سيناً، فقالوا: المهندس»[1].

إن ما ورد عن القدماء والمحدثين حول البنية الصوتية للكلام العربي، يجعلنا نحصرها في خمسة عناصر هي:

- عدّة حروف الكلمة العربية.
- ائتلاف حروفها.
- ائتلاف حركاتها.
- عدم جواز التقاء ساكنين فيها.
- بدؤها بحرف متحرك.

ومدار هذا كله على الخفة والثقل في النطق كما قدمنا.

إن تحديد البنية الصوتية للعربية هو من الأهمية بمكان، لأنه من الأدلة الهامة في الحكم على الكلمة المقترضة إن كانت معرّبة أو دخيلة، فما دخل تحت هذه البنية فهو معرّب، وما لم يدخل تحتها فهو دخيل على العربية.

سوف نعرض لكل عنصر من عناصرها بحسب مفهوم اللغويين له ثم نقفي بتبيان مدى التزام المعرّبين المحدثين به.

آ – عدّة الحروف في الكلمة العربية:

قال الخليل بن أحمد: «ليس للعرب بناء في الأسماء ولا الأفعال أكثر من خمسة أحرف، فمهما وجدت زيادة على خمسة أحرف في فعل أو اسم

---

(١) الجواليقي – المعرب: ٥٩، ولا يعني هذا أن أحكامه هذه كلها صحيحة.

فاعلم أنها زائدة على البناء وليست من أصل الكلمة مثل: (قرعبلانة)، إنما أصل بنائها (قرعبل)، ومثل (عنكبوت)، إنما أصل بنائها (عنكب)[١] .

واضحٌ من كلام الخليل أنه يعني به مجردات الكلم فحسب. أما سيبويه فقد حدّد عدد حروف الكلمة مجرّدها ومزيدها في (باب عدّة ما يكون عليه الكلم)، قال: «فالكلام على ثلاثة أحرف وأربعة أحرف وخمسة، لا زيادة فيها ولا نقصان والخمسة أقل من الثلاثة في الكلام، فالثلاثة أكثر ما تبلغ بالزيادة سبعة أحرف، وهي أقصى الغاية والمجهود، وذلك نحو: (اشهيباب)، فهو يجري على ما بين الثلاثة والسبعة والأربعة تبلغ هذا نحو: (احرنجام)، ولا تبلغ السبعة إلا في هذين المصدرين. وأما بنات الخمسة فتبلغ بالزيادة ستة نحو: (عَضْرَفوط). ولا تبلغ سبعة كما بلغتها الثلاثة والأربعة، لأنها لا تكون في الفعل فيكون لها مصدر نحو هذا. فعلى هذا عدة حروف الكلم، فما قصر عن الثلاثة فمحذوف، وما جاوز الخمسة فمزيد فيه»[٢] . ولابن خالويه استدراك ليس بشيء[٣] .

نخلص من هذه الأقوال إلى أن عدة حروف الكلمة العربية لا تقل عن ثلاثة ولا تزيد عن سبعة، فإن قلّت وجب زيادة حرف لتضعيف أحد حروفها، كما ذهب القدماء عند تعريب (صَكْ) الفارسية المؤلفة من حرفين - إلى (صكّ) بتضعيف الكاف[٤] .

---

(١) الخليل بن أحمد - العين ١: ٤٩.

(٢) سيبويه - الكتاب ٤: ٢٣٠.

(٣) ابن خالويه - ليس في كلام العرب: ٢٠ - ٢١.

(٤) طاهر الجزائري - التقريب لأصول التعريب: ٤٨.

وإن زادت وجب حذف بعضها، ليصار بها إلى سبعة أحرف أقصى ما تبلغه الكلمة العربية.

ومن المناسب أن نؤكد مرة أخرى أن حروف المعربات كلها أصول، إذ ليس فيها مجرد ومزيد، وأن نُبيِّن أن زيادة علامات التأنيث أو النسبة أو المصدر الصناعي أو الجموع، لا تعدّ من الزوائد المخلّة بعدة حروف الكلمة العربية لأنها زيادات عارضة فلا تعطى حكم الثابت من الحروف. إن كلمة مثل (استبداد) مؤلفة من سبعة، ولكنها قد تصبح عشرة في صيغة المصدر الصناعي (استبدادية)، وقد تصبح أحد عشر حرفاً في جمعه جمع سلامة (استبداديات)، مثلاً.. نُنبه إلى هذا لأننا رأينا في الكلمات المقترضة معرّبات جاوزت سبعة أحرف، لكن هذه الزيادات لم تخرجها عن إيقاع الكلمات العربية و لم تجعلها دون نظائر في لغتنا.

ويُعَلِّل ابن جني هذه الخاصية بقوله: «وعُلِمَ أيضاً أن ما طال وأملّ بكثرة حروفه لا يمكن فيه التصرف ما أمكن في أعدلِ الأصول وأخفّها وهو الثلاثي»[1]. وأشار ابن جني في موضع آخر إلى استكراه العرب «ذوات الخمسة لإفراط طولها فأَوْجَبَت الحالُ الإقلالَ منها، وقبضَ اللسان بها، إلا فيما قَلّ وندر»[2]، لقد أظهر كلام ابن جني العلاقة بين عدد حروف الكلمة وقابليّتها للتصريف. وهي علاقة تناسب عكسي، إذ كلما قَلّت حروفها زادت تصريفاتها. وهذه ملاحظة يجب ألا تغيب عن أذهاننا عند التعريب.

---

(١) ابن جني - الخصائص ١: ٦٩.

(٢) المصدر السابق ١: ٦١ - ٦٢.

وبالعودة إلى قائمة الكلمات المقترضة وجدنا أن الكلمات التي جاوزت عدة حروف الكلمة العربية (اثنتان وعشرون) كلمة، مثل (أراكيدونيك، إيكولوجية، أسيلوغراف، أسكليروسكوب، أبستمولوجيا...»[1]، ولذا عدَدْناها دخيلةً في العربية. أما الكلمات التي التزمت عدة حروف الكلمة العربية مع زياداتها العارضة فهي (ثمان وسبعون) أي بنسبة ٧٨٪ مثل (تِنْس) لكرة المضرب، (أَبيرِيَه)، لنوع من شجر الزينة، (أرستقراطية، أطلس، أكتود،...)[2].

وقد عددنا هذه الكلمات معربة ما لم يختل فيها عنصر من عناصر البنية الصوتية، لم نجد كلمة مقترضة قلت أحرفها عن ثلاثة.

ب – ائتلاف الحروف:

ائتلاف أحرف الكلمة العربية من أهم خصائص البنية الصوتية العربية.

كان بحث ائتلاف الحروف وتنافرها موضع دراسات للقدماء والمحدثين، بل قلّما خلا منه كتاب لغوي[3].

إنَّ خلوَّ الكلمة من الحروف المتنافرة شرط من شروط فصاحتها وعروبتها، وهو من خصائص اللسان العربي «الذي لم يُلاقِ بين حرفين

(١) ينظر ملحق قائمة الكلمات المقترضة رقم: (٣، ١٣، ٢٦، ٣٥، ٥٨).

(٢) ينظر ملحق قائمة الكلمات المقترضة رقم: (٤٨، ٧٢، ٥٤، ٦٦، ٣٨، ٨٠).

(٣) ينظر مثلاً: الخليل بن أحمد – العين ١: ٥٧، وسيبويه – الكتاب ٤: ٤١٧–٤٤٥ والجاحظ، البيان والتبيين ١: ٦٩، وعبد الله أمين – الاشتقاق: ٤٣١ وما بعدها.

لايأتلفان ولا يعذب النطق بهما، أو يشفع ذلك منهما في جرس النغمة وحسن السمع كالغين مع الخاء، وكالقاف مع الكاف، والحرف المطبق مع غير المطبق، مثل تاء الافتعال مع الصاد والضاد في أخوات لها، والواو الساكنة مع الكسرة قبلها، والياء الساكنة مع الضمة قبلها»[1] .

وأهم أسباب ائتلاف الحروف هو تباعُد مخارج الحروف في الكلمة، إذ من المعروف أن مخارج الحروف هي أماكن تشكل الصوت في جهاز النطق لدى الإنسان، وهي تبدأ من أقصى جهاز النطق وهو الحلق، وتتدرج خارجة إلى الشفاه مارة بعدة مواضع، وكلما تباعدت مخارج حروف الكلمة كان نطقها أسهل، وكلما تقاربت كان نطقها أصعب وأشق[2] ، وفصَّل ابن جني الأمرَ في موضع آخر فقال: «فقد تحصَّل لنا أن الحروف في التأليف على ثلاثة أضرب: أحدها تأليف الحروف المتباعدة وهو الأحسن، والآخر تضعيف الحرف نفسه، وهو يلي القسم الأول في الحسن، والآخر تأليف الحروف المتجاورة وهو دون الاثنين الأولين، فإمّا رُفِض أو قَلَّ استعماله»[3]. وتجدر الإشارة إلى أن بعض الحروف تأتلف مع غيرها متقدِّمة عليه، وتتنافَرُ معه متأخرة عنه، فالدال مثلاً تتنافرُ مع الصاد متقدمة عليها، فلا يقال: (دص) في حين تَأْتَلف معها متأخرةً عنها، فيقال (صد).

إن خاصية ائتلاف الحروف في الكلمة العربية، هي التطبيق العملي

---

(١) الفارابي – ديوان الأدب ١: ٧٢.

(٢) ابن جني – سر صناعة الإعراب ١: ٦٥ والخصائص ٢: ٢٢٧.

(٣) ابن جني – سر صناعة الإعراب ٢: ٨١٦ .

لقانون الاقتصاد اللغوي لأن «توفير الجهد اللغوي لا يعني قلة حروف الكلمة، بل يعني قبل ذلك خلوَّها من التنافر»[١].

وثمة تنافر آخر بين الحروف يتأتى بالانتقال من الحروف المستعلية إلى الحروف المستفلة أو المنخفضة، وهو علة الإبدال الصرفي في العربية.

ومما يلحق بالتنافر الثقل ولو كان خفيفاً، فقد قال العرب (صِبْيَة وقِنْيَة) بالياء، وكان قياسها (صِبْوَة وقِنْوَة)[٢]، وما ذلك لِتنافرٍ، إذْ لا تنافرَ بين الباء والواو، ولا بين النون والواو، لكنهم أحسوا ثقلاً فاستحسنوا الهرب إلى الياء تخفيفاً، ومن الثقل التضعيف، ولهذا أبدلوا أحد حرفي المضعف ياء في قولهم (تَظَنَّيْت) وأصلها: (تَظَنَّنْت)، و(أَمْلَيْت) وأصلها: (أَمْلَلْت)[٣]. يقول سيبويه: «اعلم أن التضعيف يَثْقُل على ألسنتهم، وأن اختلاف الحروف أخفُّ عليهم من أن يكون من موضع واحد»[٤]، ومن الثقل أيضاً تكرارُ حرف واحدٍ في الكلمة، يقول ابن جني: «ألا ترى أنك لا تجد في الكلام نحو (فِفِعْل) ولا (فُعُعْل)، ولا شيئاً من هذا الضرب لم نذكره»[٥].

وثمة حالات تنافر خفية خاصة ببعض الحروف في بعض المواضع، كاللام في أول الصيغة الرباعية (فَعْلَل)، فهي تأتلف مع غيرها من حروف

---

(١) د. مسعود بوبو – أثر الدخيل على العربية: ١٣٠.

(٢) ابن جني – الخصائص ١: ١٣٧.

(٣) المصدر السابق ٢: ٢٣١.

(٤) سيبويه – الكتاب ٤: ٤١٧.

(٥) ابن جني – الخصائص ٢: ٦٥.

الكلمة مكرَّرة، وتتنافر مع غيرها منفردة، ولـذا فهـي لم تـرد في الربـاعي إلا مكررة، نحو (لَمْلَم) ولعل هذا ما دفع القدماء إلى تعريب (لَشْكر) الأعجميـة إلى (عَسْكر)، و(لَنْكَر): مرساة السفينةإلى (أنجر)، لأن اللام لا توجـد هكـذا في مثلِه من الرباعي في نحو:(لَجْلَج)[١].

ونعرض فيما يلي جدولاً يبين الحروف المؤتلفـة والمتنـافرة في العربيـة، لخص فيه واضعه (إبراهيم بن محمد بن دنينير)المتوفى (٦٣٥)هـ، كل حالات تنافر الحروف، وهو يغني عن ذكر كل القواعد الفضيلية الأخرى حول هـذا الموضوع[٢].

(١) طاهر الجزائري – التقريب لأصول التعريب: ٣٤.

(٢) الجدول عن: د. حسان طيان – تنافر الحروف ودورانها في نسج الكلمة العربيـة: ١٠٢.

= ٢٢ =

جدول ابن [illegible] (١)

ث لا تأتلف	ذ	ز	ص	ض	ظ	س	بتقديم ولا تأخير	
ذ لا تأتلف	ث	ز	ط	ظ	ص	ض	س	بتقديم ولا تأخير
ز لا تأتلف	ث	ذ	ص	ظ	س	بتقديم ولا تأخير		
ص لا تأتلف	ث	ذ	ز	ط	ظ	س	ض	بتقديم ولا تأخير
ض لا تأتلف	ث	ذ	ص	ظ	ط	س	ش	بتقديم ولا تأخير
ط لا تأتلف	ث	د، ذ	ز	ظ	ص	ض، ج	س	بتقديم ولا تأخير
خ لا تأتلف	ح	ع	غ	بتقديم ولا تأخير				
ح لا تأتلف	خ	[illegible]	بتقديم ولا تأخير					
ج لا تأتلف	ق	[illegible]	ظ	غ	بتقديم ولا تأخير			
ع لا تأتلف	[illegible]	ح	خ	غ	بتقديم ولا تأخير			
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	

هذه الحروف لا تأتلف التي [illegible]	[illegible] الحروف التي تليها [illegible]	[illegible]	[illegible]
ذ	ش، غ	[illegible]	[illegible]
ز	ش، ض	[illegible]	[illegible]
ص	ج، ش	[illegible]	[illegible]
ض	ق	فضيم	[illegible]
د	س	صدر	درس
ط	ز	زط	[illegible]
د	ز، ض	[illegible]	[illegible]
ط	ج، ق، ش	[illegible]	[illegible]
ز، س، ظ، ص، ث، ذ	ش	[illegible]	[illegible]
ظ	ج، غ	[illegible]	[illegible]
ذ، ق	غ	[illegible]	[illegible]
ث	ش	[illegible]	[illegible]

ومما يتوارد إلى الذهن أن تنافر الحروف قد يكون مفروضاً في بعض الكلمات مادمنا نقرب من كلمات أجنبية ربما تفرض علينا حروفها بترتيبها في لغتها، لكننا نرى أنه لا شيء يمنع من تبديل حرفٍ من الحرفين المتنافرين من كلمة إلى أقرب الحروف غير المتنافرة، أو حذف أحدهما، إذْ لا شيء يلزم المعرب بالتزام جميع حروف الكلمة الأجنبية، وكان القدماء قد غَيَّروا (نوروز) إلى (نيروز)، طلباً للخفة، مع أنه لا تنافر بين حروف (نوروز)، «لأن (نيروز) أدخل في كلامهم وأشبه»[1]، على أن المعوَّل عليه في تنافر الحروف وائتلافها ليس هو الجذور العربية، بل الكلمة العربية المركَّبة، فقد لا نجد جذراً مؤلفاً من أحرف معينة، لكننا نجد كلمات مركبة جمعت بين تلك الأحرف، فمثلاً الأحرف (ر س ت) لم ترد في جذر عربي، إلا أنها وردت في كلمة مركبة مثل: (رست السفينة)، ومثلها (ج ر ت)[2].

وبالعودة إلى جدول الكلمات المقترضة وجدنا حالة واحدة من التنافر هي كلمة (ترانز ستور)[3]، إذْ من المعروف أن السين لا تعاقب الزاي بتقديم ولا تأخير، ويُفَضل في مثل هذه الكلمة حذف أحد الحرفين، لتجاوزها عدة حروف الكلمة العربية أيضاً، على أن فيها خروجاً عن البنية الصوتية العربية، ولم نجد من حذَفَ أو بدّل تخلصاً من حروف متنافرة، مع أن بعض المعربين أبدل ما لا ضرر من عدم إبداله فقال: (سبودنك) بدل (سبوتنك

---

(١) السيوطي - المزهر ١: ٢٩١.

(٢) د. أحمد مختار عمر - الشريان واضع المنهجية للمعجم العربي - مجلة مجمع القاهرة ٥٥: ٩٠ عن (سر الليال للشدياق: ٥).

(٣) ينظر رقم (٢٢، ٥٠) من ملحق قائمة الكلمات المقترضة.

sputnic)[1]. وقلة حالات التنافر بين الحروف التي لم تزد نسبتها عن ١٪ من الكلمات المقترضة، تدل على أن تنافر الحروف قليل - أصلاً - في اللغات التي عرّبنا عنها حتى الآن.

ج - ائتلاف الحركات:

الحركة جزء من بنية الكلمة العربية، وهي ذات قيمتين: تعبيرية وصوتية، فالقيمة التعبيرية التفريق بين المعاني، نحو (عَبَد، عُبِد)، والقيمة الصوتية تسهيل النطق بالأحرف الساكنة، إذْ يتعذر نطق حرفين ساكنين متصلين.

إلا أن هذه الحركات التي وجدت لتسهيل النطق وخفته قد تغدو أداة ثقل إذا تنافرت وهذا التنافر قد يكون بين الحركات نفسها أو بين الحركات والأحرف الصائتة، وحالات التنافر بين الحركات هي:

١. **الضمة قبل الواو في الاسم**: يقول ابن جني في (التصريف الملوكي): «ليس في كلام العرب اسم آخره واو قبلها ضمة، وإنما ذلك في الفعل نحو: (يدعو ويغزو)»[2].

٢. **الحركتان المتضادتان**: ونعني بهما الكسرة والضمة، إذ لم يرد الانتقال من الكسر إلى الضم في العربية لثقله، ولهذا انعدم بناء (فِعُل) في

(١) ينظر رقم (٢٢، ٥٠) من ملحق قائمة الكلمات المقترضة.

(٢) ابن جني - التصريف الملوكي: ٧٥ - ٧٦.

أبنية الثلاثي[١]، وحتى لو وجد حاجز بين الكسر والضم، فإن الثقل يظل بادياً كما في كلمة (زئبُر).

٣. الواو الساكنة المكسور ما قبلها، والياء الساكنة المضموم ما قبلها: يقول الفارابي عن خصائص اللسان العربي: «فلم يجمع بين الواو الساكنة مع الكسرة قبلها، ولا الياء الساكنة مع الضمة قبلها»[٢]، وقريبٌ من هذا في الثقل تحريك الواو والياء وقبلهما الفتحة، إذْ هو مكروه إلا عند الضرورة، يقول سيبويه: «هذا باب ما بني على (أَفْعِلاء)، وأصله (فُعَلاء).. وذلك سَرِي وأَسْرِياء، وأَغنياء وأشقياء.. وإنما حرفوها عن سُرَوَاء وغُنَياء ولأنهم يكرهون تحريك الياء والواو وقبلهما الفتحة إلا أن يخافوا التباساً في: رعيا وغزوا ونحوهما»[٣].

٤. اجتماع أربعة متحركات: يقول سيبويه: «ألا ترى أنه ليس في كلامهم اسم على أربعة أحرف متحرك كلمة»[٤]، وإذا وجدنا فإن ذلك يعني أن ثمة حرفاً محذوفاً كما في (عُلَبِط)، فإن أصلها (عُلاَبط)[٥]، وهو قطيعُ الغنم، وقال الفارابي: «والشيء الذي تتوالى فيه أربع حركات أو نحو ذلك يسكن بعضها»[٦]، جاء في (كتاب ليس) لابن خالويه: «ليس في

---

(١) سيبويه – الكتاب ٤: ١٧٣.

(٢) الفارابي – ديوان الأدب ١: ٧٢.

(٣) سيبويه – الكتاب ٤: ٣٩٢.

(٤) المصدر السابق: ١٩٢ .

(٥) المصدر السابق: ٤: ٢٨٩.

(٦) السيوطي – المزهر ١: ٣٤٢.

كلام العرب اسم على (فَعَلَل) إلا حرف واحد (عَرَتَن)، نبات، وذلك أنه لايجمع أربع متحركات في اسم واحد استثقالاً، حتى يحجز بين المتحركات بالسكون»[1].

وبالعودة إلى قائمة الكلمات المقترضة وجدنا أربع كلمات وقع فيها تنافر في: الحركات مما ذكرناه عن المتقدمين، وكانت كلها من النوع الأول من التنافر، أي ورود واوٍ مضموم ما قبلها في آخر الكلمة، وهي (الهِيبُّو – أكَاجو – ألُّو – كازينو)[2]. ولعل الشهابي أحس هذا التنافر في كلمة (أكاجو)، فوضع لها تعريباً آخر هو (أكاجة) لكلمة (acajau). وقد أخرج هذا التنافر تلك الكلمات الأربع من دائرة المعرَّب إلى دائرة الدخيل.

٥.**منع التقاء الساكنين في الكلمة:** من خصائص اللسان العربي أنه لم يجمع فيه بين ساكنين[3]، وللتخلص من التقاء الساكنين أوجد العرب ما يسمى بالحركة غير اللازمة أحدهما – ولو كانا في كلمتين نحو: (قُمِ الليل)، إذ هرب من سكوني الميم وأل التعريف، بكسر الميم[4]. لكنْ ثمة حالتان يمكن فيهما التقاء الساكنين في العربية وهما:

– إذا كان الساكن الأول حرفَ عِلَّةٍ والثاني صحيحاً مدغماً نحو شابَّة ودابَّة «لأن الإدغام أنبى اللسان عن المثلَيْن نبوة واحدة، فصارا لذلك

---

(١) ابن خالويه – ليس في كلام العرب: ٢٨.

(٢) ينظر ملحق قائمة الكلمات المقترضة: رقم ٣١، ٧٠، ٧٦، ١٠٠.

(٣) الفارابي – ديوان الأدب ١: ٧٢.

(٤) ابن جني – الخصائص ٢: ٣٣٢.

كالحرف الواحد، فإن تقدَّم الصحيح على المعتل لم يلتقيا حشواً نحو: ضروُبْ وضريْبْ»(١).

- إذا جاء الساكنان في آخر الكلمة، «وذلك لأن آخر الكلمة أَحْمَلُ لهذا النحو من حشوها، ألا تَراكَ تجمع بين الساكنين وهما صحيحان في نحو: بَكْرْ وحِجْرْ وجِلْسْ»(٢).

وقد التزم المتقدِّمون من المعرِّبين مَنْعَ الجمع بين ساكنين يقول الجزائري: «ومن ثم قالوا (أَبْزَن) تعريب (آبْ زن) (وهو الحوض).

والمتأخرون منهم لم يلتزموا ذلك، ومن ثم قالوا (راهْنَا مَج) في تعريب (راه نامه) [لدليل الطرق في البحر]. ولا ريبَ في أن التخلُّص من الساكنين إذا تيسر فهو أولى وأليق بلسانِ العرب»(٣). لكننا نرى أن التخلص من الساكنَيْن ليس مسألة لياقةٍ بقدر ما هو ضرورةٌ لمراعاة خاصية من خواص العربية، وآيتُنا في ذلك أننا لم نجد كلماتٍ عربية جُمِع فيها بين ساكنين سوى ما قدَّمنا من تينك الحالتين. ثم إن الجمع بين ساكنين في كلمة واحدة مما يُخْرِج تلك الكلمة عن الإيقاع العربي تماماً، لأننا لن نجد لها نظائرَ في لغتنا في الأسماء أو الأفعال.

وتبدو هذه القضية مهمة في العصر الحاضر لأننا نقترض من لغاتٍ يقبل نظامُها الصوتي مثلَ هذا الجمع. وقد تسلَّلت كلماتٌ جُمِع فيها بين

---

(١) المصدر السابق ٢: ٤٩٦، أي قد يلتقيان آخراً عند الوقف.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) طاهر الجزائري - التقريب لأصول التعريب: ٢٥.

ساكنين، إلى مصطلحاتٍ جهاتٍ لغوية رصينة، فقد علّق مصطفى الشهابي على تعريب مجمع القاهرة لكلمتَيْ (لالانْد وأكسفورْد) فتساءل كالمُسْتنكِر إنْ كان المجمع قد أقرَّ التقاءَ الساكنين؛ وفضَّل تعريبَها إلى (لالَنْد وأكسفُرد) تجنُّباً لذلك(١). وكانت هذه المسألةُ مدارَ جدلٍ في المجمع نفسه، حيث أفتى المجمعي محمد علي النجار «بأن العرب كانوا يتساهلون في مثلِ هذا ويَسْمحون بالتقاء الساكنَيْن، ولكنْ من المستحسن تركُ هذا، وإنْ كان لا حرجَ فيه»(٢).

على أنه يمكن التخلُّص من هذه الحالة بإحدى وسيلتَيْن:

- بحذفِ حروفِ المدِّ من الكلمة الأجنبية عند تعريبها واستبدال الحركات بها كما فعل الشهابي في الكلمتين السابقتين إذْ حذف الألف من الأولى والواو من الثانية وعَوّض كلاً منها بحركة مناسبة.

- بالتعريبِ عن لغةٍ أقربَ إلى العربية. فثمةَ كلماتٌ أجنبية في اللغات الأوربية رسمُها واحد لكنَّ نطقَها مختلف مثل: (Fibrine وmicron) اللتين تُنْطَقان (فايْبْرين، مايْكْرون) في الإنكليزية بالتقاء الساكنين، و(فِبْرين ومِكْرون) في الفرنسية دونه(٣)، ولعلَّ التعريب عن الفرنسية في مثل هذه الحالة يخلِّصنا من مشكلة التقاء الساكنين، وكان الشهابي اقترح على المجمع

---

(١) مصطفى الشهابي - كتابة الأعلام الأجنبية - مجلة مجمع دمشق ٣٩/٣: ٣٦١.

(٢) المصدر السابق ٣١/ ٣: ٥١٤.

(٣) مصطفى الشهابي - ملاحظات على رسم بعض المعربات - مجلة مجمع دمشق ٣١/٣: ٥١٤.

«ترجيحَ النُّطقِ السهلِ وهو الفرنسي فيما تماثَل من الألفاظ»(١)، وإنْ كان المجمع لم يتخذ قراراً في هذا الشأن. وقريبٌ من هذا قولُ المجمعي الدكتور هيثم الخياط: «والذي نراه أنَّ من الخير اختيارَ اللفظ الأسهل بين مختلف اللغاتِ الأجنبية لنقله إلى العربية بأخفٍّ ما يمكن على اللسان العربي، فنقول مثلاً في مصطلح الكيمياء (هِدْرُكْسيد) لا (هَايْدْروكسيد)»(٢) .

ومن الغريب أن بعضهم عرَّب (بَزْمُوث) إلى (بزْمَث)(٣)، مع أنه لا داعي لتغييرها، في حين تُركت كلمة مثل (هايدروكسيد) على حالها.

وبالعودة إلى قائمة الكلمات المقترضة تبين لنا أن نسبة الكلمات التي لم يُراعَ فيها تجنُّب التقاء الساكنين بلغت (٢٦٪) وهي أعلى نسبةِ خَرْقٍ للبنية الصوتية العربية. ومنها (أسكورْبيك، بيروقْراطية، دايْنود، أبوسْترُوف، تكنولوجْيا، دينا تْرون..)(٤)، وليس يصعب أبداً التخلص من هذا المحظور بالوسيلة التي ذكرنا كأن نقول (بيرُقْراطيَّة) بحذف الواو. وقد وجدنا في قائمة الكلمات المقترضة كلمة لجأ فيها المعرِّب إلى حذف الحرف الصائت تجنُّباً لالتقاء الساكنين وهي كلمة (كِشْك) تعريباً لكلمة (Kiosque)(٤).

---

(١) مصطفى الشهابي – المصطلحات العلمية في اللغة العربية: ١٥٠.

(٢) د. هيثم الخياط – المصطلحات ونظرية الضرورة – الموسم الثقافي الأردني السابع: ٣٩.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) ينظر الأرقام (٤، ١١، ٢٤، ٦٢، ١٥، ٢٣، ٩٩) من قائمة الكلمات المقترضة.

هـ - البدء بمتحرك:

من القواعد الصوتية للعربية أنَّ «الحرف الذي يُبدأ به لا يكون إلا متحركاً»[١].

يقول ابن جني في باب الساكن والمتحرك: «... فإنَّ أول الكلمة لا يكون إلا متحركاً، وينبغي لآخرها أن يكون ساكناً»[٢]. وكان أستاذُه أبو علي الفارسي قد تشدَّد في إفساد إجازة ابتداءِ العرب بالساكن، مع أنه لم يَسْتوحش منه في كلامِ العجم. وحجَّةُ أبي علي في ذلك «أن العرب قد امتنعت من الابتداء بما يُقارِب حال الساكن، وإن كان في الحقيقة متحركاً، يعني همزةَ بينَ بينَ، قال: فإذا كان بعضُ المتحرِّك لمضارعته الساكن لا يمكن الابتداءُ به، فما الظنُّ بالساكن نفسِه؟»[٣]. ومن المعروف أيضاً أن اللسان العربي قد وضع همزة الوصل للتخلص من الابتداء بالساكن كما في الأسماءِ العشرة (ابن - اثنان..) وأمرِ الثلاثي وماضي الخماسي والسداسي وأمرِهما ومصدرِهما.

وبناء على هذا قال معظم اللغويين المحدثين بمراعاةِ تجنُّبِ البدء بالساكن، إمَّا بزيادةِ همزةٍ في أول الكلمة الأجنبية المبدوءة بساكن، أو بتحريكِ الحرف الأول منها. وكان القدماء استعملوا هاتين الوسيلتَيْن فقالوا في (Grec): إغريق، وفي (Spain): إسبان وإسبانيا، وقالوا في (Granada):

(١) السيوطي - المزهر ١: ٣٤٣.

(٢) ابن جني - الخصائص ٢: ٣٣١.

(٣) ابن جني - الخصائص ١: ٩١- ٩٢.

غَرْناطة، وفي (Ptolomy): بَطْليموس[١].

يقول طاهر الجزائري: «إذا وقَعَ في الكلمة الأعجمية الابتداءُ بساكنٍ، وجب على المعرب إزالةُ ذلك بتحريكِ ذلك الساكن في أوله بزيادة همزةٍ قبله. ولا يجوز إبقاؤه على حاله لأنَّ اللغة العربية لا تحتمل ذلك»[٢].

وقد لاحظنا أن الهمزة التي تزاد في المعربات كانت همزةَ قطعٍ بدليلِ نطقها سواءٌ أوردَتْ في أول الكلام أم في دَرْجه؛ وهي بهذا تختلف عن همزة الوصل، كما لاحظنا أنَّ تحريك الحرف الأول الساكن كان إلى حركة مجانسةٍ للحرفِ الثاني من الكلمة غالباً.

لكننا وجدنا من المعربين المحدثين من حاول تسويغَ خرقِ هذه القاعدة الصوتية والبدء بالساكن، إذ يقترح الدكتور أحمد شفيق الخطيب جوازَ الابتداء به قائلاً: «وهو أمرٌ ليس بالغريب على اللهجات العربية قديماً وحديثاً. إن الابتداء بالساكن في كثيرٍ من الألفاظ المعرَّبة يحتمه ضبطُ تأديةِ المسمَّيات كما يلفظُها الناس في معظمِ أنحاء العالم فنقول: كْلورات وكْروم وغْرافيت وبْراون.

أما إضافةُ حرف الألف عند تعريبِ الألفاظ الإفرنجية التي تبدأ بساكن أو تحريكُ الحرفِ الساكن نفسه فهما تحريفُ لا مسوِّغَ له يُبعد منطوقَ اللفظ عن صورته وبيئته الأصلية فـ (Brown) هو بْراون لا إبْراون ولا

(١) د. محمد شرف - معجم العلوم الطبية والطبيعية: ٣١.

(٢) طاهر الجزائري - التقريب لأصول التعريب: ٢٥ وينظر د. أحمد مطلوب - حركة التعريب في العراق: ١٢٠.

بَرَاون..[1]» ولعلَّ في إشارته إلى اللَّهجات القديمة الـتي تجيز البـدء بالسـاكن تأثُّراً بما قدَّره بعضُ الباحثين المحدثين من أن العربية مرَّت بمرحلةٍ كـانت تبـدأ فيها بالساكن وتقف على المتحرك[2].

على أن هذا الذي أنكره الخطيبُ هو الذي تُقُبِّـل لـدى المحدثـين فقـد عـرَّب – مثـلاً – رفاعـة الطهطـاوي (١٨٧٣م) اسـم العلـم (Brésil) إلى (أَبْرزيل)[3]، بزيادة همزة للتخلص من الساكن أولاً، وإنْ كـان لم يَـرُجْ هـذا التعريب فقد راج الشكلُ الآخر لتعريبها وهـو (بَرازيـل)، بتحريـك الحـرف الأول. وهذان الشكلان لا يخرجان عن طريقـةِ العـرب للتخلُّـص مـن البـدء بالساكن عند التعريب.

وللدكتور هيثم الخياط رأيٌ وسط، فهو «لا يرى حاجـةً لبـدء بعـضِ الكلمات المعربة بألفٍ تفادياً للبدء بساكن، بل يكتفـي بـالاختلاس في نطـق هذا الحرف الساكن»[4]، وهو رأي يذكِّرنا بظاهرة (الـرَّوْم) في العربيـة، ولا نتوقع له قَبولاً.

صحيحٌ أن البدء بالساكن ليس مِمَّا يتأبَّى على النطق العربي، مَثَلُـه في ذلك مَثَلُ التقـاء السـاكنين، لكنَّـه مِمـا ينـأى بالكلمـة مـن خصـائص البنيـة

(١) د. أحمد شفيق الخطيب – معجم المصطلحات العلمية: ٧٤٧.

(٢) عبد الله العلايلي – مقدمة لدرس لغة العرب: ١٦٠.

(٣) د. إبراهيم بن مراد – المعرب الصوتي عند العلماء المغاربة: ١٩.

(٤) د. هيثـم الخيـاط – المصطلحـات ونظريـة الضـرورة – الموسـم الثقـافي الأردنـي السابع: ٣٩.

الصوتية العربية والإيقاع الصوتي لها، ويجعلها بالتالي خارجَ إطار العربية، ولا يرشِّحُها للاندماجِ مستقبلاً في تضاعيف اللغة، لتصبحَ وسيلةً من وسائلِ تكثيرها وازديادها.

وبالعودة إلى قائمة الكلمات المقترضَة وجدنا أن الابتداء بالحرف الساكن قد وقع في ثماني كلمات – من مجموع أربع عشرة كلمة أجنبية بُدِئت بحرفين ساكنين – وهي: غْرافيت، جْرافيت، بْلاجيوكاز، تْرانزستور، بْراكسيس (بمعنى عَمَل أو ممارسة)، بْراغماتية، سْبودنك[1] .

مجمل القول: لقد كان التزامُ تلك الثوابتِ الثلاثة: الحرفِ العربي والإيقاعِ الصرفيّ العربي والبنية الصوتية العربية بعناصرها الخمسة والتي سمَّيناها معاً (النظام الصوتي العربي) هو الركنُ الأساسي الذي قامت عليه طريقةُ المحدثين في التعريب. ولقد تبيَّن لنا من قائمة الكلمات المقترضة أن اثنتين وستين كلمةً من مجموع مئة الكلمة قد التزَمت هذه الثوابت فعددناها معربة، في حين خالفت ثمان وثلاثون كلمة منها بعضَ تلك الثوابت أو عناصرِها فعدَدْناها دخيلة.

وبعد: فإننا نُرجح أن ما عنيناه بالنظام الصوتي العربي هو ما عناه المتقدمون بعبارة (مِنْهاج العرب في الكلام) عندما حَدُّوا التعريبَ بقولهم: «هو أن تَتَفَوَّه العربُ بالكلمةِ الأعجمية على مِنْهاجها»[2] . لكن أخذاً لم

---

(١) ينظر الأرقام: ٢٢، ٥٠، ٥٧، ٥٩، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩٠ من قائمة الكلمات المقترضة.

(٢) الجوهري – الصحاح: عرب.

يبيِّن بالضبط ماذا يعنون بكلمة (منهاجها) التي ظلت تُتناقَل على غموضها، مِمَّا دعانا إلى محاولةِ تقديرِ ما كانوا يعنون بعبارتهم العامَّة اللاّمحدودة تلك، فقادَنا التقديرُ إلى أنَّ ذلك المنهاج ما هو إلا هذا النظامُ الصوتي للعربية بثوابته الثلاثة. وهي محاولةٌ أردنا لها أن تكون موضوعيةً توخّياً لصحةِ نتائجها. فإن لم تكن كذلك في بعضِ جوانبها، فلعلّها تفتح باب البحث الجدّي في المسألة.

= ٣٢ =

جدول : 5 ـــة الكلمات المقترحة

مسلسل	الكلمة المقترحة	أصلها الأجنبي	زيادة أحرف	تنافر أحرف	تنافر حركات	التقاء ساكنين	سدّ بساكن	أحرف دخيلة	إيقاعها	نوعها	المصدر
١	أسيتل	Acetyle	.	.	.	.	.	.	تُفعليل	معرّب	المعجم الطبي
٢	أميني (حمض)	Aminé	.	.	.	.	.	.	فُعَيْلي	معرب	الموحد
٣	أراكيدونيك	Arachidonique	×	.	.	.	.	.	-	دخيل	
٤	أسكوربيك	Ascorbique	×	.	.	×	.	.	-	دخيل	
٥	أسبرتيك	Aspartique	.	.	.	.	.	.	فَعْلُلّيل	معرب	
٦	بنزويك	Benzoique	.	.	.	.	.	.	فَعْلُيل	معرب	
٧	بوريك	Borique	.	.	.	.	.	.	فُعيل	معرب	
٨	كبريك	Caprique	.	.	.	.	.	.	فُعْليل	معرب	
٩	كبرويك	caproique	.	.	.	.	.	.	فُعْلُيل	معرب	
١٠	كربونيك	carbonique	.	.	.	.	.	.	فَعْلُليل	معرب	
١١	بيروقراطية	Bureaucratie	×	.	.	×	.	.	-	دخيل	معجم مصطلحات
١٢	ورشة	Workshop	.	.	. .	.	:	.	فعلة	معرب	التنمية الاجتماعية
١٣	إيكولوجية	Ecologie	×	.	.	×	.	.	-	دخيل	
١٤	مورفولوجية	Morphologie	×	.	.	×	.	.	-	دخيل	

٣٠

تسلسل	الكلمة المقترحة	أصلها الأجنبي	زيادة أحرف	تنافر أحرف	تنافر حركات	التقاء ساكنين	بدء بساكن	أحرف دخيلة	إيقاعها	نوعها	المصدر
١٥	تكنولوجيا	Technologie	×	.	.	×	.	.	-	دخيل	
١٦	ديمقراطية	Democratie	.	.	.	.	.	.	[illegible]	معرّب	
١٧	إلكترون	Electron	.	.	.	.	.	.	نبيلول	معرب	مجموعة المصطلحات
١٨	بطارية	Batterie	.	.	.	.	.	.	نثالية	معرب	التي أقرها
١٩	كاثود	cathode	.	.	.	.	.	.	قاعول	معرب	مجمع القاهرة
٢٠	إلكترود	Electrode	.	.	.	.	.	.	نبيلول	معرب	جزء (٨)
٢١	أنود •	Anode	.	.	.	.	.	.	فعول	معرب	
٢٢	ترانزستور	Transistor	×	×	.	×	×	.	-	دخيل	
٢٣	ديناترون	Dynatron	×	.	.	×	.	.	-	دخيل	
٢٤	داينود	Dynode	.	.	.	×	.	.	-	دخيل	
٢٥	غاز	Gas	.	.	.	.	.	.	نُعل	معرب	
٢٦	أسيلوغراف	Oscilographe	×	.	.	×	.	.	-	دخيل	

- ٣٤ -

مسلسل	الكلمة المعربة	أصلها الأجنبي	زيادة أحرف	تنافر أحرف	تنافر حركات	التقاء ساكنين	بدء بساكن	أحرف دخيلة	إيقاعها	نوعها	المصدر
٢٧	أسبا	Empyème	.	.	.	.	.	.	فعليلي	معرب	الألفاظ المعربة والموضوعة في السنوات العشر الرابعة في مجمع دمشق
٢٨	أكثيا	Ataxie	.	.	.	×	.	.	–	دخيل	
٢٩	أثرِبْسيا	Athrepsie	.	.	.	.	.	.	فعلليا	معرب	
٣٠	أرقطيون	Arctium	.	.	.	.	.	.	فَعْلَلُول	معرب	
٣١	اختبار الهيبو	Hypo-test	.	.	×	.	.	.	فَعْلُو	دخيل	المعجم العسكري الموحد
٣٢	أريومتر	Aréomètre	.	.	.	.	.	.	فَعْيُولل	معرب	
٣٣	أزيدات	Azides	.	.	.	.	.	.	فعيلات	معرب	
٣٤	أسبستوس	Aspestos	.	.	.	.	.	.	فَعْلَلُّل	معرب	
٣٥	إسكليروسكوب	Scleroscope	×	.	.	×	.	.	–	دخيل	

- ٣٥ -

مسلسل	الكلمة المقترحة	أصلها الأجنبي	زيادة أحرف	تنافر أحرف	تنافر حركات	التقاء ساكنين	بدء بساكن	أحرف دخيلة	إيقاعها	نوعها	المصدر
٣٦	إِسْكَيرِيتر	Scle metre	×	.	.	.	.	.	-	دخيل	
٣٧	أُسيل	Acyle	.	.	.	.	.	.	فُعَل	معرب	
٣٨	أُكْتُيد	Actode	.	.	.	.	.	.	فُعْلُول	معرب	
٣٩	إِكْتِيُول	Ichthyole	.	.	.	.	.	.	فِعْلِيُول	معرب	
٤٠	إِلكتروفور	Electrophorus	×	.	.	.	.	.	-	دخيل	
٤١	أَلْكَلَة	Alkylation	.	.	.	.	.	.	فَعْلَلَة	معرب	المصطلحات العلمية -
٤٢	سِيتِين	Cetane	.	.	.	.	.	.	فعليل	معرب	مصطلحات النفط -
٤٣	سِيلِيكا	Silica	.	.	.	.	.	.	فِيعِيلا	معرب	المجمع العراقي
٤٤	الراتين	Raton	.	.	.	.	.	.	فاعُيل	معرب	
٤٥	السَّلْفَتَة	Sulphitation	.	.	.	.	.	.	فَعْلَلَة	معرب	
٤٦	البُراص	Brass	.	.	.	.	.	.	فُعال	معرب	
٤٧	البرشة	Brushe	.	.	.	.	.	.	فُعْلَة	معرب	
٤٨	التِّنْس	Tennis	.	.	.	.	.	.	فِعْل	معرب	
٤٩	نَتْرَتَة [لها ترجمة]	Nitrification	.	.	.	.	.	.	فَعْلَلَة	معرب	

- ٣٦ -

مسلسل	الكلمة المقترحة	أصلها الاجنبي	زيادة أحرف	تنافر أحرف	تنافر حركات	التقاء ساكنين	بدء ساكن	أحرف دخيلة	ايقاعها	نوعها	المصدر
٥٠	سْبُوتْنِك	Spoutnik	.	.	.	×	×	.	–	دخيل	
٥١	إبستمولوجيا	Epistémologie	×	.	.	×	.	.	–	دخيل	المعجم الفلسفي
٥٢	إثنوغرافيا	Ethnographie	×	.	.	×	.	.	–	دخيل	لجميل صليبا
٥٣	إثنولوجيا	Ethnologie	×	.	.	×	.	.	–	دخيل	
٥٤	أرستقراطية	Aristocratie	.	.	.	.	.	.	مصدر صناعي	معرب	
٥٥	أكاديميا	Académie	×	.	.	×	.	.	–	دخيل	
٥٦	أيُون	Eon	.	.	.	.	.	.	فُعُّول	معرب	
٥٧	برغماتية	Pragmatisme	.	.	.	×	×	.	–	دخيل	
٥٨	برجوازية	Bourgeoisie	.	.	.	.	.	.	مصدر صناعي	معرب	
٥٩	براكسيس	Praxis	.	.	.	×	×	.	–	دخيل	
٦٠	بيرونية	Pyrrhonisme	.	.	.	.	.	.	مصدر صناعي	معرب	

- ٣٧ -

مسلسل	الكلمة المقترحة	أصلها الأجنبي	زيادة أحرف	تنافر أحرف	تنافر حركات	التقاء ساكنين	بدء بساكن	أحرف دخيلة	إيقاعها	حكمها	المصدر
٦١	إبيسيم	Episememe	-	-	-	-	-	-	فِعْلِيليل	معرب	معجم مصطلحات
٦٢	أبوستروف	Apostrophe	x	-	-	x	-	-	-	دخيل	علم اللغة الحديث
٦٣	إديوفون	Idiophone	-	-	-	-	-	-	فعيلول	معرب	
٦٤	إديوكراف	Ideographe	x	-	-	x	-	x	-	دخيل	
٦٥	إديوكرام	Ideogram	x	-	-	x	-	x	-	دخيل	
٦٦	الأطلس	Atlas	-	-	-	-	-	-	فَعَلُل	معرب	
٦٧	أكروفونيا	Acrophony	-	-	-	x	-	-	-	دخيل	
٦٨	أكوستي	Acostic	-	-	-	x	-	-	-	دخيل	
٦٩	أكوسما	Acousme	-	-	-	x	-	-	-	دخيل	
٧٠	ألّو	Allo	-	-	x	-	-	-	فُعْلُو	دخيل	
٧١	أبيلية	Abilie	-	-	-	-	-	-	فُعيلية	معرب	معجم الألفاظ
٧٢	أبيرية	Aberia	-	-	-	-	-	-	فعيلية	معرب	الزراعية - مصطفى
٧٣	قاقاليا	Cacalia	-	-	-	-	-	-	فَعاليا	معرب	الشهابي

- ٣٨ -

تسلسل	الكلمة المقترحة	أصلها الأجنبي	زيادة أحرف	تنافر أحرف	تنافر حركات	التقاء ساكنين	بدء بساكن	أحرف دخيلة	إيقاعها	نجرها	المصدر
٧٤	خَلْقِيدونيّ	Calcedonia	-	-	-	-	-	-	تَفَعْلِيلِيّ	معرب	
٧٥	مَرْنَطَة	Marnata	-	-	-	-	-	-	تَفْعُلَة	معرب	
٧٦	أُكاجو - أُكاجة	Acajou	-	-	×	-	-	-	فعالو - فُعالة	دخيل - معرب	
٧٧	مَرتِينِيَّة	Martynia	-	-	-	-	-	-	فعليلية	معرب	
٧٨	بَلانِيرة	Planère	-	-	-	-	-	-	فعاليلة	معرب	
٧٩	إبطارُلوبيون	Pterolobie	×	-	-	-	-	-	-	دخيل	
٨٠	إستيرية	sterie	-	-	-	-	-	-	إفعليلية	معرب	
٨١	بازَلْت	Basalt	-	-	-	-	-	-	فاعِلُ	معرب	المعجم الموحد للمصطلحات العلمية - قسم الجيولوجيا
٨٢	بَلَنْد	Blend	-	-	-	-	-	-	فَعَلُ	معرب	
٨٣	ألكليمتر	Alkalimetre	×	-	-	-	-	-	-	دخيل	
٨٤	مَلْغَم	Amalgam	-	-	-	-	-	-	مَفْعَل	معرب	
٨٥	كَتْيُون	Cation	-	-	-	-	-	-	فَعْلُول	معرب	
٨٦	غرانيت	Granite	-	-	-	-	×	-	-	دخيل	

مسلسل	الكلمة المقترحة	أصلها الأجنبي	زيادة أحرف	تنافر أحرف	تنافر حركات	التقاء ساكنين	بدء بساكن	أحرف دخيلة	إيقاعها	نوعها	المصدر
٨٧	جرانيت	Granite	.	.	.	.	x	.	-	دخيل	
٨٨	بلاجيوكلاز	Plagioclase	x	.	.	x	x	.	-	دخيل	
٨٩	إسفنج	Sponge	.	.	.	.	.	.	إفعلل	معرب	
٩٠	ستبنيت	Stibnite	.	.	.	.	x	.	-	دخيل	
٩١	باروكة	Perruque	.	.	.	.	.	.	فاعولة	معرب	معجم ألفاظ الحضارة
٩٢	موضة	Mode	.	.	.	.	.	.	فعلة	معرب	ومصطلحات الفنون
٩٣	باركيه	Parquet	.	.	.	x	.	.	-	دخيل	مجمع القاهرة
٩٤	تنس	Tennis	.	.	.	.	.	.	فُعْلِل	معرب	
٩٥	الدش	Douche	.	.	.	.	.	.	فُعْل	معرب	
٩٦	الفلا	Villa	.	.	.	.	.	x	فِعْلا	دخيل	
٩٧	أكاديمية	Academie	.	.	.	.	.	.	مصدر صناعي	معرب	
٩٨	البرلمان	Parlement	.	.	.	.	.	.	فعللان	معرب	
٩٩	الكشك	Kiosque	.	.	.	.	.	.	فعْل	معرب	
١٠٠	كازينو	Casino	.	.	x	.	.	.	فاعيلو	دخيل	

التعريب والمصطلح

شحادة الخوري

المقدمـة :

مـا زال موضـوعُ التعريـبِ، علـى كـثرةِ مـا كُتِـبَ فيـه مـن بحـوثٍ ودراسات، وما بُذِلَ لإنجاحِه من مساعٍ وجهـود، ومـا اتخـذ مـن أجلـه مـن توصياتٍ وقرارات، موضوعاً تتضاربُ فيه الآراء وتتباينُ النزعـات، وبالتـالي فهو بحاجةٍ مستمرة إلى معالجاتٍ جادَّة تساعدُ على الوصـول إلى حـلٍ نـاجع يردُّ الأمورَ إلى مسارِها الصحيح.

آ- قضية التعريب:

إن اللغة العربية التي هي وعاءُ ثقافتِنا العربيةِ في الماضي والحـاضرِ لَمِـنْ أَهّـمِ مقومـاتِ أمتِنـا العربيـة، وعنـوانُ هويتهـا القوميـة، وسِـمَةُ حضارتِهـا الإنسانية. ومن طبيعةِ الأمور أن تكـونَ هـذه اللغـة، لغتُنـا الأُم، أداةَ التفكـيرِ والتعبير لنا في مختلفِ مجالاتِ الحياة الاجتماعيةِ والثقافية، وعلـى الأخـص أن تكونَ لغةَ التعليـم والتعَلـم، في كـل درجاتِـه وأنواعِـه. ولكـنَّ ظروفـاً معينـة جعلتِ اللغةَ الأجنبيةَ تحلُّ محلّها في بعض مجالات التعليم وفي بعـض المجـالاتِ الأخرى في بعـض الأقطـار العربيـة مثـلِ الإدارة والثقافـةِ والإعـلام والقضـاءِ والشركاتِ والمصارفِ بل امتدت إلى كثيرٍ مـن النتـاجِ الفكـري والأدبـي في

بعض أنحاء الوطنِ العربي، ونجدها أحياناً لغة التخاطب والحوار، فإذا بنا أمام ظاهرةٍ تغريبٍ شاذة لا تقوَّمُ إلا بالعودةِ إلى الأصل، بالقيام بعمليةِ تعريبٍ واسعة.

إن هذه الظاهرةَ التي ندعوها «الثنائيةَ اللغوية» لم تنشأ مصادفةً بل فرضها وجودُ سلطةٍ أجنبيةٍ في عدد من الأقطارِ العربية، خلالَ مدةِ قرنٍ كامل أو أكثر من منتصفِ القرن الماضي حتى منتصفِ هذا القرن، على وجه التقريب، تُملِي إرادتَها على المواطنينَ العربِ وتملكُ إصدارَ القوانين والأنظمة التي تخدم مصالحها، وتعتمدُ على القوةِ الغاشمة فسعت جاهدةً لبسطِ هيمنتِها الثقافيةِ واللغوية على أبناءِ أمتّنا، دعماً وتثبيتاً لسيطرتِها العسكريةِ والسياسيةِ والاقتصادية مستغلةً حالة الركودِ والتخلفِ والفُرقة التي كانت تمرُّ بها أمَّتُنا العربية.

ولكن المؤسفَ أن هذه الظاهرةَ قد استمرت بعد زوالِ مسبباتها، لسهولةٍ يَجدُها من أتموا دراستَهم بلغةٍ أجنبيةٍ في استخدام هذه اللغةِ في نطاقِ التعليمِ وفي المجالات الأخرى، وبدافع التوهمِ بأن التقدمَ العلمي يلازمُ لغةً أو لغاتٍ بعينِها دونَ غيرها، والجهلِ بخصائصِ اللغةِ العربيةِ الفريدة وقدرتِها على النماءِ المستمر وبغنى تراثِها العلمي والأدبي.

ولعل من المفيد هنا أن نوضحَ المقصودَ بالتعريب بسببِ تعدُّد معانيه. إنه قد يعني اقتراضَ لفظةٍ أجنبية ونطقَها في صيغةٍ عربية أو وزن عربي، أو يعني ترجمةَ نصٍ إلى العربية...

ولكن المقصودَ هنا، هو جعلُ العربيةِ أداةً للتفكيرِ والتعبير، في كلِ مجالٍ من مجالات الحياةِ لدى العرب جميعاً في الوطنِ العربي، شرقِه وغَربِه.

إن هذا الهدفَ ليس شأناً لغوياً محضاً، بل هو شأنٌ يتصل بأهمِ ملامحِ وجودِنا أمةً على هذه الأرض، وجوداً حضارياً ممتداً عَبْرَ الزمن.

أن يستخدمَ عربيّ لغةً غيرَ لغتِه، وفي وطنِه وعلى أرضِه، هو اتهامٌ للغتِه بالقصور، وإنكارٌ لما تحمله من تراثٍ نفيس، ويأسٌ من أن تكونَ لغةَ علمٍ وتقانةٍ في هذا العصر، وتعالٍ على جمهور شعبه الذي يستخدمُ العربيةَ ويتمسكُ بها، وانصياعٌ إلى تبعيةٍ لغويةٍ تنتقصُ من هويتِه الثقافيةِ والقومية.

١– قدرة اللغة العربية:

إن السؤالَ الكبيرَ الذي نطرحُه: هل لغتُنا العربية قادرةٌ على أن تكونَ لغةً معاصرة؟.

مَنْ أمْعَن النظرَ في اللغةِ العربية، وقارنها باللغاتِ الأخرى، تملَّكَه العَجَبُ من فصاحةِ مفرداتِها وعذوبةِ ألفاظِها وجزالةِ تراكيبها ورقةِ عباراتها، وقدرتِها على التعبير والتوليدِ وقابليتِها للنماءِ والتطور، وحسبُها أن تكونَ لغةَ القرآن الكريم بجلالِ معانيه وبلاغةِ بيانه، وهو الذي زادها غنىً، ووسعَ لها في الأرض امتداداً وفي الزمن بقاءً، ثم استطاعت أن تكونَ وعاءَ المعرفةِ البشرية قروناً متطاولة، ولا يشكُ مُنْصِفٌ في أنها قادرةٌ على أن تكونَ لغةَ المستقبل، بعلومِهِ وآدابِهِ وفنونِهِ، محتفظةً بعالميتِها التي اكتسبتها مُنْذُ خمسةَ عشرَ قرناً، إلى آخرِ الزمان.

أليس من الباعثِ على الدهشةِ والأسى، بعد هذا، أن نجدَ شعوباً أقلَّ من أمتِنا تعداداً وأصغرَ رقعةَ أرض، وأضألَ تراثاً، وأفقرَ مالاً، قد جعلت لغاتِها لغاتِ علمٍ وتعليم وأوجدت لها مصطلحاتٍ علميةً ودرَّست بها في

جامعاتِها ووضعتْ موسوعاتِها، ونحن مازالَ بين ظهرانينا من يناقشُ في التعريبِ ويشكُّ في جدواه!.

إنه لشرفٌ عظيم لجيلنا أن يبذلَ السعيَ ويحملَ الدعوةَ وينهضَ بالمهمة أو لنقلْ بهذه الرسالةِ القومية الإنسانية، متابعةً لما بذله أبناءُ الأجيالِ السابقةِ من العرب من جهودٍ للحفاظِ على ذاتِهم الثقافيةِ في عصور الظلمةِ والاستبداد، وسعياً لاستعادة مكانتِنا المرموقةِ في موكب الأسرة البشريةِ الصاعد والمتقدمِ باستمرار.

ونتساءل: ألَمْ يكن ثمة مساعٍ لإعطاءِ العربية دورَها الحق؟.

٢- مساعي التعريب:

لقد تنبَّهتِ الطلائعُ العربية من رجالِ الفكرِ والثقافةِ ودعاةِ التقدمِ والإصلاح في القرنِ الماضي إلى الخطرِ الداهم، فدعت إلى حركةٍ إحياءٍ حضاريٍ هي ما نسميه النهضةَ العربية، تكونُ اللغةُ العربيةُ أداتَها وعمادَها. وبُذِلَتِ الجهودُ المخلصةُ خلال ما يزيدُ على قرنٍ من الزمن للعنايةِ باللغةِ الفصيحة ودفعِ العامية والتأليفِ في علومِ اللغةِ العربيةِ، ووضعِ المصطلحاتِ الحضاريةِ والعلمية، وترجمةِ الكتبِ والمؤلفاتِ العلميةِ والأدبيةِ من اللغاتِ الأجنبيةِ ولاسيما الفرنسيةِ والإنكليزية إلى اللغةِ العربيةِ، في مصرَ ولبنانَ وبلادِ الشام والوطنِ العربي عامة. قام بذلك رُوَّاد أفذاذٌ بجهودٍ فرديةٍ أو من خلال مؤسساتٍ تعليميةٍ وثقافية.

وفي منتصفِ هذا القرن أثارَ اهتمامَ الطلائع العربيةِ خطرُ التشتتِ العربي والاختراقِ اللغوي والثقافي الذي حصل، فتجلت إرادةُ التحرر

اللغوي والتقدم العلمي والوحدة الثقافية في نص ميثاق جامعة الدول العربيةِ عام (١٩٤٥) الذي مثل الحدَّ الأدنى للطموح العربي، وفي المعاهدةِ الثقافية، في العامِ نفسِه، وهي أولُ معاهدةٍ وقَّعتها الدولُ العربية، وفي « ميثاق الوحدة الثقافية» الذي أقره مجلسُ جامعةِ الدولِ العربية عام (١٩٦٤) ودستورِ المنظمةِ العربيةِ للتربية والثقافة والعلوم الذي أقرَّه في العام نفسه.

جاء في ميثاقِ الوحدةِ الثقافيةِ بالمادة العاشرة: «أن الدول العربية الأعضاء توافق على أن تكون اللغة العربية لغة التعليم والدراسات والبحث في مراحل التعليم كلها» وبالمادةِ السابعةَ عشرةَ: «أن الدول العربية توافق على السعي لتوحيدِ المصطلحاتِ العلميةِ والحضاريةِ، ومساعدةِ حركة التعريب بما يحققُ إغناءَ اللغة العربية مع المحافظةِ على مقوماتها».

وتجلت إرادةُ الحفاظِ على اللغةِ العربية، لغةً رسميةً وشاملةً، في دساتيرِ الدولِ العربية التي وُضِعَت عند استقلالها، وفي مقرراتِ المؤتمراتِ العربيةِ الوزاريةِ وغيرِ الوزارية ولا سيما مؤتمراتِ وزراءِ التربية والتعليم والوزراءِ المسؤولينَ عن الشؤونِ الثقافية والوزراءِ المسؤولين عن التعليمِ العالي والبحثِ العلمي، وقراراتِ وتوصيات الندواتِ والاجتماعاتِ الثقافيةِ والتربوية والعلمية التي عقدت في النصف الثاني من القرن الحالي...

وكذلك تجلتْ في نصوصِ استراتيجية تطوير التربية العربية والخطةِ الشاملة للثقافة العربية واستراتيجيةِ العلوم والتقانة، هذه الاستراتيجيات التي أعدتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بمشاركةِ المئات من المفكرينَ والعلماءِ والمثقفينَ والأدباءِ العرب، وأقرتها المؤتمراتُ الوزاريةُ المختصة.

وأقام جهابذةُ اللغةِ ورجالُ الفكر والعلم مجامعَ أربعةً للمحافظةِ على

سلامةِ اللغة العربية وجعلِها تفي بمتطلباتِ العلومِ والفنون هي: مجمع اللغة العربية بدمشق (١٩١٩) ومجمع اللغة العربية بالقاهرة (١٩٣٢) والمجمع العلمي العراقي (١٩٤٧) ومجمع اللغة العربية الأردني (١٩٧٦).

وقد أقامتْ هذه المجامعُ فيما بينها اتحاداً ينسِّق جهودَها ويجمع ما بينَ نشاطاتِها المختلفة.

هذا وثمة عددٌ من المجامعِ اللغوية قد أنشئت أو هي في طورِ الإنشاءِ والتشكيل، في بعضِ الأقطارِ العربية: السعودية والسودان وفلسطين والجزائر.

وخطتِ الهيئاتُ والمراجعُ العربية خطواتٍ عمليةً فسعتْ لتأمينِ مستلزماتِ التعريب وأحدثتِ الأجهزةَ القادرةَ على ذلك: مكتبَ تنسيق التعريب بالرباط (١٩٦١) والمركزَ العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق (١٩٩٠) اللذين يتبعان المنظمةَ العربيةَ للتربيةِ والثقافةِ والعلوم لتوفيرِ المصطلحِ الموحَّد والكتابِ المنهجي والمرجعِ بالتعاون مع الجهات المختصة، والمركزَ العربيَّ للمطبوعاتِ والوثائق الصحية بالكويت الذي يعمل برعاية مؤتمر وزراء الصحة العرب في خدمةِ تعريبِ العلوم الطبية.

وفي العام المنصرم (١٩٩٦) وضعتِ المنظمةُ العربيةُ للتربيةِ والثقافةِ والعلوم ما دعته «الخطة العامة للتعريب - الأهداف والاحتياجات والوسائل» بمساعدةِ عددٍ من الخبراء، واعتماداً على دراساتٍ مفصلةٍ عن احتياجات التعريب ولاسيما في مجالاتِ التربية والتعليم، كما وضعتِ الخطةَ القوميةَ المحدَّثةَ للترجمةِ بجهود خبراءَ متخصصين.

ولعل سائلاً يسأل: لِمَ تأخَّرَ حسمُ موضوع التعريب، وقد انقضى

على استقلال البلدان العربية ما يقربُ من نصفِ قرن، أُحدثت خلاله مئاتُ المعاهدِ والجامعاتِ واتسع التعليمُ ما قبلَ الجامعي، ووضعتْ تشريعاتٌ لصالحه وأحدثتْ مؤسساتٌ وأجهزة؟.

الحقيقةُ أن العادةَ تبطِلُ أو تبلّدُ الشعورَ بالخطأ، وأن ثمةَ مصالحَ خاصةً تعطلُ العملَ أو تعوقُه، ومع ذلك فإن الجهدَ لم يذهبْ هباءً... فقد ازدادَ الوعيُ بضرورة التعريب، وتشكّلَ رأيٌ عامٌ ضاغطٌ انعكست صورتُه فيما اتخذته المؤتمراتُ الحكومية والمنظماتُ العربيةُ والهيئاتُ الأهليةُ من قراراتٍ بشأنه. والأهمُّ من ذلك أن بعضَ الأقطار قد شرعتْ فعلاً بتعريبِ العلوم في جامعاتها كلياً أو جزئياً وهي العراق واليمن وليبيا والسودان، وأصدرت الجزائرُ قانوناً بتاريخ ١٩٩٦/١٢/١٧ بشأن استخدام اللغة العربية يوجبُ إنجازَ التعريبِ في الجامعات عام ٢٠٠٢.

ولكن هذه الخطوات على الرغم من أهميتها ليست كافيةً البتة، ومازال الخللُ قائماً والمسيرةُ طويلة.

٣– مقدار الخلل:

ولكن ما هو حجمُ الخللِ القائمِ في استخدامِ اللغةِ العربية؟.

لقد دلّتْ دراسةٌ تحليليةٌ أجرتها المنظمةُ العربيةُ للتربيةِ والثقافةِ والعلوم في العامِ الماضي وشملت خمسةَ عشرَ قطراً عربياً، وكانت أساسَ الخطةِ التي أشرت إليها، على ما يلي:

في مجالِ التعليمِ ما قبل الجامعي:

تُعَلّمُ الموادُّ العلميةُ والاجتماعيةُ في المرحلتينِ الابتدائيةِ والإعداديةِ

باللغة الأجنبية في مدارسَ خاصةٍ وتجريبيةٍ في قطرين، وتعلم المـوادُّ العلميـةُ في المرحلةِ الثانويةِ والموادُ الفنيةُ والمهنيةُ باللغةِ الأجنبية في ثلاثةِ أقطار.

وفي مجال التعليم العالي:

تدرس باللغة الأجنبية العلومُ الأساسيةُ كلياً في سـتةِ أقطـار وجزئيـاً في خمسةِ أقطار، والعلومُ الطبيةُ كلياً في سبعةِ أقطار وجزئيـاً في أربعـة، والعلـومُ الهندسـيةُ كليـاً في عشـرةِ أقطـار وجزئيـاً في ثلاثـة، والعلـومُ الاجتماعيـةُ والإنسانيةُ تدرَّسُ باللغةِ العربيةِ كلياً في ستةِ أقطار وجزئياً في ستةٍ أخرى.

وهكذا يتبينُ أن الأرجحيةَ في تدريـسِ العلـومِ الأساسـيةِ: الرياضيـاتِ والفيزياءِ والكيميـاءِ والجيولوجيا والبيولوجيـا وعلـمِ النبـات وعلـمِ الحيـوان والعلومِ التطبيقيـة أي الطـبِ وطـبِ الأسـنان والصيدلـةِ والتمريـضِ والعلـومِ الهندسية بكل فروعِها هـي للغـةِ الأجنبيـة، وتلحـق بذلـك الدراسـاتُ العليـا والبحوثُ العلميةُ التي هي امتدادٌ للتعليم الجامعي.

كذلك تحتلُّ اللغةُ الأجنبيةُ مِسَاحةً هامةً في بعـضِ الأقطـار العربيـة في مجالات الثقافةِ والإعـلامِ والإدارةِ والقضـاءِ والمصـارفِ والمـال، ولاسـيما في الأقطار التالية: المغربِ والجزائرِ وتونسَ وموريتانيـا وبلـدانِ القـرن الإفريقـي الصومال وجيبوتي.

أما القطرُ الذي يتفرَّدُ بالتعريبِ الشاملِ في كل مجالٍ فهو القطر العربي السوري.

٤– دواعي التعريب:

إن تعريبَ التعليمِ العلمي وبالأخص في مرحلةِ التعليم العالي في المعاهدِ

والكلياتِ الجامعية تستدعيهِ عواملُ عديدة وتحُثُّ عليه: عاملٌ نفسيٌّ تربوي لأن لغتَنا العربيةَ جزءٌ من كيانِنا النفسي، ويكون الفهمُ والاستيعابُ والتمثُّلُ بها أفضلَ مما يكونُ باللغةِ الأجنبيةِ مهما أتقنها المتعلم، وعاملٌ اجتماعيٌّ مِهْنِيٌّ لأن اللغةَ هي أداةُ تفاهمٍ بينَ أصحابِ الاختصاص مع أفراد المجتمع، وعاملٌ ثقافيٌّ قوميٌّ لأن اللغةَ العربيةَ هي سمةُ انتمائِنا القومي وركيزةُ ذاتِنا الثقافية وعاملٌ روحيٌّ حضاريٌّ لأنها لغةُ العقيدةِ والتراث.

ولن يكون التعريبُ بأية حال ابتداعاً أو افتعالاً، إذ هو الأصل وليس خروجاً على الأصل، كما لن يكونَ ابتداءً أو استثناءً، فقد دَرَّسَتْ كلياتُ الطبِ والهندسةِ والعلومِ بمصر باللغة العربية واحداً وستين عاماً (١٨٢٦-١٨٨٧) والكليةُ الإنجيليةُ السوريةُ ببيروت ثمانيةَ عشرَ عاماً (١٨٦٦-١٨٨٤). وأما دمشق فشرعت بتعليمِ الطبِ والحقوق بدايةً من عام (١٩١٩) بالعربية ثم علَّمت بها سائرَ العلوم الأساسيةِ والتطبيقيةِ والاجتماعيةِ والإنسانية حتى اليوم وتبعتها في ذلك جامعاتُ حلبَ وتشرينَ باللاذقيةِ والبعثِ في حمص، وبنجاحٍ كبير.

ولكن بماذا يتذرعُ المترددونَ في إقرارِ التعريبِ وتنفيذِهِ؟.

٥- تأمين احتياجات التعريب:

يخشى المترددونَ في هذا الموضوع أن يؤدِّيَ التعريبُ إلى عزلةِ المتعلمِ العربي عن مصادرِ المعرفة العلمية، وأن ينخفضَ مستوى التعليمِ الجامعي في البلدان العربية.

ودرءاً لمثل هذا الاحتمال تؤيدُ خططُ التعريبِ القطريةُ والقوميةُ تعلمَ

الطالبِ العربي الجامعي لغةً أجنبية أو أكثر، تمكّنه من الرجوع إلى مصادرِ المعرفةِ العلميةِ بواسطتها في المراحل العليا من دراستِه سواءٌ أتَمَّتْ في بلدِهِ أو في بلدٍ أجنبي كذلك تلحظ أن للتعريب احتياجاتٍ ينبغي تأمينُها، وعلى رأسِها المصطلحاتُ العلميةُ اللازمةُ والكتبُ المقررةُ والمرجعيةُ مؤلفةً أو مترجمةً عن اللغاتِ الأخرى، ذلك أن التعريب انفتاحٌ لا انغلاق، وارتفاعٌ بمستوى التعليمِ العالي لا انخفاضٌ وتراجع. ومن هنا كان على حركةِ التعريب أن تترافقَ وتتزامنَ مع حركةِ ترجمةٍ ناشطةٍ وجهدٍ مصطلحي سليم.

والسؤال الآن: هل تنجحُ المنظمةُ العربية للتربية والثقافة والعلوم في تنفيذ خطة التعريب التي وضعتها؟ وهل ثمة ضرورةٌ لتشريعاتٍ ملزمة مثلِ القانونِ الذي صدرَ في الجزائر؟ وهل ثمة حاجةٌ لقرار تصدره أعلى سلطةٍ سياسية في الوطن العربي، وهي مؤتمر القمة، مؤتمر الملوك والرؤساء بإلزاميةِ التعريب واستخدامِ العربية مثلما طالبت به ندوةُ تعريبِ الطب التي انعقدت بدمشق في أواخر عام (١٩٨٨)؟.

قد يكون كل ذلك مفيداً، ولكنني أعتقد أن عملاً جماعياً تنهض به القياداتُ السياسيةُ والاجتماعيةُ والفكريةُ في الوطن العربي، عملاً يخطَّطُ له بعنايةٍ ويموَّل كفايةً هو القادرُ على تحقيقِ هذا الانعطافِ التاريخي الكبير.

ونتطرقُ بصورةٍ خاصة إلى المصطلحِ ودورِهِ وأهميتِهِ وضرورة توحيده، بوصفه ركناً من أركانِ هذه الحركة.

ب - قضية المصطلح:

إنّ النصَّ العلمي يشتملُ على مفرداتٍ عامة ومفرداتٍ متخصصةٍ

بحقلٍ معرفي، وهذه المفرداتُ الأخيرة هي التي ندعوها المصطلحات.

والمصطلح لغةً هو ما اصْطُلِحَ عليه أي ما اتفقتْ عليه طائفةٌ مخصوصة. جاء في الوسيط: المصطلح هو اتفاق طائفةٍ على شيءٍ مخصوص، ولكلِ علمٍ اصطلاحاته.

هذا وليس ضرورياً أن يسبقَ التعريبُ وضع المصطلح أو العكس بل يمكنُ أن يسيرا في خطينِ متوازيين، وبالتزامن، مع ملاحظةِ أن لكلٍ منهما تأثيراً في الآخر، فالتعريب يحثُّ على وضع المصطلح، والمصطلحُ يُيَسِّرُ أعمالَ التدريسِ والترجمةِ والتأليفِ التي لا يتمُّ التعريبُ إلا بها.

وإنه لحريٌّ بنا، في حديثِنا عن المصطلح أن نذكرَ بإيجازٍ شيئاً عن طرائقِ وضعهِ ومنهجيةِ اختيارِه وأسلوبِ توحيدِه.

١– طرائق وضع المصطلح:

أما طرائقُ وضعِه فقد ذكرَ العلامةُ مصطفى الشهابي في كتابه المصطلحاتُ العلميةُ في اللغةِ العربيةِ في القديمِ والحديث: «أن العربيةَ قد نمت بالاشتقاقِ والمجازِ والنحتِ والتعريب، وهي الوسائلُ التي رجعَ العلماءُ والنقلة إليها عندما وضعوا آلافَ المصطلحات في صدرِ الإسلام سواءٌ في العلومِ الفقهيةِ واللغوية أو في علومِ فارسَ ويونان والهند وغيرها من الأمم» ثم يضيف: «وهذه الوسائلُ هي التي نتخذُها في زمنِنا هذا لنقلِ العلوم الحديثة إلى لغتِنا الضادية».

لقد شعرَ العربُ بالحاجةِ إلى المصطلح عندما قاموا بنقلِ العلومِ والمعارفِ من لغاتِ من سبقهم كاليونانية والفارسية والهندية إلى لغتِهم،

فوضعَ التراجمةُ ثم المؤلفون بعد ذلك آلافاً من الألفاظِ العربيةِ لمقابلةِ المصطلحاتِ الوافدة من تلك اللغاتِ كما اقتبسوا منها ألفاظاً عَرَّبوها وأدخلوها لغتهم، وذلك وفقاً للطرائق أو الوسائلِ التي أتينا على ذكرها.

ولم يكن هذا الأمرُ هيناً يسيراً، ودليلُ ذلك أن بعضَ الكتبِ قد ترجمت أكثرَ من مرة، وعُدِلَ في كل مرة عن بعضِ ما استخدم في المرةِ السابقة من مصطلحاتٍ التماساً للأفضلِ والأصلح.

وفي العصرِ الحديث رافقَ النهضةَ العلميةَ والثقافية سعيٌّ حثيثٌ لإيجادِ المصطلحات، قام بذلك العملِ رجالٌ أفذاذٌ جدُّوا في مضمارِ الترجمةِ والتأليفِ ووضعِ المصطلح ثم قامت به مجامعُ اللغة العربية والجامعاتُ وهيئاتٌ أخرى وطنيةٌ وقوميةٌ وأجنبيةٌ فنمتِ اللغةُ العربية على أيديهم إلى حدٍ كبير.

لقد جُمِعَتِ المصطلحاتُ في معاجمَ متخصصةٍ أو قوائمَ أو مساردَ أحصاها بعضهم فبلغ عددُها نحوَ ستمئةِ عملٍ معجمي منها (٥٣) في الطب و(١٦) في الفيزياء و(٢٦) في الاقتصاد... إلخ.

إن هذا العملَ الكبيرَ لم يتوقفْ ولا ينبغي أن يتوقفَ لأنه عملٌ يستدعيه ويحتِّمُه التطورُ العلميُّ والتقدمُ المعرفيُّ المستمرانِ في العالم.

٢- منهجية اختيار المصطلح:

أما منهجيةُ اختيارِ المصطلح فقد تنبَّهَ علماءُ ولغويونَ كثيرونَ قديماً وحديثاً إلى ضرورةِ اصطناعِ قواعدَ تضبطُ اختيارَ المصطلح وتعينُ على وضعِهِ وفقاً للطرائقِ السابق ذكرها.

ونجدُ مثلَ هذه القواعد قديماً لدى أبي الريحانِ البيروني وابنِ البيطار،

ونجدُها في العصر الحديث لدى رفاعة الطهطاوي ود. محمد شرف والعلامة الأمير مصطفى الشهابي وغيرهم.

فقد ذكر الشهابي في نهايةِ معجمه «الألفاظ الزراعية» نهجَه أو منهجَه في اختيارِ المصطلح نثبت منه ما يلي:

تحري لفظٍ عربيٍ يؤدي معنى اللفظِ الأعجمي.

إذا كان اللفظُ الأعجمي جديداً، أي ليس له مقابلٌ في لساننا، تُرْجِمَ بمعناه كلما كان قابلاً للترجمة أو اشتُقَّ له لفظٌ عربي مقاربٌ بوسائلِ الاشتقاق والمجاز والنحت.

وإذا تعذرَ وضعُ لفظٍ عربي بالوسائلِ المذكورة عُمِدَ إلى التعريب مع مراعاةِ قواعدِه على قَدْرِ المستطاع.

وَضَعْتُ بالاشتقاق والمجاز كلماتٍ عديدة، وبالنحتِ كلماتٍ قليلة مسترشداً بالقرارات، أو قُلِ القواعد القياسية التي اتخذها مجمعُ اللغةِ العربيةِ في القاهرة.

عَرَّبْتُ أسماءَ الأجسامِ والموادِ الكيميائية، بسيطةً كانت أو مركبةً، إلا التي لها أسماءُ عربية كالذهبِ والكبريتِ والحديدِ والنحاس.

وجاء في مقدمةِ «المعجم الطبي الموحد» الذي يمثل عملاً جماعياً مؤسسياً لا فردياً ما يلي:

استعملت كلمةٌ عربيةٌ واحدةٌ مقابل التعبير الأجنبي، ولم تستعملِ المترادفاتُ إلا فيما ندر.

استعملتِ الكلماتُ العربيةُ المتداولة التي استعملها الأطباءُ العرب الأقدمون إذا كانت تفي بالغرض العلمي... وتركتِ الكلماتُ الدخيلة التي

وجد ما يقابلها في العربية.

استبعدتِ الكلماتُ الدخيلةُ إلا إذا كانت اسماً لشخصٍ أو مشتقةً من اسمه، أو كانت مستعملةً في لغاتٍ متعددة.

ابتعدتِ اللجنة عن الألفاظِ الوعرة ما أمكن.

لم تلجأ اللجنـةُ إلى النحتِ أو التركيبِ المزجي إلا فيما نـدر كأن تكون الكلمةُ قد شاعَ استعمالها...

وقَدَّمَ مجمعُ اللغةِ العربيـة بالقاهرة خدمـةً جليلـةً للغـة العربيـة باتخـاذه قراراتٍ مهمةً تصلحُ قاعدةً لمنهجية موسعةٍ كاملة لاختيـار المصطلـح، نذكـر منها:

يؤخذ بمبدأِ القياسِ في اللغة.

يجوز النحـتُ عندمـا تلجـئ إليه الضـرورة العلميـة: شِبْغَرَوِيّ (شبه غـروي).

ينسب إلى لفظ الجمع عند الحاجة: صُوَرِي، دُوَلِي، جَمَاهِيري.

يجوز جمعُ المصدر عندما تختلف أنواعه: إشعاعات، تمديدات.

يجـوز إدخـالُ الـ على حـرف النفـي المتصـل بالاسـم: اللاهوائـي، اللاسلكي.

يجوز الاشتقاقُ من الجامد للضرورة في لغة العلم: مُهَدْرَج، مُكَبْرَت...

وأخيراً، نظم مكتب تنسيق التعريب بالرباط عام ١٩٨١ ندوة لتوحيد منهجياتِ وضعِ المصطلحاتِ العلمية الجديدة، فأقرت مبادئ أساسيةً صاغتها في ثماني عشرةَ مادةً نذكرُ منها:

• ضرورة وجودِ مناسبةٍ أو مشاركةٍ أو مشابهةٍ بين مدلـولِ المصطلـح

اللغوي ومدلوله الاصطلاحي، ولا يشترطُ في المصطلح أن يستوعبَ كل معناه العلمي.

• وضعُ مصطلحٍ واحدٍ للمفهومِ العلمي الواحدِ ذي المضمون الواحد في الحقلِ الواحد.

• استقراءُ التراثِ العربي، ولا سيما ما استقر منه من مصطلحاتٍ تصلحُ للاستعمال الحديث...

ومن الحق الجمعُ بينَ هذه القواعدِ جميعِها وتنسيقُها وصبُّها في منهجيةٍ واحدةٍ لاختيار المصطلح تُجْعَلُ في متناولِ أيدي الدارسينَ والمدرسينَ والمؤلفينَ والمترجمين، وليس من جهةٍ أقدرَ على ذلك من اتحادِ مجامعِ اللغة العربية.

٣– توحيد المصطلح:

لقد تعددت أحياناً المقابلاتُ العربيةُ للمصطلحِ الأجنبي لأسبابٍ عدة منها: تعددُ الجهاتِ الواضعةِ للمصطلح، وتعددُ منهجياتِ التعريب وتعددُ مصادرِ المصطلح والتأخرُ الزمني في قيام جهةٍ قادرةٍ على وضع المصطلح الملائم في الوقت الملائم. ومثال على ذلك أن وُضِعَ مقابلَ المصطلح الفرنسي Frein المقابلات: مكبح وكابحة وماسك ولجام وفرملة وفران، ومقابل لفظة جهاز Computer بالإنكليزية: حاسب وحاسب آلي وحاسبة وحاسوب وعقل إلكتروني ولفظة Ordinateur الفرنسية التي تدل على الجهاز نفسه لفظة نظّامة وناظمة ورتّابة. هذا في وقت يدخل ساحةَ المعرفة في العالم ما يربو على (٧٣٠٠) مصطلح جديد سنوياً أي بمعدل (٢٠) مصطلحاً كل

يوم، وأما المقابلاتُ العربية التي توضع فلا يتجاوز عددها سنوياً (٢٥٠٠) مصطلح على وجه التقريب.

ومن هنا كان السَّعْيُ لتنسيقِ الجهود في وضعِ المصطلحات وتوحيدِها خشيةَ أن يتسعَ البَوْن فتنشأُ لغاتٌ عربيةٌ علمية بدلاً عن لغةٍ عربيةٍ علمية واحدة. ومن هذا المنطلق أنشئ عام ١٩٦١ جهاز قومي مختص دعي «مكتب تنسيق التعريب» بالرباط في المملكة المغربية، بناء على توصية مؤتمر التعريب الأول الذي انعقد في المدينة المذكورة في العام نفسه، بصفة هيئة مستقلة إدارياً ومالياً، ثم احتضنته جامعة الدول العربية من عام ١٩٦٩-١٩٧٢ إذ قامتِ المنظمةُ العربيةُ للتربيةِ والثقافةِ والعلوم فتحوَّل جهازاً من أجهزتها.

ومهمةُ هذا المركز جَمْعُ المصطلحاتِ المستخدمةِ في البلدان العربية، في كلِ مجالٍ من مجالاتِ المعرفةِ والعلم وتنسيقُها وتكليفُ خبراءَ بوضعِ مصطلحاتِ كلِ علمٍ في معجمٍ متخصص ثم عَرْضُ ذلك على الهيئاتِ اللغويةِ والعلميةِ في البلدان العربية، وتقديمُها بعدَ ذلك إلى مؤتمرِ التعريبِ الذي ينعقد دورياً كلَّ ثلاثِ سنوات لدراستِها والتصديق عليها.

لقد أقر مؤتمر التعريب الثاني (الجزائر ١٩٧٣) (٦) معاجم للتعليم العام، والثالث (طرابلس ١٩٧٧) (٨) معاجم للتعليم العام أيضاً والرابع (طنجة ١٩٨١) (١٠) معاجم للتعليم التقني والمهني والعالي، والخامس (عمان ١٩٨٥) (١٠) معاجم للتعليم العالي، والسادس (الرباط ١٩٨٨) (٥) معاجم، والسابع (الخرطوم ١٩٩٤) (٤) معاجم، فيكون المجموع (٤٣) معجماً، وثمة (٥) معاجم في الإعداد.

ونظراً للتجانس في المعجماتِ المخصصةِ للتعليمِ العام والمخصصةِ للتعليمِ العالي ودرءاً للتكرار جُمِعَتِ المعجماتُ المصدقة حتى المؤتمر السادس وعددُها (٣٤) معجماً في (١١) معجماً تضمُّ (١١٢٥٦٠) مصطلحاً هُيِّئتْ للطبع، وصدر منها حتى الآن ثمانيةُ معجمات.

إن جهوداً كبيرةً بذلت وما تزالُ تبذُل لوضعِ المصطلحاتِ العلمية وتوحيدِها، ولكن الجهودَ التي تبذل متأخرةً لا تعطي ثمارَها كاملة، فما زال ثَمَّةَ مصطلحاتٌ في مجالاتِ العلم موضعَ اختلافٍ ويقدِّرُها بعضُهم بنسبة ٦٪ من مجموع المصطلحاتِ المستخدمةِ في التدريس والترجمةِ والتأليف. إنه شأن عسيرٌ ومثيرٌ ولكنه لا يدعو إلى التشاؤم، فالتعديل ممكن دوماً والبقاء للمصطلح الأصلح، علماً بأن اللغاتِ الأخرى تعاني ما تعانيه العربية، وفي أوربا تعقد المؤتمرات لتوحيد المصطلحات.

وفي رأيي، وتداركاً لهذا الخلل في المواكبةِ والتزامن بين المصطلح الأجنبي ومقابله العربي، ودرْءاً لتعددِ المقابلات العربية للمصطلح الواحد، أن يُطَوِّرَ مكتبُ تنسيق التعريب عملَه بوصفه جهازَ التنسيق القومي، فيتتبعُ ما يستجدُّ من مصطلحاتٍ في العالم في مختلفِ فروعِ العلم عن طريقِ مراجعةِ المعجمات التي تصدرُ باللغاتِ الأجنبية، ولا سيما تلك التي تكونُ اللغةُ الإنكليزيةُ أساساً لها، والكتبِ والدوريات، ويجمعُه في قوائمَ يعرضها على المجامعِ اللغويةِ والعلميةِ والجامعاتِ والمراكزِ العلمية مشفوعةً باقتراحات خبرائه، كيما تقول رأيها فيها، ثم ينسقُ المكتبُ بين هذه الآراء ويقدمُها إلى مؤتمراتِ التعريب لإقرارها، وكذلك يقوم بمراجعة المعجمات التي تمَّ إقرارُها وطبعها، مرة كل خمس سنوات لتعديل ما يجب تعديله وإغنائها بالجديد

وعرضها محدثة على مؤتمرات التعريب للتصديق عليها.

وإنني لأعتقد أنه قد حانَ الوقتُ لتعديلِ الأسلوبِ المتبعِ في وضعِ المصطلح وتنسيقهِ وتوحيدهِ، ورسمِ خطةٍ جديدةٍ للعملِ المصطلحي، يكون من أسسها:

تولي اتحادِ مجامعِ اللغة العربية قيادةَ العمليـة برمتهـا، بحكـم اختصاصه ويغدو مكتب تنسيق التعريب جهازاً منفذاً للمشروعاتِ التي يرسمها الاتحاد.

دعوةُ المنظماتِ والاتحاداتِ النوعية العربية (كالمنظمة العربية للتنمية الصناعية واتحاد المهندسين واتحاد الكيميائيين) إلى المشاركة في هذا الجهد بالخبراتِ والمال، على مثال ما قام به اتحادُ الأطباءِ عندَ وضعِه معجمَه (المعجم الطبي الموحد).

بذلُ الجهودِ العاجلةِ والجادّةِ لِمكننةِ العمل في هذا المكتب للاستفادةِ من الآليةِ المتطورةِ وقدراتها الهائلة على الخزن والاسترجاع والمعالجة.

إنشاءُ بنكٍ للمصطلحاتِ العلمية وإحداثُ مركزِ إعلامٍ مصطلحي في نطاق مكتب تنسيق التعريب بالرباط أو المركزِ العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق والعنايةُ بتدريسِ علم المصطلح، وتوحيدُ منهجياتِ وضع المصطلحِ وَفْقَ قواعدَ واضحةٍ متفقٍ عليها.

الربطُ المحكمُ والمستمرُ بين وضعِ المصطلح وتوحيدِه من جهة وبين استخدامِه في الترجمةِ والتأليفِ والتدريس والبحث العلمي، واعتبارُ العملية برمتها جزءاً من حركةِ التقدمِ العلمي والتقاني والنهضة الحضارية في الوطن العربي.

الخاتمـة:

وخاتمة القول: إن قضيةَ التعريبِ والمصطلح والسيرَ بها نحو الأفضل ليست قضيةً لغويةً فحسب، بل هي قضيةُ امتلاك هويتنا الثقافيةِ والمحافظةِ عليها، قضيةُ اللحاقِ بالتقدمِ العلمي والتقاني في العالم، قضيةُ التقدمِ الحضاري من موقعِ الذاتِ العربيةِ الفاعلةِ البعيدةِ عن التبعيةِ والاستلاب، قضيةُ بلوغِ القدرةِ على استئناف دورِنا في رفدِ الحضارةِ الإنسانيةِ والمشاركةِ في صنع المستقبل.

المراجع

كتاب «**المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث**» للأمير مصطفى الشهابي. مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، طبعة ثانية منقحة ومزيدة ١٣٨٤هـ = ١٩٦٥م.

كتاب «**اللغة العربية والصحوة العلمية الحديثة**» تأليف الدكتور كارم السيد غنيم عضو كلية العلوم بجامعة الأزهر – مطبوعات مكتبة ابن سينا بالقاهرة ١٩٨٩م.

كتاب «**الأسس اللغوية لعلم المصطلح**» تأليف الدكتور محمود فهمي حجازي. مطبوعات مكتبة غريب بالقاهرة ١٩٩٣م.

كتاب «**التعريب والتنمية اللغوية**» تأليف الدكتور ممدوح خسارة مطبوعات دار الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق، ١٩٩٤م.

محاضرة «**التعريب والمصطلح العربي الموحد**» للدكتور محي الدين صابر المدير العام السابق للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ألقيت في

ندوة التعاون العربي في مجال المصطلحات علماً وتطبيقاً بتونس من ٧– ١٠ تموز ١٩٨٦.

محاضرة «**قضية المصطلح العلمي في نطاق تعريب التعليم العالي**» للدكتور شاكر الفحام رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق، ألقيت في ندوة تعليم اللغة العربية في الجامعات العربية التي عقدت في رحاب جامعة الجزائر من ٧– ٩ نيسان ١٩٨٤.

كتاب «**دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب**» تأليف شحادة الخوري، إصدار دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ط ٢/ ١٩٩٢.

كتاب «**الترجمة قديماً وحديثاً**» تأليف شحادة الخوري. إصدار دار المعارف بسوسة/ تونس ١٩٨٨.

محاضرة «**التعريب والمصطلح**» للأستاذ شحادة الخوري ألقيت في ندوة «التعريب وصلته بشخصيتنا الوطنية والقومية» التي أقامتها كلية الآداب والعلوم الإنسانية – قسم اللغة العربية – في جامعة تشرين باللاذقية من ٩– ١١ نيسان ١٩٩٦.

كلمة

حول جهود أكاديمية المملكة المغربية

في السهر على حسن استعمال اللغة العربية في المغرب

د. محمد بن شريفة

السادة المجمعيون والمنتدون:

ندبني الأستاذ الدكتور عبد اللطيف بربيش أمين السر الدائم لأكاديمية المملكة المغربية وزملائي أعضاء الأكاديمية إلى شهود هذه الندوة التي يقيمها المجمع الرائد مجمع اللغة العربية بدمشق وكنت تلقيت قبل هذا دعوة كريمة من معالي رئيس المجمع الأستاذ الدكتور شاكر الفحام للمشاركة في الندوة، ولهذا فإن سعادتي عميقة واعتزازي كبير بأن أحضرَ بالسفر إليكم والاستفادة من ندوتكم.

وقد حملني زملائي في الأكاديمية أمانة الإعراب عن أطيب تحياتهم وأصدق تمنّياتهم لحضراتكم، وهم يعتزّون أيّما اعتزازٍ بجهودكم الدائمة وأعمالكم الخالدة في نصرة لغة الضاد ورفعة شأنها ويحيّون معالي رئيس المجمع الأستاذ الدكتور شاكر الفحام الذي سعدنا به في الأكاديمية زميلاً جليلاً.

وأرجو أن تسمحوا لي ـ وقد جئت ممثلاً لأكاديمية المملكة المغربية في

هذه الندوة - أن أقدم عرضاً موجزاً عن نشاط لجنة اللغة العربية التي هي إحدى اللجان العاملة في الأكاديمية وهو نشاط يتصل بموضوع الندوة ويتعلق بمحاورها.

إننا في لجنة اللغة العربية بالأكاديمية أصبحنا على صلة مباشرة بمجامع اللغة العربية بعد انتماء أكاديميتنا إلى اتحاد المجامع اللغوية، ونحن نحاول أن نسعى كسعيكم ونعمل مثل عملكم في الدفاع عن اللغة العربية والحفاظ على سلامتها ومكانتها تطبيقاً منا لهدف من الأهداف المنصوص عليها في ديباجة الظهير التأسيسي للأكاديمية وهو «السهر - بتعاون مع الهيئات المختصة - على حسن استعمال اللغة العربية بالمغرب، وعلى إتقان الترجمة من اللغة العربية وإليها وإبداء الآراء السديدة في هذا الموضوع».

ومنذ تكونت لجنة اللغة العربية في الأكاديمية وهي تنظر في واقع اللغة العربية وأوضاعها بالمغرب معتبرة ومقتدية بالتراث النحوي واللغوي الكبير الذي أسهم به المغاربة في خدمة اللغة العربية وعلومها من شروح سيبويه إلى متون الجزولي وابن مالك وابن اجروم ومن معاجم القالي والزّبيدي وابن سيدة إلى حواشي ابن الطيب الفاسي والتادلي.

وقد اتجهت أنظارنا في أول الأمر إلى حال اللغة العربية في وسائل الإعلام، وأخذنا في رصد كيفية أدائها وطريقة استعمالها في الإذاعة والتلفزة والصِّحافة، وأنجزنا مسرداً ببعض ما يقع فيها من خطأ نحوي أو لغوي، وبلّغنا نتيجة عملنا إلى الجهات المسؤولة عن الإعلام مع حرصنا على متابعة الموضوع ومراقبة التنفيذ.

وقد كان لهذا المجهود أثره الطيب في تحسن الأداء وتجنّب الأخطاء، ثم تطور عمل لجنتنا في هذا السبيل إلى تنظيم اجتماعات دورية مع ممثلي

وسائل الإعلام، وكان من نتائج هذه الاجتماعات جملة من الاقتراحات وقع الالتزام بتطبيقها:

- تطبيق اقتراح مشرفين لغويين للقيام بمهمة تصحيح الأخطاء.

- تنظيم دورات للتدريب على النطق السليم وحسن الإلقاء.

- توفير معاجم ميسرة في المصطلحات الإعلامية والألفاظ الشائعة في ميادين العلم والتكنولوجيا والحضارة.

- توفير معجم يضبط أسماء الأعلام والأماكن المختلفة.

- الرجوع إلى لجنة اللغة العربية في الأكاديمية واستشارتها في قضايا اللغة العربية كلما اقتضى الأمر ذلك.

هكذا أحسسنا في لجنة اللغة العربية بالأكاديمية أن علاج الأداء في هذا المستوى من استعمال اللغة العربية أمر ضروري عندنا في المغرب وإن كان هو - فيما نحسب - شيئاً مفروغاً منه في المشرق العربي.

وقد تبين لنا ونحن ندرس موضوع الأداء اللغوي في وسائل الإعلام أن من أسبابه ضعف مستوى التعليم العام ونقص التكوين في اللغة العربية بالمعهد العالي للصِّحافة عندنا، وهو الذي يتخرج منه جل الإعلاميين، ولهذا وقع تنبيه الجهات المسؤولة التي شرعت في تدارك الأمر بتقوية ما كان ضعيفاً وتتميم ما كان ناقصاً.

وقد اشتغل أعضاء لجنة اللغة العربية في الأكاديمية كذلك زمناً غير قصير بمراجعة مجموعة من الكتب والمعاجم المدرسية المستعملة في المرحلة الابتدائية وأبدوا فيها آراءهم التي وجهت إلى جهات الإشراف والتنفيذ لتوزّعها على لجان التأليف المدرسي، ومن المعروف أن مؤلفي الكتب

المدرسية فـي الأزمنة الأخيرة نحوا فيها منحى مغرقاً في البساطة والسذاجة وسأقتبس هنا فقرة من بحث للأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي عضو هذاالمجمع الموقر قال:

«فلا حاجة مثلاً لأن نكتب لأطفالنا الصغار في كتب القراءة الابتدائية: زرع فريد فولاً وقطف ملفوفاً. إن ذلك يزرع التفاهة ويقطف الركاكة، ويُعتاد فيه الكسل والتزاخي. أتذكر أنا - يقول الدكتور - كنا في الصف الرابع الابتدائي نعتمد كتاب أدب الدنيا والدين للماوردي للقراءة .. وما أظن - يقول الدكتور - إن متخرجاً في كلية الآداب يستطيع أن يقرأ بسهولة هذا الكتاب ..».

لقد جاءت هذه الفقرة في آخر كلام لأستاذنا المجمعي أبدى فيه رأياً صريحاً نميل إليه ونحبذه، قال: «وأحب أن أبدي رأيي في مجال تعليم اللغة العربية وهو أن محاولة تيسير اللغة العربية وتسهيل أصولها من نحو وصرف محاولة مخفقة لأنها تؤدّي إلى التردّي والتراخي والتفاهة والركاكة. نحن نؤثر الصعوبة والعقبات لأنها تشحذ العزائم وتشد الانتباه وتتحدى الإرادة المتوثبة ولا بد في ذلك من اعتماد التراث العربي الأصيل».

إن اشتغالنا باللغة المستعملة في وسائل الإعلام والكتب المدرسية إنما هو جزء من برنامج واسع يتناول قضايا اللغة العربية ومشكلاتها المختلفة كقضايا التعريب والترجمة والمصطلح والتيسير وغيرها وقررنا أن ندرس كل قضية على حدة في ندوة خاصة بها، وقد أقمنا ثلاث ندوات هي ندوة الحرف العربي والتكنولوجيا في سنة ١٩٨٨ وندوة قضايا استعمال اللغة العربية في المغرب في سنة ١٩٩٣ وندوة الترجمة العلمية في سنة ١٩٩٥، وأعمال هذه الندوات ووقائعها منشورة وقد شارك فيها أعلام من المشرق

والمغرب وهي ملَفات يرجع إليها في بابها وليس في الإمكان الآن تلخيص أبحاثها، ولكني سأشير إلى بعضها، فقد وضع الأستاذ أحمد الأخضر غزال بين أيدي المنتدين مَلفاً حُرِّص فيه ـ كما يقول ـ «على أن يكون شاملاً لجميع الوثائق الضرورية للإلمام بقضية الحرف العربي والتكنولوجيا إلماماً يجعل من الذي يدرسه ويتمعن فيه قادراً على الكلام فيه عن دراية وعلم. وفي اعتقادي ـ يقول الأستاذ الأخضر ـ إنه لو توفرت هذه الوثائق والمعلومات للهيئات العربية التي اشتغلت بهذا الموضوع من قبل لكنا قد فرغنا من هذا المشكل من زمن بعيد ولكنّا مكرِّسين جهودنا اليوم لخدمة اللغة فقط بكيفية طافرة نحو بناء مستقبلنا الزاهر بإذن الله وحوله». وقد كان هذا الملف موضوع نقاش من بعض المشاركين الخبراء في الموضوع ولكن جميع المشاركين نوهوا بالطريقة المعيارية ومزاياها وللاستاذ الاخضر كتابات متعدّدة في شرح هذه الطريقة والدفاع عنها، ويبدو لنا أن اجتهادات الأستاذ الأخضر وتجاربه العديدة وخبراته الطويلة حرية بأن يستفاد منها.

وأما ندوة قضايا استعمال اللغة العربية في المغرب فقد كانت ندوة كبرى شارك فيها مجمعيون من المجامع العربية فتحولت من قضايا استعمال اللغة العربية في المغرب إلى دراسة قضايا اللغة العربية وطرح مشكلاتها العامة وهي تقع في سفر ضخم وأحسب أن الباحث في قضايا اللغة العربية لا يستغني عن الرجوع إليه.

وقد كانت ندوة الترجمة العلمية ندوة ممتازة أيضاً حضرها خبراء من سوريا ومصر والأردن وتونس، وقدم فيها خبراء من المغرب أبحاثاً جيدة حول الترجمة العلمية في الرياضيات والعلوم الطبيعية، وقد لاح من خلال العروض والمناقشات أمل في الوصول إلى تدريس الطب والعلوم باللغة

العربية كما هو الواقع في هذا البلد الحبيب ومما ورد في هذه العروض أن إتقان الترجمة العلمية وترجمة المراجع العلمية المعتمدة إلى اللغة العربية من الوسائل التي تؤدي إلى تحقيق الأمل المنشود إن شاء الله.

إن محاور هذه الندوة التي دعا إليها مجمع اللغة العربية بدمشق مشكوراً تثار دائماً ونحن في حاجة إلى أن تثار باستمرار حتى يتم البت فيها والاتفاق على رأي موحد حولها، وأرى - بكل تواضع - أن نهاية هذا القرن الميلادي الوشيكة تصلح أن تكون مناسبة لوقفة يتم فيها مراجعة الكم الكبير الذي قيل وكتب منذ قرن أو قرن ونصف في مشكلات اللغة العربية على أن يستخلص من هذه المراجعة ما يؤدي إلى إنهاء الجدل حول هذا الموضوع.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الإعلان

وتأثيره في اللغة العربية

الدكتور عصام نور الدين

يُروى أن تاجراً عراقياً قدم إلى مدينة رسول الله، بِعِدل من الخُمُر، فباعها كلها إلا السود، فلم يجد لها طالباً، فكسدت عليه، وضاق صدره، فقيل له: ما ينفّقها لك إلا مسكينُ الدّارميُّ، وهو من مجيدي الشعراء الموصوفين بالظرف والخلاعة. فقصده فوجده قد تزهّد وانقطع في المسجد، فأتاه وقصَّ عليه القصة، فقال له: وكيف أعمل وأنا قد تركت الشعر وعكفت على هذه الحال؟

فقال له التاجر: أنا رجل غريب، وليس لي بضاعة سوى هذا الحمل، وتضرَّعَ إليه.

فخرج الدَّارميُّ من المسجد، وعمد إلى ثياب نسكه فألقاها عنه، وأعاد لباسه الأول، وعاد إلى مثل شأنه الأول، وقال شعراً، ورفعه إلى صديق له من المغنّين، فغنّى به، وكان الشعر:

قل للمليحة في الخِمار الأسودِ ... ماذا فعلت بزاهدٍ مُتَعَبِّدِ
قد كان شمَّرَ للصلاة ثيابه ... حتّى خطرت له بباب المسجدِ
ردّي عليه صلاتَه وصيامه ... لا تقتليه بحقِّ دين محمدِ

فشاع هذا الغناء في المدينة، وقالوا: قد رجع الدَّارميّ وتعشق صاحبةَ الخِمار الأسود. فلم تبق مليحةٌ بالمدينة إلا اشترت خماراً أسود، وباع التاجر جميع ما كان معه. فجعل إخوان الدّارميّ من النساك يَلقَون الدَّارميَّ، فيقولون له: ماذا صنعت؟

فيقول: ستعلمون نبأه بعد حين.

فلما أنفد العراقيُّ ما كان معه رجع الدَّارميُّ إلى نسكه ولبس ثيابه(1).

تُبرز هذه القصة:

أولاً: دورَ «الإعلان» الخطير في تقريب البعيد، وإقناع الفتيات بشراء ما كُنَّ قد أعرضن عن شرائه، أو كُنَّ قد رفضنه، فما كان البارحة سيئاً أصبح اليوم جيداً.

ثانياً: سماتِ «الإعلان» في ذلك الوقت، واعتماده:

١ـ على قائل مرموق (شاعر مجيد متهتك ـ مغنٍ متقن).

٢ـ وعلى ممثلٍ بارعٍ، أحسن لعب دوره، فألقى ثياب نسكه وزهده عنه، ولبس ثيابه **الأولى**؛ ثياب العزِّ والشرف والتهتك والمجون، وأوهم

---

(١) ابن عبد ربه (أبو عمر أحمد بن محمد)، **العقد الفريد**، شرحه وطبعه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه أحمد أمين وآخرون، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٣٦٨هـ ـ١٩٤٩م)، ص: ٦/ ١٨ ـ ١٩. وانظر كتاب ابن خِلّكان، **وَفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة (د.ت)، ص: ٤/ ١٦١.

العذارى أنه قد عاد إلى مثل شأنه الأول... إلى سيرته الأولى... موحياً إليهنّ بشراء الخُمُر السود، التي تُبرز جمالهنَّ المؤثر الفاتن.

٣- وعلى كلام شعري تبوح كلماته وتراكيبه بموسيقى داخلية محببة، تبرز جرس الأصوات العربية وتناغمها وتآلفها؛ لأن صاحب النّص كان يعرف تأثير الموسيقى في العذارى، ويعلم سرعة تأثرهنّ بالكلمة الخفيفة الموحية.

٤- وعلى لحن خفيف يسير بين الناس سيراً لطيفاً مقبولاً ومطلوباً، فيدخل عقول العذارى وقلوبهنَّ دخول الهواء رئاتهنَّ؛ أي من دون أن يشعرنَ به، بل من دون أن يقاومن دخوله نتيجة ذلك الخدر النفسي المحبب إلى نفوسهنّ وأجسادهنّ المتعبة... والمتشوقة، في الوقت نفسه، إلى اللذة الهادئة أو الصارخة... وإن كان هذا الشوق مستوراً بعادات اجتماعية تكتمه إلى حين، وتخفيه في الظاهر، من دون أن تستطيع قتله، أو اجتثاثه من نفوسهنَّ التي تختزن سرّ الحياة والتكاثر والنموّ.

٥- وعلى التكرار غير المملِّ من جهة، والمداومة على نشر «الإعلان» بين الفتيات من جهة ثانية؛ لأن نصَّ الدَّارميَّ لم يُغنَّ مرة واحدة، في مكان واحد، بل اعتمد التكرار... والغناء في أماكن متفرقة، وفي أوقات مختلفة، ليوصل «إعلانه» إلى أوسع شريحة من شرائح المجتمع في «المدينة».

٦- وعلى هدف خلفي أُخفِيَ بلباقة ومكرٍ، وهو هنا تعلق الغانيات بمسكين الدَّارميِّ، أو بمن يشبهه من الشباب، أو بما يمثله الدَّارميُّ من شباب، وتوقد، وحركة، وحياة، ورجولة، وشاعرية، ومركز اجتماعي... إلخ،

وطمع كل واحدة منهن بأن تكون صاحبة الخمار الأسود التي تتصدّى للناسك المتعبد فتردّه عن صلاته وصيامه، وتجعله يخلع ثياب الزهد والتعبد والوقار من أجل جمالها، والظفر بحبها ووصلها.

فالإعلان، في هذه القصة الجميلة الممتعة، عبارة عن رسالة أو مرسلة MESSAGE - كما نقول في علم اللغة الحديث ـ تشدُّ المستمع أو المتلقي (RECEPTEUR)، فيقرأ القصيدة، أو يسمعها مغناةً وكأنه يستمع إلى قطعة موسيقية خالدة، أو كأنه يشاهد لوحةً جميلةً؛ فيفهمها ككلٍّ أولاً، ويحدد جيداً علاقات كل عنصر بالعناصر الأخرى ثانياً(١) ؛ أي أن أهمية هذا النص الشعري الإعلاني الجميل لم تبرز بذاتها ولذاتها ومن أجل ذاتها فقط... بل برزت نتيجة العلاقات القائمة بينها؛ العلاقات بين الأجزاء والكل، بين اللون والشكل، بين الكلمة وجرسها الداخلي وموسيقى المغني الخارجية وصوته الجميل، بين تطلع الغواني في المدينة إلى الظفر بحب الدّارميّ - أو بمن يشبهه - ولفت انتباهه، والسيطرة عليه، وحرفه عن صلاته وصومه وتنسكه وعبادته؛ أي أن العلاقات القائمة بين الدال Signifiant والمدلول Signifié (٢) قد نجحت في قصيدة الدارميّ؛ لأن صاحبها قد راعى العلاقة بين الشكل

---

(١) -Dora Vallier. Dans le vif de L avant – garde. in Jakoboson. arc Paris. Librairie Duponchelle, ١٩٩٠,١٠ - ١٢ p.

(٢) راجع في نظرية الدليل اللغوي وجزأيه؛ الدال والمدلول كتاب «فردينان دي سوسير»

Ferdinandde saussure, Coursdelinguistique generale, paris, Edition – Payo theque, ١٩٨٠

والمضمون والهدف، ولَحَظَ السياق الاجتماعي للبث أو الإرسال أو الإنشاد أو الكلام، وتنبَّه إلى أهداف المتكلم أو الباثّ أو المرسل، ووضع نصب عينيه الأوضاع النفسية، والذاتية الشخصية، والاجتماعية، والثقافية، والطبقية، والاقتصادية للمتلقين... أو للمتلقيات.

لقد حاول الدّارميُّ - وهو المرسل أو الباثُّ أو المتكلم - حين تكلم إلى متلقٍ أو مستمع جديد - وبنات «المدينة» هنّ المتلقيات المستمعات في نصّ الدّارميّ - حاول إرادياً أو لا إرادياً - أن يوظف ألفاظاً مشتركة بينه وبين بنات المدينة لإثارة إعجابهن بخُمُر التاجر العراقي، ولإفهامهن أن تلك الخُمُر جيدة، وتضفي عليهن الروعة، والجمال، والجاذبية، وقوة السحر الأنثوي، والإغراء، والإغواء، فساعدهن في شعره على التخلص من لامبالاتهن ومن إعراضهن عن خُمُر العراقي السود... ودفعهنّ دفعاً لطيفاً إلى شرائها والتمتع بوضعها على وجوههنّ؛ لأن كلّ واحدة منهنّ ظنت أنها هي الفطنة اللبقة المكتشفة، وأنها هي السابقة... الغاوية المغرية.

ولا يظنن أحد أن الدّارميَّ كان حراً حرية مطلقة في اختيار ألفاظه وتعابيره وتراكيبه وأبنيته النحوية، وفي توظيفها في نصّه «الإعلاني» هذا، بل كان خاضعاً - أو مراعياً - لعدد من العوامل والاختيارات التي حددتها عبقرية اللغة العربية، وخصائصها، وسننها، إضافة إلى الظروف والخصائص التي تنبه إليها، والتي لحظتها الألسنية، وحاولت حصرها في:

١- الظروف الحسية للتواصل.

٢- الخصائص الموضوعية (Thématique) - أو الرابط الموضوعي بين

الجمل، ويكون موضوع المرسلة هو الجامع الموضوعي[1] ــ والبلاغية التي يمتاز بها الخطاب؛ ويسمى هذا النوع بـ«عالم الخطاب»، أو «قرائن الحديث»، أو «إطار الحديث» [2] L,univers du discours ، وهو الإطار أو الموضوع الذي يقع تحته الحديث ـ سواء أكان فكاهة أم رواية أم خطبة أم شعراً أم أي مرسلة أخرى ـ ولكل إطار سمات تميزه من بقية الأطر، وتؤثر لغوياً في الموضوع، وفي اختيار الكلمات وضروب الاستعمال وطول التراكيب اللغوية أو قصرها، ويشمل الإطار اللغوي، أيضاً، «تموقع الخطاب» أو المرسلة، إضافة إلى العوائق الأسلوبية ـ الموضوعية.

وقد أدخلت الألسنية عناصر أخرى على هذا التحديد الذي توصلت إليه، وهي:

١ـ التحديدات النفسية والتحليلية ــ النفسية، وتلعب دوراً مهماً في بناء المرسلة وفي فك رموزها.

٢ـ الكفاءة الثقافية والأيديولوجية لكل من المرسل أو الباثّ أو المتكلم

(١) بعلبكي (رمزي منير، الدكتور)، معجم المصطلحات اللغوية، بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الأولى (١٩٩٠ م)، ص: ٥٠٢.

(٢) مكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم الموحَّد لمصطلحات اللسانيات، تونس (١٩٨٩م)، ص: ١٤٩. وانظر:

بركة (بسام، الدكتور)، معجم اللسانية، طرابلس: جروس ــ برس، الطبعة الأولى (١٩٨٥م)، ص: ٢٠٨.

مبارك (مبارك، الدكتور)، معجم المصطلحات اللسانية، بيروت: دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى (١٩٩٥م)، ص: ٢٩٦.

من جهة، والمتلقي، أو المرسل إليه، أو المستمع، أو القارئ من جهة ثانية، وهي تقيم مع الكفاءة اللغوية Compétence علاقات متينة وغامضة.

ونستطيع الاستعانة بالرسم البياني التالي الذي رسمته Orecchioni لبيان عملية التواصل سواء أكانت في قصيدة أم في مقطوعة نثرية، أم في «إعلان»، أم في «بيان»، أم في أي مرسلة[١] :

مرسل إليه		مرسل
الكفاءات اللغوية وغير اللغوية		الكفاءات اللغوية وغير اللغوية
مرسل إليه	**المرجع**	**مرسل**
	بناء ـ مرسلة ـ فك رموز	
	قناة الاتصال	
الكفاءات الأيديولوجية والثقافية		الكفاءات الأيديولوجية والثقافية
التحديدات النفسية		التحديدات النفسية
عوائق الحديث		عوائق الحديث
طريقة الإنتاج		طريقة الشرح

فالإعلان، كما يستنتج من قصة الدّارميّ وحركته التمثيلية ونصه الشعري الجميل، فنٌّ مركب، «**يضع العالم بين يديك**»[٢] ، أو بين يدي المتلقي أو المستمع، ويقنعه ـ أو يوهمه ـ بأنه قد حصل على أفكار جديدة،

(١) Dora Vallier, Dans le vif de L, avant- garde, P.١٠ - ١٢

(٢) عبارة وردت في إعلان نشرته مجلة «الوسيط»، العدد ٤٢، في١٣/١٠/ ١٩٩٧، ص: ٢٣ .

أو بضاعة جديدة هو بحاجة إليها ولكنها **«لم تصنع من قبل»** [1].

ويتكون الإعلان من أفكارٍ واضحة هادفة، ويعتمد وسائل اتصال متنوعة متناغمة، ويهدف إلى إقناع المتلقي برسالته ـ بعد دراسة نفسيته، وثقافته، وحالته الاجتماعية والاقتصادية، وتاريخه، وانتمائه القومي والديني والجغرافي... واللغوي ـ ويدفعه دفعاً لطيفاً إلى تنفيذ غايته الظاهرة ـ أو العميقة ـ فيتبنى الفكرة، ويناقش فيها، معتبراً أنه هو صاحبها... أو يشتري السلعة ويظن أنه هو مخترعها أو مكتشفها أو مصنّعها... أو أنها لم تصنع إلاّ من أجل سعادته ورفاهيته... ويقلّد الآخرين في استعمالها وفي التماهي معها من دون أن يدري أنه يقلد، ومن دون أن يدري أن تأثره بهذا الإعلان قد يغير نفسيته وسلوكه وثقافته وعاداته وتقاليده... وقد يقضي أحياناً على وجوده المعنوي والحضاري والتاريخي... بتخطيط دقيق وذكي من المعلن أحياناً، أو من دون أن يكون في نية المعلن إلاّ نشر اسم السلعة وطريقة استعمالها لقاء أجر معين، كما بدا في قصة الدّارميِّ، وفي حواره مع التاجر العراقي، حين قال له[2] :

- **«ما تجعل لي على أن أحتال لك بحيلة قد تبيعها كلها على حكمك؟»**.
- **فأجابه التاجر العراقي: «ما شئت»**.

«غير شخصية لتقديم الأفكار أو السلع أو الخدمات بواسطة جهة معلومة

---

(١) عبارة وردت في إعلان يقول: «اسألوا عن أفكار جديدة لم تصنع من قبل».

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ص: ٦/ ١٨.

ومقابل أجر مدفوع»[1] .

فالإعلان، إذاً، متنوع الأشكال والأهداف، فقد يوجه إلى إنسان فردٍ، أو إلى فئة، أو جماعة، أو حزب، أو أمة... وقد يكون علمياً، أو ثقافياً، أو سياسياً، أو اقتصادياً، أو صناعياً، أو زراعياً... وقد يعتمد المعلن في نشره على:

١ـ **الكلمة المسموعة:** من الإذاعات أو المحاضرات أو الندوات والخطب... وهي أقدم وسيلة إعلان عرفها الإنسان، وتنتقل من أفواه الناس إلى آذانهم مباشرة، أو تبث من وسائل الإعلام المسموعة... ونقل «المعلومات» من إنسان إلى آخر أو إلى آخرين يدّعي، في الأغلب الأعم، البراءة والسذاجة والعفوية... ويخفي وراءه التخطيط والدراسة والأهداف.

٢ـ **الكلمة المكتوبة،** في الصحف، والمجلات، والكتب، والنشرات، والتقارير، وعلى جدران الكهوف، أو المدينة، أو القرية وساحاتها ولوحاتها الإعلانية، سواء أكانت ثابتة أم متحركة.

٣ـ **الكلمة المسموعة المكتوبة،** مصحوبة بالصورة المتحركة والمنظر الخلفي الموحي والموسيقى المعبرة، ويكون ذلك في التلفاز والسينما، وفي الأفلام المسجلة.

---

(١)Report of committee of Definitions: American Marketing Association: the journal of Marketing, Vol ١٩٤٨ P. ٢٠٥

بالاقتباس من كتاب الدكتور أحمد عادل راشد، الإعلان، بيروت: دار

٤ـ **الحركة** سواءٌ أكانت منفردة أم مقرونة بالكلمة والصورة والموسيقى واللون... ويصاحبها الإغراء والإغواء والتشويق وإثارة الخيال[1].

النهضةالعربية (١٩٨١م)، ص: ٣٥.

(١) صنف Cantrel «هادلي كانترل» و«البرت» وسائل الاتصال وفقاً لدرجة انتباه الأفراد إليها على النحو التالي:

١ـ الحوار أو الحديث وجهاً لوجه بين شخصين.

٢ـ المناقشة أو الحديث وجهاً لوجه بين أفراد جماعة.

٣ـ الاتصال بين أفراد هيئة أو جمعية تجتمع بشكل ودي لا رسمي.

٤ـ الاتصال الهاتفي.

٥ـ الاتصال بين أفراد هيئة في جلسات رسمية.

٦ـ السينما الناطقة.

٧ـ التلفاز.

٨ـ المذياع.

٩ـ التلغراف.

١٠ـ الرسائل والخطابات الشخصية.

١١ـ الخطابات الرسمية.

١٢ـ الصحف.

١٣ـ لوحات الإعلانات.

١٤ـ المجلات.

١٥ـ الكتب.

ويلاحظ أن منزلة وسائل الاتصال الإعلانية المنتشرة اليوم تأتي في المراتب المتدنية. راجع:

ـ عيسوي (عبد الرحمن، الدكتور)، **الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون**

فيستجيب المتلقي استجابة مباشرة أو غير مباشرة، فيشتري السلعة، أو يتمنى شراءها، أو يحفظ اسمها وينتظر الوقت المناسب... أو يعرض عن هذه السلعة أو تلك لأنه «لمس» أن هذه السلعة أو تلك الفكرة «أفضل» من سلع الآخرين وأفكارهم...

فالإعلان، كما لاحظ غير واحد من المهتمين به، يغطي«مختلف نواحي النشاط التي تؤدي إلى نشر أو إذاعة الرسائل الإعلانية المرئية أو المسموعة على الجمهور لغرض حثه على شراء سلع أو خدمات، أو من أجل سياقه من أجل التقبل الطيب لأفكار أو أشخاص أو منشآت معلن عنها»[1].

وطبيعيٌّ أن لا نغوص كثيراً في أهمية الإعلان التاريخية والاقتصادية والاجتماعية، ولا في مفهوم الإعلان ووظائفه، ولا في إدارة الإعلان، ولا في الكلام على الإعلان والسلوك الاجتماعي، ولا في الكلام على العوامل المؤثرة في الإعلان، ولا في فن الإعلان وتكوينه وتصميمه ووسائل نشره، ولا في بحوث الإعلان وتخطيطه وتقويم حملته الإعلانية... فإن هذه المباحث

العربي، بيروت: دار النهضة العربية(١٩٨٤م)، ص: ١١ .

- مُشَيِّخ (محمد حيدر)، **صناعة التلفزيون في القرن العشرين**، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٩٤م)، ص: ٩٧.

(١) عساف (محمود، الدكتور)، **أصول الإعلان وتطبيقاته في المجتمع الاشتراكي**، القاهرة: دار الناشر العربي (١٩٦٩م)، ص: ٢٩... وواضح أننا أخذنا هذا النص من خبير إعلاني من دون الالتفات إلى سلامته اللغوية أو متانة تراكيبه وجمله.

وأمثالها مطروحة في كتب الإعلان المنشورة [1] ، ويعرفها المهتمون بها، ولكننا نسعى، في هذه الدراسة، إلى الانطلاق من الكلام على الإعلان إلى الكلام على تأثير الإعلان في لغة المتلقين، بعدما بيّنا قوة الإعلان في تغيير آراء الناس وأمزجتهم ومواقفهم... نتيجة تأثير الإعلان التعليمي، والإرشادي، والإخباري، والتذكيري، والإعلامي، ونتيجة التكرار والمداومة... ونتيجة استناده إلى الدراسات النفسية والاجتماعية والفلسفية والتاريخية والحضارية والدينية والثقافية والجغرافية واللغوية والطبقية والاقتصادية للمتلقي المستهلك.

ويلاحظ المرء اليوم أن الإعلانات، التي تواجهه وتتحداه وتؤثر في نفسيته وسلوكه، مطروحة على جدران الطرقات، ولوحات الإعلانات، ووسائل النقل، والصحف والمجلات ــ وأحياناً في الكتب ــ وفي الإذاعات

(١) راجع على سبيل المثال لا الحصر:

• خير الدين (حسن محمد، الدكتور)، **دراسات في أصول الإعلان**، القاهرة: مكتبة عين شمس (١٩٦٣م).

• عجر (عبد الرحمن عبد الباقي، الدكتور)، **دراسات عن الإعلان**، القاهرة: مكتبة عين شمس (١٩٦٦م).

• الأنصاري (علي رفاعة، الدكتور)، **الإعلان: نظريات وتطبيق**، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية (١٩٥٩).

• رشتي (جيهان أحمد، الدكتور)، الإعلام ونظرياته في العصر الحديث، القاهرة: دار الفكر العربي (١٩٧١م).

• برجين (فرانسيس ج.)، الإعلام التطبيقي واستخداماته في تطوير الإدارة، ترجمة إبراهيم سلامة إبراهيم، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٩٥م).

المسموعة، وفي التلفاز...

* فماذا يرى الإنسان؟
* وماذا يقرأ؟
* وماذا يسمع؟
* وما تأثير ما يراه وما يقرؤه وما يسمعه في لغته؟

أولاً: الإعلان المكتوب

أشرنا، قبل قليل، إلى أن الإعلانات تُنشرُ مطبوعةً؛ أي مرئية، أو مسموعةً، أو مسموعة مرئية.

فالإعلان المطبوع صمِّمَ ليُنقل إلى المتلقي بالعين وحدها. وقد يُنشرُ في صحيفة يومية، أو في مجلة، أو في دورية، أو في ملصقة، أو في لافتة منقوشة أو مضيئة، أو في مرسلة بريدية، أو في كتاب متخصص... إلخ.

ولغة الإعلان المطبوع، في لبنان، هي ـ في الأغلب الأعمّ ـ اللغة العربية الفصحى، المدروسة جيداً، والمعتمدة على نوع من التقطيع، والتسجيع الخفيف، الذي يحببها إلى القارئ، ويقربها منه... ويبعدها عن العاميات والسوقيات وما تحمله من ألفاظ مبتذلة أو مشوهة أو أجنبية.

وتكاد الصحافة اللبنانية ـ إلا في القليل النادر ـ تلتزم بالعربية الفصحى في إعلاناتها المبوبة الثابتة ذات الصفة التجارية، مثل: «عقارات وشقق للبيع أو للإيجار»، «تبديل سيارات أو عقارات أو أثاث أو كتب أو طوابع»، «خدمات فنية»، «طلبات توظيف»، «أحكام قضائية» يفرض القانون نشرها... إلخ.

ويلاحظ الدارس، أيضاً، أن العربية الفصحى هي لغة إعلانات

«الأدلة»، مثل «صحتك سيدتي»، و«أحوال الجو»، و«الأفلام السينمائية»، و«الإعلانات الاجتماعية» من خطوبة وزواج ومواليد وتهان... ووفاة وتعزية وذكرى أسبوع المتوفى... إلخ.

والفصحى، أيضاً، هي لغة الدعوات؛ دعوات المحاضرات واللقاءات والاجتماعات، ودعوات الاحتفالات، ودعوات العشاء... إلخ.

ويلاحظ قارئ هذه الإعلانات حرص أصحابها على سلامة لغتها، واختصارها، وقصر جملها، وسلاسة أسلوبها، وصراحتها، ووضوحها، وإيجازها، وواقعيتها، وانضباطها، وتهذيب أفكارها، وإنجازها إنجازاً فنياً تاماً... مما يسمح لأصحابها بالاتصال مع المتلقي القارئ والتواصل معه... وكيف لا تكون كذلك، وهي موجهة إلى المتعلمين القادرين، فنياً، على القراءة والفهم من جهة، وعلى النقد المحبب إلى نفوسهم من جهة ثانية؟.

إن قراء الإعلانات والدعوات والبطاقات يتساءلون في أنفسهم لحظة رؤية الإعلان عن موضوعه...وهذا ما يدفع بالمعلنين إلى جذب انتباه المتلقي أو القارئ واهتمامه، فيضعون لإعلانهم عنواناً مثيراً لافتاً... وقد يكون مصحوباً بصورة توضيحية جاذبة.

إن قارئ الإعلان في الصحيفة أو المجلة أو اللافتة أو الملصقة حرٌّ في أن يقرأ الإعلان أو في أن يهمله... وحرٌّ في قراءة جزء من الإعلان والإعراض عن الجزء الآخر... وحرٌّ في تأجيل القراءة إلى أي وقت يريد، وقادر على التفكير في الإعلان ومضمونه وفي إيجابياته وسلبياته.

إن هذه الحرية تفرض على المعلن أن يعتمد في إعلانه أسلوباً سليماً، يثير انتباه المتلقي القارئ، ويدفعه دفعاً لطيفاً إلى قراءته وعدم إهماله... أو إلى

متابعة قراءته... ولا يستطيع المعلن استغلال المتلقي ووقته إلا إذا ضمن لإعلانه شروطاً فنية ولغوية عدة، أهمها: الوحدة، والترابط، والقوة.

فالوحدة هي وحدة الإعلان كله؛ ووحدة جمله واستقلالها، ووحدة فقره.

والجملة، في الإعلان، بسيطة وقصيرة، وموجزة، وواضحة، وقوية، وتحمل فكرة رئيسية واضحة مستقلة، ولكنها تمهّد طبيعياً للفكرة التي تتلوها؛ أي أن الجمل المستقلة المباشرة الواضحة يأخذ بعضها برقاب بعضها الآخر... وكلما كانت الجملة بسيطة وقصيرة كان الإعلان جيداً ومؤثراً.

إن الكلام على الجمل البسيطة القصيرة لا يعني أن تكون جمل الإعلان كلها قصيرة ومتساوية في التقطيع، بل الأفضل أن تكون مختلفة الطول والقصر حتى لا يصاب القارئ بالسأم والملل والضجر... فالتنويع في جمل الإعلان وعباراته وتراكيبه لا يحصل إذا كانت معظم جمله قصيرة، بل الأفضل أن تكون مطعمة بجمل متوسطة وطويلة مما يبعد الإعلان عن التصنع، ويعطيه الحياة والتأثير، ويدفع القارئ إلى التهامه بعينيه التهاماً سريعاً لا تضيع معه الفكرة الرئيسية ولو لحظة واحدة، كما يلاحظ القارئ في شعر **مسكين الدّارميّ**، المتنقل برشاقة بين:

١ـ **الطلب**؛ «قل للمليحة» في الخِمار الأسود.

٢ـ **الاستفهام**؛ «ماذا فعلت بزاهدٍ متعبد؟».

٣ـ **الخبر**؛ «قد كان شمّر للصلاة ثيابه». «حتى وقفت له بباب المسجد».

٤ـ **التأكيد**؛ «قد كان شمر».

٥ـ **مخاطبة المليحة، ورجاؤها**؛ «ردي عليه صلاته وصيامه» «لا تقتليه».

٦ـ **القسم**؛ «لا تقتليه ـ بحق دين محمد».

٧ـ **الالتفات**؛ مما سمح للشاعر بالتنقل من المخاطب إلى الغائب إلى المخاطبة.

إن هذا الأسلوب الغني بتنويع جمله، وتماوجها، ووحدتها، ووحدة موضوعها، سمح للمعلن أن يؤمن وحدة الفقر وترابطها؛ خدمةً لوحدة الفكرة الأساسية وإيضاحها، وتسويقها.

إن **وحدة الفقر واستقلالها** بجملها القصيرة الواضحة من جهة وارتباطها بفقر الإعلان الأخرى ـ في إعلان الدّارمي ـ من جهة ثانية شرط أساسيٌ لترابط الفقر، وإبراز سحرها وتأثيرها في المتلقي... ولا يتأتى للمعلن ذلك إلا إذا استقلت كل جملة بفكرة رئيسية، ترتبط بالجمل التالية لها ـ والمستقلة بدورها ـ وتشكل معها، في الوقت نفسه، جملاً متوحدة في فقرة، تتوحد بدورها مع الفقر الأخرى من جهة ومع فكرة الإعلان الرئيسية من جهة ثانية، كما يلاحظ في نصّ الدَّارميِّ، ذي الأبعاد:

فالفقرة الأولى تمثّل الدّارميّ وقد وقف أمام متلقٍ آخر، سيتحول إلى ناقل للرسالة، أو إلى باث جديد؛ «قل للمليحة». لكن على أيّ مليحة يتكلم الشاعر؟ إنه يتكلم على «المليحة في الخمار الأسود»... وهذا هو عنوان الإعلان وأساسه وغايته.

الفقرة الثانية تتكلم على سحر المليحة «في الخمار الأسود»، الذي جعل سحرها ينتقل إلى الناسك الزاهد المتعبد، الذي قد كان همّ بالصلاة

مبتدئاً بتشمير ثيابه، فإذا بها تخطر بباب المسجد، وليس بباب أي مكان آخر دلالة على استغراق الناسك بصلاته.

الفقرة الثالثة الموجودة في النص هي مخاطبة هذه المليحة في خمارها الأسود، ورجاؤها أن تردّ على الناسك صلاته وصيامه... وهنا إشارة إلى فقرة غائبة عن المستوى السطحي للنص، ولكنها موجودة بقوة صارخة في عمقه، وهي أثر المليحة وخمارها في الرجال الطبيعيين، بل في الرجال المتزهدين الناسكين العاكفين في المساجد، والحالة النفسية والجسدية والروحية التي نقلته إليها المليحة بخمارها الأسود الذي يبرز جمالها الآسر الأخّاذ.

إن كتابة الإعلان بلغة واضحة، وبجمل مستقلة ومترابطة في الوقت نفسه، تؤمن للإعلان وحدته الكلية من جهة وتمنع ازدواج المعنى والغموض من جهة ثانية؛ لأن همَّ المعلن يتجسد في إقناع المتلقي بفكرته أو بسلعته، كما أقنع **مسكين الدّارميّ** عذارى المدينة ونساءها ومليحاتها بخمر العراقي السود... فتهافتن على شرائها كما تتهافت الفراشات على الضوء، فيحرقن أنفسهن ابتغاء الدخول في التجربة أو التلاشي فيها، فتصبح الفراشات المحترقات جزءاً من النار والنور، فإذا هي النار والنور... تؤثر بدورها بكل من يراها أو تمسّه أو يمسّها.

لذلك فإن صاحب الإعلان، في أيامنا هذه، يطرح على نفسه عدة أسئلة قبل أن يرسل إعلانه في الناس؛ لأنه مجبر على أن يرسل نقوده إلى وسيلة الإعلام أو الإعلان قبل إرسال الإعلان؛ ومن هذه الأسئلة:

* هل سيثير هذا الإعلان اهتمام المتلقي أو القارئ؟.

• وإذا أثار الإعلان اهتمام القارئ فهل سيقرؤه؟.

• وإذا قرأ المتلقي الإعلان فهل سيفهمه مباشرة بسهولة ويسر ومتعة؟.

• وإذا فهم المتلقي الإعلان فهل سيحركه لتبني فكرة الإعلان والدفاع عنها كأنها فكرته الشخصية البكر؟ أو هل سيحركه لشراء السلعة والترويج لها باعتبارها متدنية الثمن، جيدة المواصفات، كثيرة المنافع، ولا يستغني الناس عنها؟.

• وهل سيتحول المتلقي إلى باث جديد للإعلان كما تحولت مليحات المدينة ونساؤها، بل ورجالها أيضاً، حتى ظُنّ أن شعر **الدّارميّ** قد سبق التاجر العراقي في الانتقال من المدينة إلى العراق؟.

* * *

إن هذه الصورة المشرقة للإعلان في الصحف اللبنانية قد تختفي من وقت إلى آخر، نتيجة عدم التزام بعض المعلنين باللغة العربية الفصحى، إذ قد يعمد بعضهم ـ عن حسن نية أو عن جهل، أو عن سوء نية ـ إلى أن يستبدلوا بالعربية الفصحى عامية سوقية، يظنون ـ مخطئين ـ أنهم يستطيعون بها مخاطبة الجمهور كله، بغض النظر عن ثقافة المتلقي ومستواه العلمي أو الاجتماعي.

ويستطيع الباحث أن يردّ عامية بعض الإعلانات إلى اللغة العربية الفصحى، ويستطيع، في بعضها الآخر، أن يتكلم على بعض أساليب العربية من حذف وترخيم وإدغام واقتصاد صوتي يلجأ إليه كل أبناء اللغات... ولكنه لا يستطيع ترك الأمور بأيدي هؤلاء النفر من الناس الذين قد تكون

دوافعهم اقتصادية، أو سياسية خبيثة، فيصيبون عصفورين بحجر إعلاني واحد؛ فهم يروجون لبضائعهم وسلعهم وأفكارهم من جهة، ويعملون على هدم اللغة العربية الفصحى وتدميرها وإبعادها عن الحياة وحاجات البشر المتجددة باستمرار من جهة ثانية.

لاحظ هذا الإعلان الذي يبدأ بداية جميلة؛ فهو يقول بأنه «**يضع العالم بين يديك**»؛ لأنه «**العجيب للمناطق البعيدة والصعبة**»... ثم ينحدر فجأة ليقول إنه «**بيجيب**» كذا وكذا، و«**بسعر رخيص كمان**» و«**ما عنا دشات شغل هون وهون**» و«**منعرف أسعار السوق... وعنّا أرخص**»(١).

ولاحظ إعلان هذا المصرف الذي يبدأ بلازمة: «**تعا... روح، تعا... روح، تعا... روح**»، «**مارح ناخذك ونجيبك على الفاضي**» **ثم يقول**: «**عم بتفكر تشتري بيت العمر؟ بدل ما تأضي وقتك رايح وجايي... بيعطيك الجواب من الأول**»(٢).

أرأيت إلى هذا الإسفاف اللغوي والذوقي والجمالي الذي يفقأ عين الإنسان الغيور على لغته وأمته وكرامته وحاضره ومستقبله، ويدمِّر الملكة اللغوية، بل ويسلب المتلقي لغته الجميلة، ويشوه سليقته اللغوية، ويقضي على أمل كل من يقرؤه من دون أن يؤمن له قرضاً لشراء بيت المستقبل إلا برهن حاضره ومستقبله ولغته؟.

---

(١) ملحق رقم (١)، وهو إعلان منشور في مجلة **الوسيط** البيروتية، العدد ٤٢، في ١٣/١٠/١٩٩٧، ص: ٢٣.

(٢) ملحق رقم (٢)، وهو إعلان منشور في جريدة **النهار** البيروتية، في ١٣/١٠/١٩٩٧، ص: ٤.

ولاحظ هذا الإعلان الذي لا يكلف كاتبه وباثه إلا القليل ليصبح عربياً فصيحاً:

«أحسنلك... أضمنلك... أقربلك»(١) .

ـ لله أبوهم، ألم يكن إعلانهم أجمل وأحسن وأضمن وأقرب لو كتبوا:

«أحسن لك... وأضمن لك... وأقرب إليك»؟.

ثم لاحظ هذا الإعلان عن برنامج تلفازي(٢):

ـ **«هل الطلاق هو الحل؟» ... ... وهو تعبير فصيح سليم.**

ـ **وهل «التسامح هو الحل؟» ... ... وهو تعبير فصيح سليم أيضاً.**

وهل «التضحية كرمال الأولاد هي الحل؟ ... استعمل كلمة «كرمال» اللبنانية بدل كلمة «كرمى» العربية الفصيحة.

ثم لاحظ كيف تزداد نسبة الانحدار إلى العامية في تتمة الإعلان نفسه:

ـ **«يمكن عم بتصير ببيتك» (أي الخيانة الزوجية)...**

ـ **«بس رح تسمع عنها...».**

ـ **«تعددت الطرق بس شو هي الأسباب؟»**.

إن هذه الأمثلة القليلة التي سقتها لا تلغي ملاحظتنا بأن الاتجاه العام

---

(١) ملحق رقم (٣)، وهو إعلان منشور في جريدة **السفير** البيروتية في ١٩٩٧/٩/١٧، ص:٢ .

(٢) ملحق رقم (٤)، وهو إعلان نشر في جريدة **السفير** البيروتية، في ١٩٩٧/١٠/١، ص:٥- ٦- ٧.

في الإعلانات المكتوبة هو الميل إلى اللغة العربية الفصحى؛ لأن قارئ هذه الإعلانات:

- هو الإنسان المتعلم المثقف في الأغلب الأعم.

- وهو قد لا يحسن قراءة الإعلان المنشور باللهجات السوقية العامية؛ لأنه غير مدرب على ذلك.

- وهو قد يُعرض عن قراءة الإعلان إذا كان مكتوباً بلهجة سوقية.

إن الإعلان الجيد، المتمتع بالصفات التي تكلمنا عليها، ينتشر بين الناس بسهولة ويسر، فيحفظه الناس، ويردده الكبار والصغار، بمناسبة أو من دون مناسبة، مما يدفع باللغويين والسياسيين إلى التفكير باستغلال الإعلان استغلالاً لغوياً، يؤمن استعمال صيغ الفصحى وتعابيرها وتراكيبها استعمالاً دائماً مرتبطاً بالحياة اليومية ومتطلباتها. وقد سمعت الناس، يرددون في غير مناسبة ومكان، تعابير إعلانية وتلفازية وسينمائية عدة، منها العربي الفصيح، ومنها العامي السوقي، ومنها الأجنبي، ومنها الهجين المشوّه، بل إنني أشهد بأن كثيراً من الأولاد لا يكتفون بحفظ العبارات المسموعة وترديدها، بل إنهم يقولون، على منوال ما يحفظون، جملاً وتعابير وتراكيب لم يسبق لهم أن قالوها، ولم يسبق لهم أن سمعوا من يقولها هي حرفياً... كما أن الأولاد الآخرين كانوا يفهمون هذه التعابير وتلك التراكيب والجمل فهماً طبيعياً مع أنهم لم يسمعوها من قبلُ، فيتجاوبون معها سلباً أو إيجاباً حسب مقتضيات السياق اللغوي أو الموقف اللغوي الذي فرضته المناسبة بكل ما فيها من تعقيدات أو تنوع[1].

---

(١) راجع نظرية «نعوم تشومسكي» Noam Chomesky التوليدية

ثانياً: إعلانات التلفاز والإذاعات

معروف أن اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم حسب تعريف ابن جني[1]، وأن النحو هو انتحاء سمت كلام العرب، في تصرفه من إعراب وغيره؛ كالتثنية والجمع، والتحقير، والتكسير، والإضافة، والنسب، والتركيب، وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم؛ وإن شذّ بعضهم عنها رُدَّ به إليها[2].

فاللغة الأصوات؛

التحويلية، في:

Structure xyntaxiques, Traduction de Michel Braudeau, . ١٩٦٩ Paris. Editions du Seuil

Aspects de la theorie svntaxique, traduction de Jean – .Claude Milner, Paris. Editions du Seuil ١٩٧١.

La linguistique cartesienne – suivi de – La nature formelle du langage, traduction de E. Delannoe et D. Sperber, Paris. Edition du Seuil ١٩٦٩.

Le langage et la pensee, Traduit de Louis- Jean Calvet, Paris, Edition Payot ١٩٨٠.

Questions de semantique, traduit de Bernard Cerquiglini, Paris, Edition du Seuil K ١٩٧٥. ..

(١) ابن جني (أبو الفتح، عثمان)، **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار، بيروت: دار الهدى للطباعة والنشر، الطبعة الثانية (د.ت)، ص: ١/٣٣.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١/٣٤.

* تؤخذ، إذاً، **اعتياداً**؛ كالصبي العربي يسمع أبويه وغيرهما، فهو يأخذ اللغةَ عنهم على **مرِّ الأوقات**.

*وتؤخذ **تلقُّناً** من ملقن،

وتؤخذ **سماعاً من الرواة الثقات ذوي الصدق والأمانة**، ويتقى المظنون[1]؛ لأن الخليل بن أحمد الفراهيدي قال «**إن النحارير ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب إرادة اللّبس والتّعنيت**»[2]، **لذلك قال ابن فارس**: «**فليتحرَّ آخذ اللغة وغيرها من العلوم أهل الأمانة والثقة والصدق والعدالة**»[3]. إن نصّ ابن فارس يفتح أمام الباحث الكلام على الإذاعات المسموعة والإذاعات المسموعة ـ المرئية، اللتين تسبقان بتأثيرهما وسائل النشر التقليدية؛ فالتلفاز جاء في تصنيف «هادلي كانترل Cantrel في المرتبة السابعة، والإذاعة المسموعة في المرتبة الثامنة، بينما جاءت الصحف في المرتبة الثانية عشرة، ولوحات الإعلانات في المرتبة الثالثة عشرة، والمجلات في المرتبة الرابعة عشرة، والكتب في المرتبة الأخيرة وهي الخامسة عشرة[4].

فالتلفاز أكثر تأثيراً في الجمهور من الإذاعة المسموعة، ومن وسائل النشر المكتوبة، مثل الصحف، ولوحات الإعلانات، والمجلات، والكتب، بل

---

(١) ابن فارس (أبو الحسين، أحمد)، **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**، حققه وقدم له: مصطفى الشويمي، بيروت: مؤسسة بدران للطباعة والنشر (١٩٦٣م)، ص:٦٢.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٦٣.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٦٣.

(٤) راجع هامش (١) في الصفحة ٨٣٤.

هو أحد أهم الوسائل التعليمية والتربوية واللغوية في حياة الأطفال الذين يكونون قد أمضوا أكثر من أربع سنوات في مشاهدة التلفاز عند دخولهم المدرسة في السنة الابتدائية الأولى حسب دراسة الباحثين الأمريكيين «فولز» و«هورنر» من مكتب برامج الأطفال[1]؛ أي أن الطفل يكون قد جلس أمام التلفاز مدة تفوق المدة التي جالس فيها أبويه، وأقاربه، وأصدقاءه... فأصبح التلفاز، إذاً، هو مربي الأطفال المفضل لديهم، وأصبح هو الرفيق الذي يستمتع الأطفال برفقته، وبسماعه، وبرؤية أبطاله؛ لأنه ــ حسب دراسة الباحث «ميتاكلينوس» ـ يحتوي على ثلاث ركائز قوية؛

١ـ فهو صورة مرئية،

٢ـ وهو كلمة مسموعة،

٣ـ وهو حركة متتابعة.

ونستطيع أن نضيف الإيحاءات الناجمة عن الموسيقى الخفيفة المساعدة، والمناظر الخلفية المؤثرة، وحبّ الأطفال ــ والكبار ـ لشخصيات معينة تستطيع التأثير فيهم، وتعديل سلوكهم، وزيادة معلوماتهم، وتحسين لغتهم أو تشويهها؛ لأن التلفاز ـ حسب قول الباحثة «شايون Chayon » «هو أقصر الطرق في الوصول إلى عالم الكبار، إنه الشرفة التي يطل منها الطفل على عالم الكبار، وهو الباب الخلفي السريع لذلك... إذ لم يحدث قط أن كان التلفاز مشغولاً عن الحديث مع أطفالنا، ولم يحدث أن تركهم لأنه مضطر أن يعدَ الطعام... بل نراه يلعب معهم ويشاركهم العمل، لأنه يريد لفت انتباههم والحصول عليه لأنه يحتاجه دائماً، ولذلك فهو يفعل كل شيء

(١) مشيخ، صناعة التلفزيون في القرن العشرين، ص: ٩٠.

في سبيل الحصول على هذا الانتباه»[١]، فهو من أدوات التنشئة الاجتماعية، وهو أداة مثيرة ومؤثرة في سلوك الطفل، وفي نفسيته، وفي معلوماته، وفي ثقافته، وفي لغته... لأن مهارات الطفل اللغويةAptitude linguistique تتأثر بالعوامل الثقافية والاقتصادية والاجتماعية، وكثرة عدد أفراد أسرة الطفل وأقاربه وذويه ومعارفه، وأساتذته، ورفاقه، وأبناء حيه...إلخ، الذين يستمع إليهم أقل من استماعه إلى التلفاز... وهذا يعني أن التلفاز يؤدي، في الأغلب الأعم، وظيفة أبوي الطفل وبيئته اللغوية، فيؤثر في لغة الأطفال ـ والكبار بنسبة أقل ـ تأثيرات إيجابية إذا كانت لغة التلفاز هي العربية الفصحى، ويقلل ـ في هذه الحالة ـ من الفروق اللهجية الضيقة، ويوحد التراكيب والاستعمالات إلى حد بعيد، ويغني معجم الطفل اللغوي إغناء كبيراً تزداد نسبته عند الأطفال المتحدرين من بيوت لا يتمتع أصحابها بالثقافة ولا يقرؤون أو يكتبون أو يتكلمون باللغة العربية الفصحى...

وقد لاحظت أن أبنائي ورفاقهم كانوا منذ الصغر يحفظون كلمات وجملاً وتراكيب لغوية عدة، بل ويحفظون حوارات كاملة لإعلانات محببة إلى نفوسهم، أو إعلانات شدت انتباههم، ولفتتهم إلى ما فيها من جمال وقوة تأثير... كما لاحظت أن الكبار يحفظون عبارات بطلات الأفلام

---

(١)
Johnson, R.C. and Medinnus, G.R> Child Psychology, Behaviour and ١٩٦٩ N.y Wiley and Sons, ...
Development, Hohn بالاقتباس من كتاب الدكتور عبد الرحمن عيسوي، الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون العربي، ص:٣٤، ٣٥.

وإعلانات الحسناوات إذا أدين أدوارهن أداءً طبيعياً بعيداً عن التكلف، والسماجة، والتصنع الصوتي، وإذا التزمن النطق الواضح السليم الذي يراعي مخارج الأصوات، في جمل قصيرة إجمالاً... وفي تراكيب متوسطة الطول... وهذا يعني أنهم قد حفظوا عبارات الغنج والدلال والتحبب والتودد والتقرب التي كن يتلفظن بها... وما ينطبق على الرجال ينطبق على النساء المتلقيات أيضاً. ولا يكتفي الصغار والكبار بالحفظ، وبترديد ما حفظوا، بل سمعت الأولاد يستعملون استعمالاً لغوياً صحيحاً عبارات سبق أن حفظوها ـ أو حفظوا مثلها ـ في مواقف لغوية جديدة، وكانوا ينسجون، أحياناً كثيرة، على منوال ما حفظوا، فيبتكرون جملاً عربية صحيحة، وجميلة في قصرها، وفي تعبيرها عن الموقف اللغوي تعبيراً دقيقاً.

إن الناس قد يعجبون بعدد كبير من الإعلانات الناجحة، التي يمثلها البارعون المتقنون من الممثلين والممثلات، والتي تجتمع فيها صفات الإعلان الناجح من إتقان الفكرة وتحديدها، ومن جودة الإخراج الفني وبراعته وعبقريته، ومن تمازج الصوت والصورة والحركة واللحن الخفيف والمنظر الخلفي، والجمل القصيرة الصحيحة المعبرة تعبيراً جميلاً عن الفكرة الرئيسية في الإعلان، والتي تراعي نفسية المشاهدين، وخلفياتهم الثقافية والتاريخية والسياسية والدينية والقومية والوطنية...إلخ، فيؤدي تكرار إذاعة الإعلان والمداومة على إعلانه في أوقات مختلفة إلى أن يتعلق الناس به فيحفظونه عن ظهر قلب، ويرددونه في عفوية تثير الشفقة أحياناً، وتثير، في أحيان أخرى، الإعجاب بقوة الإعلان الآسرة التي تستولي على عقولهم وقلوبهم ونفوسهم ودراهمهم، والتي تؤثر في سلوكهم الاستهلاكي والشخصي والثقافي

والعلمي، فإذا الناس ينقادون، بقوة الإعلان وسحره، إلى حيث يريد لهم المعلن أن يصلوا.

ـ فكيف يكون الأمر إذا سيطرت على وسائل الإعلان والإعلام قوى محبة ـ أو عدوة بثياب الأهل ـ تعرف ما تريد، وتعرف إلى أين تريد للمشاهد المستهلك أن يصل؟.

ـ وكيف يكون الأمر إذا لم يكن بيع السلع وترويج استعمالها هو الهدف الحقيقي للمعلنين؟.

ـ وما النتيجة التي قد يصل إليها المجتمع إذا كان المعلن لا يريد إلا بيع سلعته، فيفوض أمره إلى شركات الإعلان، التي قد تكون محايدة لا تعمل إلا على خدمة عملائها المعلنين، وقد تكون وطنية قومية، وقد تكون عدوة متسربة إلى وسائل التأثير في الجماهير وتسييرها؟.

إننا لن نتعرض في هذه الدراسة للإعلانات التي تحرف أطفالنا وتؤثر فيهم تأثيرات سيئة قد تدفع بهم إلى الموت حين يرون «سوبر مان»، فيتأثرون به، ويحاولون الطيران مثله... كما حدث غير مرة في غير مكان، ولا للإعلانات التي كانت تروج لشكولاه أدخلت فيها بعض أنواع المخدرات، ولا للإعلانات التي كانت تروج لأنواع من اللبان أو «العلكة» التي تثير الصبيان والبنات جنسياً، ولا للإعلانات التي تروج لمواد مضرة أو فاسدة قد انتهت مدة استعمالها... ولا للإعلانات التي تروج لاستعمال الكحول والسجائر وتستعمل في ذلك أخبث أنواع الإعلانات وأكثرها تأثيراً في أبنائنا، ولا للإعلانات الجنسية الفاضحة وأحياناً الشاذة... إنما نريد

أن نتعرض لتأثير الإعلان الجيد في إخراجه وصوره وحركته وموسيقاه وممثليه ولغته ـ بغض النظر عن السلعة التي يريد أن يعلن عنها ـ وتأثير هذا الإعلان في لغة أبنائنا وعاداتهم النطقية من جهة، وفي دور الحكومات العربية في حماية أبنائنا لغوياً وثقافياً وعلمياً وتاريخياً وفنياً وذوقياً واقتصادياً وجسدياً من تأثيرات الإعلانات التجارية وغير التجارية التي تغتصب المستمع المشاهد الذي يكون، في الأغلب الأعم، مسترخياً بين أفراد أسرته، فتتسلل هذه الإعلانات إليه وإلى جميع أفراد أسرته... فتدخل قلبه وعقله من دون مقاومة، وبدون إرادة منه، وتؤثر في سلوكه الفردي والاجتماعي واللغوي.

ـ فماذا فعلنا من أجل استصدار القرار السياسي الذي يفرض على المعلنين ـ في التلفاز والإذاعة، والصحف والمجلات ولوحات الإعلانات والكتب ـ أن تكون إعلاناتهم باللغة العربية الفصحى، وأن تلفظ كلمات الإعلان وجمله وتراكيبه مراعية خصائص اللغة العربية وسننها وعبقريتها فلا تحول «الثاء» «ساء»، مثلاً ـ كقولهم: معجون الأسنان هذا يقوي (اللسة) بدل قولهم «اللثة»؟.

إن التلفاز جهاز ذو تأثير كبير في الصغار والكبار، في الذكور والإناث، في المتعلمين وفي الأميين، وفي الطلاب والفلاحين والعمال وأصحاب الحرف والصناعات، وهو كما تدل الملاحظة والمشاهدة يقوم بدور الأبوين العربيين اللذين يسمعان ابنهما أصوات اللغة، وكلماتها، وتعابيرها، وتراكيبها، وأساليبها، والتعبير بها عن كل حاجاتهم المادية والمعنوية والروحية... ويقوم التلفاز، أيضاً، بدور الملقن الدائم على مرّ الأوقات... ويلعب فيه المذيعون والمذيعات، والممثلون والممثلات، ومقدمو

البرامج والمقدمات، دور الرواة الذين يجب أن تحولهم الدولة والمؤسسات الأهلية والشعبية والحزبية والثقافية والاجتماعية...إلخ، إلى رواة ثقات ذوي صدق وأمانة، كما تقوم المدارس والجامعات بتحويل هؤلاء الرواة الثقات ذوي الصدق والأمانة إلى رواة نحارير، متقنين، لا يُدخلون على كلام العرب ما ليس منه... كما تلعب وسائل الإعلان والإعلام ـ المرئية والمسموعة والمكتوبة ـ دور الأستاذ الدائم لكل من يظهر على شاشة التلفاز ويتفوه ببنت شفة.

يجب أن لا يترك الأمر كما هو الآن في عدد من التلفازات والإذاعات العربية التي لا يحسن مذيعوها ومذيعاتها النطق بأصوات كلمة واحدة نطقاً عربياً قويماً... بل يسمعونك التأتأة، والفأفأة، وتبديل مخارج الأصوات والحروف تبديلاً يبدل المعنى في كثير من الأوقات، فتتحول كلمة «الثقيل» ـ في اللهجة اللبنانية ـ إلى «سقيل أو صقيل»، وكلمة «ثنايا» إلى «سنايا»، وكلمة «نظافة» إلى «نضافة» وكلمة «بيض» إلى «بيظ»...إلخ، بل يسمعونك المرفوع منصوباً، والمنصوب مرفوعاً، ولا يميزون فعلاً من فَاعل أو مَن مفعول أو من مجرور... ولا يميزون الاسم من الفعل من الحرف... ولا يعرفون أن العرب تبدأ بالمتحرك وتقف على الساكن... ويتفاخرون بالأخطاء الشنيعة التي يرتكبونها ويسممون بها أسماع أطفالنا وأولادنا وشبابنا... بل ويتفاصحون، أحياناً، فيدخلون بسماجة ممجوجة ألفاظاً أجنبية على كلامهم، فيقولون لك مثلاً: «إن هذه المسألة» «دي جا» «بحثت» وما إلى ذلك مما يخدش أذن العربي الغيور من جهة، ويذهب بلغة الغرّ اليافع إلى غير رجعة من جهة ثانية...

التلفاز هو الذي يسيطر على عقول أبنائنا اليوم.. فتأمل ما آلت إليه برامجه في معظم الدول العربية إن لم يكن في كل الدول العربية...

إن التلفاز يفسد اللغة العربية الفصحى باستعمالها استعمالاً سيئاً من جهة، ويستبدل بها العاميات والسوقيات والأجنبيات من جهة ثانية...

إن التلفاز العربي يهدم بسرعة مذهلة اللغة العربية الفصحى التي ثبتت الصحافة العربية استعمالها في القرن الماضي... إنه يشجع العاميات والسوقيات في معظم برامجه وأغانيه ولقاءاته وحواراته... إنه كفيل إذا تركناه، كما هو اليوم، بإزالة اللغة العربية الفصحى وما تمثله من قيمة إنسانية وقومية ودينية وحضارية وتاريخية وأدبية...

إن التلفاز، كما هو اليوم، يعمل باستمرار على منع استعمال اللغة العربية الفصحى في الحاسوب ـ الكومبيوتر ـ الذي يعتبر اليوم ثورة معرفية وتقنية قد تغير سلوك الجنس البشري كله، وقد تسهم في تغيير الخط العربي وتطويره بما يتناسب مع تقنيته الحديثة... بل إنه يعمل على منع استعمال اللغة العربية الفصحى في برامج «الإنترنت» Internet الذي يعتبر ثورةً في الثورة، والذي بدأ تأثيره السلبي والإيجابي في كل مجالات النشاط الإنساني... وحوَّل الكرة الأرضية إلى غرفة صغيرة جداً، لا يخفى فيها شيء على القادرين المتنبهين إلى ما يدور حولهم.

إن ترك التلفاز أداة فاعلة بأيدي التجار، وبأيدي الذين لا يعنيهم من أمر الإنسان العربي إلا تحويله إلى حيوان مستهلك لأفكارهم ولسلعهم ولبضائعهم، وبأيدي الأميين حيناً، وبأيدي المشبوهين سياسياً وثقافياً حيناً

آخر، جعل هذه الآلة الرهيبة تزرع في عقولنا وقلوبنا وأفئدتنا ما ليس منا... فترى فيه، وتسمع منه، الإعلانات بالعاميات والسوقيات، فتؤثر في لغة النحارير والأدباء على الرغم من مقاومتهم الدائمة لها... وتنشر سلوكاً اجتماعياً وثقافياً غريباً عن مجتمعنا العربي والإسلامي... مما يفرض على حكومات الأمة العربية المختلفة الألوان والمناهل والنزعات أن تبادر فوراً إلى السيطرة على هذه الآلة وترويضها لخدمة الإنسان العربي والمجتمع العربي قبل أن تدمره هذه الآلة وتحول إنسانه إلى آلة صمّاء يحركها الآخرون بجهاز التحكم من بعد خدمة لأغراضهم.

إن التلفاز العربي يسهم كل لحظة في جعل أبنائنا غرباء عنا... ويعلمهم كيف يتطاولون على ذويهم، وكيف يحتقرون أنفسهم وشخصيتهم العربية، وثقافتهم، وتاريخهم، وأبطالهم، فترى فيه، وتسمع منه، من يعتدي على أولاده جنسياً وجسدياً... وترى من يضرب والديه... وترى من يسفه دينه... وترى من يحتقر نفسه ولغته، فيرطن بلغة أجنبية قد لا يتقن منها إلا بعض الأصوات إتقاناً سيئاً...وترى من يخلع ثيابه العادية ليرتدي الثياب الممزقة القذرة التي تبرز حقارته ونذالته... وترى من الذكور من يثقب أذنه أو أذنيه ليضع فيها أو فيهما الأقراط أو «الحلق» ليعبر عن شذوذه وغربته عن مجتمعه... وترى من يظن أنه يستطيع أن يشتري أي أنثى بحبة لبان أو «علكة» أو بسيجارة أميركية الصنع والنكهة، أو بكأس من الويسكي أو النبيذ...أو حتى بكأس من الكوكا كولا أو البيبسي كولا... كما ترى من تتخلع وتغنج لتجرّ أي ذكر في الدنيا بسيجارة أو بقارورة عطر، أو بتسريحة شعر، أو بحمالة نهد، أو بجوارب فاضحة، أو بثياب داخلية قد لا تظهر بها

المرأة العربية إلا أمام زوجها في الظلام...

إن أبناءنا وبناتنا يرون ذلك ويسمعونه ممزوجاً بالموسيقى الخفيفة الناعمة، وبالحركات الجنسية المثيرة من ممثلات جميلات... يرون ذلك ويسمعونه غير مرة كل يوم... فقد يقاومونه مرة أو مرتين... وقد يرفضونه في البداية... ولكنه سرعان ما يتسرب إلى عقولهم وقلوبهم وأفئدتهم... فإذا هم أسرى هذه الإعلانات وتلك الأفلام والمسلسلات... وإذا هم كالببغاوات أو أسوأ حالاً...

ـ أو ليس هذا العصر هو عصر الأمريكان؛ أي عصر «السيجارة»، و«الويسكي»، و«الشيكلتس»، و«البيبسي»، و«الجينز»، والخيانة، والقتل، والتدمير، والربح السريع، والتخلي عن المبادئ والأخلاق والقيم، من أجل النجاح الشخصي والربح المضمون؟.

ـ أوليس هذا العصر هو عصر الأمريكان الذي حول ـ في مسلسلاته وأفلامه وإعلاناته ـ الأنبياء والرسل وقادة العالم والثوار إلى أشخاص تضحك منهم عندما تراهم... أوعندما تتذكر أسماءهم؟.

ـ أو ليس هذا الغصر هو العصر الأمريكي الذي حوّل ـ في كثير من الأفلام والمسلسلات والإعلانات التي تُبث من وسائل إعلامنا العربية ـ قتلتنا، وقتلة آبائنا وأبنائنا، ومحتلي أرضنا، وسارقي مياهنا، ومصادري ثروتنا، إلى أبطال مظلومين... بينما حولت العرب الذين سلبت أرضهم، واعتدي عليهم قتلاً ونهباً، وصودرت إرادتهم السياسية في تحرير أرضهم وإنشاء دولتهم العربية الواحدة الموحدة... حوّلتهم الدعاية الإعلانية

الأمريكية واليهودية إلى إرهابيين قتلة؟.

إن حكوماتنا العربية المختلفة والمتنوعة ـ والتي لا نتدخل هنا في مناهجها السياسية والاجتماعية والأمنية ـ مطالبة بوضع أيديها على هذا الجهاز الخطير وتدجينه لصالح الأمة العربية، والثقافة العربية، والمصالح العربية، واللغة العربية الفصحى.

إن حكوماتنا مطالبة بإصدار القرار السياسي الصارم الذي لا يسمح ببث أي إعلان أو نشره إلا باللغة العربية الفصحى، شرط أن لا يمس أي عقيدة من عقائدنا، وشرط أن لا يتعارض مع عاداتنا وأخلاقنا وتقاليدنا وثقافتنا وتاريخنا وطموحاتنا في تحرير أرضنا وإنساننا وإقامة دولتنا العربية الكبرى الواحدة الموحَّدة فوق كل الأرض العربية من المحيط إلى الخليج..

إن الحكومات العربية وكل الهيئات السياسية والاجتماعية والثقافية والإنسانية العاملة فوق أرضنا العربية مطالبة بتحويل التلفاز إلى أن يلعب دور أبوي الطفل العربي الفصيحين الشريفين الملتزمين بكل القيم والمبادئ العربية الأصيلة، وأن يلعب دور الرواة العرب الثقات الفصحاء... وأن يلعب دور الأستاذ الفصيح البليغ المتقن الملتزم... فلا تُبث منه إلا المادة المكتوبة بالفصحى ولنا في الحكومة الفرنسية خير مثال نقتدي به... فقد أصدرت الحكومة الفرنسية قراراً يقضي بسجن كل فرنسي يستعمل اللغة الأجنبية؛ كلمات وتعابير وتراكيب وجملاً، في كتابته أو في أحاديثه الرسمية، إذا كان لها ما يقابلها في اللغة الفرنسية... وفرضت عليه أن يدفع خمسين ألف فرنك فرنسي؛ أي ما يعادل عشرة آلاف دولار أمريكي... فتأمل؟؟.

نحن لا نطالب حكوماتنا العربية بأن تسجن من لا يستعمل اللغة العربية الفصحى في وسائل إعلانه وإعلامه المرئية والمسموعة والمكتوبة، وأن تجبره على دفع عشرة آلاف دولار أمريكي أيضاً... بل نطالبها بأن تمنعه من استعمال العاميات السوقيات واللغات الأجنبية في إعلانه وإعلامه، وتجبره على استعمال اللغة العربية الفصحى، السهلة، الواضحة، البعيدة عن التكلف والتقعر في كل أمور معاشه في الدوائر الرسمية، وفي المدارس والجامعات، وفي أدبيات الأحزاب والجمعيات ومهرجاناتها واحتفالاتها... وفي صحفها ومجلاتها وإذاعاتها المسموعة والمرئية...

إننا نطالب الحكومات العربية أن تمنع وسائل الإعلام والإعلان والقائمين عليها من استغلال الإنسان العربي وحرفه وتدميره... وأن تساعده على أن يعود إلى نفسه، فتؤلف لجاناً لغوية متخصصة، تعمل في كل وسائل الإعلام والإعلان المرئية والمسموعة والمكتوبة، فتشرف على المادة اللغوية وحدها، وتمنع نشر أي إعلان، في أي مكان، إلا باللغة العربية الفصحى، دون أخطاء لغوية أو إملائية...

إننا نطالب حكوماتنا بإنشاء لجان متخصصة تعمل في الإذاعات المسموعة، والمرئية المسموعة، وتمنع أي مذيع لا يتقن العربية إتقاناً مقبولاً، ولا يحسن إخراج الأصوات العربية من مخارجها الطبيعية، تمنعه من إذاعة أي حرف في الناس سواءٌ أكان ذلك في إعلان أو في إعلام أم في مسلسل تلفازي أم في خطبة أم في ندوة أم في لقاء.

فهل سنسيطر على لغة الإعلان والإعلام في وطننا العربي الكبير

فنعود إلى أنفسنا أم أننا سنبقى أسرى الثقافة التجهيلية التي تحول الحق باطلاً والباطل حقاً والتي تؤسس لتحويلنا جميعاً إلى غرباء عن أنفسنا وذواتنا؟.

إني أرى أن الحلَّ بأيدينا... فهل نفعل؟.

مصادر البحث ومراجعه

١ـ الأنصاري (علي رفاعة، الدكتور)، **الإعلان: نظريات وتطبيق**، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية (١٩٥٩م).

٢ـ برجين (فرانيسيس. ج.)، **الإعلام التطبيقي واستخداماته في تطوير الإدارة**، ترجمة إبراهيم سلامة إبراهيم، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٩٥م).

٣ـ بركة (بسام، الدكتور)، **معجم اللسانة**، طرابلس: جروس – برس، الطبعة الأولى (١٩٨٥م).

٤ـ بعلبكي (رمزي منير، الدكتور)، **معجم المصطلحات اللغوية**، بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الأولى (١٩٩٠م).

٥ـ ابن جني (أبو الفتح، عثمان)، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، بيروت: دار الهدى للطباعة والنشر، الطبعة الثانية (د.ت).

٦ـ ابن خِلّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة (د.ت).

٧ـ خير الدين (حسن محمد، الدكتور)، **دراسات في أصول**

الإعلان، القاهرة: مكتبة عين شمس (١٩٦٣م).

٨- راشد (أحمد عادل، الدكتور)، **الإعلان**، بيروت: دار النهضة العربية (١٩٨١م).

٩- رشتي (جيهان أحمد، الدكتور)، **الإعلام ونظرياته في العصر الحديث**، القاهرة: دار الفكر العربي (١٩٧١م).

١٠- ابن عبد ربه (أبو عمر أحمد بن محمد)، **العقد الفريد**، شرحه وطبعه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه أحمد أمين وآخرون، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩م)، المجلد السادس.

١١- عجر (عبد الرحمن عبد الباقي، الدكتور)، **دراسات عن الإعلان**، القاهرة: مكتبة عين شمس (١٩٦٦م).

١٢- عساف (محمود، الدكتور)، **أصول الإعلان وتطبيقاته في المجتمع الاشتراكي**، القاهرة: دار الناشر العربي (١٩٦٩م).

١٣- عيسوي (عبد الرحمن، الدكتور)، **الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون العربي**، بيروت: دار النهضة العربية (١٩٨٤م).

١٤- ابن فارس (أبو الحسين، أحمد)، **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**، حققه وقدم له: مصطفى الشويمي، بيروت: مؤسسة بدران للطباعة والنشر (١٩٦٣م).

١٥- مبارك (مبارك، الدكتور)، **معجم المصطلحات اللسانية**، بيروت: دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى (١٩٩٥م).

١٦- مُشيخ (محمد حيدر)، **صناعة التلفزيون في القرن العشرين**،

مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٩٤م).

١٧- مكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة العربيـة للتربيـة والثقافـة والعلوم، **المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات**، تونس (١٩٨٩م).

المراجع الأجنبية:

Marketing Association, **Report of Definition,s**, The-journal of Marketing.

بالاقتباس عن كتاب الإعلان، للدكتور أحمد عادل راشد.

Dora Vallier. Dans Ie vif de l,avant- garde. Arc. Paris. Librairie-Duponchelle, ١٩٩٠.

Ferdinand de Saussure, Cours ke linguistique generale, Paris, Edition Payotheque, ١٩٨٠.

Johnson, R.C. and Medinnus, G.R, Chile Psychology K Behaviour and Development,

باقتباس عن كتاب الدكتور عبـد الرحمـن عيسـوي، الآثـار النفسـية والاجتماعية للتلفزيون العربي.

Noam Chomesky,

- Stmcture xvntaxiques, Traduction de Mrehel Braudeau – Paris Editions du Seuil ١٩٦٩.
- Aspects de la theorie syntaxique, Teaduetion de Jean – Claude Milner . Paris Editions du Seuil ١٩٧١.
- La linguistique cartesienne – suivi de – La nature formelle du langage. Traduction de E. Delannoe et D. Sperber, Paris. Edition du Seuil ١٩٦٩.

Le langage et la Pcnsee, Traduit de Louis – Jean Calvet, Paris. Edition Payot ١٩٨٠.

Questions de semantique, Traduit de bernard Cerquiglini, Paris,

Edition du Seuil K ١٩٧٥.

الصحف والمجلات :

١-جريدة السفير، البيروتية.

٢-جريدة النهار، البيروتية.

٣-مجلة الوسيط التجارية البيروتية.

* * *

تيسير البلاغة

الدكتور أحمد مطلوب

(١)

إن الباحث حينما يتلمس البذور الأولى للبلاغة والنقد قبل عهد التدوين والتأليف يجد أن العرب عرفوا بعض الأحكام النقدية التي أعانتهم على تفهم الشعر وتذوقه ونقده. والأمة التي أنجبت الشعراء الفحول والخطباء المصاقع لابد من أن تعرف المعالم التي يختطها الشعراء ويترسمها الخطباء. وإذا كان كثير من الأحكام النقدية في عصر ما قبل الإسلام لم يصل مع ماوصل من شعر وخطب فإن بعض تلك الأحكام تناقلتها الألسن وتداولتها الكتب وقد وصف القرآن الكريم العرب بأنهم أصحاب بيان، فقال سبحانه وتعالى:

﴿الرحمن.علم القرآن. خلق الإنسان .علمه البيان﴾[١] وقال عن حسن كلامهم وشدة أسره وتأثيره في النفوس: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا﴾[٢].

ولو لم تكن للعرب ذائقة لغوية، وملكة فنية ماستطاعوا أن يميزوا الجيد من الرديء، والمحمود من المذموم على الرغم من أنهم لم يعرفوا قواعد الفن وأصول اللغة وعلومها[٣]. وحينما بدأ عهد التدوين والتأليف ظهرت مبادئ البلاغة مع ماظهر من فنون اللغة العربية وعلومها الأخرى. وكانت في نشأتها الأولى سهلة ميسرة، ليس فيها تعقيد، وإنما هي لمحات تأتي عرضاً لإيضاح آية قرآنية، أو بيت شعر. ويتجلى ذلك في كتب أبي عبيدة، والفراء،

والأصمعي، والجاحظ، والمبرد، ولعل ابن قتيبة في كتابه «تأويل مشكل القرآن» أول من عني بتصنيف موضوعات البلاغة وذكر فنون البيان، ثم ابن المعتز في كتابه«البديع» ولكنهما لم ينطلقا إلى أبعد من تعريف الفن والاستشهاد ببعض النصوص.

وجاء بعد هؤلاء بلاغيون ونقاد انتفعوا بجهد السابقين وبنوا عليه البلاغة الأدبية التي تعنى بالتحليل الرائع البديع ومن أبرزهم أبو هلال العسكري صاحب «كتاب الصناعتين» الذي خطا خطوة واسعة في عرض قضايا البلاغة بأسلوب سهل ليس فيه تعقيد أو مجافاة للذوق العربي، قال في مقدمة كتابه : «وليس الغرض في هذا الكتاب سلوك مذهب المتكلمين وإنما قصدت فيه مقصد صناع الكلام من الشعراء والكتاب»(٤) وكان يسوق في المقام الواحد عشرات الأمثلة والشواهد من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف وكلام العرب، ويعتمد في النقد على الذوق غير مكتف بالصحة العقلية والسلامة النظرية، وإن ذكر أمين الخولي أن أبا هلال كان يجاري المتكلمين ويخدم أغراضهم ولم تخلص الطريقة الأدبية في أبي هلال أو لم يخلص أبو هلال للطريقة الأدبية ولم ينج من تأثير المتكلمين..(٥) ولكن على الرغم مما قاله الخولي، يظل «كتاب الصناعتين» أيسر كتاب بلاغي في زمنه، ومثله كتاب «العمدة» لابن رشيق القيرواني الذي يعد من أهم كتب البلاغة والنقد في القرن الخامس للهجرة الذي «جرى كثير من أهل إفريقية والأندلس على منحاه»(٦)لما فيه من عرض واضح لفنون البلاغة، وأسلوب سهل، وذوق رفيع.

ويأتي كتاب «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» لضياء الدين بن الأثير ليتوج هذا الاتجاه ويقرب البلاغة إلى المتأدبين، ويحببها إلى نفوسهم لما فيه من تحليل للنصوص، وسهولة في العرض ووضوح في التفسير، ولا يكاد كتاب

ينافسه في التحليل إلا كتابا «أسرار البلاغة» و «دلائل الإعجاز» لعبد القاهر الجرجاني الذي جمع بين النظرة العلمية والنزعة الأدبية في العرض والتحليل، مستمداً من روح اللغة العربية وخصائصها منهجاً يعد من أرقى ما وصلت إليه الدراسات اللسانية والأسلوبية في القرن العشرين.

وقد انطلق في بلاغته ونقده من نظرية النظم والذوق والإحساس الروحاني وكان منهجه منهجاً لغوياً تحليلياً ينبع من داخل النص لا من خارجه وبذلك تفوق على البلاغيين ولعل تحليله للأبيات:

ولمّا قَضَيْنا من مِنىً كلَّ حاجةٍ ... ومَسَّحَ بالأركانِ من هو ماسِحُ
وشُدَّت على دُهْمِ المهارى رحالُنا ... ولم ينظرِ الغادي الذي هو رائحُ
أخَذْنا بأطرافِ الأحاديثِ بيننا ... وسالَتْ بأعناقِ المطيِّ الأباطحُ

يظهر تفوقه في النقد وإدراكه روح النص. وكان قد تعرض قبله لهذه الأبيات ابن قتيبة وابن جني وتعرض لها بعده ابن الأثير(٧) فما استطاعوا أن يدركوا شأوه، ولا أن يظهروا روعة الأبيات.

(٢)

ظلت البلاغة سهلة ميسرة على الرغم مما في كِتَابَي عبد القاهر من غموض إذا قُورنا بكتب أبي هلال، وابن رشيق، وابن الأثير، وكانت شفافة تنطق بالكلمة العذبة والعبارة الجميلة، والأسلوب الرفيع حتى إذا جاء القرن السادس للهجرة بدأت تفقد روحها الأدبية، وتفتقد النزعة الفنية، وتبعد عن الذوق الروحاني الذي كان عمدة البلاغيين والنقاد ولا سيما عبد القاهر الذي أكد أهمية الذوق، وإحساس النفس في إدراك البلاغة، قال: «المزايا التي تحتاج أن تعلمهم مكانها وتصور لهم شأنها أمور خفية ومعانٍ روحانية، أنت لا تستطيع أن تنبه السامع لها وتحدث له علماً بها حتى يكون مهيئاً

لإدراكها وتكون فيه طبيعة قابلة لها ويكون له ذوق وقريحة يجد لهما في نفسه إحساساً»(٨). ولكن البلاغة افتقدت هذا الإحساس الروحاني وبدأت تميل إلى التعقيد بعد اتصالها الوثيق بالفلسفة والمنطق والجمود الذي ران على الأمة العربية بعد سقوط بغداد بيد المغول سنة (٦٥٦ هـ) وتسلط الغزاة على الأقطار العربية، وبذلك توقف نمو الثقافة العربية واتجه كثير من المؤلفين إلى وضع كتب تعليمية تهتم بالتعريفات الجامعة المانعة وضبط القواعد والإكثار من التقسيمات التي يضل فيها الدارس والإقلال من النصوص الأدبية وتحليلها .

وأدّى هذا إلى جمود الدرس البلاغي والوقوف عند منهج واحد لا يُعنى بالذوق والإحساس الروحاني وتحليل النصوص تحليلاً أدبياً بقدر عنايته بالقواعد وصياغتها في قوالب ثابتة تحفظ، ولكنها لا تنمّي إدراكاً ولا تهذب ذوقاً ولاتنطلق إلى آفاق الأدب الرحيبة.

وكان للسكاكي أثر كبير في توقف البلاغة عند الحدود التي رسمها في كتابه «مفتاح العلوم» إذ قسمها إلى المعاني والبيان والمحسنات اللفظية والمعنوية وسماها وجوهاً مخصوصة يُؤتى بها لتحسين الكلام. وقد نظر إلى البلاغة في هذا التقسيم نظرة عقلية، إذ أن التراكيب تسبق الدلالات وإن كان التداخل بينهما جلياً وقد أحس بذلك فعد البيان شعبة من المعاني، قال: «ولما كان علم البيان شعبة من علم المعاني لا تنفصل عنه إلا بزيادة اعتبار، جرى منه مجرى المركب من المفرد لا جرم آثرنا تأخيره» (٩) وحدد موضوعات كل علم من العلوم الثلاثة، ولكن تقسيمه لم يخلص له إذ أدخل المجاز العقلي في علم البيان، ثم أنكره وعدَّه استعارة مكنية وتكلم على الالتفات في علم المعاني ثم عدّه من المحسنات وتحدث عن أسلوب الحكيم والقلب في باب المسند إليه وحقهما في ضوء التقسيم الثلاثي أن يكونا في البديع.

وتكلم على تقليل اللفظ ولا تقليله في المحسنات وذكر أن له صلة بالإيجاز والإطناب وأدخل الاعتراض أو الحشو في المحسنات المعنوية وحقه أن يكون في الإطناب.

وأدخل الدلالات الوضعية والعقلية في علم البيان وحدد موضوعاته في ضوئه، وربط البلاغة بعلم الاستدلال، فقال: «وإذ قد تحققت أن علم المعاني هو معرفة خواص تراكيب الكلام أو معرفة صياغات المعاني– ليتوصل بها إلى توفية مقامات الكلام حقها بحسب ما يفي به قوة ذكائك، وعندك علم أن مقام الاستدلال بالنسبة إلى سائر مقامات الكلام جزء واحد من جملتها وشعبة فردة من دوحتها ـ علمت أن تتبع الكلام الاستدلالي ومعرفة خواصها مما يلزم صاحب علم المعاني والبيان»(١٠).

وأدخل المصطلحات الفلسفية والمنطقية في مباحث البلاغة مما زادها تعقيداً وأفقدها الروح الأدبية التي تجلت في كتب السابقين(١١).

وجاء بدر الدين بن مالك فلخص بلاغة السكاكي في كتابه «المصباح» وفعل مثله الخطيب القزويني في كتابه «التلخيص» الذي أصبح دستور البلاغة فعكف عليه الشارحون كالسبكي، والتفتازاني، والسيد الشريف الجرجاني، والمغربي، والدسوقي، والإسفراييني وسيطر هذا المنهج على الدرس البلاغي ولم تستطع البديعيات التي كانت عودة إلى كتب البلاغة الأولى في العرض والتفسير أن توقف هذا المنهج الذي أرسى أصوله السكاكي في «مفتاح العلوم».

ولم يكن حال البلاغة في المغرب العربي بأحسن من حالها في المشرق إذ كان لكتب الفارابي وابن سينا أثر كبير فيها، ويتضح ذلك في كتاب «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» لحازم القرطاجني، و «المنزع البديع في تجنيس

أساليب البديع» للسجلماسي، و «الروض المريع في صناعة البديع» لابن البناء المراكشي. وهذه الكتب وإن اختلفت في منهجها عن منهج السكاكي إلا أنها أكثر تعقيداً وجنوحاً نحو فلسفة البلاغة على الرغم مما فيها من نظرات بلاغية ونقدية دقيقة ولا سيما كتاب «منهاج البلغاء» الذي يدل على تعمق صاحبه في البلاغة وإدراكه للتخيل والمحاكاة وما يتصل بفن القول.

(٣)

لم تؤثر هذه الكتب في الدرس البلاغي واختفت ليبقى الطريق لاحباً لمنهج السكاكي حتى العصر الحديث، حين بدأت البلاغة تحظى باهتمام في مطلع القرن العشرين. وكان الأزهر الشريف أول من حمل لواء التجديد فيها بعد الإصلاحات التي أدخلت على مناهجه وطرائق تدريسها، وأخذ الإمام محمد عبده يُحيي كتب السلف النافعة، ويقوِّم ما اعوجَّ من مناهج التأليف وطرائق التدريس. وقد انصرف إلى تدريس «دلائل الإعجاز» و «أسرار البلاغة» لعبد القاهر الجرجاني، ففتح أذهان الطلبة، وقوى مداركهم ومواهبهم، ووجدوا في هذين الكتابين غير ماألفوه ولكن أساتذة الأزهر أحجموا بعد الإمام عن تدريسهما، وبذلك احتضرت الدراسات البلاغية بعده وكادت تموت. وعاد المؤلفون إلى منهج السكاكي ووضعوا كتباً في ضوئه وإن كانت أيسر وأسهل من «مفتاح العلوم» و «التلخيص» و شروحه. وظهرت كتب جديدة قديمة منها «حسن الصنيع في علم المعاني والبيان والبديع» لمحمد البسيوني البيباني، و «زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع» لأحمد الحملاوي، و «جواهر البلاغة» لأحمد الهاشمي، و «علوم البلاغة» لأحمد مصطفى المراغي، و «البلاغة الواضحة» لعلي الجارم ومصطفى أمين، وغيرها من الكتب المدرسية التي سادت في التعليم العام والتعليم الجامعي حتى اليوم على الرغم من دعوات تجديد البلاغة التي أطلقها بعض العلماء،

كأمين الخولي الذي سعى إلى وضع منهج لدراستها يقوم على إلغاء التقسيم القديم، وحذف المقدمات المنطقية والاستطرادات الفلسفية، وبناء البلاغة على ثلاثة أبواب هي: المبادئ والمقدمات والبحوث، ويدرس في الأول تعريف فن القول وغايته وصلته بغيره من الدراسات، ويدرس في الثاني مقتبسات من القضايا النفسية التي تعين على فهم الأدب وتذوقه والإحساس بما فيه من روعة وجمال، ويضم الثالث الكلمة الواحدة والجملة والفقرة وصور التعبير وقد فصل أمين الخولي القول في منهجه ووضع أبوابه وفصوله ومفرداته وقال: «تلكم هي خطة فن القول وتنسيق بحوثه، لا نقول إنها في صورتها الأخيرة بل نقول إنها تخطيط لمحاولة نأمل أن تظل أبد الدهر لو أمكن ذلك رهن التغيير والتعديل وهدف التجديد والتحسين يضيف إليها، ويحذف منها، وينسقها من تهيأت له القدرة الصادقة على ذلك، وكانت له فيها بصيرة خبيرة ليظل هذا الدرس للفن القولي صدى لحياة أهله وسبيلاً لتحقيق غاياتهم في الحياة الوجدانية الراقية»(١٢).

وأبدى بعض الباحثين رأيهم في منهج البلاغة واقترحوا مناهج جديدة تأخذ من القديم ومن الجديد مساربها، ومنهم عبد الله العلايلي في كتابه «مقدمة لدرس لغة العرب» وأحمد الشايب في كتابه «الأسلوب»، وإدوار مرقص، وأنيس المقدسي وغيرهم، ولكن جهودهم لم تُستثمر وبقيت البلاغة تدرس بمنهج السكاكي على الرغم من وضع مئات الكتب الجديدة التي يَسَّرت المادة وجعلتها أقرب إلى الدارسين مما ذكرته الكتب القديمة كالتلخيص والإيضاح.

وظهرت دراسات علمية تبحث في فنون البلاغة ولكنها غير ميسرة لأن أصحابها سلكوا سبيل البحث العلمي الصارم، فابتعدت عن مدارك

الدارسين واقتصرت فائدتها على المتخصصين.

(٤)

وكان من المؤمل أن يستمر البحث في البلاغة العربية لتثمر ثمراً جنياً، ولكنه نكص، وضرب الباحثون صفحاً عنها لأنها لا تمثل المناهج الحديثة ولا تعبر عن الحداثة التي هي سمة العصر. وكان لشيوع الألسنية والبنيوية والأسلوبية أثر في هذا التحول، إذ بهر بها الباحثون وتعصب بعضهم لها تعصباً عظيماً وأنكر أن يكون للبلاغة دور في النقد الأدبي وأنها والأسلوبية تمثلان «شحنتين متنافرتين متضادتين لا يستقيم لهما تواجد آني في تفكير أصولي موحد والسبب في ذلك يعزى إلى تأريخية الحدث الأسلوبي في العصر الحديث» وإن الأسلوبية« قامت بديلاً عن البلاغة، والمفهوم الأصولي للبديل ـ كما نعلم ـ أن يتولد عن واقع معطى وريث ينفي بموجب حضوره ما كان قد تولد عنه.

فالأسلوبية امتداد للبلاغة ونفي لها في نفس الوقت، وهي لها بمثابة حبل التواصل وخط القطيعة في نفس الوقت أيضاً» (١٣).

وعدت الأسلوبية المنهج الوحيد في النقد على الرغم من اتجاهاتها الكثيرة التي جعلت الدارسين يذهبون كل مذهب في قراءة النص ويتفاوتون كل التفاوت في العرض والتحليل، مما جعل علم الأسلوب «مثل برج بابل تتعدد فيه اللغات ولا يكاد أحد يفهم مَنْ بجواره مما أدى بالبعض إلى رفضه. وقد صار إلى هذا الحال نتيجة لأن كل باحث في الأسلوب ـ تقريباً ـ قد زعم لنفسه حق الشرح الكلي لظاهرة الأسلوب»(١٤).

ويبدو هذا جلياً في كثير من الدراسات الحديثة التي اتخذت الأسلوبية منهجاً(١٥). وانتفعت الدراسات الجامعية بهذا المنهج وبدأت دراسة النص

تتخذ ثلاثة مستويات:

الأول: المستوى الصوتي، ويتضمن خصائص الأصوات والألفاظ ودلالاتها، ثم دراسة الإيقاع ومايحدثه الوزن والقافية وبعض فنون البديع من تأثير.

الثاني: المستوى التركيبي وهو دراسة تراكيب النص اللغوية كالإسناد، وأنواع الجمل والتقديم والتأخير والفصل والوصل وما يتصل بالبناء اللغوي.

الثالث: المستوى الدلالي وهو دراسة الصورة الشعرية وما يتصل بها من تشبيه ومجاز ـ بأنواعه ـ وكناية وماله دلالة مهمة في النص كدلالة العنوان والزمان والمكان.

وشاع هذا المنهج وقال ستيفن أولمان : «وإذا سلّمنا بأن ثمة مستويات ثلاثة للتحليل اللغوي والمعجمي والتركيبي فيكوّن على علم الأسلوب أن يميز بين هذه المستويات الثلاثة نفسها » (١٦).

وهذا مايقوم به البلاغيون الجدد، إذ يحللون مستويات التعبير على عدة محاور «التغيير اللفظي والتركيبي والدلالي مركزين على العلاقات بينها» (١٧).

إنّ هذا المنهج الذي يدعو إليه البلاغيون الجدد والأسلوبيون لا يخرج عن بحوث البلاغة العربية وهي:

١– الفصاحة: التي أفاض النقاد والبلاغيون في بحثها كابن سنان الخفاجي في «سر الفصاحة» وابن الأثير« في المثل السائر».

٢– علم المعاني: الذي يبحث في التراكيب وأبنية التعبير.

٣– علم البيان: الذي يبحث في التصوير كالتشبيه والمجاز ـ بأنواعه ـ والكناية.

٤– علم البديع: الذي يبحث في فنون لها صلة بالإيقاع والمعنى والتزيين.

لقد جرب الدراسون كثيراً من المناهج الحديثة ولكنهم عادوا إلى البلاغة، وليست دراستهم للمستويات الثلاثة إلا صورة لها وإن جاءت باسم جديد ومصطلحات لا تبعد عن مصطلحات القدماء في دلالاتها كثيراً.

والبلاغة الجديدة التي يدعو إليها الأوربيون ظهر مصطلحها عام ١٩٥٨ في كتاب «مقال في البرهان ـ البلاغة الجديدة » لـ (بيريلمان) وهو محاولة لإعاة تأسيس البرهان أو المحاجة الاستدلالية، وأخذت مدرسة بروكسل بهذا الاتجاه وأكدت وظيفة اللغة التواصلية وعدم انفصالها عن التقاليد البلاغية القديمة على أساس أن منظر الخطاب البرهاني يهتم بدوره بالأشكال البلاغية لتكون أدوات أسلوبية ووسائل للإقناع والبرهان.

وظهر اتجاه آخر يناقض (بيريلمان) ومدرسة بروكسل، وهو وليد البنيوية النقدية ذات النزوع الشكلاني ويمثلها (جيرار جينيت) و (جان كوهين) و (تودوروف).

وظهر اتجاه تجاوز البنيوية واعتمد على نظرية الرموز والعلامات (السيميولوجيا) وقد تحول إليه (تودوروف) من أنصار الاتجاه البنيوي.

إن العودة إلى البلاغة بعد أن هُجِرت وابتعد عنها النقاد تثير الاستغراب فمنذ سنوات قليلة لم يكن أحد يتصور أن البلاغة ستعود لتحتل المقام الأول أو لتأخذ مكانها مرة أخرى في الصف الأول من العلوم الإنسانية(١٨) .

ولكن الباحثين بعد أن جربوا المناهج المختلفة أدركوا أن تحليل الخطاب لابد أن يستمد أصوله من البلاغة فعادوا إليها، وحاولوا أن يبعثوا الروح فيها

من جديد مستفيدين مما استجد من مناهج نقدية واتجاهات أدبية[١٩].

ويظهر مما نشر عنها أنها أكثر تعقيداً من البلاغة القديمة، وأنها تتصر باللغات الأجنبية، وتنطلق من خصائصها وهي لذلك لا تنفع كثيراً في تيسير البلاغة العربية.

(٥)

هذا ماكان من أمر البلاغة عند العرب وغيرهم، فما البلاغة الجديدة التي تسعى إليها الدراسات العربية؟ وقبل البحث في هذه المسألة لابد من أن يحدد الهدف، فماذا يراد منها؟ ولماذا العودة إليها؟.

لقد كانت البلاغة عند اليونان مرتبطة بالخطابة ولذلك وضع أرسطو كتاب «الخطابة» وظل هذا هدف الذين تأثروا به حتى ثاروا عليه بعد قرون، وابتعدوا عن البلاغة وجربوا المناهج التي ظهرت كالألسنية والبنيوية والأسلوبية، ثم عادوا إلى البلاغة من جديد.

والبلاغة العربية لاتقتصر على إتقان الخطابة أو نقد النص، وإنما هي ذات أهداف كثيرة كانت واضحة أمام البلاغيين العرب القدامى حينما وضعوا كتبهم، وتتلخص تلك الأهداف في :

١– الغرض الديني: وهو خدمة القرآن الكريم الذي كان معجزة تحدى الإنس والجن ولكي يوضحوا إعجازه، ويفهموا آياته، ويظهروا أسلوبه، اتجهوا إلى البلاغة باحثين فنونها وموضحين أقسامها، لتكون لهم عوناً على فهم القرآن. وكان هذا الغرض من أهم الأهداف التي دفعتهم إلى البحث والتأليف فيها.

٢– الغرض التعليمي: وهو تعليم الناشئة اللغة العربية ومعرفة أساليبها بعد أن اتصل العرب بأمم شتى وأدّى ذلك الاتصال إلى فساد اللغة ودخول

اللحن فيها، فضلاً عن أن كثيراً من المسلمين كانوا بحاجة إلى تعلم العربية وبلاغتها ليفهموا القرآن الكريم وليعيشوا في ظل دولة لغتها العربية. وكانت المقدرة الكتابية في كثير من الأحيان السبيل المفضي إلى المناصب الرفيعة وكان على من يسعى إلى تسنمها أن يكون كاتباً له في الأدب وفنونه يد طولى، وله أسلوب رفيع. فلكي يتعلم العربي الناشئ في بيئة امتزجت فيها اللغات ويصبح قادراً على التعبير الحسن والنظم الرائق وإنشاء الرسائل ولكي يتعلم المسلم لغة دينه ولغة الدولة التي يعيش في ظلها ولكي يصل الناس إلى أرقى المناصب وأعلى المراتب ، كان عليهم جميعاً أن يتقنوا العربية ولا يتم ذلك الإتقان إلا بمعرفة ألفاظها وتراكيبها ومعانيها وأساليبها، والبلاغة إحدى السبل التي توصل إلى هذه الغاية.

٣- الغرض النقدي: وهو تمييز الكلام الحسن من الرديء والموازنة بين القصائد والخطب والرسائل، والبلاغة ترفد الناقد، لأنها تقدم له الأداة التي تعينه على الفهم والحكم ولذلك نجد القدماء يعنون عناية كبيرة بها ويؤلفون الكتب فيها.

ولا يستغني الأديب عن البلاغة وهو ينظم قصيدته أو يكتب رسالته، لأنه إن جهلها جاء بكلام مرذول، ومثل ذلك من يعنى بالمختارات الأدبية، فإنه إن فاته هذا العلم لم يستطع أن يميز بين الجيد والرديء الذي ينبغي أن يطرح(٢٠).

هذه أهداف البلاغة العربية فهل يراد منها ما أراده القدماء؟ وهل تقتصر وظيفتها على رفد النقد الأدبي بأدوات تعينه وتفتح له مغالق الخطاب؟

إن البلاغة العربية الجديدة ينبغي أن تظل مرتبطة بأهدافها المعبرة عن واقع العرب ولغتهم، وأن يتسع نطاق بحثها ليكون دينياً وتعليمياً ونقدياً وأن

يوضع لها منهج واضح وتجرد مما علق بها، وأن تعرض عرضاً حسناً بأسلوب سهل رفيع.

ولتيسير البلاغة ينبغي النظر في أمرين: المنهج، والموضوعات، قبل البدء بالتأليف فيها لأن هذين الأمرين يحددان العرض والأسلوب.

أما المنهج الذي ظل سائداً حتى اليوم فهو منهج السكاكي الذي تلقفه الخطيب القزويني، وشراح التلخيص ويقوم هذا المنهج على تقسيم البلاغة إلى علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع، وهو ما عاد إليه الباحثون الجدد عند كلامهم على المستويات الثلاثة: الصوتية، والتركيبية، والدلالية.

وهذا التقسيم الأخير إذا جرد مما أقحم فيه أقرب إلى روح اللغة التي هي ألفاظ وجمل وعبارات وصور. والأخذ به لا يخرج عما انتهت إليه البلاغة من تصنيف، ولا يعد خروجاً على التراث، أو قطيعة له لأنه يصدر عنه وينتفع به.

ويشمل المستوى الصوتي دراسة الحروف التي هي أصغر وحدة في الكلام والألفاظ حينما تأتلف من أصوات أو حروف. وكان الأوائل قد اهتموا بهذا الجانب وتحدث عنه ابن سنان الخفاجي في «سر الفصاحة» ووضع شروطاً للألفاظ المفردة والألفاظ المركبة وبحثها ابن الأثير في كتابيه «المثل السائر» و «الجامع الكبير».

ولا تخلو كتب البلاغة والنقد والأدب من الكلام على جرس الألفاظ ودلالتها، والرجوع إليها يفتح الطريق لمن يصنف في البلاغة.

وتدخل في هذا المستوى كثير مما بحثه القدماء في علم البديع كإيقاع السجع والترصيع والجناس والتكرار والتصريع ورد العجز على الصدر وما إلى ذلك من فنون تكسب الكلام روعة وجمالاً.

أما بحث الأوزان والقوافي في هذا المستوى فينصب على ماتولّده

البحور الشعرية من إيقاع يثير الإحساس ويحرك المشاعر ويوحي بالمعنى ولا قيمة لإحصاء الأوزان والقوافي وتحديد نسبها لدى هذا الشاعر أو ذاك إلا بمقدار مالها من دور في إظهار الإيقاع وتناغمه في التعبير والتصوير. وقد أحسن أمين الخولي صنعاً حينما تحدث عن الكلمة من حيث هي عنصر لغوي وذكر حسن اللفظة من حيث جرسها الصوتي وحسن الكلمة من حيث أداؤها وائتلاف الكلمة في الجملة، والصوت والمعنى ـ تناسبهما ـ: الجزالة والرقة، وزيادة حسن أداء الكلام لمعناه بتأثير الرنين الصوتي: الجناس، والسجع، والترصيع، والتصريع، ورد العجز على الصدر، ولزوم مالا يلزم.

وبحث في الكلمة من حيث هي جزء الجملة وحسن دلالتها وفي وضعها اللغوي وتغير استعمالها قلة وكثرة، وتأثير ذلك في دلالتها ووضعها، واستعمالها واختلاف الغرابة باختلاف الأعصر والاستعمال الأدبي لبعض أنواع الكلمة ومايؤدي إلى توسع دلالة بعض الكلمات. وذكر أدوات الاستفهام، والنداء، والنهي، وما تؤدي من معان غير معانيها الأصلية. وتحدث عن اختصاص بيئة من البيئات باستعمال كلمة ودلالتها في هذه البيئة وأثر المركز الاجتماعي للبيئة المستعملة للكلمة: رفعة وضعة وكرامة وابتذالاً[٢١].

وهذا التصور أوسع من تصور القدماء في دراسة الفصاحة ودراسة المستوى الصوتي لأنه جمع معظم مايتصل باللفظة وجرسها وماتوحي به وأثر البيئة والعصر في شيوعها أو كمونها وفي رقيها أو صنعتها واختلاف دلالاتها باختلاف الأزمنة والأصقاع.

ويشمل المستوى التركيبي بناء الكلام وهو ماأدخله السكاكي في علم المعاني ولكنه اتخذ من المسند والمسند إليه مدخلاً لدراسة التراكيب وأدى

هذا المنهج إلى أن يمزق أوصال الموضوع الواحد، فقد ذكر التقديم ـ مثلاً ـ في المسند إليه والمسند تارة أخرى، ووزع التأخير والحذف والذكر والتعريف والتنكير عليهما. وكان من الدقة أن يبحث كل موضوع على حدة فيتكلم على التقديم والتأخير في فصل واحد، والذكر والحذف في فصل ثانٍ، والتعريف والتنكير في فصل ثالث، وبذلك تُجمع أوصال الموضوع الواحد في بحث يستوفي أجزاءه ويجمع شتاته. وبحث الالتفات في المسند إليه، وحقه أن يفرد له بحثاً مستقلاً بعد أن أدرك أنه لا يختص بالمسند إليه وحده وإنما يدخل على المسند أيضاً قال: «واعلم أن هذا النوع أعني نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة لا يختص بالمسند إليه»(٢٢) وتكلم على استعمال المضارع مكان الماضي في الحالات المقتضية لتقييد الفعل بالشرط مع أن هذا من الالتفات.

وأدخل التقديم والتأخير، والحذف والذكر، والفصل والوصل، والإيجاز والإطناب، والتعريف والتنكير، والقصر في باب الخبر، وليس في هذا دقة لأن هذه الموضوعات تدخل الطلب كما تدخل الخبر.

إن هذا التقسيم أدى إلى تمزيق أوصال الموضوع الواحد، وجَمْعُ أطراف القضية الواحدة أيسر وأقرب إلى الفهم، وإذا ما أريد بحث المستوى التركيبي فيكون الوقوف عند الخبر والإنشاء، والتقديم والتأخير، والذكر والحذف، والفصل والوصل، والقصر، والإيجاز والإطناب، والالتفات، وما يتصل ببناء الكلام وهو مابحثه السكاكي والقزويني وشراح التلخيص، وما يقف عنده المحدثون الذين اهتموا بهذه التراكيب،ودرسوا سياق الحذف والذكر وسياق التقديم والتأخير، وسياق التعريف والتنكير(٢٣).

ولايبعد أمين الخولي عن القدماء والمحدثين في دراسة علم المعاني أو

المستوى التركيبي، فقد أدخل في منهج فن القول النظم أو تأليف الجمل، والتقديم والتأخير، والحذف والذكر، والفصل والوصل، والإيجاز والإطناب(٢٤).

ويشمل المستوى الدلالي ما بحثه القدماء في علم البيان، وقسمه السكاكي ومن تبعه إلى التشبيه والمجاز ـ بأنواعه ـ والكناية ، وهذا تقسيم واضح ودقيق، وإن أخرجوا التشبيه من علم البيان لأن دلالته وضعية ولكنهم بحثوه لأن الاستعارة مرتبطة به، قال السكاكي: «إن المجاز ـ أعني الاستعارة ـ من حيث إنها فرع من فروع التشبيه لا تتحقق بمجرد حصول الانتقال من الملزوم إلى اللازم، بل لابد فيها من تقدمة تشبيه شيء بذلك الملزوم في لازم له، تستدعي تقديم التعرض للتشبيه فلا بد من أن نأخذه أصلاً ثالثاً ونقدمه فهو الذي إذا مهرت فيه ملكت زمام التدرب في فنون السحر البياني»(٢٥) ولا يقتصر المستوى الدلالي على التشبيه والمجاز والكناية وإنما يتصل بها بعض ماأدخله القدماء في علم البديع كالقلب، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، والتورية، والاستخدام.

وقد عدّ أمين الخولي من صور التعبير: صور الإيضاح المعلن وهي التشبيه، والاستعارة، والكناية، والتجريد، والقلب، وأسلوب الحكيم، والمبالغة، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، والتدبيج، والتهييج، والإلهاب، والتهكم، والفكاهة، والتجاهل. وصور التعبير المظللة وهي الرمز والإيماء، والألغاز، والتورية، والاستخدام، والاتساع(٢٦) .

وهذا الجمع بين فنون البيان والبديع في منحى واحد، أكسب المستوى الدلالي أبعاداً واسعة وفتح أمام الأديب آفاقاً رحبة، لأن البديع ليس محسنات لفظية ومعنوية يُؤتى بها لتحسين الكلام، وإنما هي ألوان من صور التعبير

ولولا ذلك ما حفل بها القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر العربي، وبذلك تعود للبديع أهميته في التعبير ويكون خيطاً من خيوط النسيج الأدبي.

أما الموضوعات ومعالجتها ففي التراث البلاغي ما يُغني بعد أن يُخْلَى منه ما يبعد البلاغة عن روح الفن، ومن ذلك مباحث الفلسفة، والمنطق، والعلوم المختلفة إذ ذكرت كتب البلاغة المتأخرة كثيراً منها مما كدر صفاءها، وذهب برونقها، وعاقَ الانتفاع بها في صقل الذوق وتهذيبه. وقد أدرك القدماء ذلك فقال الخطيب القزويني: إن بعض مسائل البلاغة بأصول الفلاسفة أشبه(٢٧).

وهم حين تكلموا على الملكة ـ مثلاً ـ تعرضوا للكم، والكيف، والإضافة، والمتى، والأين، والوضع، والملك، والفعل، والانفعال، وسموا هذه التسعة مع الجوهر المقولات العشر، أي المحمولات العشرة وقسموها إلى نسبية وغير نسبية.

وذكروا من الفلسفة الأدبية الصدق والكذب، ومن الفلسفة الإلهية الفاعل الحقيقي بالنسبة للمؤمن والدهري، وذكروا الجامع حينما تحدثوا عن الفصل والوصل، وقسموه إلى عقلي، و وهمي وخيالي، وأطالوا الكلام عليه.

وأدخلوا في علم البيان الدلالات، وقسموها إلى دلالة المطابقة، ودلالة التضمن، ودلالة الالتزام، وسموا الأولى وضعية لأنه لا يحصل فيها انتقال وسموا الثانية والثالثة دلالتين عقليتين لأن حصولهما بانتقال العقل من الكل إلى الجزء في الثانية ومن الملزوم إلى اللازم في الثالثة.

وبنوا على هذه الدلالات تقسيم البيان فأخرجوا منه التشبيه لأن دلالته

وضعية والدلالة الوضعية لا يمكن بها إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة .
وكان مبحث التشبيه مجالاً لتسابق البلاغيين في إدخال البحوث الفلسفية وقد تكلموا في الألوان، والطعوم، والروائح، والحركات، والمحسوسات، والكيفيات النفسية، واللذة والألم، والوهم، والخيال، والمفكرة، والوجدان، والماهية، وحرارة الحروف وبرودتها، ورطوبتها، ويبوستها، وغير ذلك.

وكان لمصطلحات المنطق وجود في كتب المتأخرين كالتأسيس، والموجبة، والسالبة، والمهملة والمعدولة، والسالبة المهملة، والسالبة الكلية، والسالبة الجزئية، والمسورة، والتصديق، والتصور، والمصدوق، والماصدق.

ولم يقف الأمر عند اقتباس المصطلحات وإنما استفادوا من أساليب الفلاسفة في البحث والشرح والتعليل، فعقّدوا البلاغة، وجعلوا كثيراً من مسائلها ألغازاً ولولا ذلك لم تكثر الشروح على كتاب «التلخيص» للخطيب القزويني. وهذا مايدعو إلى تجريد البلاغة الجديدة مما علق بها من غريب لايمس روح الأدب كألفاظ المناطقة، والفلاسفة، والمتكلمين والأصوليين، ومن مباحث أطال فيها البلاغيون كالنحو الذي طغى على علم المعاني فأصبح ميداناً للجدل في تقدير الفاعل أو المفعول، أو البحث في استعمال أدوات الشرط، وأحوال التعريف، وأدوات الاستفهام والنهي، والأمر، والتمني، والنداء.

إن الدعوة إلى إخراج هذه المصطلحات والمباحث تسعى إلى أمرين:

الأول: تخليص البلاغة من كل غريب لا علاقة له بالفن الأدبي، وإنما أقحم عليها إقحاماً أفقدها قيمتها والغرض الذي من أجله درسها المتقدمون.

الآخر: تخليصها من الاضطراب المنهجي، والانتقال من أسلوب إلى أسلوب فهم يتخذون أساليب الفلاسفة وأهل المنطق عندما يناقشون، ويتخذون أساليب الفقهاء حينما يعللون، ويتخذون أسلوب النحاة حينما

يعرضون موضوعات علم المعاني.

وما أحوج البلاغة إلى تجريدها من هذا كله لتبقى خالصة للفن، ويظل أسلوبها منسقاً ليس فيه هذا الانتقال الذي يفرضه كل نوع من هذه الموضوعات المختلفة في الهدف والأسلوب(٢٨).

(٦)

إن تيسير البلاغة ليس كتيسير النحو، لأنها علم لم ينضج ولم يحترق، أي أنها قابلة للتطور، والبلاغة الميسرة التي يسعى إليها الدارسون هي التي تواكب الحياة وتعبر عن روح العصر. وقد كانت البلاغة العربية تحمل بذور نموها وتطورها منذ نشأتها الأولى، فقد ذكر ابن المعتز في «البديع» ثمانية عشر فناً، وزاد عليها قدامة بن جعفر، وأبو هلال العسكري، وابن الأثير فنوناً أخرى، وذكر ابن أبي الإصبع في «تحرير التحبير» خمسة وعشرين ومئة فن، وجاء أصحاب البديعيات فأكثروا من فنون البلاغة، وضمن صفي الدين الحلي كتاب «شرح الكافية البديعية» أربعين ومئة فن وذكر ابن حجة الحموي في كتابه «خزانة الأدب وغاية الأرب» اثنين وأربعين ومئة فن، وذكر ابن معصوم المدني في كتابه «أنوار الربيع في أنواع البديع» خمسين ومئة فن.

وتوضح هذه الزيادات قدرة اللغة العربية وتفنن الأدباء في استحداث فنون جديدة تلائم طبيعة الأدب، وكانت البلاغة العربية في القديم مواكبة للعصر على الرغم من أن السكاكي والقزويني وشراح التلخيص ضيقوا نطاق بحثها وحصروها في فنون ترددت في كتب المتأخرين.

والأدب العربي - وقد تطور في العصر الحديث - معين ثر لمن يريد أن ينهل منه ويستخرج فنوناً وأساليب لم ترد في الأدب القديم، وما شاع من دراسات أجنبية حقل يقطف منه ما يتفق وروح اللغة العربية وأدبها الأصيل.

وتبقى أبواب البحث في البلاغة وتيسيرها مشرعة لمن يريد الدخول إليها بثقافة واسعة، وإدراك عميق، وذوق رفيع.

إن نمو البلاغة العربية في القديم ملمح من ملامح حيويتها وقدرتها على استيعاب الجديد، فضلاً عن أنها لم تتوقف عند عصر الاستشهاد في الأمثلة التي ذكرتها، وإنما تجاوزته وواكبت الأدب وفي البديعيات نصوص جديدة لم تذكرها كتب البلاغة الأولى وهي نصوص تمثل العصر الذي أُلفت فيه، وقد استخرج البديعيون منها فنوناً جديدة ـ وهي على الرغم مما قيل فيها ـ صورة لأدب تلك العهود وما أجدر بالمعاصرين أن يستخرجوا من الأدب الحديث فنوناً جديدة تلائم روح العصر وتضفي على البلاغة ثوباً جديداً وتيسر فهمها بعد أن تعقدت على يد شراح التلخيص، وأصبحت ألغازاً لا يحلها إلا من وَطَّن نفسه عليها واستعد لها استعداداً عظيماً وما هذا بمنهج التيسير الذي يقدم البلاغة بأسلوب سهل، ومصطلح دقيق، وعرض واضح، وتحليل عميق.

ولعل أهم ملامح تيسير البلاغة بعد هذا العرض:

١ ـ إلغاء التقسيم الثلاثي وجعل البلاغة قسماً واحداً وبحث موضوعاتها مستقلة أو بحث مستوياتها الثلاثة: الصوتي، والتركيبي، والدلالي وهي: علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع بعد تجريدها مما علق بها من مباحث أبعدتها عن هدفها، وتذوق الأدب الرفيع.

٢ ـ الاهتمام بدراسة المستوى الصوتي والألفاظ ودلالتها لأنها النواة الأولى للكلام ولا يُغْني ما جاء عن الفصاحة في كتب المتقدمين كثيراً.

٣ ـ البحث في الفقرة والقطعة الأدبية، والأساليب المختلفة، وليس الوقوف عند الجملة أو الجملتين حينما يحدث بينهما فصل أو وصل، وما إلى ذلك مما وقف عنده القدماء.

٤ ـ التقليل من التقسيمات والتفريعات الكثيرة التي يضل الدارس فيها.

٥ ـ توحيد المصطلحات والأخذ بأكثرها دلالة على الفن البلاغي، وترك الأسماء المتعددة التي تبلبل الأفكار وتوقع في الاضطراب.

٦ ـ تَخْلية البلاغة مما علق بها من مصطلحات ومسائل بعيدة عن روحها لتبقى خالصة للفن الرفيع.

٧ ـ تَحْلية البلاغة بما استجد من دراسات بلاغية ونقدية وأدبية ونفسية على أن لا تطغى عليها كما طغت مباحث الفلسفة والمنطق وعلم الكلام على بلاغة القدماء.

٨ ـ الاهتمام بعرض الفنون عرضاً أدبياً وكتابتها بأسلوب رفيع يثير المشاعر ويحرك النفوس قبل أن ينفذ إلى العقول فتدركه، لأن البلاغة فن مرتبط بالأدب قبل كل شيء، والأدب مشاعر وأحاسيس، ثم هي علم يدركه العقل بعد التأمل والتدقيق أي أنها فن من جانب وعلم من جانب آخر، ولكن الغلبة للجانب الأول، لأنه أقرب إلى طبيعة فن القول.

٩ ـ اختيار النصوص الأدبية الرفيعة وتلمس البلاغة فيما استجد من فنون أدبية تعبر عن الحياة المعاصرة، ولكي تستمر البلاغة في الازدهار لابد من أن ترتبط بالجديد من الآداب، وأن تقبس منها أنوارها لتشع على الدارسين.

١٠ ـ تحليل النصوص تحليلا أدبياً يعتمد على الإدراك والإحساس الروحاني والابتعاد عن التحليل الذي يعقدها ويجعلها طلاسم كما يفعل بعض المحدثين حينما يسلكون سبلاً تبعد عن التحليل الأدبي وتذوق الفن.

هذه بعض الخطوط العامة التي تجعل البلاغة العربية ميسرة، ولا يعني التيسير تجريدها من ذوقها الفني ونزعتها العلمية، وإنما دقة العرض، وروعة التحليل، وجمال الأسلوب.

الحواشي:

(١) سورة الرحمن، الآيات ١ - ٤.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٠٤.

(٣) يذكر أحمد بن فارس في كتاب الصاحبي ص ٣٧ وما بعدها أن العرب قبل الإسلام عرفوا الإعراب والعروض ولكن أتت عليهما الأيام وقلاً في أيدي الناس ثم جددهما أبو الأسود الدؤلي والخليل ابن أحمد الفراهيدي.

(٤) كتاب الصناعتين ص ٩.

(٥) ينظر مناهج تجديد ص ١٦٠ - ١٦٢، مناهج بلاغية ص ١٨٦ - ١٨٧.

(٦) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٢.

(٧) ينظر أسرار البلاغة ص ٢١ - ٢٤، دلائل الإعجاز ص ٧٤، الشعر والشعراء ج ١ ص ٦٧ الخصائص ج ١ ص ٢١٨، وتنظر ص ٢٨، ٢٢٠، المثل السائر ج ١ ص ٣٥٣، عبد القاهر ونقد النص الشعري (مجلة المجمع العلمي - الجزء الأول - المجلد الثالث والأربعون سنة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م - ص ٧٧ وما بعدها).

(٨) دلائل الإعجاز ص ٥٤٧.

(٩) مفتاح العلوم ص ٧٧.

(١٠) مفتاح العلوم ص ٢٠٤.

(١١) للتفصيل ينظر البلاغة عند السكاكي ص ١١٥ وما بعدها، مناهج بلاغية ص ٢٤٦ وما بعدها.

(١٢) فن القول ص ٢٢٣، وينظر البلاغة عند السكاكي ص ٤٠٢، القزويني وشروح التلخيص ص ٦١٩، مناهج بلاغية ص ٣٦٩.

(١٣) الأسلوبية والأسلوب ص ٥٢.

(١٤) بلاغة الخطاب ص ٢٠١.

(١٥) ينظر بعضها في قراءة النص الشعري (مجلة المجمع العلمي - الجزء الأول - المجلد الرابع والأربعون سنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م - ص ٢٦ - ٣١.

(١٦) اتجاهات البحث الأسلوبي ص ٦، وينظر الألسنية والنقد الأدبي ص ٨ - ٩، ٢١.

(١٧) بلاغة الخطاب ص ٨٤.

(١٨) بلاغة الخطاب ص ١٧٩.

(١٩) ينظر بلاغة الخطاب ص ٧٣ وما بعدها.

(٢٠) ذكر أبو هلال العسكري هذه الأهداف في مقدمة كتاب الصناعتين ص ١ - ٣،

وينظر مناهج بلاغية ص ٣٢ - ٣٥.

(٢١) ينظر فن القول ص ٢١٧ - ٢١٩، ولستيفن أولمان كتاب «دور الكلمة في اللغة» وهو نافع في هذا المقام.

(٢٢) مفتاح العلوم ص ٩٥.

(٢٣) للوقوف على ذلك ينظر البلاغة والأسلوبية ص ٢٣٥ ومابعدها، والبنيات الأسلوبية ص ٢٠٥ وما بعدها.

(٢٤) ينظر فن القول ص ٢١٩ - ٢٢١.

(٢٥) مفتاح العلوم ص ١٥٧.

(٢٦) فن القول ص ٢٢١– ٢٢٢ .

(٢٧) الإيضاح ص ١٠٠.

(٢٨) للتفصيل ينظر القزويني وشروح التلخيص ص ٦٤٩ وما بعدها، مناهج بلاغية ص ٣٩٧ ومابعدها.

المراجع

١ - اتجاهات البحث الأسلوبي - اختارها وترجمها الدكتور شكري محمد عياد. الرياض ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

٢ - أسرار البلاغة - عبد القاهر الجرجاني - تحقيق هـ . ريتر. أستانبول ١٩٥٤م.

٣ - الأسلوبية والأسلوب - الدكتور عبد السلام المسدي. الطبعة الثانية تونس ١٩٨٢م.

٤ - الألسنية والنقد الأدبي في النظرية والممارسة - الدكتور موريس أبو ناضر. بيروت ١٩٧٩م.

٥ - بلاغة الخطاب وعلم النص - الدكتور صلاح فضل (عالم المعرفة ١٦٤) الكويت ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

٦ - البلاغة عند السكاكي - الدكتور أحمد مطلوب. بغداد ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م.

٧ البلاغة والأسلوبية - الدكتور محمد عبد المطلب . القاهرة ١٩٨٤م.

٨ - البنيات الأسلوبية في لغة الشعر الحديث - الدكتور مصطفى السعدني. الإسكندرية ١٩٨٧م.

٩ - الخصائص - أبو الفتح عثمان بن جني - تحقيق محمد علي النجار - القاهرة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢م.

١٠ - دلائل الإعجاز - عبد القاهر الجرجاني. تحقيق محمود محمد شاكر. القاهرة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م.

١١ ـ الشعر والشعراء ـ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ـ تحقيق أحمد محمد شاكر. القاهرة ١٩٦٦م.

١٢ ـ الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ـ أبو الحسين أحمد بن فارس. تحقيق الدكتور مصطفى الشويمي. بيروت ١٣٨٣ هـ – ١٩٦٤م.

١٣ ـ عبد القاهر ونقد النص الشعري ـ الدكتور أحمد مطلوب (بحث نشر في مجلة المجمع العلمي ـ بغداد. الجزء الأول ـ المجلد الثالث والأربعون. ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦).

١٤ ـ فن القول ـ أمين الخولي. القاهرة ١٣٦٦ هـ ـ ١٩٤٧م.

١٥ ـ قراءة النص الشعري ـ الدكتور أحمد مطلوب. (بحث نشر في مجلة المجمع العلمي ـ بغداد. الجزء الأول ـ المجلد الرابع والأربعون ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧م.)

١٦ ـ القزويني وشروح التلخيص ـ الدكتور أحمد مطلوب. بغداد ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧م.

١٧ ـ كتاب الصناعتين ـ أبو هلال العسكري. تحقيق محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ـ الطبعة الأولى ـ القاهرة ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢م.

١٨ ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ـ ضياء الدين بن الأثير. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة ١٣٥٨ هـ ـ ١٩٣٩م.

١٩ ـ مفتاح العلوم ـ أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي. القاهرة ١٣٥٦ هـ ـ ١٩٣٧م.

٢٠ ـ مقدمة ابن خلدون ـ عبد الرحمن بن خلدون ـ دار الكشاف ـ بيروت.

٢١ ـ مناهج بلاغية ـ الدكتور أحمد مطلوب. بيروت ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣م.

٢٢ ـ مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب ـ أمين الخولي. القاهرة ١٩٦١م.

نحو تيسير قواعد اللغة العربية

أ.د. أحمد حسن حامد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير البشر أجمعين، النبي العربي، الأمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد: فهذه جملة أفكار وملاحظات حول تيسير قواعد اللغة العربية، أطرحها عليكم لنتذاكر معاً ما قيل، وما يقال حول قواعد العربية ومشكلة تيسيرها. محاولاً وضع تصور عام لتقريبها من أذهان الطلبة.

وأقول بادئ ذي بدء: لقد كان النحو العربي، وما يزال، مبعث تذمر كثير من الدارسين والمدرسين في عالمنا العربي، وذلك لكثرة تفصيلاته وأحكامه وحواشيه التي ملئت بها كتب النحو قديمها وحديثها، مما دفع بعض الباحثين إلى الرد على النحاة وأحكامهم محاولين، بذلك، تذليل ما خلقوا فيه من صعوبات عسرت أمر تعلمه وتعليمه وانحرفت به عن فائدته المرجوة.

ولعل أول من أدرك هذه الصعوبات من أسلافنا، وحاول وضع دواء شاف لها ـ على الأقل من وجهة نظره هو ـ ابن مضاء القرطبي، إذ وجد الصعوبة تكمن في نظرية العامل التي جذبت انتباه النحاة وسيقوا وراءها، فجرتهم إلى افتراضات وتعليلات صعبت النحو وعقدت أبوابه وأحكامه،

فراح ينادي في النحاة والناس من حولهم: «حطموا نظرية العامل، حطموا الأقيسة والعلل، حطموا كل مالا يفيد نطقاً، حتى نرفع كل الحواجز التي تعوق فهم مسائل النحو فهماً صحيحاً، قائماً على الحقائق اللغوية المحسوسة». غير أن محاولة ابن مضاء هذه ذهبت في واد فلم يستجب له نحاة المغرب ولا نحاة المشرق في العصور الوسطى، وظل الناس، وظلت الأجيال تعاني في قراءة النحو مشقات هائلة. وليس، أدل على ذلك، من قول أحد الشعراء الظرفاء:

فِي النَّحْــوِ لا يَقْهَرُنــي   إلاّ تَفَــاصِيلُ العَــدَدْ

وإخال هذه الصعوبة كانت ماثلة أمام أعين النحاة أنفسهم، ومن ثم تسابقوا إلى وضع المؤلفات النحوية التي توحي عناوينها إلى فكرة التيسير ومن أمثلة هذه المؤلفات: الإيضاح، والمفصل، والواضح، وأوضح المسالك، والمقرب وغيرها.

ومهما يكن فقد مات ابن مضاء، ولم تمت صعوبة النحو، بل ظلت حية عبر العصور، حتى جاء عصرنا الحديث فعادت نغمتها تتردد على الألسنة من جديد، وبصورة أقوى مما سبق، مما حفز بعض الباحثين المعاصرين إلى الإدلاء برأيه نحو تيسير قواعد العربية، ومن هؤلاء إبراهيم مصطفى في كتابه «إحياء النحو» إذ وجد الصعوبة تكمن في وضع النحو وتدوين قواعده، ومن هنا اتجهت محاولته تيسير النحو إلى إلغاء نظرية العامل يقول: «تخليص النحو من هذه النظرية وسلطانها، هو عندي خير كثير، وغاية تقصد، ومطلب يسعى إليه، ورشاد يسير بالنحو في طريقه الصحيح».

وفي ضوء إلغاء هذه النظرية ضم إبراهيم مصطفى كثيراً من الأبواب

النحوية في باب واحد، مثال ذلك وضعُه أبواب المبتدأ والفاعل ونائب الفاعل جميعها في باب المسند إليه وحقها الرفع دائماً. وعارض دراستها منفصلة كل منها في باب واحد كما فعل النحاة القدماء.

ثم جاء بعد ذلك «طه حسين» فقال: إن إحياء النحو لا يتأتى إلا من طريقين: أحدهما: أن يقربه النحاة من العقل الحديث ليفهمه ويسيغه ويتمثله، ويجري عليه.تفكيره إذا فكر، ولسانُه إذا تكلّم، وقلمُه إذا كتب، وثانيهما: أن تشيع فيه هذه القوة التي تحبب إلى النفوس درسه، ومناقشة مسائله، والجدال في أصوله وفروعه، وتضطر الناس إلى أن يعنوا به بعد أن أهملوه، ويخوضوا فيه بعد أن أعرضوا عنه.

ويبدو أن أمر النحو وتيسيره أخذ اتجاهاً رسمياً في مصر؛ فقد ألفت وزارة المعارف المصرية في زمن وزيرها بهي الدين بركات سنة ١٩٣٨ لجنة، للنظر في أمر التيسير، برئاسة الدكتور طه حسين إذ أعدت اللجنة مقترحات قدمتها إلى مجمع اللغة العربية بالقاهرة ثم إلى المجامع العربية الأخرى، وكذلك إلى كثير من الجهات التربوية المعنية بتدريس اللغة العربية، وقد أرجعت اللجنة صعوبة النحو إلى ثلاثة أسباب:

أولاً: فلسفة حملت القدماء على أن يفترضوا أو يعللوا ويسرفوا في الافتراض والتعليل.

ثانياً: إسراف في القواعد نشأ عنه إسراف في الاصطلاحات.

ثالثاً: إمعان في التعمق العلمي باعد بين النحو والأدب.

ثم اقترحت ما يلي:

الاستغناء عن الإعراب التقديري والإعراب المحلي.

الاختصار في الأقسام وتعدد الأبواب.

أن تقتصر الجملة على جزأين هما: الموضوع والمحمول. وكل ما عداهما تكملة وحكمها النصب إلا إذا كانت مضافاً إليه أو مسبوقة بحرف من حروف الإضافة فهي مجرورة.

وقد هوجمت هذه المحاولة هجوماً عنيفاً وبخاصة من علماء الأزهر، كما تلقت ردوداً كثيرة من جانب المعنيين بتدريس قواعد العربية، تتضمن نواحي النقص التي فات على اللجنة بحثُها.

ثم كثرت بعد ذلك الآراء الفردية حول تيسير النحو، بعضها نشر على صورة مقال في بعض المجلات العربية وبعضها الآخر نشر في كتب اتخذت أسماء تنم على محاولة التيسير والتبسيط.

وحين عقد المؤتمر الثقافي العربي الأول سنة ١٩٤٧ أعيد بحث قضية التيسير مرة أخرى، إذ قدمت للمؤتمر اقتراحات مختلفة ومتعددة، ومن أشهرها الاقتراح الذي قدمه خليل السكاكيني والذي يتلخص فيما يلي:

١ـ اتباع أسلوب الجداول في تدريس الأبواب النحوية، مثل التوابع والنداء، والاستغاثة، والندبة والاختصاص والتحذير والإغراء والعدد، ثم القياس عليها. فبدلاً من أن نقول ـ في العدد على سبيل المثال ـ: إنه يقسم إلى مفرد ومركب وعقود، ومعطوف، وإن الواحد والاثنين في المفرد والمركب والمعطوف يوافقان المعدود في التذكير والتأنيث، وإن العدد المفرد من ثلاثة إلى عشرة يخالف المعدود في التذكير والتأنيث، وإن معدوده يكون جمعاً مضافاً إليه، وإن العدد المركب يبنى آخر كل جزء من جزأيه على الفتح إلى آخر ما في العدد من أحكام. بدلاً من كل ذلك نضع خمسة جداول أو أنماط

نقيس عليها على النحو التالي:

ولد ـ ولدان ـ ثلاثة أولاد إلى الثلاثين.

بنت ـ بنتان ـ ثلاث بنات إلى الثلاثين.

الولد الأول ـ الثاني، الثالث إلى الثلاثين.

البنت الأولى ـ الثانية إلى الثلاثين.

الثلاثة كتب، ثلاثة كتب، الثلاثة كتبا، الخمسة عشر كتاباً.

ثم يكلف التلاميذ بحفظها وتكرارها.

٢ـ أن نختار من القواعد ما نحتاج إليه في الاستعمال دون اللجوء إلى التفصيلات.

٣ـ اتباع تعدد القاعدة لا توحيدها سواء كان ذلك في النحو أو في الصرف.

وقد فُض المؤتمر بتوجيهات تدور في معظمها حول تبسيط أسلوب تعليم القواعد من جهة وتعديل بعض الأبواب النحوية من جهة أخرى.

ومع ذلك بقيت القضية قائمة لم تحل. إذ أعيد بحثها مرة أخرى في المؤتمر الأول للمجامع اللغوية الذي عقد في دمشق سنة ١٩٥٦، إذ طالب فيه الدكتور مصطفى جواد تقليل القواعد، وانتقاء الشواهد من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف المروي لفظاً، ثم من الشعر العربي الجاهلي الصحيح صحة نسبية، ثم من شعر ما بعد الجاهلية.

وليت شعري، هل استطاعت هذه المحاولات، الفردية منها والجماعية، أن تيسر النحو والصرف؟ إن الإجابة عن هذا السؤال ستظل قائمة مادامت هناك شكوى من النحو وأحكامه، وفي رأيي أن الشكوى ما يزال يسمع

صداها في جنبات الوطن العربي، وأن التذمر ما يزال يسمع بين الحين والآخر.

وهذا يعني، من جهة أخرى، إخفاق المحاولات السابقة لتيسير النحو العربي، وليس أدل على ذلك من قول الأستاذ علي النجدي ناصف: «إن مثل تلك المؤتمرات والدراسات التي لا تخلو من الارتجال تؤدي إلى البلبلة، وإضاعة الوقت بدلاً من الفائدة، ويقترح أن يغلق هذا الباب لأن الاستقرار على كل حال أبرك ثمرة، وإذا كان في النحو شيء لا نتبينه الآن؛ فإن رجال العربية وهم، بحمد الله أكفياء متخصصون، أحق أن يتداركوه مع الأيام وعلى نور من التجربة والمعاناة، لا على حدس من وهم واهم أو خيال متخيِّل فيكون الإصلاح أو التجديد استجابة لداعية مقتضية وتحقيقاً لحاجة ملحة».

والآن، وبعد هذا العرض لقضية تيسير النحو العربي على مدار نصف قرن أو يزيد، فإننا، حقاً لم نحدد ما الذي نريد أن نيسره؟!. أهو النحو العربي جميعه؟ أم قواعد العربية؟! إن كان المقصود تيسير النحو العربي، فهذا أمر مغلوط؛ وذلك أن النحو علم، وليس من اليسير أن نيسر علماً كاملاً. ألم يقل نحاة العرب: إن النحو علم مستخرج بمقاييس، وإن كان المقصود من التيسير قواعد العربية، فلنتفق أولاً على صعوبة هذه القواعد. والحقيقة أن أيسر طريقة لتيسير قواعد العربية هي بناء علاقة العشق بين هذه القواعد وبين الدارس أو المتعلم. فإن قامت هذه العلاقة فإنه يصبح بالإمكان الإقبال على تعلم القواعد العربية بأي أسلوب من أساليب تدريس العربية.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن تعليم القواعد قد جرى منذ وقت طويل

على أساليب ثلاثة:

١ـ الأسلوب الأندلسي الذي يجمع بين القواعد والشواهد أو الأمثلة وهو يسار فيه إما من القاعدة إلى الشاهد أو العكس (من الشاهد إلى القاعدة).

٢ـ الأسلوب المغربي الذي يقتصر على القواعد دون الشواهد.

٣ـ الأسلوب الخلدوني الذي يقتصر على الشواهد دون القواعد أي من الشواهد أو الأمثلة المشهورة إلى الاستعمال مباشرة، فيقاس الكلام بعضه على بعض دون اللجوء إلى الأحكام المجردة تقول: قال الرَّجلُ بالضّم قياساً على قال النبي، قال الأحنفُ، قال المهلّبُ. وتقول: النهار جميلٌ برفع الاثنين قياساً على قولهم: العلم زين، والصدق عز، والكذب خضوع، والخير عادة، والشر لجاجة، وإذا أخطأ الطالب أرشدناه، أو قلنا لرفاقه: أرشدوا أخاكم فقد ضل. وفي رأينا أن الأسلوب الصحيح في تعليم قواعد العربية لا يكمن في واحد من الثلاثة السابقة، وإنما لابد من أسلوب آخر رابع نطلق عليه (الأسلوب التكاملي) بمعنى أن ينظر إلى المسألة النحوية التي نريد تدريسها للتلاميذ، فإن كان الأسلوب الأول يقرب المعلومة أكثر من غيره فلنتبعه، وإلا فلنلجأ إلى الأسلوب الثاني، أو الثالث وهكذا أو نستعين بالأساليب الثلاثة معاً. وهذا يعتمد على مهارة المعلم ومدى إخاطته بهذه المسألة أو تلك من المسائل النحوية.

وعليه فإني أرى تيسير قواعد العربية في المادة والأسلوب في الأمور التالية:

١ـ لابد من إقامة علاقة عشق ما بين الدارس والنحو، ودونها تصبح

الحلول صعبة المنال.

٢ـ إنشاء معجم نحوي عام وشامل؛ بحيث يرجع إليه الطالب كلما دعت الحاجة إليه.

٣ـ اختيار «لجنة آراء» من علماء النحو للرجوع إليها فيما يعرض من خلاف نحوي، بحيث تضم نحاة يمثلون عصور العربية بما فيها العصر الحديث. يؤخذ برأيهم أو بآراء من نقلوا عنهم.

٤ـ عدم اللجوء إلى الأحاجي والألغاز النحوية.

٥ـ عدم اللجوء إلى الحواشي والتفصيلات المملة إلا في الحالات الضرورية جداً.

أما أسلوب تدريس النحو فيمكن أن نلخصه فيما يلي:

١ـ إعداد المعلم القادر والكفي لتدريس النحو.

٢ـ اتباع الأسلوب التكاملي الذي أشرنا إليه في تدريس النحو.

٣ـ الإكثار من النصوص العربية المتنوعة وتطبيق القواعد عليها.

٤ـ لا مانع من استخدام طرائق التوضيح في تفهيم القواعد.

٥ـ الابتعاد عن كل ما يجلب الضرر والتعقيد.

٦ـ عدم اللجوء إلى الجانب المنطقي إلا بعد أن يعجز الجانب اللغوي عن بيان وظيفة الكلمة.

والجانب المنطقي يعني: «الإضمار، الحذف، التقدير، المحل، التضمين». فلنأخذ هذا المثال:

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاني - ولم أطلب - قليل من المال

إذ يسرع (المعرب) إلى القول في بيان فاعل: (كفى) فيقول: هو

ضمير مستتر تقديره (هو) إذ لجأ هنا إلى (المنطق) قبل أن يبحث عن الفاعل في الزاوية اللغوية المنظورة.

٧ـ على القائمين على تدريس النحو أن يبينوا مسارب الخطأ في النحو:

وفي رأيي أن مسارب الخطأ كثيرة منها:

١ـ الجانب النفسي بمعنى الشعور بالضعف (ابتداء) قبل الشروع في تعلم مسائل النحو، وقد يكون هذا الشعور متوارثاً. وقد روج بعض المستشرقين لهذه الفكرة حتى تطورت إلى صعوبة عسيرة الحل. إذ قال أحدهم: «أفضل أن أمشي سيراً على الأقدام من الإسكندرية إلى كمبالا في أوغندا على أن أتعلم حرفاً من حروف العربية».

٢ـ اللبس ما بين بعض الأدوات أو المسائل النحوية:

إذ لاحظت أن عدداً من الطلبة يقول عن: (هو) (وهي) هما أسماء إشارة وفي رأيي أن مسرب الخطأ هنا جاء من الهاء في (هنا) (وهذا)، وهذا الخطأ من الممكن تلافيه بقليل من المعرفة.

ومن ذلك: (إعراب) الذين ـ بأنه منصوب بالياء لأنه: (فالياء ولأنه) مسربان من مسارب الخطأ في النحو العربي إذ سمعت بعضهم يقول: الذين منصوب (بالياء) لأنه:

(أ) جمع مذكر سالم

(ب) من الأسماء الخمسة.

دون عناء تفكير.

٣ـ جملة (مقول القول) ـ (لامحل لها في الإعراب) يسرع الطالب إلى

القول (لامحل لها في الإعراب) ـ ويبدو أن سيطرة (عبارة لا محل لها في الإعراب) على الذهن أقوى من (لها محل في الإعراب).

٤ـ اللجوء إلى التخمين في إعراب الجمل العربية. مع أن الإعراب ليس تخميناً وإنما وفق ضوابط معينة. ولا نَخَف من ذلك. فالنحو (رفع) (ونصب)، (وجر).

وللرفع ضوابط كما أن للمنصوبات ضوابط، ومثل ذلك يقال للمجرورات.

٥ـ أن يفرق الطالب ما بين وظيفة الكلمة في التركيب وما بين «الإعراب». وذلك أن ثلثي النحو العربي لا محل له في الإعراب بمعنى أن الأفعال والحروف جميعها لا محل لها في الإعراب، ماذا يبقى إذن؟ الأسماء وحسب.

وبعد؛ فلعلي أكون قد وفّقت في وضع اللبنة الأولى التي ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار حين نقدم على تيسير النحو العربي.

تيسير مباحث النحو والصرف

الأستاذ الدكتور سامي عوض

فخرت العرب منذ القديم بلسانها وبيانها، كما فخرت بأصولها وأنسابها، كأنّما أدركت بسليقتها الصلة الوثيقة بين الجانبين وأنَّ اللغة مرآة حياة الأمة، ووعاء فكرها، والسِّجل المعبر عن خصائصها، وأساس التواصل الاجتماعي بين الناس وهي أداة التعبير الحي عن أحوال الأمة، وخصائص طبيعة الحياة فيها.

فلمّا شُرِّفتِ العربيةُ بنزول القرآن الكريم بها، أصبح الاعتزاز منوطاً بتلك الكرامة الإلهية خاصة، وباعثاً إلى دراستها لفهم آيات الذكر الحكيم، وإدراك أسرار البلاغة فيها، وفهم الأحاديث النبوية الشريفة، وعمق دلالتها في أحكام الشريعة، وفي آداب السلوك، وحكمة الحياة وقيمتها[1].

وتتجلى في آيات القرآن الكريم مكانة اللغة العربية، وسَعتها وثباتها، فقد ذكرت عدة آيات أنه (قرآنٌ عربي):

﴿إنّا أنزلناه قُرْآناً عربياً لَعَلَّكم تَعْقِلُون﴾[2].

---

(١) اللغة العربية والوعي القومي بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية ص ٤٨- ٤٩ من مقال: (العربية الفصيحة لغة التعليم في الوطن العربي للسيد عبد العزيز البسّام).

(٢) سورة يوسف ٢، وانظر الآيات في سورة طه ١١٣وسورة الزمر ٢٨، وسورة فصلت =

﴿لسانُ الذي يُلْحِدُون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾[١].

﴿وإنَّه لَتنـزيلُ ربِّ العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مُبين﴾[٢].

هذه الآيات تظهرُ أنَّ العرب كانت لهم عند ظهور الإسلام لغة واحدة فصيحة معتمدة يفهمونها، ويستلهمونها في الكلام المعتمد الرفيع، ويعتزون بها، ويعتبرونها من أبرز السمات التي تستحق الفخر.

وقد بلغت العناية باللغة العربية حدّاً يعزُّ نظيره بين اللغات، وكانت الدراسات فيها رائدة لغيرها من الدراسات؛ نشأ نحو اللغة العربية في الثلث الأخير من القرن الأول الهجري، ولا يكاد الحديث عن نشأة هذا النحو يخلو من الحديث عن الأسباب التي كانت وراء هذه النشأة وتكاد كلها تتركز في قضية (اللحن) الذي رآه القدماء خطراً على العربية، وعلى القرآن الكريم يقول ابن سلام: (كان أَوَّلَ من أَسَّس العربية، وفتح بابها، وأنهج سبيلها، ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي؛ وإنّما قال ذلك حين اضطرب لسان العرب، وغُلبت السليقة، وكان سَراة الناس يلحنون)[٣]. ويرى الدكتور عبده الراجحي أنَّ اللحن وحده لا يفسر نشأة النحو وخاصة على أول

=٣ وسورة الشورى ٧، وسورة الزخرف ٣، وسورة الأحقاف ١٢.

(١) سورة النحل ١٠٣.

(٢) سورة الشعراء ١٩٢ - ١٩٥.

(٣) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ص ١٢ وينظر:

- اللغة العربية والوعي القومي «بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية» ص٤٩.

صورة وصل بها إلينا، وهي كتاب سيبويه يقول[١]: (والأقرب عندي أن النحو شأن العلوم الإسلامية الأخرى نشأ «لفهم» القرآن الكريم، والبون شاسع بين محاربة «اللحن» وإرادة الفهم، لأن اللحن ما كان يُفضِي بهذا «النحو» إلى ما أفضى إليه في هذه المرحلة الباكرة من حياته، بل لعله كان حقيقاً أن يقتصر على وضع ضوابط الصحة والخطأ في كلام العرب؛ أمّا «الفهم» فإنه يقصد إلى البحث عن كل ما يفيد في استنطاق النص، وفي معرفة ما يؤدّيه التركيب القرآني على وجه الخصوص باعتباره أعلى ما في العربية من بيان، ومن هنا كان النشاط النحوي القديم على الوجه الذي نعرفه من كثرة علمائه، وتفرّع مذاهبه، ووفرة مادته)[٢] ولكي تتضح الصورة، وتتجلى معالمها لابد لنا من تبيان موقف النحاة واللغويين من (النحو ومفهومه).

لقد صنف كتاب سيبويه بأنه كتاب في النحو حيث كان يقال في البصرة: (قرأ فلان الكتاب) فيعلم أنه كتاب سيبويه، يقول أبو الطيّب اللغوي: (هو أعلم الناس بالنحو بعد الخليل، وألّف كتابه الذي سماه الناس «قرآن النحو») [٣].

يقول الدكتور حسن عون: (لقد استطاع سيبويه أن يتمثل صورة

---

(١) النحو العربي والدرس الحديث «بحث في المنهج» د. عبده الراجحي - ط دار نشر الثقافة ١٩٧٧ ص١١.

(٢) النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج ص ١٠ - ١١.

(٣) مراتب النحويين تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم طبع دار نهضة مصر ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.

الموضوع الذي يعالجه رغم ضخامتها، ومنهج الدرس النحوي رغم بدائيته تمثلاً يقوم على النظر في اللفظ المفرد، أو الكلمة، ثم النظر في الجملة، أو التركيب اللغوي، وقد جمع قضايا النحو مع قضايا الصرف والأصوات بجانب القضايا الأخرى المتعلقة بالميادين اللغوية والبلاغية)[1].

ويرى الدكتور محمود فهمي حجازي (أنَّ النحو بهذا المعنى يضم مجموعة من الدراسات التي تُصنَّف في علم اللغة الحديث في إطار الأصوات، وبناء الكلمة، وبناء الجملة، والتصنيف الحديث لعلم اللغة يضع الدراسة الصوتية أولاً، تليها الدراسة الصرفية، ثم النحوية أو التركيبية)[2].

ثم يظهر المازني ويبدو أنه من أوائل من خصَّصوا للأبنية الصرفية كتباً مستقلة، وكتابه (التصريف) أقدم كتاب مستقل كامل وصل إلينا في الأبنية الصرفية، وهو كتاب نفيس جمع فيه موضوعات التصريف المتناثرة في كتاب سيبويه، ونظمها لأول مرة، وصاغها صياغة علمية متقنة إلى أبعد حدود الإتقان، وقد شرح ابن جني هذا الكتاب[3]. وعلى الرغم من أن المازني خصص للصرف كتاباً مستقلاً، وأقامه علماً مستقلاً بأبنيته وأقيسته وتمارينه، لكن المازني لم يفصل بين النحو والصرف فصلاً قاطعاً يقول: (إلا أن

---

(١) د. حسن عون تطور الدرس النحوي نشر معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٠م ص ٣٧-٤١.

(٢) د. محمود فهمي حجازي «علم اللغة العربية» علوم اللغة في التراث العربي ٥٩-٦٤.

(٣) المنصف شرح كتاب التصريف للمازني تحقيق إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين ١٣٧٣- ١٣٧٩هـ.

التصريف وسيط بين النحو واللغة يتجاذبانه، كما أن التصريف أقرب إلى النحو من الاشتقاق يدلك على ذلك أنك لا تكاد تجد كتاباً في النحو إلا والتصريف في آخره... فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة، والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة، وإذا كان كذلك فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف، لأن معرفة ذات الشيء الثابتة ينبغي أن تكون أصلاً لمعرفة حاله المتنقلة، إلا أن هذا الضرب من العلم لما كان عويصاً بُدِئَ قبله بمعرفة النحو ثم جِيء به ليكون الارتياض في النحو موطئاً للدخول فيه، معيناً على معرفة أغراضه ومعانيه، وعلى تصرّف الحال)[١].

أما ما قَدَّمه ابن جني في كتابه (الخصائص) فيصلح أن يكون أساساً لفهم المنهج العرَبي في الدرس الصرفي والنحوي يذكر في باب القول على النحو: (هو انتحاء سَمت كلام العرب في تصرّفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع، والتحقير والتكسير والإضافة، والنسب، والتركيب، وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها، وإن لم يكن منهم، وإن شذ بعضهم رُدَّ بها إليها)[٢].

ويوضح الدكتور عبده الراجحي هذا النص بقوله: (هذا النص المهم يضع أمامنا الحقائق الآتية:

أ ـ إن الدرس النحوي عند العرب لم يكن معيارياً كما يذهب بعض

(١) المنصف شرح كتاب التصريف للمازني الجزء الأول ص ٤ـ ٥.

(٢) ابن جني «الخصائص» تحقيق محمد علي النجار، ط دار الكتب المصرية الطبعة الثانية ١٣٧١ـ ١٣٧٦هـ الجزء الأول ص ٣٤.

الباحثين؛ لكنه تقديم لكلام العرب كما هو.

ب - إنه لم يقصر النحو على الإعراب كما يذهب بعض من كتب في النحو من المتأخرين.

ج - إن حصره النحو في كلام العرب دليل على إدراكه الواضح أن النحو مجاله الجملة[١].

ثم ألف ابن الحاجب كتابه (الكافية في النحو) حيث تناول القضايا الخاصة بالإعراب وبناء الجملة[٢] بينما خصص لبناء الكلمة كتاباً آخر هو (الشافية)، ولكنه على الرغم من هذا ظل ابن الحاجب يعد التصريف قسماً من النحو، لا قسيماً له، يقول في الشافية: (واعلم أن التصريف جزء من أجزاء النحو بلا خلاف)[٣].

وإذا أردنا أن نسجل موقف اللغويين المحدثين فإننا نجد الدكتور السعران يقول: (وقد جرى لغويو العرب على أن يدرسوا نحو معظم اللغات تحت موضوعين أساسين هما «المورفولوجيا Morphology ويعني الصرف، والنظم ويعني Syntax»).

وقد كثر الجدل بين اللغويين فيما يتعلق بجدوى هذا التقسيم، وبتحديد مجال كل قسم من هذين القسمين، ولكن هذا التقسيم التقليدي لا

---

(١) فقه اللغة في الكتب العربية في المستوى الصرفي والنحوي ص ١٥٠- ١٥١.

(٢) الكافية طبع دار الطباعة إيران.

(٣) الأستراباذي رضي الدين محمد بن علي بن يوسف الأنصاري شرح الشافية لابن الحاجب تحقيق محمد نور الحسن، محمد محيي الدين عبد الحميد محمد الزفزاف الطبعة الأولى سنة ١٣٨٥هـ ١٩٣٩م مطبعة حجازي بالقاهرة.

يزال صالحاً[١].

ويقول في مكان آخر: (وللنظم علاقة وثيقة بالمورفولوجيا، وذلك لأن التركيبات المورفولوجية في لغة من اللغات عادة ما تحكمها إلى درجة كبرى الترتيبات النظمية)[٢].

ويرى الدكتور بشر أن كل دراسة تتصل بالكلمة أو أحد أجزائها، وتؤدي إلى خدمة العبارة والجملة، أو بعبارة بعضهم وتؤدي إلى اختلاف المعاني النحوية، كل دراسة من هذا القبيل هي صرف في نظرنا[٣].

ويقول الدكتور عبده الراجحي: (إن العلماء العرب لم يفصلوا بين النحو والصرف فصلاً قاطعاً، بل إن كتب النحو منذ سيبويه تشتمل على النحو والصرف جميعاً)[٤].

ثم يقول: (النحو والصرف إذن جزءان لعلم واحد، أو أن النحو لا يمكن درسه دون بحث الجوانب الصرفية للغة)[٥].

ويقول الدكتور مسعود بوبو: (عندما نتحدث عن حال تدريس النحو والصرف يتعين علينا أن نحدد إطار هذا الموضوع فنشير إلى أن

---

(١) محمود السعران علم اللغة مقدمة للقارئ العربي طبعة دار المعارف ١٩٦٢ ص ٢٢٥.

(٢) علم اللغة ص ٢٤٥.

(٣) د. كمال بشر دراسات في علم اللغة القسم الأول والثاني ط دار المعارف مصر ١٩٦٩م القسم الثاني ص ٨٥.

(٤) فقه اللغة في الكتب العربية في المستوى الصرفي والنحوي ص ١٤٤.

(٥) فقه اللغة في الكتب العربية في المستوى الصرفي والنحوي، ص ١٤٥.

المقصود بالعنوان «النحو والصرف كلاهما» لأنهما متلازمان حتى يصعب الفصل بينهما)[١] .

وهناك مصطلح آخر وصف به البحث في النحو وهو (مصطلح العربية) أو (علم العربية) فابن النديم يستخدم مصطلح العربية بمعنى النحو حيث يقول: (كان عبد الرحمن بن هرمز أول من وضع العربية)[٢] .

وهذا ما يذكره ابن فارس: (فقد تواترت الروايات على أن أبا الأسود الدؤلي أول من وضع العربية)[٣] .

ويقول ابن الأنباري: (أول من وضع علم العربية، وأسس قواعده، وحد حدوده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب)[٤] .

ويوضح الدكتور حجازي ذلك بقوله: (أما في المغرب والأندلس فهناك نصوص كثيرة توضح تفضيلهم مصطلح العربية، ففي القرن الرابع الهجري ذكر الزبيدي في تراجمه لكثير من علماء الأندلس والمغرب مصطلح

---

(١) ندوة النحو والصرف دمشق ٢٧- ٣٠/ ١٩٩٤ «بحث بعنوان تدريس النحو والصرف ص ٨٠».

(٢) ابن النديم محمد بن إسحاق الفهرست المطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٣٤٨هـ ص ٥٩.

(٣) ابن فارس أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا «الصاحبي في فقه اللغة العربية وسَنن العرب في كلامها تحقيق السيد أحمد صقر - مطبعة عيسى البابي الحلبي مصر ص ١٣».

(٤) ابن الأنباري نزهة الألباء في طبقات الأدباء تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم طبع دار نهضة مصر ص٤.

العربية بمعنى «النحو»)[١].

والسؤال الذي نطرحه الآن: هل لغتنا العربية صعبة؟.

يقول أبو حيان التوحيدي، في الليلة السادسة من كتاب الإمتاع والمؤانسة عن اللغة العربية ما يأتي: (قد سمعنا لغاتٍ كثيرة - وإن لم نستوعبها - من جميع الأمم فما وجدنا لشيء من هذه اللغات نصوع العربية، أعني الفرج الذي في كلماتها، والفضاء الذي بين حروفها، والمسافة التي بين مخارجها، والمعادلة التي نذوقها في أمثلتها، والمساواة التي لا تجحد في أبنيتها)[٢].

ويقول العلامة وليم مارسيه المستشرق الفرنسي وعضو المجمع العلمي العربي العام: (إن من السهل جداً تعلّم أصول اللغة العربية فقواعدها الصرفية التي تظهر معقّدة لأول مرة هي قياسية ومضبوطة بشكل عجيب لا يكاد يصدق، حتى إن صاحب الذهن المتوسط يستطيع تحصيلها بأشهر قليلة، وبجهد معتدل؛ إنّ الفعل العربي هو لعبة أطفال إذا قيس بالفعل اليوناني أو بالفعل الفرنسي، فليس هناك صعوبة في الاشتقاق، أما النحو فبسيط لا تعقيد فيه مطلقاً)[٣].

(١) علم اللغة العربية ص ٦٢ - ٦٣.

(٢) أبو حيان التوحيدي الإمتاع والمؤانسة، اختار النصوص وقدم لها إبراهيم الكيلاني دمشق منشورات وزارة الثقافة ١٩٧٨ جزء أول ص ١٢١ - ١٢٢.

(٣) اللغة العربية والوعي القومي مركز دراسات الوحدة العربية ص ٣٦٥ من مقال: اللغة العربية وطرائق تدريسها للسيد أحمد حقي الحلي نقلاً عن السيد عثمان أمين فلسفة اللغة العربية القاهرة الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٥ نقلاً

وفي هذا الصدد يقول المستشرق الفرنسي «هنري لوسيل»: (وتقدم العربية أيضاً نسقاً من قواعد الإعراب بسيطاً، وفيه قدر كبير من المرونة، كما تقدم أساليب من تركيب الكلام تجمع بين السذاجة والدقة، ونسقاً من الأفعال يتسم بالبساطة، ويحير الناظر أول الأمر، ولكنه مع ذلك بلغ من التمام ما بلغه النسق االفرنسي)[1].

هذه شهادات عن اللغة العربية من علماء غربيين غير متهمين بالتحزب لنا، ونرجو من بني قومنا العرب أن يراجعوا أنفسهم، وليكفوا عن ترديد آراء تقليدية عن قصور لغة وسعت كتاب الله لفظاً وغاية[2].

فقد كان النحو أول الأمر علم الأدب، وكان دليل الدارس إلى فهم النصوص، وكان النحاة الأوائل رواة اللغة والشعر والأدب، فكانوا علماء بلاغة ونحو ومعان، علوم العربية لديهم مترابطة لا انفصال بينها.

إن نحاتنا القدماء يفهمون النحو فهماً يتفق مع ما انتهت إليه الدراسات الحديثة وهي أن وظيفة النحو أن يتناول المعاني البيانية للنص اللغوي كما يتناول الأشكال الإعرابية فقد قدم سيبويه مباحث في فن

عن ماسينيون المؤلفات الصغرى بيروت دار المعارف ١٩٦٣.

(١) اللغة العربية والوعي القومي ص ٣٦٥ نقلاً عن عثمان أمين فلسفة اللغة العربية ص ١٠ نقلاً عن المقال الذي نشره هنري لوسيل في جريدة اللموند Le monde ٣/ ٩/١٩٦٤.

(٢) اللغة العربية والوعي القومي من مقال بعنوان اللغة العربية وطرائق تدريسها ص ٣٦٦ ويورد صاحب المقال قول ماسينيون: في اللفظ العربي جرس موسيقي لا أجده في لغتي الإفرنسية.

التعبير، تدخل في إطار علم المعاني، وهي من وجهة النظر اللغوية الحديثة من صميم علم النحو(١).

وقد رسم عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز) طريقاً جديداً للبحث النحوي تجاوز أواخر الكلام، وعلامات الإعراب وبين أن للكلام نظماً، وأن رعاية هذا النظم، واتباع قوانينه هي السبيل إلى الإبانة والإفهام، وأنه إذا عدل بالكلام عن سنن هذا النظم لم يكن مفهماً معناه، ولا دالاً على ما يراد منه حيث يقول: (معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض)(٢).

ثم بين هذا العالم الفذ أن ليس شيء من هذا النظم إلا وبيانه إلى علم النحو قال: (واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت فلا تخل بشيء منها)(٣).

ويعد الأستاذ إبراهيم مصطفى من أوائل من ذهبوا إلى أن البحث في علوم المعاني هو من المباحث النحوية حيث يرى في كتابه (إحياء النحو) أن (تحديد النحو في معرفة أحوال أواخر الكلام إعراباً وبناءً، وقصره على الحرف الأخير من الكلمة فيه تضييق شديد لدائرة البحث النحوي، وتقصير

---

(١) الكتاب لسيبويه ط بولاق ١/ ٨ وكتاب تطور الدرس النحوي للدكتور حسن عون ص ٩٤.

(٢) عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز في علم المعاني تصحيح وتعليق السيد محمد رشيد رضا، طبع مكتبة صبيح ص ١٢.

(٣) دلائل الإعجاز ص ٤٤.

لمداه، وحصر له في جزء يسير مما ينبغي أن يتناوله؛ فإنَّ النحو كما يجب أن يكون هو قانون تأليف الكلام، وبيان لكل ما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة، والجملة مع الجمل حتى تتسق العبارة، ويمكن أن تؤدي معناها)[١] .

ويشرح ذلك بقوله: (إن النحاة حين قصروا النحو على البحث في أواخر الكلام قد أخطؤوا إلى العربية من وجهين:

الأول: إنهم حين حدّدوا، وضيّقوا بحثه حرموا أنفسهم من الاطلاع على كثير من أسرار العربية وأساليبها المتنوعة، ومقدرتها في التعبير... والحق أنه يخفى علينا كثير من فقه أساليبها، ومن دقائق التصوير بها.

الثاني: (إنهم رسموا للنحو طريقاً لفظية، فاهتموا ببيان الأحوال المختلفة للفظ حيث يجيزون في الكلام وجهين أو أكثر من أوجه الإعراب، ولا يشيرون إلى ما يتبع كل وجه من أثر في رسم المعنى وتصويره، وبهذا يشتد جدلهم، ويطول احتجاجهم، ثم لا ينتهون إلى كلمة فاصلة)[٢] .

ويرى الدكتور حسن عون: (أن البحث النحوي ينبغي أن يمتد فيشمل الميادين البيانية بجانب الميادين الشكلية إعراباً وبناء ذلك لأن النحو في نشأته كان يشمل كل المباحث اللغوية وكان يطلق عليها جميعاً، وكان مرادفاً لكل العلوم اللغوية كما كان القائمون على هذه المباحث اللغوية يعرفون بالنحاة، ولكن أمر النحو والبيان قد انتهى في الغصر الحديث أو كاد ينتهي إلى اعتبارهما مبحثاً واحداً يعرف بالبحث النحوي فتعالج فيه قضايا

---

(١) الأستاذ إبراهيم مصطفى إحياء النحو مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧ صفحة ١-٣.

(٢) إحياء النحو ص ٧- ٨.

اللفظ من حيث البنية، والصيغة، والشكل كما تعالج فيه قضايا التركيب اللغوي من حيث المعنى، والدلالات البيانية، وهكذا أخذ النحو يعود كما بدا في كثير من اللغات الأجنبية الحديثة، وينبغي ألا تشذ العربية عن غيرها في هذا السبيل)[١] .

ولقد أشار مجمع اللغة العربية بدمشق في وثيقة تقدم بها إلى ندوة تيسير تعليم اللغة العربية في الجزائر إلى أنَّ ثمَّة ناحية لم يُعن بها الباحثون المعاصرون العناية الكافية، و لم تُشر إليها التوصيات إلا عرضاً وهي أن المعاني جزء من النحو إذ لا يقتصر الغرض من إتقان النحو على ضبط أواخر الكلام، أو تعداد صيغ الأفعال المزيدة ومشتقاتها مثلاً، إنما ينبغي تنبيه الطالب إلى أن تغير الحركات الإعرابية والصيغ، والأبنية، يؤدي إلى تغيير المعنى، وعلى ذلك لا يصح الاقتصار في تعليم الصرف على إيراد أمثلة المصادر لغير الثلاثي، بل من الضروري أن يعرف طلابنا أكثر أوزان غير الثلاثي، ومعاني كل من الزيادات التي تطرأ على المجرد (استفعل، تفاعل، انفعل، افتعل، تفعّل) كما يحسن أن تُذيَّل كتب النحو ببحوث ولو موجزة تُصنِّف أبواب أداء المعاني المختلفة ووسيلة ذلك أن يكون هناك باب لأساليب النفي أو الاستفهام وأدواته في الجمل الاسمية والفعلية، والفرق بين معاني هذه الأدوات، وباب آخر لأدوات التوكيد الداخلة على الأفعال والأسماء، وثالث لأدوات الشرط جازمة أو غير جازمة، ولعل من الخير أن يجعل شطر كبير من مباحث علم المعاني جزءاً من النحو، فلا يقرأ الطلاب الحصر في علم، والقصر في علم آخر، ولا يدرسون دواعي الحذف أو

(١) تطور الدرس النحوي ص ٩٤.

التقديم والتأخير في علمين متمايزين، وذلك حتى لا يحسبوا أن الغرض من دراسة النحو ينحصر في ضبط أواخر الكلام، أو في معرفة طرائق الاشتقاق وصوغ الأبنية دون الوقوف على تغيير المعاني المستفادة منها[١].

وبعد أن كان النحو يشمل الدراسة التركيبية والصرفية أصبح عند المتأخرين التصريف قسيم النحو لاقسماً منه فيعرف كل منهما بتعريف يميّزه عن قسيمه.

فيعرف النحو بأنه علم يبحث عن أواخر الكلام إعراباً وبناءً، أما الصرف فقد اقتصر على دراسة بنية الكلمة يقول السكاكي ت ٦٢٦:

(فعلما الصرف والنحو يرجع إليهما في المفرد والتأليف، ولما كان علم الصرف هو المرجوع إليه في المفرد، أو فيما هو في حكم المفرد، والنحو بالعكس من ذلك)[٢].

وهكذا استقر مجال علم النحو عند المتأخرين باعتبار أنه دراسة الإعراب، وبناء الجملة في مقابل الصرف الذي يتناول بنية الكلمة، فالنحو لا يعنى إلا بما يتصل بأواخر الكلمات وهو أثر العامل في الكلمة، وبهذا يختلف عن الصرف الذي يعنى ببنية الكلمة، وما يلحقها من تغيير في الحركة والسكون والإدغام، والقلب، والإبدال، وما إليها.

---

(١) كتاب ندوة النحو والصرف، من مقال أضواء على تدريس النحو والصرف في مراحل التعليم العام في الوطن العربي للدكتور محمود السيد ص ٤ـ ٥.

(٢) أبو يعقوب محمد بن علي السكاكي مفتاح العلوم مطبعة التقدم العلمية بمصر ص ٣ وينظر مفتاح السعادة لطاش كبري زاده.

وقد نحا بعض النحاة إلى وضع المتون، ثم إلى شرحها، ثم إلى شرح هذا الشرح، أو اختصاره، وزادت التحشية على المؤلفات، وسادت ظاهرة التقليد، وظاهرة المتون والشروح، والتعليقات، والإكمالات، والتذييلات.

إن من يعود إلى شروح الحواشي على ألفية ابن مالك فسوف يجد أن بعض هذه الشروح قد أغرقتها الصنعة وجعلتها أقرب إلى المماحكات اللفظية، ومما جاء في إعراب أول بيت من الألفية ما يأتي:

(قال محمد هو ابن مالك أحمد ربي الله خير مالك قال: فعل ماض، محمد فاعل هو مبتدأ ابن خبره، ومالك مضاف إليه، وكان حق «ابن» أن يكون نعتاً لمحمد، ولكنه قطعه عنه وجعله خبراً لضميره، والأصل أن ذلك إنما يجوز إذا كان المنعوت معلوماً بدون النعت حقيقة أو ادعاء كما أن الأصل أنه إذا قطع النعت عن اتباعه لمنعوته في إعرابه ينظر: فإن كان النعت لمدح أو ذم وجب حذف العامل، وإن كان لغير ذلك جاز حذف العامل وذكره، والجملة هنا ـ وهي قوله: وهو ابن مالك ـ ليست للمدح ولا للذم، بل هي للبيان فيجوز ذكر العامل وهو المبتدأ، وإذاً فلا غبار على عبارة الناظم..)[1].

ويعلق الدكتور المخزومي على ذلك بقوله: (أفمثل هذا الأسلوب يحبب اللغة إلى من يراجع مثل هذا الإعراب في مثل هذا الكتاب النفيس؟ إن أمثال هذه الصنعة أصبحت ضرباً من الرياضة العقلية البائسة، وصار النحو

(١) عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك على حواشيه وشرح شواهده محيي الدين عبد الحميد الطبعة الرابعة عشرة القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى عام ١٩٦٤ ص ١٠.

عند بعض النحاة مجموعة من الأصول النظرية الجافة، ويبالغون في تحكيم المنطق والاعتبارات الفلسفية في الدرس النحوي)(١) .

وقد وصلت الحذلقة في تعليم النحو أن نماذج من تلك الدروس كان يستشهد به في الطرف والملح؛ من ذلك قصة أعرابي جلس يستمع إلى درس في النحو فسمع الشيخ يسأل تلاميذه ويقول:

كيف تقولون من تؤزهم أزّاً، يا فاعل افعل؟ أو قال:

كيف تأتون بمثال (اطمأننت) من رميت وغزوت وبعت وقلت؟ فإذا سكتوا و لم يجيبوا قال الشيخ: يقال في المسألة الأولى: يا آزّ أزّ أو اوززْ ويقال في المسألة الثانية: ارميّيت واغزوّوت وابيعّعت واقوللّت.

عند ذلك نهض الأعرابي وهو يقول:

قد كان أخذهم في النحو يعجبني حتى تعاطوا كلام الزنج والروم
لمّا سمعت كلاماً لست أفهمه كأنه زجل الغربان والبوم
تركت نحوهم والله يعصمني من التقحم في تلك الجراثيم

وتركهم وهو يقول في نفسه: لئن أصلحتموه إنكم لأول من أفسده(٢) .

بناء لما سبق يمكن الإشارة إلى أن أهم مشكلة تعرض لدارس العربية هي مشكلة طبيعة القواعد كما رسمها النحاة، وقد رأينا أن النحاة في العصور الأولى وضعوا القواعد مستنبطة من كلام العرب، وأدبهم، وشعرهم تقويماً

(١) د. مهدي المخزومي أعلام النحو العربي ص ٧ وينظر ص ٣٧٢ من مجلة اللغة العربية والوعي القومي.

(٢) أعلام النحو العربي ص ٤، واللغة العربية والوعي القومي ص ٣٧٢- ٣٧٣.

للسان، وإبعاداً للذوق الأدبي عن الانحراف، لقد انصرف أجدادنا إلى خدمة لغة القرآن الكريم، فوضعوا كتباً تعليمية في مختلف علوم اللغة، وكان النحو أول ما انصرفت إليه الهمم، فكانت الكتب التعليمية التي تعنى بتقديم القواعد بعبارات موجزة، وصفحات محدودة؛ وقد راعى كثير من المؤلفين الجانب التربوي في التأليف، ولعل ابن هشام الأنصاري ت ٧٦١هـ خير من يمثل هذا الاتجاه في تدريس النحو حين بدأ بكتابه الجامع الصغير، ثم قطر الندى وشرحه، ثم شذور الذهب وشرحه، ثم أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ثم كتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب وهذا الارتباط بين الحلقات ضرورة يقتضيها المنهج التربوي الذي كان العرب حريصين عليه منذ القديم[١].

لقد أدرك نحاتنا القدامى أن علم النحو واسع ومتشعب، وأن ما يحتمله الناشئ منه هو الضروري الذي يعصم اللسان، ويقي من الخطأ، فكانت كتبهم التعليمية غاية في السهولة والوضوح فقد دلت عناوينها على ذلك فبعضها يدعى (الواضح) وبعضها يسمى (الموجز) وثالث يعرف بـ (المقدمة أو التفاحة أو الإيضاح)، وغير ذلك من أسماء تفصح عن منهج مؤلفي هذه الكتب وغاياتهم من تأليفها، وهي غاية قريبة لا تتجاوز إعطاء الضروري من هذا العلم، وكان الجاحظ ممن أيد هذه الطريقة في التأليف النحوي للمبتدئين فقال قولته المشهورة: (وأما النحو فلا تشغل قلب الصبي

---

(١) اللغة العربية والوعي القومي ص ٣٧١ من مقال: «اللغة العربية وطرائق تدريسها» للسيد أحمد حقي الحلي.

منه إلا بمقدار ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن، وما زاد على ذلك فهو مشغلة له)[١] .

وقد انبرى في عصرنا الحديث أساتذة أجلاء داعين إلى تيسير النحو، ووضع برامج دراسية تلبي حاجة المتعلمين، وتحبب اللغة العربية إلى أبنائها، ولعل أول هذه المحاولات هي محاولة الأستاذ إبراهيم مصطفى التي أشرنا إليها آنفاً، وكانت المحاولة الثانية قد تمت على يد لجنة تيسير اللغة العربية عام ١٩٣٨ التي شكلت بقرار من وزير المعارف بمصر، وقد لاحظت اللجنة المشكلة للتيسير أن أهم ما يعسر النحو على المعلمين والمتعلمين ثلاثة أمور هي:

- فلسفة حملت القدماء على أن يفترضوا ويعللوا أو يسرفوا في الافتراض والتعليل.
- إسراف في القواعد نشأ عنه إسراف في الاصطلاحات.
- إمعان في التعمق العلمي باعد بين النحو والأدب.

وتتوالى دعوات التيسير على يد الأستاذ أمين الخولي عام ١٩٤٢، ويد الدكتور شوقي ضيف ١٩٤٧، ومؤتمر مفتشي اللغة العربية عام ١٩٥٧[٢].

---

(١) اللغة العربية والوعي القومي ص ٣٧٦ من المقال السابق نقلاً عن السيد نعمة رحيم العزاوي. مناهج اللغة العربية وسبل تطويرها ص ٢.

(٢) كتاب ندوة النحو والصرف دمشق ٢٧– ٣٠/٨/ ١٩٩٤ طبع المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية مقال أضواء على تدريس النحو والصرف في مراحل التعليم العام في الوطن العربي الدكتور محمود السيد ص ١٠-١٣.

وقد عقدت ندوات عديدة ومؤتمرات كثيرة منذ الستينات حتى يومنا هذا، ومن الملاحظ أن أغلب المؤتمرات التي تعقد على نطاق الوطن العربي في المجالات اللغوية تتضمن بعض أبحاثها دعوات إلى التيسير، وكان آخر هذه الندوات ندوة النحو والصرف التي عقدت في دمشق ٢٧-٣٠- /١٩٩٤/٨ وشارك فيها باحثون ومختصون من أرجاء الوطن العربي كافة ومن بعض الجامعات الغربية، وكانت محاور هذه الندوة تتضمن ما يلي:

١. واقع تدريس النحو في المرحلة ما قبل الجامعية.

٢. واقع تدريس النحو في المرحلة الجامعية.

٣. النحو والصرف (الامتحانات - الأنظمة الجامعية).

٤. الإعداد التخصصي لمدرسي اللغة العربية.

٥. رؤية جديدة لتدريس النحو العربي في ضوء النظريات الحديثة في اللغة وعلم النفس[١].

ويمكننا من خلال اطلاعنا على بعض هذه الدراسات والأبحاث أن نقدم تصوراً عاماً عن أهم الاقتراحات، والتوصيات التي تمخضت عنها هذه الندوات في دعواتها المستمرة إلى تيسير مباحث النحو والصرف:

أولاً: إن وظيفة النحو أن يتناول المعاني البيانية للنص كما يتناول الأشكال الإعرابية، فالنحو ينبغي أن يمتد فيشمل الميادين البيانية بجانب الميادين الشكلية إعراباً وبناء، وبمعنى آخر أن يكون النحو دليل الدارس إلى فهم النصوص، وأن ينظر إلى علوم العربية نظرة شاملة لا انفصال بينها كما

---

(١) صدرت بحوث الندوة في جزأين طبع المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية.

كان النحو في نشأته الأولى.

ثانياً: دراسة أبواب النحو من جديد، والتخلص من الخلافات، والتأويلات، والتخريجات، وما إلى ذلك مما يعد صنعة نحوية شكلية لا أثر لها في المعنى، لأن مثل هذه التعليلات قد طغى عليها الجانب الفلسفي فأصبحت كأنها غاية بذاتها، فخرجت القواعد عما وجدت من أجله وهي تقويم اللسان، وتطويع اللغة لحاجة مستخدمها وتمكّنه من استعمالها في التعبير عمّا يحس.

ثالثاً: تنقية القواعد من الخلافات النحوية خاصة الآراء المنفردة كمجيء (أيّ) موصولة عند سيبويه إذا أضيفت وحذف صدر صلتها، وإجراء القول مجرى الظن بلغة (سليم) وإجراء (لعل) مجرى أحرف الجر الشبيهة بالزائدة بلغة (عقيل)، ومجيء (ذو) موصولة بلغة طيّئ وتؤخذ الآراء التي تصادف إجماعاً وشمولية أو ما يعبر عنه بموافقة جمهور النحاة.

رابعاً: استبعاد الأبواب النحوية غير الوظيفية كباب الاشتغال، وباب عطف البيان، وإلغاء الإعراب المحلي والتقديري في المفردات والجمل، والتخفيف من عمل الأدوات على النحو الذي قرره النحاة، وتعصبوا له كإضمار (أن) جوازاً ووجوباً، لأنه لا أثر لذلك كله في سلامة المنطق، ولا في إفهام المعنى.

وبمعنى آخر أن تدرس قواعد العربية لا لذاتها، فليست هذه القواعد مجرد معلومات تفهم، وتضاف إلى الذخيرة الذهنية من ألوان المعرفة، وليس المراد منها حشو الذاكرة بالمعلومات التي سرعان ما تنسى، ولكنها وسيلة إلى غاية فهي وسيلة إلى الفهم العميق، والاستيعاب الدقيق، واستقامة اللسان،

ومجانبة الزلل، وسقم التعبير، فإذا لم تؤخذ هذه الوسيلة بالتدريب المستمر، والممارسة المتكررة، فلن يستقيم اللسان، وتمتلك ناصية اللغة.

خامساً: اعتماد نصوص القرآن الكريم وقراءاته في المقام الأول في تقعيد القواعد لأن القرآن الكريم هو النص العربي الصحيح المتواتر المجمع على تلاوته بالطرق التي وصل بها إلينا في الأداء والحركات والسكنات فلم يتوفر لنص ما توفر للقرآن الكريم من تواتر رواياته وعناية العلماء بضبطها وتحريرها متناً وسنداً، بل لم تعرف البشرية كتاباً أحيط بالعناية، واكتنف بالرعاية فحوفظ على تراكيبه، وكلماته، وحروفه، وحركاته وكيفية ترتيله بلهجاته مثل الكتاب العزيز.

سادساً: إن علم النحو يحتاج إلى أن نسمع من معلمينا وإذاعاتنا المسموعة والمرئية لغة عربية نقية وأن نقرأ كلام العرب قراءة صحيحة، وأن نحفظ نصوصاً من كلام العرب بصورة سليمة، وأن نعوِّدَ أنفسنا على الأداء اللغوي السليم قراءة وكتابة وكلاماً وهذا يقتضي اعتماد اللغة العربية الفصحى في مراحل التعليم جميعها، ويقول في هذا الأستاذ عبد العزيز البسام: (فإذا كانت الفصحى هي لغة القرآن الكريم، والحديث الشريف، وما يتلوهما منزلة مما جاء في الأدب العربي شعراً ونثراً في العصر الجاهلي، وعصر صدر الإسلام وما اقتصرت على تدوينه المعاجم المثبتة، فإن الفصيحة إذ يراد لها أن تكون لغة جميع المتعلمين، إنما تكون صيغة ميسرة متطورة متمسكة بأصول الفصحى، وتحافظ على طبيعتها، ولا تخرج عن أسس تكوينها، بل هي تستوعب التطورات السليمة التي طرأت عليها خلال عصور ازدهارها، وتتفتح وفقاً لأصول الفصحى نفسها، وإمكانياتها للوفاء

بالحاجات الحضارية المتجددة، فالفرق بينهما فرق في الدرجة لا في النوع، وفي اطراد نمو البنية الحية وتكيفها لمطالب الحياة)[١].

سابعاً: زيادة الارتباط والتواصل والتكامل بين تدريس اللغة العربية في المراحل قبل الجامعية والجامعية، والتنسيق مع المؤسسات الإعلامية والتربوية بهدف تحسين هذا التكامل، وتطويره باستمرار وصولاً إلى الهدف الأسمى.

ثامناً: التطوير في طرائق تدريس النحو، فإذا كان بعض الباحثين قد مالوا إلى أن مرد الضعف في اللغة إنما يرجع إلى المادة النحوية نفسها، وما فيها من شذوذ واضطراب، فإن باحثين آخرين رأوا أن طريقة التدريس هي التي يعزى إليها السبب في هذا الضعف، فإن الدكتورة بنت الشاطئ تقول في كتابها (لغتنا والحياة): (وإذ أحاول أن أتجه إلى طريق آخر يبدو لي أن عقدة الأزمة ليست في اللغة ذاتها، وإنما هي في كوننا نتعلم العربية قواعد صنعة، وإجراءات تلقينية، وقوالب صماء نتجرعها تجرعاً بدلاً من أن نتعلمها لسان أمة ولغة حياة، وقد تحكمت قواعد الصنعة بقوالبها الجامدة فأجهدت المعلم تلقيناً، والمتعلم حفظاً دون أن تجدي عليه شيئاً ذا بال في ذوق اللغة ولمح أسرارها في فن القول، وانصرف همنا كله إلى تسوية إجراءات الصنعة اللفظية بعيداً عن منطق اللغة وذوقها)[٢].

وها هو ذا الدكتور المرحوم محمد كامل حسنين عضو مجمع اللغة

---

(١) العربية الفصيحة لغة التعليم في الوطن العربي مقال للسيد عبد العزيز البسام ص ٧٤ـ ٧٥ مجلة: اللغة العربية والوعي القومي.

(٢) من مقال للدكتور محمود السيد «أضواء على تدريس النحو والصرف» المشار إليه سابقاً، كتاب ندوة النحو والصرف ص ١٤.

العربية بالقاهرة يحمل طريقة تدريس النحو مسؤولية ضعف الناشئة في اللغة إذ يقول: (وكنت أحسب أن ذلك ـ أي الضعف ـ مرجعه إلى ما في قواعد اللغة من تعقيد، وبعد عن أسلوب التفكير الحديث، وكثرة ما فيها من تأويل وحذف وتقدير وتعليل لما لا يحتاج إلى تعليل.. على أن ما نشهده اليوم من ضعف بالغ في العلم باللغة العربية لا يمكن أن نرجعه إلى تلك الصعوبات فهي قديمة، أما الجهل باللغة إلى الحد الذي نشكو منه اليوم فهو ظاهرة حديثة، وسببها من غير شك الطرائق الجديدة في تعليم قواعد اللغة العربية)[1].

تاسعاً: إعادة النظر في الطريقة والأسلوب والمنهج والتفكير، وذلك بالتركيز على الفهم العميق لبنية لغتنا العربية، ولمعنى الجملة وصياغتها وتركيبها، وهذا يعني أن تكون قواعد اللغة مرتبطة بأهداف وغايات محددة أي ما يمكن تسميته (بالنحو الوظيفي).

وبناءً عليه فإنه يمكن تحرير الشواهد والأمثلة النحوية من قيود الزمان والمكان، وذلك بإيراد الأمثلة الفصيحة من العصور كافة.

عاشراً: الاستفادة ما أمكن ذلك من معطيات علم اللغة الحديث واعتماد المنهجيات العلمية الحديثة في اللسانيات والاستفادة من التقنيات الحديثة خاصة الحاسوب في التغلب على الصعوبات.

حادي عشر: أما فيما يخص المعلم فإن التدريس الجيد يعتمد على ذكائه، وحبه لمهنته، وجودة إعداده ووعيه بأهمية رسالته وخطورتها، ومما لا شك فيه أن المعلم هو الركن الأساسي في أية محاولات جادة وشاملة

(١) المقال السابق.

لتجديد الأنظمة التربوية، وتجديد الأداء فيها وتحسين كفايتها، وإذا كان للمعلم هذا الأثر الكبير فإن حسن اختياره، والحرص على تأهيله لمن أنجع السبل في رفع مستوى تعليم اللغة العربية على النحو المطلوب، وتحقيق الهدف المنشود ولذلك فإنه ينبغي اصطفاء مدرسي اللغة العربية وفق أسس سليمة، وذلك على حسب مبدأ المسابقة أو المفاضلة على الصعيدين القطري والقومي وبعد مرورهم أمام لجنة خاصة منبثقة من قسم اللغة العربية بقصد سبر معارفهم، والوقوف على أدائهم والاطمئنان إلى كفايتهم، وتأهيلهم تأهيلاً تربوياً واشتراط حملهم شهادة الدبلوم في التربية وأصول التدريس وأن يخضع المدرس لدورات تدريبية مستمرة بحيث يساير طرائق التدريس الحديثة[1].

فلنسع جميعاً إلى تنمية الدراسات والبحوث اللغوية كشفاً عن خصائص العربية، وإبرازاً لمزاياها، وسعياً لجعلها وافية بمطالب تقدم المعرفة العلمية وتطور الحضارة وتيسير تعلمها بين الناشئين، وتمكينهم من إتقان لغتهم العربية الفصحى، وذلك باعتماد المنهجيات العلمية الحديثة في اللسانيات، والعناية بتيسير النحو والصرف والإملاء، واتخاذ الإعراب سبيلاً للإبانة عن مواقع الكلمات ودلالتها، وذلك مما يعنى به علم المعاني والعودة بالنحو إلى مناهله الأولى عناية باللغة الحية، وتقدير وظائفها الاجتماعية، وإمكانية تطورها للوفاء بالحاجات المتطورة.

وفي الختام نقتبس ما قاله أبو منصور الثعالبي: (إن من أحب الله أحب

---

(١) ينظر في هذا مقال تقدم به الدكتور عمر الدقاق إلى ندوة اللغة العربية لغير المختصين في الجامعات والمعاهد في الفترة الواقعة بين ٥ـ ٧ آذار ١٩٨٨.

رسوله المصطفى ﷺ ، ومن أحب النبي العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب اللغة العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحب العربية عني بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها)[١] .

مصادر البحث ومراجعه

القرآن الكريم.

١.إحياء النحو الأستاذ إبراهيم مصطفى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧م.

٢. أعلام النحو العربي د. مهدي المخزومي.

٣. الإمتاع والمؤانسة أبو حيان التوحيدي اختار النصوص وقدم لها الأستاذ إبراهيم الكيلاني دمشق منشورات وزارة الثقافة ـ الجزء الأول.

٤. تطور الدرس النحوي د. حسن عون نشر معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٠م.

٥. الخصائص لابن جني تحقيق محمد علي النجار طبع دار الكتب المصرية الطبعة الثانية ١٣٧١ـ ١٣٧٦هـ.

٦. دراسات في علم اللغة د. كمال بشر طبع دار المعارف ـ مصر.

---

(١) عبد الملك بن محمد الثعالبي فقه اللغة وسر العربية ـ طـ دار مكتبة الحياة ص ٢.

٧. دراسات في اللغة والنحو العربي د. حسن عون طبع معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٩م.

٨. دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني تصحيح وتعليق السيد محمد رشيد رضا طبع مكتبة صبيح القاهرة.

٩. شرح ألفية ابن مالك لابن عقيل تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد الطبعة الرابعة عشرة مطبعة السعادة مصر ١٣٨٤- ١٣٨٥هـ - ١٩٦٤- ١٩٦٥م.

١٠. شرح شافية ابن الحاجب رضي الدين الأستراباذي تحقيق محمد نور الحسن، محمد محيي الدين عبد الحميد، محمد الزفزاف الطبعة الأولى ١٣٨٥– ١٩٣٩هـ مطبعة حجازي بالقاهرة.

١١. الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها ابن فارس (أبو الحسين بن زكريا) تحقيق السيد أحمد صقر طبع مطبعة عيسى البابي الحلبي.

١٢. طبقات فحول الشعراء ابن سلام الجمحي تحقيق محمود محمد شاكر مطبعة المدني ١٩٧٤.

١٣. طبقات النحويين واللغويين للزبيدي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم طبع دار المعارف مصر ١٣٩٢هـ - ١٩٧٣م.

١٤. علم اللغة العربية (مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية). د. محمود فهمي حجازي طبع الكويت.

١٥. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي د. محمود السعران طبع دار المعارف مصر ١٩٦٢م.

١٦. فقه اللغة في الكتب العربية د. عبده الراجحي طبع دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٤م.

١٧. فقه اللغة وسر العربية عبد الملك بن منصور الثعالبي تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي القاهرة ١٩٥٤.

١٨. الفهرست لابن النديم طبع المكتبة الرحمانية مصر ١٣٤٨هـ.

١٩. الكافية لابن الحاجب طبع دار الطباعة إيران.

٢٠. الكتاب لسيبويه وبه شرح الشواهد المسمى تحصيل عين الذهب في معدن جوهر الأدب للأعلم الشنتمري المطبعة الكبرى الأميرية بولاق الطبعة الأولى ١٣١٦هـ.

٢١. مراتب النحويين أبو الطيب اللغوي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم طبع دار نهضة مصر ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

٢٢. مفتاح العلوم أبو يعقوب السكاكي ـ طبع مطبعة التقدم العلمية مصر.

٢٣. المنصف لابن جني شرح كتاب التصريف للمازني تحقيق إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين ١٣٧٣ ـ ١٣٧٩هـ.

٢٤. النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج نشر مطبعة دار نشر الثقافة الإسكندرية.

٢٥. نزهة الألبا في طبقات الأدبا ابن الأنباري تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ طبع دار نهضة مصر.

المجلات

- مجلة بعنوان (اللغة العربية والوعي القومي) بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالاشتراك مع المجمع العلمي العراقي، ومعهد البحوث والدراسات العربية حزيران يونيو ١٩٨٦.

- ندوة النحو والصرف (جزءان) طبع المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية دمشق ٢٧- ٣٠ /٨/ ١٩٩٤.

* * *

قواعد الإملاء العربي
نظرات في غابرها وحاضرها

الدكتور عمر الدقاق

من المقولات المعهودة أن «الكلام هو التفكير جهراً، وأن التفكير هو التكلّم سرّاً». غير أن الكلمة المكتوبة، خلافاً للكلمة المنطوقة هي حافظة الأفكار ووعاء المشاعر ومستودع المعارف. والكتاب، تبعاً لذلك عصارة العقول وزبدة القرائح وحاضنة التراث ومرآة الحضارات. وليس بوسعنا أن نتخيّل وجود حضارة ذات شأن دون كتابة وكتاب .

في البدء كانت الكلمة، فكانت معها المعرفة. ولعلّ اختراع التصاوير ثمّ الحروف الأبجدية رموزاً للكلام وإيجاد الكتابة من أعظم ماأنجزته البشرية، إنْ لم يكن أعظمها عبر العصور .

ويتجلّى فضل الكتابة في كون الله أنزل تعاليمه على رسله لهداية البشر، وجعلها في كتب مسطورة. وهكذا أنزلت الكتب السماوية الأربعة، كما أنزلت الصحف من الألواح على الأنبياء والرسل .

ومن عظمة الإسلام أن الله تعالى ابتدأ وحيه وافتتح كلامه بآيةٍ قرآنية رائدة أرستْ فضل القراءة والكتابة في الحياة، فقال في قرآنه العظيم: «اقرأ باسم ربك..». كما قال مشيداً بأداة الكتابة: «الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان مالم يعلم». ثم زاد تعالى ذلك تأكيداً وإجلالاً بأن أقسم بالقلم وما يسطر به من كلمات وعبارات، فقال:﴿ ن، والقلم، وما يسطرون﴾. «والإقسام لايقع منه سبحانه إلاّ بشريف ماأبدع، وكريم مااخترع،كالشمس والقمر والنجوم..»(١).وفي ذلك يقول الشاعر:

كفى قلمَ الكتّابِ عزّاً ورفعةً مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

ثم بيّن الله شرف الكتابة بأن وصف بها الحفظة الكرام من ملائكته فقال(٢): «وإن عليكم لحافظين، كراماً كاتبين». ومما قاله الرسول ﷺ في هذا الصدد(٣): «قيّدوا العلم بالكتاب». وبصدد الكلامْ المنطوق والكلام المكتوب قالوا قديماً(٤): «الخط أفضل من اللفظ، لأن اللفظ يُفهِم الحاضرَ فقط، والخط يُفهِم الحاضر والغائب».

على أن تقييد الكلام بالكتابة لم يتم في فجر الإسلام على النحو المنشود، إذ لم يحظَ موضوع الإملاء ورسم الحروف والكلمات من العناية والاهتمام بالقدر الذي حظيت به علوم العربية، ولاسيما النحو والصرف. ومع ذلك عُنيَ بعض أئمة السلف بهذا الموضوع وكانت لهم فيه جهود حسنة، وفي طليعتهم الخليل بن أحمد وسيبويه وابن قتيبة والأخفش وابن درستويه وابن جنّي وعبد الله بن محمد البطليوسي(٥)...

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أبو العباس، أحمد بن علي، المقدمة ١: ٣٥، ٤٥، طبعة مصورة عن الطبعة الأميرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي. القاهرة ١٩٦٣ .

(٢) سورة الانفطار الآية ١٠.

(٣) صبح الأعشى ١: ٣٦.

(٤) صبح الأعشى ٣: ٢.

(٥) ورد ذلك في كتاب «أدب الكاتب» لابن قتيبة، و «كتاب الكتاب» لابن درستويه، و «سر صناعة الإعراب» لابن جنّي، ثم «الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، لابن قتيبة» للبطليوسي .

ويكاد يجمع المؤلفون العرب قديماً على أن الكتابة العربية حديثة عهد في حياة الناس، وتتحدث مصادرهم عن أناس بعينهم نقلوا الكتابة إلى قومهم، وذلك قبيل ظهور الإسلام[١]. وقد ذكر الواقدي «أن الكتابة العربية كانت قليلة في الأوس والخزرج، فجاء الإسلام وفيهم بضعة عشر يكتبون»، ثم أخذ يعددهم[٢] . فالعرب في ظلّ نظامهم القبلي وغلبة الترحل عليهم، لم يكونوا أمة كتابة، على حين كانوا أمة فصاحة، وقد برعوا في الشعر، واشتهروا بالخطابة، وكانوا ينطقون في ذلك كله بديهة وارتجالاً .

ثم كان لابد من الاعتماد على الكتابة ونشرها لتكون مواكبة للنقلة الحضارية الجديدة في الإسلام. غير أن الكتابة عهدئذ كانت في طور أوّلي، قوامه حروف بسيطة مجردة تفتقر إلى التمييز بين بعض أشكالها المتشابهة، كما تفتقر إلى علامات أو رموز لضبط الكلمة، توسلاً إلى صواب النطق بها. وهكذا، ودفعاً للالتباس والخطأ في نطق آيات القرآن كان لابد من إدخال إصلاح في الرسم يعصم المسلمين، ولاسيما الذين هم من غير العرب، من الزلل في التلاوة. وكان أن تمّت الخطوة الأولى في تطوير رسم الكلمات، في أواخر عهد الخلفاء الراشدين، أو في بدء عهد الخليفة معاوية، حين ارتأى أبو الأسود الدؤلي تشكيل كلمات القرآن بوضع نقطة فوق الحرف، أو تحته، أو بين يديه، دلالة على الحركات الثلاث، وذلك بصبغ مغاير للمداد المعهود.

أما الطور الثاني المهم الذي عرفته الكتابة العربية فقد حدث في إبان العهد الأموي أيام الخليفة عبد الملك، وبفضل مبادرة من واليه الحجاج، حين

---

(١) انظر تفصيل ذلك في كتاب «صبح الأعشى» ٣: ١٠- ١١.

(٢) صبح الأعشى ٣: ١١ .

خطا نصر بن عاصم خطوة أخرى واسعة في هذا المجال فقام بترتيب حروف الهجاء في زمر متجانسة متسقة «ب ت ث»، «ج ح خ»، «د ذ» إلخ ... وهو الترتيب الأشهر الذي شاع وغدا متداولاً حتى أيامنا هذه. وكان من أبرز ما صنعه نصر بن عاصم هو ما عرف يومئذ بالإعجام، أي نقط الحروف.

وحين جاء الخليل بن أحمد في مستهل عهد بني العباس عمدَ إلى إلغاء تشكيل أبي الأسود القائم على النقط، وأحلّ محله الحركات وجعلها رموزاً ملحقة بالحرف، فوضع خطاً مائلاً صغيراً مستمَداً من الألف دلالة على الفتحة فوق الحرف، كما وضع هذا الخط تحت الحرف دلالة على الكسرة، ورمَزَ للسكون بما يشبه حلقة صغيرة مغلقة. كذلك أوجد رموزاً أخرى هامة مثل الشدة والمدّة والهمزة وهمزة الوصل ... وبذلك سُدّت ثغرات كبيرة في حروف الهجاء، وبلغت الكتابة عهدئذ مستوى حسناً من التطور، ونعمت بالاستقرار عبر العصور.

* * *

وليس بوسع باحث أن يتناول أياً من معارف العرب وعلوم العربية بمعزل عن كتاب الله الكريم، فهو منطلق العلوم الركين، وفيه تتجلى ريادة حركة التدوين المباركة.

وتحتفظ لنا كتب التراث بوثيقة بالغة الأهمية، برغم عدم إمكان الجزم بصحتها، وهي الخطاب الذي بعث به النبي ﷺ إلى المقوقس، عظيم القبط في مصر، وهو خطاب وجيز يقع في اثني عشر سطراً. وأهمية هذا الخطاب علمية لغوية فضلاً عن أهميته الدينية والتاريخية، فهو كلمات مجردة من النقط والشكل. وهو مكتوب بالخط المقور أو المستدير[١]، وقد أطلق على

(١) قصة الكتابة العربية، إبراهيم جمعة ٢٧، دار المعارف ـ القاهرة ١٩٤٧.

رسمه بعدئذ الخط الكوفي[١]. وبهذا الخط الكوفي كُتب المصحف الإمام، بفضل الخليفة عثمان بن عفان، وتمت بذلك كتابة المصاحف الستة[٢] الأولى في الإسلام. «وظلّت المصاحف تكتب بالخط الكوفي زهاء أربعة قرون. ثم حلّ محلها في كتابتها خط جميل رائق ابتدعه الأتابكة في الموصل وشمال الشام وكتبوا به المصاحف، وهو خط النسخ»[٣]. وخلال القرن الخامس انحسر الخط الكوفي عن كتابة المصاحف وحلّت محله الخطوط اللينة الشامية[٤].

ولا ريب في أن مبادرة أبي الأسود الدؤلي الرائدة في تشكيل كلمات المصحف الشريف تنطوي في رأينا على قدر من الجرأة. لأن صحابة الرسول والمسلمين الأوائل كانوا يتهيبون أيّ تعديل في المصحف الإمام. وبالإضافة إلى ذلك ساد أذهان العرب أن الشكل غير مستحبّ، والكاتب يُعاب على ذلك، وهو دليل سوء الظن بالقارئ. قال أبو عمرو الداني: «وقد وردت الكراهة بنقط المصاحف عن عبد الله بن عمر»[٥].

غير أن للضرورة أحكاماً، فقد خشي المسلمون بحق على القرآن الكريم من اللحن والتصحيف لخلوّه من الشكل، بنتيجة انتشار الإسلام في البلاد وتكاثر المسلمين الذين لا يحفظون الكثير من آيات التنزيل، وكان ما كان من المبادرات المعروفة في إصلاح الكتابة. ونستنتج من ذلك أن سبب

(١) المعروف أن بناء الكوفة تم في عهد الخليفة عمر بن الخطاب خلال سنتي ١٨ ـ ٢٠هـ.

(٢) أرسل الخليفة عثمان مصاحفه المعتمدة إلى كل من مكة والمدينة والكوفة والبصرة والشام، واحتفظ لنفسه بالمصحف الأول الذي يعرف بالإمام.

(٣) قصة الكتابة العربية ٢٧ ـ ٢٨.

(٤) المرجع السابق ٥٣.

(٥) صبح الأعشى، القلقشندي ٣: ١٥٦. طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٣٨.

تأصيل الكتابة العربية والحرص على تقعيدها هو نفسه سبب نشوء النحو العربي والرغبة في وضع قواعد لكلام العرب. وفي كلا الحالين كان المنطلق واحداً وهو الغيرة على القرآن الكريم والحرص على سلامته من التحريف والتصحيف والنطق الخاطئ.

وحين بلغت الكتابة هذا المدى من الصحة والسلامة انعطف الكَتَبَة إلى تحسين الخط العربي والتفنن في أنماطه، والاهتمام بجمالياته، وكانت عنايتهم بتجويد كتابة المصاحف بالغة أوجها[١]، وامتدت إلى الزخرفة العمرانية في المساجد والدور والقصور.

وحين تم رسم المصحف على هذا النحو من الصحة والجمال بدا لعلماء العربية عهدئذ أن طرق الكتابة وقواعد الإملاء السائدة قد استقرت، فلم يبد بعد ذلك ما يستدعي على نحو جاد وملحّ تعديل رسم الكلمات وتطويرها. وظلت قضايا عديدة لم تحسم مثل قضية كتابة الهمزة والألف المقصورة والممدودة وسواها. والأقدمون أنفسهم لم يتلاقوا ويتفقوا على مذهب أو ما يشبه المذهب، ففي رأي سيبويه أن الهمزة المتوسطة المضمومة بعد كسر تكتب واواً، باعتبار حركتها، ومذهب الأخفش أنها تكتب ياء باعتبار حركة ما قبلها[٢]، ولعلّ المراد من ذلك كلمات مثل مئون ويستهزئون..

(١) نبغ العديدون من الخطاطين في الدولة العباسية، في مقدمتهم الوزير أبو علي محمد بن مقلة في بغداد في القرن الثالث للهجرة «٣٢٨هـ» وأخوه عبد الله اللذان برعا في خط النسخ وكتابة المصاحف النفيسة، وبعد قرن من الزمان تطور الخط العربي وازداد جمالاً بفضل أبي الحسن المعروف بابن البوّاب «٤١٣هـ». وفي عهد الدولة العثمانية بلغ الخط العربي ذروته من الإتقان. ففي القرن الخامس الهجري ـ الحادي عشر الميلادي – نبغ في الخط العربي عثمان الحافظ المشهور، كاتب المصحف الشريف، وإليه انتهت جودة الخط إلى أرفع مستوى.

(٢) دليل الكاتب، حسن شهاب أحد أساتذة الأزهر، ٨٦ ـ ٨٧، مصر ١٩٠٩.

وكما هو معهود كان لأهل الحجاز في بعض هذه القضايا مذهب، ولأهل نجد مذهب آخر. كذلك كانت لعلماء البصرة والكوفة آراء متباينة على هذا الصعيد. وقد سرى هذا الوضع المضطرب إلى كلمات بعينها في الرسم القرآني. وفي ذلك يقول عثمان بن جنّي(١): «اعلمْ أن الألف التي في أول حروف المعجم هي صورة الهمزة. وإنما كتبت الهمزة واواً مرة وياء مرة أخرى على مذهب أهل الحجاز في التخفيف. ولو أريد تحقيقها البتة لوجب أن تكتب ألفاً على كل حال. وعلى هذا وجدت في بعض المصاحف (يستهزأون) بالألف قبل الواو، ووجد فيها أيضاً (وإنْ من شيأ إلاّ يسبح بحمدة) بالألف بعد الياء ..»، وذكر صاحب صبح الأعشى أنه «حذفت الألف في بعض المصاحف من هاروت وماروت وهامان وقارون فكتبت على هذه الصورة: هروت ومروت وقرون ..»(٢).

كذلك نبّه عبد الله البطليوسي صاحب كتاب «الاقتضاب» على ذلك فقال(٣): «اضطربت آراء الكتّاب والنحويين في الهجاء، ولم يلتزموا فيه القياس، فزادوا في مواضع حروفاً خشية اللبس نحو واو عمرو وألف مائة ..» .

وقد نقل القلقشندي جملة من هذه الآراء المختلفة، ومن هذا القبيل قوله(٤): «تزاد الألف بعد الميم في مائة فرقاً بينها وبين منه، ثم اختلف في المثنى منه فقيل: لا يزاد في مائتين لأن موجب الزيادة اللبس، ولا لبس في التثنية ..». وذكر ابن درستويه(٥) أن القدماء كتبوها (مأة). وفي ذلك يقول

(١) سر صناعة الإعراب ١: ١١٧.

(٢) صبح الأعشى ٣: ١٨٥.

(٣) انظر: الكتابة العربية، محمد شوقي أمين، ٢٣، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧.

(٤) صبح الأعشى، ٣: ١٧٥ دار الكتب الوطنية، القاهرة ١٩٣٨.

(٥) انظر «كتاب الكتاب»، بعناية لويس شيخو ٤٧، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٢٧.

أيضاً أثير الدين أبو حيان[١]: «وكثيراً ما أكتب أنا (مئة) بغير ألف، كما تكتب فئة لأن كتابة مائة بالألف خارج عن القياس». وقد أخذ بهذا الرأي كثير من اللغويين المعاصرين ومنهم الشيخ مصطفى الغلاييني[٢] ..

كل ذلك يعني استمرار الخلاف بين الأقدمين في موضوع قواعد الإملاء كما هو الحال في سائر علوم العربية.

ومن الإنصاف القول: إن الباحثين المعاصرين ولا سيما المجامع اللغوية والمؤسسات التعليمية فاقوا الأقدمين باهتمامهم بقواعد الإملاء، يحفزهم إلى ذلك حب عارم للعربية وغيرة كبرى على مستقبلها. فمنهم من تطرف واقترح حلولاً جذرية باترة مثل عبد العزيز فهمي داعية الكتابة بالحروف اللاتينية، ومنهم من اعتدل مثل علي الجارم الذي اقترح مشروعاً آخر قوامه إلصاق الحركات بجسم الحروف. وثمة آخرون كانت لبعضهم آراء سديدة وقيمة في هذا الصدد، منهم محمد شوقي أمين[٣] وحسن شهاب[٤] وعبد السلام محمد هارون[٥] ومصطفى الغلاييني[٦] وعمر يحيى وأسعد طلس ولطفي الصقال[٧] وعبد العليم إبراهيم محمد[٨]، فضلاً عن كتب كثيرة

(١) صبح الأعشى ٣: ١٧٦.

(٢) انظر: جامع الدروس العربية ٢: ١٤٣، بيروت ١٩٣٩.

(٣) كتابه «الكتابة العربية»، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧.

(٤) كتابه «دليل الكاتب»، مصر ١٩٠٩.

(٥) كتابه «قواعد الإملاء»، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٦.

(٦) كتابه «جامع الدروس العربية»،بيروت ١٩٣٩.

(٧) كتابهم «تسهيل الإملاء»، حلب ١٩٣٨.

(٨) بحثه المخطوط الذي قدمه لمؤتمر المعلمين العرب التاسع الذي انعقد في الخرطوم في ١٩– ٢٣ شباط (فبراير) ١٩٧٦ وعنوانه «توحيد الرسم الإملائي».

خصّت هذا الموضوع بعنايتها، وهي في معظمها معدّة للتعليم في المدارس(١).

وكما كانت كتابة الهمزة ورسم الألف، والزيادة أو الحذف في بعض الحروف، شغل القدماء، كان ذلك أيضاً شغل الباحثين المعاصرين. وتعدّ جهود مجمع اللغة العربية في القاهرة ذروة هذا الاهتمام، فقد تمخض مؤتمره الذي انعقد في عام ١٩٤٣ ومن بعده المؤتمر الآخر عام ١٩٦٠ عن حصيلة ثرية من البحوث والدراسات والمناقشات والمداولات ثم التوصيات في هذا الصدد. وقد أفاد جيل المتعلمين من ذلك فائدة حسنة. ومع ذلك مازالت ثمة اختلافات كثيرة في رسم الحروف بين أقطار المشرق وأقطار المغرب، بل إن ذلك ملموس بين بلاد المشرق نفسها، وأيضاً داخل البلد الواحد. فإذا استقرينا آراء عدد وافر من المعلمين والمؤلفين وأساتذة الجامعات وأيضاً من أعضاء المجامع اللغوية في صدد كتابة كلمات مثل: يقرؤون، رؤوس، رُئي، يعبؤون، سموءل، لؤلئي، ذرا، ييأس، جيئة، شيء، لجاءت أجوبتهم متباينة ورسوم كلماتهم مختلفة، وهم معذورون في ذلك إلى حد بعيد، مادام اللغويون القدامى وأصحاب المعاجم أنفسهم(٢) يختلفون في هذا الصدد، كما أنهم معذورون أيضاً في ظلّ غياب القرار اللغوي الحاسم الذي يناط عادة بالمجامع اللغوية العربية.

وإذا كانت هذه حال الشريحة المستنيرة، فماذا يكون حال التلاميذ

---

(١) من هذه الكتب التعليمية أيضاً في قواعد الإملاء ماألفه محمد هاشم دويدري ووجيهة السطل، ثم عبد القادر مايو.. إلخ .

(٢) ثمة كلمات مثل: ضحى، ذرا وردت في القاموس المحيط بالألف، وفي المصباح المنير ومختار الصحاح والمعجم الوسيط بالياء.

والطلاب وناشئة المتعلمين وسائر المقبلين على تعلم العربية في بلدان العالم ومعاهده من اليابان والصين إلى أوربة وأميركا.

وأكثر ما يقع الإعضال في رسم الهمزة ورسم الألف، فلنقصر الكلام عليهما.

الهمزة:

الهمزة موضوع مهم في علوم العربية(١)، سواء في اللغة أو النحو أو الإملاء. وتشكل في كثير من الأحوال معضلة كبرى ولا سيما في مجال الإملاء، كما حار في أمرها القدماء والمعاصرون(٢)، ولعلّ ابن درستويه أبرز من تناولوا الهمزة من وجهة الرسم والإملاء قديماً في كتابه الوجيز(٣) «كتاب الكتّاب».

ورغبة في التبسيط والتيسير في رسم الهمزة يجدر استبعاد قضية الوصل والفصل بين الحروف، لأنها تتحكم في القاعدة الأصلية وتشطرها شطرين حين تكتب مثلاً «يهزءون ويعبئون»، فنطق الهمزة هنا واحد وحالتها مشتركة، واختلاف الرسم حادث بسبب طبيعة رسم الحرف الواقع قبل الهمزة والذي بعدها من حيث اتصاله أو عدمه بكل من الحرفين لدى وقوع الهمزة بينهما، وليس لهذا الاختلاف مسوغ.

وسنحاول حلّ جوانب من إعضال الهمزة المتوسطة بقدر من الأسس

---

(١) خصّ العرب قديماً الهمزة بكتب عديدة تعرف بكتب الهمز، وممن ألفوا فيها قطرب «٢٠٦هـ» وأبو زيد الأنصاري «٢١٥هـ»، وكتاباهما في الكلمات المهموزة.

(٢) حاد الخليل عن الهمزة، ولم يشأ البدء بها في معجمه «العين» لعدم وجود صورة حرف لها.

(٣) «كتاب الكتاب» لابن درستويه «٣٤٦هـ» صدر عن المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٢٧ بعناية الأب لويس شيخو.

والقاعدات، وبمنأى عن التفريعات والاستثناءات جهد المستطاع، وذلك وفق مايلي:

أ.)– الهمزة المتوسطة تكتب بالحرف الذي تسهّل إليه، مثل: ثأر، شؤم، ذئب، مؤاخذة، مئة، إئت، مؤق. مقابل: ثار، شوم، ذيب، مواخذة، مية، إيت، موق...

ب.)– الهمزة المضمومة تكتب فوق الحرف المجانس لها، أي على الواو إطلاقاً «دون المفاضلة بين حركتها وحركة ما قبلها، ودون اعتبار لاتصال الحرف أو انفصاله بما قبلها وما بعدها» مثل: شؤون، يعبؤون، رؤوف، مسؤول، يقرؤون، جاؤوا، رداؤه، مؤون، ضوؤه، شيؤه ..، وذلك في مقابل: شئون، يعبئون أو يعبأون، رءوف، مسئول، يقرءون أو يقرأون، جاءوا، مئون، ضوءه، شيئه..

ج.)– الهمزة المفتوحة والمسبوقة بسكون، تكتب على حسب الحرف المجانس لها، أي فوق الألف إطلاقاً (دون النظر إلى جملة من القاعدات الفرعية). فوفقاً للقاعدة الأساسية كتبت الهمزة المسبوقة بحرف ساكن: يسأل، ثم المسبوقة بألف ساكنة: يتساءل، ثم المسبوقة بواو ساكنة: توءم، ثم المسبوقة بياء ساكنة: بيئة[1] والرأي أنها جميعاً يمكن أن تكتب باطراد: يسأل، مسألة، نشأة، مرأة، ينأى، ظمأى.

وكذلك قراأة، يتساأل، إيماأة، وعاأان، إنشاأات.

وبوسعنا أن نكتب أيضاً هكذا: توأم، سموأل، سوأة، ثم مروأة، نبوأة، مملوأة.

---

(١) اعتمد المجمع اللغوي في القاهرة هذه القاعدات الفرعية في مؤتمره سنة ١٩٦٠، وقد أخذت بها أكثر الكتب التعليمية.

وأيضاً: مهترأة، مستهزأة، ثم ييأس، ثم خطيأة، حُطيأة، بيأة، مشيأة، دريأة، مليأة، جريأة..إلخ .

د.)– الهمزة المفتوحة «المرسومة على ألف» إذا وليها حرف منطوق من جنسها نرى أن تضاف إليها ألف أخرى بعدها، دون أن تدغم، فنكتب مايلي: مأال، قرأان، مرأاة، ظمأان، ملجأان، مكافأات، إجراأات. وكذلك: ينشأان، يقرأان، يلجأان، يملأان، منشأات. وذلك محافظة على صورة الكلمات الأولى، وبما يتفق مع ما ارتضاه أيضاً بعض القدماء. على حين تعمد قواعد الإملاء السائدة إلى التفريق بين الفعل والاسم، أي بين ألف المثنى: ملجآن، وألف الاثنين: يلجأان، برغم أن بنية الحروف والحركات واحدة.

الألف:

تحفل لغة العرب بالكلمات المنتهية بألف، ولها صورتان في الكتابة: ألف وياء، (ياء غير منقوطة أو ألف مقصورة). وللقدماء والمعاصرين في هذا الصدد بحوث كثيرة واجتهادات وفيرة. فعلى صعيد الأفعال الثلاثية فحسب لدينا مثلاً: دعا وسعى، ومن الأسماء عصا وفتى. يضاف إلى ذلك جموع مثل قنا، وذرا، ونوى، ومُنى.. كما أن كتابة الفعل يحيا غير كتابة الاسم يحيى..

ومعلوم أن النطق لا مجال له هنا في تحديد الرسم فهو واحد، ولكن المعوّل عليه هو معرفة أصل الألف في اللغة أو التصريف، أي أن علينا، قبل أن نكتب الكلمة، أن نتوصل إلى أن ألف عصا أصلها واو وأن مثناها عصوان، كذلك أن ندرك سلفاً أن أصل ألف فتى ياء لأن مثناها فَتيان. وهذا حال ذرا لأن مفردها ذروة، ومنى لأن مفردها مُنْية. وواضح أن هذا باب عسير على المختصين بالعربية فما بالنا لدى الناشئ والمتعلّم.

وإنه من دواعي الارتياح والرضى«أن جمهرة من أعلام العربية

الأقدمين قد ارتضوا كتابة الألف اللينة ألفاً بصورة مطلقة دون مراعاة أصلها في الكلمة، أو التفرقة بين كونها ثالثة أو غير ثالثة، وبين كونها في اسم أو فعل أو حرف»(١) . وحقٌّ ما ذهب إليه محمد شوقي أمين حين قال محبذاً هذا المذهب: «وكان ارتضاؤهم ذلك تعويلاً على أن الخط صورة النطق. وليس على الخط أن يتعدى مهمة التصوير إلى مهمة الدلالة على الأصول الصرفية للصيغ في مساق الكلام»(٢).

فإذا كان الأمر كذلك على هذا النحو من التيسير لدى الأجداد، ومعه العسر في الاهتداء إلى الأصل الواوي أو اليائي في كل كلمة بعينها، فلماذا لا نأخذ بالأيسر، ولا سيما أنه يتفق مع الأساس الذي وجدت من أجله الكتابة، وهو أن تطابق صورة المكتوب الكلامَ المنطوق.

وعلى ذلك ما الذي يمنع أن تتم كتابة الكلمات المنتهية بألف ملفوظة، ألفاً على الإطلاق. وذلك دون تمييز بين ثلاثي وغيره، وبين واوي ويائي، وبين اسم وفعل.. وبين عربي أصيل وأعجمي دخيل...

وثمة واقع مهم آخر يرجح هذا المنحى وهو أن حرف الألف المكتوب هو الأولى في تصوير الصوت المنطوق وليس الياء، إذ لكل واحد منهما موقعه الخاص به الذي وضع له أصلاً، ولكل صوتٍ منطوق حرف مكتوب. ومما يسبب اللبس ويزيد الأمر اضطراباً أن جلّ الكاتبين وقدراً كبيراً من الكتب والمنشورات، ولا سيما في مصر لا تميز في الكتابة بين الألف المقصورة والياء. فاسم العلم «علي» يكتب مثل حرف الجر «على» ، ويغدو الأمر أكثر صعوبة حين لا تتبين حقيقة الكلمة المكتوبة من السياق بالسهولة

---

(١) الكتابة العربية، محمد شوقي أمين ٢٥، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧.

(٢) الكتابة العربية ٢٥.

المعهودة مثل: بهَدْي وبهُدَى، وذلك تبعاً لغياب نقط الياء. وثمة مؤلَّف نفيس للفيلسوف الفارابي اسمه«كتاب الموسيقى الكبير» كما هو متوّج في عنوانه البارز، وقد حرصت على معرفة حقيقية هذا العنوان من ذوي العلم وأهل الاختصاص للوصول إلى النطق المراد لكلمة الموسيقى، فتعددت الآراء، ولم أفز بجواب شافٍ.

ويبدو لنا في ضوء ماتقدم أن المذهب الواحد أو الموحد في رسم الألفات المنطوقة يخلصنا من قاعدات واستثناءات تنطوي على قدر من الرهق والإرباك والاضطراب. ونحن نلمس تخبّط الكاتبين في ذلك لقصور معارفهم اللغوية والإملائية في هذا الصدد، ولأن علماء اللغة والصرف أنفسهم مختلفون في هذا الشأن. وهكذا غدت الكتابة في أحيان كثيرة ذات طابع مزاجي وتفتقر إلى قدر كبير من الجدّ والالتزام.

والرأي أن نكتب الكلمات المعنية جميعاً على هذا النسق: فتا، هدا، نها، دجا، عُلا، ضحا، ربا، ذرا، منا. ومثلها: عيسا، يحيا، نجوا، حبلا، سلوا، سلما، ومعها تكتب أيضاً: مرتضا، مصطفا، مستشفا ومثلها: موسيقا، بخارا، ألمانيا، سوريا..

ومن منطلق الحرص على الاطراد وتوحيد الرسم قد يكون افتراضنا الآخر أكثر تقبلاً في النفوس بداعي الألفة، وهو أن تكتب الكلمات جميعاً بألف مقصورة، ومنها الثلاثية بطبيعة الحال، وإن كان هذا المذهب أقلّ منطقية، لمغايرته مبدأ تطابق المنطوق والمكتوب.

الحذف والإضافة، في بعض الحروف:

أسرف الأجداد، وفيهم كَتَبة الوحي، في اختصار الكلام المكتوب. ولعلّ ذلك كان منهم اقتصاداً للجهد والوقت. وكأنهم لم يكتفوا بتغييب الحروف الصائته من الرسم الإملائي (الذي يقتصر على كتابة الحروف الصامتة

وحدها ويستعيض عن ذلك بالحركات الثلاث بدلاً منها). وكان أكثر ما يكون الحذف لديهم عندما يتكرر الحرف في الكلمة، فيحذفونه عند الكتابة. وقد استلزم هذا الاختصار، المخل أحياناً، مبادرة حسنة بعدئذ، حين عمد الخليل الفراهيدي إلى تلافي ماقد ينجم عن هذا المنحى من قصور أو لبس في النطق، فأوجد رسم (شدة) فوق الحرف الباقي دلالة على الحرف الآخر أي المكرر الذي تم حذفه، رامزاً إلى ذلك بحرف (ش) مصغر: (ســ) أو رأس ش.

وثمة سبب آخر لتغييب الحرف المكرر عند الكَتَبة الأقدمين مرده إلى اعتبارات جمالية تتصل بحسن الخط لا بطريقة الرسم والإملاء، إذ إن تكرار الحرف في الكلمة المكتوبة غير مستحب عندهم. وفي ذلك يقول ابن درستويه[١] : «اعلم أن أكثر ما يحذف في الكتاب الحروف المكررة ، كراهة اجتماع الأشباه في الخط...».

أ): ويرى ابن درستويه أيضاً «أن أكثر حروف اللين حذفاً الألف لضعفها، وأنها أكثر في الكلام من غيرها»[٢] . وقد تدارك الأقدمون هذا الأمر بعدئذ بوضع المدّات على الحروف المعنية تيسيراً للقراء، وهذا كثير في كتابة المصاحف[٣] . ويبدو أن تأثير هذه المصاحف كان الأقوى في هذا الصدد، إذ درج الكاتبون عبر العصور على هذا المنحى. ودليل ذلك كلمات عديدة تتصل بالدين والعقيدة والتراث سرت من المصحف إلى أقلام الكاتبين مثل: الله، الإله، بسم الله، الرحمن، السموات، إسمعيل، إبراهيم، طه، هرون، داود..

ثم توسعوا في هذا القبيل بكلمات أخرى مشابهة، فحذفوا الألف من ها التنبيه في هذا، وهذان، وهؤلاء، وهأنذا، وهأنتم..

---

(١) «كتاب الكتّاب» ٣٤.

(٢) «كتاب الكتّاب»٣٤.

(٣) من الأمثلة البارزة على ذلك سورة «الشمس».

كذلك حذفوا الألف من ابن، وابنة بشروط عديدة، وشبيه بهذا حذف ألف أداة النداء: يأيها، وحذف الألف المنطوقة في «لكن»..

وإذا كان الزائد أخا الناقص، كما يقال، فإن نقص الألف من كلمة (إله، أو إلهة) قد أحدث مشكلة نطقية تماثل المشكلة التي أحدثتها زيادة الألف على كلمة (مائة). ولطالما حدث الخلط بين كلمة (إلهة) المفردة وكلمة (آلهة) المجموعة، إذ دأب الناس على أن يلفظوا الأولى على نحو خاطئ بإضافة ألف بعد همزة القطع كأن يقولوا: (فينوس آلهة الجمال..). ولا يستقيم الأمر بطبيعة الحال إلا باعتماد مبدأ مطابقة المكتوب للمنطوق، أي إثبات الألف للكلمة في صيغة الإفراد بحيث تكون لها صورتها وفقاً لما تنطق به في الكلام (إلاهة)، على حين لكلمة الجمع صورتها المغايرة (آلهة).

ب): أما الواو فأمرها أهون وتقتصر على حذف الواو الثانية من «داوود»، وقد وردت في المصاحف «داود». وتعليل اللغويين قديماً لذلك هو كراهة التكرار. وقد سرى ذلك على هذا الغرار إلى كلمة طاووس وكلمة أو كلمتين أخريين في العربية، واضعين لها قاعدة خاصة.

كل هذه الكلمات تغاير في رسمها مبدأ مطابقة المكتوب للمنطوق. والقياس إثبات الألف أو الواو في الكلمات المذكورة. وهذا ماسبق أن آثره لفيف من العلماء والدارسين، في طليعتهم طه حسين، حين ارتأى إثبات الألف إطلاقاً وابتدأ بكتابة اسمه «طاها».

وأكثر الناس اليوم يكتبون بعضاً من الكلمات السابقة بسليقة سليمة وحس منطقي، مثل السماوات، إسماعيل، هارون، داوود. وبعضهم بدأ يكتب على هذه الصورة: هاذا، لاكن..

كذلك أحسن بعضهم في كتابة «أن، لا» مفصولتين لا مدغمتين: (أرى

أن لا تغامر..)، وفي هذا أيضاً دفع للالتباس مع أداة الحصر أو الاستثناء «إلا»..

والأصوب ترك الحذف في كل ماتقدم باستثناء كلمتين هما «الله»، «باسم». والأخيرة تقتصر على وجودها مركبة فقط في قولنا «بسم الله الرحمن الرحيم» لقدسيتها[١] .

ج): وفي مقابل الحذف ثمة كلمات أقل عدداً درج الكاتبون على إلحاق واو زائدة بها غير منطوقة، مثل: عمرو تمييزاً لها عن عمر، وأولو وأولات الملحقين بالجمع السالم.. ثم أولاء، وذلك بقصد تمييزها عن الاسم الموصول المشابه لها في الرسم وهو الاسم الموصول «الألى» بمعنى الذين.

ولعل أبرز أمثلة الإضافة زيادة ألف في رسم العدد: مائة تمييزاً لها قديماً عن «منه»[٢] قبل مرحلة إصلاح الكتابة ونقطها..

إن حجة إضافة حرف غير منطوق للتفريق بين كلمة وكلمة أخرى تشبهها أو تماثلها في الكتابة حجة واهية وغير مقنعة، إذ التشابه والتماثل واقعان في كلام كثير في العربية، وهو معهود في سائر اللغات، وإذا كان له مسوغ قديماً في كلمتي: مائة وعمرو مثلاً فلماذا نتمسك بهذا الرسم مع وجود الشكل؟. ولماذا لم يتم التفريق في الرسم بين أسماء أخرى تنطوي أيضاً على اللبس، مثل عَبيد وعُبيد، أو حَسَن وحُسْن، أو عَقيل وعُقَيل... أليس الشكل هو الذي يميز بينها؟ وأي مسوّغ أصلاً لحذف الألف المنطوقة في كلمة (لكن). ثم هل كراهة توالي واوين في كلمة أو كليمات مثل داوود، وطاووس أمر عسير يثقل قلم كاتبه ويحتاج إلى قاعدة بحالها؟.

---

(١) كثير من الباحثين قديماً وحديثاً لم يشترطوا حذف الألف في غير هذا الموقع، في مثل: باسم الوطن، باسم الحاضرين..

(٢) صبح الأعشى ٣: ١٧٦.

وواقع الأمر أنه نجمت مشكلة أسوأ من حيث كان القصد حل مشكلة سالفة. فكثير من الناس اليوم يلفظون الواو في عمرو، ومعظمهم، وهم معذورون في ذلك، لايعرفون قاعدتها الخاصة بها. أما «مائة» التي مازال الكثيرون يكتبونها بالألف بحكم العادة أو عن جهل في معظم الأحيان، فالبلاء فيها أعظم، إذ راحوا ينطقون الألف بقولهم: «ماءة وماءتان وسبعماءة..» وهذا نطق قبيح يتكرر كل يوم على الألسنة. ومعلوم أن القدماء حصروا الزيادة في المئة المفردة وحدها لوقوع اللبس فيها، وتركوا القاعدة تسري عليها مثناة ومركبة مع آحاد الأعداد: مئتان، سبعمئة، مئات..

ورأينا أن تشطب صورة «مائة» شطباً باتاً من كتاباتنا، وأن تكتب كأمثالها: فئة ورئة..

والأفضل، وفق ما ارتأيناه في تضاعيف هذا البحث، أن تكتب الكلمة على حسب نطقها أي أن تكتب «مأة». وقد ذكر الغلاييني أنه «من الفضلاء من يكتبها بياء بلا ألف (مئة)، ومنهم من يكتبها بألف بلا ياء هكذا: (مأة)»[1].وما دامت الأوجه المتعددة مستعملة ومقبولة لدى بعضهم، فلماذا لا نؤثر الرسم الأكثر اطراداً والمطابق لطبيعة النطق؟.

ومجمل القول:

إن الهدف الأصلي لقواعد الرسم الإملائي، إنما هو تصوير اللفظ المنطوق تصويراً خطياً دقيقاً يعصم القارئ من الخطأ في النطق، أو الانحراف به عن وجهه الصحيح، وييسر له أن يعيد الكلمة صحيحة كما نطق بها قبل كتابتها. والأصل الذي ينبغي اعتماده أن تكتب الكلمات على حسب النطق بها، فلا يحذف حرف ينطق به، ولا يكتب حرف لا ينطق به[2].

(١) جامع الدروس العربية ٢: ١٤٣، بيروت ١٩٣٩.

(٢) من السابقين إلى هذا الرأي في العصر الحديث الشيخ مصطفى الغلاييني في كتابه «جامع الدروس العربية» ثم علي الجارم في مشروع تيسير الكتابة العربية الذي قدمه إلى المجمع اللغوي بالقاهرة سنة ١٩٤٣.

ومن الأهداف التربوية والاجتماعية والقومية أن لا نثقل على المتعلمين، صغاراً وكباراً، مواطنين وأجانب، بركام من القاعدات الكثيرة التي تتناقض أحياناً فيما بينها، أو يتداخل بعضها في بعض، أو تتعدد فيها التفريعات والاستثناءات. وعلينا أن نحد من إباحة الشذوذ في كلمات بعينها بسبب غياب القياس عنها.

* * *

وبين يديّ جملة من المقترحات لا تعدو أن تكون وجهة نظر تتركز فيما يلي:

١– إن قواعد الإملاء المنشودة ينبغي أن توضع بمعزل عن الرسم القرآني، وهو رسم له شخصيته المتفردة وقداسته الدينية، وهالته التاريخية. ومع ذلك لا يقاس عليه في رأي المتقدمين والمتأخرين. ومعلوم أيضاً أن القرآن نزل على النبي ﷺ منطوقاً، لا مكتوباً. والذين دونوا آياته بشر، وفي بدء تطور الكتابة العربية. والمصحف نفسه من حيث طريقة الكتابة ونوع الخط تعرّض للتحسين خلال أطوار عديدة وأعوام مديدة، كما أن رسم كلماته وحروفه الراهنة ليست هي ماكانت عليه في نسخة المصحف الإمام.

٢– أن يراعى في محاولة التطوير المنشود لقواعد الإملاء العربية مبدأ المحافظة ـ جهد المستطاع ـ على صورة الكلمة في حالتها الأصلية، أي المفردة، وذلك بقصد المزيد من التبسيط والتيسير على صغار المتعلمين، حتى لا تهتز لديهم صورة الكلمة الأولى في حال طروء زيادة أو نقصان عليها (كأن نكتب: يقرأ، يقرأون. أو ملجأ، ملجأان. أوعبء، عبءان) وذلك على غرار «اللواحق» التي تضاف إلى الكلمات اللاتينية والأوربية suffixe .

٣– إن الأسس الوطيدة: القياس والشمول والاطراد، لابد أن تكون

رائدنا الحقيقي في مهمة التطوير والإصلاح المنشودة. ونحن نلاحظ أن ثمة قاعدات مقبولة في الذهن، ولكنها لا تلبث أن تُخترق باستثناء أو شذوذ أو نحوهما، بحيث تكاد القاعدة تفرغ من مضمونها وتفقد شموليتها.

٤– كذلك لابد من الحد من ظاهرة جواز الوجهين دون مسوّغ حقيقي، وكأنما نحرص على إرضاء هؤلاء وأولئك، فنقبل مثلاً كتابة يعبؤون ويعبئون، وذرا وذرى، وموسيقا وموسيقى.. ففي ازدواجية المعايير شر مستطير.

٥– ينبغي أن نوطن أنفسنا على مغايرة ماألفناه، وهذا أمر يشق على النفوس، والعصفور السجين قد يألف قيده ويؤثر البقاء في القفص إذا طال عليه الأمد داخله، ومن قبلُ أعرب عن ذلك المتنبي بأنه لو قدّر له أن يفارق شيبه لبكاه أسى وتوجعاً. فهل يتقبل سدنة اللغة عندنا أن يكتبوا كلمات ما على حسب نطقها: هاذا، لاكنّ، فتا، بيأة...؟ خلافاً لما تعودوا وألفوا..

* * *

إن اللغة العربية لغة كتاب مقدس ودين حنيف، ولغة أذان وصلاة، كما أنها وعاء حضارة عريقة وتراث حافل. وهي أيضاً الرابطة القومية لأمة عربية ناهضة تسعى إلى إيجاد مكانها اللائق في خضم هذا العالم المزدحم وهذا العصر المتفجر. وعلى أمتنا أن تدخل القرن الحادي والعشرين بثبات، في غمار التحديات الكبرى التي تواجهها وتعوق انطلاقها. وإن أول ما ينبغي عمله في حدود اختصاصنا ونطاق اهتمامنا السعي الجاد والحثيث لتطوير نحونا وصرفنا وقواعد إملائنا، بحيث يتاح لأبنائنا ولسائر الراغبين في تعلم لغتنا مزيد من اليسر في فهم معانيها وإدراك أسرارها وتذوق جمالها.

إن جهود المجامع اللغوية في هذا الصدد قيمة ومحمودة، ولا سيما ما

كان منها في أول الأربعينات وبدء الستينيات[١]. غير أن جوانب من قضايا الإملاء الملحة لم تستطع حسمها فبقيت معلقة وأرجئ بتها. كما أن توصيات أخرى ذات شأن لم يتح لها أن تنفذ وتتداول في الأوساط التعليمية.

إن المجامع اللغوية هي المؤسسة الوحيدة المؤهلة لهذه المهمة، مهمة الحفاظ على اللغة وتطوير أدائها. والمراد منها اليوم في حدود طاقتها:

أ)– المزيد من المبادرات في هذا الصدد، واستئناف ما انقطع من جهود الباحثين والدارسين من ذوي الاختصاص.

ب)– إعادة النظر في توصيات المؤتمرات السابقة ورفدها بالتوصيات اللاحقة وما استجد من آراء وأفكار بعد ذلك.

ج)– ضرورة التحلي بقدر أكبر من الجرأة، والدأب على ضرورة التغيير، فالتراث جليل ولكنه غير مقدس، وجهود السلف محمودة ولكنها ليست نهائية. كما أنه ليس على الأحفاد أن يدوروا كثيراً في فلك الأجداد.

د) – إن الحلول كما تعودنا لا تسير في طرق معبدة، فالدراسات والتوصيات بين جدران مجمع اللغة العربية في دمشق والقاهرة وسواهما لاتكفي إذا لم يقترن العمل بالنظر. وهذا يتطلب توصيات مدروسة يتبناها مؤتمر المجامع اللغوية، ويتبعها جهد حثيث مع الجهات الرسمية ولا سيما الأوساط التعليمية، لتخرج المقترحات إلى النور، وتغدو في مواقع التنفيذ والتطبيق في الكتب الدراسية وسائر الدوريات والمنشورات.

وبعد، فإن كثيراً مما ورد في هذه الصفحات لا يعد جديداً، ومعظمه

(١) مؤتمرات، مجمع القاهرة اللغوي عام ١٩٤٣ ثم ١٩٦٠.

مستمد من كتب السالفين ودراسات المعاصرين، وقد سقت ذلك في إطار ممارسة مديدة للعربية وآدابها في مراحل تعليمية متعددة تتيح لي أن أدلي بدلو بين الدلاء وأزج برأي في خضم الآراء. وإذا لم يكن لي فيما أوردت سوى التذكير والتنبيه فهذا حسبي. وإني أعمل بما أعتقد أنه ذو جدوى، مهتدياً بقول القائل: «قل كلمتك وامشِ..».

وعسى ألا تكون كلماتي وكلمات أمثالي صيحة في واد أو تذهب أدراج الرياح. والله الموفق.

إعادة صوغ قواعد العربية

يوسف الصيداوي

أيها السيدات والسادة. السلام عليكم.

إنّ ما أورثنا آباؤنا من كنوز العلم والمعرفة لعظيم. وأقول عن اطمئنان، إنّ علم النحو ـ وإنْ كان أحدَها ـ قد لعمري أحاط بها. وما أنت بالمغالي ولا المتزيّد إن قلتَ: ليس عند الأمة عِلمٌ، يمثّل معارفها وحضارتها، ويعبّر عنهما، كما يمثّلهما ويعبّر عنهما علم النحو.

فمن أيٍّ نواحيه تأمّلتَه، رأيتَه وعاءً لدين الأمة، وشِعرِها ونثرِها وأمثالِها، وتفلسفِها ومَنطَقَتِها، وتوزّعِها السُّكانيّ، واختلاطِ الشعوب فيها، وتربيةِ أبنائِها وتعليمِهم، ومجالسِ عِلْيَتِها ومناظراتِ علمائها، وبلاطِ خلفائها وقصور عمّالِها.

وليت شعري، ما الجانب الذي لم يمثّله علم النحو؟ .

فسمِّه إنْ شئت، مرآة حضارةِ أمّة، ولا تخشَ لوماً ولا تثريباً. ومن قال: هذه دعوى عريضةٌ، قلنا له: دونك البرهان:

أما دين هذه الأمة: فقد أجمع المؤرخون، على أنّ النحو إنما نشأ، لحفظه من جاهل لا يعرف قوانين العربية.

ويكفي من ذلك أن نذكّر بقصة الأعرابي الذي قدم المدينة، فأقرأه

رجلٌ: ﴿ أنّ الله بريء من المشركين ورسولِه ﴾ بالكسر، فقال: [إنْ يكن الله بريءً من رسوله، فأنا أبرأ منه] . وأنّ عُمَرَ أَمَرَ بعدَها، ألاّ يُقرِئ القرآنَ إلاّ عالِمٌ بالعربية. وحَسبُكَ بعِلْمٍ هو الحَكَمُ في القرآن والدين.

ومن هنا أنْ قال أبو عمرِو بنُ العلاء، أيامَ كانوا يُطلقون مصطلح [العربية] على النحو: [لَعِلْمُ العربية هو الدين بعينه] . فبلغ ذلك شيخَ الإسلام عبد الله بن المبارك فقال: [صَدَق] .

وأما التفلسف والمَنطَقَة : فيكفيك من تمثيل النحو لهما، أن يكون مِن علمائه الأوائل متفلسفون. ففي الفهرست، قال ثعلب عن الفرّاء :[كان يتفلسف في تأليفاته ومصنّفاته، حتى يَسلُك في ألفاظه كلامَ الفلاسفة] .

كان هذا والنحوُ لا يزال في الأكمام، فإذا وصلتَ إلى أواخر القرن الرابع وجدت نحاةً كعليّ بن عيسى الرمّانيّ، قد ربطوا النحو بالمنطق والفلسفة، فبالغوا في الربط حتى عيبوا به، وأفرطوا حتى أُنكِر مذهبهم إنكاراً.

يقول ياقوت عن الرمّاني: [وكان يمزج كلامه في النحو بالمنطق، حتى قال أبو عليّ: إنْ كان النحو ما يقوله الرمّاني فليس معنا منه شيء، وإنْ كان النحو ما نقوله نحن فليس معه منه شيء]. فإذا وصلتَ إلى القرن السادس، وقرأتَ ما كتبه ابن الأنباري في [الإنصاف] وفي [الإغراب واللُّمَع] وجدت الجدل النحوي، قد قُنِّنت له القوانين، ورأيت البرهنة على مسائله، قد صيغت لها الأسس، ورأيت حججه أخذاً وردّاً، قد وُضِعت لها الشروط. فتُوقِنُ عند ذلك أنّ المنطق، قد وَطّد في علم النحو أركانه.

هذا، على أنّ العامل النحوي - وهو أخطر مسائل النحو قاطبة - إنما هو أثر من آثار الدين والفلسفة معاً. وتطبيقٌ يكاد يكون حرفياً، لما يقوله علم التوحيد - أو قل: علم الإلاهيّات - من أنّ مُوجِدَ الوجود واجبُ الوجود، إذ ليس يصحّ في العقول وجودُ معلولٍ عن غير علّة، أو موجودٍ بدون موجِد. ومَن أبى ذلك، فقد رضي أن يُقْبِل النهارُ ويُدبرَ الليلُ ارتجالاً، وأن تُشرق الشمسُ وتَغرُبَ اعتباطاً.

وهذا هو شأنُ العامل النحوي: فإن وُجودَه واجبٌ، وإلاّ ارتفع المرفوع بغير علّة، وانتصب المنصوب على غير هدى، وانجرّ المجرور عبثاً. فهذا وذاك وذلك، لابدّ له من مُحْدِث يُحدِثه، ومُوجِدٍ يُوجِده، هو العامل. وما أدري، أمَن يقرأ بيت ابن مالك:

إنْ عاملان اقتضيا في اسمٍ عَمَلْ قبلُ، فللواحد منهما العملْ

أيُرمى بالإغراب إنْ قال: إنّ قولَ ابنِ مالك: [فلِلْواحدِ منهما العمل]، هو أثر من آثار علم التوحيد، عن عمْدٍ من هذا الإمام، أو غير عمْد؟.

وأما شعرُ الأمة ونثرُها وأمثالُها: فالبرهنة على إحاطة النحو بها، تحصيلُ حاصل، ومضيعةٌ للوقت. فهي أصلاً مادّتُه، لم يَقُم إلاّ بها. ولو قلتَ: هو هي، لم تكن مبالغاً.

وأما تعايُشُ الأعراق وتساكنها على اختلافها: وما يُنشِئُه ذلك من تأثُرٍ بين لغاتها. ثم التوزّعُ السكانيّ، وما تُحدِثه مخالطة الأمم المجاورة، من انحراف في الألسن واعتلال، فقد بلغ النحوُ من تمثيل كل ذلك، غاياتٍ تأخذ بالألباب، ولو أنّ أجنبياً اطلّع عليها، لطار عقله عَجَباً وإعجاباً:

فقد وُضِع حَدٌّ زمني لما يُحتجّ به : فلا يُحتج بكلامِ محدَثٍ.
وخُطَّت له حدود جغرافية : فلا يُحتَجّ بكلامِ قبائلَ مجاورة للأمم الأخرى.
ورُسمت فواصلُ تأصيلٍ بين لغات الشعوب : فلا يُحتجّ بكلامِ مولَّد.

وأما التربية والتعليم: فحسبك أن تعلم أنّ النحاة كانوا هم القوّامين عليهما. وإنما نُعرِض عن ذكر أخبارهما، لنجنّب حديثنا هذا صفة القصّ. على أننا نجتزئ بخبرٍ واحدٍ منها، لدلالته:

من المعلوم أنّ الكسائي كان مؤدّبَ أولاد الرشيد. فلما أسنّ، أمره أن يختار لهم مؤدباً ينوب عنه. فقال لعليٍّ الأحمر [قد عزمتُ على أن أستخلفك على أولاد الرشيد]، فقال الأحمر: [لعلّي لا أفي بما يحتاجون إليه] . فقال الكسائيّ: [إنما يحتاجون كلّ يوم إلى مسألتين من النحو، وثنتين من معاني الشعر، وأحرفٍ من اللغة. وأنا ألقّنك ذلك كل يوم قبل أن تأتيَهم، فتحفظُه وتعلّمُهم] .

والطريف هاهنا، ما تنبّه له أستاذنا سعيد الأفغاني رحمه الله، وأجزل مثوبته، فقد علّق على هذا فقال: [أتحفَنا هذا الخبر بنموذج من برامج التعليم الخاصّ يومئذ].

وأما ما مثّله النحو من مناظرات، كانت تدور في بلاط الخلفاء وقصور الأمراء، وما استحدثته الحضارة من مجالسَ يتبارى فيها العلماء، فقد امتلأت به الكتب، ويعرف تفاصيله أقلُّ الناس صلةً بشؤون اللغة، فاجتزأنا بذكره، وأعرضنا عن التمثيل له.

وبعدُ، فمن أين يجتمع لعلمٍ من العلوم، مثلُ هذا الذي اجتمع لعلم النحو؟!.

أيها السيدات والسادة

لَعلّي أطلت هذه المقدمة شيئاً، ولكنّ عذري أنّ ما أريد أن أقرّره، وهو مسألتان، ما كان ممكناً أن أخلص إليه، لولا هذه الإطالة؛ فعفواً.

أما المسألة الأولى، فأنّ هذا الإرثَ العلمي العظيم، وإن كان مثّل حضارة المجتمع العربي الإسلامي، من جميع أقطارها، فإن الذي لم يمثّله ولا كان ممكناً أن يمثّله، هو قواعد العربية، خالصةً مما لابسها من الفكر النحوي. وبتعبير آخر: إنّ هذا الفنّ العظيم، لم يستطع أن يخلّص القواعد من نفسه. وإذا كان للتشبيه بالشرنقة مكان، فهذا مكانه!!.

وأما المسألة الثانية، فهي مقوَّلة [تيسير النحو] . ففي مجامع اللغة[تيسير النحو] ، وفي الندوات: [تيسير النحو] ، وفي الصحف والمجلاّت:[تيسير النحو] . يرفعون راية هذه المقوَّلة: [يسّروا النحو، يسّروا النحو، يسّروا النحو] . والنحو لا ييسَّر. النحو لا ييسَّر إلاّ إذا يُسِّر رسم الجوكندا، أو يُسِّرت السمفونية التاسعة.

كلّ عبارة خُطَّت في هذا السِفر النحوي العظيم، إنما هي خيطُ لُحمة أو سدىً في ديباجِ نسيجه. فانظر ماذا تنسل وماذا تبتر!! واعلم في كل حال، أنّك بما تفعل، إنما تقطّع أوصال كائن حضاري، لو ملكَتْ مثلَه أمّة من الأمم الراقية، لحرصت عليه حرصها على إنسان عينها، ولعاقبت مرتكب تيسيره، عقابَ من يسيء إلى أمّة!!.

ولعل ظانّاً يظنّ، أننا بقولنا: [النحو لا يُيَسَّر] ، إنما ندعو إلى اليأس والقنوط. وأننا بقولنا: [لا تقطّعوا أوصال النحو] ، إنما ندعو إلى ركود مستنقعيّ. ونقول: كلاّ، بل ندعو إلى جدّ لارفق فيه، وتعب لا راحة معه.

إننا ندعو إلى قراءة هذا التراث العظيم، واستلال القاعدة منه، خالصةً من كل ما يحيط بها من تشعّب الآراء، وكلِّ ما يلابسها من التحيّز لهذا المذهب، أو ذاك. حتى إذا تمّ ذلك، شرعنا نعيد صوغها، باحثين عن الأسهل لفظاً، والأقرب إلى العقل وصولاً، واضعين نصب أعيننا أبداً، أن نَتْعب، ليستريح مَن يقرأ. وأن يُسيغ أبناؤنا قواعد لغتهم، كما تُسيغ حلوق الصبيان [غزْل البنات!!].(١)

وإنّا لنعلم أنْ سيقالُ: هذا كلام مجرّد. يسهل إلقاؤه، ويستحيل تطبيقه. ونجيب: كلاّ، ما هذا بالمجرَّد ولا المستحيل. ولقد جرّبناه، فوجدناه شاقّاً عسيراً، ولكنه لم يكن مستحيلاً. فلقد أنفقت من عمري مُصعِداً نحوه، خمس سنوات إلاّ قليلاً(*)، منقطعاً إليه انقطاع المستغرَق المفتون، فلو صوّتَ إنسان - كما قال الشاعر القديم - لكدت أطير!! مُعْرِضاً عن كل شيء في الحياة، ملازماً الكتاب والحاسوب ثلاث عشرة ساعة كل يوم في الأقلّ. حتى لقد أساء ذلك إلى صحّتي.

وأنا ملقٍ إليكم الآن، مخطّط عملي، ثمّ عارضٌ عليكم ثلاثة نماذج مما عالجتُ من بحوث النحو، ونموذجاً من الأدوات، ونموذجاً من الصرف. فاللهمّ يسّر وأعن:

كسرت كتابي على ثلاثة أقسام:

الأول: فيه قواعد العربية، خالصةً من كل ما عداها. وسميته:

(١) غزل البنات: نوع من الحلوى يُولع به أطفال دمشق.

(*) كان إلقاء الكلمة في ٢٩/١٠/٩٧ ومنَّ الله فتم العمل في شهر نيسان من عام ١٩٩٩.

[الكفاف] ليطابق اسمُه مسمّاه.

والثاني: نماذج فصيحة، تَلحَق بمعظم البحوث، أبيّن فيها موضع القاعدة، وأبسطها.

والثالث: تبيينٌ لما استرشدتُ به من المعالم والصُّوى، في ذهابي نحو القاعدة. ودفاعٌ عن تجنّبي ما تجنّبتُ، وأخذي بما أخذت. ذاكراً مصادري ومراجعي، وأجزاءَها وصفحاتِها. مبتغياً بذلك أن يطّلع كلّ أحد، على الحجّة في الأخذ والردّ، فيعلم علماً لا ظنَّ معه، أنْ لا اعتباط في عملنا ولا ارتجال، وأن ما جاء في كتابنا [الكفاف] ، ليس تيسيراً للنحو، فالنحو لا ييسّر. وليس موجزاً لقواعد اللغة ـ كما يقولون ـ فالقاعدة من حيث هي قاعدة، لا توجَز. وليس قواعدَ لغير المتخصصين، فتخصيص قواعد لغير المتخصصين، إلى النكتة ما هو!! وسمّيتُ هذا القسم الثالث: [الصُّوى إلى الكفاف] ، لأنه حقّاً كذلك. وبعدُ، فإلى الأمثلة، وقد آن:

النموذج الأول هو [المستثنى بإلاّ] :

أولاً: زحلقنا البحث في [غير وسوى وليس ولا يكون وبيد ولا سيّما، وإلاّ بمعنى غير، وحاشا وعدا وخلا] إلى قسم الأدوات. كما يقتضي المنهج العلمي. وتلك خطّة سرنا عليها في كتابنا كلّه.

ثانياً: اِطّرحنا من بحث الاستثناء ما سمّته كتبُ الصناعة: [الاستثناء المفرَّغ]نحو: [ما جاء إلاّ خالد] . ودافعنا في [الصُّوى] عما ذهبنا إليه، فقلنا ما معناه: إنّ الاسمَ بعدَ [إلاّ] في هذا المثال، ليس بمستثنى، بل هو فاعل. وقد يكون في مثال آخر مفعولاً به، أو مجروراً بحرف جر، أو غيرَ هذا وذاك وذلك، ولكنه لا يكون في العربية أبداً، منصوباً على الاستثناء. وما

ذاك إلاّ لأن التركيب هاهنا تركيبُ[حصر، أو قصر] ، كما يقول البلاغيون، لا تركيب استثناء. وشتان ما بينهما.

ثالثاً: في الاستثناء المنقطع، لزمنا لغةَ القرآن، وأعرضنا عن لُغَيَّة لتميم، قرأتْ بها ﴿ما لهم به من علم إلاّ اتّباعُ الظنّ﴾ بالضمّ، وأعرضنا إعراضَ إنكار ونفور، عن قول مَن يقول: إنّ في اللغة بدلاً مقلوباً!! نحو [ماسافر إلاّخالدٌ أحدٌ]. بعد هذا، نورد قواعدَ المستثنى:

[المستثنى: اسمٌ يُذكَر بعدَ (إلاّ) ، مخالفاً ما قبلها، نحو: (جاء الطلاّبُ إلاّ خالداً) .

وهو منصوب قولاً واحداً، غير أنه إذا سبقه نفي أو شبهه، جاز مع النصب، إتباعُه على البدلية مما قبله].

حُكمان:

الأول: قد يتقدّم المستثنى على المستثنى منه. نحو: [لم يسافر إلاّ خالداً أحدٌ] .

والثاني: قد يأتي المستثنى ولا صلة له بجنس ما قبله، نحو: [وصل المسافر إلاّ أمتعتَه] .

تمّ البحث، فهذه هي قواعد المستثنى بـ [الا]تامة .

النموذج الثاني هو [المفعول به] :

تجافينا في بحث المفعول به، عما اشترطت كتب الصناعة لتقديمه وتأخيره، من شروط خيالية، وأخرى يأباها الجدّ في الطلب، وقد استقصينا مناقشة ذلك في [الصُّوى] ، وأضعفنا معظَم ما اشتُرِط. وكنّا نودّ إيراد جانب منه الآن، ولكنْ رأينا الإعجال يمنع من ذلك. على أننا نقول: إنّ مَن

يتجافى عن تلك الشروط، ويُحكّم المنطق والشاهد، يجد البحث، وإن طوّلته كتب الصناعة، لا يزيد على قولك:

المفعول به : هو ما وقع عليه فِعْلُ الفاعل فنَصَبَه . نحو: [أكلَ خالدٌ رغيفاً].

أحكام تقديمه وتأخيره:

يجوز أن يتقدّم المفعول به على الفعل والفاعل نحو: [رغيفاً أكل خالدٌ] و [أكل رغيفاً خالدٌ] .

ويجب تقديمه في حالتين:

الأولى: أن يتّصل الفاعلُ بضمير المفعول نحو: [ركب الفرسَ رائضُها] . فيُقَدَّم وجوباً على الفاعل.

الثانية: أن يقع بين [أمّا] وجوابها، فيُقدَّم وجوباً على الفعل والفاعل معاً نحو: [أمّا الغريبَ فأكرمْ] .

تمّ بحث المفعول به، واستُكْمِلت قواعده.

وأما النموذج الثالث فهو [النداء]:

النداء في كتب الصناعة بحث واسع، كثير التأرجح والبلبلة، بلغ عند سيبويه، بتحقيق عبد السلام هارون أربعاً وثمانين صفحة، وعند عباس حسن، في النحو الوافي، مئةً وسبع عشرة صفحة.

واختلاف النحاة فيه، يكاد يكون في كل حكم وكل رأي. ويكفي من ذلك أن البصريين يقولون: [يا خالدُ] مبني على الضم في محل نصب، وأنّ الكوفيين يقولون: بل هو معربٌ مرفوع.

وتأمّلْ ماوراء هاذين الرأيين من تفريع وتشعيب، بُنِيا عليهما.

ولقد منّ الله فأسلس البحث قياده، بعد نحو شهر من الجدّ في

الطلب، والرجوع إلى جميع ما نعرف في المكتبة النحوية من مطبوع: من كتاب سيبويه إلى واضح الصديق محمد خير الحلواني رحمه الله. فكان ما يلي:

ـ فصَلنا الندبة والتعجّب والاستغاثة عن المنادى. فأما الندبة فلأنها تفجّعٌ وتوجّع، وما أبعدهما عن النداء!! وأما التعجب فلأنه استعظام أمر، وأين هذا من ذاك؟! وأما الاستغاثة فلأنّها ـ وإن كانت نداءً ـ تظلّ في آخر المطاف صنفاً من صنوف المجرورات بالحرف.

ـ ثمّ اتجهنا رأساً في صوغ قواعد النداء، إلى ما تقول العرب حين تنادي، فاستمسكنا بأساليبهم، مبتعدين بذلك عن تنظير النحاة وتضارب الآراء. وناقشنا في [الصوى] أهمّها.

بعد هذا دونك البحث، وهو قسمان: قلنا في الأول:

هكذا تنادي العرب فتنصب المنادى فتقول:

يا أهلَ الدار سلامٌ عليكم :(لأنّ المنادى مضاف).

ويا قارئاً كتب العلم قيِّدْ فوائدها :(لأنّ المنادى مشتقّ عامل فيما بعده).

ويا غافلاً انتبه :(لأنّ النداء موجّهٌ إلى كل غافل، لا غافلٍ محدّد)

وتضمّ العربُ المنادى فتقول:

يا خالدُ احذرْ :(لأنه علمٌ مفرد).

ويا رجلُ ما اسمُك؟ :(لأنه نداء موجَّه إلى رجل معيّن، وإن كنتَ لا تعرف اسمَه).

وتنادي المثنى فتقول: يا مسافران، تجعل في آخره ألفَ ونونَ المثنى.

وتنادي الجمع فتقول: يا مسافرون، تجعل في آخره واوَ ونونَ الجمع.

وأما القسم الثاني، من قسمي المنادى وهو: [توابع المنادى] ، وقد استغرق عند عباس حسن، أربعاً وعشرين صفحةً، فقد منّ الله علينا، فأقدرَنا أن نجعله في خمس كلمات فقط. وذلك إذ قلنا:

[قَدِّرْ قبلَ التابع (يا) محذوفة] تصبْ إن شاء الله.

تمّ بحث المنادى، واستُكمِلت قواعده.

ونقول لمن يعتريه الشكُّ في قاعدتنا الكلية هـذه، إذْ يراها مؤلفة من خمس كلمات، لقد عرضنا عليها جميعَ حالات توابع المنادى، فصدقت عليها بغير استثناء البتّة. ودونك التطبيق:

يا خالدُ .. ابنَ سعيد	= يا خالدُ	يا	ابنَ سعيدٍ	: بعد يا المحذوفة مضاف ، فالنصب على المنهاج.
يا سعدُ .. سعدَ لعشيرة	= يا سعْدُ	يا	سعدَ العشيرة	: بعد يا المحذوفة مضاف ، فالنصب على المنهاج.
يا خالدُ .. الفاضلُ	= يا خالدُ	يا	أيها الفاضلُ	: بعد يا المحذوفة اسم محلّى بـ[ألـ] فيُضمُّ وتسبقه أيها حُكماً.
يا خالدُو .. سعيدُ	= يا خالدُو	يا	سعيدُ	: بعد يا المحذوفة علم مفرد ، فضمُّه على المنهاج.
يا أبا الحسن.. عليٌّ	= يا أبا الحسن	يا	عليٌّ	: بعد يا المحذوفة علم مفرد، فضمُّه على المنهاج.
يا عليُّ .. أبا الحسن	= يا عليُّ	يا	أبا الحسن	: بعد يا المحذوفة مضاف ، فالنصب على المنهاج.
يا عليُّ و... أبا سعيد	= يا عليُّ و	يا	أبا سعيد	: بعد يا المحذوفة مضاف، فالنصب على المنهاج.
يا خالدُ.. صاحبَ زهير	= يا خالدُ	يا	صاحبَ زهير	: بعد يا المحذوفة مضاف، فالنصب على المنهاج.
يا رجلُ.. أبا خليل	= يا رجلُ	يا	أبا خليل	: بعد يا المحذوفة مضاف، فالنصب على المنهاج.
يا خالدُ.. الحسنُ الخلق	= يا خالدُ	يا	أيها الحسنُ الخلق	:بعد يا المحذوفة اسمٌ محلّى بـ[ألـ] فيضمُّ وتسبقه أيّها حكماً.

• وأما النموذج الرابع فهو الأداتان: [مُذْ ومُنْذُ]:

وقد وجدنا البحث فيهما منثوراً في خمسة مواضع من [جامع الدروس] مرة مع الظروف، ومرة مع الحروف، ومرة مع المبنيات، وهكذا...

ووجدناه في ستّة مواضع من جزأين من النحو الوافي، آخرها بحث في الجزء الثاني استغرق عشرين صفحة. على أننا لم نجد ذلك موصلاً إلى قاعدة، تُعلّم الناس صحة استعمالهما. فاستعضنا عن كل ذلك بأن قلنا:

مُذْ ومُنْذُ: أداتان مبنيّتان (ظرفان للزمان) تتماثلان في كل شيء إلاّ اللفظ، وتدخلان على الجمل والأسماء ولا يمتنع بعدهما إلاّ مجيء الاسم منصوباً.

تمّ بحث مذ ومنذ، واستُكمِلت قواعده.

●**وأما النموذج الأخير فنموذج صرفيّ**: فلقد رأيت لغة العرب إيقاعاً وموسيقى، حقيقةً، لا مجازاً كما يظنّ الظانّون!! فكما لا يكون ثلجٌ بغير بياض، ولا ليل بغير سواد، كذلك لا تكون عربية بغير موسيقى وإيقاع. فلمفرداتها ـ أسماءً وأفعالاً ـ أوزان وإيقاعات، ما بين: فاعِلٍ ومفعول، ومُفَعْلِلٍ ومستفعِل، وفَعَلَ وفاعَل، وتفعلَلَ واستفعَل إلخ.... فإذا أنعمت النظر في هذه القوالب والأوزان، رأيت موسيقى داخلية تتخلّق في نُسْغ الحروف، قِصَراً وطولاً وتسلسلاً، ما بين ساكنٍ ومتحرِّك، وممدودٍ بقدْرٍ محدّدٍ مقيس.

لغةٌ: تراها بعينك حروفاً، وهي ـ لو أصغيتَ ـ موسيقى تتهادى.
وتخالها مفرداتٍ ، وهي ـ لو تدبّرتها ـ إيقاعٌ مُرْقِص.
وتظنها عباراتٍ ، وهي ـ لو علمت ـ هندسة تأخذ بالألباب.
وتحسبها جامدةً ، وهي تمرّ مرَّ السحاب.

ولعمري إنّها لمزيّةٌ مظاهَرة، وإنْ كان أئمة العربية، لم يروا منها إلاّ وجهاً واحداً، هو وجهها الآلي، الذي يقولون عنه: من الثلاثي يُصاغ كذا وكذا، ومن الرباعي كذا وكذا، وهلّم جرّاً... وأما الوجه الموقَّع المموسق، فلم يروه. بل قل لم يسمعوه!! اللهمّ إلاّ أنْ يكون ذلك هو الخليلَ بنَ أحمد، عالِمَ أُمّتنا الفذّ، الذي لا تَعرف له العربية نظيراً ولا قريناً. فقد استفاد من موسيقى الأوزان مرة واحدة، في حدود علمنا. وكان ذلك حين جعل أوزان التصغير ثلاثة فقط، هي: [فُعَيْل - فُعَيْعِل - فُعَيْعِيل]. عليها تصغَّر جميع الأسماء في العربية، وتبلغ أوزانها المئات.

وصحيح أنّ الخليل لم يقل ذلك لفظاً، ولكن أنْعِم النظر، تجدْه قال وإن لم يقل. مثال ذلك أنّ [أحمر ومكرِم وسفرجل] تصغَّر عند الخليل على [فُعَيْعِل] أي: [أُحيمِر ومُكَيرِم وسُفَيْرِج]، وهذا وزن موسيقي إيقاعي. وأما وزنها عند الصرفيّين فـ[أُحيمِر وزنه أُفَيعِل ومُكَيْرِم وزنه مُفَيْعِل وسُفَيْرِج وزنه فُعَيْلِل].

فانظر إلى نِعمة الموسيقى في هذه اللغة العزيزة، وتأمّل كم تيسِّر التعلُّم على المتعلّمين، لو حُكِّمَت في كل موضع للأوزان فيه أثر!! ولقد حَكَّمْنا الموسيقى في أوزان الأفعال، مخالِفين عن طرائق النحاة والصرفيين. فجنينا من ثمرات ذلك خيراً عظيماً. فمجموع أوزان الأفعال في كتب الصرف، ما بين ماض ومضارع وأمر، مئةٌ وخمسةُ أوزان. وأما من الوجهة الإيقاعية، الموسيقية التي نأخذ بها، فهي ثلاثةَ عشر وزناً إيقاعياً فقط. وفيما يلي منهجنا:

لقد نظرنا إلى الأفعال على أنها أُسَر، لكل فعلٍ أسرة، أفرادُها ثلاثة: ماضٍ ومضارعٌ وأمر. ثمّ نظرنا إلى حركات حروفها، معرضين عن الحروف نفسها، وذلك أنّ حروف الأسرة تتغيّر وتتبدّل، وأما حركاتها وسكناتها فهي هي. أي: أحرفُها تتغيّر وإيقاعها ثابت، ودونك التمثيل بأسرة: [دَحْرَج]: (وقد استخلص إيقاعها، الموسيقيُّ العَلَم الأستاذ ميشيل عوض)

الماضي	:	[دَحْرَج]	إيقاعه	:	[تك دم]	: فَعْلن
المضارع	:	[يُدَحرِج]	إيقاعه	:	[تتك دم]	: فعولن
الأمر	:	[دَحْرِج]	إيقاعه	:	[تك دم]	: فَعْلن

وهاهنا إيقاعُ أسرةٍ واحدة، ينطبق على إحدى وعشرين أسرة، من أسر الأفعال في كتب الصرف، أو قُلْ إنْ شئت: إيقاعٌ واحد، يُغني عن معالجة ثلاثة وستين وزناً، ما بين ماض ومضارع وأمر. ونورد هذه الأسر عند الصرفيين، مع أمثلتها، على السريع:

- دَحْرَج، وزنُه: فَعْلل
- جلبب، وزنُه: فَعْلَل
- شَرْيَف وزنُه: فَعْيَل (قطع ورق الزرع)
- سَنْبَل وزنُه: فَنْعَل
- نَرْجَس وزنُه: نَفْعَل (الدواءَ: وضع فيه النرجس)
- تَرْمَس وزنُه: تَفْعَل (غيَّب في الرمس)
- يَرْنَأ وزنُه: يَفْعَل (صبغ باليرناء أي: الحناء)
- عَشْرَن وزنُه: فَعْلَن
- جَلْمَط وزنُه: فَعْمَل (الشعرَ: حلقه)
- فَرْصَم وزنُه: فَعْلَم (الشيءَ: قطعه)
- سَنْبَس وزنُه: سَفْعَل (نبس)
- شعوذ، وزنُه: فَعْوَل
- حوقل = فَوْعَل (ضعُفَ)
- سيطر = فَيْعَل
- سَلْقَى = فَعْلَى (سلقاه ألقاه على الأرض)
- قَلْنَس = فَعْنَل
- مَنْدَل = مَفْعَل
- تابَل = فاعَل
- بَرْأَل = فَعْأَل (نفش الديك ريشَه)
- حَمْظَل = فَمْعَل (جنى الحنظلَ)
- هَلْقَم = هَفْعَل (عظَّمَ اللقمة)

هذا عندهم، فدونك بعضها عندنا :

[تك دم ـ تَتَك دم ـ تك دم] : فَعْلن ـ فعولن ـ فَعْلن

ـ دَحْرَج	يدحرج	دحرِج
ـ شعوذ	يشعوذ	شعوذ
ـ حوقل	يحوقل	حوقل
ـ سيطر	يسيطر	سيطر
ـ سَنْبَل	يسنبل	سنبل
ـ مندل	يمندل	مندل

لغتنا موقّعة مموسَقة، فلِمَ لا نعلّم أبناءنا أن يغنّوها، بدلَ أن نسوقهم إلى المَشرَحة، ليروا تقطيع أوصالها؟! لقد تجافينا عن اجتثاث الخزَعات، والنظرِ إلى خلاياها بمجاهر المخابر!! وآثرنا أن يَسمع أبناؤنا بآذانهم، موسيقى لغتهم، وأن يكون النحو والصرف ـ كلما أمكن ذلك – سليقةً، يسبق بها اللسانُ عقلَ المتكلم وتفكيرَه.

وليتأمل المتأمل، ما الذي يبقى من عصفور يغرد ويغني طرباً، وينقُز ويطفُر حبوراً، إذا أَعْمَلَ الجرّاح مبضعه في جناحه وحنجرته، ليكشف لك عن أسباب الرشاقة في نقزه، والعذوبةِ في تغريده.

ولا يظنن ظانّ أننا نريد بما نقول، أن نسخّف جهد العلماء، وبحث المتخصصين ـ حاش لله ثلاثاً ـ وإنما نريد أن نقول: إن بحوثهم شيء، وتعليم أبناء أمتنا لغة قومهم سليقةً، شيء آخر.

وبعدُ أيها السيدات والسادة: فللّه وحده الكمال. وأما الزهو بالعلم فشُعبة من الجهل، والنقصُ والسهو والخطأ قدَرُ الإنسان، فأرجو أن نُعان

على ما قُدِرَ على هذا المخلوق الضعيف، بنقد يُدرَك به مسهُوٌّ عنه، أو يُقوَّم معوَجّ، أو يُوصَل منقطِع. والسلام عليكم .

مراجع البحث ومصادره

●أسرار العربية/ ٢٠١و ٢٢٤ ابن الأنباري ت. محمد بهجة البيطار ـ المجمع العلمي العربي.

●الإغراب في جدل الإعراب ـ ابن الأنباري ت. سعيد الأفغاني ـ مطبعة الجامعة السورية ١٩٥٧.

●الإنصاف ـ ابن الأنباري/ ١٥٠و ١٥٨ و١٦٧ و٤٤٦ و١٨٠- ١٩٠ و١٩٣ ـ٢٠١ ت. محيي الدين عبد الحميد/ المكتبة التجارية الكبرى.

●أوضح المسالك ٢/٦٠ + ٣/٧٠ ابن هشام. ت. محيي الدين عبد الحميد ط/٤ المكتبة التجارية الكبرى .

●البحر المحيط ٧/ ٢٦٣ أبو حيّان مكتبة ومطابع النصر ـ الرياض.

●توضيح المقاصد ٢/ ١٠٣ + ٣/٢٦٦ + ٤/٣ ـ ٣٢ـ الحسن بن قاسم المرادي ت. عبد الرحمان سليمان ط/٢ مكتبة الكليات الأزهرية.

●جامع الدروس العربية ٢/٢١٢ + ٣/٥٢ و٦٤ و٢٢٠ و١٢٣ و١٣٩ و١٤٥ مصطفى الغلاييني ط/٩ المطبعة العصرية.

●جواهر البلاغة /١٧٩ أحمد الهاشمي ط/ ١٢ المكتبة التجارية الكبرى.

●حاشية الصبان ٢/ ١٤١ + ٣/ ١٣٣ دار الفكر.

●الخزانة ١/ ٢١٢ + ٢/١٣٠ + ٣/ ٣١١ عبد القادر البغدادي ت. عبد السلام هارون ط/ ٢ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

●ديوان جرير / ٧٣٦ ت. د. نعمان طه ط/٣ دار المعارف.

●رصف المباني في حروف المعاني/ ٣٨٥ و٣٩٣ـ أحمد بن عبد النور المالقي ت. أحمد الخراط ـ دار القلم.

●الرماني النحوي د. مازن مبارك ط/ ٣ دار الفكر.

●شذور الذهب ١١٠ ابن هشام ت. محيي الدين عبد الحميد.

●شرح ابن عقيل ١/ ٥٩٧ + ٢/ ٢٥٥ ت. محيي الدين عبد الحميد ـ دار إحياء التراث العربي.

●شرح أبيات سيبويه ٢١٤ النحاس ت. أحمد خطاب ـ ط /١ المكتبة العربية ـ حلب.

●شرح الأشموني ١ /٣٩٠ + ٢ /١٣٥ دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي.

●شرح عيون كتاب سيبويه /١٥٧ هارون بن موسى القرطبي ت. عبد ربه ط /١ مطبعة حسان.

●شرح الكافية ١/ ٣٤٤ + ٢ /٧٥ + ٤ /٤٢٥ الرضي الأستراباذي. ت. يوسف حسن عمر ـ جامعة بنغازي.

●شرح المفصل ١ /١٢٧ + ٢ /٢ و٧٥ + ٨ /١١٨ ....١٢١ ابن يعيش ـ الطبعة الأزهرية.

●طبقات فحول الشعراء ابن سلام ١ /١٢ و١٥ و٢١ ت ـ محمود شاكر /دار المعارف.

●الفهرست للنديم ٤٦و ٧٣ ت. رضا تجدّد ١٩٧١.

●في أصول النحو ـ سعيد الأفغاني ط /٣ دار الفكر.

●قطر الندى /٢٠٤ و٢٤٣ ابن هشام ت. محيي الدين عبد الحميد ط/١٠ المكتبة التجارية الكبرى .

●كتاب سيبويه ـ ت. عبد السلام هارون١/ ٢٩١ +١٨٢/٢ و٢٢٩ و ٢٣١.

●كتاب سيبويه ـ بولاق ١/٣٠٣ + ١/ ٣٢٥.

●اللغة والنحو بين القديم والحديث /١٩٦ عباس حسن ط/ ٢ دار المعارف.

●المبسوط /٣٦١ ابن مهران ت. سبيع حمزة حاكمي ـ مجمع اللغة العربية بدمشق .

●مجمع البيان ٤/ ٤٨١ + ٨/ ٣٧٩ ط/ ٣ الطبرسي.

●المحتسب ٢/ ٣٩٩ ابن جني ـ ت. علي النجدي ناصف وزميله/ وزارة الأوقاف ـ مصر .

●محيط المحيط ٧٣٨ و١٧٢/ بطرس البستاني ـ مكتبة لبنان .

●مدرسة الكوفة / ٢٦١ د. مهدي المخزومي ط/ ٣ دار الرائد العربي .

●معجم الأدباء ـ ياقوت ١/ ٥٣ و٥٤ و٦٨ + ١٤/ ٧٥ + ١٣/ ٥ و١٦٧ عيسى البابي الحلبي .

●مغني اللبيب/ ٣٧٢ ابن هشام ت. د. مازن مبارك ومحمد علي حمد الله ـ دار الفكر.

●المفصل في تاريخ النحو ١٦٦و ٢٠١و ٢٠٢ د. محمد خير الحلواني ط/١ مؤسسة الرسالة .

●من تاريخ النحو ـ سعيد الأفغاني ط/ ٢ دار الفكر .

●الموجز في قواعد اللغة العربية/ ٣١٢ و ٣٢٠ سعيد الأفغاني ط/ ٣دار الفكر.

●الموفي في النحو الكوفي ـ الكنغراوي /٦٤ شرح محمد بهجة البيطار – المجمع العلمي العربي .

●النحو الوافي ١/ ٣٥٧ و٣٦٦ و٣٧٠ + ٢/ ٢٩٩ و٢/ ٣١٣ و٥١٨ و٥٤٤ + ٤/ ١ عباس حسن ط/ ٥ دار المعارف .

●النشر في القراءات العشر ٣/ ٢٥٤ ت. محمد سالم محيسن ـ مكتبة القاهرة .

●نصّ ألفية ابن مالك: /١٩ + ٢٢ + ٣٨ + ٤٠ + ٤١ مكتبة محمد علي صبح ١٣٢٥ هـ .

●النكت في تفسير كتاب سيبويه ١/ ٥٣٩ الأعلم الشنتمري ت. زهير سلطان ـ ط/ ١ الكويت.

●الواضح في النحو والصرف /١٧٧ و١٨٤ د. محمد خير الحلواني ط/ ١ المكتبة العربية بحلب.

إعادة بناء مفاهيم النحو

أ.د. حورية الخياط

المقدمة:

اللغة كائن اجتماعي حيّ يستمد قوته من عضويات المجتمع التي تنطق به، ويمدها في الوقت نفسه بعدد من الإمكانات والقدرات التي ما كانت لتتهيأ لنا ـ معشر البشر ـ لولا اللغة.

وهي إلى كونها كائناً اجتماعياً يتصل بالحضارة، حيّاً يتصف بالنماء والتطور وفق أنظمة مخصوصة، يمكن وصفها بأنها واسعة الأطر سعة الأفلاك، شديدة الارتباط بوجود الإنسان وقلبه وفكره، وهي موضع حبه، وسرّ نجاحه في أداء رسالته، بل إنها رأس ماله الاجتماعي الأول والعملة التي يتداولها كل يوم مع الناس، من أدنى الأرض إلى أقصاها، ومن يوم الناس هذا إلى أقصى أغوار الزمان.

يتداولها مع شركائه في الجيل الذي يعيشه، ومع الذين لثموا جبين أمهم الكبرى «الأرض»، فعانقوا التراب وغيبتهم مجرّة الزمان في أضوائها أو ظلماتها...

يتداولها حتى في مناجاة نفسه، ومناجاة زهرة أو كوكب أو بحر... أو بارق من فكر.

لهذا كله نرى الناس يختلفون لا في تعريفها، بل في محاولة التعبير عن

إحساسهم بها:

يقول عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١هـ «لولا الكلام لبقيت القلوب مقفلة على ودائعها، والمعاني مسجونة في مواضعها» (١، ص ٢) والودائع والمعاني هنا هي المشاعر والأفكار.

ويقول الكفوي المتوفى سنة ١٠٩٤هـ: «اللغة هي أصوات، بها يعبر كل قوم عن أغراضهم» (٢، ص ١٧٠).

ويلاحظ أن (الأغراض) هنا كلمة أريد لها أن تدل على المشاعر والأفكار معاً.

ويقول القِنَّوجي المتوفى سنة ١٣٠٧هـ: «واللغات إنما هي تَرجمان عمّا في الضمائر من المعاني» (٣، ص ٢٥٧).

وليس الجديدُ في هذا القول عمّا سبقه أنه أطلق «الضمائر» على القلب والفكر معاً متجوّزاً في المعاني، بل إنه بكلمة «ترجمان» يشير إلى هذا الثنائي المتلاحم «اللغة والفكر».وإلا فما معنى الترجمة هنا إن لم تكن النقل أو انتقال «كنه الفكر» ـ أو مدركه بغير حواسٍّ ـ إلى الرمز اللغوي المحسوس بحاسة أو بأخرى؟.

هذه الخطوة الصغيرة باتجاه الوضوح في فهم العلاقة بين الفكر واللغة تَمْثُلُ هنا وتتركز في مدلول كلمة «نقل»، التي تعني تلبُّس الكُنه الفكري في رمز لغوي، تلبّس جوهر الفكر في عرض اللفظ ومادته(٤، ص ٢).

لهذا كله كثيراً ما صارت كلمة «النقل» تتردد على شفاهنا كلما تحدثنا إلى طلابنا عن اللغة ووظائفها، كأن يقال مثلاً: «اللغة وسيلة «لنقل» أفكارنا ورغباتنا ومشاعرنا إلى الآخرين، وتلقي هذه الأفكار والرغبات

والمشاعر منهم».

أو أن يقال: «اللغة أبرز جانب من جوانب الشخصية، وإن أيَّ عجز في «النقل اللغوي» لا يَقِلُّ خطراً عن أي نقص في جوانب الشخصية».

أو أن يقال: تعمل اللغة وسيطاً للتفاعل بين الأفراد ولنقل واستقبال المعلومات (٥، ص٤٤٤)

وهنا نرى شيئاً جديداً هو الأداء اللغوي إن صحت تسميتنا له، وهذا الجانب يؤصل وظيفة اللغة في خدمة الفكر وييسر العمليات العقلية العليا بما يقدم لها من رموز استيعابية تتحول إلى قوالب وأساليب مطواعةٍ قابلةٍ للتنهيج والتصنيف والتحديد، فيزداد الفكر بها قوة ووضوحاً وتسلسلاً.

ولا غرو إذن في وقفة قصيرة بين أعمدة وظيفة اللغة والأداء اللغوي بإيراد النصين التاليين:

يقول ابن خلدون عن اللغات إنها: ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجَودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب (٦، ص ٥٥٤).

إذن تحققُ وظيفةِ اللغة أي جودةُ العبارة عن المعاني مرهون بتمام أدائنا اللغوي وتراكيبنا اللسانية.

ويقول إبراهيم أنيس: «تخضع كل لغة لنظام معين في ترتيب كلماتها، ويُلْتَزَمُ هذا الترتيب في تكوين الجمل والعبارات، فإذا اختل هذا النظام في ناحية من نواحيه لم يحقق الكلام الغرض منه وهو الإفهام. ولا تمثلُ مفردات اللغة إلا ناحية جامدة هامدة من تلك اللغة. فإذا نُظمت ورتبت ذلك الترتيب المعينَ سرتْ فيها الحياة، وعبّرت عن مكنون الفكر وما يدور في

الأذهان (٧، ص ٢٧٥).

وهنا مرة أخرى نجد فيما سبق حديثاً عن الوظيفة وعن الأداء في مقطع واحد يتخلله حديث عن اللغة والفكر، واستلهامات من نظرية النظم المعروفة.

اللغة العربية:

ماذا عن اللغة العربية؟

نبدأ بوظيفتها فيجزئنا أن نقول: إنها أقدم اللغات الحية على الإطلاق، أما غيرها فقد بُدِّلت تبديلاً، أو غُلبت على أمرها فأفلت أفولاً.

ووظائفها من وجهة علم اللغة العام كوظائف كل لغة. ولكن من وجهة عربية إسلامية هي الصورة المجَسِّدَة ـ أو الشكل الحسي أو شبه الحسي كما نسميه في التعليم ـ لهذا الدين العظيم: قرآنا وسنةً وفكراً.

وهي هُويَّة هذه الأمة بين أحياء هذا الجَرْم السماوي فضلاً عن أنها البرهان الناصع على عبقريتها (٤ص).

ولغتنا العربية هي وسيلتنا الأولى لنشر مطويات التاريخ، وتراثنا الديني والثقافي والعلمي والفني.. هي وسيلتنا الأولى في مسح الغبار عن مصابيح حضارتنا فتسطع، وبيان ما قدمناه للآخرين فيرد ع. (٤، ص ٥).

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «تعلموا العربية فإنها من دينكم» (٨، ص ١٨).

وقال البيروني، وهو من أصل فارسي، «والله لأن أهجى بالعربية، أحب إلي من أن أمدح بالفارسية» (٨، ص ١٩).

وقال محمد الخَضِر حسين: كتب جول فيرن قصة خيالية بناها على

سُيّاح يخترقون طبقات الكرة الأرضية حتى يصلوا أو يدنوا من وسطها، ولما أرادوا العود إلى ظاهر الأرض بدا لهم أن يتركوا هنالك أثراً يدل على مبلغ رحلتهم، فنقشوا على الصخر كتابة باللغة العربية. ولما سئل جول فيرن عن وجه اختياره للغة العربية، قال: إنها لغة المستقبل (٩، ص ١٤).

هذه المنقولات الثلاثُ التي تمر بحركة الزمان: من عصورها الأولى، إلى الوسطى، إلى الحديثة.. وبالدين والجنس: من مسلم عربي إلى مسلم مستعرب إلى جول فيرن تلقي شعاعاً رفيعاً على عظمة هذه اللغة من بدء الزمان إلى مستقبله كما في عبارة فيرن. وما أظننا بحاجة إلى مزيد من شعاع على تلك العظمة. ولكنها حبة في العقد الذي ننظمه، اقتضت منا تنويهة العجلان.

هذه اللغة العظيمة، لا غرو إذن أن يَعَضَّ عليها المخلصون بالنواجذ وينافح دونها المنافحون، ويخافوا عليها.

ولقد تمثل ذلك الإخلاص لها والنّفاحُ دونها بمظاهر عدة منها عكوف العاملين في التربية والتعليم ووضع المناهج والطرق، على التبصر بأفضل السبل إلى تعلمها.

ومنها ظهور أبحاث ودراسات عليا تتناول جوانب لغوية أو نحوية أو أسلوبية معينة، تخدم المعلم والمتعلم، بقدر ما تخدم هذه اللغة وعلومها المختلفة، تنسيقاً لها وتحديثاً.

ومنها ـ أخيراً ـ الرد على المريدين بها شراً وتمحيص دعواهم، يقول علي النجدي ناصف عن شباب هذه الأمة إنهم:

«ضحية دعوات التيسير اللغوي، التي أخذت تظهر بيننا بعد الحرب

الأولى، ولا نزال نعاني منها إلى اليوم، بل هي أشدُّ ما تكون دعوةً إلى التيسير في التعبير والأخذ منه بما يكون، ودعوة إلى التيسير في القراءة والكتابة، ودعوة إلى التيسير في الشعر والتحرر من قيوده. فساء ظنُّ الشباب باللغة، وقلّت ثقته بصلاحها على ما هي عليه» (١٠، ص ١).

هذا الإشفاق والخوف على العربية ما إخالُ النجدّي يرمي من ورائه إلى رفض التطوير نحو الأفضل في علوم اللغة العربية، بما تنتفع به من معطيات التحديث ولكن أخشى ما يخشاه ألا يسيرَ التطويرُ نحو الأفضل، وألا يُراعى فيه ما يوائم طبيعتَها العامة وخصائصها في كل وجه. ولا شك أن في التحديث ما هو غث وسَمين، ما قد يقبله جسم هذه اللغة، أو يتأذى منه فيرفضه، ولا إكراه في اللغة أولها أو عليها.

بعبارة أخرى يمكن القول: إنه خوف على اللغة حقيق وجميل، خوف من سوء التقدير حين تمتد إليها الأيدي المطوّرة، خوفٌ من أن تفقد تلك الدقة الرائعة والفروق المرهفة في المعاني وأساليب التعبير عنها ووسائله. خوف من أذهان المطوّرين ألا تملك بداخلها الأنامل الناعمة التي تُحِسُّ بأدنى خرق معنوي (٤، ص ٧).

نظن هذا الظن الحسن بـ علي النجدى لأننا نسمعه بعد ذلك يقول: «العربية لغة حساسة، بل دقيقة الإحساس في مفرداتها وأساليبها جميعاً، فما يكاد يصيب هذا أو تلك شيء من تغيير حتى يكون له صدى في معناها على وجه من الوجوه» (١٠، ص ٩).

النحو العربي :

وتبدو الدقة في الفروق المعنوية من خلال الخبر التالي الذي يذكر بإيجاز فيه:

قال الكسائي: اجتمعت أنا وأبو يوسفَ القاضي عند هارونَ الرشيد فجعل أبو يُوسف يذمّ النحو.. فقلت: .. ما تقول في رجل قال لرجل أنا قاتلُ غلامِك؟ وقال له آخر: أنا قاتلٌ غلامَكَ، أيهما كنت تأخذ به؟ قال: آخذهما جميعاً. فقال له هارون: أخطأت.. فاستحيا وقال: كيف ذلك؟ قال: الذي يؤخذ بقتل الغلام، هو الذي قال: أنا قاتلُ غلامِكِ، بالإضافة، لأنه فعل ماض، وأما الذي قال: أنا قاتلٌ غلامِكِ، بالنصب فلا يؤخذ، لأنه مستقبلٌ لم يكن بعد، كما قال الله عز وجل: ﴿ولا تقولّن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾. فلولا أن التنوين مستقبل ما جاز فيه «غداً» فكان أبو يوسف بعد ذلك يمدح العربية والنحو» (١١، ص ١٧٧).

يقول عبد القاهر: «واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهِّجَتْ، فلا تزيغَ عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسِمَتْ لك فلا تُخلَّ بشيء منها» (١٢، ص ٥٥).

والذي يعنينا من هذه المقولة الآن أنها تضيف إلى ما سبق تصورهُ منذ البداية الأولى، تصوراتٍ جديدةً واعتباراتٍ، لن تلبث حتى تُغنى بتصوراتٍ أخرى ونحن نتحدث عن النحو. فإذا بها جميعاً تتضافر لتساعد على تحديد المشكلة التي تتناولها هذه الدراسة.

ـ أولُ تصورٍ ضمن هذه المقوله هو النظام الفلكي اللغويّ الذي يضع الكلام في مدار قضت به ورسمته له قوانين النحو وأصوله ومناهجه.

فإذا عرفنا أن أصل الأصول في النحو هو «المعنى» العقلي، وأن «مناهجه» هي أساليب العرب وسَمْتُ كلامهم، وأن العرب أمة حكيمة.. إذا عرفنا ذلك كلّه استبانت حاجة كلٍ من العقل، واللغة: إلى «مفاهيم» يتداولانها.

- وإلى منطق من نوع ما، قد نسميه منطق اللغة أو منطق المعاني. يراقب سير هذا وتلك (أي المعنى العقلي واللغة) كلاً في مداره، والمداران متواكبان.

يؤكد هذا أي ما سبق ذكره من أمر اللغة والمعاني ومداريهما ورقابة من منطق، نص آخر للجرجاني يقول فيه: «الاختصاص في الترتيب يقع في الألفاظ مرتباً على المعاني، المرتبة في النفس، المنتظمة فيها على قضية العقل» (١، ص ٤).

ويقول محمد الخَضِر حسين: من يرجع إلى حال نفسه عند إلقاء العبارة يشعر بأنه لا يحرك بها لسانه إلا بعد أن يتصور معانيها المفردة، ويضم بعضها إلى بعض بروابط النسب الإسنادية أو التقييدية في ذهنه. فيأخذ كل معنى من جُهة التقديم والتأخير رتبة في النفس يستحقها بطبعه، كالفاعل يخطر على البال قبل المفعول، والموصوف يجري على المخيلة قبل صفته. وقد يعرض لبعض المعاني حال تُنقله عن مرتبته الطبيعية وتُعطيه في نفس المتكلم منزلة ثانية» (٩، ص ١٣١).

من النصين السابقين يمكن أن نفهم أن هنالك كوكبين: المعاني، ومدارها النفس أو الذهن أو العقل أو الفكر.. واللغة، ومدارها ألسنة العرب

وأساليبهم وسمتُ كلامهم، أما الناظم بين هذين المدارين، الواصل بينهما، فهو ما أسميناه «مفاهيم» وإنما استُمد هذا العنصر الثالث ـ أي المفاهيم ـ من كلمة الجرجاني: «المنتظمة»، أو كلمة محمد الخضر «يتصور..».

وتستوقفنا في عبارة الأخير أيضاً قوله فيأخذ كلٌّ معنى.. رتبة في النفس يستحقها بطبعه. يقصد أن رتبة المعنى إنما هي في النفس، وأن المعنى إنما يستحقها بطبعه هو.

وعلى هذا، فالمعنى أصل والنحو قرين، لأن الرتبة النحوية إنما تؤصل رتبة المعنى التي في النفس.

وما أكثرَ ما يمر في كتب النحو قولهُم متقدمٌ لفظاً متأخرٌ رتبةً، أو العكس.

هنا، مع بدء الوصول إلى الحديث في النحو، بدأت أعراض المشكلة تتوضح، أنها مشكلة لغوية نحوية معاً، مشكلة الأثر المتبادل بين اللغة والفكر. ولابد أن خللاً ما قد اعترى ذاك الأثر أو تلك العلاقة، فألقى عقابيله في تربيتنا لطلابنا، وفي فكرهم ولغتهم معاً، بمقدارين متساويين، بل إنه في اللغة أزيد، وفي النحو منها على وجه أخص

وظيفة النحو:

يقول عباس حسن: النحو وسيلة المستعرب، وذخيرة اللغوي وعماد البلاغي، وأداة المشرّع والمجتهد، والمدخل إلى العلوم العربية والإسلامية جميعاً

(١٣، ص ٦١).

كلام جامع مفيد ولا سيما أن المشكلة التربوية التي نسعى إلى تحديدها لا تَعدِم أن تكون ذات صلةٍ بالنحو أو اللغة أو البلاغة، وذات أثر على كل العلوم المدرسية الأخرى بله العربية والإسلامية.

ويقول ابن خلدون: «والذي يتحصل أن الأهم المقدَّمَ منها ــ أي من علوم اللسان العربي ـ هو النحو. إذ به تتبين أصول المقاصد بالدلالة، فيُعرف الفاعل من المفعول، والمبتدأ من الخبر، ولولاه لجهل أصل الإفادة.

ويقول إبراهيم مصطفى: النحو «قانون تأليف الكلام وبيان لكل ما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة، والجملة مع الجمل، حتى تتسّق العبارة ويمكن أن تؤدي معناها» (١٤، ص١).

يتبين من النصين السابقين أصول المقاصد بالدلالة، ومعرفة أصل الإفادة وسلامة التفاهم وأداء المعنى.

هذه هي كبرى وظائف النحو إذن فلا غرو أن يتقصى الإعراب دربه لخدمة المعاني.

يقول ابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥هـ: فأما الإعراب، فيه تُميَّزُ المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين، وذلك أن قائلاً لو قال: (ما أحسن زيد) غير معرب لم يوقف على مراده، فإذا قال (ما أحسن زيداً) أو (ما أحسنُ زيدٍ؟) أو (ما أحسنَ زيدٌ) أبان بالإعراب عن المعنى الذي أراده (١٥، ص ١٦١) تعجباً كان أو استفهاماً أو نفياً.

ويقول إبراهيم مصطفى: «من أصول العربية الدلالة بالحركات على المعاني» (١٤، ص ٤٨) ولا شك أن قوله (من أصول) تعني أن الحركات

قرينة كبرى أصيلة في النظام النحوي.

ثم يأتي بعده علي النجدى فيقول: «نستدل على صلة الإعراب بالمعنى من وجهين:

الأول: هذه القراءات المتعددة التي قرئ بها القرآن وكان لكل منها توجيه في معاني الآيات التي قرئت بها».

ثم يذكر الوجه الآخر، وإذا هو «عرض صور من الأساليب لا يتضح معناها إلا بالإعراب» (١٠، ص ١١).

هذا، وليس فيما قدم من نصوص (بدأً من ابن فارس) مساسٌ بالقرائن النحوية الأخرى ـ إذ لو تأملنا جيداً قواعد نحونا العربي، لرأيناها تعتمد على القرائن المعنوية واللفظية معاً وهي تعتمد على الحركات بقدر اعتمادها على بقية القرائن اللفظية، وليس لنا أن نغمط النحاة حقهم وصنيعهم هذا أما ما قد يلاحظ من عنايتهم بالحركات حتى كادت تكون هي النحو كلّه ـ كما يقال أحياناً ـ فمرده هنا أن الحركات أبرز المعايير وأقربها تناولاً في سبر تمكن القارئ والمتكلم من لغته ونحوها، فضلاً عن دورها ـ كسائر القرائن الأخرى ـ في إزالة اللبس في الفهم والإفهام.

وهذا ما ألمع إليه عبد القاهر الجرجاني من وجوب الاعتماد على قرائن أخرى. إضافة إلى الحركات في قوله: «لا يكون الضم فيها ضماً ولا الموقع موقعاً، حتى يكون قد توخى فيها معاني النحو، وأنك إن عمدت إلى ألفاظ فجعلت تتبع بعضها بعضاً من غير أن تتوخى فيها معاني النحو. لم تكن صنعت شيئاً تدعي به مؤلفاً» (١٢، ص. ٢٤).

إذن الإعراب ليس علماً يعنى بالحركات ولكنه علم يتجه إلى الفكر

ليساعده على فهم المعاني. ولا يتأتى له ذلك إلا بتضافر القرائن الدالة على المعاني النحوية من علامات، ورتب، ومطابقة، وإسناد وربط (١٦، ص ١٩١- ٢٠٥) وغير ذلك. دون الاكتفاء بمفهوم أواخر الكلمات وهذه نقطة هامة أو قرينة جديدة تُومِئ بأصبع الاتهام إلى ما أومأت إليه نصوص سابقة من أن المشكلة التي نتتبعها تكمن في تعطيل الدور الوظيفي للقرائن النحوية الأخرى، وفي التشبث بالظواهر اللفظية وحدها في تعليم النحو واللغة.

العلل النحوية:

ثمة نقطة هامة ـ تستمد قوتها من قدمها وتواترها المتصل منذ سيبويه هي «العلل النحوية» يقول الزّجاجي: «وعلل النحو بعد هذا على ثلاثة أضرب: علل تعليمية، وعلل قياسية، وعلل جدلية نظرية.

فأما التعليمية فهي التي يتوصل بها إلى تعلم كلام العرب» (١٧، ص ٨٨) وهذا بيت القصيد من النحو وتعليمه، فقد فكر بعقلٍ تربويٍ مبكرٍ عندما سماها تسمية عصرية «بالعلل التعليمية».

ثم يورد ابن جني تقسيماً آخر للعلل يقول فيه: علل النحويين على ضربين: أحدهما واجب لابدّ منه، لأن النفس لا تطيق في معناه غيره والآخر ما يمكن تحمله، إلا أنه على تجشم واستكراه (١٨، ص٨٨).

ثم يأتي ابن مضاء فيقول: «ومما يجب أن يسقط من النحو العلل الثواني والثوالث» (١٩، ص ١٥١).

إذن.. هناك ميل إلى اختصار الأضرب، وإجماع ــ رغم اختلاف

المذاهب ـ على علل الدرجة الأولى وحدها.

ولا غرو في هذا ما دامت علل الدرجة الأولى عند النحويين الثلاثة ومن وراءهم أشدّ العلل لصوقاً بالمفاهيم النحوية، وبالتالي بمعنى الكلام أو بالفكر.

فحريّ بالمنهجيين إذن أن يأخذوا بهذه النتيجة التي انتهى إليها أمر العلل وأضربها، وذلك بالاقتصار على ما يناسب مستويات التلاميذ من العلل التعليمية.

وصفوة القول: إن الفكر الإنساني أغلى ما يملكه الإنسان، ولن يتهيأ إغناؤه واستمطاره إلا باللغة، وبحسن أدائها لوظائفها في مواكبتها للفكر، وما الناظم لهما معاً ـ كما استخلص من الصفحات السابقة ـ سوى المفاهيم.

«فكراً، ولغة، وناظماً لهما هو المفهوم»

وكذلك الحال في المنظومة الأخرى المكملة للأولى:

«لغةً سليمةً، ونحواً وظيفياً، وناظماً لهما هو المفاهيم النحوية المعولة على المعاني»

وهذا يعني أنه لن يتهيأ إغناء لغتنا ولغة طلابنا واستمطار طاقاتها وتحسين أدائها لوظائفها في مواكبتها للفكر إلا بنحو وظيفي تربوي التنهيج، وما الناظم للغة والنحو ـ ومن ورائهما الفكر ـ سوى المفاهيم النحوية، تلك المفاهيم التي لابد لعلم التربية أن يسهم في تقديم مستحدثاته بشأنها، ويجري عليها أبحاثه وطرائقه، فيعود النحو وليس فيه مشكلة تعليمية.

إذا كانت السطور قد بينت ثلاثة عناصر في الدراسة هي النحو واللغة والفكر فإن مهمتنا فيما سيأتي أن نكشف العنصر القيادي في علاقات هذه

العناصر بوصفه نقطة البداية في المشكلة.. إنه النحو الذي يحمل العبء الكبير في إرهاف اللغة حين تنقل الغدق الفكري بين متواصلين. فإذا تذكرنا ما سبق قولنا فيه من أن تواصل الأفكار لا يكون إلا باللغة ثم أضيف إليه أن اللغة ـ ومن ورائها التواصل ـ رهينة بما يمنحها النحو من رهافة التعبير ودقة الحس اللغوي . .أمكن القول إذن:

إن أي قصور في النحو سيشد وراءه قصوراً في وظيفة اللغة وأي قصور لغوي سيفدحنا بخسارة بل خسائر في التواصل والفكر معاً.

وهذا يعني أن النحو وإن لم يكن أهم الأركان الثلاثة في قيمته، فهو مالك ناصيتها جميعاً لأنه أهمها وظيفة. ولابد إذا أريد لها جميعاً أن تتسق وتسمو من أن نتجه إلى هذا النحو في كل مجال: في المدارس، في الكتب المطبوعة، في أقلام المثقفين وألسنتهم.. نتجه إليه ليُرى هل هو في الوضع القويم: عناية، وفهماً، وتطبيقاً، وتعليماً، وطريقة.

بمعنى آخر:

- ما حاله في مدارسنا ومعاهدنا؟
- هل يستظهر فيها استظهاراً بظهر الغيب من مفاهيمه الأساسية؟
- هل يدرك بوعي كاف لتلك المفاهيم النحوية؟
- هل ثمة شكوى منه صارخة؟
- هل تقع المسؤولية (كلُّها أو جلها) عليه؟

هذا ما يجب أن نتلمس أصداءه من خلال جهود العلماء والمجامع اللغوية في تيسيره.

النحو مشكلة تربوية:

للإجابة عن السؤالين السابقين: إن الشكوى حاصلة وهي لا تدين النحو وحده ولكنها تدين معه علوماً لغوية أخرى، وإن كانت في النحو والإعراب أعلى، والشكوى منه قديمة بدليل الأسماء التي كان النحاة يطلقونها على كتبهم نحو: مختصر النحو للمتعلمين للجرمي سنة ٢٢٥هـ الإيضاح للزجاجي ٣٣٧هـ التسهيل لابن مالك

ولكن الشكوى القديمة لم تصل إلى الحد الذي استفحل الأمر فيه حتى بلغت هذه النهاية.

إن الشكوى بدأت مكبوتة ولكنها آخر الأمر باتت صارخة حين «بلغت الحلقوم» تجلجل أصداؤها الأسماع. فقد تفشى الخطأ وشاع، وجأرت الأصوات بالشكوى وتنوعت مسارب الشاكين من شكاة تقول: العربية صعبة، وأخرى تذهب إلى المناهج المدرسية وكتبها وطرائقها.. إلى غير ذلك.

الموجة الأولى من محاولات تيسير النحو:

كل هذا، وقع فعلاً ،وبدأت ردود الفعل تظهر، ولكن على صعد غير رسمية، أما في ردهات المؤتمرات الرسمية والندوات والمجامع واللجان فقد بدأت محاولات من نوع آخر منذ عام ١٩٣٨ حين شكلت وزارة المعارف المصرية لجنة من كبار الأساتذة للبحث في تيسير «قواعد العربية» وانتهت هذه اللجنة إلى مقترحات عدتها خطوة أولى في سبيل هذا التيسير، ثم أدرجت هذه المقترحات في تقرير رفع إلى مجمع اللغة العربية في القاهرة.

ومما جاء في ذاك التقرير: قد نيسر النحو حتى نجعله من أيسر الأشياء

وأهونها وقد نصلح علوم البلاغة حتى نجعلها من أشد الأشياء لحاجة القارئ، ثم لا يبلغ ذلك بنا ما نريد من تعويد الشباب أن يتخذوا اللغة العربية الصحيحة وسيلة عملية، يؤدون بها ما يؤدى من الأغراض في غيرها من اللغات الحية، لأن الشباب لا يتعلمون هذه اللغة، كما يتعلم الشباب في الأمم الأخرى لغتهم (٢٠، ص ١٤).

يفهم من هذا النص أن الشكوى ليست في النحو وحده ولكنها أيضاً في الطريقة التربوية التي تبنى بها الذهنية النحوية في تلاميذنا بناءً جديداً. هذه اللفتة البارعة التي اهتدت إليها اللجنة (من أن القضية تربوية بقدر ما هي لغوية نحوية) هي أول لفتة من نوعها وأعلاها أهمية وشأناً.

درس المجمع التقرير والمقترحات المرفوعة إليه، ثم وكل أمرها إلى جهات التنفيذ العلمي لما أقر منها، فأحيلت إلى رجال التربية والتعليم، فأقروا «أنه لا مناص من أن نتخذ طريقة مرسومة مصطنعة يستعان بها في تعليم القواعد والتفطن إلى أصول اللغة ليتوكأ عليها في تقويم اللسان وتصحيح الكلام، ونخرج بتعليم اللغة من طريق الفطرة إلى طريق الفطنة».

أقروا قولهم ذاك، وكتبوا وكتب غيرهم، وبسطوا وعدّلوا، ولكن الشكوى ظلت قائمة، لا لشيء سوى أن العملية سارت في طريق التيسير النحوي وحده و لم تتعدّ ذلك إلى الجانب التربوي الهام من المشكلة وهو جانب تعليم النحو.

هذا التعثر الذي اعترض الموجة الأولى ـ من موجات أربع ـ في تيسير النحو وتعليمه في الثلاثينيات من هذا القرن، يؤكد بجلاء تام أن قضية النحو «قضية تربوية قبل كل شيء» (٢٠، ص ١٥) وهو ما اتفقت عليه المجامع

اللغوية في دمشق وبغداد والقاهرة.

الموجة الثانية:

ثم كانت سنة ١٩٤٢ فبدأت معها (الموجة الثانية) من حركة تيسير النحو وتعليمه، وذلك بتأليف لجنة في مجمع القاهرة في السنة نفسها، ثم بانعقاد جلسات خاصة في أثناء مؤتمر ١٩٤٥، وأخرى في المؤتمر الثقافي العربي الأول لجامعة الدول العربية سنة ١٩٤٧ بلبنان، ومثلها في مؤتمر ١٩٤٨ لمجمع القاهرة، وأخيراً بالدعوة التي وجهها المجمع نفسه إلى وزارات المعارف العربية والهيئات التعليمية العربية سنة ١٩٤٩ للأخذ بما تقرر في هذا الشأن (٢١، ص ٩٢- ٩٣).

الموجة الثالثة:

سنوات، ثم انطلقت (الموجة الثالثة) حين عقد بدمشق عام ١٩٥٦ المؤتمر الأول للمجامع اللغوية، وأقر الكثير مما تحقق في هذا المضمار ثم دخلت سنة ١٩٥٧ فانعقد مؤتمر مفتشي اللغة العربية للمرحلة الإعدادية في القاهرة (٢٢، ص ٦) فكان من نتائجه الملموسة... كتاب خاص بالمعلم، وآخر بالتلميذ، بمعنى أن ثمة خطوة أنجزت في اتجاه الحل التربوي للمشكلة النحوية. ثم وضعت هذه الخطوة موضع التجربة ثلاث سنوات أو تزيد، أعقبها انعقاد حلقة تيسير النحو في كلية دار العلوم بالقاهرة سنة ١٩٦١.

وإذا كان مؤتمر ١٩٥٧ قد انتهى إلى وضع الكتابين الآنفي الذكر، فقد انتهت حلقة دار العلوم هذه إلى وضع مشروع مناهج جديدة للنحو في المراحل الثلاث (٢٣، ص ١- ٧).

وما كادت السبعينات تطل حتى تجددت الشكوى وأخذت بالتعاظم شيئاً فشيئاً، وكأن العصر تجاوز ما تمّ إنجازه في هذا السبيل، فبات لزاماً على رجال التربية والتعليم أن يغذّوا السير للوصول إلى حلول جذرية عبر محاولات علمية تربوية واضحة في تطوير تعليم اللغة العربية تتضمن أهدافاً ومحتوى وطرائق وتقويماً منهّجاً.

الموجة الرابعة

مرحلة المؤتمرات المتتابعة:

من هنا دخلت المشكلة مرحلتها الرابعة، فكانت بحق أغنى المراحل الأربع وأعرضها أفقاً وأعمقها جذوراً وأدقها تحديداً. ولا غرابة إذا سميناها «مرحلة المؤتمرات المتتابعة» لما كان فيها من نشاطات متواصلة استمرت سنين عدداً. عُنيت بدراسة المشكلاتْ المتصلة بتعليم اللغة العربية، ضمن برنامج مستمر اقترحته إدارة التربية بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لبحث هذه المشكلات وتيسير تعليمها (٢٤، ص ١).

وكان نصيب النحو من الأهمية:

المشكلة (١): يشتمل منهج النحو على قواعد كثيرة منها ما هو غير وظيفي في الحياة، ومنها ما هو أثر الصنعة النحوية. وهذا كله يشتت جهد التلاميذ وينفرهم من تعلم القواعد كما أنه يجعل من الصعب عليهم استيعابها وفهمها وإتقان استخدامها (٢٥، ص ١).

المشكلة (٢): وقد بذلت جهود متعددة لتيسير هذه القواعد سواء من جانب بعض الباحثين أو في إطار المجامع اللغوية والكليات الجامعية.

ولكن هذه الجهود لم تنته إلى عمل واضح متكامل يمكن أن يقوم على أساسه تعليم النحو في مدارس التعليم العام، وما زال التلاميذ إلى الآن يشكون من صعوبة القواعد النحوية واضطرابها، ومن طول الوقت الذي ينفقونه في تعلمها مع قلة العائد منها (٢٥، ص ٣٧).

ثم كانت ندوة الجزائر عام ١٩٧٦...

المشكلة، واتحاد المجامع اللغوية:

هذه الندوة التي حددت هدفها في عبارة مغايرة هي «تيسير تعليم النحو العربي (٢١، ص ١) بمعنى أنها لم تحرص على جمع مشكلات تعليم اللغة العربية بكل فروعها، بل كان حرصها وتوصياتها ومقرراتها وموضوعاتها والمناهج التي اقترحتها.. منصرفة إلى «تيسير تعليم النحو» وحده، مستفيدة في ذلك كله من خبرة المجامع اللغوية التي احتضنت قضية التيسير بشقيها: تيسير النحو، وتيسير تعليمه، مما أكسبها راعياً أميناً واعياً لها.

اللسانيات وتيسير تعليم اللغة:

وفي ندوة الرياض ١٩٧٧ طُرح جديد هو «أثر اللسانيات في النهوض بمستوى اللغة العربية» وهذا يعني أن نستفيد من العقول الجبارة في تراث السلف وما عند العرب من علوم لسانية يمكن أن تخدم لغتنا واللغات الأخرى جمعاء بالإضافة إلى الاستفادة من التطور الذي وصلت إليه الدراسات اللغوية والتربوية في هذه البلدان المتقدمة، سعياً إلى توازن لغوي خلّاق بين الولاء للماضي العريق الفذّ، والالتزام بالحاضر المبشر بالإمكانات

الزاهية (٢٦، ص ٦٧).

وإذا كان تعليم اللغات مرهوناً بكيفيات الاكتساب، وهذه بدورها مرهونة بما ندعوه التربية اللسانية أو اللسانيات التربوية.. إذن إن مقومات ذاك التعليم: تربية ولسانيات ونظريات ومفاهيم ومناهج وتجربة..

وبعبارة الندوة نفسها بأن هناك «مجموعة من المفاهيم والتصورات العلمية وبجنبها مجموعة من المناهج التحليلية عند أقدم النحاة العرب، لا تقل أهمية عما أثبتته اللسانيات الحديثة» (٢٧، ص ١٠٤).

وفي موضع آخر: يجب على المربي «إحصاء المفاهيم التي يحتاج إليها المتعلم في مرحلة ما وتحديدها تحديداً علمياً» (٢٧، ص ١٣٠).

هذا القول وذاك يصلان بنا إلى النهاية الدقيقة في هذه السلسلة من الأمور المرهون بعضها ببعض، كما يصلان بنا إلى الجزم بأن كلمة مفاهيم لم تكن في النص عابرة، ولكنها الجزئية الأولى التي نبدأ منها البناء الفكري لنحونا العربي. وطبيعي ألا يسلم الكل ما لم يسلم الجزء أولاً. ومن هنا كانت المفاهيم محور أحدث الدراسات اليوم وأرقاها وأدقها في تطوير المواد المعرفية وكيفية اكتسابها.

ومن هنا برزت الحاجة إلى إعادة بناء المادة الدراسية النحوية في ضوء الاهتمام العالمي الحديث لدى التربويين بتعليم المفاهيم وتحديدها وتنظيمها بوصفه المدخل العلمي الصحيح لتيسير تعلم النحو، لأن تعلمها هو الأصل والمحور والأساس في كل استيعاب، ولأن المفاهيم نفسها هي الأصل والمحور والأساس في كل مادة علمية يراد إعادة بنائها.

من جهة أخرى تمر المفاهيم العلمية بالطالب والمدرس عبر مرحلتين:

مرحلة يكون المفهوم فيها هدفاً ـ تعليمياً تعلمياً ـ وذاك إبان النشاطات المؤدية إلى تشكيل المفهوم عند الطالب وترميزه بمصطلحه.

ومرحلة يكون المفهوم فيها وسيلة عقلية، أو ضابطاً ناظماً، أو معياراً مقنناً بشروطه الخاصة، لسلامة ما ينطق به الطالب أو يكتبه، مبرأ من الضعف والخطأ.

وإذا كان المصطلح «لفظاً» فإن وراء كل مصطلح «مفهوماً» هو حصيلة كل ما يتصل بذاك اللفظ من دلالة وشروط ووظيفة ومثال تطبيقي يحتذى، وناهيك بهذا معياراً.

معنى ذلك أن الطالب مستفيد من كلا المرحلتين في آن معاً، فهو يقارن، ويدرك الفروق ويربط ويصنف ويدرس الشروط، ويجرّد ويعمّم.. حتى يتشكل المفهوم عنده ويتحدد مصطلحه لديه.

ثم يحلّل، ويميّز، ويتحرّى الشروط، ويستنتج، ويحكم، ويتلمس المعنى الوظيفي.. حتى يتسنى له الاستخدام الصحيح، بإعراب قويم.

ونعني بالمفهوم الخصائص المشتركة التي يلتقي بها أفراد صنف واحد من الأشياء مثل العدد الكسر ـ الزواحف.

بناء المواد الدراسية على أساس المفاهيم:

أول ما يجب التسليم به أن فهم أساسيات العلم يعتمد أساساً على المفاهيم سواء باعتبارها نوعاً من التصميمات التي تلخص الصفات المشتركة بين الكثير من الحقائق الجزئية أو باعتبارها نقاطاً مبدئية لفهم المبادئ والقوانين والنظريات (٢٨، ص ٥).

وهذا يعني أن الاعتماد على المفاهيم في إعادة بناء المادة الدراسية يعطي ذاك البناء القدرة على تحويل المعارف إلى خبرات ومهارات تظهر في سلوك المتعلم ومناشطه في مختلف المجالات.

والمفهوم بكونه محور علاقات كلّ بجزء، مفهوم بسمة، وعلاقات جزء بكل حين ينقلب إلى سمة لمفهوم، وكلّ بكل كالمبتدأ والخبر، وهو بهذه المحورية يحرّك الكثير من العمليات العقلية فينميها كجمع الحقائق والتركيب واكتشاف العلاقات والموازنة والتعليل والربط والتصنيف والاستقراء والاستدلال والاستنتاج والتجريد والتعميم وإصدار الأحكام.

وإذا كانت دراسة المفاهيم كشفت عن أخطاء كثيرة في مفاهيم الطّلاب الأمر الذي لا يتفق مع طبيعة المفهوم وطريقة تكوينه ونموه، فإن هذا يعني أنه لابد من توجيه أنظار المعلمين إلى الفروق بين أوجه التعلم المختلفة من حيث أسلوب تعلمها وبالتالي فإنه لابد عند وضع خطة التدريس من تحليل المادة العلمية لتعرف نوع متضمناتها (حقائق جزئية ومفاهيم ومبادئ ومهارات واتجاهات) ليتمكن المعلم من اختيار أساليب التدريس المناسبة لتعلم كل منها. فالحقيقة مثلاً يتعلمها الطالب عن طريق التعرف عليها مباشرة (عن طريق حواسه) بينما تعلم المفهوم يقتضي أن يمارس الطالب فيه عمليات المقارنة والتمييز والتجريد بين مواقف أو حقائق جزئية (٢٨، ص ٨٤).

وهذا ما أكدته الأبحاث التربوية والنفسية الحديثة كما عند برونر

وغالبرن وفيجوتسكي وبياجيه وهيلدا تابا.

إعادة بناء المفاهيم النحوية:

نتناول هنا مفاهيم علمية محددة المادة – وهي النحو – لتكون النموذج الحسي للنظام الذي يتوسم فيه القدرة على حل المشكلة النحوية تربوياً.

وتبنى المادة النحوية وفق الأسس التربوية والنفسية التالية:

أول هذه الأسس أو منطلقها الأول إنما هو التعريف الإجرائي للمفهوم النحوي الذي وصفناه وهو أنه «صيغة التفكير المجرد التي تعكس السمات الجوهرية لمجموعة من الكلمات ذات العلاقات القائمة بينها لتؤدي إلى فهم الظاهرة اللغوية، ويتم تكوين المفهوم النحوي من خلال تضافر هذه السمات للدلالة على الباب النحوي.

ذلك لأن التعريف السابق يتضمن في الحقيقة:

ـ المواد الأولية، أو العناصر التي تبنى بها القاعدة النحوية ووظيفة كل عنصر في البناء، والنمط العلائقي في طريقة تكوينه والفرضين ـ النفسي والنحوي ـ لما يمكن أن نسميه مجازاً «حركة القاعدة». ومعنى ذلك أن العناصر هي المفاهيم السابقة التأسيسية التي تشكل السمات الجوهرية للمفهوم الجديد والعلاقات القائمة بينها وأما وظائفها فهي على التوالي:

التأسيس، التشكيل، التضافر، الدلالة على الباب النحوي وأما النمط العلائقي فهو الصيغة التي تعكس السمات والعلاقات بتضافر ما بينها. وأما الفرضان، فالنفسي منهما هو التفكير المجرد، والنحوي هو فهم الظاهرة

اللغوية.

ولا تكون القاعدة النحوية حيّة فعالة إلا إذا كانت قادرة على تحريك الفكر نحو إدراك العلاقات بين الكلم.

هذا التوضيح للتعريف الإجرائي الذي وضع للمفهوم النحوي استند إلى عدد من الأسس التربوية والنفسية في ميدان بناء المفاهيم التي تبدأ بالمفاهيم التأسيسية السابقة ثم ترتيب السمات في القاعدة وبيان العلاقات من خلال تضافر السمات ليتكون المفهوم النحوي.

ومن ناحية أخرى فإن الاعتبارات التربوية يمكن إجمال الحديث عنها مجتمعة بقولنا:

هناك طبيعتان ليس بالإمكان تجاوزهما في عملية البناء هذه هما طبيعة هذه اللغة وأساليبها ونحوها وجهود العلماء فيه وطبيعة تلاميذ المرحلة الذين يدرسون هذه المفاهيم وقدراتهم العقلية إذ أن لطبيعة التلاميذ حدوداً يمكن ملاحظتها من خلال قوانين نمو المفاهيم العلمية في وعي التلاميذ، ذلك لأن عملية تكوين المفاهيم هي حركة للتفكير داخل هرم من المفاهيم تتغير باستمرار بين اتجاهين«من الخاص إلى العام، ومن العام إلى الخاص» ولكن خلال عملية عقلية تسهم فيها كل الوظائف العقلية الأولية في تضافر معين (٢٩، ص ١٩٨ - ١٩٩).

وتبدو فعاليات تكوين المفهوم ومراحله من خلال النص السابق هي نفسها المراحل والفعاليات الفكرية التي يمر بها التلميذ عندما يحل مشكلة ما. وهذا يعني أن النهج المفهومي الذي يطرح ليس غريباً على التلميذ، ولا مفروضاً عليه من خارج. بمعنى أنه إذا تم الانطلاق من سيكلوجية التلميذ،

وربطها بمراحل تكوين المفهوم مع مراعاة التوازي بينهما، فإننا نكون قد اتجهنا نحو تكوين سلوك عقلي متطور لن يلبث حتى يحل محل العادات اللغوية التي ورثها التلميذ من بيئة من غير خضوع لقواعد هذه اللغة ونحوها. ولاشك أن معرفة القناة التي يمر بها تفكير التلاميذ يطلعنا على كيفية استيعابهم للقواعد وتمثلها. ومعرفة هذه الكيفية تيسر على المعلم والمتعلم جهدهما المشترك.

هذا الاستيعاب الذي نسعى إليه ينطلق من استيعاب الأجزاء أي ـ السمات ـ لينتهي باستيعاب كلي للمفهوم، كما أنه بعد الانتقال من خاص إلى عام لابد في هذا النهج من عودة عكسية من عام إلى خاص أي من المفهوم الكلي إلى تطبيق سماته واحدة بعد أخرى على المثال، وبذلك تكون قد أوصلت المتعلم إلى الحقائق الدرسية لا بالحفظ والاستظهار ولكن بقدر من التفكير والمحاكمة العقلية. وهذا واحد من الفروق الهامة بين النحو التعليمي قديماً ونظيره المنشود حديثاً.

فالقواعد في النحو القديم «تعاريف» مكثفة مركبة تطرح كاملة لتحفظ، وهي في الجديد سمات يستوعبها التلميذ استيعاباً مرحلياً تراكمياً، سمة بعد سمة حتى تتضافر لديه ويتكون المفهوم، ومن هنا تكون القاعدة في هذا النحو التربوي الحديث على النحو الآتي:

القاعدة = مفاهيم مكونة من سمات مرتبة ذات حالات وأنواع وفق تنظيم المادة العلمية في نسق جديد، التنظيم نفسه يسهل العمليات العقلية المرافقة لاكتساب المفهوم أي يسهل التعلم ويعمق آثاره وهذا مطلب تربوي كبير ولا سيما في النحو العربي لأن بناء مفاهيمه بمقتضى هذا البحث

وتدريسه بالطريقة المفهومية سيؤديان بالتلميذ إلى أن يتعلم: كيف يتعلم النحو بطريقة نحوية لأن الطريقة أيضاً واحدة من الأسس والاعتبارات التربوية في هذا البناء (٤، ص ١٤٦).

إن التأكيد على خصوصية الطريقة هنا نظراً لمسوغين أساسيين:

أولهما: أن العلوم جميعاً يرتبط تدريسها وتعلمها بالعمليات العقلية.. الأمر الذي يجعل المقبلين على تعلمها متساوين في ذاك التعلم تقريباً، أما النحو فإن تدريسه يرتبط بالعمليات العقلية من جهة، وبجذور السليقة اللغوية الموروثة من جهة أخرى. وهذا يعطي تدريس اللغات وقواعدها مزيداً من الخصوصية في الطريقة فضلاً عن المضمون.

ثانيهما: أن وراء كل طريقة هدفاً تسير إليه، وكلما اشتد التحام الطريقة بالهدف، وزادت المواءمة بينهما كان بلوغ الهدف أسرع وأيسر وأحكم.

والهدف الذي يسير البناء وفقه هو قبل كل شيء البعد عن عملية الاستظهار الصماء ليحل محلها الوعي والاعتماد على النفس والجهد الفكري الذاتي وتكوين أنماط سلوكية في الدراسة والتعلم والتفكير والتدرج في تعليم المفهوم بتدرج تعليم سماته أي تشكل المفهوم النحوي نتيجة لتمثل سماته،

وممارسة التطبيق النحوي نتيجة لتمثل القاعدة (انظر الشكل التوضيحي).

وفي هذا وضوح لارتباط طريقة التدريس بطرق التفكير ارتباطاً وثيقاً حين تنبع الطريقة من خصائص نمو التلاميذ في هذه المرحلة، ومن سيكلوجية تفكيرهم ومن تحرك نشاطهم الذاتي. وإذا ربطت الطريقة بالنشاط العقلي

للتلاميذ تكون قد ربطت المادة العلمية نفسها بالنشاط العقلي أيضاً. والنحو مادة دراسية تعتمل فيها أوابد اللغة، وموروثات الأمة النفسية والاجتماعية، وأنماط التفكير والتعبير الخاصة بها، وموسيقا النطق، وقسط غير قليل من المنطق.. مما يجعل التعويل على حركة الفكر في تعلم النحو بوجه خاص مطلباً أساسياً كبيراً، لاسيما في عملية تشكل المفاهيم النحوية في ذهن التلاميذ.

المراجع

١– عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، استانبول، مطبعة وزارة المعارف، ١٩٥٤.

٢– أبو البقاء الكفوي: الكليات، دمشق، نشر وزارة الثقافة السورية ج/٤ ، ١٩٧٦.

٣– صدّيق بن حسن القنوجي: أبجد العلوم، دمشق، وزارة الثقافة السورية ج/١، ١٩٧٨.

٤– حورية الخياط: إعادة بناء مفاهيم النحو في المرحلة الإعدادية، رسالة دكتوراه غير منشورة، القاهرة ـ عين شمس ١٩٨٢.

٥– طلعت منصور: التعلم الذاتي وارتقاء الشخصية، القاهرة، الجهاد العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار (بلا تاريخ).

٦– ابن خلدون: المقدمة، مصر، المكتبة التجارية، (بلا تاريخ).

٧– إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، القاهرة، الانجلو المصرية ١٩٥٨.

٨– مازن المبارك: نحو وعي لغوي، دمشق، مكتبة الفارابي، ١٩٧٠.

٩– محمد الخضر حسين دراسات في العربية وتاريخها، دمشق، المكتب الإسلامي ومكتبة دار الفتح، ١٩٦٠.

١٠- علي النجدي ناصف: من قضايا اللغة والنحو، القاهرة، نهضة مصر ١٩٥٧.

١١- ياقوت الحموي: معجم الأدباء، مصر، مكتبة عيسى البابي الحلبي، وشركاه، ج/ ١٣ ١٩٣٦- ١٩٣٨.

١٢- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، مصر، مكتبة القاهرة، سنة ١٩٦١.

١٣- عباس حسن: اللغة والنحو بين القديم والحديث، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٦.

١٤- إبراهيم مصطفى: إحياء النحو، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٧.

١٥- ابن فارس: الصاحبي، تحقيق مصطفى الشويحي، بيروت، نشر بدران، سنة ١٩٦٤.

١٦- تمام حسان: اللغة العربية، معناها ومبناها، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩.

١٧- أبو القاسم الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، القاهرة، دار العروبة، ١٩٥٩.

١٨- أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص، القاهرة، دار الكتب المصرية، ج/ ١ ١٩٥٢.

١٩- ابن مضاء القرطبي: الرد على النحاة، الطبعة الأولى، ١٩٤٧.

٢٠- صالح الخرفي تيسير تعليم اللغة العربية، سجل ندوة الجزائر، القاهرة، دار شوشة للطباعة ١٩٧٧.

٢١- اتحاد المجامع اللغوية مقترحات تيسير المناهج الدراسية، سجل ندوة الجزائر، والقواعد العملية دار شوشة للطباعة١٩٧٧.

٢٢- إبراهيم مصطفى وآخرون: تحرير النحو العربي، مصر، دار المعارف (بلا

تاريخ).

٢٣- وزارة التربية والتعليم المركزية: مناهج النحو التي أوصت بها حلقة تيسير النحو، القاهرة في فبراير ١٩٦١ (استنسل).

٢٤- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: اجتماع خبراء متخصصين في اللغة العربية، عمان، نوفمبر ١٩٧٤.

٢٥- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: ندوة خبراء ومسؤولين لبحث وسائل تطوير إعداد معلمي اللغة العربية في الوطن العربي، القاهرة، المطبعة العربية الحديثة، ١٩٧٧.

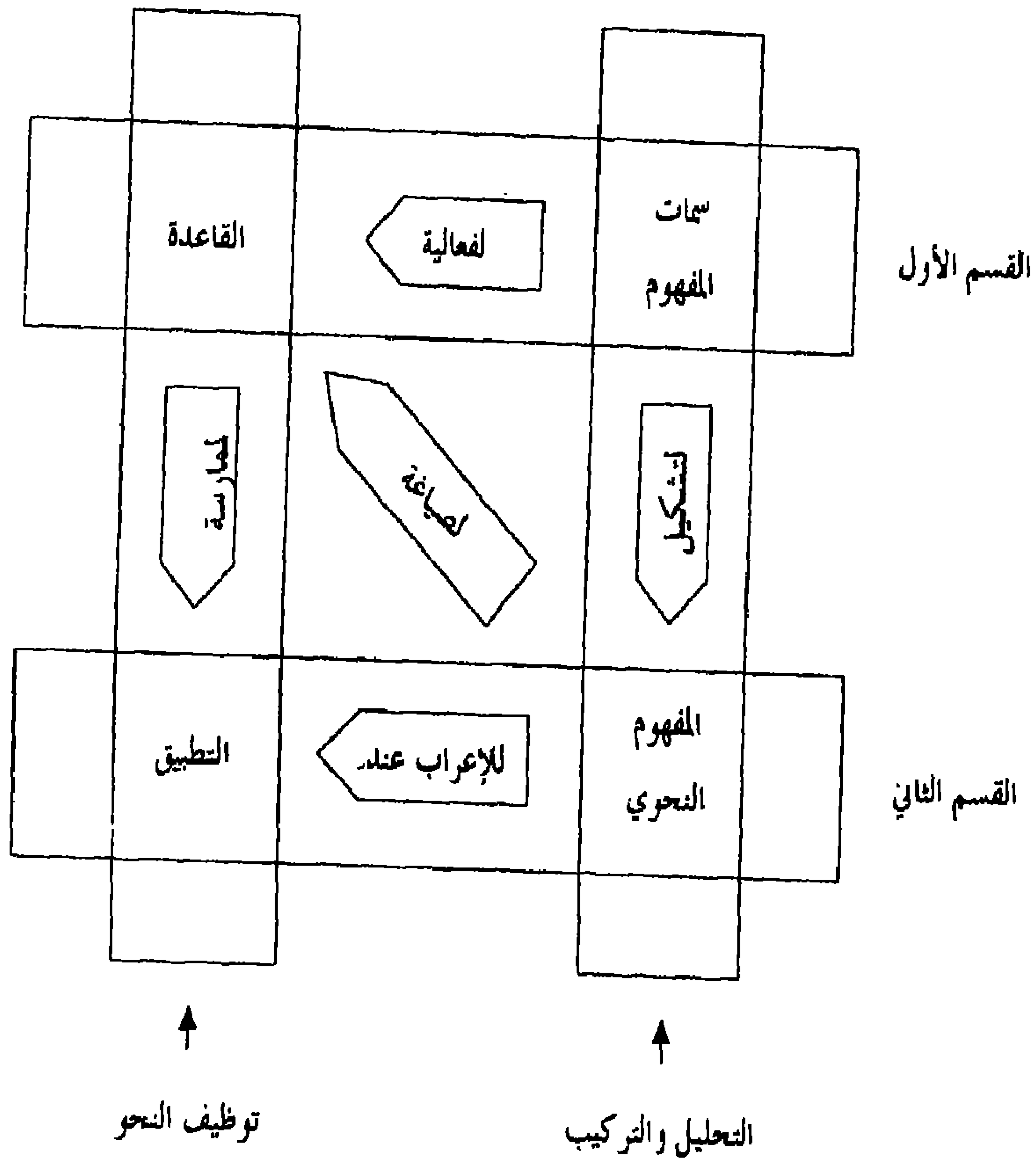
٢٦- حسام الخطيب: هموم اللغة العربية في عصرنا، مجلة المعرفة، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي العدد ١٧٨، ١٩٧٦.

٢٧- عبد الرحمن الحاج صالح: أثر اللسانيات في النهوض بمستوى اللغة العربية، ندوة خبراء ومسؤولين وسائل تطوير إعداد معلمي اللغة العربية في الوطن العربي، القاهرة، المطبعة العربية الحديثة ١٩٧٧.

٢٨- رشدي لبيب: نمو المفاهيم العلمية، القاهرة، الانجلو المصرية، ١٩٧٤.

٢٩- ل. ب فيجوتسكي: التفكير واللغة، القاهرة، الانجلو المصرية، ١٩٧٦.

الشكل التوضيحي



العلل التعليمية وأهميتها في النحو العربي

الدكتور سعد الكردي

ارتبط التعليل النحوي بمدلوله اللغوي، وهو السبب، من قولهم : هـذا علة لهذا: أي السبب[١]

والعلة في مطلق معناها هي: «ما يتوقف عليه الشيء سواء كان المحتاج: الوجود أو العدم أو الماهية»[٢].(والتعليل في العلوم قاطبةً يقوم على اقتران الظواهر أي أنه إذا ما اقترنت ظاهرتان وجوداً أو عدماً فإنهم يعتبرون إحدى الظاهرتين علة وسبباً للأخرى. وهذا ما تقتضيه بداهة العقل الإنساني)[٣]

ويُراد بالعلة النحوية: «تفسير الظواهر اللغوية، والنفوذ إلى ما وراءها،وشرح الأسباب التي جعلتها على ما هي عليه»[٤] .

والإنسان مفطور على حب السؤال، وطلب الاستفسار عن الأسباب المؤدية إلى الظواهر، ومن ميزاته العقلية مراقبة الجزئيات،وجمع المتشابه منها لإطلاق الحكم العام عليها،فيصل بالظاهرة إلى القاعدة العلمية، وقد يكون التعليل قديماً مرافقاً للحكم النحوي منذ وجوده،وغرضه ضبط الظواهر بقواعد العلم وأحكامه[٥] .

وهناك من توسّع في إيضاح مفهوم التعليل في النحو العربي، فبيَّن أنه

بحث عن الأسباب الكامنة وراء الظواهر اللغوية، والقواعد النحوية، يتسم بجزئية الموضوع والنظرة،ولا يسلك جزئياته المعللة في إطار كلي،وهو يتوافق مع القاعدة النحوية، ولايناقضها، بل يسوّغها ويشرح بواعثها وأهدافها،ويقف عند النصوص اللغوية المرويّة عن العرب أو المفترضة من قبل النحاة، مساوياً في المروي بين الفصحى واللهجات[٦] .وللعلة في كلامهم صور شتى يجمع ما بينها معنى السببية. فأطلقوا اسم العلة على مختلف القواعد والقوانين النحوية التي استنبطوها من استقراء كلام العرب، من ذلك قوانين الإعراب مثل رفع الفاعل ونصب المفعول به، وجر المضاف إليه، إلا أن هذا المفهوم توسع عند نحاة آخرين متجاوزاً قوانين الإعراب، ليشمل تعليل كل ما ليس من قبيل الإعراب، مما يرتبط بالعامل على صعيد الألفاظ المفردة أو العبارات المركبة، وارتباط عناصرها بعضها ببعض[٧] وهذا يعني أن العلل النحوية بصورتها البسيطة، قد رافقت في الأساس نظرية العوامل، بل امتزجت بها، فصعب على المرء التمييز بينهما.

وهناك من يجعل ظاهرة التعليل الفطرية البسيطة ترافق عمل أبي الأسود الدؤلي في البذور التي وضعها للحد من ظاهرة اللحن التي أخذت بالانتشار[٨] .

والأقرب إلى الصواب ربط ظاهرة التعليل في النحو العربي بعبد اللّه ابن أبي إسحاق الحضرمي (ت ١١٧ هـ) لأن النحو في عهد أبي الأسود وتلاميذه كان يؤخذ تلقياً من دون تعليل. ويؤيد هذا أن الحركة العلمية التي واكبت نشأة النحو العربي بمظاهرها الدينية، والأدبية، والفكرية، كانت في أول عهدها بسيطة ساذجة تؤخذ تلقياً عن أعلامها بلا تعليل [٩].

ولذلك قال ابن سلام: وكان أول من بعج النحو ومدّ القياس والعلل عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي [١٠] ومفهوم العلة لا يتجاوز معناه التعليميّ الذي يُراد منه معرفة كلام العرب، بمعرفة أن كلّ فاعل مرفوع، وكل مفعول به منصوب وكل مضاف إليه مجرور [١١]. فلم يَعُد يكتفي بالتلقين وما فيه من عفوية وبساطة، ونقل عن السابقين، بل أصبح يتطلع إلى الأسباب والعلل، وحاول أن يشرح الظاهرة اللغوية ليبيّن المؤثرات التي أدّت إلى وجودها. ومصداق ذلك تعرضه للفرزدق وطلبه إليه أن يبيّن له السبب الذي دفعه إلى رفع كلمة (مُجَلَّف) من قوله:

وعضُّ زمانٍ يابنَ مروانَ لم يَدَعْ من المالِ إلا مُسْحتاً أو مُجَلَّفُ[١٢]

ثم جاء عيسى بن عمر الثقفي (ت ١٤٩ هـ)، واعتمد على التعليل لتسويغ أصوله في الاختيار [١٣] وأبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) واعتمد على التعليل في مذهبه النحوي وكان تعليله على شاكلة تعليل من سبقه لا يتجاوز معرفة كلام العرب[١٤].

وهذا يدلّ على أن التعليل بات واضح المعالم في مسيرة النحو العربي، وأصبح من الأسس التي اعتمدها النحاة في مذهبهم، لكن عللهم لم تتجاوز أن تكون عللاً تعليمية يُراد منها كلام العرب وضبطه، والاتساع به.

وما إن جاء الخليل بن أحمد (ت ١٧٤هـ) ويونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ) حتى نضجت العلة في النحو العربي وكثرت واتسع نطاقها، وهذا ناتج عن نضج الحركة العلمية التي واكبت مسيرة الدرس النحوي عند العرب في هذه المرحلة، و لم ينتج ذلك عن تأثر النحاة بالآثار الأجنبية – كما يزعم بعضهم – إذْ إنَّ العلوم الدينية والأدبية واللغوية والفكرية قد نضجت عند

العرب في هذه المرحلة، فالأحاديث النبوية بعد أن جمعت أخذت تصنّف على أبواب الفقه، وأخذت المسائل الفقهية تزداد وتدور حولها الآراء وتختلف نتيجة لاتساع نطاق الثقافة، فكثُر الجدل، واشتغل العلماء بالنظر والاستدلال، وأكثروا من إيراد الشبه بأجوبتها، ووضعت القواعد والأصول، ورتّبت الأبواب والفصول، وضبط الفقه، ودونت أحكامه على يد الأئمة الكبار(١٥).

وشهدت هذه المرحلة تصنيف مفردات اللغة في رسائل متفرقة صغيرة محدودة الموضوع، مبنية على معنى من المعاني أو على حرف من الحروف، كما شهدت وضع المعاجم العامة الشاملة المنظّمة على يد العبقري الملهم الخليل بن أحمد في وضعه كتاب العين(١٦).

واستوى الكلام على سوقه: وآتى أُكُله نتيجة لما دار بين الفِرَق المختلفة من قدرية وجبرية، ومرجئة ومعتزلة من جدال طويل حول مسائل متعددة؛ مما أدّى إلى صبغ العقل العربي بالصبغة الجدلية، ومرّنه تمريناً واسعاً على دقة التعليل والمهارة في استنباط المعاني ودقائقها، والبراعة في تشعيبها وتوليدها، وروح المناظرة التي غلبت في الأوساط العلمية وانتشرت، ولم تقتصر على مسائل العقيدة فحسب بل وجهت المسائل اللغوية والنحوية وجهات جديدة فيها نظر وبحث ومناقشة(١٧).

هذه الأسباب مجتمعة أدّت إلى اتساع أسلوب التعليل في النحو على يد يونس بن حبيب، والخليل بن أحمد ونضج العلة يدل على اكتمال الدرس النحوي، لأن العلة تفسير للظواهر اللغوية، المستقراة من كلام العرب، وتحليل لها. وعلى الرغم من الاتساع الذي أصابها بقي مفهومها تعليمياً

مرتبطاً بالواقع اللغوي، مسوّغاً له ومفسراً. مثل تعليل يونس بن حبيب العطف بالرفع على اسم (إنّ) في قولك: إن زيداً فيها وعمروٌ، بمعنى وعمرٌو فيها [١٨]. وتعليله قول العرب: من أنت زيداً؟ فزعم أنه على قوله: من أنت تذكر زيداً؟ ولكنّه كَثُر في كلامهم واستعمل، واستغنوا عن إظهاره[١٩] .

فتعليله ليس فيه تكلف، ولا يجنح إلى تفسير الظواهر على غير ما تحتمل لأنها تعتمد أساليب الكلام العربي وطبائعه. وكثيراً ما يقترن بالسماع بقوله في نهاية تعليله: «وهكذا سمعنا من العرب»[٢٠].

وأما الخليل بن أحمد فكانت العلة في نحوه سنداً لما يستنبطه من أحكام، وتدلّ على دقة فهمه لأسرار اللغة مفردة ومركبة، وأكثر منه كثرة لم يصل إليها أحد من سابقيه [٢١] . وأخذ التعليل على يده صفة المنهج، وأكّد ضرورته، وحثّ على ملاحظته، ووسع نطاقه [٢٢] . بل إنه ترك باب الاجتهاد مفتوحاً في استنباط العلل لمن جاء بعده [٢٣] ومن تعليله أنّ (إنْ) أم حروف الشرط، وأنها الأصل وما سواها توابع لها، من قبل أن . روف الشرط قد يتصرفْنَ فيكن استفهاما (مثل مَنْ وما حين يكونان اسمي استفهام) ومنها ما يفارقه فلا يكون فيه الجزاء (مثل أين وحيث وكيف التي لا تستعمل في الشرط إلا مضافاً إليها «ما») و(إنْ) على حال واحدة لا تفارق المجازاة[٢٤].

وتتميز العلة عنده بكثرة ركائزها اللغوية، مثل دفع الالتباس، وإيثار الخفة، والتعويض، واعتماد الدلالة، والبنية الخارجية، والظواهر الصوتية، والتوهم[٢٥].

وهذا يعني أنّه «لم يخرج الخليل ومن تابعوه في تعليلاتهم النحوية أو

معظمها على الأصل الذي يقوم عليه التعليل في العلوم قاطبة، وهو أنه إذا ما اقترنت ظاهرتان وجوداً أو عدماً فإنهم يعتبرون إحدى الظاهرتين علة وسبباً للأخرى، وهذا ما تقتضيه بداهة العقل الإنساني»[٢٦].

أما سيبويه (ت ١٨٠هـ) فقد حوى كتابه تعليلات كثيرة، منها ما كان يعلل بها للقواعد المطردة ومنها ما يعلل به للأمثلة التي تخرج على تلك القواعد، ولذلك يقول: «وليس شيءٌ يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وجهاً»[٢٧] . وهو لا يلجأ إلى التعليل المنطقي المتسم بالتجريدية، ولا إلى التعليل العقلي المتعب، وإنما هو تعليل فطري في متناول الكثير، مُسْتَمَدّ من فهم النص فَهْماً لا تُكلُّف فيه ولا صنعة [٢٨]. وعلله مثل علل الخليل تتميز بكثرة ركائزها اللغوية مثل العدل، ومراعاة الأصل، ودفع اللبس، ومراد المتكلم، وحال المخاطب، وطبيعة الشيء، وغلبة الكثرة، ومقتضى المشابهة، والخلاف....[٢٩] .

من ذلك تعليله لكون الوجه في اسم كان معرفةً مثل: كان زيدٌ حليماً... وقولهم: كان إنسانٌ حليماً. فيه إلباس[٣٠] ،وتعليله امتناع الاقتصار على أحد مفعولي الأفعال القلبية التي تفيد يقيناً أو ظناً مثل: رأيت زيداً [٣١] وتعليله لاقتصار من يعمل فعل القول إعمالَ الظنِّ على إعماله ذلك إذا كان مضارعَ مخاطبٍ مُسْتَفْهِماً عنه: مثل: أتقولُ الدارَ جامعةً؟ [٣٢].

فمثل هذه العلل عند سيبويه تعلمنا وجه الكلام الصحيح التام، وتطلعنا على أساليبهم وطرائقهم في التعبير الذي يجمع بين سلامة التركيب وصحة المعنى.

وبعد سيبويه بقليل أفردت للعلة كتبٌ خاصة بها [٣٣] وأخذت تلفت

أنظار النحويين، وتدور على ألسنتهم بكثرة بين موضوعات النحو، ومن الكتب الجامعة للعلة كتاب«الإيضاح في علل النحو» للزجاجي (ت ٣٣٧هـ).

وقد جمع مؤلفه فيه العلل النحوية التي عرفت حتى عصره، سواء ما اتصل منها بالحدود وأحكام الإعراب، وما اتصل منها بالفروض والظنون الجدلية[٣٤].

وتأتي أهمية العلة من خلال اتصالها بالقياس النحوي الذي هو حمل غير المنقول على المنقول في الحكم لعلة جامعة [٣٥]، ذلك أنه لا قياس بلا علة، ولتلك العلة أهمية كبيرة في الدرس النحوي، فاهتمّ بها كبار أئمة النحو – كما مر سابقاً – فأكثروا من الحديث عنها، وغدت علما له كتبه وشروطه، وأسسه، ومسالكه، وأنواعه؛ وبلغ الاهتمام بها غايته في كتاب الخصائص لابن جني (ت ٣٩٢ هـ) الذي نظر لها تنظيراً دقيقاً، فتكامل الكلام فيه عليها.

أسباب نشوء التعليل:

وتضافرت عدة أسباب أدت إلى نشوء التعليل في النحو العربي، وتطوره، حتى غدا كما مر سابقاً علماً له كتبه وشروطه وأسسه ومسالكه وأنواعه ومرتكزاته، والباحث في طبيعة تلك الأسباب يجد أنها تعليمية أو تكاد أن تكون تعليمية، ومن تلك الأسباب:

١– قواعد التوجيه: يبدو أن منشأ العلل قواعد التوجيه، لأن التعليل يتمّ دائماً في ضوئها وينسجم معها لأن العلل تسوّغها وتفسرها، ويعني هذا أن

قواعد التوجيه تمثل الغايات التي تسعى إليها علل النحو التعليمية[٣٦].

٢- تعليل حركات الإعراب: من المسلّم به أن العرب كانوا ينطقون لغتهم سليقة وسجية، ولا حاجة بهم إلى قواعد يضبطون بها الألسنة، بل كان عمادهم في ذلك المحاكاة على الفطرة السليمة، يشب الناشيء، فتملأ العبارات الصحيحة سمعه، ويطلق بها لسانه، فتجود قريحته بسليم التراكيب، ومنسجم العبارات. وبقي العرب على تلك الحال حتى أظهر الله الإسلام، فاجتمعت فيه الألسنة المختلفة، ففشا الفساد في اللغة، وأخذ يتسرب اللحن إلى قراءة القرآن، وأحاديث الناس، فكان أثر ذلك عليهم شديداً، فبادروا إلى إعراب القرآن وضبط كلماته بنقط يثبتونها على أواخر الكلمات تدل على حركاتها، فأطالوا لذلك النظر في أواخر الكلمات حتى اهتدوا إلى سرٍّ من أسرار العربية، وهو أن هذه الحركات ترجع إلى علل وأسباب يطرد حكمها في الكلام. ويمكن الرجوع إليها والاحتجاج بها، فأظهروا فيها المرفوع والمنصوب والمجرور من الكلام ليتعلمه من فسد لسانه باللحن ليلحق بأهل الفصاحة[٣٧].

٣- كون العلة ركناً من أركان القياس، والقياس أصل مهمّ من أصول النحو العربي،أو هو النحو كما قال الكسائي: «إنما النحو قياس يتبع»[٣٨]، والقياس حمل فرع على أصل في الحكم لعلة جامعة، وقر في أذهانهم أنه لا قياس بلا علة، من هنا أتت أهمية العلة، فتسارع النحاة إلى استنباطها من تلك الظواهر اللغوية، حتى امتلأت بها أمهات كتب النحو، موقنين أن العرب كانوا يبنون عليها أحكام لغتهم.

٤- نضج الدرس النحوي عند الخليل، واكتمال أصوله وفروعه في

كتاب سيبويه، وأثر ذلك في تلاميذ سيبويه ومن أتى بعدهم، جعلهم في قناعة تامة أنّ النحو وصل إلى الغاية، فلجأ أغلب النحاة إلى الأحكام النحوية الواردة في الكتاب يحللونها، ويفسرونها، ويجعلونها ترتكز على دعائم من الأهداف التي توخت اللغة تحقيقها، ليؤكدوا ما في اللغة العربية من خصائص، وما لها من امتياز، فتجلى عملهم هذا من خلال تعليل ظواهر اللغة [٣٩].

٥- تعميق فَهْم الظواهر النحوية: العلة النحوية تؤدي إلى تعميق فَهْم الظواهر النحوية، لأنها تفسرها وتشرحها وتسوّغها، ولذلك تراها بعضُ المدارس اللغوية الحديثة مثل مدرسة القواعد التحويلية: (ضرورية لتعميق الفهم، ويرون حرمان البحث العلمي منها محاباة للدقة في العرض على حساب العمق في الفهم) [٤٠]. فتعليل الظواهر ذروة البحث العلمي وغايته، فما نفع العلم إن لم يتمكن من تحليل ظواهره وتفسيرها؟.

٦- إنجاح عملية التعليم: فكثيراً ما كان شداة العلم في حلقات الدرس يتساءلون عن الأسباب الكامنة وراء الظواهر اللغوية، فيأتي شرح المعلمين وتفسيرهم وتعليلهم إجابة عن تلك التساؤلات. وكثيراً ما كان القارئ أو المتكلم يقع باللحن في أثناء الدرس، فيأتي تصحيح المعلم تعليلاً، كأن ينصب القارئ المرفوع، فيصحح له المعلم بالرفع، فيسأل الطالب لماذا؟ فيجيبه المعلم لأنه فاعل، وإذا لم يحصل مثل ذلك لا تكون العملية التعليمية ناجحة.

أصالة التعليل النحوي عند العرب:

تلك الأسباب مجتمعة تدل على أن نشأة التعليل ودوافعه، كانت

عربية إسلامية، نتيجة للظروف المحيطة بـالدرس النحـوي عنـد العـرب، الـتي نشأ فيها وترعرع، ونتيجة لما هيأته من استجابات دينيـة وعاطفيـة وعلميـة، وراء الفكرة الـتي تُعَـدّ السـبب الأساسـي في نشـأة التعليـل النحـوي، وسـبباً رئيسياً من أسباب استمراره وتطوّره دون أي تأثير غير عربي(٤١).

وهذا يعني أن عللهم عربية الأصل والنشأة، استقاها العـرب مـن ذات أنفسهم، ولم يأخذوها عن غيرهم بل كانت وليدة قرائحهم، وهذا ما قصده الدكتور مازن مبارك بقوله:

«ولسـت أعتقـد أن هـؤلاء المعلمـين الأول يسـتقون العلـل مـن عنـد غيرهم- كما هو الأمر عند أكـثر الذيـن أتـوا بعدهـم- وإنمـا كـانت وليـدة قرائحهم، وكانوا أصحابها ومخترعيها»(٤٢).

ولكن على الرغم من كل هذا فقد أبى بعض البـاحثين إلا الادعاء: بأن مبدأ التعليل في النحو العربـي مـأخوذ عـن الفلسـفة اليونانيـة، فهذا جورجي زيـدان يقـول: «والغـالب في اعتقادنـا أن تعليـل الإعـراب لم ينضـج إلا بعـد نقـل كتـب الفلسـفة اليونانيـة إلى العربية في العصر العباسي الأول»(٤٣).

وهذا مجانب للصواب لأن العلة النحوية نضجت على يـد الخليـل بـن أحمد (ت ١٧٤هـ) نتيجة لنضج الحركة العلمية عند العرب بمظاهرها الدينيـة والأدبية واللغوية والفكريـة، ولم تكـن في عهـد الخليـل قـد ترجمـت الكتـب الفلسفية المنطقية، بل دخل المنطق اليونـاني إلى البيئة العربيـة في القـرن الثـالث الهجري ولم يؤثر في الثقافة العربية ويستحكم بها إلا في نهاية القـرن الثـالث الهجري، على حين عرف مبدأ التعليل في النحـو العربـي ـ كمـا مـر سابقاًـ

عند عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (ت ١١٧هـ)، وأخذ ينمو بقوته الذاتية حتى نضج عند الخليل، واكتمل في كتاب سيبويه، وليس بتأثير الفلسفة اليونانية(٤٤).

وكذلك المرحوم الدكتور إبراهيم بيومي مدكور يجعل مبدأ التعليل فلسفياً عندما قال وهو يتحدث عن أركان القياس: «ومثل واحد من هذه الأصول كافٍ في توضيح ذلك ألا وهو مبدأ العلية، وقد كان لهذا المبدأ شأن في النحو العربي لايقل عن شأنه في المنطق الأرسطي، ذلك لأن العلة هي الدعامة التي يقوم عليها القياس النحوي والمنطق. وما نظرية العامل إلا وليدة مبدأ العلية الفلسفي»(٤٥).

إن العلل التي وقفنا عليها عند النحاة منذ أن وجدت العلة على يد عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي إلى أن نضجت في كتاب سيبويه كانت عللاً تعليمية بسيطة تهدف إلى تعليم كلام العرب، ولم تتجاوز هذا المفهوم، ولذلك لم تكن فلسفية، بل لم تعرف العلل الفلسفية في النحو العربي إلا عند نحاة القرن الرابع الهجري.

والدكتور محمد عيد يعد التعليل النحوي صدى للتعليل المنطقي، فيقول: «إن التعليل النحوي لم يسلك طريق الفقه أو علم الكلام حتى وصل إلى النحو، بل هو صدى للتعليل المنطقي من ناحية وللمجهوذ الفكري العام الذي فرض سلطانه على الباحثين في الدين واللغة فيما بعد»(٤٦) ويتابع قوله مقتبساً من الدكتور تمام حسان ليقول: «وإن ذلك التأثير المنطقي هو امتداد لتأثير كتاب أرسطو في التحاليل الثمانية الذي فصل فيه القول عن العلة وأقسامها المادية والصورية والفاعلية والغائية»(٤٧) ثم

يقول: «وهذه الأخيرة هي التي اتسمت بها العلة النحوية»[٤٦] وهذا الرأي يجانب الحقيقة، لأن المتتبع لحركة الترجمة عامة، ولترجمة كتب أرسطو خاصة يجد أن كتب أرسطو لم يُباشَرْ في ترجمتها إلا في الربع الأول من القرن الثالث الهجري، حيث كان النحو العربي قد اكتملت أصوله وفروعه في عهد الخليل بن أحمد (ت ١٧٤ هـ)، وتجلّى ذلك أثراً مدوّناً في كتاب سيبويه (١٨٠هـ)، وكانت بذور العلل قد ظهرت قبل ذلك في آثار عبد الله بن أبي إسحاق (ت ١١٧هـ)، وأبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) ويونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ) بصورتها التعليمية المناسبة للبحث النحوي المرتبطة بالواقع اللغوي دون أن تتجاوزه.

وهذا يعني أن هؤلاء النحاة لم يطلعوا على كتب أرسطو لأنها لم تكن مترجمة، في عهدهم، فمبدأ التعليل عندهم كان معروفاً قبل ترجمته، فمن أين لهم أن يطلعوا عليه؟ وعلل هؤلاء تختلف عن علل المتأخرين الذين تأثروا بالفلسفة ومنطق أرسطو، أما عللهم فلم تتجاوز أن تكون وصفاً للواقع اللغوي وتفسيراً له.

أضف إلى ذلك أن التعليل مأخوذ أصلاً عن الأعراب، وقد عقد ابن جني في كتابه (الخصائص) باباً في أن العرب قد أرادت من العلل والأغراض مانسبناه إليها، وحملناه عليها. وقد صدّره بقوله: «اعلم أن هذا في تثبيته وتمكينه منفعة ظاهرة، وللنفس به مُسْكة وعِصْمَة، لأن فيه تصحيح ما ندعيه على العرب من أنها أرادت كذا لكذا، وهو أحزم بها وأجمل، وأدل على الحكمة المنسوبة إليها، من أن تكون تكلفت ماتكلفته، من استمرارها على وتيرة واحدة، وتقرّيها منهجاً واحداً تراعيه، وتلحظه، وتتحمل لذلك مشاقه

وكُلَفَهُ، وتعتذر من تقصيرٍ إن جرى وقتاً منها في شيء منه»(٤٨).

وهناك أدلة تؤكد ذلك على الرغم من أن الأعراب لم يبوحوا إلا بالقليل منه، من ذلك ماستدل به نقلاً عن سيبويه:

«وقال سيبويه حدثنا من نثق به أنّ بعض العرب قيل له: أما بمكان كذا وكذا وَجْذٌ؟ فقال: بلى وِجَاذاً، أي أعرف بها وجاذاً، وقال أيضاً: وسمعنا بعضهم يدعو على غنم رجل، فقال: اللهم ضَبُعاًوذئباً، فقلنا له: ماأردت؟ فقال: أردت اللهم اجمع فيها ضَبُعاًوذئباً، كلّهم يُفَسّرُ ماينوي». ثم عقّب على ذلك بقوله: «فهذا تصريح منهم بما ندعيه عليهم وننسبه إليهم»(٤٩).

ومنه ماحكاه الأصمعي عن أبي عمرو أنه قال: «سمعت رجلا من اليمن يقول: فلان لغوب، جاءته كتابي فاحتقرها. فقلت له: أتقول: جاءته كتابي؟ قال نعم، أليس بصحيفة؟»(٥٠). وعلّق ابن جني على هذا الخبر فقال: «أفتراك تريد من أبي عمرو وطبقته وقد نظروا، وتدربوا، وقاسوا، وتصرفوا، أن يسمعوا أعرابيا جافيا غفلا، يعلل هذا الموضع بهذه العلة، ويحتج لتأنيث المذكر بما ذكره، فلا يهتاجوا هُم لمثله، ولا يسلكوا فيه طريقته فيقولوا: فعلوا كذا لكذا، وصنعوا كذا لكذا، وقد شرّع لهم العربي ذلك، ووقفهم على سمته وأمّه»(٥١).

وهذا وأشباهه يدلّ على أنه وقر في نفوس النحاة أن العرب الفصحاء كانوا يدركون علل ما يقولون، وأنهم كانوا يعللون بعض مايقولون، ومن ثم جعل النحاة نص العربي على العلة، أو إيماءه إليها مسلكاً من مسالك العلة، ويوضح موقف النحاة من هذا قول سيبويه: «وليس شيءٌ يُضْطَرون

إليه إلا وهم يحاولون به وجهاً»[٥٢] ولعل سيبويه في رأيه هذا تابع رأي أستاذه الخليل بن أحمد الذي سئل ذات مرة: أعن العرب أخذت هذه العلل أم اخترعتها من نفسك؟ فأجاب: «إن العرب نطقت على سجيتها، وطباعها وعرفت مواقع كلامها وقامت في عقولها علله، وإن لم ينقل ذلك عنها»[٥٣].

فهذه العلل التي علل بها القوم النحو العربي بعيدة كل البعد عن التعليل الفلسفي لأنها علل تطرد على كلام العرب، تقبلها النفس، وينطوي الحس على الاعتراف بها، وهي مواطئة للطباع، وقد ظهر ذلك في قول ابن جني: «ولست تجد شيئاً مما علل به القوم وجوه الإعراب إلا والنفس تقبله والحسُّ منطوٍ على الاعتراف به، ألا ترى أن عوارض مايوجد في هذه اللغة شيء سبق وقت الشرع، وفُزع في التحاكم فيه إلى بديهة الطبع، فجميع علل النحو إذاً مواطئة للطباع»[٥٤]. ولذلك قال الدكتور مازن مبارك: إن تلك العلل منذ نشأتها حتى القرن الثالث الهجري «مستمدة من روح اللغة، معتمدة على كثرة الشواهد من حيث الدليل والبرهان، وعلى الفطرة والحسّ من حيث طبيعتها، ولم تكن ذات طبيعة فلسفية، وإن كانت فكرتها في الأصل مقتبسة من التفكير الفلسفي»[٥٥].

ويؤيد موقف هؤلاء النحاة الآخذين بمبدأ التعليل المرتبط بطبيعة اللغة، علم اللغة الحديث، وخصوصاً العلل التي تقوم على الخفة والثقل، والاقتصاد اللغوي، كما يؤيد شطراً منها علم النفس التجريبي، وخصوصاً ما يقوم منها على مرتبة الأولوية في النفس، والأصل والفرع، وأحقية الأصل بالتقدم على الفرع، كما يؤكد التعليل بوجه خاص أصحاب مدرسة القواعد التحويلية، فيرونه ضرورياً لتعميق الفهم، ويرون حرمان البحث اللغوي منها محاباة

للدقة في العرض على حساب العمق في الفهم[٥٦] .

وقد قسم النحاة العلل إلى ثلاثة أقسام: العلل التعليمية وسماها بعضهم العلل الأول؛ والعلل القياسية وسماها بعضهم العلل الثواني؛ والعلل الجدلية، وسماها بعضهم العلل الثوالث أو علة العلة[٥٧] .

ويهمنا كما ظهر من الكلام السابق القسم الأول من هذه العلل وهو العلل التعليمية أو العلل الأول لأهميتها في الدرس النحوي، وتأكيداً لما سبق هي التي تفيدنا الأحكام الإعرابية، كرفع الاسم بكونه فاعلاً أو نائباً عن الفاعل، أو مبتدأ أو خبرا، ونصب الفضلة أو ماشابه في اللفظ الفضلة[٥٨] ، وجر المضاف إليه وغير ذلك[٥٩] وهي علل ضرورية موجبة أو غير موجبة، وعليها مقادُ كلام العرب، تحقق غاية النحو العربي فَيُتَوَصَّل بها إلى تَعلُّم كلام العرب، والاتساع به، وهي علة مستقيمة؛ لأنها تعطينا الحكم في الباب وطبيعته، أي تصف حكم الباب: الفاعل مرفوع، والمفعول به منصوب، والمضاف إليه مجرور وهكذا... فهي تعليمية لأنها تعلم الناشئة النحو الذي غايته صحة النطق عند المتكلم، وفهم كلام العرب، وهذا ماعبر عنه ابن السراج في أثناء حديثه عن أقسام العلة، فقال: «واعتلالات النحويين على ضربين: ضرب هو المؤدي إلى كلام العرب كقولنا: كل فاعل مرفوع...» [٦٠].

وفصّل ذلك الزجاجي في أثناء حديثه عن علل النحو وأقسامها، فقال: «وعلل النحو بعد هذا على ثلاثة أضرب: علل تعليمية، وعلل قياسية، وعلل جدلية نظرية. فأما التعليمية فهي التي يُتَوَصَّلُ بها إلى تعلم كلام العرب، لأنّا لم نسمع نحن ولا غيرنا كل كلامها منها لفظاً، وإنما سمعنا بعضاً

فقسنا عليه نظيره، مثال ذلك أنّا لّما سمعنا قام زيـد فهـو قـائم، وركـب فهـو راكب، عرفنا اسم الفاعل فقلنا: ذهب فهو ذاهب، وأكـل فهـو آكـل، ومـا أشبه ذلك، وهذا كثير جداً وفي الإيماء إليه كفاية لمن نظر في هذا العلم. فمن هذا النوع من العلل قولنا: إن زيداً قائم، إن قيل: لم نصبتـم زيـداً؟ قلنـا: بـإنَّ؛ لأنها تنصب الاسم وترفع الخبر؛ لأنّا كذلك علمنـاه ونعلمـه. وكذلـك قـام زيد. إن قيل: لم رفعتم زيداً؟ قلنا: لأنه فاعل، اشتغل فعلـه بـه فرفعـه. فهـذا وما أشبهه من نوع التعليم، وفيه ضبط كـلام العـرب»[٦١]. كمـا بيّـن ابـن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢ هـ) الغاية من هذه العلة فقال: «والفرق بين العلـل الأول والعلل الثواني أن العلل الأول بمعرفتها تحصل لنا المعرفة بالنطق بكـلام العرب المدرك منا بالنظر»[٦٢]. وبيّن في موضع آخر أنّ المرفـوع والمنصـوب والمجرور من كلام العرب يعلم بهذه العلل: «فـإن قيـل للاسـم أحـوال يرفـع فيهـا، وأحـوال ينصـب فيهـا، وأحـوال يخفـض فيهـا قيـل: إذا كـانت تلـك الأحوال معلومة بالعلل الأول، الرفع بكونه فاعلاً أو مبتدأ أو خبرا، أو مفعـولاً به لم يُسمَّ فاعله، والنصب بكونه مفعولاً، والخفض بكونه مضافاً إليـه»[٦٣]. وبهذا النوع من التعليل تهتمّ الدراسـة الوصفيـة؛ لأنهـا تصـف الظواهـر ولا تتجاوز الطبيعة اللغوية مثل تنوين الاسم بأنـه اسـم، وهـي العلـل المطـردة في كلام العرب، والاطراد في الأصول هو الغرض الذي من أجله ألف أبـو بكـر بن السراج كتابه «الأصول في النحـو» علـى حـدّ قولـه: «وغرضـي في هـذا الكتاب ذكر العلـة التي إذا اطّـردت وصـل بهـا إلى كلامهـم فقـط...»[٦٤]. والتعليل التعليمـي- في مراحلـه الأولى- تعليـل جزئـي، لم يصـل إلى مرحلـة الشمول والكلية وهو يوافق القواعد النحوية ولا يتعارض معهـا، بـل يشـرح

بواعثها وأهدافها، ولا يتجاوز ذلك إلى التأثير فيها أو تبديلها، ويحترم النصوص اللغوية المروية عن العرب أو المفترضة من قبل النحاة، مساوياً في المروي بين الفصحى واللهجات[٦٥] يسعى إلى طرد الظواهر لإبعاد سمة التضارب عن جزئياتها إلاّ إذا تضاربت النصوص التي تبدأ منها وترتكز عليها، وإذا حصل اختلاف في القواعد فلا يكون ناتجاً عن التعليل، وإنما يمتدّ بالضرورة عن عدم اتساق الظواهر الموصوفة، ويعود عدم الاتساق في الظواهر في أكثر الأحيان إلى الخلط في مستويات الأداء اللغوي، وعدم التمييز بين المستوى اللغوي ومستوى اللهجات، واعتبار المستويين يمثل الفصحى، فلم يتناول النحاة اللغة إلا على أنها مجموعة اللهجات القبلية، ولذلك فإنّ ما بين العلل من خلاف قليل يمتد عن التصور الخاطئ للغة، ولا يمثل ركيزةً كبيرةً يقوم عليها الاختلاف في التعليل[٦٦].

وفي عهد الخليل وسيبويه تطور التعليل، وساعَدَ على تطوره فراغ النحاة من عملية التقعيد النحوي لظواهر اللغة، والتفاتهم إلى تعليل هذه القواعد، فشمل تعليلهم معظم ظواهر اللغة، وتعمقوا في ذلك، واتسم بالكلية مثل محاولة تفسير الحركة الإعرابية تفسيراً صوتياً كما فعل قطرب[٦٧]، أو تفسيراً دلالياً كما فعل سيبويه[٦٨]. ورغم تطور التعليل بقي محترماً للقاعدة النحوية، وصلته بها صلة تسويغ وتفسير، ولا يتجاوز ذلك إلى التأثير فيها بالتغيير أو التبديل، كما بقي متسماً بالتعليمية.

والعلل التعليمية لا تقتصر على قضايا النحو، بل تشمل قضايا الصرف كذلك، وقد وصف ابن جني تلك العلل بأنها موجبة ومجوّزة فقال: اعلم «أن علل النحويين علىضربين: أحدهما واجب لابد منه، لأن النفس لا

معناه غيره. والآخر ما يمكن تحمله إلا أنه على تجشم واستكراه وهو [illegible] ذلك قلب الألف واواً للضمة قبلها، وياء للكسرة قبلها: أما الواو فنحو [illegible]. وأما الياء فنحو قولك في تحقير قرطاس وتكسيره قريطيس [illegible] ونحوه لابدّ منه من قبل أنه ليس في القوة ولا احتمال الطبيعة [illegible] بعد الكسرة ولا الضمة. فقلب الألف على هذا الحد علته الكسرة والضمة قبلها. وليس كذلك قلب واو عصفور ونحوه ياء إذا انكسر ماقبلها، نحو: عصيفير وعصافير؛ ألا ترى أنه قد يُمْكِنُكَ تحمّلَ المشقةِ في تصحيح هذه الواو بعد الكسرة؛ وذلك بأن تقول عصيفِوْر وعصافِوْر»(٦٩).

فهذه العلة بضربيها الواجب والجائز تعليمية، فالعلة الواجبة تعلمنا قلب الألف ياء وجوباً للكسرة قبلها، وقلب الألف واواً وجوباً للضمة قبلها، كما تعلمنا أنّ الواو المكسور ما قبلها يجوز أن نقلبها ياء، وهو أخف، ويجوز لنا أن نتركها دون قلب مع تحمل المشقة والثقل.

ومن علل الصرف التعليمية التي تعتمد الخفة وتفرّ من الثقل تعليلهم قلب تاء الافتعال طاء إذا جاورت الصاد مثل (اصطحب)، أو الضاد مثل (اضطرب) أو الطاء مثل (اطّرد) أو الظاء مثل (اظّلم). وتعليلهم قلب تاء الافتعال دالاً إذا وقعت بعد زاي مثل (ازدهر) أو بعد دال مثل (ادّخر) أو بعد ذال مثل (اذّكر و ادّكر)..... وهكذا.

وعلى الرغم من أهمية العلل التعليمية في النحو العربي ثارَ نفرٌ يسير منذ القديم على مبدأ التعليل برمته ونعتوه بالفساد، من هؤلاء ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) الذي رأى أن علل النحو كلها فاسدة لايرجع شيء

منها إلى الحقيقة البتة، والمقبول من أهلها ضبطها ونقلها، ماعدا هذا فهو تحكم فاسد ومتناقض وكذب أيضاً، لأنّ قولهم كان الأصل كذا فاستثقل فنقل إلى كذا... شيء يعلم كلّ ذي حس أنه كذب لم يكن قطّ ولا كانت العرب عليه مدة ثم انتقلت إلى ما سمع منها(٧٠).

واستنكر أبو حيان النحوي (ت ٧٤٥هـ) ظاهرة التعليل في النحو العربي، وخصوصاً تعليل الوضعيات مثل رفع الفاعل وتقدم الفعل عليه، وأصل اشتقاق الفعل، وأصل صيغه، وامتناع الجر من الفعل، وامتناع الجزم من الاسم، واتصال تاء التأنيث الساكنة بالماضي دون المضارع والأمر....، فذلك عنده ممنوع لأنه يؤدي إلى تسلسل السؤال(٧١).

كما عدّ نفر من النحاة المحدثين أن التعليل في النحو العربي من الأمور المربكة، ولذلك دعوا إلى الاستغناء عنه، ووصفوه بأوصاف تدل على استيائهم منه، ومن هؤلاء جرمانوس فرحات في كتابه «بحث المطالب»في أثناء دعوته إلى تبسيط قواعد النحو العربي، جعل العلة من معوقات فهم النحو العربي، ووصفها بأنها مملة، وطالب بالاستغناء عنها(٧٢).

ومنهم عباس حسن الذي دعا إلى محاربة العلة في النحو العربي، وإراحة المتعلمين منها، فقال: «والغريب أن تعيش هذه العلة منذ نشأتها إلى اليوم يتلقاها النحاة بالقبول جيلاً فجيلاً، ويملؤون فيها فراغ أوقاتهم وكتبهم، ويصدعون بها الرؤوس، لايفكر أحد في محاربتها وإراحة المتعلمين منها، وما احتوته المراجع المطولة من ألوانها وضروب عبثها»(٧٣).

كما هاجم الدكتور تمام حسان مبدأ التعليل، ووصف العلة بالفساد، وجعلها أصل العامل(٧٤).

والمنهج الوصفي البنيوي كذلك الذي يفسر البنية بعلاقاتها الساكنة لا بأسبابها ومسبباتها التي تتوالى في الزمن، رفض مبدأ التعليل، لأنه يسعى إلى شرح الكيفيات، ويعزف عن الغائية التي تتضمن الأسباب والغرض والحكمة التي من أجلها حصلت الظاهرة ويعدها من فلسفة العلم وليست من العلم ذاته، ولذلك فأنصاره يرفضون العلة في البحث اللغوي لأنها في رأيهم من فلسفة النحو وليست من النحو.ودعوة هؤلاء النحاة إلى رفض العلة في النحو العربي، ومحاربتها، والاستغناء عنها، فيها مغالاة شديدة، ولو أنهم رفضوا العلل الثواني والثوالث لهان الأمر، ولكنهم يرفضون العلل برمتها، وقد رأينا في ما سبق أن العلة التعليمية تمكننا من معرفة كلام العرب والإحاطة به، والاطلاع على أساليبه، وهذا يعني أن رفض العلة التعليمية رفض معرفة كلام العرب لأننا نعلّم في جامعاتنا ومدارسنا العلل التعليمية التي تبيّن لنا أن الفاعل مرفوع والمفعول به منصوب والمضاف إليه مجرور، لتستقيم ألسنة الطلاب، وتصح كتابتهم لأن هذا هو الذي يؤهلهم للوصول إلى أساليب العرب وطرائقهم في التعبير؛ لأنها توضح العلاقات بين عناصر التركيب والعلاقات بين الظواهر بالكشف عن هذه العلاقات ومعرفة أحوال التركيب والتحليل وأداء الوظيفة، وتبيّن لنا الغايات والغرض والحكمة التي من أجلها كانت الظاهرة أي الأسباب التي أدت إلى حصول الظاهرة على هذا الوجه، حيث تجلّى قسم كبير منها بقولهم:« العرب تقول كذا» و«هكذا قالت العرب»... فجمعت بين ميزات البحث العلمي، وطابع التلقين التعليمي، عندما وصفت الظاهرة اللغوية ثم انتقلت إلى توضيح الأسباب الكامنة وراء حصول هذه الظاهرة على هذا الوجه.

لذلك كانت علتهم رابطة عقلية بين المستعمل الحسي الجاري على ألسنة العرب والمجرد العقلي أي القاعدة أو القانون، فأعطت المجرد نوعاً من التفسير والإيضاح الذي هو بحاجة إليه. وهذا يعني أنّ العلة التعليمية في جوهرها تفسير للطبيعة اللغوية، وتابعة لها، ولا تضيف شيئاً جديداً يناقضها، ولعل هذه الميزات المتوافرة لهذا النوع من التعليل جعلت ابن مضاء يكتفي بها في دراسة النحو العربي؛ لأن الاكتفاء بها يبعد النحو عن التكلف.

ولعل الدافع الذي حدا بالنحاة العرب القدماء إلى الأخذ بالعلل التعليمية أن يدفع بنا إلى الأخذ بها وتتبعها بنوعيها النحوي والصرفي واستخراجها من أمهات كتب النحو لنجرّدها من كل ما لا علاقة له بها، ونتبناها في صنع نحوٍ تعليميّ للناشئة في مدارسنا يخلو من الخلاف والجدل وتعدد الآراء، نصوغه بأسلوب بسيط سهل ميَّسرٍ ليكون سهل المنال من قبل المتعلمين فيقبلون عليه برغبة واندفاع، فينهلون منه لتستقيم ألسنتهم وتخلو كتابتهم من الأخطاء، ونكون بذلك قد أدينا خدمة نافعة لأبنائنا وللغتنا. وهذا لا يعني أننا في حالة ضجر من تراثنا النحوي، فتراثنا النحوي لا غنى عليه فهو ميدان للبحث العلمي، والتخصص، بل دعوتنا تلك إيماناً بالتفرقة بين نحوٍ تعليميّ للناشئة، ونحوٍ تخصصيّ لمن يريد التعمق في البحث.

الحواشي

(١) لسان العرب (علل): ٥/٤٧١.

(٢) الكليات للكفوي: ٢٥٠ .

(٣) القياس في النحو، د. منى إلياس: ٤٧ .

(٤) أصول النحو العربي، د. محمد خير حلواني: ١٠٨ .

(٥) النحو العربي، د. مازن مبارك: ٥١.

(٦) أصول التفكير النحوي، د.علي أبو المكارم: ١٦٧- ١٦٩.

(٧) القياس في النحو: ٤٧.

(٨) تطور الدرس النحوي، د. حسن عون: ٧١.

(٩) النحو العربي بين الأصالة والتأثر: ٥٣ .

(١٠) طبقات فحول الشعراء: ١٤.

(١١) الأصول في النحو لابن السراج: ١/ ٣٥ والإيضاح في علل النحو، للزجاجي: ٦٤ والخصائص، لابن جني: ١/ ١٦٤.

(١٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/ ١٨٢، وطبقات فحول الشعراء: ١٩.

(١٣) الكتاب: ١/ ٣٩٨ والمقتضب: ٣/ ٢٧٢.

(١٤) الكتاب: ٢/ ٩٦.

(١٥) تذكرة الحفاظ، للذهبي: ١/ ١٦٠ وطبقات الحفاظ، للسيوطي: ٦٩ وبحوث في اللغة والنحو والبلاغة، د. عبد الإله نبهان: ١٥٤ - ١٥٥.

(١٦) نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب: ١٥، ٢٢.

(١٧) أبجد العلوم للقنوجي: ١/ ١٧٧ والنحو العربي بين الأصالة والتأثر:٥٣ .

(١٨) الكتاب: ١/ ٢٣٨.

(١٩) الكتاب: ١/٢٩٢ .

(٢٠) الكتاب: ٣/ ٥٠٦ .

(٢١) الإيضاح في علل النحو: ٦٤، ٦٦، ٦٧.

(٢٢) نفسه: ٦٦، وينظر: الكتاب: ١/ ٦٤.

(٢٣) ابن يعيش النحوي، د. عبد الإله نبهان: ٤٩٣.

(٢٤) الكتاب: ٣/ ٦٣ .

(٢٥) المفصّل في تاريخ النحو: ٢٨٨.

(٢٦) القياس في النحو: ٤٧.

(٢٧) الكتاب: ١/ ٣٢ .

(٢٨) تطور الدرس النحوي: ٤٦.

(٢٩) سيبويه إمام النحاة: ١٦٣- ١٦٤.

(٣٠) الكتاب: ١/ ٢٣ – ٢٤.

(٣١) الكتاب: ١/ ٣٩ والمقتضب: ٢/ ٣٤٠- ٣٤١ و٣/ ١٨٨- ٨٩،١٩٥.

(٣٢) الكتاب: ١/ ١٢٢ وشرح المفصل، لابن يعيش: ٧/ ٧٩ ومغني اللبيب: ٧٧٣ .

(٣٣) صنيع محمد بن المستنير تلميذ سيبويه المشهور بقطرب (ت ٢٠٦هـ) الذي ألف كتاب «العلل في النحو» الفهرست: ٥٨.

(٣٤) الإيضاح في علل النحو (مقدمة د. شوقي ضيف: ج).

(٣٥) الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة في أصول النحو:٩٣.

(٣٦) ينظر: الأصول، د. تمام حسان: ١٩٩.

(٣٧) ينظر: أخبار النحويين البصريين للسيرافي: ١٢ وطبقات النحويين واللغويين: ١- ٢ وإحياء النحو ٩ – ١٠.

(٣٨) مطلع قصيدة له ذكرها القفطي في إنباه الرواة ٢/ ٢٦٧.

(٣٩) ينظر: تطور الدرس النحوي: ٦٣ – ٦٤، ٦٦- ٦٧، وأصول التفكير النحوي:١٦٢.

(٤٠) ينظر: الأصول، د. تمام حسان: ١٩٤.

(٤١) أصول التفكير النحوي: ١٦٢ .

(٤٢) النحو العربي: ٥٩ .

(٤٣) تاريخ آداب اللغة العربية: ٢/ ١٣١ .

(٤٤) للتوسع في ذلك ينظر: بحوث في اللغة والنحو والبلاغة: ١٥٣ وما بعدها. ومقالنا في مجلة المعرفة السورية بعنوان «نظرة في حركة الترجمة ونقل العلوم عند العرب في القرنين الأول والثاني الهجريين» ص ١٥٢ وما بعدها.

(٤٦) أصول النحو العربي محمد عيد: ١٣٢ .

(٤٧) الأصول، د. تمام حسان: ١٨٩ .

(٤٨) الخصائص، لابن جني: ١/ ٢٣٧ – ٢٣٨ .

(٤٩) الخصائص: ١/ ٢٤٩ – ٢٥٠، وينظر الكتاب: ١/ ١٢٩، والوَجْذ موضع يمسك الماءَ كالحوض.

(٥٠) الخصائص: ١/ ٢٤٩.

(٥١) نفسه.

(٥٢) الكتاب: ١/ ٣٢ والخصائص: ١/ ٤٨.

(٥٣) الإيضاح في علل النحو: ٦٥ – ٦٦.

(٥٤) الخصائص: ١/ ٥١.

(٥٥) النحو العربي: ٦٩.

(٥٦) ينظر: الأصول، د. تمام حسان: ١٩٤.

(٥٧) ينظر: الأصول في النحو لابن السراج: ١/ ٣٥ والإيضاح في علل النحو: ٦٤ – ٦٥، والرد على النحاة: ١٥٢ – ١٦٠.

(٥٨) كخبر كان ومفعولي ظنّ.

(٥٩) الخصائص: ١/ ١٦٤، والرد على النحاة ١٦٠ – ١٦١.

(٦٠) الأصول في النحو: ١/ ٣٥.

(٦١) الإيضاح في علل النحو: ٦٤.

(٦٢) الرد على النحاة: ١٥٢.

(٦٣) نفسه: ١٦٠ - ١٦١.

(٦٤) الأصول في النحو: ١/ ٣٦.

(٦٥) أصول التفكير النحوي: ١٦٧ - ١٦٩.

(٦٦) نفسه: ٢١٣ - ٢١٤.

(٦٧) الإيضاح في علل النحو: ٧٠ - ٧١.

(٦٨) الكتاب: ١/ ١٣.

(٦٩) الخصائص: ١/ ٨٨.

(٧٠) نظرات في اللغة عند ابن حزم: ٤٤.

(٧١) همع الهوامع: ٢/ ٢١، ٢/ ١٣١، والنحو العربي: ١٣٨ وما بعدها والأصول د. تمام حسان: ١٨٧ - ١٨٨.

(٧٢) ينظر حركة الإحياء اللغوي في بلاد الشام: ١٨٦.

(٧٣) رأي في بعض الأصول اللغوية والنحوية: ٦٩ - ٧٠.

(٧٤) اللغة بين المعيارية والوصفية: ٥٣ - ٥٤.

المصادر والمراجع

– أبجد العلوم، للقنوجي، وزارة الثقافة بدمشق، ١٩٧٨.

– ابن يعيش النحوي، د. عبد الإله نبهان، اتحاد الكتاب العرب بدمشق ١٩٩٧.

– أخبار النحويين البصريين، للسيرافي، ح طه الزيتي وخفاجي ط١ ١٩٥٥.

– أصول التفكير النحوي، د. علي أبو المكارم، منشورات الجامعة الليبية، كلية التربية ١٩٧٣.

– الأصول، د. تمام حسان: دار الثقافة المغرب، ط١، ١٩٨١.

– الأصول في النحو، لابن السراج، ح د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة ط١، ١٩٨٥.

– أصول النحو العربي، د. محمد خير حلواني، جامعة تشرين، اللاذقية، ١٩٧٩.

– أصول النحو العربي، د. محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة.

– الإغراب في جدل الإعراب، عبد الرحمن الأنباري، ح سعيد الأفغاني/ ط٢، بيروت، دار الفكر.

– الإيضاح في علل النحو، الزجاجي، ح د. مازن مبارك، ط٢ بيروت ١٩٧٣.

– بحوث في اللغة والنحو والبلاغة، د. عبد الإله نبهان، ط١ مطبعة اليمامة حمص ١٩٩٥.

– تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، دار الهلال بمصر ١٩٥٧.

– تذكرة الحفاظ، للذهبي، ط٣ حيدر آباد، ١٩٥٥.

– تطور الدرس النحوي، د. حسن عون، معهد البحوث والدراسات العربية،

القاهرة، ١٩٧٠.

- حركة الإحياء اللغوي في بلاد الشام، د. نشأة ظبيان، دمشق ١٩٧٧.

- الخصائص لابن جني، ح د. محمد علي النجار، ط٢ بيروت.

- الرد على النحاة، ابن مضاء القرطبي، ح د. شوقي ضيف، ط١ دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٧.

- سيبويه إمام النحاة، علي النجدي ناصف، مكتبة نهضة مصر ١٩٥٣.

- شرح المفصل لابن يعيش، عالم الكتب بيروت، ومكتبة المثنى القاهرة (بلا تاريخ).

- طبقات الحفاظ للسيوطي، ح علي محمد عمر، ط١، ١٩٧٣.

- طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، ح محمود شاكر، ط دار المعارف ١٩٥٢.

- طبقات النحويين واللغويين، للزبيدي، ح أبو الفضل إبراهيم، ط١، القاهرة، ١٩٥٤.

- الفهرست، ابن النديم، ح رضا تجدد، طهران ١٩٧١.

- الكتاب، سيبويه، ح عبد السلام هارون، ط٢ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧.

- الكليات، للكفوي، ح د. عدنان درويش وزميله، وزارة الثقافة دمشق ١٩٨١.

- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر بيروت ١٩٦٨.

- معاني القرآن، للفراء، ح أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، ط٢ عالم الكتب بيروت ١٩٨٠.

- المفصل في تاريخ النحو، د. محمد خير حلواني، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٠.

- المقتضب، للمبرد، ح عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب بيروت.

- مغني اللبيب، لابن هشام، ح د. مازن مبارك وزميله: ط٢ دار الفكر بيروت ١٩٦٩.

- النحو العربي، د. مازن مبارك، ط٢ دار الفكر، ١٩٧١.

- النحو العربي بين الأصالة والتأثر، سعد الكردي، رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة، جامعة دمشق ١٩٨٤.

- نظرة في حركة التأليف عند العرب، د. أمجد طرابلسي، دار الفتح بدمشق ط٥، ١٩٧١.

- همع الهوامع وشرح جمع الجوامع، للسيوطي، ط١ مطبعة السعادة، ١٣٢٧ هـ.

* * *

أبواب الفعل الثلاثي

دراسة لغوية تحليلية إحصائية باستخدام الحاسوب

الدكتور محمد جواد النوري

تمهيد:

يمثل المعجم الوسيط، الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة، في طبعته الثانية سنة ١٩٧٣م، عينة لغوية صالحة لدراسة الكثير من الظواهر اللغوية في العربية. فهذا المعجم - كما جاء في تصديره - "يمت إلى الماضي بصلة وثيقة، ويعبر عن الحاضر أصدق تعبير"(١). وهو - بالإضافة إلى ذلك - نتاج هيئة علمية لغوية مرموقة في عالمنا العربي، كما أنه يعد - كما يقول الدكتور عدنان الخطيب - "أفضل محاولة معجمية في هذا العصر"(٢).

ومن الظواهر التي يمكن دراستها، من خلال المعطيات التي يقدمها هذا المعجم، ظاهرة أبواب الفعل الثلاثي. وليس البحث في أبواب الفعل الثلاثي ودراستها بالأمر الجديد، فقد كان هذا الموضوع موضع عناية اللغويين القدامى واهتمامهم منذ بزغ فجر الدرس اللغوي، عند العرب، على يد

---

(١) تصدير المعجم الوسيط ص٩.

(٢) د. عدنان الخطيب، المعجم العربي بين الماضي والحاضر، ص٦٤.

رائده سيبويه في سفره الخالد "الكتاب"، ومن جاء بعده من العلماء مثل: ابن جني، في "المنصف" و"الخصائص"، وابن درستويه في شرحه للفصيح، والزمخشري في "المفصل"، وابن يعيش في "شرح المفصل"، وابن الحاجب في "الشافية"، وغيرهم.

ولقد أولى اللغويون المحدثون أيضاً هذه الظاهرة بعض العناية، فتناولوها – كما فعل القدماء – بالدرس والتحليل من منطلقات صوتية ودلالية نجدها مبعثرة في كتب اللغة بعامة والصرف بخاصة. ولعل ما قام به أستاذنا المرحوم الدكتور إبراهيم أنيس – في هذا المجال – يعد محاولة ناضجة لدرس هذه الظاهرة وتحليلها والتعليل لها(٣) .

وسنحاول – في هذا البحث – دراسة هذه الظاهرة دراسة إحصائية تحليلية بوساطة استخدام الحاسوب، منطلقين – في درسنا – من المعطيات التي يقدمها لنا المعجم الوسيط في هذا الصدد، باعتباره – كما ذكرنا في السطور السابقة – عينة لغوية يمكن الاعتماد عليها في رصد هذه الظاهرة تمهيداً للبحث فيها وصفاً وإحصاءً وتحليلاً.

وستتناول دراستنا لهذه الظاهرة الجوانب التالية:

أ – إحصاء جذور الأفعال الثلاثية الواردة في المعجم الوسيط، مع الإشارة إلى الباب، أو الأبواب، التي ينتمي إليها كل فعل من هذه الأفعال.

(٣) د. إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ٣٠–٤٥. وانظر كذلك كتابه في اللهجات العربية، ١٦٨– ١٧٣.

ب – عرض تكرار أبواب الأفعال الثلاثية بالإحصاء وذلك في حالة ورودها مفردة، أو متعددة، أي في حالة اشتراك بعض الأبواب في الجذر الثلاثي نفسه، وفي مجموع الحالتين السابقتين معاً، ثم ترتيب ذلك كله ترتيباً تصاعدياً.

ج– – وبالإضافة إلى ذلك، فإن بحثنا سيتناول دراسة تأثير أحرف الفعل الثلاثي (ف، ع، ل) في حركات عين ماضيه ومضارعه.

ونود الإشارة، في هذا التمهيد الموجز، إلى أن الدراسات الإحصائية لمواد المعاجم اللغوية، تعد من الأمور الحديثة نسبياً، في ميدان الدراسات اللغوية العربية. ومن الدراسات التي لها صلة بهذا الجانب اللغوي، تلك الدراسة التي قام بها "غرينبرغ"Greenberg لأنماط مورفيمات الجذور في السامية. وقد اعتمد هذا الباحث، في دراسته، على المعطيات التي استمدها من معجمي لين ودوزي Lane And Dozy ينظر لذلك:

Al – Ani S. H. (ED) Readings in Arabic Linguistics, Indiana University Linguistics Club١٩٧٨, P: ٤٣١- ٤٥٦.

ومن تلك الدراسات أيضاً، دراسة "هيردان" Herdan، لأنماط الجذور الفعلية السامية بحسب التحليل التجميعي. وقد بنى هيردان دراسته على معطيات استمدها من دراسة "غرينبرغ" (ينظر المرجع السابق ص: ٤٥٧- ٤٦٤).

ومن الدراسات العربية، التي يمكن الإشارة إليها، في هذا المجال، تلك الدراسة التي قام بها الدكتور علي حلمي موسى، لجذور معجم الصحاح

للجوهري، في كتابه: "دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر"، وصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٨م.

١: جذور الأفعال الثلاثية والباب أو الأبواب التي ينتمي إليها كل جذر:

يعين الجدول رقم (١)، بصفحاته الثماني والعشرين[٤]، جذور الأفعال الثلاثية الواردة في المعجم الوسيط، وعددها (٤٥٤٦) جذراً[٥]. وقد خصصنا كل صفحة، من صفحات هذا الجدول، لحرف من الحروف العربية الثمانية والعشرين. ويظهر هذا الحرف، الذي يمثل فاء الجذر الثلاثي، في أعلى الصفحة.

١:١ بنية الجدول رقم (١):

يتألف هذا الجدول – في كل صفحة من صفحاته – من:

أ – حرف "أبتثي" يظهر – كما ذكرنا قبل قليل – في أعلى الصفحة، وهو يمثل فاء الأفعال الثلاثية الواردة في الصفحة.

ب – عمود رأسي: يشتمل على الحروف العربية التي يمثل كل واحد منها عيْناً لجذر ثلاثي.

ج– سطر أفقي: يشتمل على الحروف العربية التي يمثل كل واحد

(٤) سوف نكتفي بإيراد الصفحة الأولى، من جداول المعطيات، بوصفها نموذجاً أو عينة لها، وذلك من أجل الاختصار.

(٥) اقتصرنا في إحصائنا لهذه الأفعال على تلك الأفعال الثلاثية التي أوردها المعجم الوسيط مجردة، وذكر معها صيغة الفعل المضارع.

منها لاماً لجذر ثلاثي.

د – مجموعة مربعات في داخلها: وتظهر في بعض هذه المربعات – كما هو واضح – رموز من أرقام (١–٩)، أو حروف (أ–ي)، فضلاً عن الإشارات الثلاث: (*، /، +). وتعين هذه الرموز، بأنواعها المختلفة، الباب، أو الأبواب، التي ينتمي إليها كل فعل من الأفعال الثلاثية في المعجم الوسيط[٦].

١ : ٢ استعمال الجدول رقم (١):

من أجل التعرف إلى وجود جذر ما في المعجم الوسيط، ثم التعرف إلى الباب، أو الأبواب، التي ينتمي إليها، في حالة وجوده، فإننا نقدم المثالين التاليين من الصفحة الأولى لهذا الجدول:

* يتعين الجذر "أرق" بالبحث في المربع، عنده السطر الأفقي، المبدوء بالحرف (ر) – وهو عين الفعل – مع العمود الرأسي المبدوء بالحرف (ق)، وهو لام الفعل. ويلاحظ – في داخل هذا المربع – وجود الرقم (٧). وهذا يعني أن الفعل "أرق" موجود في المعجم الوسيط، من جهة، وأنه ينتمي إلى الباب السابع، أي باب (فَعِل – يَفْعَل)، من جهة أخرى، وذلك على نحو ما يتضح في الشكل (١) الوارد في الصفحة (١٦٣).

* ويتعين الجذر "أخذ"، أيضاً، بالبحث في المربع، يتقاطع عنده السطر الأفقي، المبدوء بالحرف (خ)، مع العمود الرأسي المبدوء بالحرف (ذ). ويلاحظ – في داخل هذا المربع – وجود الرمز (ك) الذي يعني أن الفعل

(٦) للتعرف على مدلولات هذه الرموز، ينظر (٢: ١) و(٢:٢) من هذا البحث.

"أخذ" موجود في المعجم الوسيط، وأنه ينتمي إلى الأبواب: الثاني، والخامس، والسابع، كما يتبين من الجدول رقم (٢)، وهذه الأبواب هي: فعَل – يفعُل، وفعُل – يفعُل، وفعِل – يفعَل. وذلك على نحو ما يتضح في الجدول (١) الوارد في الصفحة (١٦٤).

وفي حالة خلو مربع ما من أي رمز، فإن هذا يشير إلى خلو المعجم من جذر ما لفعل ثلاثي. ومثال ذلك المربع الخالي من الرموز والمناظر للجذر "أبج" في الصفحة الأولى نفسها. وفي هذا المربع يتقاطع السطر الأفقي المبدوء بالحرف (ب) مع العمود الرأسي المبدوء بالحرف (ج). إن خلو هذا المربع، من أي رمز من الرموز، يعني خلو المعجم الوسيط من هذا الجذر الفعلي الثلاثي.

٢: أبواب الفعل الثلاثي الأحادية والمتعددة:

يبين الجدول رقم (٢) الأبواب المختلفة التي يمكن أن تتخذها حركات العين في ماضي الأفعال الثلاثية ومضارعها. ويبلغ عدد هذه الأبواب وتنوعاتها المختلفة – كما هو واضح في العمود الرأسي الأول – أربعين حالة.

ولقد استعملنا الرموز (١-٩) للدلالة على الحالات التي يمكن أن ترد فيها الأفعال أحادية الباب، والرموز الألفبائية (أ-ي)، والرموز الثلاثة الأخيرة وهي (*، /، +) للدلالة على الحالات التي ترد فيها الأفعال متعددة الأبواب.

جدول رقم (1)

أ

	ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	ي
ا	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
ب	١	؟	٧	٠	٠	٠	٠	ذ	٠	د	٣	٣	٢	ر	ر	٠	٠	٠	٠	٠	ر	٠	ك	٠	ج	ث	؟	ث
ت	٠	٠	؟	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٣	ر	؟	٠	؟	٣
ث	٠	٠	٠	ر	٠	٠	٠	٠	٠	د	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٣	٠	٠	ذ	٧	٠	٠	؟	٠
ج	٠	٠	٠	٠	؟	٠	٠	؟	٠	؟	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	د	ر	ك	٠	٠	٠
ح	٠	٠	٠	٠	٠	؟	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٧	٠	٠	٠
خ	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	ك	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	؟	٠
د	٠	ذ	٠	٠	٠	٠	٠	؟	٠	٧	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٣	ل	٠	٠	؟	٣
ذ	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	ذ	٠	٠	٧
ر	٠	ل	٠	٠	ر	٠	١	٠	٠	ج	٣	٣	؟	٠	ك	د	٠	٠	٠	٠	٧	د	٠	ر	د	٠	؟	ر
ز	٠	ر	٠	٠	ر	٣	٠	٠	٠	د	ج	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٧	٣	٠	٣	ر	٠	٠	؟	ر
س	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٧	٠	ر	٠	؟	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٧	٠	٠	٥	٠	د	٠	؟	ر
ش	٠	ى	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	د	٠	٠	؟	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
ص	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	؟	٠	٣	٠	٠	٠	؟	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	ك	٠	٠	٠	٠	٠
ض	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٧	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٧	٠	٠	٠	٠
ط	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	؟	٠	٠	٠	٠	٠	٣	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	ر	٠	٠	٠	٠
ظ	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
ع	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
غ	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
ف	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٣	٧	٠	ر	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	؟	ر	ر	ف	٠	ر	٠	٠	٠
ق	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
ك	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	؟	٠	؟	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	؟	د	٠	٠	٠	٠	٠
ل	٠	د	٣	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٣	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	ر	٣	٣	ف	٧	٠	ث	؟	٧
م	٠	٠	٣	٠	ر	٣	٠	٧	٠	ث	٠	٠	٠	٠	٧	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	؟	د	س	د	ه	٧
ن	٠	٠	٣	٥	٠	٣	٠	٠	٠	٠	٠	ل	٠	٠	ذ	٠	٠	٠	٠	د	٧	٠	٠	٠	٣	٠	٠	ر
ه	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	د	٠	٠	؟	٠	٣
و	٠	؟	٠	٠	٠	٠	٠	د	٠	٠	٠	؟	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	؟	؟	٠	د	؟	٥	؟	٠	٣
ي	٠	٣	٠	٠	٠	٠	٠	٣	٠	٠	٠	ر	٠	٠	٣	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٧	٠	٣	٣	٠	٠	٠

جدول رقم (٢)

	الحركات المفردة		الحركات المشتركة معها	
	رموز	مكونات	عددها	صورها
١	١	١	١٥	ا ب ت ث ج ض ط ظ ع غ ن ه و ي +
٢	٢	٢	١٥	ا ج خ د ض ط ظ ف ق ك ن ه * / +
٣	٣	٣	١٥	ب ج ذ ر ز ض ع ف ق ل م ن و * +
٤	٤	٤	٠	
٥	٥	٥	١٦	ث ج ذ ص ش ط ع ف ك ل ه و ي * / +
٦	٦	٦	٠	
٧	٧	٧	١٩	ث د ر ص ض ظ ع غ ق ك ل م ن ه و ي * / +
٨	٨	٨	٠	
٩	٩	٩	٧	ج ز ش ص م ي /
١٠	ا	٢١	٦	ض ط ظ ن ه +
١١	ب	٣١	٥	ض ع ن و +
١٢	ت	٥١	٦	ط غ ه و ي +
١٣	ث	٧١	٨	ظ ع غ ن ه و ي +
١٤	ج	٩١	١	ي
١٥	ح	٣٢	٦	ض ف ق ن * +
١٦	خ	٥٢	٧	ط ف ك ه * / +
١٧	د	٧٢	٨	ظ ق ك ن ه * / +
١٨	ذ	٥٣	٥	ف ل و * +
١٩	ر	٧٣	٨	ع ق ل م ن و * +
٢٠	ز	٩٣	١	م
٢١	س	٧٥	٩	غ ك ل ه و ي * / +
٢٢	ش	٩٥	٢	ي /
٢٣	ص	٩٧	٣	م ي /
٢٤	ض	٣٢١	٢	ن +
٢٥	ط	٥٢١	٢	ه +
٢٦	ظ	٧٢١	٣	ن ه +
٢٧	ع	٧٣١	٣	ن و +
٢٨	غ	٧٥١	٤	ه و ي +
٢٩	ف	٥٣٢	٢	* +
٣٠	ق	٧٣٢	٣	ن * +
٣١	ك	٧٥٢	٤	ه * / +
٣٢	ل	٧٥٣	٣	و * +
٣٣	م	٩٧٣	٠	
٣٤	ن	٧٣٢١	١	+
٣٥	ه	٧٥٢١	١	+
٣٦	و	٧٥٣١	٠	+
٣٧	ي	٩٧٥١	٠	
٣٨	*	٧٥٣٢	١	+
٣٩	/	٩٧٥٢	٠	
٤٠	+	٧٥٣٢١	٠	

٢: ١ دلالات الرموز الرقمية:

يمكن توضيح دلالات الرموز الرقمية، الواردة في العمود الرأسي الثاني من الجدول، على النحو التالي:

١- يعني الرقم (١) الباب الأول، وهو باب (فَتْح - فَتْح)، أي فتح عين الفعل الثلاثي في الماضي والمضارع. ومن أمثلته: فتَح - يفتَح -، وشرَح - يشرَح.

٢- يعني الرقم (٢) الباب الثاني، وهو باب (فَتْح - ضَم)، أي فتح عين الفعل الثلاثي في الماضي، وضمها في المضارع. ومن أمثلته: نَصَر - ينصُر، وسبَر - يسبُر.

٣- يعني الرقم (٣) الباب الثالث، وهو باب (فتح - كسر)، أي ضم عين الفعل الثلاثي في الماضي، وكسرها في المضارع. ومن أمثلته: جلَس - يجلِس، وحبَس - يحبِس.

٤- يعني الرقم (٤) الباب الرابع، وهو باب (ضَم - فَتْح)، أي ضم عين الفعل الثلاثي في الماضي وفتحها في المضارع, وهذا الباب غير موجود في اللغة العربية، باستثناء ما رواه بعض القدماء، كسيبويه، من أن "بعض العرب قد قال: كُدتَ - تَكادُ فقال فَعُلْتَ - تَفْعَل"(٧) . وقد علق ابن جني

---

(٧) سيبويه، الكتاب ٤/٤٠، ط٣ تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٣م. وكذلك، ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص٣٧٣، ط٤ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر ١٩٦٣م.

على ما حكاه سيبويه بقوله: "وهذا من الشاذ"[٨].

٥- يعني الرقم (٥) الباب الخامس، وهو باب (ضَم – ضَم)، أي ضم عين الفعل الثلاثي في الماضي والمضارع, ومن أمثلته: سهُل – يسهُل، وظرُف – يظرُف.

٦- يعني الرقم (٦) الباب السادس، وهو باب (ضَم – كَسْر)، أي ضم عين الفعل الثلاثي في الماضي، وكسرها في المضارع. وهذا الباب غير موجود في اللغة العربية.

٧- يعني الرقم (٧) الباب السابع، وهو باب (كَسْر – فَتْح)، أي كسر عين الفعل الثلاثي في الماضي، وفتحها في المضارع. ومن أمثلته: سمِع – يسمَع، وعجِل – يعْجَل.

٨- يعني الرقم (٨) الباب الثامن، وهو باب (كسر – ضم)، أي كسر عين الفعل الثلاثي في الماضي، وفتحها في المضارع. وهذا الباب غير موجود في اللغة العربية باستثناء ما رواه ابن قتيبة عن أبي عبيدة: "يقال: فَضِل منه شيء قليل، فإذا أرادوا المستقبل ضموا الضاد فقالوا: "يفْضُل". وليس في الكلام حرف من السالم يشبهه، وقد جاء من المعتل مثله، قالوا: "مِتّ" فكسروا ثم قالوا "تموت" وكذلك "دِمْتَ" ثم قالوا "تدوم". وقال سيبويه: بلغنا أن بعض العرب يقول: "نَعِم – ينْعُم" مثل "فَضِل – يفْضُل"[٩].

---

(٨) ابن جني، المنصف، شرح لكتاب التصريف للمازني ١/١٨٩، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ومطبعتها، القاهرة ١٩٥٤م.

(٩) ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص ٣٧٢- ٣٧٣ وكذلك:

- السيوطي، المزهر، ١/٢٦٤ -٢٦٥.

=

وقد علق سيبويه على ذلك بقوله: "...إن فَضِلَ – يَفْضُل شاذ من بابه"[١٠] .

٩– يعني الرقم (٩) الباب التاسع، وهو باب (كَسْر – كَسْر)، أي كسر عين الفعل الثلاثي في الماضي والمضارع. ومن أمثلته: ورث – يرِث، ووفِق – يَفِق.

والشكل التالي يلخص هذه الأبواب ويوضحها:[١١]

مضارع / ماض	فتح	ضم	كسر
فتح	١	٢	٣
ضم	×٤	٥	×٦
كسر	٧	×٨	٩

(شكل رقم ١)

(حركات عين الفعل الماضي والمضارع بحسب الأبواب)

٢:٢ دلالات الرموز الألفبائية، والرموز*، و/، و+:

تعبر الرموز الألفبائية، والرموز الثلاثة الأخيرة، الواردة في العمود الرأسي الثاني في هذا الجدول، عن الأبواب المتعددة، التي ترد فيها بعض الأفعال، والتي تظهر مكوناتها في العمود الرأسي الثالث.

– ابن عصفور، الممتع في التصريف، ١٧٧/١.

(١٠) سيبويه، الكتاب، ٤/ ٤٠.

(١١) تعني الإشارة (×) الواقعة داخل بعض مربعات الشكل رقم (١)، أن الباب الذي يشير إليه المربع غير موجود في العربية.

فالرمز (أ) – على سبيل المثال – يجاوره، في العمود الرأسي الثالث من الجدول، المكونان الرقميان (١،٢)، وهذا يعني وجود مجموعة أفعال تنتمي حركة عين ماضيها ومضارعها إلى بابين هما: الباب الأول، والباب الثاني، ومن أمثلته الفعل: قحَم – يقحُم.

ويعني الرمز (ض)، الذي تجاوره، في العمود الثالث، المكونات الرقمية (١،٢،٣) وجود مجموعة أفعال تنتمي حركة عين ماضيها ومضارعها إلى ثلاثة أبواب هي: الباب الأول، والباب الثاني، والباب الثالث، ومن أمثلته الفعل: نحَب – يَنْحُب، يَنْحَبُ، ينحِبُ.

ويعني الرمز (ن)، الذي تجاوره، في العمود الثالث، المكونات الرقمية (١، ٢، ٣، ٧) وجود مجموعة أفعال تنتمي حركة عين ماضيها ومضارعها إلى أربعة أبواب هي: الباب الأول، والباب الثاني، والباب الثالث، والباب السابع، ومن أمثلته الفعل: مَخَض – يَمْخَض، يَمْخُض، يَمْخِض، ومخِض – يَمْخَض.

ويعني الرمز (+) الذي يقع في نهاية العمود الرأسي الثاني الذي تجاوره، في العمود الثالث المكونات الرقمية (١،٢،٣،٥،٧) وجود مجموعة فعلية تنتمي حركة عين ماضيها ومضارعها إلى خمسة أبواب هي: الأول، والثاني، والثالث، والخامس، والسابع، وتتسم هذه المجموعة بأنها أحادية العنصر الفعلي وهو الفعل: دخَن، يَدْخَن، يَدْخُن، يَدْخِنُ، ودخُن – يَدْخُن، ودخِنَ – يَدْخَنُ. وهكذا الشأن مع بقية الرموز الأخرى.

٢ : ٣ اشتراك أبواب فعلية في الجذر نفسه:

يتبين، عند استعراض عناصر العمود الرأسي الثالث من الجدول رقم (٢)، أن الرقم (١) الذي رمزنا به للباب الأول (فتح – فتح) يتكرر وروده

خمس عشرة مرة في العمود الثالث نفسه وهي: (١- ٢، ١- ٣، ١- ٥، ١- ٧، ١- ٩، ١- ٢- ٣، ١-٢- ٥، ١- ٢- ٧، ١- ٣- ٧، ١-٥- ٧، ١- ٢- ٣- ٧، ١- ٢- ٥- ٧، ١- ٣- ٥- ٧، ١- ٥- ٧- ٩، ١- ٢- ٣- ٥- ٧).

وهذا يعني أن الباب الأول تشاركه أبواب أخرى مختلفة في بعض الجذور بحيث يمكن تصنيف هذه المشاركات إلى خمس عشرة فئة تظهر رموزها في السطر الأفقي الأول الوارد في العمود الخامس من الجدول نفسه، وهذه الرموز هي: (أ،ب،ت،ث،ج،ض،ط،ظ،ع،غ،ن،هـ،و، ي،+). ولتوضيح ذلك نقول: إن الفعل الثلاثي "أبه" - على سبيل المثال يقع - كما هو ظاهر في الصفحة الأولى من رقم (١) - ضمن الفئة ذات الرمز (ث)، التي تعني - كما هو واضح في الجدول رقم (٢) - أن الفعل ينتمي إلى البابين: الأول (فتح - فتح)، والسابع (كسر - فتح).

ويتبين من العمود الرأسي الثالث، في هذا الجدول أيضاً، أن الرقمين (١-٢) اللذين يمثلهما الرمز (أ)، الذي يشير إلى اجتماع البابين الأول والثاني في جذور بعض الأفعال الثلاثية، يتكرر ورودهما ست مرات في العمود الثالث نفسه وهي : (١-٢-٣،١-٢-٥،١-٢-٧،١-٢-٣-٧،١-٢-٣-٥-٧).

وهذا يعني أن البابين الأول والثاني تشاركهما - في بعض الجذور الثلاثية - أبواب أخرى مختلفة، بحيث يمكن تصنيف هذه المشاركات إلى ست فئات تظهر رموزها في العمود الخامس ذي السطر الأفقي المبدوء بالرقم (١٠)، وهذه الرموز هي: (ض، ط،ظ،ن،هـ،+).

ولتوضيح ذلك نقول: إن الفعل الثلاثي "ذرع – على سبيل المثال – يقع – كما ورد في المعجم الوسيط – ضمن الفئة ذات الرمز (هـ) التي تعني – كما هو واضح في الجدول رقم (٢) – أن هذا الفعل يقع ضمن أربعة أبواب مختلفة، من بينها البابان الأول والثاني ......

وعلى نحو مماثل يمكن فهم علاقة المشاركة بين أيِّ رمز ممثل لأبواب معينة في العمود الثالث، والرموز المقابلة له في العمود الخامس، والواقعة معه في السطر الأفقي نفسه.

٣: تكرارات أبواب الفعل الثلاثي:

٣: ١ رموز الحركات:

يقدم العمود الرأسي الأول، في الجدول رقم (٣)، الرموز الرقمية، والألفبائية، والرموز الثلاثة الأخرى التي تعين نوع حركة عين الفعل الثلاثي في الماضي والمضارع.

٣: ٢ تكرارات الحركات المفردة:

يشتمل العمود الرأسي الثاني، في هذا الجدول، على نوعين من الأفعال الثلاثية:

أولهما: الأفعال الثلاثية، التي ترد في المعجم الوسيط، "أحادية الباب"، أي تلك الأفعال التي تأخذ عين الفعل الماضي والمضارع فيها وزن باب معين من الأبواب الستة الرئيسية. ويشمل هذا النوع، أعداد الأفعال الواردة في العمود الرأسي الثاني المجاورة للرموز الرقمية (١–٩)، وهذه الأعداد هي: (٥٤٩+ ١٠١٨+ ٨١٨+ ٥٦+ ٥٢١+ ٤).

وثانيهما: الأفعال الثلاثية التي ترد في المعجم الوسيط "متعددة

الأبواب"، أي تلك الأفعال التي ترد، عين الفعل الماضي والمضارع فيها، على أكثر من وزن باب واحد من الأبواب الرئيسية. ويشمل هذا النوع من الأفعال أعداد الأفعال الواردة في العمود الرأسي الثاني المجاورة للرموز الألفبائية والرموز الأخرى (أ−+).

وفيما يلي دراسة توضيحية لهذين النوعين من الأفعال:

٣: ٢: ١ الأفعال الأحادية الباب:

يبلغ عدد الأفعال الثلاثية التي وردت في المعجم الوسيط أحادية الباب (٢٩٦٦) فعلاً، وتتوزع هذه الأفعال في ستة أبواب رئيسية مرتبة ترتيباً تنازلياً بحسب عدد عناصرها، وهذه الأبواب هي:

١- الباب الثاني (فتح - ضم)، ويتحقق هذا الباب في (١٠١٨) فعلاً.

٢- الباب الثالث (فتح - كسر)، ويتجقق هذا الباب في (٨١٨) فعلاً.

٣- الباب الأول (فتح - فتح)، ويتحقق هذا الباب في (٥٤٩) فعلاً.

٤- الباب السابع (كسر - فتح)، ويتحقق هذا الباب في (٥٢١) فعلاً.

٥- الباب الخامس (ضم - ضم)، ويتحقق هذا الباب في (٥٦) فعلاً.

٦- الباب التاسع (كسر - كسر)، ويتحقق هذا الباب في (٤) أفعال هي: "ورث" و"ورم" و"وفق" و"ومق".

٣: ٢: ٢: الأفعال المتعددة الأبواب:

يبلغ عدد الأفعال الثلاثية، التي ترد في المعجم الوسيط متعددة الأبواب، (١٥٨٠) فعلاً. وتكمل هذه الأفعال، مع الأفعال الأحادية الباب، مجموعة الأفعال الثلاثية العربية الواردة في المعجم الوسيط والبالغة (٤٥٤٦) فعلاً، وتتوزع هذه الأفعال في أربعة أقسام رئيسية هي:

جدول رقم (٣)

حركات	تكرار الحركات			تكرارات الحركات مرتبة تصاعديا		
	مفردة	مشتركة	مجموع	مفردة	مشتركة	مجموع
١	٥٤٩	٣٦٢	٩١١	ج ٠	+ ٠	٨ ٠
٢	١٠١٨	٨٠٦	١٨٢٤	٨ ٠	/ ٠	٦ ٠
٣	٨١٨	٦٦٧	١٤٨٥	٦ ٠	ي ٠	٤ ٠
٤	٠	٠	٠	٤ ٠	م ٠	+ ١
٥	٥٦	٣٦٥	٤٢١	+ ١	٨ ٠	/ ١
٦	٠	٠	٠	/ ١	٦ ٠	ي ١
٧	٥٢١	١٢١٢	١٧٣٣	ي ١	٤ ٠	ج ١
٨	٠	٠	٠	ن ١	* ١	ن ٢
٩	٤	١٥	١٩	ش ١	و ١	د ٣
ا	١٢	١٧	٢٩	و ٢	ه ١	م ٣
ب	١١	١١	٢٢	ض ٢	ن ١	ش ٣
ت	٤٦	٤٦	٩٢	* ٣	ج ١	* ٤
ث	٢٣٥	٥٣	٢٨٨	م ٣	ض ٢	ض ٤
ج	٠	١	١	ط ٣	ش ٢	ه ٧
ح	١٦٩	٩١	٢٦٠	ظ ٤	ر ٣	ز ٧
خ	٧٢	٩٣	١٦٥	ز ٤	ف ٤	ع ٩
د	٣٧٦	١٦٥	٥٤١	٩ ٤	ع ٤	ط ١٠
ذ	٤١	٤٣	٨٤	ع ٥	ق ٥	ص ١٠
ر	٣١١	١٢٢	٤٣٣	ص ٥	ص ٥	ف ١١
ز	٤	٣	٧	ه ٦	ل ٦	ظ ١٢
س	٤٦	١٤٩	١٩٥	ف ٧	ط ٧	٩ ١٩
ش	١	٢	٣	ب ١١	ظ ٨	ب ٢٢
ص	٥	٥	١٠	ا ١٢	ع ١٠	ا ٢٩
ض	٢	٢	٤	ل ٣٠	ك ١١	ل ٣٦
ط	٣	٧	١٠	غ ٣٣	ب ١١	غ ٤٣
ظ	٤	٨	١٢	ذ ٤١	٩ ١٥	ق ٨٢
ع	٥	٤	٩	س ٤٦	ا ١٧	ك ٨٣
غ	٣٣	١٠	٤٣	ت ٤٦	ذ ٤٣	ذ ٨٤
ف	٧	٤	١١	٥ ٥٦	ت ٤٦	ت ٩٢
ق	٧٧	٥	٨٢	ك ٧٢	ث ٥٣	خ ١٦٥
ك	٧٢	١١	٨٣	خ ٧٢	ح ٩١	س ١٩٥
ل	٣٠	٦	٣٦	ق ٧٧	خ ٩٣	ح ٢٦٠
م	٣	٠	٣	ح ١٦٩	ر ١٢٢	ث ٢٨٨
ن	١	١	٢	ث ٢٣٥	س ١٤٩	٥ ٤٢١
ه	٦	١	٧	ر ٣١١	د ١٦٥	ر ٤٣٣
و	٢	١	٣	د ٣٧٦	١ ٣٦٢	د ٥٤١
ي	١	٠	١	٧ ٥٢١	٥ ٣٦٥	١ ٩١١
*	٣	١	٤	١ ٥٤٩	٣ ٦٦٧	٣ ١٤٨٥
/	١	٠	١	٣ ٨١٨	٢ ٨٠٦	٧ ١٧٣٣
+	١	٠	١	٢ ١٠١٨	٧ ١٢١٢	٢ ١٨٢٤

جدول رقم (٤)

	تكرارات الحروف في المواقع				ترتيب تصاعدي لتكرار الحروف في المواقع			
حرف	ف	ع	ل	مج	ف	ع	ل	مج
أ	١٥٧	١٠٥	١٤٥	٤٠٧	ي ١٦	ظ ٣٤	ذ ٣٥	ظ ٨٦
ب	٢٤٢	٢٦٠	٢٤٢	٧١٤	ظ ١٦	ض ٨٣	ظ ٣٦	ذ ١٧٧
ت	٦٤	١٤٠	٩٧	٣٠١	ذ ٥٢	ث ٨٩	غ ٥٤	ض ٢٣٧
ث	٦٧	٨٩	٩٢	٢٤٨	ت ٦٤	ذ ٩٠	ض ٧٠	ث ٢٤٨
ج	١٨٢	١٥٥	١٤٢	٤٧٩	ث ٦٧	غ ٩٣	هـ ٧٨	غ ٢٧٧
ح	٢٣٧	١٥٣	١٥٩	٥٤٩	ض ٨٤	خ ٩٣	خ ٨٨	ت ٣٠١
خ	١٨٥	٩٣	٨٨	٣٦٦	ط ٨٩	ص ١٠٢	ث ٩٢	ص ٣٢٤
د	١٧١	١٨٧	٢١٣	٥٧١	ص ١١٥	أ ١٠٥	ت ٩٧	ط ٣٢٦
ذ	٥٢	٩٠	٣٥	١٧٧	غ ١٣٠	ط ١١٤	ك ١٠٢	خ ٣٦٦
ر	٢٧٤	٣٣٣	٣٤٩	٩٥٦	ر ١٣١	ش ١٢٤	ص ١٠٧	ز ٣٧٨
ز	١٣١	١٣٧	١١٠	٣٧٨	أ ١٥٧	ز ١٣٧	ز ١١٠	أ ٤٠٧
س	٢٠٥	١٤٥	١٨٤	٥٣٤	ك ١٧٠	ت ١٤٠	ط ١٢٣	ك ٤١٧
ش	١٨٥	١٢٤	١٢٣	٤٣٢	د ١٧١	ك ١٤٥	ش ١٢٣	هـ ٤٢٨
ص	١١٥	١٠٢	١٠٧	٣٢٤	هـ ١٧٤	س ١٤٥	ج ١٤٢	ش ٤٣٢
ض	٨٤	٨٣	٧٠	٢٣٧	ف ١٨٠	ح ١٥٣	أ ١٤٥	ج ٤٧٩
ط	٨٩	١١٤	١٢٣	٣٢٦	ج ١٨٢	ج ١٥٥	ح ١٥٩	ي ٥٢٦
ظ	١٦	٣٤	٣٦	٨٦	ش ١٨٥	ق ١٥٦	س ١٨٤	س ٥٣٤
ع	٢٣٠	١٦١	٢١٩	٦١٠	خ ١٨٥	ع ١٦١	ق ١٩٩	ح ٥٤٩
غ	١٣٠	٩٣	٥٤	٢٧٧	ل ١٩٨	هـ ١٧٦	د ٢١٣	ق ٥٧٠
ف	١٨٠	٢١٣	٢٣١	٦٢٤	س ٢٠٥	ن ١٨٠	ع ٢١٩	د ٥٧١
ق	٢١٥	١٥٦	١٩٩	٥٧٠	ب ٢١٢	د ١٨٧	ن ٢٣٠	ع ٦١٠
ك	١٧٠	١٤٥	١٠٢	٤١٧	ق ٢١٥	ف ٢١٣	ف ٢٣١	ف ٦٢٤
ل	١٩٨	٢٦٤	٢٩٦	٧٥٨	م ٢٢٨	ي ٢٣٥	ب ٢٤٢	ب ٧١٤
م	٢٢٨	٢٦٤	٢٩٩	٧٩١	ع ٢٣٠	ب ٢٦٠	و ٢٤٨	ن ٧٤٥
ن	٣٣٥	١٨٠	٢٣٠	٧٤٥	ح ٢٣٧	م ٢٦٤	ي ٢٧٥	ل ٧٥٨
هـ	١٧٤	١٧٦	٧٨	٤٢٨	و ٢٤٤	ل ٢٦٤	ل ٢٩٦	م ٧٩١
و	٢٤٤	٣١٥	٢٤٨	٨٠٧	ر ٢٧٤	و ٣١٥	م ٢٩٩	و ٨٠٧
ي	١٦	٢٣٥	٢٧٥	٥٢٦	ن ٣٣٥	ر ٣٣٣	ر ٣٤٩	ر ٩٥٦

جدول رقم (٥)

النسب المئوية للحركات بحسب الحروف

حرف	ف	النسب						ع	النسب						ل	النسب						مد	النسب					
		١	٢	٣	٥	٧	٩		١	٢	٣	٥	٧	٩		١	٢	٣	٥	٧	٩		١	٢	٣	٥	٧	٩
ا	٢٦	٢	٢٩	٢٩	٧	٣٢	٠	٤٢٨	٥٨	٢	٥	٨	٢٥	١	١٩٧	٥٨	٤	٣	٨	٢٨	٠	٥٧٠	٢٥	١٤	١٤	٨	٣٩	٠
ب	٢٩٤	٢٠	٢٢	١٢	١١	٢٥	٠	٣٨٥	٩	٢٩	٢٨	٦	٢٧	١	٣٧٠	٩	٢٨	٢١	٩	٣٢	١	١٠٦٠	١٢	٢٩	٢١	٩	٢٩	٠
ت	٨٨	٩	٢٥	٢٤	٢	٣٩	١	٤٨٧	١١	٣٤	٢٩	٥	٢٠	٠	١٣٤	٨	٣٤	٣٢	١٠	١٥	٠	٣٨٤	١٠	٣١	٢٩	٧	٢٣	٠
ث	٩٥	١٢	٣١	٢٢	٦	٢٩	٠	١٢٣	٥	٢٥	٢٥	٨	٣٦	١	١١٧	١٥	٣٣	٢٠	٣	٢٨	١	٣١٣	١١	٣١	٢٢	٦	٢٩	١
ج	٢٥٥	٢٠	٢٩	١٨	٧	٢٥	٠	٢٢٣	٩	٤٠	١٣	٨	٣٠	٠	١٩٦	٩	٣٧	٢٢	٣	٢٩	٠	٦٤٥	١٤	٣٤	١٧	٦	٢٨	٠
ح	٣٤٣	٤	٣٤	٢٧	٧	٢٨	٠	٢٠٨	٤٤	١٤	١٠	٨	٢٤	٠	٢٠٧	٤٨	١٣	١٤	٦	٢٠	٠	٧٣٨	٢٨	٢٢	١٨	٧	٢٥	٠
خ	٢٨٠	٦	٢٩	٢٧	٥	٣٢	٠	١٤٧	٢٠	٢٧	١٤	١٢	٢٩	٠	١١٥	٣٧	٢٣	١٦	٣	٢١	٠	٥١٨	١٧	٢٧	٢٠	٧	٢٩	٠
د	٢٣١	٢٤	٣٣	١١	٣	٢٩	٠	٢٦٦	١٥	٢٧	٢٥	٧	٢٥	٠	٣٠٥	٨	٣٣	٢٤	٦	٢٩	٠	٧٦٩	١٦	٣٠	٢٠	٦	٢٨	٠
ذ	٧٨	١٨	٢٩	٢١	٦	٢٦	٠	١١٩	٩	٣٠	٢٩	٥	٢٦	٠	٤٣	٥	٤٢	٢٦	٢	٢٦	٠	٢٢٥	١٢	٣٠	٢٦	٥	٢٦	٠
ر	٤٠٥	١٩	٣٤	١٥	٨	٢٤	٠	٥٦٨	٧	٢٦	٢٠	٩	٣٧	١	٥٥٦	١٠	٣٤	١٩	٧	٣١	٠	١٤٨٠	١١	٣١	١٨	٨	٣١	٠
ز	١٨٣	١٩	٣١	٢١	٢	٢٧	٠	١٩٠	١٢	٢٧	٣١	٦	٢٤	٠	١٥١	٩	٣٢	٣٤	٦	١٨	٠	٤٩٨	١٤	٢٩	٢٩	٥	٢٣	٠
س	٢٩٧	١٩	٣٠	١٢	٩	٢٩	٠	٢٠٢	١١	٣٢	٢٥	٩	٢٢	٠	٢٦٤	٨	٢٩	٣٠	٦	٢٧	١	٧٢٥	١٤	٢٩	٢٢	٨	٢٧	١
ش	٢٥٠	١٦	٣٣	١٥	٦	٣١	٠	١٨٤	٩	٣١	٢٥	٤	٣٠	٠	١٦٧	١١	٣٤	٢٩	٣	٢٣	٠	٥٧٤	١٣	٣٢	٢٢	٥	٢٩	٠
ص	١٥٤	١٤	٢٧	٢٣	٨	٢٨	٠	١٤١	٩	٣٠	٣١	٦	٢٣	٠	١٤٩	١٠	٢٧	٢٨	٣	٣٢	٠	٤٢٠	١٢	٢٧	٢٧	٦	٢٨	٠
ض	١٠٦	١٨	٢٨	٢٩	٨	٢٥	٠	١١٨	١٤	٢٦	٢٦	٧	٢٥	١	١٠٧	١١	٣١	٢٩	١١	١٨	٠	٣٩٣	١٥	٢٧	٢٦	٩	٢٣	٠
ط	١٢٠	١١	٣٣	٢٣	٧	٢٦	٠	١٥٨	١٣	٣٤	٢٥	٧	٢٢	٠	١٩٩	١١	٢٩	٣٣	٤	٢٣	٠	٤٢٨	١٢	٣١	٢٧	٦	٢٤	٠
ظ	٢١	٢٩	١٠	١٩	٥	٣٨	٠	٣٩	٣	٤٤	١٨	١٣	٢٣	٠	٤٠	١٤	٢٨	٣٥	٣	٢٠	٠	٩٣	١٤	٢٧	٢٧	٨	٢٥	٠
ع	٣٤٥	٤	٢٨	٢٣	٧	٣٠	٠	٢٢٩	٤١	١١	٨	٧	٣٠	٠	٣١٨	٤٦	٩	٨	٨	٢٨	٠	٨٧٩	٢٨	١٦	١٨	٨	٣٠	٠
غ	١٨٥	٠	٢٧	٢٣	٤	٣٦	٠	١١٨	٤٤	١٣	٩	٨	٢٦	٠	٦٨	٤٠	٢٢	١٥	٧	١٦	٠	٣٧٠	٢١	٢١	٢٢	٦	٢٩	٠
ف	٢٥٤	١٩	٢٥	٢٢	٨	٢٦	٠	٣٠٢	١٠	٢٥	٣٦	٥	٢٤	٠	٣٤٠	١٠	٢٢	٣٣	٨	٢٧	٠	٨٦٠	١٣	٢٣	٣٠	٧	٢٦	٠
ق	٣١٣	١٣	٢٥	٢٧	٦	٢٨	٠	٢٢٢	٨	٣٣	٢٢	٧	٣١	٠	٢٨٩	٧	٢٩	٢٧	٧	٢٩	٢	٧٩٦	١٠	٢٨	٢٥	٧	٣٠	١
ك	٢٢٣	١٣	٢٩	٢٨	٦	٢٤	٠	٢٠٠	٩	٤١	١٦	٦	٢٩	١	١٣٦	١٠	٣٩	٢١	٦	٢٤	٠	٥٤٦	١١	٣٤	٢٢	٦	٢٦	٠
ل	٢٥٥	٢٢	٢٩	١٢	٣	٣٤	٠	٤١٩	١١	٢٤	٢٧	٦	٣٢	٠	٤٥٥	٨	٣٤	٢٠	٨	٣٠	٠	١٠٨٣	١٢	٢٩	٢٠	٦	٣٣	٠
م	٣٠٩	٢٤	٣٦	٩	٧	٢٣	٠	٢٩٩	٩	٣٥	٢١	٩	٢٦	٠	٤٦٩	٩	٢٣	٢٨	٩	٣١	٠	١١٣٧	١٣	٣٠	٢٠	٩	٢٨	٠
ن	٣٦٩	٢١	٣٢	٢١	٦	٢٠	٠	٢٤٢	١٢	٢٥	٢٤	٥	٣٣	٠	٣٢٤	٦	٣١	٢٧	١١	٢٥	٠	١٠٠٢	١٥	٣٠	٢٣	٧	٢٥	٠
هـ	٢٣٦	٩	٢٥	٣٩	٢	٢٥	٠	٢٣٧	٤١	٨	٩	١٠	٣٢	٠	١٠٧	٢٢	١٧	١١	٧	٤١	٢	٥٧٤	٢٥	١٦	٢١	٦	٣١	١
و	٣٣٣	٨	٤	٥٥	١١	٢٠	٤	٢٧٤	١	٧٤	٥	١	٢٠	٠	٣٦٣	١	٩٣	٠	٦	٠	٠	٩٧٠	٤	٥٤	٢١	٦	١٥	١
ي	٢٦	١٥	٤	٢٣	١٢	٢٨	٨	٢٥٨	١	٠	٨٤	٠	١٥	٠	٣٤٠	٨	٠	٤٧	٠	٤٤	١	٦٢٠	٥	٠	٦٢	٠	٣٢	١

جدول رقم (٦)
النسب المئوية للحركات بحسب الحروف

حرف	ن	النسب ١	٢	٣	٥	٧	٩	ـُ	النسب ١	٢	٣	٥	٧	٩	ـِ	النسب ١	٢	٣	٥	٧	٩	مج	النسب ١	٢	٣	٥	٧	٩
ا	٩٠	٤	٢٩	٢١	٣	٢١	٠	٧٧	٧٠	٥	٥	٤	١٦	٠	٩٩	٧٣	٦	٥	٢	١٤	٠	٢٦٥	٤٨	١٧	١٥	٣	١٧	٠
ب	١٤٤	٢٢	٤٢	١٦	٣	١٧	٠	١٥٦	١٤	٣٤	٣٦	٢	١٤	٠	١٢٨	١٥	٣٢	٢٥	١	٣٦	٠	٤٢٣	١٨	٢٥	٣٦	٢	١٩	٠
ت	٤٣	٩	٢٨	٢٣	٢	٣٧	٠	٩٧	١٥	٤٠	٣١	١	١٢	٠	٦٩	٩	٣٩	٣٩	٤	٩	٠	٤١٨	١٣	٢٥	٣٣	٢	١٧	٠
ث	٤٢	١٩	٣١	٢٦	٢	٢١	٠	٥٧	٤	٤١	٢٦	٤	٢١	٠	٦٨	١٩	٤١	١٩	٣	١٦	١	١٥٤	١٥	٣٦	٢٤	٣	٢١	١
ج	١٢١	٢٤	٣١	٢٥	٣	١٢	٠	٩٦	١٣	٥٤	١١	١	٢٢	٠	٩١	١٢	٤٢	٢٤	٣	١٩	٠	٢٩٩	١٧	٤٢	٢٠	٣	١٧	٠
ح	١٥٢	٧	٤٣	٣٠	١	١٨	٠	١١٠	٥٦	١٩	٩	١	١٥	٠	١١٦	٥٦	١٧	١٦	٠	١٠	٠	٣٢٤	٣٨	٢٧	٢٠	١	١٥	٠
خ	١٠٢	١١	٣٥	٢٩	٢	٢٣	٠	٥٣	٢٣	٢٦	١٧	١٣	٢١	٠	٦٣	٤٨	٢٤	١٦	٠	١٣	٠	٢١٣	٢٥	٣٠	٢٢	٤	٢٠	٠
د	١١٩	٣٤	٣٨	٩	٠	١٨	٠	١١٩	٢٥	٣٢	٢٤	٢	١٧	٠	١٣٢	١١	٣٨	٣٠	٢	٢٠	٠	٣٥٧	٢٤	٣٥	٢٢	١	١٨	٠
ذ	٣٢	٢٨	٢٨	٢٥	٠	١٩	٠	٣٥	١١	٣٢	١٧	٢	١٨	٠	٢٨	٧	٤٣	٣٢	٠	١٨	٠	٤١٦	١٦	٣١	٣٤	١	١٩	٠
ر	١٦٦	٢٦	٤٣	١٥	٢	١٤	٠	١٤٤	٨	٢٨	٢٣	٤	٢٥	١	١٧٨	١٥	٤٤	٢٣	١	١٧	٠	٤٨٢	١٧	٣٩	٢١	٢	٢٢	٠
ز	٨٩	٢٦	٣٣	٢٥	٠	١٧	٠	٩٠	١٤	٣٦	٢٤	٢	١٣	٠	٧٥	١٥	٣٣	٤٣	١	٨	٠	٢٤٨	١٩	٣٣	٣٤	١	١٣	٠
س	١٢٢	٢٥	٣٩	١٣	٤	١٩	٠	٩٥	١٣	٤٣	٢٤	٣	١٧	٠	١١٥	١٣	٣٣	٤١	١	١٢	٠	٣١٨	١٨	٣٧	٢٧	٣	١٦	٠
ش	١٢٧	١٩	٣٦	١٧	٢	٢٦	٠	٧٥	١٩	٢٩	٢٧	٣	٢٣	٠	٨٤	١٨	٣٦	٣٥	١	١١	٠	٢٧٨	١٩	٣٣	٢٥	٢	٢١	٠
ص	٨٠	١٥	٤٣	٢٤	٣	٢٦	٠	٦٧	١٦	٣٧	٣٧	١	٧	٠	٦٦	١٤	٢٦	٣٩	٣	١٨	٠	٢٠٣	١٦	٣٣	٣٢	٢	١٨	٠
ض	٦٥	٢٠	٣٤	٢٢	٥	٢٠	٠	٥٧	١٨	٣٢	٣٢	٢	١٨	٠	٤٥	١٦	٣٨	٣٦	٠	١١	٠	١٥٩	١٩	٣٣	٣٠	٣	١٦	٠
ط	٦١	١١	٤٤	٢١	٣	٢٠	٠	٧٧	١٧	٤٩	٢٣	١	٩	٠	٨٤	٢٠	٣٢	٣٨	١	٨	٠	٢١٤	١٧	٤٠	٢٩	٢	١٣	٠
ظ	١١	٤٥	١٨	٠	٩	٢٧	٠	٢٠	٣	٥٠	١٧	٧	٢٣	٠	٣٣	١٦	٣١	٣٤	٠	١٩	٠	٦٦	١٧	٣٣	٢٤	٥	٢٤	٠
ع	١٣٣	٣	٣٤	٤١	٣	٢٠	٠	١٠٠	٢٦	١٦	١٣	٢	٢٣	٠	١٣٨	٥٧	١٤	١٣	٢	١٤	٠	٣٣٦	٢٥	٢١	٢٣	٢	١٩	٠
غ	٨٣	٠	٣٥	٣٣	١	٣١	٠	٦٩	٥٧	١٤	٧	٣	١٩	٠	٤٣	٤٤	٢٣	١٩	٠	١٤	٠	١٩٤	٣٠	٢٥	٢١	٢	٢٣	٠
ف	١١٥	٢٤	٢٩	٣٠	١	١٧	٠	١٣٥	١٦	٢٩	٤٤	١	١٣	١	١٤١	١٤	١٦	٤١	٥	١٤	٠	٣٩١	١٨	٢٧	٣٨	٢	١٥	٠
ق	١٣٤	١٤	٣٤	٣٧	١	١٣	٠	٩٨	١٣	٣٧	٢٧	٠	٢٣	٠	١٢٣	٨	٣١	٣٣	١	٢٥	٢	٣٤٥	١٢	٣٤	٣٢	١	٢١	١
ك	١١٣	١٧	٣١	٣٨	٢	١٢	٠	٩٤	١٠	٥٣	٢١	٠	١٦	٠	٦٩	٧	٢١	٢٩	٣	١٤	٠	٢٦٦	١٢	٤١	٢٠	٢	١٥	٠
ل	١٢٦	٢٥	٢٦	١٢	١	٢٧	٠	١٣٧	١٣	٢٨	٣٨	٠	٢١	٠	١١٣	١١	٣٩	٢٥	٤	٢١	٠	٤٤٨	١٦	٢٤	٣٤	٣	٢٣	٠
م	١٥٦	٢٩	٤٤	١٥	١	١٣	٠	١٥٢	١٨	٣٩	٢٤	٢	١٦	١	١٥٧	٩	٢٩	٣٥	٢	٢٥	١	٤٥٩	١٩	٢٣	٢٥	٢	١٨	٠
ن	٢١٩	٣١	٣٧	٢٢	١	٧	٠	١٢٨	١٤	٢٩	٢٤	٢	٢٠	٠	١٥٢	٩	٢٤	٣٤	٥	١٨	٠	٤٨٥	٢٠	٢٤	٢٦	٣	١٧	٠
ه	١١٨	٩	٣٩	٤٨	٠	١٤	٠	١١٩	٣٦	٥	١٣	٤	٣٢	٠	٥٣	٢١	٢١	١٧	٠	٤٣	٠	٢٨٦	٢٧	١٧	٢٨	٢	٢٦	٠
و	١٧٤	٨	٢	٧٥	٢	١٠	٢	٢٥٧	١	٨٨	٤	٠	٧	٠	٢٣٣	٠	٩٨	٠	١	٠	٠	٦٦٤	٣	٦٩	٢١	١	٥	١
ي	٩	٣٣	٠	١١	٠	٥٦	٠	٢١٢	٠	٠	٩٢	٠	٨	٠	٢١١	١٠	٠	٤٨	٠	٤٢	٠	٤٣٠	٦	٠	٦٩	٠	٢٥	٠

٣: ٢: ٢: ١ الأفعال الثنائية الباب:

يبلغ عدد الأفعال الثلاثية، ذات الأبواب الثنائية (١٣٢٩) فعلاً. وهي تتوزع في (١٣) مجموعة مرتبة ترتيباً تنازلياً بحسب عدد عناصرها، وهي:

- ●المجموعة (د) وتتألف من (٣٧٦) فعلاً، تنتمي إلى البابين الثاني والسابع.
- ●المجموعة (ر) وتتألف من (٣١١) فعلاً، تنتمي إلى البابين الثالث والسابع.
- ●المجموعة (ث) وتتألف من (٢٣٥) فعلاً، تنتمي إلى البابين الأول والسابع.
- ●المجموعة (ح) وتتألف من (١٦٩) فعلاً، تنتمي إلى البابين الثاني والثالث.
- ●المجموعة (خ) وتتألف من (٧٢) فعلاً، تنتمي إلى البابين الثاني والخامس.
- ●المجموعة (ت) وتتألف من (٤٦) فعلاً، تنتمي إلى البابين الأول والخامس.
- ●المجموعة (س) وتتألف من (٤٦) فعلاً، تنتمي إلى البابين الخامس والسابع.
- ●المجموعة (ذ) وتتألف من (٤١) فعلاً، تنتمي إلى البابين الثالث والخامس.
- ●المجموعة (أ) وتتألف من (١٢) فعلاً، تنتمي إلى البابين الأول والثاني.
- ●المجموعة (ب) وتتألف من (١١) فعلاً، تنتمي إلى البابين الأول والثالث.
- ●المجموعة (ص) وتتألف من (٥) أفعال تنتمي إلى البابين السابع والتاسع.
- ●المجموعة (ز) وتتألف من (٤) أفعال، تنتمي إلى البابين الثالث والتاسع.
- ●المجموعة (ش) وتتألف من فعل واحد فقط ينتمي إلى البابين الخامس والتاسع.

وتتوزع هذه الأفعال - كما هو واضح - في ستة أبواب رئيسية مشاركة مرتبة ترتيباً تنازلياً وهي:

١) الباب السابع، يتحقق هذا الباب في (٩٧٣) فعلاً.

٢) الباب الثاني، يتحقق هذا الباب في (٦٢٩) فعلاً.

٣) الباب الثالث، يتحقق هذا الباب في (٥٣٦) فعلاً.

٤)الباب الأول، يتحقق هذا الباب في (٣٠٤) أفعال.

٥)الباب الخامس، يتحقق هذا الباب في (٢٠٦) أفعال.

٦)الباب التاسع، يتحقق هذا الباب في (١٠) أفعال هي:

(تيس، جهي، خضب، وثق، وعق، وكم، ولي، يئس، ييس).

ويبلغ عدد أفعال هذه الأبواب الثنائية (٢٦٥٨) صورة فعلية تتوزع في ثنائيات بحيث يتفق عنصرا كل ثنائية منها في الجذر ويختلفان في بابيهما.

ولتوضيح ذلك نقول: إن الجذر الثلاثي "أجل" – على سبيل المثال – ينتمي إلى البابين: الثاني (فتح – ضم)، والسابع (كسر – فتح)، وهو عنصر في المجموعة الفعلية (د) التي يبلغ عددها (٣٧٦) فعلاً، كما ذكرنا في (٣: ٢: ٢: ١). ويولد هذا الجذر – بسبب ثنائية أبوابه – صورتين فعليتين من مجموع الصور ذات الباب الثنائي والبالغ عددها (٢٦٥٨) صورة.

٣: ٢: ٢: ٢ الأفعال الثلاثية الباب:

يبلغ عدد الأفعال الثلاثية ذات الأبواب الثلاثية (٢٣٦) فعلاً. وهي تتوزع في (١٠) مجموعات مرتبة ترتيباً تنازلياً بحسب عدد عناصرها، وهي:

١)المجموعة (ق) تتألف من (٧٧) فعلاً، تنتمي إلى الأبواب: الثاني والثالث والسابع.

٢)المجموعة (ك) تتألف من (٧٢) فعلاً، تنتمي إلى الأبواب: الثاني والخامس والسابع.

٣)المجموعة (غ) تتألف من (٣٣) فعلاً، تنتمي إلى الأبواب: الأول والخامس والسابع.

٤)المجموعة (ل) تتألف من (٣٠) فعلاً، تنتمي إلى الأبواب: الثالث

والخامس والسابع.

٥)المجموعة (ف) تتألف من (٧) أفعال، تنتمي إلى الأبواب: الثاني والثالث والخامس.

٦)المجموعة (ع) تتألف من (٥) أفعال، تنتمي إلى الأبواب: الأول والثالث والسابع.

٧)المجموعة (ظ) تتألف من (٣) أفعال، تنتمي إلى الأبواب: الأول والثاني والسابع.

٨)المجموعة (ط) تتألف من (٣) أفعال، تنتمي إلى الأبواب: الأول والثاني والخامس.

٩)المجموعة (م) تتألف من (٣) أفعال، تنتمي إلى الأبواب: الثالث والسابع والتاسع.

١٠)المجموعة (ض) تتألف من فعلين ينتميان إلى الأبواب: الأول والثاني والثالث.

وتتوزع هذه الأفعال – كما هو واضح – في ستة أبواب رئيسية مشاركة مرتبة ترتيباً تنازلياً، وهي:

١)الباب السابع، يتحقق هذا الباب في (٢٢٤) فعلاً

٢)الباب الثاني، يتحقق في (١٦٥) فعلاً

٣)الباب الخامس، يتحقق هذا الباب في (١٤٥) فعلاً.

٤)الباب الثالث، يتحقق هذا الباب في (١٢٤) فعلاً.

٥)الباب الأول، يتحقق هذا الباب في (٤٧) فعلاً.

٦)الباب التاسع، يتحقق هذا الباب في (٣) أفعال هي: وبق، ورى، وله.

ويبلغ عدد أفعال هذه الأبواب الثلاثية (٧٠٨) صور فعلية تتوزع في ثلاثيات بحيث تتفق عناصر كل ثلاثية منها في الجذر وتختلف في أبوابها.

ولتوضيح ذلك نقول: إن الجذر الثلاثي "أصل" – على سبيل المثال – ينتمي إلى ثلاثة أبواب مختلفة هي: الباب الثاني (فتح – ضم)، والباب الخامس (ضم – ضم)، والباب السابع (كسر – فتح). وهو عنصر في المجموعة الفعلية (ك) التي يبلغ عددها (٧٢) فعلاً، كما ذكرنا في (٣: ٢: ٢: ٢☺. ويولد هذا الجذر – بسبب ثلاثية أبوابه – ثلاث صور فعلية من مجموع الصور الفعلية ذات الباب الثلاثي والبالغ عددها (٢٣٦) صورة.

٣: ٢: ٢: ٣ الأفعال الرباعية الباب:

يبلغ عدد الأفعال الثلاثية، ذات الأبواب الرباعية، (١٤) فعلاً. وهي تتوزع في (٦) مجموعات مرتبة ترتيباً تنازلياً، وهي:

١)المجموعة (هـ) وتنتمي أفعالها إلى الأبواب: الأول، والثاني، والخامس، والسابع. ويبلغ عدد هذه المجموعة (٦) أفعال، وهي: "ذرع"، و"زعم"، و"سفه"، و"قدم"، و"لحم"، و"نحل".

٢)المجموعة(*) تنتمي أفعالها إلى الأبواب: الثاني، والثالث، والخامس، والسابع. ويبلغ عدد أفعال هذه المجموعة (٣) أفعال، وهي: "خرق"، و"عرف" و"قصر".

٣)المجموعة (و) تنتمي أفعالها إلى الأبواب: الأول والثالث، والخامس، والسابع. ويبلغ عدد أفعال هذه المجموعة فعلين اثنين فقط، هما: "بلت" و"رضع".

٤)المجموعة (ن) تنتمي أفعالها إلى الأبواب: الأول، والثاني، والثالث،

والسابع. ويبلغ عدد أفعال هذه المجموعة فعلاً واحداً فقط، هو الفعل: "مخض".

٥) المجموعة (ي) تنتمي أفعالها إلى الأبواب: الأول، والخامس، والسابع، والتاسع. ويبلغ عدد أفعال هذه المجموعة فعلاً واحداً فقط هو الفعل: "ورع".

٦) المجموعة (/) تنتمي أفعالها إلى الأبواب: الثاني، والخامس، والسابع، والتاسع. ويبلغ عدد أفعال هذه المجموعة فعلاً واحداً فقط هو الفعل: "حسب".

وتتوزع هذه الأفعال – كما هو واضح – في ستة أبواب رئيسية مشاركة مرتبة ترتيباً تنازلياً، وهي:

١) الباب السابع، يتحقق هذا الباب في (١٤) فعلاً.

٢) الباب الخامس، يتحقق هذا الباب في (١٣) فعلاً.

٣) الباب الثاني، يتحقق هذا الباب في (١١) فعلاً.

٤) الباب الأول، يتحقق هذا الباب في (١٠) أفعال.

٥) الباب الثالث، يتحفق هذا الباب في (٦) أفعال.

٦) الباب التاسع، يتحقق هدا الباب في فعلين هما: "حسب" و"ورع".

ويبلغ عدد أفعال هذه الأبواب الرباعية (٥٦) صورة فعلية تتوزع في رباعيات بحيث تتفق عناصر كل رباعية منها في الجذر وتختلف في أبوابها.

٣: ٢: ٢: ٤ الأفعال الخماسية الباب:

يبلغ عدد الأفعال الثلاثية، ذات الأبواب الخماسية، فعلاً واحداً فقط. وقد أشرنا إلى المجموعة، التي تتضمن هذا الفعل، بالرمز (+). وينتمي هذا

الفعل إلى الأبواب: الأول والثاني والثالث والخامس والسابع، وهذا الفعل هو: "دخن".

ويتوزع هذا الفعل في خمسة أبواب رئيسية فقط هي:

١)الباب الأول: دخَن: يدخَن.

٢)الباب الثاني: دخَن: يدخُن.

٣)الباب الثالث: دخَن: يدخِن.

٤)الباب الخامس: دخُن: يدخُن.

٥)الباب السابع: دخِن: يدخَن.

ويبلغ عدد أفعال هذه الأبواب الخمسة، خمس صور فعلية تتفق فيما بينها في الجذر ولكنها تختلف في نوع الباب الذي تنتمي إليه.

٣: ٢: ٣ عدد تشكلات الأفعال في الأبواب:

وبناء على ما سبق، فإن عدد التشكلات الفعلية المبنية على الأفعال المتعددة الأبواب يبلغ (٣٤٢٧) تشكلاً، ويقدم هذا العدد من التشكلات، مع عدد الأفعال الأحادية الباب، العدد الكلّي للأفعال الثلاثية الواردة في المعجم الوسيط بمختلف تنوعات أبوابها، وذلك على النحو التالي:

(٢٩٦٦) فعلاً أحادي الباب + (٣٤٢٧) فعلاً متعدد الأبواب = (٦٣٩٣) فعلاً تؤلف المجموع الكلي للتشكلات الفعلية المختلفة.

٤: ٣ الحركات المشتركة: يبين كل عدد وارد في العمود الرأسي الثالث، في الجدول رقم (٣) أيضاً، عدد الأفعال التي تشترك، مع العدد المجاور له في العمود الرأسي الثاني، في وزن الباب الذي يشير إليه الرمز المقابل لهما والوارد في العمود الرأسي الأول، غير أن هذه الأفعال التي وردت

أعدادها في العمود الرأسي الثالث، ذات طبيعة متعددة أو مركبة في نوع حركة عين ماضيها ومضارعها؛ بمعنى أن كل فعل منها له – في حركة عين ماضيه ومضارعه – تنوعات أو تشكلات تنتمي إلى غير باب.

فالعدد (٣٦٢)، الواقع في بداية هذا العمود، يدل على وجود (٣٦٢) فعلاً يشتمل كل واحد منها على الباب الأول الذي يشير إليه الرمز (١) المقابل له في العمود الأول. وهذا العدد (٣٦٢)، ناجم من تكرر ورود الرمز (١) الذي يشير إلى الباب الأول ضمن خمسة عشر رمزاً سبقت الإشارة إليها في السطر الأفقي الأول في الجدول رقم (٢). وهذه الرموز هي: (أ،ب،ت،ث،ج،ض،ط،ظ،ع،غ،هـ،و،ي،+)[١٢] . وتُعدُّ أعداد الأفعال، التي تمثلها هذه الرموز المختلفة، روافد تزود الرمز الرئيسي (١)، الذي يشير إلى الباب الأول – كما ذكرنا – بأعداد من الأفعال المنتمية إلى هذا الباب، وذلك على النحو التالي:

(١٢،١١،٤٦،٢٣٥،٠،٢،٣،٤،٥،٣٣،١،٦،٢،١،١) على الترتيب. ويبلغ مجموع هذه الروافد (٣٦٢) فعلاً ثلاثياً.

ويعني العدد (١٧)، الوارد في العمود الرأسي الثالث والمناظر للرمز (أ) الواقع في العمود الأول وجود (١٧) فعلاً يشتمل كل واحد منها على البابين: الأول والثاني، وهما البابان اللذان يشير إليهما الرمز (أ) المقابل له في الجدول الثاني. وهذا العدد (١٧) ناجم من تكرر ورود الرمزين (١،٢) ضمن ستة رموز سبقت الإشارة إليها في السطر الأفقي العاشر الوارد في الجدول رقم (٢). وهذه الرموز هي: (ض،ط،ظ،ن،هـ،+). وتعد أعداد

(١٢) انظر الجدول رقم (٢).

الأفعال، التي تمثلها هذه الرموز، روافد تـزود الرمـز (أ)الـذي يشـير إلى البـابين الأول والثاني – كما ذكرنا –، بأعداد من الأفعال المنتمية إلى هذين البابين، وذلك على النحـو التـالي: (٢،٣،٤،١،٦،١). ويبلـغ مجمـوع هـذه الروافـد (١٧) فعلاً ثلاثياً وبالمثل يمكن فهم بقية الأعداد الواردة في العمود الثالث.

٣: ٤ مجموع صور الأبواب:

يقدم العمود الرأسي الرابع، الوارد في الجدول رقم (٣) أيضاً، مجموع الأفعال التي ترد حركة عين الماضي والمضارع فيها، وفق البـاب الـذي يشـير إليه الرمز المقابل لها في العمود الأول. فالعدد (٩١١)، الواقـع في بدايـة هـذا العمود، يعني وجود هذا العدد من الأفعال المنتمية إلى البـاب الأول. غـير أن بعض هذه الأفعال يرد أحادي البـاب، وعـدد هـذا النـوع مـن الأفعـال هـو (٥٤٩) فعلاً في حين يرد بعضها الآخر متعدد الأبـواب، وعـدد هـذا النـوع من الأفعال هو (٣٦٢) فعلاً.

ويعني العدد (١٨٢٤)، الواقع في هذا العمود أيضاً، وجود هـذا المقـدار من الأفعال المنتمية إلى الباب الثاني، غير أن بعـض هـذه الأفعـال يـرد أحـادي الباب، وعدد هذا النوع من الأفعال هو: (١٠١٨) فعلاً، في حين يـرد بعضهـا الآخر متعدد الأبواب، وعدد هذا النوع من الأفعال هو: (٨٠٦) أفعال.

ويدل العدد (٨٤)، الواقع في هذا العمـود أيضـاً، والمنـاظر لـلرمز (ذ) الواقع في العمود الأول، يدل على وجود (٨٤) فعلاً ثلاثياً ينتمـي كـل واحـد منها إلى البابين الثالث والخامس. ومن هـذه الأفعـال (٤١) فعـلاً تنتمـي إلى البـابين الثـالث والخـامس المذكوريـن فقـط، و(٤٣) فعـلاً تنتمـي إلى هذيـن البابين – الثالث والخامس – بالإضافة إلى أبواب أخرى تعينها الرموز التالية:

(ف،ل،و،*،+) التي سبقت الإشارة إليها في السطر الأفقي الثامن عشر الوارد في الجدول رقم (٢).

وتقدم الأعمدة الرأسية الثلاثة الأخيرة في هذا الجدول إعادة المعلومات الرقمية الواردة في الأعمدة السابقة، على هيئة تكرارات مرتبة ترتيباً تصاعدياً.

٣: ٥ استنتاجات:

لنا على الجداول الثلاثة السابقة ملحوظات نورد – فيما يأتي – بعضاً منها:

١- يبلغ عدد الأفعال الثلاثية الواردة في المعجم الوسيط – دون حساب التشكلات الفعلية المختلفة للأبواب – (٤٥٤٦) فعلاً، غير أن هذا العدد يرتفع ليصل إلى (٦٣٩٣) فعلاً في حالة إدخال التشكلات الفعلية المختلفة للأبواب.

٢- تعد الأفعال الثلاثية المنتمية إلى الباب الثاني (فتح – ضم) أكثر الأفعال الثلاثية العربية التي ترد في المعجم الوسيط أحادية الباب، فهي تبلغ (١٠١٨) فعلاً. وتليها في ذلك الأفعال الثلاثية المنتمية إلى الباب الثالث: (فتح – كسر) فهي تبلغ (٨١٨) فعلاً، ثم الأفعال الثلاثية المنتمية إلى الباب الأول (فتح – فتح)، ويبلغ عددها (٥٤٩) فعلاً، ثم الأفعال الثلاثية المنتمية إلى الباب السابع (كسر – فتح)، ويبلغ عددها (٥٢١) فعلاً، ثم الأفعال الثلاثية المنتمية إلى الباب الخامس (ضم – ضم)، ويبلغ عددها (٥٦) فعلاً، وأخيراً الأفعال الثلاثية المنتمية إلى الباب التاسع (كسر – كسر)، ويبلغ عددها (٤) أفعال فقط.

٣- تعد الأفعال الثلاثية المنتمية إلى الباب السابع (كسر – فتح)، أكثر

الأفعال العربية التي ترد في المعجم الوسيط متعددة الأبواب، فهي تبلغ (١٢١٢) فعلاً، يرد منها (٩٧٣) فعلاً ثنائي الباب، و(٢٢٤) فعلاً ثلاثي الباب، و(١٤) فعلاً رباعي الباب، وفعل واحد فقط خماسي الباب. وتلي الباب السابع في ذلك الأفعال الثلاثية المنتمية إلى الباب الثاني، فهي تبلغ (٨٠٦) أفعال، يرد منها (٦٢٩) فعلاً ثنائي الباب، و(١٦٥) فعلاً ثلاثي الباب، و(١١) فعلاً رباعي الباب، وفعل واحد فقط خماسي الباب. ثم تليها الأفعال الثلاثية المنتمية إلى الباب الثالث وعددها (٦٦٧) فعلاً، يرد منها (٥٣٦) فعلاً ثنائي الباب، و(١٢٤) فعلاً ثلاثي الباب، و(٦) أفعال رباعية الباب، وفعل واحد فقط خماسي الباب. ثم تليها الأفعال الثلاثية المنتمية إلى الباب الخامس وعددها (٣٦٥) فعلاً يرد منها (٢٠٦) أفعال ثنائية الباب، و(١٤٥) فعلاً ثلاثي الباب، و(١٣) فعلاً رباعي الباب، وفعل واحد فقط خماسي الباب. ثم تليها الأفعال الثلاثية المنتمية إلى الباب الأول وعددها (٣٦٢) فعلاً، يرد منها (٣٠٤) أفعال ثنائية الباب و(٤٧) فعلاً ثلاثي الباب، و(١٠) أفعال رباعية الباب، وفعل واحد خماسي الباب. وتليها - أخيراً - الأفعال الثلاثية المنتمية إلى الباب التاسع وعددها (١٥) فعلاً، يرد منها (١٠) أفعال ثنائية الباب، و(٣) أفعال ثلاثية الباب وفعلان اثنان رباعيا الباب.

٤ - تعد الأفعال الثلاثية المنتمية إلى الباب الثاني، أكثر الأفعال العربية التي ترد في المعجم الوسيط تابعة لأحد الأبواب، سواء أكانت أحادية الباب، أم متعددة الأبواب. فهي تبلغ (١٨٢٤) فعلاً. وتليها، في ذلك، الأفعال الثلاثية المنتمية إلى الباب السابع وعددها (١٧٣٣) فعلاً، ثم الأفعال الثلاثية المنتمية إلى الباب الثالث وعددها (١٤٨٥) فعلاً، ثم الأفعال الثلاثية المنتمية إلى الباب

الأول، وعددها (٩١١) فعلاً، ثم الأفعال المنتمية إلى الباب الخامس وعددها (٤٢١) فعلاً، وأخيراً الأفعال المنتمية إلى الباب التاسع وعددها (١٩) فعلاً. وبهذا يتضح أن الباب الثاني هو أوسع الأبواب جميعاً. وهذا يخالف – فيما نرى – ما ذهب إليه ابن جني عندما اعتبر البابين: فعَل يفعِل، وفعِل يفعَل، أصولاً، في حين اعتبر الباب الثاني: فعَل يفعُل داخلاً على باب فعَل يفعِل[١٣] .

٥- يبلغ عدد الأفعال الثلاثية الأحادية الباب، الواردة في المعجم الوسيط (٢٩٦٦) فعلاً. وهي بهذا تفوق – بنسبة الضعف تقريباً – عدد الأفعال الثلاثية التي ترد في المعجم الوسيط متعددة الأبواب، والتي يبلغ عددها (١٥٨٠) فعلاً. بيد أن هذه الأفعال الأخيرة، تفوق في عددها الأفعال الثلاثية الأحادية الباب، في حالة حساب الصور الفعلية والتشكلات المختلفة للأبواب التي تتوزع فيها هذه الأفعال، فهي تبلغ (٣٤٢٧) صورة فعلية تجسد الأفعال ال (١٥٨٠) التي ترد في المعجم الوسيط – كما ذكرنا – متعددة الأبواب.

٦- ترد الأفعال الثلاثية المنتمية إلى الأبواب: الأول والثاني والثالث، أحادية الباب، بقدر أكبر من ورودها متعددة الأبواب، فهي ترد أحادية الباب في (٢٣٨٥) فعلاً، في حين ترد متعددة الأبواب (١٨٣٥) فعلاً.

وهذا ينطبق على أعداد أفعال هذه الأبواب إذا أُخذ كل واحد منها بمفرده. أما الأفعال الثلاثية المنتمية إلى الأبواب: الخامس والسابع والتاسع، فإنها ترد متعددة الأبواب بقدر أكبر من ورودها أحادية الباب. فهي ترد متعددة الأبواب في (١٥٩٢) فعلاً، في حين ترد أحادية الباب في (٥٨١) فعلاً، وهذا ينطبق على أفعال هذه الأبواب إذا أُخذ كل واحد منها بمفرده أيضاً.

(١٣) ابن جني، المنصف ١٨٦/١.

٧- تعد الأفعال الثلاثية، ذات الحركات المتخالفة في عين الماضي والمضارع، أكثر من تلك الأفعال الثلاثية ذات الحركات المتجانسة في عين الماضي والمضارع سواء في ذلك الأفعال الثلاثية التي ترد أحادية الباب، أو الأفعال الثلاثية التي ترد متعددة الأبواب، أو مجموعهما معاً. فقد بلغ المجموع الكلي للأفعال المتخالفة في حركة عين الماضي والمضارع (٥٠٤٢) أفعال، في حين بلغ المجموع الكلي للأفعال المتجانسة في حركة عين الماضي والمضارع (١٣٥١) فعلاً.

ويرى بعض اللغويين أن الأبواب التي وقعت فيها المخالفة أصل بالنسبة إلى غيرها مما اتحدت فيه حركة العين في الماضي والمضارع[١٤]. فها هو ذا سيبويه ينص في (باب الأفعال التي هي أعمال تعداك إلى غيرك وتوقعها به ومصادرها) على أن (الأفعال تكون من هذا على ثلاثة أبنية على فعَل – يَفْعُل، وفعَل – يفعِل، وفعِل يفعَل)[١٥]، ثم يذكر، في موضع آخر من كتابه، أن الأصل في باب فعَل هو يفعَل ويفعُل في المضارع، فهو يقول: "وإذا قلت فعَل ثم قلت يفعُل، علمت أن أصله الكسر أو الضم... ..."[١٦].

ويذهب ابن جني إلى أن حركة عين المضارع تخالف حركة عين الماضي أبداً إلا باب "فعُل – يفعُل". وهو يرى أن أساس المخالفة في حركة عين الماضي والمضارع يكمن في بابي فعَل – يفعِل، وفعِل – يفعَل" لأن كل واحد منهما بناء على حياله... لمقاربة الكسرة الفتحة، واجتماعهما في مواضع

(١٤) د. محمد بدوي المختون، دراسة نظرية تطبيقية في تصريف الأفعال، ص٧٠

(١٥) سيبويه، الكتاب، ٥/٤.

(١٦) السابق ١٠٤/٤.

كثيرة، وإمالة كل واحدة إلى صاحبتها ... فهذا ونحوه يدل على مناسبة الكسرة للفتحة"[١٧] . أما الباب الثالث الذي تخالف فيه حركةُ عين المضارع حركةَ عين الماضي فهو باب فعَل – يفعُل، ويعد ابن جني هذا الباب داخلاً على باب فعَل – يفعِل[١٨] .

أما أبواب الفعل التي ترد فيها حركة عين الماضي والمضارع متماثلة، فقد اعتبرها الصرفيون أبواباً خاصة متميزة عن سابقتها، فباب "فعُل – يفعُل"، يعده اللغويون باباً مستقلاً، بمعنى أن كل فعل يرد ماضيه مضموم العين، تكون عينه في المضارع مضمومة أيضاً، ولو كانت هذه العين حرفاً حلقياً، يقول سيبويه: "... ... لأن ما كان على ثلاثة أحرف قد يبنى على فعَل، وفعِل، وفعُل وهذه الأبنية كلٌّ بناء منها إذا قلت فيه فعُل لزم بناءً واحداً في كلام العرب كلها. وتقول صَبُح – يَصبُح لأن يفعُل من فعُلت لازم له الضم لا يصرف إلى غيره..."[١٩] ويقول ابن جني: "فأما قولهم "كرُم – يكرُم فإنهم إنما أقروا في عين المضارع حركة الماضي لأن هذا باب على حدته"[٢٠] ويقول في موضع آخر: "... لأنه على حياله[٢١] ".

أما باب "فعَل – يفعَل" فإن اللغويين العرب يعدونه خارجاً عن الأصل،

---

(١٧) ابن جني، المنصف، ١٨٧/١.

(١٨) السابق، ١٨٦/١.

(١٩) سيبويه، الكتاب، ١٠٣/٤.

(٢٠) ابن جني، المنصف، ١٨٨/١.

(٢١) السابق نفسه.

ويشترطون في الحرف الذي يشغل موقع العين أو اللام فيه أن يكون حلقياً[٢٢].

ولقد اعتبر بعض الصرفيين الباب الأخير الذي يرد متماثل حركة العين في الماضي والمضارع، وهو باب "فعِل - يفعِل" باباً شاذاً. ولعل السبب في ذلك عائد إلى أن وزن هذا الباب يقل في الأفعال الصحيحة، ويكثر في الأفعال المعتلة، فضلاً عن كون عدد الأفعال، التي جاءت على وزنه قليلاً. يقول ابن عصفور: "وشذَّ من "فَعِل" شيء فجاء مضارعه على "يفْعِل" بكسر العين نحو: نَعِم ينْعِم، وحَسِبَ يَحْسِبُ"[٢٣].

٤: حروف الفعل الثلاثي وتأثيرها في نوع حركة عين ماضيه ومضارعه:

يقدم الجدول رقم (٥) عدد الأفعال الثلاثية، بحسب مواقع الفاء والعين واللام فيها، مع الأخذ بالاعتبار تنوع أبواب الفعل وتعددها، والنسب المئوية التقريبية لكل باب من الأبواب الرئيسية في كل حالة:

وينقسم هذا الجدول إلى أربعة أجزاء، وقد جاء الجزء الأول خاصاً بفاء الفعل، والجزء الثاني خاصاً بعينه، والجزء الثالث خاصاً بلامه. أما الجزء الأخير، فقد خصصناه لمجموع الأفعال الثلاثية التي يظهر فيها الحرف المعين مرة واحدة أو أكثر. وسنقدم - فيما يأتي - بياناً وتوضيحاً لجزأين من هذه الأجزاء الأربعة:

٤: ١ النسب المئوية للحركات بحسب فاء الفعل:

يقدم العمود الرأسي الثاني، الواقع في هذا الجزء من الجدول، والمبدوء

(٢٢) المراجع السابقة، وكذلك: ابن يعيش، شرح المفصل، ٧/١٥٣.

(٢٣) ابن عصفور، الممتع في التصريف ١/١٧٦.

بالروز (ف)، أعداد الأفعال الثلاثية التي تكون فاؤها أحد الحروف الأبتثية المجاورة لها في العمود الرأسي الأول. فالعدد (٢٣٦) الواقع في بداية هذا العمود - على سبيل المثال - يمثل عدد الأفعال الثلاثية المبدوءة بالحرف (أ) التي يمكن أن تختلف في حروفها في موقعي العين واللام مثل أبد، وأخذ وأكل.:. ...، أو في تنوعات أبواب الفعل مثل: أجَل - يأجُل، وأجِل - يأجَل .... إلخ.

ويتضح من الجدول رقم (٤) أن عدد الأفعال الثلاثية المبدوءة بالحرف (أ) والمختلفة في حروفها في موقعي العين واللام يبلغ (١٥٧) فعلاً. أما الأفعال المتبقية وعددها (٧٩) فعلاً، فإنها تطابق بعض الأفعال ال (١٥٧) السابقة في حروفها، ولكنها تختلف عنها في تنوعات الأبواب التي تنتمي إليها. فالفعل "أسل" - على سبيل المثال - يحسب مرة واحدة في المجموع الوارد في الجدول رقم (٥) والبالغ (٢٣٦). والسبب في ذلك عائد إلى أن هذا الفعل ينتمي إلى الباب الخامس (ضم - ضم) فقط، في حين يحسب الفعل "أنس" ثلاث مرات، في ذلك المجموع، لأنه ينتمي إلى ثلاثة أبواب من أبواب الفعل في آنٍ واحد.

أما الأعمدة الرأسية الستة التالية، فإنها خاصة بالنسب المئوية التقريبية لأبواب الفعل الستة. ففي السطر الأفقي السابع عشر المبدوء بالحرف (ظ)، - على سبيل المثال - تتوزع النسب المئوية لأبواب الفعل الستة في الأفعال التي فاؤها (ظ)، وعددها كما هو وارد في المعجم الوسيط، بأبوابها المتنوعة (٢١) فعلاً، على النحو التالي: (٢٩٪،١٠٪،١٩٪، ٥٪، ٣٨٪، ٠٪). وهذا يعني أن الأفعال الثلاثية التي فاؤها (ظ)، ترد حركة عين ماضيها

ومضارعها تبعاً للباب السابع بنسبة ٣٨٪، وتبعاً للباب الأول بنسبة ٢٩٪، وتبعاً للباب الثالث بنسبة ١٩٪، وتبعاً للباب الثاني بنسبة ١٠٪، وتبعاً للباب الخامس بنسبة ٥٪، ولكن لا ترد حركة عين أي فعل مبدوء بهذا الحرف على وزن الباب التاسع (كسر – كسر).

ويمكن إيجاد النسبة المئوية الأولى وهي ٢٩٪ – على سبيل المثال – باتباع الخطوات التالية:

نحسب عدد الأفعال الثلاثية التي فاؤها (ظ)، التي تنتمي إلى الباب الأول، فنجدها تبلغ في المعجم الوسيط ستة أفعال، وبعد ذلك نجد قيمة المقدار:

$$\frac{٦}{٢١} \times ١٠٠٪ = ٢٩٪ \text{ تقريباً}$$

ويمكن – بالمثل – إيجاد النسب المئوية لبقية الأبواب الأخرى.

٤ : ٢ النسب المئوية للحركات بحسب وجود ما في الجذر (المجموع):

يتألف الجزء الأخير، من الجدول، من سبعة أعمدة، يمثل أولها، الواقع تحت الرمز (مج)، مجموع الأفعال الثلاثية التي يظهر فيها حرف ما مرة واحدة أو أكثر بمعنى أن الفعل يحسب مرة واحدة، سواء كان هذا الفعل مشتملاً على الحرف المعين في موقع فائه أو عينه، أو لامه، أو في أكثر من موقع واحد من هذه المواقع. ومن الأمثلة على ذلك الفعل "أبا"، الذي يشتمل على الحرف (أ) في موقعي الفاء واللام، ولكنه يحسب في المجموع بوصفه فعلاً واحداً، لأن الهدف، في هذا الجزء من الجدول، يتمثل في معرفة تأثير الفعل المشتمل على الحرف المعين، في

موقع واحد منه أو أكثر، على نوع الباب الذي تختاره عين الماضي والمضارع.

وكذلك، فقد حسب الفعل المضعَّف مرة واحدة في المجموع أيضاً، لأن الحرفين اللذين يشغلان موقعي العين واللام متماثلان. فالفعل المضعف "هبّ" – على سبيل المثال – يشتمل في موقعي العين واللام – على حرفين متماثلين هما: الحرف (ب)، ولهذا، فقد اعتبرناه – في المجموع – فعلاً واحداً.

ولتوضيح محتوى هذا الجزء من الجدول، فإننا نورد المثال الآتي:

يتضح من الأجزاء الثلاثة السابقة في هذا الجدول، أن مجموع الأفعال الثلاثية التي فاؤها، أو عينها، أو لامها (ظ) يبلغ (١٠٠) فعل، غير أن مجموع هذه الأفعال الوارد في عمود المجموع، هو (٩٣) فعلاً ويعود السبب في هذا الفرق العددي الى تداخل بعض الافعال المُمثلة بالأفعال السابقة،فالافعال المضعفة :

(بظّ، حظّ، عظ، فظ، كظ، لظ، مظ،) مشتركة في الجزأين الثاني والثالث لهذا الجدول اللذين يمثلهما العدد (٣٩) في موقع العين، والعدد (٤٠) في موقع اللام. وبناء على ذلك، فإن العدد الذي اعتبرناه لمجموع الأفعال المشتملة على الحرف (ظ) هو: ٢١+ ٣٩+ ٤٠ – ٧= ٩٣ فعلاً.

ويقدم هذا الجزء من الجدول، بياناً بالنسب المئوية لكل من الأبواب الستة في جذور الأفعال الثلاثية التي تشتمل على حرف معين. فالأفعال التي تشتمل على الحرف (أ) التي يبلغ مجموعها (٥٧٠) فعلاً، تتوزع النسب المئوية التقريبية لتكرارات أبوابها على النحو التالي: (٣٥٪، ١٤٪، ١٤٪،

٨٪، ٢٩٪، ٠٪).

ومعنى هذا أن الأفعال المشتملة على الحرف (أ)، في أي موقع من مواقع الفعل الثلاثي، ترد على وزن الباب الأول بنسبة ٣٥٪، وترد على وزن البابين الثاني والثالث بنسبة ١٤٪ في كل واحد منهما، وترد على وزن الباب الخامس بنسبة ٨٪، وترد على وزن الباب السابع بنسبة ٢٩٪ ولا يرد أيٌّ فعل من هذه الأفعال على وزن الباب الأخير وهو الباب التاسع.

٤: ٣ العلاقة بين أبواب الفعل وأحرف الجذر في مواقعها الثلاثة:

إذا رجعنا الآن إلى الجدول رقم (٥)، الذي يتناول – كما ذكرنا – تأثير كل حرف من أحرف الفعل الثلاثي، في نوع الباب، أو الأبواب التي يؤثرها الفعل، فإننا نلاحظ ما يأتي:

٤: ٣: ١ أحرف الجذر والباب الأول:

إن أعلى النسب التي يرد فيها الباب الأول: (فتح – فتح)، تكون مع الأفعال التي فاؤها: (ظ،د،م،ل)، أو عينها، أو لامها: (أ، ح، غ، ع هـ، خ). في حين تعد الأفعال التي فاؤها: (ع،أ،ح،خ،و،هـ)،أو عينها: (و، ظ، ث، ر، ق، ب، ج، ذ، ش، ص، ك، م)، أو لامها: (و، ذ، ن، ق، ت، د، س، ل، ي)، من أقل الأفعال التي ترد على وزن هذا الباب. وتجدر الإشارة إلى أنه لم يرد أي فعل فاؤه (غ)، أو عينه (ي) على وزن هذا الباب.

ويتضح لنا من هذا ما يلي:

أ – يكثر وورد الأفعال التي عينها، أو لامها أحد الأحرف الحلقية[٢٤]

(٢٤) استعملنا مصطلح الحلق في هذا البحث بالمفهوم التراثي له، ويختلف هذا المفهوم =

وهي:

(أ،ح، غ، ع،هـ،خ) على وزن هذا الباب. وقد لمح القدماء والمحدثون من اللغويين هذه الظاهرة، ونصوا عليها. فسيبويه – على سبيل المثال – يرى أن باب (فعَل – يفعَل) يتحقق – في الأعم الأغلب – في حالة كون عين الفعل أو لامه أحد الأحرف الحلقية الستة السابقة. ويعلل سيبويه كثرة مجيء الأفعال ذات العين الحلقية على وزن هذا الباب، بأن الأحرف الحلقية، حروف مستفلة في الحلق، ولا يناسبها من الحركات، إلا ما كان مثلها مستفلاً، وهو يعني – بذلك – الفتحة، التي يرى أنها بعض الألف، يقول سيبويه: "وأما ما كانت فيه (يقصد أحرف الحلق) عيناتٍ، فهو كقولك: سأَل يسأَل، وذهَب يذهَب ..... وبعَث يبعَث...، ونحَل ينحَل...، ومغثَ يمغَث...، وذخَر يذخَر، وإنما فتحوا هذه الحروف لأنها سَفُلَتْ في الحلق، فكرهوا أن يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما ارتفع من الحروف، فجعلوا حركتها من الحرف في حيزها، وهو الألف (يعني الفتحة) وإنما الحركاتُ من الألف والياء والواو. وكذلك حركوهن إذ كنَّ عَيْناتٍ،ولم يُفْعَل هذا بما هو من موضع الواو والياء

= عما يعنيه هذا المصطلح في علم الأصوات الحديث.

فالحلق - Pharynx في المفهوم الحديث – هو عبارة عن مخرج – Point of Articulation – ينسب إليه صوتان فقط هما: الحاء والعين. ويقع الحلق بهذا المفهوم – فوق الحنجرة، Larynx/ Glottis – التي ينسب إليها صوتا الهمزة والهاء، وأسفل كل من اللهاة Uvula التي ينسب إليها صوت القاف، والطبق، أو سقف الحنك الرخو Velum/ soft Palate الذي تنسب إليه أصوات الخاء، والغين، والكاف.

(يعني الضمة والكسرة)، لأنها من الحروف التي ارتفعت، والحروف المرتفعة حيِّزٌ على حدة، فإنما تَناول للمرتفع حركة من مرتفع، وكُره أن يُتناول للذي قد سَفَل حركةٌ من هذا الحيز[٢٥].

أما ورود الأفعال ذات اللام الحلقية على وزن هذا الباب، فيرى سيبويه أن حركة عين الفعل تكتسب خاصة الفتح لسبقها اللام الحلقية، وذلك قياساً على ظاهرة الإدغام التي يكتسب فيها الحرف السابق صفات الحرف اللاحق، يقول سيبويه: "... ومع هذا أَن الذي قبل اللام فَتَحَتْه اللامُ (في قرَأ يقرَأ) حيث قَرُب جواره منها لأن الهمز، وأَخواتِه لو كنَّ عيناتٍ فُتحن، فلما وقعَ مَوْضِعَهُنَّ الحرفُ الذي كنَّ يُفْتحن به لو قَرُبَ فُتِح..."[٢٦]

وقد وضح ابن يعيش كلام سيبويه وشرحه بقوله: "أما فعَل - يفعَل، فلم يأت عنهم إلا أن تكون العينُ أو اللامُ أحدَ حروف الحلق، وليس ذلك بالأصل، وإنما هو لضرب من التخفيف بتجانس الأصوات..... وإنما فعلوا ذلك لأن هذه الحروفَ الستةَ حلقيةٌ مستفلة، والضمة والكسرة مرتفعان من الطرف الآخر من الفم، فلما كان بينهما هذا التباعد في المخرج، ضارعوا بالفتحة حروف الحلق لتناسبَ الأصوات، ويكونَ العملُ من وجهٍ واحد"[٢٧].

ولقد كان شارح الشافية، أكثر وضوحاً من غيره، في تعليله لهذه الظاهرة، عندما قال: "ثم إن حروفَ الحلق سافلةٌ في الحلق يتعسر النطق بها، فأرادوا أن يكون قبلها - إن كانت لاماً - الفتحةُ التي هي جزء الألف، التي

(٢٥) سيبويه، الكتاب، ١٠١/٤.

(٢٦) السابق ١٠٥/٤.

(٢٧) ابن يعيش، شرح المفصل، ١٥٣/٧.

هي أخفُّ الحروف، فتعدل خفتُها ثقلَها، وأيضاً فالألف من حروف الحلق فيكون قبلها جزءٌ من حرف من حيِّزها، وكذا أرادوا أن يكون بعد حرف الحلق بلا فصل إن كانت عيناً، الفتحةُ الجامعةُ للوصفين، فجعلوا الفتحة قبل الحلقي إن كان لاماً، وبعده إن كان عيناً ليسهل النطق بحروف الحلق الصعبة"[٢٨].

وقد ألمح السيوطي إلى هذه الظاهرة، عندما روى ما قاله ابن درستويه في شرح الفصيح: "كل ماكان ماضيه على فَعَلت، بفتح العين، ولم يكن ثانيه ولا ثالثه حروف اللّين، ولا الحلق، فإنه يجوز في مستقبله يفعُل بضم العين، ويفعِل بكسرها..."[٢٩].

ويعني هذا الكلام أن "حروف الحلق تؤثر – كما يذكر أستاذنا الدكتور عبد الصبور شاهين – الفتح، للتقارب المخرجي، واقتصاداً للجهد النطقي"[٣٠].

وهذا الرأي الذي نص عليه الدكتور عبد الصبور، هو – في الحقيقة – إعادةٌ لما ردده القدماء، ابتداءً بشيخهم سيبويه، الذي يذكر أن الفتحة بعض الألف أو هي – كما ينصون – من الألف، التي مخرجها بين الهمزة والهاء الحلقيتين[٣١].

غير أننا لا نرى – كما يذكر أستاذنا الدكتور عبد الصبور، وغيره

(٢٨) الرضي، شرح الشافية، ١١٩/١.

(٢٩) السيوطي، المزهر، ٢٠٧/١.

(٣٠) د. عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، ص٦٦.

(٣١) سيبويه، الكتاب، ١٠١/٤ – ١٠٢.

من شيوخنا القدامى – أن هناك تقارباً مخرجياً حقيقياً بين أحرف الحلق والفتحة، ذلك أن الفتحة – في الوصف الصوتي الحديث – حركة أمامية واسعة يتم النطق بها من منطقة الغار، أو الحنك الصلب كما يسمى Hard Palate (٣٢)، عندما يكون اللسان مستوياً، أو شبه مستو في قاع الفم، مع ارتفاع خفيف في وسطه، فهي – على هذا الوصف – ليست قريبة في مخرجها من مخرج الحرف الحلقية. وفي رأينا، أن السبب، الذي دعا الحروف الحلقية إلى إيثار الفتحة، يعود إلى أن كلاً من الكسرة والضمة حركة ضيقة يرتفع مقدم اللسان، مع أولاهما، وهي الكسرة، في اتجاه منطقة الغار، ويرتفع مؤخر اللسان، مع ثانيتهما، وهي الضمة، في اتجاه منطقة الغار، ويرتفع مؤخر اللسان، مع ثانيتهما، وهي الضمة، في اتجاه منطقة الطبق أو الحنك اللين كما يسمى Soft Palate (٣٣)، الأمر الذي يؤدي إلى تضييق في مجرى الهواء عبر القناة الصوتية، وبذل جهد إضافي في تكييف بعض الأعضاء النطقية في مناطق مقدم اللسان ومؤخره مع الغار والطبق، فضلاً عن الشفتين. وفي مقابل ذلك فإن اللسان يكون مع الفتحة، بعيداً عن الغار، ومستوياً أو شبه مستو في قاع الفم كما ذكرنا، مما يمكن تيار الهواء من

---

(٣٢) يقصد بالغار، أو الحنك الصلب ذلك الجزء العظمي من سقف الحنك، وهو ذو شكل مقعَّر، ومحزَّز، ويقع خلف منطقة اللِّثة.

(٣٣) يقصد بالطبق، أو الحنك اللين، ذلك الجزء الليِّن من سقف الحنك، ويقع في موضع متوسط بين اللهاة من الخلف، والغار أو سقف الحنك الصلب من الأمام، ويمتاز هذا العضو بقابليته للحركة حيث يؤدي ارتفاعه إلى إغلاق ممر الهواء إلى التجويف الأنفي، في حين يؤدي انخفاضه إلى فتح ذلك الممر.

الانطلاق الحر في أثناء النطق بالحروف المفتوحة بعامة، والحروف الحلقية بخاصة. وقد نص القدماء على أن "حروف الحلق أشد علاجاً، وأصعب إخراجاً، وأحوج إلى تمكين آلة الصوت من غيرها"(٣٤) . كما نصوا أيضاً على أن النطق بالفتحة أخفُّ من النطق بغيرها من الحركات(٣٥). وعلى هذا فإن خفة النطق بالفتحة من شأنها أن تعدل النطق بالحروف الحلقية الثقيلة كما ذكر الرضي(٣٦) .

ولعل الدكتور إبراهيم أنيس كان يعني هذا، الذي نذهب إليه، عندما حاول تفسيرَ هذه الظاهرة، والتعليلَ لها بقوله: "إن كل أصوات الحلق – بعد صدورها – من مخرجها الحلقي، تحتاج إلى اتساع في مجراها بالفم، فليس هناك ما يعوق هذا المجرى في زوايا الفم، ولهذا ناسبها من أصوات اللين أكثرها اتساعاً وتلك هي الفتحة"(٣٧) .

وتجدر الإشارة إلى أن بعض القدماء من اللغويين قد ذهبوا – في أثناء حديثهم عن ظاهرة الحروف الحلقية في باب: فعَل – يفعَل – إلى أنه كلما كان الحرف الحلقي أكثر استفالاً في الحلق كان الفعلُ المشتملُ على هذا الحرف، في موقع العين أو اللام، أكثرَ وروداً على وزن هذا الباب، من وروده على الأصل الذي يقصدون به وزني "فعَل – يفعُل"، و"فعَل يفعِل".

---

(٣٤) ابن عصفور. الممتع في التصريف، ٦٩٩/٢.

(٣٥) الرضي، شرح الشافية، ١١٩/١ و٢٤٢/٣ وكذلك سيبويه، الكتاب، ٤٢٠/٤.

(٣٦) الرضي، شرح الشافية ١١٩/١.

(٣٧) د. إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص ١٧٠

ومن هذا المنطلق، فقد رتب سيبويه، أحرف الحلق، من حيث الاستفال أو الاستعلاء في الحلق على النحو التالي: (أ،ه-، ع، ح، غ، خ)[٣٨] .

ولكن المعطيات التي يقدمها الجدول رقم (٥)، تبين أن هذا الاتجاه الذي ذهب إليه سيبويه، ليس دقيقاً على نحو مطلق، فقد جاء ترتيب الحروف الحلقية فيه، في موقع العين، على النحو الآتي: (أ،ح، غ، ع، هـ، خ). وجاء ترتيبها في موقع اللام على النحو التالي (أ، ح، ع، غ، خ، هـ). ومهما يكن من أمر، فإن ظاهرة الحروف الحلقية، في هذا الباب، يجب ألاّ تؤخذ على إطلاقها، ذلك أن هناك تفاوتاً في نسب ورود الأفعال ذوات العين، أو اللام الحلقية على وزن هذا الباب. ومن الأمثلة على ذلك حرفا الخاء والهاء، حيث ترد الأفعال التي عينها "خاء"، والمتعددة الأبواب والأحادية، والأحادية الباب فقط بنسبة ٢٠٪ و٢٣٪، على التوالي. أما مع الحرف الثاني - فإن النسبتين المناظرتين للأفعال التي لامها "هاء" هي: ٢٢٪، و٢١٪ على التوالي. في حين تتسم الأحرف الحلقية الأخرى بأنها ذات نسب عالية، فهي تتراوح في موقع العين بين ٥٨٪ -٤١ ٪ مع الأفعال ذات الأبواب المتعددة، وبين ٧٠٪ -٤٦ ٪ مع الأفعال الأحادية الباب وتتراوح في موقع اللام بين ٥٨٪ - ٣٧٪ مع الأفعال الأولى، وبين ٧٣٪ - ٤٤٪ مع الأفعال الأخيرة[٣٩] .

---

(٣٨) سيبويه، الكتاب، ٤/١٠١ - ١٠٢.

(٣٩) يقدم الجدول رقم (٦) الأفعال الثلاثية، التي ترد في المعجم الوسيط أحادية الباب، أي تلك الأفعال التي تأخذ عين الفعل الماضي والمضارع فيها وزن باب معين من الأبواب الستة الرئيسية للفعل. ويبلغ عدد هذا النوع من الأفعال -

ب – وفي مقابل ذلك فإن وقوع الأحرف الحلقية في موقع الفاء من الفعل الثلاثي لا يؤهلها للورود على وزن الباب الأول إلا في حالات قليلة ونادرة. فقد جاء ترتيب هذه الحروف في موقع الفاء على الترتيب التالي: (غ،ع،أ،ح،خ،هـ) وبالنسب (.. ٪، ١٪، ٢٪، ٤٪، ٦٪، ٩٪)، على التوالي: ويرى سيبويه أن السبب في ذلك راجع إلى وقوع الفاء الحلقية في المضارع ساكنة – بالضرورة – قبل العين، فلا تتأثر العين اللاحقة بالفاء الحلقية السابقة، على غرار ما تتأثر العين السابقة باللام الحلقية اللاحقة[٤٠] .

وقد نص على ذلك شارح الشافية عندما قال: "... فجعلوا الفتحة قبل الحلقي إن كان لاما، وبعده إن كان عيناً، ليسهلَ بحروف الحلق الصعبة، و لم يفعلوا ذلك إذا كان الفاء حلقياً: إمّا لأن الفاء في المضارع ساكنة فهي ضعيفة بالسكون (ميِّتة)، وإمّا لأن فتحة العين إذن تبعد من الفاء، لأن الفتحة تكون بعد العين التي بعد الفاء"[٤١] .

وقد وضح ذلك ابن يعيش بقوله: "فإن كانت هذه الحروف (يعني

كما مر معنا في (٣: ٢: ١) (٢٩٦٦) فعلاً، من مجموع الأفعال الثلاثية الواردة في هذا المعجم والبالغ عددها الكلي (٤٥٤٦) فعلاً.

ولقد اتضح لنا، من خلال الدراسة المتأنية لهذا الجدول، أن هناك شبهاً كبيراً بين النتائج التي يمكن استخلاصها من هذا الجدول، وتلك النتائج المناظرة لها في الجدول رقم (٥). بيد أن النسب المئوية العليا أو الدنيا ترد – مع الأفعال الأحادية الباب – أكثر علواً، أو أكثر انخفاضاً، من نظائرها في الأفعال ذات الأبواب المتعددة.

(٤٠)سيبويه، الكتاب، ٤/١٠٤– ١٠٥.

(٤١)الرضي، شرح الشافية، ١/١١٩.

حروف الحلق) فاءات نحو: أمر – يأمُر، لم يلزم الفتح فيه لسكون حرف الحلق في المضارع، والساكن لا يوجب فتح ما بعده لضعفه بالسكون"(٤٢) .

٤: ٣: ٢: حروف الجذر والباب الثاني:

إن أعلى النسب التي يرد فيها الباب الثاني: (فتح – ضم) تكون مع الأفعال التي فاؤها: (م،ح،ر،د،ش،ط،ن). أو عينها: (و، ظ، ك، ج) أو لامها، (و، ذ، ك، ج). في حين تعد الأفعال التي فاؤها: (و، ي، ظ)، أو عينها أو لامها: (أ، هـ، ح، ع، غ)من أقل الأفعال التي ترد على وزن هذا الباب. وتجدر الإشارة إلى أنه لم يرد فعل عينه أو لامه (ي) على وزن الباب الثاني.

ويتضح لنا من هذا ما يلي:

١– يكثر مجيء الأفعال التي عينها أو لامها: (و) على وزن هذا الباب، فهذه الأفعال ترد بنسبة: ٧٤٪، ٩٣٪ على التوالي. وقد نص علماء الصرف على اطراد مجيء الفعلين الأجوف والناقص الواويين على وزن الباب الثاني، يقول ابن عصفور: "فإن كان معتلَّ العين أو اللام بالواو، كان المضارع أبداً على "يَفْعُل" بضم العين نحو: غزا، يغزُو، وقال يقُول"(٤٣) . ويقول أيضاً وأما "فَعَل" من ذوات الواو فمضارعها أبداً على "يَفْعُل" بضم العين"(٤٤) .

وقد علل أولئك العلماء ذلك بإرادة اللغة، أو لنقل أصحاب اللغة، التفرقةَ بين ذوات الواو وذوات الياء، فالتزموا – كما يذكر ابن عصفور – في

(٤٢)ابن يعيش، شرح المفصل، ١٥٤/٧.

(٤٣)ابن عصفور، الممتع في التصريف، ١٧٤/١.

(٤٤)السابق، ٤٤٤/٢، وكذلك: الرضي، شرح الشافية، ١١٨/١، ١٢٥.

ذوات الواو "يفْعُل" بضم العين، لأن الضمة من جنس الواو[٤٥] .

ولا تقتصر عناصر هذا الباب على الأفعال المعتلة العين أو اللام بالواو، وإنما تشتمل أيضاً على أفعال أخرى فاءاتها: (م،ح،ر،د،ش،ط،ن)، ولكن نسبها، في هذا الصدد، أقل من نسبة تلك الأفعال المعتلة الجوفاء أو الناقصة الواوية.

ومن الجدير ذكره أن الإحصائية التي يقدمها هذا الجدول تشير إلى نسبة ورود الناقص الواوي، على وزن هذا الباب، أكبر من نسبة ورود الأجوف الواوي، فنسبة ورود الناقص الواوي، كما ذكرنا قبل قليل، هي ٩٣٪، أما نسبة ورود الأجوف الواوي فهي ٧٤٪.

٢- وفي مقابل ذلك، فإن من النادر ورود الأفعال المعتلة المثال بنوعيه: الواوي، واليائي، على وزن هذا الباب، فقد جاء أولهما - وهو المثال الواوي - بنسبة ١٪ فقط، وجاء ثانيهما - وهو المثال اليائي - بنسبة ٤٪. ويعود السبب في ذلك إلى استثقال الواو مع الياء، يقول سيبويه: "ولا يجيء في هذا الباب (أي باب فعَل - يفعُل) يفعُل.... واعلم أن ذا (يعني المثال الواوي) أصله على قتلَ - يقتُل، وضرَب يضرِب، فلما كان من كلامهم استثقال الواو مع الياء... كانت الواو مع الضمة أثقل، فصرفوا هذا البابَ إلى يفْعِل... وقد قال ناس من العرب: وَجَد يَجُد، كأنهم حذفوها من يَوْجُد، وهذا لا يكاد يوجد في الكلام"[٤٦] . ويقول أيضاً: "وأما ما كان من الياءَ فإنه لا يحذف منه، وذلك قولك: يَئِسَ يَيْئِسُ، ويَسر يَيْسِر، ويَمَن يَيْمِن،

(٤٥)ابن عصفور، الممتع في التصريف، ٢/٤٤٧.

(٤٦)سيبويه، الكتاب، ٤/٥٢.

وذلك أنّ الياءَ أخفُّ عليهم، ولأنهم قد يفرون من استثقال الواو مع الياء إلى الياء في غير هذا الوضع، ولا يفرون من الياء إلى الواو فيه؛ وهي أخف[٤٧].

وإلى هذا، أو مثله، ذهب الرضي عندما قال في شرحه للشافية: "ولم يضموا في المثال، يعني معتل الفاء الواوي واليائي، فلم يقولوا: وعَد يوْعُد، ويسَر يَيْسُر، لأن قياس عين مضارع فعَل المفتوح العين على ما تقدم إمَّا الكسر أو الضم، فتركوا الضم استثقالاً لياء يليها ياء، أو واو بعدها ضمة، إذ فيه اجتماع الثُّقَلاء"[٤٨].

٣- لا ترد أية أفعال معتلة العين أو اللام بالياء على وزن هذا الباب، وإنما ترد هذه الأفعال - في الأعم الأغلب - على وزن الباب الثالث: (فتح - كسر). والسبب في ذلك يعود - فيما نرى - إلى وجود مناسبة بين الياء، التي ترد في موقع عين الفعل أو لامه، والكسرة، أو - كما يقول ابن عصفور - "لأن الكسرة من جنس الياء"[٤٩]. وبالإضافة إلى ذلك فإن هناك علة صرفية توجب ضبط عين مضارع المعتل الأجوف أو الناقص اليائي بالكسر لا بالضم وتتمثل تلك العلة في أن ضبط عينات هذا النوع من الأفعال أو لاماتها بالضم يوجب قلب الياء في الحالتين إلى واو، وهذا من شأنه أن يوقع في اللبس وعدم التمييز بين الواوي واليائي.

وقد بسط الرضي هذا الأمر عندما قال: "ولزموا الضم في الأجوف بالواو والمنقوص بها حرصاً على كون الفعل واوياً، لا يائياً، إذ لو قالوا في

(٤٧)السابق، ٤/٥٤.

(٤٨)الرضي، شرح الشافية، ١/١٢٩.

(٤٩)ابن عصفور، الممتع في التصريف، ٢/٤٤٧.

قال وغزا: يَقْوِل ويَغْزِوُ، لوجب قلب واو المضارعين ياءً لما مرَّ من أن بيان البنية عندهم أهم من الفَرق بين الواوي واليائي، فكان يلتبس إذن الواويُّ باليائي في الماضي والمضارع. ولهذا بعينه التزموا الكسر في الأجوف والناقص اليائيين، إذ لو قالوا في باع ورمى: يَبْيُعُ، ويرْمُيُ، لوجب قلب الياءين واواً لبيان البنية، فكان يلتبس بالواوي اليائيُّ في الماضي والمضارع"[٥٠] . ثم يسترسل قائلاً: "ولنا أن نعلل لزومَ الكسر في عين مضارع نحو قال وغزا، ولزوم الكسر في عين مضارع نحو، باع، ورَمَى، بأنه لما ثبت الفرق بين الواوي واليائي في مواضي هذه الأفعال أتبعوا المضارعات إياها في ذلك"[٥١].

٤- يتميز هذا الباب، من سابقه، في ظاهرة الحروف الحلقية، ففي الوقت الذي يعد فيه شغل موقعيْ العين واللام بالحروف الحلقية معياراً أساسياً يميز الباب الأول (فتح – فتح) من غيره من الأبواب، فإننا نجد أن شغل هذين الموقعين بحرف الواو، معيار أساسي يميز الباب الثاني (فتح – ضم) من غيره من الأبواب أيضاً.

كما نلاحظ أن نوع الحروف، التي تشغل موقعي العين واللام، ولا تشغل هي بعينها موقع الفاء، يعد معياراً مهماً يمكّن من التمييز بين كل باب من البابين الأول والثاني، وغيره من البواب الأخرى. فالباب الأول يتميز، من غيره من الأبواب الأخرى، بشغل موقعي العين واللام بالحروف الحلقية وندرة شغل موقع الفاء فيه بهذه الحروف في حين يتميز الباب الثاني، من

(٥٠)الرضي، شرح الشافية، ١/١٢٥- ١٢٦.

(٥١)السابق، ١/١٢٧.

غيره من الأبواب الأخرى بشغل موقعي العين واللام بحرف الواو، وندرة شغل موقع الفاء فيه بهذا الحرف.

٤: ٣: ٣: حروف الجذر والباب الثالث:

إن أعلى النسب، التي يرد فيها الباب الثالث: (فتح - كسر) تكون مع الأفعال التي فاؤها: (و،هـ، ع، غ، أ، ك، ح، خ، ق). أو عينها أو لامها: (ي،ف،ز)، في حين تعد الأفعال التي فاؤها (م،د،ب،س،ل) أو عينها أو لامها: (أ،و، ع،ه-، غ،ح،خ) من أقل الأفعال التي ترد على وزن هذا الباب. وتجدر الإشارة إلى أنه لم يرد أي فعل لامه (و) على وزن هذا الباب.

ويتضح لنا من هذا:

١- يكثر ورود الأفعال التي فاؤها: (و) على وزن الباب الثالث. فهي ترد بنسبة ٥٥٪، وقد عزا سيبويه ذلك إلى استثقال اجتماع الواو مع الضمة(٥٢).

وتجدر الإشارة إلى أن واو هذه الأفعال تسقط - في الأعم الأغلب - في المضارع فنقول في وعَد، يَعِد، وفي وَرِث يَرِث. ويعود السبب في ذلك، كما يذكر ابن جني إلى "أنهم أرادوا حذف الواو لثقلها فقصروه على كسر العين ليجب عن ذلك حذف الواو(٥٣)". وقد فسَّر ابن عصفور هذه المسألة على نحو واضح وميسور عندما قال: "فإن قيل فلأي شيء التزموا في مضارع "فَعَل" الذي فاؤه واو "يَفْعِل" بكسر العين، وقد كان نظيره من الصحيح

---

(٥٢)سيبويه، الكتاب، ٥٢/٤، وكذلك: الرضي، شرح الشافية، ١٢٩/١.

(٥٣)ابن جني، المنصف، ١٨٥/١- ١٨٦.

يجوز فيه "يَفْعُل" و "يفْعِل" بضم العين وكسرها؟ فالجواب أنهم التزموا "يفْعِل" لأنه يؤدي إلى حذف الواو، فيخفُّ اللفظ"(٥٤).

ولقد عرض بعض المحدثين هذه القضية، وقدم تفسيراً لسقوط الواو من بنية مضارع المثال الواوي في مثال "يوعد". ومؤدى ذلك إلى أن وقوع النبر "على الجزء "يَوْ"، فيها لا يتحقق في النطق دون ثقل ظاهر، لأن النبر إثقال وضغط، وصعوبة تحقيقهما في نطق الجزء المذكور، والفم في وضع انفتاح لنطق (الياء) مفتوحة، صعوبة واضحة، وبشكل عفوي تجنب العربي الثقل بإسقاط الواو(٥٥).

٢- يكثر ورود الأفعال المعتلة العين أو اللام بالياء، أي الجوفاء أو الناقصة اليائية، على وزن هذا الباب، فهي ترد بنسبة ٨٤٪، ٤٧٪، على التوالي. والسبب في ذلك يعود – فيما نرى – إلى التجانس الصوتي بين الياء والكسرة. ولقد سبق لنا أن ذكرنا – في أثناء حديثنا عن الباب الثاني – آراء الصرفيين العرب حول هذا الموضوع. وتجدر الإشارة إلى أن نسبة ورود الأجوف اليائي، على وزن هذا الباب، أكبر من نسبة ورود الناقص اليائي، وذلك خلافاً للوضع الذي ترد فيه الأفعال الجوفاء والناقصة الواوية في الباب الثاني.

٣- لا ترد أية أفعال معتلة اللام بالواو على وزن الباب الثالث، في حين يكثر ورود هذا النوع من الأفعال على وزن الباب الثاني: "فتح – ضم". والسبب في ذلك يعود – فيما نرى – إلى عدم وجود تجانس صوتي

(٥٤)ابن عصفور، الممتع في التصريف، ٢/ ٤٢٧.

(٥٥)د. كمال أبو ديب، في البنية الإيقاعية للشعر العربي، ص ٢٩٣.

بين الكسرة والواو.

٤– يشترك هذا الباب، مع الباب السابق، وهو باب: (فتح – الضم)، في ظاهرة الحروف الحلقية، حيث يقل ورودها شاغلة موقعي العين أو اللام في الأفعال التي ترد على وزن هذين البابين. وهذا من شأنه أن يدعم رأي الصرفيين الذين ذهبوا – كما ذكرنا في أثناء حديثنا عن الباب الأول – إلى أن حروف الحلق تؤثر صوت الفتحة "الذي يعد قسيماً للضمة والكسرة"(٥٦)

٥– يتميز هذا الباب – من البابين السابقين – في أن معياريـة تميزه لاتعتمد على نوع الحروف التي يمكن أن تشغل موقعي العين واللام فقط، وإنما تعتمد – بالإضافة إلى ذلك – على نوع الحروف التي يمكن أن تشغل موقع الفاء أيضاً. ومما يلاحظ – في هذا المجال – أن هذا الباب يؤثر، في مواقع فائه وعينه ولامه، نوعاً معيناً من الأصوات التي تجمعها صفة العلة أو نصف العلة.

كما تتميز الأفعال الواردة على وزن هذا الباب أيضاً بتمتع الأحرف الحلقية بنسبة تكرر عالية في موقع فاءاتها. وهو – بهذا – يخالف الباب الأول الذي تضعف نسبة تكرر الأحرف الحلقية في موقع فاءات الأفعال التي ترد على وزنه.

٤ : ٣: ٤: حروف الجذر والباب الخامس:

تتقارب النسب المئوية لفاءات الأفعال، أو عيناتها، أو لاماتها التي ترد على وزن الباب الخامس: (ضم – ضم)، فضلاً عن كون هذه النسب غير مرتفعة على نحو عام.

(٥٦)د. رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص ٩٦.

ونود الإشارة – في هذا المجال – إلى أمور منها:

١– يعد هذا الباب باباً خاصاً ومتميزاً، حيث لا يرد لعين ماضيه المضمومة سوى صورة واحدة في المضارع، ونعني بها المضارع المضموم العين، في حين تتنوع عين الماضي المفتوحة (فعَل) إلى ثلاث صور هي: (فعَل: يفعَل – يفعُل – يفعِل). وتتنوع عين الماضي المكسورة (فَعِل) إلى صورتين هما: (فعِل: يفعَل، يفعِل)، يقوم سيبويه: "وهذه الأبنية كل بناء منها إذا قلت فيه فَعُل لزم بناء واحداً في كلام العرب كلها. وتقول: صَبُحَ، يَصبُح، لأن يَفْعُل من فَعُلت لازم له الضم لا يُصرف إلى غيره، فلذلك لم يفتح هذا"[٥٧] . ويقول أيضاً: "وقالوا: وَضُؤ، يَوْضُؤ – ووَضُع، يَوْضُع – فأتموا ما كان على فَعُل، كما أتموا على فَعِل، لأنهم لم يجدوا في فَعُل مَصْرِفاً إلى يفعِل كما وجدوه في باب فَعَل: نحو ضرَب، وقتَل، وحَسِبَ، فلما لم يكن يدخله هذه الأشياء، وجرى على مثال واحد سلموه وكرهوا الحذف، لئلا يدخل في باب ما يختلف يَفْعَل منه، فألزموه التسليم لذلك"[٥٨] .

٢– لا يرد أي فعل أجوف يائي، أو ناقص يائي على وزن هذا الباب، وقد علل الرضي ذلك "لأن مضارع فعُل يفعُل بالضم لا غير، فلو أتيا منه لاحتجت إلى قلب الياء ألفاً في الماضي، وفي المضارع واواً نحو: يبُوعُ ويَرْمُو، من البيع والرمي، فكنت تنتقل من الأخف إلى الأثقل[٥٩] . وإلى هذا ذهب ابن عصفور أيضاً عندما قال: "فإن قيل: ولأي شيء امتنع بناء "فَعُل"

(٥٧)سيبويه، الكتاب، ٤/ ١٠٣.

(٥٨)السابق، ٤/ ٥٣– ٥٤.

(٥٩)الرضي، شرح الشافية، ١/ ٧٦.

من ذوات الياء، فالجواب أن الذي منع من ذلك أنهم لو فعلوا ذلك لأدى إلى الخروج من الخفيف إلى الثقيل، لأنه يلزم فيه – كما ذكرنا – قلبُ الياء واواً، والياء أخفُّ من الواو، مع أنه يلزم أن يكون المضارع على "يفعُل" فكنت تقول: "رَمُو" فيجتمع لك في الماضي والمضارع ضمة وواو وذلك ثقيل(٦٠).

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن من النادر مجيء الناقص الواوي على وزن هذا الباب، كما أننا لم نعثر على أفعال جوفاء واوية على وزن هذا الباب، اللهم إلا الفعل أَوُن: يأْوُن، الذي سلكناه في عداد باب (فعُل: يفْعُل) حملاً له على الفعلين "رفه"، و"ودع"، اللذين يتفقان مع هذا الفعل في المعنى. ولعل السبب في ذلك يعود إلى استثقال النطق بالواو والضمة مجتمعتين في كلمة واحدة.

٤: ٣: ٥: حروف الجذر والباب السابع:

وعلى غرار الباب السابق، فإن النسب المئوية لفاءات الأفعال أو عيناتها أو لاماتها، التي ترد على وزن الباب السابع: (كسر – فتح) تتقارب كثيراً. وعلى الرغم من انخفاض هذه النسب، إلا أنها أعلى من تلك النسب التي ترد في الباب الخامس (فعُل: يفْعُل). ولنا على أفعال هذا الباب ملحوظات منها:

١– إنّ أعلى النسب، التي يرد فيها هذا الباب، تكون مع الأفعال التي فاؤها أو لامها (ي)، فهي ترد بنسبة: (٣٨٪، ٤٤٪) على التوالي.

(٦٠)ابن عصفور، الممتع في التصريف، ٢/ ٥٢٠.

٢- وإن أعلى النسب، التي ترد فيها هذا الباب، تكون مع الأفعال التي عينها: (ر،ن،ل،هـ) أو لامها، (هـ).

٣- لا يرد أيُّ فعل ناقص واوي على وزن هذا الباب، وذلك ناجم عن صعوبة اجتماع الكسرة والواو. وقد عبر عن ذلك ابن عصفور بقوله: "وإن كان (يعني الفعل على وزن فعِل) من ذوات الواو قُلبت الواوُ ياءً، نحو: شَقِيَ" و"رَضِيَ" لأن الواو وقبلها كسرة بمنزلة الياء والواو، لأن الكسرة بعضُ الياء، فكما أن الياءَ والواو إذا اجتمعتا في مثل "سيِّد" و"ميِّت" قلبت الواو ياء، والأصل "سَيْوِد، ومَيْوت" فكذلك يُفْعل بالكسرة مع الواو"(٦١).

٤- تتقارب في هذا الباب – النسب المئوية لفاءات الأفعال، أو عيناتها، أو لاماتها. ويبدو لنا أن هذا الباب لا يخضع لقواعد أو ضوابط صوتية حادة، باستثناء ما ألمحنا إليه من تأثير نسب الأفعال التي ترد على وزن هذا الباب بالأفعال المعتلة بالواو أو بالياء سلباً أو إيجاباً. وربما كان هذا هو السبب الذي دفع اللغويين إلى البحث عن ضوابط أخرى تحكم الأفعال المنتمية إلى هذا الباب. ولقد كانت الضوابط الدلالية من أهم ما ذكره أولئك اللغويون في هذا المجال. فسيبويه – على سبيل المثال – يذكر من تلك الضوابط "ما كان من الترك والانتهاء، وما جاء من الأدواء، وما كان من الذعر والخوف، وما كان من الجوع والعطش(٦٢) .....إلخ. ويصف الدكتور إبراهيم أنيس الأفعال التي ترد على وزن هذا الباب بأنها أفعال إجبارية(٦٣)

---

(٦١)السابق، ٢/ ٥٢٢- ٥٢٣.

(٦٢)سيبويه، الكتاب ٤/ ١٦، ١٧، ١٨، ٢١.

(٦٣)د. إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص ٣٨.

. Involuntary

٤: ٣: ٦: حروف الجذر والباب التاسع:

يبلغ عدد الأفعال الواردة في المعجم الوسيط على وزن الباب التاسع (كسر – كسر)، (١٩) فعلاً. وقد جاءت (١٣) فعلاً منها معتلة الفاء بالواو (مثال واوي). وهذه الأفعال هي: (وبق، وثق، ورث، ورع، ورم، وره، وري، وعق، وفق، وكم، وله، ولي، ومق). وجاء منها أيضاً فعلان اثنان من معتلة الفاء بالياء (مثال يائي)، وهذان الفعلان هما: (يئس، يبس)، أما الأفعال الأربعة المتبقية: فقد ورد منها فعلان معتلا العين أو اللام بالياء (أجوف أو ناقص يائي) وهذان الفعلان هما: (تيس، جهي)، وورد الفعلان الأخيران صحيحين وهما: (حسب، خضب).

وتجدر الإشارة إلى أن (٤) من الأفعال، التي ترد على وزن هذا الباب، هي من النوع الأحادي الباب، و(١٠) أفعال من النوع الثنائي الباب، و(٣) أفعال ثلاثية الباب، وفعلين اثنين من النوع الرباعي الباب.

وهكذا، فإن من الواضح أن الطابع العام لهذه الأفعال هو العلة، حيث يرد (١٧) فعلاً منها معتلاً، وفعلان اثنان فقط من النوع الصحيح. أما الأفعال المعتلة، فيرد منها (١١) فعلاً من نوع المثال الواوي، وفعلان من نوع المثال اليائي، وفعلان أحدهما أجوف يائي والآخر ناقص يائي، كما يرد من هذه الأفعال فعلان اثنان من نوع اللفيف المفروق.

ومن أجل هذا، فقد اعتبر الصرفيون هذا الباب ذا طابع خاص مميز بالنسبة إلى غيره من الأبواب.

٤:٤ العلاقة بين أبواب الفعل والحرف الوارد في الجذر:

إذا نظرنا إلى القسم الأخير من الجدول رقم (٥) وهو قسم المجموع، فإننا نلاحظ ما يلي:

١- إن أعلى النسب التي يرد فيها الباب الأول، تكون مع الفعال التي تشتمل جذورها على الحروف: (أ،ح،ع،هـ) فهي ترد بنسبة: (٣٥٪، ٢٨٪، ٢٨٪،٢٥٪)، على التوالي. وفي مقابل ذلك فإن الأفعال التي تشتمل جذورها على الحرف (و)، والحرف (ي)، تعد من أقل الأفعال التي ترد على وزن هذا الباب.

٢- إن أعلى النسب، التي يرد فيها الباب الثاني، تمون مع الأفعال التي تشتمل جذورها على الحروف: (و،ج،ك،ش) فهي ترد بنسبة: (٥٤٪، ٣٤٪،٣٤٪،٣٢٪)، على التوالي، أما الأفعال التي تشتمل جذورها على الحرف (ي) فلا ترد على وزن هذا الباب تقريباً.

٣- إن أعلى النسب، التي يرد فيها الباب الثالث، تكون مع الأفعال التي تشتمل جذورها على الحرفين: (ي،ف) فهي ترد بنسبة: (٦٢٪،٣٠٪) على التوالي، أما الأفعال التي تشتمل جذورها على الحروف: (أ،ج،ح،ر،ع) فيقل ورودها نسبياً على وزن هذا الباب.

٤- تتقارب النسب المئوية للحروف التي تشتمل عليها الأفعال الواردة على وزن الباب الخامس، فضلاً عن كون هذه النسب منخفضة جداً لا يتجاوز أعلاها ٩٪ في حين تصل النسبة المئوية الدنيا ٥٪. وتجدر الإشارة إلى أن الأفعال التي تشتمل جذورها على الحرف (ى) لا ترد على وزن هذا الباب تقريباً.

٥– إن أعلى النسب التي يرد فيها الباب السابع، تكون مع الأفعال التي تشتمل جذورها على الحروف: (ل،ي،ر،هـ). فهي ترد بنسبة: (٣٢٪،٣٢٪،٣١٪،٣١٪). وتعد الأفعال التي تشتمل جذورها على الحرف (و) من أقل الأفعال التي ترد على وزن هذا الباب. ومما تجدر ملاحظته في هذا الباب، أن النسب المئوية للحروف التي تشتمل عليها أفعاله يغلب عليها طابع التقارب الشديد. وهذا يعني أنَّ أيَّ حرف من الحروف لا يمتاز من سواه بتفصيل هذا الباب في الجذور الفعلية التي تشتمل على هذا الحرف.

٥: ملحوظات عامة:

مما لا شك فيه أن تأليف المعجم الوسيط يعد – كمل ذكر الدكتور عدنان الخطيب – محاولة لها قيمتها من أجل صنع المعجم الخليق باللغة العربية في هذا العصر، ويعطيه رجحاناً على غيره من المعجمات الحديثة التأليف(٦٤)

بيد أن هذا العمل الكبير، الذي اضطلع به – مشكوراً – مجمع اللغة العربية العريق بالقاهرة، لم يخل من بعض الهفوات البسيطة التي لا تقلل من شأن معجمنا، والتي نود – في ختام هذه الدراسة – تسجيل بعضها:

٥: ١ ضبط عين الفعل:

لم تضبط عين بعض الأفعال بالحركة الدالة على الباب أو الأبواب التي تنتمي إليها، وقد حاولنا ضبطها بالرجوع إلى بعض المعاجم المتوافرة بين أيدينا. وسنورد – فيما يلي – نماذج لتلك الأفعال:

(٦٤)د. عدنان الخطيب، المعجم العربي بين الماضي والحاضر، ص ٥٦.

١- ورد في ١/٧ الفعل الثلاثي "أجل" الذي مضارعه "يأجَل"، غير محرك العين في الماضي، وقد جاء هذا الفعل، في معجم لسان العرب، بالمعنى الذي أورده المعجم الوسيط من باب فعِل يفعَل.

٢- ورد في ٢١/١ قوله: أفَل النجم، يأفِل بكسر العين في المضارع. وقد جاء المضارع في اللسان بالمعنى الذي أورده المعجم الوسيط مكسور العين ومضمومها.

٣- ورد في ٥٨/١ الفعل الثلاثي "بشَك"، دون توضيح حركة عين مضارعه، وبالرجوع إلى اللسان وجدنا هذا الفعل ينتمي إلى الباب فعَل يفعُل، والباب فعَل يفعِل.

٤- جاء في ١/ ٦٩ الفعل "بلَص" دون إيراد مضارع له، وقد ورد هذا الفعل على هذا النحو في كل من اللسان والقاموس المحيط، غير أن المنجد أورد هذا الفعل من باب فعَل – يفعَل.

٥- جاء في ٩/١ الفعل "ثقُب" دون أن يورد له فعلاً مضارعاً، وقد ورد هذا الفعل في المنجد على وزن فعُل – يفعُل.

٦- ورد في ١٨٤/١ الفعل "حفأ"، دون ذكر حركة عين مضارعه، وكذلك فعل اللسان، غير أن هذا الفعل جاء في القاموس المحيط والمنجد على وزن "منَع – يمنَع". أي من باب فعَل – يفعَل.

٧- جاء في ١/ ٢٩١ الفعل "ذُكِعَ" بصيغة البناء للمجهول، وقد ورد هذا الفعل في اللسان – بالإضافة إلى ذلك – بالبناء للمعلوم على وزن فعَل – يفعَل وقد اعتمدنا ذلك.

٨- جاء في ٤٧٤/١ الفعل "شحَث" دون إيراد مضارع له، وقد ورد

مضارع هذا الفعل في "المنجد" على وزن "يفعَل".

٩- جاء في ٤٨٢/١ الفعل "شطح" دون أن يورد له فعلاً مضارعاً، وهذا الفعل مولد، وغير موجود في اللسان أو القاموس المحيط والمنجد. وقد قدرنا هذا الفعل من باب "فعَل – يفعَل".

١٠- جاء في ٤٩٦/١ الفعل "شنط" دون أن يورد له فعلاً مضارعاً، وكذلك فعل اللسان والقاموس المحيط والمنجد، وقد اعتبرنا هذا الفعل على وزن باب "فعَل – يفعُل".

١١- قدم المعجم الوسيط في ٥٥٦/٢ الناقص اليائي "طري" على الناقص الواوي "طرو" خلافاً لطريقته المنهجية التي يقدم بموجبها الواوي على اليائي.

١٢- جاء في ٦١١/٢ الفعل "عفَّ" دون توضيح حركة عين مضارعه وقد جاء مضارع هذا الفعل في اللسان والمنجد على وزن يفْعِل.

٥: ٢ الأفعال المضْعفة والجوفاء:

لم يحدد المعجم الوسيط – على نحو واضح ودقيق – الباب أو الأبواب التي تنتمي إليها بعض الأفعال المضعفة بخاصة، وبعض الأفعال الجوفاء بعامة، ومن شأن هذا أن يوقع القارئ في حَيْرة وعدم اطمئنان في نسبة هذه الأفعال إلى الأبواب التي تنتمي إليها.

وقد دفعنا هذا الأمر إلى استشارة بعض المعاجم كلسان العرب، والصحاح، والقاموس المحيط في بعض الحالات، أو الاحتكام – في حالات اخرى – إلى دلالة الفعل، وما نصت عليه كتب اللغة – ككتاب سيبويه،

وشرح شافية ابن الحاجب للرضي، والمنصف لابن جني وغيرها - في هذا المجال. وذلك من أجل الوقوف على وزن الباب، الذي ينتمي إليه كل فعل من تلك الأفعال التي كنا نشعر بوجود لبس في انتمائها إلى هذا الباب أو ذاك.

وعلى هذا فإننا نقترح أن نتضمن الطبعات القادمة لمعجمنا هذا توضيحاً للأمر بأية وسيلة يراها المجمع، أو لجنته الخاصة بالمعجم، مناسبة، والتي نعتقد أن من بينها فكَّ التضعيف وإسناد الماضي المضعف إلى الضمير، أو النص على وزن الباب الذي ينتمي إليه كل فعل منها.

وتجدر الإشارة إلى أن المعجم الوسيط قد تضمن شيئاً من هذا الذي ندعو إليه ونطالب به، غير أن شوطه في هذا المضمار كان محدوداً بل مقصوراً على بعض الأفعال ومن الأمثلة على ذلك:

أ : ما جاء في ١٠٩/١، (جدَّ) بالشيء - جداً: ناله، يقال: جَدِدْتُ بالخير.

ب: وما جاء في ٤٣٤/١، (سفَّ) الدواء - سفاً: تناوله يابساً غير معجون، يقال: سَفِفْتُ الدواء.

جـ: وما جاء في ٧٠٧/٢، (فاح) - فَيْحاً: اتَّسع. وقياسه (فَيِح - يَفْيَحُ).

د: وما جاء في ٨٦٦/٢، (مزَّ) الشيء أو الرجل (كفَرِحَ) - ....

هـ: وما جاء في ٢/ ٨٨٦، (ملَّ) فلان الشيء، وعن الشيء - (مثل: فَرِحَ يفرَح)...

ومن ناحية أخرى، فقد عمد المعجم الوسيط - في بعض الحالات - إلى النص على أن بعض الجذور المضعفة تحاكي، في انتمائها إلى باب ما،

جذراً آخر، كالجذر الثلاثي (ملَّ)[٦٥]، أو الجذر الثلاثي (خاف)[٦٦].

وعندما كنا نرجع إلى ما أُحلنا إليه، كنا نجد أنفسنا في حيرة جديدة، فالجذر الثلاثي (ملَّ)، الذي أحال المعجم الوسيط إلى وزن بابه كثيراً، نجده ينتمي إلى بابين اثنين، ولا ندري إن كان المعجم الوسيط يريد، كلا البابين معاً أو أحدهما. أما الجذر الثلاثي (خاف)، الذي أحال إليه المعجم، في أثناء حديثه عن الفعل الأجوف (كاع)[٦٧] - على سبيل المثال -، فإنه لا ينص على وزن بابه الذي ينتمي إليه في أثناء عرضه له.

٥: ٣ اختلاف الضبط بين المعاجم:

١)خالف المعجم الوسيط بعض المعاجم التراثية - كلسان العرب على سبيل المثال - في ضبط حركة عين المضارع بالنسبة إلى حركة عين ماضيه على الرغم من الاشتراك التام في معنى الفعل بين المعجمين. ومن الأمثلة على ذلك، ما جاء في المعجم الوسيط، في أثناء حديثه عن مادة (ذرَّ)، حيث ورد قوله:

و - فلان - ذرورا : شاب مقدَّم رأسه[٦٨]، وما جاء في لسان العرب في أثناء حديثه عن مادة (ذرَّ) أيضاً، حيث ورد قوله:

ويقال ذرَّ الرجل يَذُرّ إذا شاب مقدم رأسه[٦٩].

---

(٦٥)المعجم الوسيط، ٢/ ٨٨٦.

(٦٦)السابق، ١/ ٢٦٢.

(٦٧)السابق، ٢/ ٨٠٥.

(٦٨)السابق، ١/ ٣١٠.

(٦٩)لسان العرب، مادة (ذرَّ).

وما كان لمعجمنا هذا، أن يقع في تناقض مع تلك المعاجم الأم التي أفاد منها – بلا ريب – إفادة كبيرة، ويبدو أن معجمنا قد أخذ في ضبطه لعين هذا الفعل – على نحو خاص – بشذوذ لم يرد صاحب اللسان أن يضمنه معجمه. ولقد نص القاموس المحيط على أن ضبط عين مضارع هذا الفعل بالفتح، شاذ فهو يقول:

"وذرَّ.... والرجلُ شاب مقدم رأسه يذرُّ فيه بالفتح شاذ[٧٠] . وعلى هذا، فقد كان الأَوْلى بمعجمنا الوسيط، أن يأخذ بالأوزان المطردة لأبواب الفعل، ويدع الشذوذ الذي من شأنه أن يجشم القارئ عناء البحث والمقارنة....

٥: ٤ تعدد الأبواب مع اتفاق المعنى:

نص المعجم الوسيط، في مقدمته على أن اللجنة المشرفة عليه قد توخت في هذا المعجم الاقتصار في ذكر أبواب الفعل، فاكتفت بذكر باب واحد، إذا كانت الأبواب متحدة المعاني كما في الفعل (نبع)، أما إذا اختلف المعنى باختلاف الباب فقد ذكرت الأبواب كلها، كما في الفعل (قدم)[٧١] .

ولكن معجمنا لم يف بما نص عليه، و لم يلزم نفسه به على نحو مطَّرد. فقد وردت فيه أمثلة كثيرة لأفعال متحدة المعاني، ومع ذلك فقد ذكر تعدد الأبواب التي يمكن أن تنتمي إليها تلك الأفعال.

ومن الأمثلة على ذلك:

١– ما جاء في ٢٧٥/١ (دخَنَتِ) النارُ ـُـ دخناً، ودخوناً، ودخاناً:

---

(٧٠)القاموس المحيط مادة (ذرَّ).

(٧١)تصدير المعجم الوسيط، ص١٣.

ظهر دخانها. و– كثر دخانها و– الوقود: أتى بالدخان، و–الغبار: سطع.

٢– وما جاء في ٣٠٢/١ (دادَ) الطعام ونحوه ـُـ دوداً: صار فيه الدود.

٣– وما جاء في ٤٨٣/١ (شطَّ) ـُـِ شطوطا، وشططا: بَعُد، يقال: شطَّت الدار. و- في الأمر، أمعن وجاوز الحد، ويقال شطَّ في المساومة، وشطَّ عليه في حكمه شططا: جار.

٤– وما جاء في ٧٠٣/٢ (فنّ) فلان ـُـِ فناً: كثر تفننه في الأمور، فهو مفنّ، وفنّان.

٥– وما جاء في ٧٤٤/٢ (قطّ) السعر ـُـِ قطاً، وقطوطاً: ارتفع.

٦– وما جاء في ٨٧٥/٢ (مَخَض) الشيءَ ـَـُـِ مخضاً: حرَّكه شديداً، و– اللبن أخرج زبده....إلخ.

٥: الخاتمة

وبعد..

فهذه دراسة لجذور الأفعال الثلاثية، والباب أو الأبواب التي ينتمي إليها كل جذر.

ولقد حاولت هذه الدراسة الكشف عن الأفعال الثلاثية ذات الباب الواحد، والأفعال الثلاثية ذات الأبواب المتعددة. ولقد أوضحت لنا، معطيات بعض الجداول، أن نسبة النوع الأول، من الأفعال، وهي الأفعال المنتمية إلى باب واحد، تفوق نسبة النوع الثاني، فهي تبلغ ثلثي المجموع الكلي للأفعال الثلاثية تقريباً.

وبيَّنت هذه الدراسة أن عدد الأفعال، ذات الأبواب المتعددة، يبلغ

(١٥٨٠) فعلاً، وأن هذه الأفعال، أو لنقل هذا العدد من الأفعال، قادر على توليد (٣٤٢٧) صورة فعلية، يغلب عليها أن تكون ثنائية الباب. وقد لاحظنا – من ناحية أخرى- وجود ارتباط سلبي بين عدد الأفعال من جهة، وعدد الأبواب التي تنتمي إليها تلك الأفعال من جهة أخرى. فكلما زاد عدد الأبواب التي تنتمي إليها الأفعال، قل عددها، والعكس صحيح. وعلى هذا، فقد وجدنا أن عدد الأفعال، التي تنتمي إلى باب واحد، يبلغ (٢٩٦٦) فعلاً، في حين يبدأ هذا العدد بالتناقص مع الأفعال التي تنتمي إلى غير باب، فهو يبلغ، مع الأفعال المنتمية إلى بابين مختلفين (١٣٢٩) فعلاً، ويبلغ مع الأفعال المنتمية إلى ثلاثة أبواب، (٢٣٦) فعلاً، ويبلغ، مع الأفعال المنتمية إلى أربعة أبواب، (١٤) فعلاً، ثم يتدنى هذا العدد ليصل مع الأفعال المنتمية إلى خمسة أبواب، إلى فعل واحد فقط.

وحاولت هذه الدراسة، في بعض جوانبها، البحث في تأثير أحرف الفعل الثلاثي، سواء أكانت فاء، أم عيناً، أم لاماً، في نوع الباب الذي يختاره الفعل وينتمي إليه. ولقد اتضح لنا، بالرياضة الدقيقة، أن ما ذهب إليه السلف، من علماء العربية وأئمتها، يقترب إلى حد كبير، من تلك النتائج التي توصلنا إليها من خلال استشارة الحاسوب ومساءلته، بيد أننا نود الإشارة، في هذا المجال، إلى شيوخنا الأجلاء كانوا – فيما توصلوا إليه من نتائج رائعة – يميلون في بعض الحالات – إلى التعميم وإصدار الأحكام الحادة والجازمة. ومع ذلك فإننا لا نملك إلا أن ننحني إكباراً وإجلالاً لأولئك العلماء، الذين استطاعوا، بالنظر والجهد الذاتيين، إحاطة اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، باستقراء دقيق يقترب، في نتائجه، من تلك

النتائج التي توصلنا إليها بالآلات العلمية الحديثة.

ثم ختمنا هذه الدراسة ببعض ما وقع عليه نظرنا، في أثناء تقليبنا لصفحات هذا المعجم، من هفوات بسيطة، لا تقلل من شأن هذا العمل الكبير، الذي يستمد قيمته الكبرى من قيمة الهيئة اللغوية الموقرة التي أشرفت عليه، ونعني بها مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

وبعد، فإن هذه الدراسة لا تعدو أن تكون محاولة لدراسة جانب من جوانب لغتنا، بأسلوب نرجو، من المولى سبحانه، أن ينفع به، وأن يهيىء له من الأقلام المخلصة ما يتممه، ويسد ثغراته ويقوم معوجه.

والله ندعو أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم.

المراجع

١) د. إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة الطبعة الثالثة ١٩٦٥م. من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٦٦م.

٢)ابن جني: أبو الفتح عثمان: المنصف، شرح لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني، تحقيق إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ومطبعتها، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٥٤م.

٣)ابن عصفور الإشبيلي: علي بن مؤمن، الممتع في التصريف، تحقيق د. فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٩م.

٤)ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم، أدب الكاتب، تحقيق محمد

محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الرابعة ١٩٦٣م.

٥)ابن يعيش: موفق الدين، شرح المفصل، عالم الكتب بيروت، ومكتبة المتنبي، القاهرة.

٦)الرضي: محمد بن الحسن الاستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد وآخرين، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان سنة ١٩٧٥م.

٧) د. رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، مكتبة الخانجي بالقاهرة سنة ١٩٨٠م.

٨)سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٣م.

٩)السيوطي: عبد الرحمن جلال الدين: المزهر في علوم اللغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى.

١٠)عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٧م.

١١)د. عدنان الخطيب، المعجم العربي بين الماضي والحاضر، مطبعة النهضة الجديدة، القاهرة، سنة ١٩٦٧م.

١٢)كمال أبو ديب، في البنية الإيقاعية للشعر العربي، بيروت، دار العلم للملايين، سنة ١٩٧٤.

١٣)محمد بدوي المختون، دراسة نظرية تطبيقية في تصريف الأفعال، مكتبة الشباب، القاهرة، سنة ١٩٧٧م.

من تاريخ التعريب والمعرّب

(تقريب) الشيخ طاهر الجزائري، و(تهذيب) الدكتور أحمد عيسى(*)

الدكتور عز الدين البدوي النجار

ذهبت الأقلام العربية مذاهبها منذ مطالع النهضة الحديثة في الكلام على الترجمة والتعريب، وما يتعلق بهما ضرورة من أمر المصطلح، حتى تكون من ذلك ميراث عريض، استبانت فيه مناهج وأصول، وتميزت أساليب وطرق، وتكشف من تاريخ القضية في العربية، ومن تحدرها معها في عصورها وأطوارها = ما كان يجذب المقام إليه، في كتابة كل كاتب يرده إلى التاريخ نسق بيان، أو منهج نظر واستدلال.

وبتمام هذا ـ عند تمامه من وجوهه كلها وبحذافيره ـ تستقل للباحث أداته في هذه الناحية من نواحي العربية مرهفة واضحة ناصعة، قادرة قدرة الصواب النافذ والحيوية الغالبة، وصفين لازمين من أوصاف كل فكر أصيل، يباشر مطالبه بوضوح الرؤية وبكمال الفن على حد سواء.

وعلى أنها أداة ولا تزيد، بل هي أداة لا يزال فيها للزيادة موضع كلما تعلق الأمر بملكات الإنسان العليا، المشتملة على الظاهر والخفي من أساليب بيانه عن نفسه وعن وجوه مطالبه؛ أَوَليست اللغة بهذه المثابة في

(*) (التقريب لأصول التعريب) و(التهذيب في أصول التعريب).

الوجود الإنساني الحي؟ ولا تزال كل بصيرة في جانب من جوانب الشخصية الإنسانية تطريقاً إلى سر من أسرار اللغة، اللغة على الإطلاق، يدنو به قَصِيٌّ غائر، ويَسْتعلِنُ خفيٌّ غامض، ويلتئم من أجزاء القانون الإنساني بحسب ذلك مقدار.

وبعد

فقد دعا الباحثَ غيرُ ما داعٍ، في سياق عنايته بالتعريب والمعرّب وما يتعلق بهما من أمر المصطلح في اللسان العربي = إلى أن يلتفت إلى عَلَمَين جليلين من أعلام النهضة العربية الحديثة، ثم إلى واحد منهما خاصة، وأن يُنْزِل ما كان من عملهما في منزلته من تاريخ هذا الشأن، بالقدر الذي يطيقه الحيّزُ المتاح في ندوة المجمع هذه، هما العلامة الشيخ طاهر الجزائري، والعلامة الدكتور أحمد عيسى رحمهما الله.

وقد كان الرجلان بمنزلتهما الرفيعة فيما استغرقا مجهوديهما فيه من أصناف العلم، مدةَ حياتهما الخيرة المثمرة، جديرين بأن ينوه بهما في كل دراسة تعرض لتاريخ الثقافة والعلم في عصر العرب الحديث.

وللشيخ الجزائري خصوصاً ـ فوق آثاره الحسانِ المعروفة في العلوم العربية عامة ـ أثر متميز معلوم يعتد به المؤرخون كلما ذكرت الظاهرية في نظيراتها من خزائن الكتب العربية في الخافقين، إلى أثره من غير وجه في إنشاء مجمع دمشق. وسيتبين بعد يسير أن تاريخ تأليف كتابه (التعريب) يوافق تاريخ إنشاء المجمع نفسه: أنشئ المجمع أوائل عام ١٩١٩[1]، وفرغ

(١) وعقد أول جلساته في العادلية في ٣٠ تموز ١٩١٩ ـ ٣ ذي القعدة ١٣٣٧ هـ

الشيخ من تصنيف كتابه أوائل تموز من صيف ذلك العام نفسه[١]. فكأنه كان أول عمل علمي من أعمال المجمع في صميم المطالب التي صَمَدَ لها، وأخذ نَفْسَهُ، ولا يزال، بتحقيقها. قدم الرجل جُمّاعَ ما عنده فيه، بل جُمّاعَ ما في المكتبة العربية في بابه؛ لاجتماع أسبابه وأدواته له، على نحو يقل نظيره في معاصريه.

وقد كان الكتاب آخر أعماله أيضاً[٢]. وكأن ذلك - في موافقة غريبة من موافقات القدر - إيذانٌ بانتهاء عصر من عصور العربية وابتداء عصر جديد آخر، تؤول فيه أعباء هذا الضرب من العلم من الأفراد إلى الجماعات، وبِلأْيٍ - لعمرك - ما تطيق الجماعات ذلك.

فقد كان الرجلان الجليلان إذن جديرين بأن ينوه بهما، لعموم إحسانهما فيما أظهراه للناس من أصناف العلم، في كلّ تاريخ للعلم؛ غير أن ههنا سرائر ينتظم بها أمر العلم: يَظْهَرُ بها اطّرادُه في ذاته، بأسبابه وعلى قانونه مرة، واطّرادُه مع العصور، بأسبابها ودواعيها مرة أخرى، نرجو أن ندل عليها فيما يستقبل من هذه السطور.

* * *

تقلب المعرّب في اللسان العربي على أطوار شتى، تشاكل التطور التاريخي للعرب في عصورهم التاريخية قبل الإسلام وبعده، مادة لغوية ساذجة تدعو إلى اجتلابها دواعي الاجتماع المختلفة أولاً، ويجري عليها من قوانين اللغة ما يجري على سائر ألفاظ اللغة في كل عصر من عصورها؛ ثم

(١) ٣ شوال ١٣٣٧، وهو يوافق الأربعاء ٢ تموز ١٩١٩م.

(٢) أو من آخرها، توفي الشيخ في ١٤ ربيع الثاني ١٣٣٨، ٥ كانون الثاني ١٩٢٠ .

هو مادة من مواد العلوم اللغوية، تحمل عليها الحضارة بأسبابها ودواعيها ووجوه كمالاتها.

فهو في اللغة ـ أعني المعرّب ـ في الجاهلية والإسلام ألفاظ من ألفاظها، يجري بها الاستعمال في الحياة والأدب جميعاً، ضم العرب إليهم منه ما احتاجوا إليه، اضطراراً أو تملحاً واستطرافاً، وأعربوه على منهاجهم في تصاريف كلامهم، وعلى ما تقتضيه حكمة لغتهم، فجاء كثير منه وكأنه في العربية نبت، وبماء فصاحتها غذي، وامتزج بكلامهم، وأعاروه مخارج ألفاظهم، حتى دخل الوهم في بعضه على بعض أصحاب العربية، وعَدّه عربياً وليس هو بعربي، وذهب ينظر في اشتقاقه، على ما جاءت به الأخبار.

ثم دار في ألسنة المولدين من العرب والمتعربة وعلى أقلامهم دورة أخرى، واختلفت حظوظه من الصحة والحسن باختلاف حظوظ أصحابه من ذوق العربية، وعلى حسب جودة قرائحهم ومقادير عقولهم وعلومهم.

فتقلبت به البلاد لفظاً من ألفاظ الحضارة فيما طلعت عليه الشمس وغربت من أصقاع الحضارة العربية، وجرت به أقلام العلماء والنقلة من لدن بدأ النقل أواخرَ عصر بني أمية إلى أن اتسع ثم استفاض واستبحر عصر بني العباس.

واشتملت عليه كتب العربية باباً من أبوابها، تجري عليه أحكامها، وتردّه إلى ما ينبغي له في أوضاعها وتصاريفها، داخلاً في أوزان كلامها أو بائناً منها أجنبياً عنها؛ تجد هذا منذ كتاب إمام العربية سيبويه.

واستقر في متن اللغة مادةً من مواد معجماتها، يُبيِّنه أصحابها بالنص عليه، ورَدِّه إلى أصوله في لغات أصحابه، على حسب ما يتهيأ لهم من علم

ذلك؛ لا يخلو من هذا معجم، ولا ينبغي له.

ثم عطف عليه اللغويون أنفسهم حين نظروا فيما يأتلف منه الكلام العربي، في واحدة من أبرع مآثر العقل العربي في اجتلاء لغته واكتناه أسرارها. فامتازت عندهم هيئات الكلام الأعجمي، وأنحاءُ ائتلاف الحروف فيها، مما عسى أن تلتبس به من كلام العرب. وقرروا ذلك في أصول جامعة، صَدّر بها بعضهم معجماتهم، منذ أول عهدهم بتصنيفها، كالذي تجده في صدر (العين) وفي صدر (جمهرة) ابن دريد.

وبتأصيل الأصول في معرفة المعرّب، وبكثرة الموجود منه في أيدي اللغويين تمهدت السبيل لضرب من ضروب التأليف في اللغة، افتتحه أبو منصور الجواليقي في المئة السادسة بكتابه (المعرّب)، وعلى أنه لم يزد على أن أفرد المادة بالتصنيف، واتسع في إيراد ما أورده منها، وساق الشواهد عليها، وإلا فإن ابن دريد نفسه ساق في خواتيم (جمهرته) جملة من ذلك.

وقد كان (معرّب) الجواليقي غاية في بابه، وبقيت صورة تأليفه هي الصورة المحتذى على مثالها نحواً من ثمانية قرون، ذِكْرُ المعرّب فيها هو الأصل في تأليفها، مقدماً بين يديه بمقدمة تعرف به، ويمتاز بها عند قارئه أو الواقف عليه، وبقيت مادته عمدة ما جاء من التصانيف التي هي على شاكلته بعده، لا يخالف المخالفون عنها إلا بالزيادة عليها. وآخر ما وقفنا عليه مطبوعاً من هذا النوع كتاب المحبي المتوفى سنة (١١١١هـ) : (قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل). وبقي الوجه الآخر للتأليف غيباً مُحَجَّباً، يقتضيه نسق العلم، ويوجبه اطراده إلى تمامه، وما تمامه إلا بناؤه على الأصول لا على المفردات.

إلا أن هذا على انكشافه وتقدم الأمثلة عليه في فنون العلم الأخرى لم يلتفت إليه من المصنفين أحد. وفيما خلا رسالة مقتضبة لابن كمال باشا المتوفى سنة (٩٤٠هـ) في (تحقيق تعريب الكلمة الأجنبية) وهي بكونها فصلاً من العربية أشبه = فإن التأليف في الأصول من جوانبها المختلفة، واستجماع ما جاء منها في التجربة العربية على امتداد التاريخ العربي كان لا يزال خبيئة في تاريخ التأليف، وكان من قدر الجزائري رحمه الله أن تَسْتَعلِنَ بكتابه، وأن يَتِمّ تمامُها به؛ إلا أنه تمام لم يَكَدْ حتى أَفَل؛ وذلك أن العلم قد استوفى حظه هنا، وبلغ قراره، ومضى إلى غايته. وكان أفق آخر من آفاق الحضارة قد تَكَشّف، لم تعد معه مادة العلم الذي اكتمل لتوه إلا ضرباً من التاريخ على ما ستراه. وإنما نقتضب القول الآن في هذا الكتاب الواقع على تخوم التاريخ: التقريب في أصول التعريب.

التقريب في أصول التعريب:

ليس معنا في تاريخ التفات الشيخ إلى غرض كتابه ثبت نستظهر به، ونرمي بالقول فيه على جهة اليقين المتعين، غير أن النظر في الكتاب ربما أدى إلى أنه وضعه وضعاً هو بالارتجال أشبه، حملته حاجة المجمع الوليد إلى مثله، وما يدعو إليه قربه القريب من منشئه ورئيسه إلى مظاهرته على مشروعه بوجوه العلم والعمل(١).

(١) كان الشيخ الجزائري شيخاً للأستاذ محمد كرد علي منشئ المجمع ورئيسه. وقد ذكر مرة حرجه الشديد في أول جلسات المجمع من أن يكون رئيسَ جلسة من أعضائها شيخه العلامة.

إلا أنه ارتجال عالم أفنى أيامه في النظر في حقائق العلوم، وتمرس دهرَهُ بالأوضاع الجمة يضعها فيها: شاباً حدثاً وكهلاً، حتى انقاد له ما بين خاطره وقلمه، وساعفته حافظة كما شئت جودةَ تحملٍ وأداء.

فهذا من تفسير حُسْنِ المادة التي اشتمل عليها الكتاب وثرائها، منتزعاً بعضها من مواطن قصية ومتباعدة، لا يسهل اجتماع مثلها لصاحبها إلا أن تكون قد اجتمعت له من تلقاء نفسها في دهر متقدم متطاول، وارتبطها حفظاً على قلبه أو تقييداً في دفاتره، كما يعرف كل مشتغل بنفسه ذلك.

ونحن نظن ظناً ترجحه المعرفة بطبائع الأشياء أنه ارتفق في تصنيف كتابه ـ مع اتساع محفوظه وجودة استحضاره ـ بتذكرته المعروفة، ينقل منها ما يحتاج إليه في مطالبه المختلفات الأوجه والآفاق.

استوفى الشيخ في كتابه عامة ما يحتاج إليه ناظرٌ في ألفاظ اللغة، من جهة التمييز لها، وتبيّن عربيها من مُعَرّبها، أو ناقلٌ إليها من غيرها من اللغات. ووصل ذلك بالكلام على جانب مما يتعلق بالمعرّب في القرآن، وعلى الألفاظ الإسلامية والمولد والنحت والإبدال.

وهذه جملة من القول لا يخرج عنها الكلام على المعرّب في تراث العربية، تجد في تفصيلها عنده من النقول عن الأئمة ومن وجوه النظر والاستنباط المتين، قَرّب منها بعيداً، وتألّف وحشياً، ورتب وهذب، وصرح مرة وأبهم أخرى، مؤدياً فائدته إلى قارئه على كل حال.

وساق في الكلام على قانون الفارسية في الألفاظ، وما يعتريها حين تنقل إلى العربية فوائد عزيزة ينتظم بها شمل ما يتعلق بهذا الجانب من العلم في الكتب العربية، أولاها عنايته، وصرف إليها جهده؛ من أجل أن عامة ما

وقع في العربية من المعربات إنما كان عن الفارسية.

ونثر من ألفاظ المعرّب شواهدَ على فصوله ومطالبه جملةً مستكثرة، يأتلف منها كتاب في المعرّب غايةٌ في التحقيق.

وليس إحسانه فيما أقبل عليه من الفارسية ببديع، فقد كان متحققاً بها، ينظم بها كما ينظم بالعربية، إلى تحققه بالتركية، وإلمامه بالفرنسية والسريانية والحبشية.

ولمعرفته باللغات، ولوقوفه على ما كتب في علم اللغة في عصره، أفرد في كتابه حيّزاً للكلام على اللغات السامية واللغات الآرية، ورتّب على ما بينهما من الفرق ما يترتب عليه مما يتعلق بغرض كتابه، مبيناً أن القول بالنقل عن هذه غير القول بالنقل عن تلك، ومنبهاً هكذا إلى أن ما يشتبه من الألفاظ في اللغتين الساميتين فصاعداً يمكن أن يكون من المشترك بينهما، انحدر إليهما من أرومة لغوية واحدة.

فهذا ما كان من عمل الشيخ فيما انتدب له، أفصحت به عن ذات نفسها شعبة من شُعَبِ العلم العربي، وتم بعمله تمامها المستسر فيها قروناً متطاولة.

* * *

التهذيب في أصول التعريب:

ولم يكن بد، بمنطق العلم وبمنطق الحضارة والتاريخ، أن تنشعب من الأصل نفسه شعبة أخرى توافق انتقال العلم المحتاج إليه إلى مواطن حضارية أخرى؛ فانتقلت الرسوم، وارتقت العلوم أصولاً وفروعاً مرتقى عظيماً آخر،

ولبس الوجود المتحضر كله صورة أخرى، نطقت بغير ألسنة أمم الشرق، وبغير لساني فارس ويونان.

وكانت العلوم العربية الحديثة، متصلة بعلوم الغرب، قد بدأت مبكرة، ولاسيما علوم الطب في مصر وبلاد الشام؛ إلى عموم النقل عن آداب الغرب ووجوه ثقافته، داخلاً العرب به هكذا في عصر جديد من الترجمة والتعريب، سيمد مده بخروجهم من القرن التاسع عشر ودخولهم في القرن العشرين، وتكثر فيه المعرّبات بصورتها المحدثة كثرة تدعو إلى النظر فيها وتقييدها بضوابط وأصول.

وفي مصر أيضاً[١] وبعد أقل من سنوات خمس فقط من ظهور كتاب الجزائري، نجم في العربية كتابٌ في أصول التعريب جديد، لابسٌ صورة عصره، أطلعه في أفق العلم العربي العلامة الهمام الدكتور أحمد عيسى، كما نعته ذات مرة – في سياق مطرب بديع – مؤرخ الطب العربي الدكتور شوكت الشطي رحمه الله.

وكان الدكتور أحمد عيسى، بوقوفه على بعض اللغات القديمة والحديثة، وبتكوينه العلمي الخالص: طبيباً ممارساً، وعالماً بتاريخ الطب مؤلفاً فيه[٢]، مع انقطاعه الخالص للعلم على المعروف في سيرته = كان ـ رحمه الله

(١) إذ كان كتاب الجزائري قد طبع في المطبعة السلفية بمصر. بل إن العلامة أحمد تيمور صنع له فهارس ثلاثة، حفاوة منه بالكتاب وتكرمة لصاحبه.

(٢) بعض آثاره، وإن تأخر تاريخ نشره، إلا أنه كان من خطته وعمله وعلى باله. وقد ذكر في مقدمة كتابه هذا صريحاً – أعني كتابه (التهذيب) – أنه جعله كالمقدمة لما سيضعه من معجمات خاصة أو عامة.

ـ مهيئاً بهذا كله لمثل ما انتدب له حين وضع سنة (١٩٢٣) كتابه الأصيل (التهذيب في أصول التعريب)، ناقلاً التأليف في الفن نقلة كاملة إلى العصر الحديث، باتجاه كتابه على الأقل لا بعموم مادته.

ولا نستبعد هنا، على جهة التأريخ، أن يكون من بواعث تأليف كتابه إنشاء مجمع دمشق نفسه، الذي سيقبل تسميته عضواً فيه بعد عام واحد فقط من نشر كتابه؛ إلى ما نقدر أيضاً من مقايسته ما كان من صنيع الجزائري في كتابه بحاجات العصر الحديث المتزايدة.

أما هو رحمه الله فقد ذكر في تصدير كتابه ما كان ينبغي أن يذكره مما لا يستقيم منطق العلم إلا بمثله على ما قدمناه، فذكر امتراسه بهذا الفن وقديم اشتغاله به، واقتص من خبره وحاله، وأثبت نصاً ما هو في التقدير من عمل كل عالم:

«فصنفت بعض الكتب، ونقلت بعضها إلى العربية، فصادفت أثناء مزاولتي هذا العمل من العقبات والصعوبات ما يحتاج لتذليله إلى مشاق كبيرة لا يقدرها أو يشعر بها إلا من كابد هذا الطريق الوعر وسبر غوره، وكانت العقبات أمامي عقبتين: الأولى قلة المصطلحات العربية المقابلة للمصطلحات الأعجمية، والثانية تعريب بعض ما اقتضى تعريبه من المصطلحات التي لا يمكن إيجاد لفظ يقابلها ويحل محلها.

فأما العقبة الأولى فقد بذلت الجهد في تذليلها... وأما العقبة الثانية وهي تعريب الألفاظ التي لابد من تعريبها فقد ملكت ناصيتها بما فعلته من لم شعثها وضبط شواردها ووضع قواعد لها تكاد تكون ثابتة، وذلك بما

انتزعته من الاستقراء الوافر والاستقصاء المتواتر[١]».

ثم أفضى رحمه الله إلى بيان صنيعه في كتابه، وبيان منهجه فيه، ونفذ بزَكَنِهِ وصدق تجربته إلى مطلب من أجل مطالب الترجمة والتعريب العلميين، ومن أبلغ ما تتنادى المؤسسات والمجامع العلمية اليوم إلى الاجتماع عليه، وإلى التناصر لبلوغ القول الفصل فيه. قال رحمه الله[٢]:

«فإن الذي نراه بأعيننا ونسمعه بآذاننا تعدد مناهج التعريب؛ فهذا يعرّب الكلمة على هذا الوجه، وذلك يضعها على هذا المنحى، فتختلف الأوضاع والمسمى واحد، ويصبح البلد بلدين والشخص شخصين وهكذا، وفي ذلك ما فيه من الخلط والتشويش، دع عنك أن الكلمة المعرّبة على هذه الوجوه المختلفة قد يصعب جداً أو يستحيل إرجاعها إلى أصلها المنقولة عنه، مادامت قد عربت على غير قاعدة، وفي ذلك من اضطراب العلم ما لا يخفى.

أما الطريقة التي اتبعتها فإني بعد المطالعة الطويلة في علوم العرب على اختلافها استقريت جميع الكلمات الأعجمية التي فيها استقراء طويلاً، وقارنت بينها وبين مدلولاتها الأعجمية في لغاتها، واستخرجت من ذلك حقائق، وطابقت بينها وبين خصائص اللغة، واستخلصت من ذلك قواعد يسار على منهاجها وينسج على منوالها، حتى إذا ترجم في مصر كتاب، وترجم الكتاب بعينه في الشرق أو في الغرب حيث الكتابة بالحروف العربية خرجت الألفاظ المعرّبة فيها كلها بشكل ونسق واحد، مهما اختلفت

(١) التهذيب: ٥.

(٢) التهذيب: ٦.

البلدان وتعددت اللغات».

قلت: وفي كلامه هذا ما فيه رحمه الله من الجزالة والحسن، ومن مشاكلته لصميم مطالب العربية المعرّبة في عصرها الحديث، لابسة لبوسها العلمي الخالص المعاصر.

ونحن نجتزئ - في بياننا هذا المختصر - من الأبواب والفصول التي كسر عليها المؤلف كتابه بالإشارة إلى ما عقده منها للكلام[1] على تاريخ الترجمة في العربية، ثم على تعاظم العلم في العصر الحاضر، وما يلقاه التراجمة من المشقة في نقل نتائج العلماء فيه، ثم على مسالك النقلة في النقل، ليفضي من بعد إلى غرض الكتاب الأول، وهو «اتخاذ قواعد ثابتة للتعريب يقاس عليها ويجرى على نسقها» مقدماً بين يدي ذلك النصَّ على أن الاقتباس الآن إنما يقع من لغات أوربا أوربا الحديثة التي هي لغات العلم المعاصر، وبانياً قواعده من بعد على هذه اللغات وعلى أصليها الكبيرين اللذين لا تزال تَقْبِسُ منهما كثرة كثيرة من أصول مصطلحاتها الحديثة: اللاتينية واليونانية، مشرفاً بصنيعه هذا على حَلْبَةِ العصر، ومقرَّراً له به موضعه من التاريخ.

* * *

(١) باختصار، إذ كان الكتاب كله مختصراً، لا تزيد عدة صفحاته على الأربعين ومائة صفحة.

توصيات ندوة اللغة العربية

معالم الحاضر وآفاق المستقبل

عقدت في رحاب مجمع اللغة العربية بدمشق في المدة من ٢٦/ ١٠ حتى مساء ٢٩/ ١٠/ ١٩٩٧ ندوة للغة العربية عنوانها: «معالم الحاضر وآفاق المستقبل» وقد شارك في هذه الندوة خمسة وعشرون باحثاً من الأقطار العربية ومن القطر العربي السوري، وألقيت فيها بحوث في إطار خمسة محاور هي:

١ـ مشكلة الأداء في اللغة العربية: أسباب الضعف ووسائل العلاج.

٢ـ التعريب والمصطلح

٣ـ تيسير مباحث العربية: النحو، والصرف، والبلاغة، والعروض، والإملاء

٤ـ المعجم العربي: وصف المعجمات المتوافرة في الوقت الحاضر وبيان ما عليها من مآخذ، ووضع مشروع معجم عربي حديث يفي بجميع المتطلبات.

٥ـ مستقبل اللغة العربية: دراسة وسائل تحديث اللغة العربية واستغلال الإمكانات التقنية، ومنها الحاسوب، لتستطيع هذه اللغة مسايرة التطور العلمي والتقني المتسارع.

وقد أقر الباحثون في نهاية الندوة التوصيات الآتية:

أولاً ـ توجيه الشكر العميق إلى مجمع اللغة العربية والقائمين من أعضائه بتنظيم الندوة تقديراً للجهود التي بذلت في الإعداد للندوة وتنظيمها.

ثانياً ـ يسعى مجمع اللغة العربية بدمشق بالتعاون مع اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في تأليف لجنة من كبار المختصين في البلاد العربية مهمتها تأليف مرجع ميسر لقواعد النحو والصرف والإملاء بمعزل عن تشعب الآراء والتعقيد، ثم إخراجه في طبعة رخيصة الثمن ليكون في متناول الناشئة والطلاب.

ثالثاً ـ يسعى مجمع اللغة العربية بدمشق بالتعاون مع اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في تأليف لجنة من المختصين بالتراث العربي لوضع كتاب يضم مختارات من كتب التراث موزعة على جملة المعارف الإنسانية لتعريف الباحثين والطلاب بعيون التراث العربي. وإصدار هذا الكتاب في طبعة رخيصة ليكون في متناول المعنيين بالتراث العربي.

رابعاً ـ بذل مزيد من العناية في إعداد مدرس اللغة العربية، وتقويم أساليب تعليم اللغة العربية باستغلال الوسائل التقنية الحديثة والوسائل السمعية والبصرية، وإقامة ندوات لمدرسي اللغة العربية تطلعهم على أنجع طرق التدريس وتدريبهم على استعمالها.

خامساً ـ السعي في جعل اللغة العربية المبسطة تعلم في رياض الأطفال والمدارس الابتدائية وتشجيع الأطفال على استعمالها والتماس الوسائل المعينة على تعليمها لهم. وكذلك تشجيع الطلاب في المراحل الثانوية والعالية على استعمالها.

سادساً ـ السعي لدى وزارة الإعلام في الأقطار العربية ولدى المسؤولين فيها لتوجيه مؤلفي المسلسلات والمسرحيات المذاعة أو المتلفزة إلى

استخدام اللغة العربية المبسطة فيما يؤلفونه، وكذلك الحد من طغيان العامية في الإعلانات التي تنشر في الصحف أو تعلن في الشوارع.

سابعاً ـ إلزام المحال التجارية والمطاعم ودور الملاهي والمؤسسات العامة والخاصة وغيرها باستعمال الألفاظ العربية في تسمية محالهم وعدم اللجوء إلى اللغات الأجنبية.

ثامناً ـ مطالبة الحكومات العربية باتخاذ القرارات التنفيذية الحاسمة بتعريب التعليم العالي والجامعي تعريباً كاملاً. دون إغفال إلزام الطلاب في مختلف الكليات والمعاهد العلمية بتعلم إحدى اللغات الأجنبية الحية.

تاسعاً ـ توجيه المعلمين والمدرسين في مراحل التعليم كافة إلى استخدام اللغة العربية الميسطة في مختلف المواد الدراسية لدى إلقائهم دروسهم ومحاضراتهم، وتشجيع طلبتهم على استخدامها.

عاشراً ـ حث المجامع اللغوية العلمية العربية على بذل مزيد من العناية في وضع المصطلحات العلمية والتقنية وفي مختلف مناحي المعرفة باستخدام المنهجية السليمة في وضعها واستخدام جميع الطرائق المتاحة كالاشتقاق والوضع والتعريب والنحت وغيرها. والسعي في توحيد هذه المصطلحات بالتعاون مع اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، ثم إصدار هذه المصطلحات الموحدة في كتب أو نشرات توزع على أوسع نطاق ولا سيما وزارات الإعلام، مع التماس الوسائل الكفيلة باستخدام هذه المصطلحات في جميع المؤلفات والكتب المترجمة ووسائل الإعلام المختلفة.

حادي عشر ـ أن يعمل اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في إصدار معجم اشتقاقي حديث يفي بجميع المتطلبات على أن يراعى فيه سهولة

المراجعة وتطور دلالات الألفاظ واستقصاء ما أقرّ من المصطلحات الموحدة وفاءً بحاجة الباحث المعاصر.

ثاني عشر- الاستفادة من الحاسوب والوسائل التقنية الحديثة في المجامع العربية واتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية لاختزان جميع الألفاظ العربية والمصطلحات والمواد المعرفية وتسجيلها في الأسطوانات والحافظات وأجهزة التسجيل لتمكين الباحثين من الاستفادة منها بطريقة ميسرة سريعة.

ثالث عشر - السعي في إصدار معجمات متخصصة في مختلف العلوم والمعارف وكذلك إصدار معجم تاريخي يبين تطور دلالات الألفاظ منذ العصور القديمة حتى الوقت الحاضر.

رابع عشر - دعوة المجامع اللغوية العلمية العربية إلى متابعة عقد ندوات حول اللغة العربية تعالج مشكلاتها ومستقبلها.

خامس عشر - إيصال توصيات هذه الندوة إلى المسؤولين في الأقطار العربية كافة ومناشدتهم السعي في إنفاذها.

سادس عشر - جمع بحوث هذه الندوة وإصدارها في كتاب يوزع على أوسع نطاق لتتم الاستفادة منها.

سابع عشر - توجيه الشكر إلى الحكومة السورية لعقدها هذه الندوة في رحاب مجمع اللغة العربية بدمشق وتحملها نفقاتها وعنايتها باللغة العربية وسعيها في ارتقائها، وتوجيه برقية شكر إلى القائد حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية لرعايته الكريمة للغة العربية وعلمائها.

جلسة الختام

كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

السادة العلماء الأفاضل

أحييكم أجمل تحية، وأشكر لكم تفضلكم بالمشاركة في هذه الندوة التي جمعتنا لنتدارس شأناً هاماً من شؤون العربية، هو ظاهرة ضعف الأداء التي تعاني منها الناشئة، فنتبينَ أسبابها ووسائل علاجها، وما تفضي إليه تلك الوسائل من ضرورة استكمال عدة أمور تعين على تملك العربية السليمة وحسن استخدامها.

وكان هناك أيضاً تطلّع إلى تحديث العربية واستشفاف مستقبلها، وما يجب أن نهيّئ له، لتمضي الأمور على وجهها الصحيح المرتقب.

ولقد أمضينا أربعة أيام (٢٦– ٢٩/ ١٠/ ١٩٩٧م) كانت حافلة بتلك البحوث الجادة المفيدة التي تناولت المحاور الخمسة التي طرحتها الندوة، فأحسنت العرض، ودلّت على الطريق، وفتحت الأبواب لمناقشات واستكمالات أغنتها.

وإنا لنرجو أن تنشر البحوث في وقت قريب لتكون في متناول العلماء الغُيُر على العربية، يمدوننا بما يعين على متابعة المسيرة حتى يتحقق الهدف.

لقد سعدنا بكم، وأمضينا معكم أياماً تمور بالعمل الجاد المنتج وما يستتبعه من الارتياح والرضا والبهجة، وأتاح لنا لقاءُ الزملاء العلماء أن نجني فوائد وفرائد، وأن

نوثّق الصلات، وأن نزداد تصميماً على تحقيق الهدف المنشود، وهو:

الارتقاءُ بالعربية ارتقاءً يمكّنها من التغلب على كل المعوّقات،

وتضييقُ الشقة بين اللغة السليمة واللغة المحكية،

وتيسير تعلّم العربية، والسعي لنشرها،

فتشهدُ حاضراً يضارع أمسها الزاهر، وترتفع مكانتها لتصبح في مصافّ اللغات العالمية.

لقد ساد ندوتنا جوٌّ جميل من الألفة، وتبادلنا الآراء بتفهّم وحسن استماع، لاهمَّ لنا إلا الوصول إلى الحقيقة. وكنا نعمل بحماسة المؤمن يهزّنا الأمل أن يعود للعربية وجهها المشرق، وأن تتبوأ مكانتها السامية.

إن ندوتنا ستكون نقطة انعطاف هامة:

١ - أن نيسّر العربية لطالبيها، وأن نمكّنهم من تملّكها يتصرفون بها أحسن التصرف، ويحبّرون بها الكتب المفيدة، والمقالات الجميلة، ويبدعون بها.

٢ - وأن نحدّث العربية، ونفيد من طاقات العلم والتقنيات والحاسوب وسواها، للنهوض بها، وجعلها تقف في هذا الباب مع اللغات الحية المتقدمة على قدم المساواة.

وإني ليملؤني التفاؤل في بلوغ الهدف العظيم، إذ لاشيء يقف أمام الايمان والعزم، فلنمض في طريقنا، يعمر قلوبنا الايمان، ويحفز هممنا التصميم.

هاأناذا أستعرض ماقمتم به وما قدمتموه في هذه الأيام الأربعة فأحسّ بالرضا والارتياح، فليبارك الله عملنا، وليفسح لنا الطريق، وليرزقنا التوفيق.

وإني أجد في التوصيات التي انتهت إليها الندوة مايبعث على مواصلة السير لبلوغ الهدف إن شاء الله .

إني لأشكر لكم جميعاً جميل مشاركتكم، وأخص السادة الوافدين الذين أكرمونا بحضورهم، وأفاضوا علينا من علمهم وأدبهم. والسلامُ عليكم.

الكتب والمجلات المهداة

إلى مكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الثالث من عام ١٩٩٨

أ – الكتب العربية

خير الله الشريف

– **أبناء الإمام في مصر والشام** /ابن طباطبا العلوي؛ تحقيق: محمد نصار إبراهيم– القدس: مطبعة بيت المقدس، ١٩٣٤.

– **أبو عبيدة عامر بن الجراح: أمين الأمة وفاتح الديار الشامية/** محمد محمد حسن شُرّاب– ط١– دمشق: دار القلم، ١٩٩٧– (سلسلة: أعلام المسلمين ٦٧).

أبو يعقوب الوارجلاني وفكره الأصولي مقارنة بأبي حامد الغزالي/ مصطفى بن صالح باجو– ط١– مسقط: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٩٥– (سلسلة: دراسات).

– **أجراس بال/** أراغون؛ ترجمة: صياح الجهيم– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧– (سلسلة: روايات عالمية ٦٣).

– **الأحاديث النبوية مصدراً للتشريع: شهادة تأريخية /** محمد محمد حسن شُرّاب– ط١– دمشق: دار السقا، ١٩٩٨.

– **الأدب العربي وتاريخه حتى نهاية العصر الأموي /** د. محمد علي آذرشب– تهران: سازمان مطالعة، ١٣٧٥– (سلسلة: أدبيات عرب ٤).

- **أريد قميصاً لهذا العاري** / رياض ناصر النوري- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (سلسلة: من الشعر العربي ٤٩).

- **أسامة بن منقذ والجديد من آثاره وأشعاره** / محمد عدنان قيطاز- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (سلسلة: دراسات أدبية عربية ٢١).

- **أسرار كيميائية: علمي للفتيان** / تيم فيكاري؛ ترجمة: نصرت بيرقدار- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

- **إشراقة أمل: قصص قصيرة**/ ابتسام شاكوش- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (سلسلة: قصص وروايات عربية ٨٤).

- **الإعلام العربي وتحدي العولمة** /د. تركي صقر- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

- **أعلام من آل السفرجلاني منذ القرن الحادي عشر وحتى القرن الخامس عشر الهجري** / جمع وتحقيق: محمد صلاح الدين السفرجلاني- دمشق: ١٩٩٨.

- **اقتصاديات البيئة**: دراسات / د. رسلان خضور- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧- (سلسلة: دراسات اقتصادية ٢٨).

- **الأمن الاجتماعي**/ د. كامل المراياتي، د. خالد الجابري، د. يونس التكريتي- بغداد: بيت الحكمة، ١٩٩٧. (سلسلة: المائدة الحرة ٧).

- **الإنسان وحيداً، فيدرا في كولومب، الفصل الأخير** / جيلبرت سيسبرون؛ ترجمة: حسن عودة- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧- (سلسلة: مسرحيات عالمية ٤٤).

- **الأيام الأخيرة: بوشكين** /ميخائيل بولفاكوف؛ ترجمة: يوسف حلاق- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (سلسلة: مسرحيات عالمية ٤٩).

– **إيفيت/** موباسان؛ ترجمة: صياح الجهيم– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧– (سلسلة: روايات عالمية ٦١).

– **البرزخ والسكين/** د. عبد الله حمادي– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨– (سلسلة: من الشعر العربي ٥١).

– **البنية الجمالية في الفكر العربي الإسلامي/** د. سعد الدين كليب– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧– (سلسلة: دراسات فكرية ٣٥).

– **بييروجان/** غي دي موباسان؛ ترجمة: ميشيل خوري– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨– (سلسلة: روايات عالمية ٦٤).

– **الترجمة في العصر العباسي: مدرسة حنين بن إسحاق وأهميتها /** مريم سلامة كار، ترجمة: د. نجيب غزاوي– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨– (سلسلة: دراسات نقدية عربية ٢٢).

– **التطبيع وأثره في الصراع العربي الصهيوني /**عبد الله حوراني– بغداد: بيت الحكمة، ١٩٩٧– (سلسلة: المائدة الحرة ٨).

– **التطورات الدولية المعاصرة وانعكاساتها على الوطن العربي /** د. سعد حقي توفيق– بغداد: بيت الحكمة، ١٩٩٧– (سلسلة: المائدة الحرة ٩).

– **تعريب العلوم: القضية /** أحمد شفيق الخطيب– بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٤.

– **تلوث الجو الداخلي: المشاكل والأولويات /** ج. ب ليسلي و ف. و. لونو؛ ترجمة: محمد أحمد حنونة؛ مراجعة: جميل الضحاك– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧.

– **الجزيرة المسحورة: قصص من شكسبير، قصص للشباب/** ايان سيرايلر؛ ترجمة: سناء إبراهيم عبد الله– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

- **الجواهر الشفاف في أنساب السادة الأشراف** / عارف أحمد عبد الغني- دمشق: دار كنان، ١٩٩٧- مجلدان.

- **الحورية الخارجة من الماء** / أليخا ندرو كاسونا؛ دراسة وتقديم: فدريكو كارلوس روبليس؛ ترجمة: علي أشقر- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (سلسلة: مسرحيات عالمية ٤٦).

- **حول توحيد المصطلحات العلمية** /أحمد شفيق الخطيب- بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٣.

- **حول صياغة فعول من الفعل (نقل)** / أحمد شفيق الخطيب- بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٢.

- **حول طلب الإدارة الأمريكية وقف إطلاق النار...** / مجموعة من الأساتذة- بغداد: بيت الحكمة، ١٩٩٧- (سلسلة: المائدة الحرة ١٥).

- **خريف دون جوان** /جيلبر سيسبرون؛ ترجمة معن أحمد عاقل- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧- (سلسلة: روايات عالمية).

- **خولة بنت الأزور: السيرة، الأشعار، الصبحة التاريخية** / د. محمد علي دقة- ط١- دمشق: دار معد، ١٩٩٧.

- **دائرة المعارف الحسينية: ديوان القرن الثالث الهجري**/ محمد صادق محمد الكرباسي- ط١- لندن: المركز الحسيني للدراسات، ١٩٩٦.

- **دائرة المعارف الحسينية: ديوان القرن الرابع الهجري**/ محمد صادق محمد الكرباسي- ط١- لندن: المركز الحسيني للدراسات، ١٩٩٦- الجزء الثاني.

- **دليل المكتشفات الفلكية** / وليام ليلر؛ ترجمة: عدنان حسن- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (سلسلة: دراسات علمية ٣١).

- **ديوان أبي بكر الخوارزمي** / صنعه وحققه وقدم له: د.

حامد صدقي- ط١- طهران: مكتب نشر التراث المخطوط، ١٩٩٧.

- **ساعة الصفر وقصص حديثة أخرى** / مايكل سوان؛ ترجمة: هدى الكيلاني- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧.

- **السحلية** / الكساندر فولودين؛ ترجمة: توفيق المؤذن- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (سلسلة: مسرحيات عالمية ٤٧).

- **السياسات الزراعية في البلدان النامية** /فرانك إيليس؛ ترجمة: د. إبراهيم يحيى الشهابي- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧- (سلسلة: دراسات اقتصادية ٢٦).

- **السيدة كانت: قصص قصيرة** / بزة الباطني- ط١- الكويت: مطابع السياسة، ١٩٩٨.

- **شيخ الإسكندية وعبيده: قصص** / فيلهيم غاوف؛ ترجمة: عياد عيد- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧.

- **صور ورموز** / ميرسيا ايلياد؛ ترجمة: حسيب كاسوحة- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (سلسلة: دراسات فكرية ٣٦).

- **ضرار بن الأزور: أخباره، شعره، سيرته الشعبية** / د. محمد علي دقة- دمشق: دار معد، ١٩٩٧.

- **ظاهرة المعجمية وسبلها إلى الإحاطة بالخطاب الإنساني والعربي** / د. محمد رشاد الحمزاوي- تونس: المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٦.

- **عاش الموت** / فارس البحرة- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (سلسلة: من الشعر العربي ٤٨).

- **العالم للجميع: قصص للأطفال** / محمد محيي الدين مينو- ط١- حمص: مطبعة ابن الوليد الجديدة، ١٩٩٥.

- **عزلة الملائكة** / ياسين عبد اللطيف- دمشق: وزارة الثقافة،

١٩٩٨- (سلسلة: قصص وروايات عربية ٩٨).

- **عصر النهايات القصوى** / ايريك هوبزباوم؛ ترجمة: هشام الدجاني- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧- جزءان (سلسلة: دراسات فكرية ٣٣). عنوان الجزء الأول: (عصر الكارثة)، والثاني: (العصر الذهبي).

- **علم النفس العام** /آ. غ. كوفاليوف، آ. آ. ستيبانوف؛ ترجمة: جوهر سعد- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧- (سلسلة: الدراسات النفسية ٤٠).

- **العلم والحياة** / فرناند سفن؛ ترجمة: ميشيل خوري- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (سلسلة: دراسات علمية ٣٠).

- **الفانوس السحري: دراسات في الفن التشكيلي العالمي** /بوغوميل راينوف؛ ترجمة: ميخائيل عيد- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧- (سلسلة: دراسات فنية ٢).

- **فتنة الفكر المعاصر** / عدنان زيد الكاظمي- ط٢- ١٩٩٧.

- **فراشات الحدود القصوى** /فؤاد كحل- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧- (سلسلة: من الشعر العربي ٤٦).

- **الفرح** /آنا عكاش- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (سلسلة: قصص وروايات عربية ٨٦).

- **فلورنتين: قصص** /جيمس كراس؛ ترجمة معن أحمد عاقل- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧.

- **فهرس تراث أهل البيت** / محمد حسين الحسيني الجلالي- ط٢- بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٩٩٨- الجزء الأول.

- **الفيزياء في الطبيعة** / ل. ف. تاراسوف؛ ترجمة: د. هاشم حمادي- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧- (سلسلة: علوم ٢٧).

- **قارئ الكف** / س. ل. كوستوف؛ ترجمة وتقديم: محمد سعيد الجوخدار– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧– (سلسلة: مسرحيات عالمية ٤٥).

- **القاشور** / محمد جاسم الحميدي– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨– (سلسلة: قصص وروايات عربية ٨٥).

- **قصص الحب والجنون والموت** / هوار سيوكيروغا؛ ترجمة: صالح علماني– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧– (سلسلة: القصة العالمية القصيرة ٢١).

- **قصص مختارة أرمينية** / واهان توتوفينتس؛ ترجمة: د. بوغوص سراجيان؛ مراجعة: شوكت يوسف– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧– (سلسلة: قصص عالمية ٢).

- **قضية ولا صلاح الدين لها** / محمد محمد حسن شُرّاب– ط١– دمشق: دار السقا، ١٩٩٨.

- **كتابات** / عبد المجيد الزهراوي؛ جمع وتحرير وتقديم: ناجي علوش– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧– القسم ٤و ٥– (سلسلة: قضايا وحوارات النهضة العربية ٢٠).

- **الكذاب وقصص حديثة أخرى** / إسحاق ازيموف وآخرون؛ ترجمة: مها فرزات البني– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧.

- **كما لو أنك ميت** / لقمان ديركي– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨– (سلسلة: من الشعر العربي ٥٠).

- **كيف قمنا بالثورة** / عزيز نيسين؛ ترجمة: أحمد الإبراهيم– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨– (سلسلة: قصص عالمية).

- **لطائف الأمثال وطرائف الأقوال** / الوطواط؛ تحقيق: حبيبة دانش آموز– طهران: مكتب نشر التراث المخطوط؛ منشورات أهل قلم، ١٩٩٧.

- **لغة الضاد: وقائع ندوة دائرة علوم اللغة العربية بيوم الضاد** / مجموعة من الباحثين- بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٩٨.

- **اللغة العربية الحديثة** /د. محمد علي آذر شب- تهران: سازمان مطالعة، ١٣٧٦- (سلسلة: أدبيات عرب ٢).

- **الليلة التي أمضاها ثورو في السجن** / جيروم لورنس، روبرت لي؛ ترجمة: حسن بحري- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (سلسلة: مسرحيات عالمية ٤٨).

- **المجمع العلمي العربي في دمشق وأثره في تطوير اللغة العربية وآدابها ١٩١٩- ١٩٦٩**/إعداد: هلال. م. ناتوت؛ إشراف: د. أحمد أبو حاقة- بيروت: الجامعة اللبنانية، ١٩٩٠.

- **محاضرات المجمع في الدورة المجمعية ١٩٩٥- ١٩٩٦** / د. محمد إحسان النص، د. محمد زهير البابا، د. عادل العوا- دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٩٨.

- **مديح من أهوى** /محمد عمران- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (سلسلة: من الشعر العربي ٥٢).

- **المدينة الخفية بيرلاند: قصص للشباب** / مرثيدس نيوستشافر كرلون؛ ترجمة: عبداتي أبريكة إبراهيم- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

- **مذكرات طبيب شاب** / ميخائيل بولفاكوف؛ ترجمة: د. غسان مرتضى- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧- (سلسلة: روايات عالمية ٦٢).

- **مشكلات الأدب الطفلي** /سيسيليا ميرايل؛ ترجمة: مها عرنوق- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧- (سلسلة: دراسات نقدية عالمية ٣٣).

- **مصطلحات التكييف والتبريد والأدوات الصحّية** / مجموعة من الأساتذة- ط١ - عمان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٩٨.

- **مصطلحات علمية** / مجموعة من الأساتذة– بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٩٩٨– القسم الحادي عشر.

- **مصطلحات الهندسة المدنية والمعمارية** / مجموعة من الأساتذة– ط١– عمان: مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٩٨– الجزء الأول.

- **المضامين السياسية الاجتماعية للنظام الدولي الجديد**/ د. ليث الزبيدي– بغداد: بيت الحكمة، ١٩٩٧– (سلسلة: المائدة الحرة ٦).

- **مطهى الألوان** / سهير يوسف ديوب– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨– (سلسلة: مسرحيات عربية ٢٢).

- **المعاجم المتعددة: الثنائية** / أحمد شفيق الخطيب– بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٢.

- **معلومات ووثائق من الصحافة** / مركز المعلومات القومي– دمشق: ١٩٩٧– الأعداد: ٧– ٨– ٩– ١٠– ١١– ١٢ من المجلد السابع.

- **مغامرات سوار والدعسوقة ذات الرداء الناري الأحمر: قصة للأطفال** / فيصل الحجلي– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨.

- **مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار** / الشهرستاني؛ تحقيق وتعليق: د. محمد علي آذرشب– ط١– طهران: مكتب نشر التراث المخطوط؛ شركة إحياء كتاب، ١٩٩٧– المجلد الأول.

- **الملكوت** / عبد محمد بركو– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨– (سلسلة: من الشعر العربي ٤٧).

- **من قضايا المعجمية العربية المعاصرة** / أحمد شفيق الخطيب– بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٦.

- **نظرية النحت العربية** / د. محمد رشاد الحمزاوي– ط١– سوسة: دار المعارف، ١٩٩٨– (سلسلة: الدراسات والبحوث المعمقة ١٥).

- **النقود: العملة.. العملة الصعبة** / د. أكرم الحوراني- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧- (سلسلة: دراسات اقتصادية ٢٧).

- **النكهة الطائية في اللهجة الحائلية** / عبد الرحمن بن زيد السويداء- ط١- حائل: دار الأندلس، ١٩٩٨.

- **نهاية الحداثة: الفلسفات العدمية والتفسيرية في ثقافة مابعد الحداثة** /جياني ڤاتيمو؛ ترجمة: د. فاطمة الجيوشي- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨- (سلسلة: دراسات فكرية ٣٧).

- **الهيمنة الأمريكية على نفط الخليج العربي** / د. ناظم محمد نوري الشمري، د. محمد أحمد الدوري- بغداد: بيت الحكمة، ١٩٩٧- (سلسلة: المائدة الحرة ١٠).

- **الواقعية الاشتراكية: المغامرة والصدى** /د. وائل بركات- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧- (سلسلة: دراسات نقدية عربية ٢٠).

- **الوفا في تراجم أهل الوفا** / صلاح الدين المنداوي اليماني- صورة مخطوط.

ب – المجلات العربية

هالة نحلاوي

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
الآداب الأجنبية	٩٤	١٩٩٨	سورية
الأسبوع الأدبي	من ٦١٠– ٦٢١	١٩٩٨	سورية
التعريب	١٥	١٩٩٨	سورية
الثقافة المعلوماتية	٣، ٤	٩٧-١٩٩٨	سورية
الحياة المسرحية	٤٥	١٩٩٨	سورية
صوت فلسطين	٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦	١٩٩٨	سورية
الضاد	٣، ٤، ٥ (عدد خاص)، ٦-٧	١٩٩٨	سورية
عالم الذرة	٥٦	١٩٩٨	سورية
مجلة باسل الأسد لعلوم الهندسة الزراعية	٦	١٩٩٨	سورية
المجلة البطريركية	١٧٦-١٧٧	١٩٩٨	سورية
المجلة الطبية العربية	١٣٧	١٩٩٧	سورية
المعرفة	٤١٧، ٤١٨	١٩٩٨	سورية
الموقف الأدبي	٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧	١٩٩٨	سورية
نضال الفلاحين	٨	١٩٩٨	سورية
أنباء	٢٠	١٩٩٧	الأردن
الأنباء	من ٧٢٣- ٧٣٤	١٩٩٨	الأردن
الشريعة	٣٩١	١٩٩٨	الأردن
مجلة مجمع اللغة العربية الأردني	٥٤	١٩٩٨	الأردن
مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية	١٥	١٩٩٨	الإمارات

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
حوليات جامعة الجزائر	مج ٢ (١٠، عدد ممتاز) ١٩٩٧، مج ١ (١١/ ١٩٩٨)		الجزائر
مجلة العصر	١٦ (السلسلة ٤)	١٩٩٨	الجزائر
الدارة	٢	١٤١٨هـ	السعودية
عالم الكتب	٣، ٤ (مج ١٩)	١٩٩٨	السعودية
القافلة	مج ٢٦ (١- ١٢)	١٤١٨هـ	السعودية
مجلة البحوث الإسلامية	٤٥، ٤٦ (١٤١٦هـ)، ٤٧، ٤٨، ٤٩ (١٤١٧هـ)		السعودية
مجلة جامعة الملك سعود	المجلد العاشر (اللغات والترجمة: ١)	١٩٩٨	السعودية
نشرة بحثية في مجالات اللغات والترجمة	١، ٢، ٤، ٥، ٦		السعودية
مجلة مجمع اللغة العربية	٢	١٩٩٧	السودان
أوراق مجمعية	١، ٢	١٩٩٨	العراق
مجلة الحكمة	١	١٩٩٨	العراق
مجلة المجمع العلمي	مج ٤٤ (ج١- ج٤/ ١٩٩٧م)، مج ٤٥ (ج١/ ١٩٩٨م)		العراق
المؤرخ العربي	٥٥، ٥٦	٩٧- ١٩٩٨م	العراق
البيان	٢٧٤، ٢٨٢، ٢٨٤(١٩٨٩)، ٢٩١، ٢٩٢(١٩٩٠)، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦(١٩٩٤)، ٢٩٧-٣٠٥(١٩٩٥)، ٣٠٦-٣١٧ (١٩٩٦)، ٣١٨، ٣١٩(١٩٩٧)، ٣٣٤-٣٣٧(١٩٩٨)		الكويت
تعريب الطب	مج٢ (٢)	١٩٩٨	الكويت
حوليات كلية الآداب	الحولية ١٨(١٢٧، ١٢٨)	٩٧- ١٩٩٨م	الكويت
دراسات عربية	٧، ٨	١٩٩٨	لبنان
الدراسات الفلسطينية	٣٢، ٣٣	٩٧- ١٩٩٨	لبنان
الشراع	٦٤٧(١٩٩٤)، من ٨٣١- ٨٣٦ من ٨٣٨- ٨٤٣، ٨٧٣(١٩٩٨)		لبنان

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
المستقبل العربي	٢٣١	١٩٩٨	لبنان
أخبار التراث العربي	مج٧ (٧٥- ٧٦)	١٩٩٧	مصر
التمويل والتنمية	مج ٣٥ (٢)	١٩٩٨م	مصر
رسالة اليونسكو	كانون الأول (١٩٩٧)، كانون الثاني، شباط (١٩٩٨)		مصر
نشرة الإبداع	كانون الثاني ـ شباط ـ آذار ـ نيسان	١٩٩٨	مصر
أبحاث لسانية	١، ٢ (مج١)	١٩٩٦	المغرب
التعريب	١(١٩٩٦)،٢، ٣، (١٩٩٧)		المغرب
دراسات مغاربية	٧	١٩٩٨	المغرب
مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس	٢١- ٢٢ (عدد مزدوج)	٩٦- ١٩٩٧	المغرب
رسالة التقريب	١- ٤ (٩٣- ١٩٩٤م)، ٥- ٨ (٩٤- ١٩٩٥م)، ٩- ١٢ (٩٦- ١٩٩٧م)، ١٧، ١٨ (١٩٩٨م)		إيران
الدراسات الإسلامية	مج ٣٣ (١)	١٩٩٨م	باكستان
النشرة الإخبارية لمركز الأبحاث للتاريخ والفنون	٤٥	١٩٩٨م	تركيا

ج - الكتب والمجلات الأجنبية

سماء المحاسني

1-Books:
- Die Arabische Uberlieferung Der Sogenannten Menandersentenzen / Von Manfred Ulimann.- Wiesbaden , 1961 - 89p .
- Los Arabismos Del Castellano En la Baja Edad Medina , Consideraciones Historicas y Filologicas / por Felipe Milio - Salgado .- Salamanca, 1983 .- 379p.
Publ. by : Instituto Hispano - Arabe De Cultura .
- Catalogue Des Manuscrits Arabes , Deuxieme Partie" Manuscrits Musulmanis , Tome III + Index / Par Georges Vajda et Yvette Sauvan .- Paris : Bibliotheque Nationale , 1985 .- 327 p.
(Index To Tomes : II , III) .
- A Catalogue Of Accessions To The Arabic Manuscripts in The John Rylands University Library Of Manchester , With Indices / by C . E. Bosworth .- Manchester , 1974 .- 85 P.
- Colloquial English / by Harold E. Palmer .- Cambridge , 1923 .- Part (I) : 100 Substitution Tables , 102 P.
-A Conquista Da Andaluzia Pelos Arabes / Por Jorge Zaidan , Tr . De Helena Jabra Haddad .- Sao Paolo , 1974 .- 319 P .
- Dictionnaire Biographique Des Auteures De Tous les Temps et de Tous Les Pays / Par Laffont & Bompiani .- Paris , 1965 .- Tomes I , 2., (ILLUS.).

- l´Emploi et les Relations Professionelles Dans le Secteur De Raffinage Du Petrole / Prepared by : Bureau International Du Travail .- Geneve , 1998 .- 108 P.
- Einige Grundprobleme Der Autochthonen Und Der AristoTelischer Arabischen Literaturtheorie/ von Gregor Schoeler .- Wiesbaden , 1975 .- 132 p.
- Geschichte Der Araber / Verfasst Von Einem Autorenkollectiv .- Berlin , 1971 .- Band 1 , 2 , 544 P. (illus) .
- A Guide to The Iraq Museum Collections / Prepared by : Directorate General Of Antiquites in Iraq .- Baghdad , 1942 .- 141 + XXX Plates .
- Habices De las Mezquitas De la Ciudad De Granada Y Sus Alquerias / Ed . , Intr . , Por Carmen Villanueva Rico .- Madrid , 1961 .- 475 P. Publ . by: Instituto Hispano - Arabe De Cultura .
- The Hand of the Northwind , Opinions on Metaphor and The Early Meaning of Isti´Ara in Arabic Poets / by Wolfhart Reihriches .- Wiesbaden , 1977 .- 64 p . .
- Introducing Applied Linguistcs / by S. pit , Corder .- England , 1973 .- 392 p.
- Introduction to Astrology / Edited and Trans . By Michio Yono .- Tokyq , 1997 .- 319 p.- series : studia CuLturae Islamica , 62 .
publ. by : Institute for The Study of Languages and Cutures of Asia and Africa , Tokyo - Japan .
- Inventaire Des Monnaies Musulmanes Anciennes Du Musee De Kaboul / Par Dominique Sordel .- Damas , 1953 .- 442p + VI (plates). Publ . by : Institut Francais De Damas .
- Islmic Historiography , The Histories of

Mas ´udi / by Tarif Khalidi .- Albany , 1975 .- 180 p .

- The Ka ´ba in A . D. 608 / by K . A . C . Creswell .- oxford , 1951 .

A Study extracted from The Magazine : Archeologia vol . XCIV .

- Melanges Publies Par la Section Des Arabisants / Prepared by : Institut Francais De Damas .- Tome I.- Beyrouth , 1929 .- 180 P.

- Memoire / Par Taha Husayn , tr . by : Umberto Rizzitano .- Italy , 1985 .

- On Schachts´ Origins of Muhammadan Jruisprudence / by M. Mustafa AL - Azmi .- New York , 1985 .- 237 P .

- la Peintur Turque D ´Apres les Manuscrits illustres / Par Ivan Stchoukin . Part (I) Paris , 1966 .- 174p + illustrations Publ . Par : Institut Francais D´Archeologie De Beyrouth .

- Secondary Schools Today : Readings for Educators / by Frederick R . Smith and R . Bruce Mcquigg .- New York , 1969 .- 366 p .

- State of The Earth , Contemporary Geographic Perspectives /edited Akin Maboguie .- Ox ford : Blackwells 1997 .- 428 p .

by publ . by : Unesco .

- Studi - Arabo - Islamici / por Francesco Gabrieli Y Autres - Italy , 1989 .- 139 p.

- A Tagor Reader / Tagore , edited by Amiya Chakrovarty .- New York , 1961 .- 401 p.

- We Shall not Forgvie ! Moscow , 1942 .- 144 p . (illustrated) .

....

2 - Priodicals :

- Annales de la Société Géologique de Belgique , Tome (119) , Fasc . 1, 2 (1996).
- Arab - British Trade , The Monthly Journal of The Arab - British Chamber of Commerce - london . Vol . 5 , Nos . (5,6), (7,8) 1998.
- BoLetin De Academia Argentina De Letras , Buenos Aires .
Nos. : (241- 242) , (243- 244) , 1996- 1997.
- Bulletin du droit d´auteur , Editions Unesco .
No . 1, 2 , 3 , 1997
No. 1 , 1998
- Common Ground , A triannual report on Germany´s environment , Germany .
No . 2 , 1998.
- le Courier De l´unesco , Paris .
AvriL , Mai , Juin , Juillet - auot) , 1998.
- Deutschland , Magazine On Politics , Culture , Business and Science , Germany
Nos . : 2 , 3 , 1998.
- Dirasat , An Internatational Refereed Research Journal , Publ . by : The Deanship of Academic Research , University of Jordan .
Vol . 25 , Human and Social Sciences , No . 1 , 1998 Vol . 25 , Educational Sciences , No 1, 1998 .
- East Asian Review , Seoul , Korea .
Publ . by : The Institute for East Asian Studies .
Vol . 10 , No . 1 , 1998 .
- GLobal governance , A Review of MultiLateralism and International Organizations , U. S . A .
PubL . by: The United Nations University Office in North America .
No . 3 , 1997 .

- Hamdard IsLamicus , quarterLy Journal of Studies and Research in Islam , Pakistan
PubL. by : Bait Al- Hikmah at Madinat AL-Hikma. Nos . : 2, 4 (1997).
- The Middle East Journal , U . S . A
pubL . by: Middle East Institute .
No . 1, Winter (1998) .
- TheMuslim WorLd , U . S . A .
publ . by : The Duncan BLack Macdonald Center at Hartford Seminary .
No . 2, April , 1998.
- le Muséon, Revue D Études Orientales , Louvain Belgique .
Tome 110 - Fasc . (3- 4) , 1997 .,
- Nature Ressources , Revue Trimestrielle De l´unesco sur l´Environnement et la Recherche sur les Ressources Naturelles , Paris , Unesco .
No (1) , Jan .- Mass , 1998 .
- Orient , Report of the Society for Near Eastern Studies in Japan .
vol . XXX III , 1998 .
- Perspectives , Revue Trimestrielle d´éducation Comparée , Unesco .
publ. by: Bureau Intrnational D´Education , unesco . No 4 , Dec . 1997 .
- Revue internationale des Sciences Sociales , unesco . No 141 , sep . 1994 .
- Review of International Affairs , Belgrade .
Nos . : 1065 , 1066 , 1067 , 1998 .
- Samsung Magazine , Korea . No . 2/ 1998 .
- Sources Unesco , paris .
Nos. : 99, 102 , 1998 .

- Studi Sull´Oriente Cristiano , Roma .
No 2 (1) , 1998
pub L. by : Accademia Angelica -
Constantiniana Di lettere Artì E Scienze .

فهرس الجزء الرابع من المجلد الثالث والسبعين
وفيه تتمة بحوث ندوة
(اللغة العربية: معالم الحاضر وآفاق المستقبل)
(من ٢٦حتى ٢٩/ ١٠/١٩٩٧)

(جلسة الختام)

(آراء وأنباء)

الفهارس العامة للمجلد الثالث والسبعين

أ– فهرس أسماء كتاب المقالات والمحاضرات

منسوقة على حروف المعجم

الفهارس العامة للمجلد الثالث والسبعين

ب– فهرس المقالات والمحاضرات

منسوقة على حروف المعجم

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٠

- قصيدة في مشكل اللغة وشرحها لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (فصلة) تحقيق عز الدين البدوي النجار
- فهارس شرح المفصل لابن يعيش، صنعة عاصم بهجة البيطار

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩١

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، مج ٤١ تحقيق سكينة الشهابي
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، السيرة النبوية (القسم الثاني) تحقيق نشاط غزاوي
- عبد الله كنون: سبعون عاماً من الجهاد المتواصل في خدمة الإسلام والعروبة للدكتور عدنان الخطيب (فصلة)
- كتاب التنوير في الاصطلاحات الطبية، لأبي منصور الحسن بن نوح القمري تحقيق وفاء تقي الدين

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٢

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٢، تحقيق سكينة الشهابي
- ألوان من التصحيف والتحريف في كتب التراث، تأليف الدكتور صالح الأشتر
- بقية الخاطريات لابن جني (وهي مالم ينشر في المطبوعة) تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي
- حفل تأبين فقيد المجمع الأستاذ أحمد راتب النفاخ ١٩٢٧ - ١٩٩٢م

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٣

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٣، تحقيق سكينة الشهابي
- حفل تأبين الأستاذ المهندس وجيه السمان ١٩١٣ - ١٩٩٢م

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٤

- محاضرات المجمع في الدورة المجمعية (١٩٩٢- ١٩٩٣)

NO.4 VOL LXXIII

REVUE

DE L´ACADEMIE ARABE DE DAMAS

B.P(327)

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٥

- كشف المشكلات وإيضاح المعضلات للباقولي، تحقيق د. محمد أحمد الدالي (أربعة أجزاء)
- النجوم الزواهر في معرفة الأواخر لابن اللبودي، تحقيق مأمون الصاغرجي ومحمد أديب الجادر
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر المجلد ٤٤ تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٦

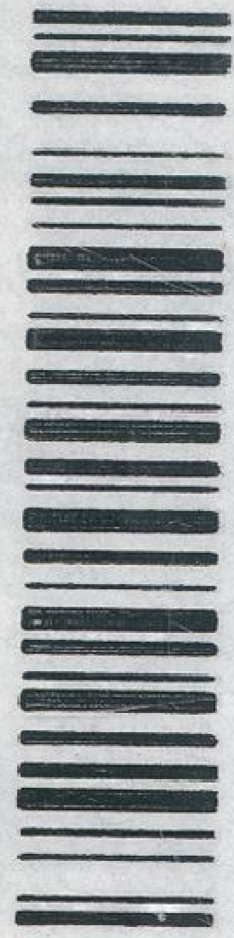
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر المجلد ٤٥ تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي

مطبوعات المجمع في عام ١٩٩٧

- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٤٧، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي .
- علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب ج٢، دراسة وتحقيق د. مراياتي ، د. مير علم ، د. الطيان.
- محاضرات المجمع في الدورة المجمعية ١٩٩٤- ١٩٩٥ .
- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر مج ٣٥- ٣٦، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي .

السعر : ٤٠ ل . س داخل القطر

مطابع دار البعث



Bibliotheca Alexandrina
0652665